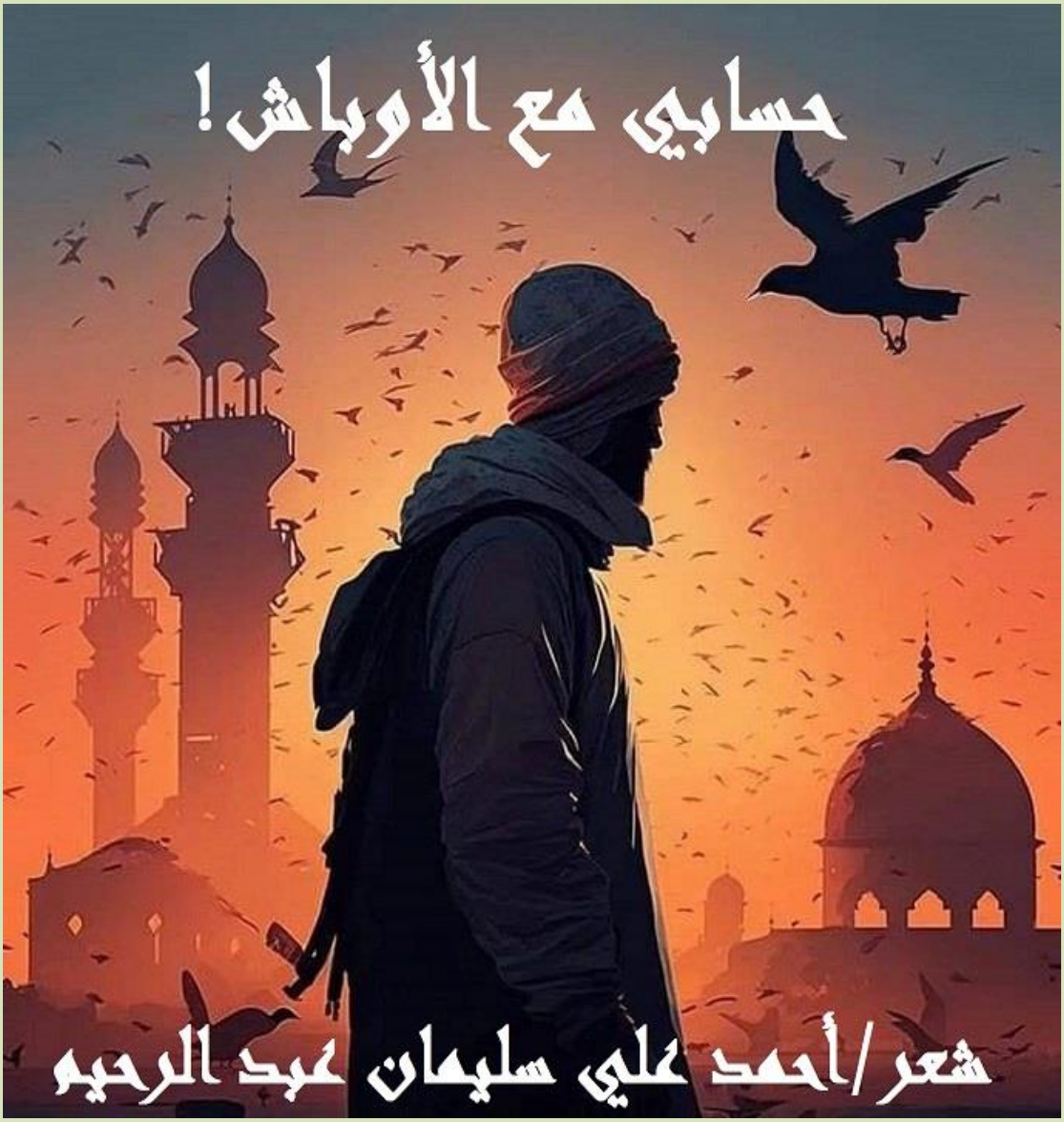

أعيـــا الأبـــاعرَ مِنطقـــي وبَيـــاني ... فاســـتهزأوا بالمُنـــذر العُريـــانِ

وتنـــدّروا بســـفاهةٍ ، واستســـخروا ... وتعللـــوا بـــالزور والبُهتـــان

واســـتكثروا منـــي الـــدفاعَ يَـــدينهم ... فســـطوْا علـــى الإثبـــات والبرهـــان

وتبجّحـــوا فـــي قـــولهم ، وتزيّـــدوا ... وتوشّـــحوا بـــالبغي والطغيـــان

وتخرّصـــوا فيمـــا ارتـــأوْه ، وبـــالغوا ... وتصَـــيّدوا الهفـــواتِ كالـــذؤبان

وتســـلحوا بـــالهزل دون تحفـــظٍ ... حتـــى تضـــيعَ معـــالمُ الفرقـــان

وتـــذرّعوا بالجهـــل يُبـــرز حُمقهـــم ... وتخبّطـــوا - فـــي الغـــيّ - كالعُميـــان

ديوان السليمانيات

(مجموعة شعرية)

حِسابي مع الأوباش!

نحو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

بسم الله
الرحمن
الرحيم

حسابي مع الأوباش!

(مجموعة قصائد مُستلة من ديوان (السليمانيات) توضح مسيرة ثلاثة عُقودٍ من عمري قضيتها مع حِفنة من الوُضعاء الأوباش الأراذل ذقتُ على أيديهم الأمرين ، وعانيتُ أشدّ ما تكونُ المعاناة! ورأيتُ أن أجمعَ قصائدي - التي كتبتُها عن مواقفهمُ الدنيئة القذرة على مدى ثلاثة عقودٍ - جنباً إلى جنب ، حتى يُمكنَ الاستفادة منها واستلهام الدروس والعِبَر والمواعظ! ريثما ألتقي بهم عند الله تعالى في يوم العرض الأكبر ، يوم وضْع الموازين القسط ، ويأخذ كل مظلوم حقه! ذلك أن الدنيا ليست نهاية المطاف يا قوم!)

ديوان: (السليمانيات)

شعر / أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(شاعر أهل الصعيد)

جميع الحقوق محفوظة

الإهداء

الحمد لله سبحانه وتعالى ، جعل العلم للعلماء نسبا ، وأغناهم به وإن عدموا مالاً فبالعلم اتكأ إدريس في الجنة واحتبى ، ولطلبه قام الكليم ويوشع وانتصبا ، فسارا إلى أن لقيا من سفرهما نصبا ، (وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبًا)! أحمده سبحانه حمدًا يدوم ما هبتْ جنوب وصَبا ، وأصلي على رسوله محمد أشرف الخلائق عجمًا وعربا ، وعلى أبي بكر الذي أنفق المال وما قلل حتى تخلل بالعبا ، وعلى عمر الذي من هيبته ولى الشيطان وهربا ، وعلى عثمان الذي حيّته الشهادة فقال: مرحبًا ، وعلى علي بن أبي طالب الذي ما فل سيف شجاعته قط ولا نبا ، وعلى عمه العباس العالي نسبه على جبال الشرف والربى! وعلى جميع صحابته ذوي العز والإبا ، وعلى متبعيه الأشرفين الأدبا! الحمد لله الذي يمحو الزلل ويصفح ، ويغفر الخطأ ويمسح ، كل من لاذ به أنجح ، وكل من عامله يربح ، تشبيهه بخلقه قبيح وجحده أقبح ، رفع السماء بغير عمد فتأمل وألمح ، وأنزل القطر فإذا الزرع في الماء يسبح ، والمواشي بعد الجدب في الخصب تسرّح ، وأقام الورق على الورق تشكر وتمدح ، ويندب هديلها ولا ندب ابن الملوح ، أغنى وأفقر والفقر في الأغلب أصلح ، كم من غنى طرحه البطر والأشر أقبح مطرح ، هذا قارون ملك الكثير وبالقليل لم يسمح ، يتجشأ شبعًا وينسى الطلنفح ، نبّه فلم يزل نومه ، ولِيم فلم ينفع لومه (إذ قال له قومه لا تفرح)! أحمده ما أمسى المساء وما أصبح ، وأصلي على رسوله محمد الذي أنزل عليه (ألم نشرح)! وعلى أبي بكر صاحبه في الدار والغار لم يبرح ، وعلى عمر الذي لم يزل في إعزار الدين يكدح ، وعلى عثمان ولا أذكر ما جرى ولا أشرح ، وعلى علي الذي كان يغسل قدميه في الوضوء ولا يمسح ، وعلى عمه العباس أقرب الكل نسبًا وأرجح! وعلى صحابته ذوي الرأي الأرجح ، وعلى تابعيه ذوي الأجر الأربح! قيل لعبيدة بنت أبي كلاب: ما تشتهين؟ فقالت: الموت! فقيل: ولم؟ قالت: لأني والله في كل يوم أصبح أخشى أن أجني على نفسي جناية يكون فيها عطبي أيام الآخرة! يا مستورًا على الذنب انظر في ستر من أنت ، لو عرفتني أعرضت عن غيري ، لو أحببتني أبغضت ما سواي ، لو لاحظت لطفي لتوكلت ضرورة علي ، خاصمت عنك قبل وجودك ، (إني أعلم ما لا تعلمون) ، واستكثرت قليل عملك (والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات) ، واعتذرت لك في زللك (فدلاهما بغرور) ، وغطيت قبيح فعلك (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله) ، ولقنتك عذرك عند زللك (ما غرك بربك الكريم) ، وأربحتك معاملتك (فله عشر أمثالها) ، من خاصم عنك وأنت مفقود لا يسلمك وأنت موجود ، فاعرف عليك حقي ، ولا تكن من شرار خلقي ، فكم أرى زلة فأحلم وأبقي ، يا قائمًا في مقام الجهالة قد رسخ يا متكبرًا على إخوانه قد علا وشمخ ، يا خارجًا عن الحد شغلا باللهو والمطبخ ، يا من في بصره كمه وفي سمعه صمخ يا طامعًا في السلامة مع ترك الاستقامة ألقيت البذر في السبخ ، متى ينقى قلبك من هذا الدرن والوسخ؟ متى تتصور نفخة إسرافيل في الصور إذا نفخ؟! يا ذا الأمل الطويل العريض أما أنذرتك الشعرات البيض؟ أما الموت برق والشيب وميض! عجبًا لتأميل الكسير المهيض ، لقد فات الفوز قدح المغيض ، يا دائم الخطأ وكم علم وريض ، يا معجبًا بالسلامة وهو في الحقيقة مريض ، لا اللسان محفوظ ولا الجفن غضيض ، لا بالنثر ترجع إلينا ولا بالقريض ، لقد نزلت بك المعاصي إلى أسفل حضيض ، ليت شعري بعد الموت إلى أين تذهب لقد تعمى والله عليك المذهب ، لا بد مرة من كأس الحِمام تشرب ، ولهذه الأجساد المبنية أن تخرب ، ولولا فراخ الحياة ما كانت فخاخ الموت تنصب! كم عزيز أحببنا دفناه وانصرفنا ، كم

مؤانس أضجعناه في اللحد وما وقفنا ، كم كريم علينا إذا جزنا عليه انحرفنا ، ما لنا نتحقق الحق فإذا أيقنا صدفنا ، أما ضر أهله التسويف وها نحن قد سوفنا؟ أما التراب مصيرنا فلماذا منه أنفنا؟ إلام تغرنا السلامة وكأن قد تلفنا؟ أين حبيبنا الذي كان وانتقل؟ أما غمسه التلف في بحره ومقل؟ أين الكثير المال الطويل الأمل؟ أما خلا في لحده وحده بالعمل؟ أين من جر ذيل الخيلاء غافً لا ورفل؟ أما سافر عنا وإلى الآن ما قفل؟ أين من تنعم في قصره وفي قبره قد نزل فكأنه في الدار ما كان وفي اللحد لم يزل؟ أين لجبابرة الأكاسرة العتاة الأوَل؟ ملك أموالهم سواهم والدنيا دول! خلا والله منهم النادي الرحيب ، ولم ينفعهم طول البكاء والنحيب ، وعاينوا من هول المطلع كل عجيب ، وسئل عاصيهم فلم يدر كيف يجيب! مضى والله الكل على منهاج ، وساروا بين غوارب وأحداج ، ورحلوا إلى البلى أفواجًا بعد أفواج ، ولقوا لغب الطريق على تعب الإدلاج ، وتوسّطوا بحر الجزاء المدلهم العجاج ، وظنوا سلامتهم فهاجت أمواج بعد أمواج ، ونشرت صحائفهم فإذا بها كالليل الداج ، وباشر واخشن التراب بعد لين الديباج ، وتعوضوا لحدًا غامرًا عن عامر الأبراج ، وحلوا إذ خلوا فيه حلية المدر بعد التاج ، فمحا محاسنهم بعد بهاء الإبهاج ، وسئلوا عما ثم فتمتم اللسان اللجلاج ، وعادت نساؤهم أيامي بعد الأزواج! سلوا عن الجيران المنازل ، وقولوا لها: أين النازل؟ لا والله ما تجيب السائل ، بلى إن البلى ينطق بالبلابل ، إخواني الدنيا ظل زائل ، وحال حائل ، وركن مائل ، ورفيق خاذل ، ومسئول باخل ، وغول غائل ، وسم قاتل ، كم تعد الدينا وتماطل ، كل وعودها غرور باطل ، والله ما فرح بها عاقل ، مسكرها لا يمر على لقمان بل على باقل! كم من ظالم تعدى وجار ، فما راعى الأهل ولا الجار ، بينا هو يعقد عقد الإصرار ، حل به الموت فحل من حلته الأزرار ، (فاعتبروا يا أولي الأبصار)! ما صحبه سوى الكفن ، إلى بيت البلى والعفن ، لو رأيته وقد حلت به المحن ، وشين ذلك الوجه الحسن ، فلا تسأل كيف صار (فاعتبروا يا أولي الأبصار)! سال في اللحد صديده ، وبلى في القبر جديده ، وهجره نسيبه ووديده ، وتفرق حشمه وعبيده ، والأنصار ، (فاعتبروا يا أولي الأبصار) ، أين مجالسه العالية؟ أين عيشته الصافية؟ أين لذاته الحالية؟ كم تسفى على قبره سافية؟ ذهبت العين وأخفيت الآثار ، (فاعتبروا يا أولي الأبصار)! تقطعت به جميع الأسباب ، وهجره القرناء والأتراب ، وصار فراشه الجندل والتراب ، وربما فتح له في اللحد باب النار ، (فاعتبروا يا أولي الأبصار)! وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد ، فإن فكرة هذه الباقة الشعرية للحديث عن الوضعاء الأوباش السفلة جاءتني متأخرة ، وذلك بعد أن انتهيتُ بتوفيق الله تعالى من إعداد ديوان (السليمانيات) في جزئه الثامن والعشرين وعنوانه: (اللهم تقبّل مني شعري!) ، فرأيتُ أن أجمع هذه المجموعة الشعرية لأفيد بها من يُبتلى بالتعامل مع قوم هم ألى الغجر أقرب منهم لأهل القيم والأخلاق! ألا إن الإنسان لا يتعلم من فراغ ، كما لا يتعلم بدون بذل ثمن ما يتعلمه! ويكون الثمن أزهد وأرخص ما يكون عندما يكون مالاً! أما عندما يكون الثمنُ دماءً وأعصابا ومشاعر وعواطف وعِرْضاً وسُمعة وكرامة وشرفاً ، فهذا أغلى من الدنيا وما فيها ، عند كِرام الناس! ولله الفضل والمِنة أن عِشْتُ لليوم الذي أكيلُ فيه الصاعَ صاعين لهؤلاء الأراذل! فلقد وَعظتُهم كثيراً ، ونصحتُ لهم ، ولكنهم يمقتون المواعظ ولا يحبون الناصحين! فعمدتُ لأخذ حقي منهم بثلاثة طرق: الأولى الدعاء في كل وقت وحين ، والثانية التشهيرُ بهم والجهر بأعمالهم القذرة الدنيئة الحقيرة ، والثالثة الشعر! وذلك عملاً بالآية: (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم). وأنا ظُلِمتُ ، والقرآن والسنة يُعطيانِنِي الحق الشرعي في الدفاع عن نفسي وبيان قضيتي!

المقدمة

الحمد لله سبحانه وتعالى الذي أسرى لطفه ففك الأسرى ، وأجرى بإنعامه ومنه للعاملين أجرا ، وأسبل بكرمه على العاصين سترا ، وقسم بني آدم عبداً وحرا ، ودبر أحوالهم غنىً وفقرا ، كما رتب البسيطة عامراً وقفرا ، وقوى بعض عباده على السياحة فقطعها شبراً شبرا ، (ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرًا)! أحمده سبحانه حمداً يكون لي عنده ذخرا ، وأصلي على رسوله مقدم الأنبياء في الدنيا والأخرى ، وعلى أبي بكر الذي أنفق المال على الإسلام حتى مال الكف صفرا ، وعلى عمر الذي كسرت هيبته كسرى ، وعلى عثمان المقتول من غير جرم صبرا ، وعلى علي الذي كان الرسول يعزه بالعلم عزا ، وعلى عمه العباس أعلاهم في النسب قدرا. وأصلي على أصحابه وأتباعه الذين هم خيرٌ مَقاماً وذِكرا! الحمد لله أحسن الخالقين ، وأكرم الرازقين ، مكرم الموفقين ، ومعظم الصادقين ، ومجل المتقين ، ومذل المنافقين ، حفظ يوسف لعلمه بعلم اليقين ، فألبسه عند الهم دروع اليقين ، وملكه إذ ملك عنان الهوى ميدان السابقين ، فذل له إخوته يوم وما كنا سارقين ، (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين)! أحمده سبحانه حمد الشاكرين ، وأصلي على رسوله محمد أشرف الذاكرين ، وعلى أبي بكر سابق المبكرين ، وعلى عمر سيد الآمرين بالمعروف والمنكرين ، وعلى عثمان الشهيد بأيدي الماكرين ، وعلى علي إمام العباد المتفكرين ، وعلى عمه العباس أبي الخلفاء الراشدين ، وعلى سائر الصحابة والقرابة والتابعين! تركوا لأجلنا لذيذ الطعام ، وساروا يطلبون جزيل الإنعام ، وقاموا في المجاهدة على الأقدام ، وتدرعوا ملابس الأتقياء الكرام ، نشرت لهم بصدقهم الأعلام ، وحُلوا حِلية الرضا وأحلوا محل التوفيق ، (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق)! طال ما عطشوا في دنياهم وجاعوا ، وذلوا لسيدهم صادقين وأطاعوا ، وخافوا من عظمته وجبروته وارتاعوا ، وبأخراهم ما يفنى من دنياهم باعوا ، وحرسوا بضائع التقى فما فرطوا ولا أضاعوا! وجانبوا ما يشين وصاحبوا ما يليق ، فطاف الولدان على شِفاه يبستْ بالصيام وأتى الريق ، (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق)! تحملوا أثقال التكليف ، ورفضوا التمادي والتسويف ، وقطعوا طريق الفوز للتشريف ، وجانبوا موجب العتاب والتعنيف! فتولاهم مولاهم وحماهم في الطريق ، وأقاموا الولدان تسقيهم من الرحيق ، (بأكواب وأباريق)! عبادٌ أطاعوا الملك المعبود ، وأوصلوا الركوع والسجود ، وسألوا من يتفضل ويجود ، فوفر نصيبهم من الرفد المرفود ، (في سدر مخضود)! وردوا إليه أكرم ورود ، وأمنوا في وصالهم عائق الصدود ، وأتعبوا الأعضاء في خدمته والجلود ، فمنحهم طيب العيش في جنات الخلود ، (في سدر مخضود)! تصافوا فاصطفوا في خدمته كالجنود ، واستلوا سيوف الجهاد من الغمود ، وقمعوا بالصدق العدو الكنود ، وأرغموا بسبقهم أنف الحسود ، فخصهم مولاهم بالفضل والسعود ، (في سدر مخضود)! طلبوا بالصدق الصادق الودود ، وسعوا إليه يسألون إنجاز الوعود ، وطمعوا في كرمه أن يتفضل ويعود ، وأسبلوا دموعهم من خشيته على الخدود ، فيا لنعيمهم وأطيب منه الخلود ، (في سدر مخضود)! شكروا من أخرجهم من العدم إلى الوجود ، وتفضل عليهم بكل خير وجود ، وعلموا أن الإخلاص هو المقصود ، فاستعدوا وأوعدوا لليوم المشهود ، (في سدر مخضود)! تمكنوا بالكتاب القديم ، وطلبوا من المنعم الكريم ، أن يعمهم بالفضل والتكريم ، فمن عليهم بالخير العميم ، فهم في الجنان في أحلى نعيم ، عند ملك كبير عظيم ، ليس بوالد ولا

مولود ، (في سدر مخضود وطلح منضود)! أعد لهم أوفى الذخائر ، وهذب منهم البواطن والظواهر ، وجعلهم بين عباده كالنجوم الزواهر ، وبنى لهم الغرف باللؤلؤ والجواهر ، فهم في مجد كريم وسعد غير محدود ، (في سدر مخضود وطلح منضود)! استزارهم إلى جنته ، وخصهم بكرامته ، وأنعم عليهم برؤيته ، وجعلهم في حصن حصين من رعايته ، في ظل نعيم دائم ممدود ، (في سدر مخضود وطلح منضود)! طال ما حُمّلوا تكليفه واستقلوا ، وسعوا جاهدين إلى مَراضيه فما ضلوا ، وتفيأوا ظلالَ التوكل عليه واستظلوا ، ورضوا بقضائه صابرين فما ملوا ، وائتمنهم على الإيمان فما خانوا ولا غلوا ، وكفوا أكفهم في غير ثقة به وغلوا ، فعزوا بخدمته إذ لخدمته ذلوا ، فأثابهم نعيمًا ليس بمجدود ولا محدود ، (في سدر مخضود وطلح منضود)! مالوا إليه وتركوا المال ، وعلقوا بالطمع في فضله الآمال ، وأعرضوا عن الدنيا شغلا بالمآل ، وألفوا خدمته وهجروا الملال ، وراضوا أنفسهم بالفقر ورضوا بالإقلال ، وأنسوا بمناجاته ونسوا الآل ، فإذا تلقاهم مولاهم قال مرحبا بالوفود ، (في سدر مخضود وطلح منضود)! أين من جمع الأموال وتمولها ، وطاف البلاد وجولها ، وشق أنهار الأرض وجدولها ، رأت والله كل عاملة عملها ، ونزلت بعد سفرها منزلها! عنت الوجوه على جسور المنايا الحوابس ، وأذل قبر الموت الزؤام الشوامس ، وصير الفصحاء في مقام الهوامس ، يا لليالي المرض والسقام إنها ليال دوامس ، يا لساعة اللحد حين تحثو الروامس ، كم لقيت وجوه نواعم من أكف طوامس ، كم ترحلت من دار السلامة إلى عسكر البلى فوارس! أين ابن آدم المذل بسلطانه غيره؟ لقد هلكت في الزمان جديسه وطسمه ، ولقد ذهب من كان وكان اسمه ، فلا عينه ترى ولا رسمه ، ولا جوهره يحس ولا جسمه ، تبدد والله بالممات نظمه ، ولحق بالرفات عظمه ، كم طوفوا بالبلاد وجولوا ، كم أوعدوا أعداءهم وهولوا ، كم جمعوا وكم تخولوا ، كم اقتنوا وكم تمولوا ، كم طالوا وما تطولوا ، والمحنة أنهم على الأمل عولوا ، فما كان إلا القليل وتغولوا ، وجملة الأمر أنهم تحولوا ، واستطالت على الورى عصب ما تطولوا ، ظهروا في البلاد عصرا وطافوا وجولوا ، خولوا نعمة فلم يشكروا ما تخولوا ، فانظر الآن فيهم أي غول تغولوا ، وأقاموا فما قيل فازوا ولكن تحولوا! كم ملأوا سهلاً وجبلا ، شاءً وإبلا ، فلما سلكوا إلى الموت سبلا ، وعاينوه يوم الرحيل قبلا ، وتهيأوا للنزول في دار البلى علموا ، أن ما كانوا فيه عين البلا! وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد ، فإن هذه الباقة الشعرية التي نقدم لها ، والتي تأخذ العنوان: (حسابي مع الأوباش) تحكي تاريخاً امتد ثلاثة عقود من عمري ، تجرّعتُ البلاءَ أشكالاً وأنواعاً على أيدي أقوام لا خلاق لهم! وبغير مبرر لهم في ذلك! بالعكس ، في الوقت الذي كنتُ فيه سَبباً في سعادتهم ، كانوا هم سبباً في شقائي! نعم ، فلقد قابلوا المعروفَ والإحسانَ بالإساءة مع سبق الإصرار والترصد! وكنتُ في كل موقفٍ قذر دَنيءٍ أبيّنُ حُجّتي عليهم ، وأوضّحُ بالدليل الشرعي والدليل الواقعي مدي التجاوز في حقي ، ولكنْ أنى للأراذل الوضعاء الأوباش أن يسمعوا أو يفهموا أو يعتذروا عن جرائم اقترفوها في حق مَن أحسن إليهم؟! وبعضُهم كان يستهجنُ توضيحي ويعتبرُه تشهيراً بهم! ويتبجحُ بقوله: (ليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذئ)! ولا شك أن الحديث هكذا يكون في غير مكانه! كيف يُبيحون لأنفسهم ظلمَ الناس ، ولا يسمحون لأنفسهم أن يستمعوا إلى بيان مَن ظلموهم بغير حق ، واعتدوا على حقوقهم بكل تبجح وسفور؟! إن هذه الباقة الشعرية هي وسيلتي في أخذ بعض حقي ، وتحذير الآخرين من حولي أن لا يسمحوا لأنفسهم يوماً أن يُحسنوا الظن بقوم إذا بدتْ رذالتهم وحقدهم ووبشنتهم للعيان! بل يجب أخذ الحيطة والحذر في التعامل معهم! إن هذا النوع من البشر لا يرقبُ في مُؤمن إلاً ولا ذِمة!

الافتتاحية

الحمد لله سبحانه وتعالى وعز وجل ، الذي رفع السموات مزينة بزينة النجوم ، ومثبت الأرض بجبال في أقاصي التخوم ، عالم الأشياء بعلم واحد وإن تعدد المعلوم ، ومقدر المحبوب والمكروه والمحمود والمذموم ، لا ينفع مع منعه سعي فكم مجتهد محروم ، ولا يضر مع إعطائه عجز فكم عاجز وافر المقسوم ، اطلع على بواطن الأسرار وعلم خفايا المكتوم ، وسمع صوت المريض المدنف المحروم ، وأبصر وقع القطر في سحاب مركوم ، (وما ننزله إلا بقدر معلوم) ، جَلّ أن تحيط به الأفكار أو تتخيله الوهوم ، وتكلم فكلامه مسموعٌ مقروءٌ مرقوم ، وقضى فقضاؤه إذا شاء إنفاذه محتوم ، وبتقديره معصية العاصي وعصمة المعصوم ، (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) ، قضى على الأحياء بالممات فإذا بلغت الحلقوم ، فات المقصود المرام وعز المطلوب المروم ، ونقل الآدمي عن جملة الوجود إلى حيز المعدوم ، وبقي أسير أرضه إلى يوم عرضه والقدوم ، فإذا حضر حسابه نشر كتابه المختوم ، وجوزي على ما حواه المكتوب وجمعه المرقوم ، (وعنت الوجوه للحي القيوم) أحمده سبحانه حمداً يتصل ويدوم ، وأشهد أنه خالق الأعيان والرسوم ، وأصلي على رسوله محمد صلاة تبلغه على المروم ، وعلى صاحبه أبي بكر الصديق على السائل والمحروم ، وعلى عمر المنتصف بين الظالم والمظلوم ، وعلى عثمان المتهجد إذا رقد النؤوم ، وعلى علي الذي حاز الشرف والعلوم ، وعلى عمه العباس سيد الأعمام على الخصوص والعموم! وعلى جميع أصحابه ذوي الألباب وصحيح الفهوم ، وعلى تابعيه إلى يوم الوقت المعلوم! أين من اعتمد على رضى الأمل والمنى واتخذهما مالاً مالا؟ أين من تنعم بالعز والفخر وجعلهما حالاً حالا؟ أين من جمع الأموال بعضها فوق بعض؟ وتصرف بشهواته في طول المنى والعرض؟ ونسي الحساب يوم السؤال والعرض؟ ولم يبال بعد نيل غرضه بضياع الواجب والفرض؟ أما حط عن ظهر قصره إلى بطن الأرض؟ خلا والله بقبيحه وحسنه ، وانتبه في قبره من وسنه ، فما نفعته الإفاقة ، في إبان الفاقة ، ولا أفاده التيقظ ، وقد انقضى وقت التحفظ ، تبدل بالأتراب التراب ، وواجه أليم الحساب والعتاب ، وندم على ما خلا في خلاف الصواب ، وتقطعت به الوصل والأسباب ، فاعتبروا يا أولي الألباب! يا من عمره كلما زاد نقص ، يا من يأمن الموت وكم قد قنص ، يا مائلاً إلى الدنيا هل سلمت من نغص؟ يا مفرطًا في الوقت هلا بادرت الفرص؟ يا من إذا ارتقى في سلم الهدى فلاح له الهوى نكص ، من لك يوم الحشر إذا نشرت القصص؟ ذنوبك كثيرة جمة ، ونفسك بغير الصلاح مهتمة ، وأنت في المعاصي إمام وأمة ، يا من إذا طلب في المتقين لم يوجد ثمة ، يا من سيلحق في مصرعه وإن أباه أباه وأمه ، متى تنقشع هذه الظلمة والغمة؟ متى تنشق أكمة أكمهٍ ذي كمه يا من قد أعماه الهوى ثم أصمه؟ يا من لا يفرق بين المديح والمذمة يا من باع! أين أهل العزائم؟ رحلوا وماتوا! أين أهل اليقظة؟ ذهبوا وفاتوا! قف على قبورهم تجد ريح العزم ، تنفس عندها تحب روح الحزم ، أقبلوا بالقلوب على مقلبها ، وأقاموا النفوس لدى مؤدبها ، ومدوا الباع من باع التسليم إلى صاحبها ، وأحضروا الأخرى فنظروا إلى غايتها وسهروا الليالي كأنهم قد وكلوا برعي كواكبها ، ونادوا نفوسهم صبراً على نار البلاء لمن كواك بها ، ومقتوا الدنيا فما مال الملأ إلى ملاعبها ، واشتاقوا إلى الحبيب فاستطالوا مدة المقام بها! كم ناداك مولاك وما تسمع ، وكم أعطاك ولكن ما تقنع ، لقد استقرضك مالك فمالك تجمع ، وضمن أن تنبت الحبة سبعمائة وما تزرع ، ليكن همك في طلب المال الإفضال به فإن الشريف الهمة لا يطلب الفضل إلا للفضل! قال أعرابي لأخيه: إن مالك إن لم يكن لك كنت له فكله قبل أن

يأكلك ، كم مخلف لمتخلف ترك لمن لا يحمده ، وقدم على من لا يعذره ، ران على القلوب حب الدنيا فجمعتها كف الشره ، وتمسكت بها أيدي البخل فلو تلمحت معنى (من ذا الذي يقرض) أو اشتقت إلى أرباح (فيضاعفه) لرأيت إنفاق كل محبوب حقيراً في جنب ما ترجو! لتعظمن على أهل المخالفات الآفات ، ولتقطعن أفئدة المفرطين بالزفرات ، وليشتهرن الفاجر في الخلوات بالجلوات ، ولتمورن السوق يوم السوق إلى سوق المحاسبات ، ولتسيلن الدماء بعد الدموع على الوجنات ، وليتحسرن أهل المعاصي إذا لاحت درجات الجنات ، ولينادين منادي الجزاء يخبر بتفاوت العطاء ووقوع السيئات ، (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات)! كأنك بما يزعج ويروع وقد قلع الأصول وقطع الفروع ، يا نائماً إلى كم هذا الهجوع؟ إلى متى بالهوى هذا الولوع؟ أتنفعك وقت الموت الدموع؟ كم لك إلى التقى عند النزع نزوع! هيهات لا ينفع بعد فوات الأوان الذل إذَّاً والخضوع ، يقول: فرقوا المال فالعجب لجود المنوع ، هذا وملك الموت يسلها من بين الضلوع ، رشقك سهم المنون فما أغنت الدروع ، وأتى حاصد الزرع وأين الزروع؟ وخلت منك المساكن وفرغت الربوع ، وناب غراب البين عن الورقاء السجوع ، وتمنيت أن لو زدت من سجود وركوع ، فاحذر مكر العدو ولا تقبل قول الخدوع! يا مريضاً ما يعرف أوجاعه ، يا مضيع العمر بالساعة والساعة ، يا كثير الغفلة وقد دنت الساعة ، يا ناسيًا ذكر النار إنها لنزاعة ، كأنه وملك الموت قد أزعجه وأراعه ، وصاح بالنفس صيحة فقالت: سمعًا وطاعة ، ونهضت تعرض كاسد التوبة وهيهات هيهات غلق الباعة ، يا سيئ النظر لنفسه في وجه شمس فهمك ، غيم بين دائك ودوائك حجاب ، لو أهمتك نفسك سعيت لها في الخلاص ، لو رضيت بالبلغة ما استرهن قلبك كسب الحطام ، لو قنعت كلاب الصيد بالمنبوذ ما كانت السواجير في حلوقها! لله در أقوام تعبوا فأريحوا وزهدوا فأبيحوا ، جليت أبصارهم فشاهدوا وأعطوا سلاح المعونة ، فجاهدوا وتأملوا الدنيا وسبروها ، وعرفوا حالها وخبروها ، فصدت نفوسهم ما صدها ، ما كانت تعبد وأقبلت على قبلة الاعتذار في مناجاة: ظلمت نفسي فضربت بالدنيا وجه عشاقها ، وشمرت في سوق الجد عن ساقها ونقضت لتصحيح عملها مخدع الخديعة ، ونفضت يد أملها من سراب بقيعة ، فحدت ركائب سيرها في إدلاج سراها وزادها نشاطا حادي الهمة لما حداها ، فسبقت إلى الخلال الكرائم ووصلت إلى الإفضال وأنت نائم! أقول بكل صدق: لم أغلب لغة الخيال والتهويم في شعري لأبعد القراء عن الواقع على عادة المستشعرين! بل قصدت إلى الإمتاع والفائدة معاً! وبعدُ فإن هذه المجموعة الشعرية المُسمّاة بـ: (حسابي مع الأوباش) الهدف منها هو أن أبين للناس مدى ما تعرّضتُ لهُ مِن استنزافٍ باسم الصداقة تارة ، وباسم القرابة تارة ، وباسم الإسلام تارة أخرى! وكنتُ أحسن الظن في كل مقلب وفي كل موقفٍ من مواقف الأوباش ، متمنياً على الله أن يكون الموقف الأخير ، فإذا به الأول ، في سلسلة لا تنتهي إلا بالخلاص مني! وفي نهاية المطاف ، وبعد محاولاتٍ متعددة للإصلاح ، خلعتُ نفسي من حياتهم ، وحمدتُ الله أنني بقيت على ديني وقِيَمي وأخلاقي! إن التعامل مع حُثالة الناس مكلفٌ جداً ، وليته يكلف المال فقط ، إذن لهان الخطبُ! وإنما يكلف أعصاباً وسُمعة وعِرضاً وشرفاً! إن الأوباش يعتبرون أنفسهم سادات الناس ، وكأنهم شعب الله المختار! وأن الناس من غيرهم خلقهم الله لهم خدماً وعبيداً ، عليهم أن يبذلوا! فعليهم واجباتٌ محضة ، وليس لهم حقوق ولا خصوصيات! والله لقد اغتصب الأوباش حقوقي ، واستغلوا غيابي ، وانتهكوا أخص خصوصياتي بكل استخفافٍ زاعمين أنه حقٌ مكفول لهم! ولقاؤنا في سوق القيامة أيها الأوباش! والشعر آخذ به بعض حقي!

اكتشاف!

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى ، وبعد ، فإنني أحمد الله تعالى أن جلى ليَ حقيقة الأوباش الأراذل السفل الحُثالة! واكتشفتُ أخيراً أحدهم الذي كنتُ أحسن الظن به نسبياً ، فإذا بي أكتشف أنه أعتى القوم وأشقاهم! فلقد كان رأس حربة في ظهري ، وحاك كل الدسائس ، وأشعل الفتن في العائلة وخارجها ، وسطا على كل ما ملكت يدي من أسفار العلم! ولما راجعتُه في ذلك ، أصر على أنها طارت مع العصفورة! فقلت: الله بيني وبينك أيها الوغد! أين ستذهب؟ لقد استغل خلافاً قام بيني وبين أبيه وأمه ، ويشهد الله تعالى أن الحق كان معي! لكن المحتال النصاب الوبش أخذ يشيطن أخاه الأكبر عند أبيه وأمه من أجل أن يبرأ كل منهما منه ، ويخلو له وحده وجه كلٍّ! وسرعان ما اكتشفتُ هذا مبكراً ، ولكنني أحسنتُ الظن ، وقلت: لعله يرجع ويتوب ، ولكنه أعرض ونأى بجانبه! إن مصيبة هذا الوغد النذل أنه (يتسهوك) ، ويظن الناس من حوله لا يفهمونه! عموماً (لا يحيقُ المكرُ السيئ إلا بأهله) والقيامة ستجمعنا ظالماً ومظلوماً ، أمام جبار السماوات والأرض أعدل العادلين تبارك وتعالى! وكانت مني هذه الخاطرة الأدبية التالية ، واقتصصتُها من خاطرتي الأدبية: (قراءة في أوراق الماض) من ديوان: (عزيز النفس) والذي كتبت قصائده عام 1994م ، يعني كنتُ أعلم خداعه وخسته ومكره وسَهوكته منذ زمن بعيد! ولكنه إحسان الظن بالناس ورجاء أن يهتدوا! لقد خذلني هذا النذل وحوّل قلب أبيه وأمه والعائلة بأسرها ، ليبرز هو الابن البار الطيب الصالح! وعشتُ لليوم الذي رأيت الكل يتجرع منه سموم الخذل والأنانية! لقد فعل ما فعل اقتداءً بإخوة يوسف قبل توبتهم واستغفارهم: (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم) ، والأصل أن نقتدي بإخوة يوسف بعد توبتهم وإنابتهم! لكن النفوس المريضة البغيضة لا تعرف التوبة ولا الإنابة ولا الرجوع للحق! ثم أكملَ النذل انتقامَه في الغربة فجَرّعَني الهم! حيث وجد مؤامرة أخرى جاهزة تُحاك ضدي على أيدي أصدقاء مسلمين تبرأ منهمُ الصداقة ويبرأ منهم الإسلام! فخاض الشقيق مع الخائضين ، وضحّى بأخيه الأكبر من أجل عرض من الدنيا قليل! وشهدَ شهادة الزور التي يتورعُ عنها أبو لهب وأبو جهل باسم الجاهلية! لقد كان شقيقاً غادراً ، ترتبتْ على مُؤامراته الدنيئة مجموعة من البلاءات ، تجرعتُ مرارَها بلاءً تلو الآخر! وعند الله تجتمعُ الخصوم أيها الشقيقُ الذي أبرأ من أخوّته كما برئ الذئب من دم يوسف بن يعقوب ـ عليهما صلاة الله وسلامه ـ! وعند الله ـ تعالى ـ يا غادرُ يا وبشُ نلتقي!

طُعِنْتُ أيا مُقلتي في الصديقُ
وعانيتُ يا عينُ غدر الرفيقْ ، وأحنى إبائي تخلي الشقيقْ
فلم ألقَ حتى سراب الرحم ، ولم ألقَ حتى بُخار الإخاءْ
يُحاربني اليوم بعضُ دمي ، ويَحرق قلبي الشقيقُ الغَدورْ
يُحاسبني أنني مُسْلم ، ويَضرب في الأرض ضربَ البعيرْ
ويَعْتَدُّ بالمال دون حَيا
ولستَ شقيقي كما تدعي ، لأن شقيقي التقيُّ البصيرْ
شقيقي الذي يعرف الحق ، يحيا لهُ ، يُضحّي لهُ ، يموتُ لهُ
شقيقي الذي لا يخاف العِدا
شقيقي الذي درهمي درهمُهْ ، ودينارُه في يميني إذا رُمْتُهُ
شقيقي الذي عِلمُه بالعقيدة نورٌ لهُ
شقيقي الذي إنْ بُليتُ أتاني كمثل النسيمْ
شقيقي الذي يبتغي رفعتي بين كل الورى
وخيبتَ ظني ، وما كنتَ قط كما قد ذكرتْ

فأنتَ على الغير ظل ظليل ، ولكن عليَّ كمثل الحَرورْ
وتزعم أن الذي بيننا يزولُ يزولُ كأنْ لم يكنْ
تريد الذي ما حلمتُ به ، وتُنْشِدُ بيتًا بأقصى النجومْ
لأن الدعيَّ بأحوال قلبيَ ليس الخبيرْ
ألا فالتمسْ في الخزايا شقيقًا سوايْ
ولا يخدعنَّكَ صمتي الطويلُ ، فإني حيالكَ في الله كلي غضبْ!
ولستُ أراني حقودًا عليكَ ، ودنياكَ ليست بقلبي الشكورْ
لأني أتوق إلى جنة الخُلد عند الجليلْ
طعامي هناك وشربي إذنْ ، ومثلُك أعلافُه مِن شعيرْ
ولا أقبلُ اليومَ منكَ التزلفَ إني كريمْ
ومرحى بكَ اليومَ إما أخًا مسْلمًا ، وإما شقيقًا يُراعي الرحمْ
ولا مرحبًا بالدعيِّ الأثيمْ
ومَن هو للمجرمين الظهيرْ
لأن الجبانَ الخذولَ مَعيبٌ ، يَبيعُ الشقيقَ ، يَخون العشيرْ
فلا تفتكرْ لحْظة بالإخاء الوشيكْ
فأمُّكَ ما ولدتْني لمثلكَ يا أفعوانُ إذا جُعتَ بَعضَ فَطِيرْ
وزدْ في الدراهيم حتى تزورَ القُبورْ
فلا خيرَ فيكَ ، لأنْكَ لم تستفد مِن كلام البشيرِ النذيرْ
لفظتُكَ بين الأنام سرابًا يزولْ

استهلال عن الظلم والظالمين

إن الحديث عن الظلم والظالمين لا يكاد ينتهي! لأنه ما من يوم يمر إلا ونرى وتيرة الظلم تزداد! وكثير من الظالمين كانوا قد غرهم حِلمُ الله تعالى عليهم! وفي الوقت ذاته يشكو المظلومون شدة الظلم الواقع عليهم! وبعض الظالمين كانوا قد هلكوا في الدهر ، فإذا ندد المظلومون بمن ظلموهم وتناولوهم بالبيان والدعاء قيل لهم: لقد ماتوا ، والأحاديث تأمرنا بالكف عنهم ، فلقد أفضوا إلى ما قدموا ، وصاروا في دار الحق! وهذا أراه ظلماً كبيراً لهم! حيث إن الله تعالى قد أعطاهمُ الإذن في الجهر بالسوء في الحديث عن ظالميهم ، والتنديد بما وقع عليهم بغير حق! في (إسلام أون لاين) كان هناك سؤال رائع وجواب أروع ، السؤال: هل تكلم المظلوم عن ظلم الظالم أمام الآخرين يعد من الغيبة؟ وإن كان المظلوم غير قادر على أخذ حقه ، فهل يعد كلامه للناس عن ظلم الظالم له كأخذ الحق؟ وهل من شكى للناس ظلم الظالم ـ من باب أن يحذروا منه ولا يخالطوه كي لا يظلمهم ، خاصة وأنه لا يقبل النصيحة ـ يعد ظالماً ويأثم على ذلك؟! الإجابــة: إن تكلم المظلوم عن ظلم الظالم له أمام الآخرين تظلماً ، أو تحذيراً لا إثم فيه عليه ، ولا يعد من الغيبة المحرمة وخاصة إذا كان الظالم لا يقبل النصيحة ، والدليل على ذلك قول الله تعالى: "لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً". وقول رسوله صلى الله عليه وسلم قال: (ليّ الواجد يحل عرضه وعقوبته). رواه أبو داود وغيره. ومجرد كلام المظلوم عن ظالمه لا يُعتبر أخذاً بكامل بحقه ، ولا يُسقط المطالبة به ولا الإثم عن الظالم ما لم يعف عنه صاحب الحق برضاه وطيب نفسه ، وإن كان الدعاء على الظالم يُخفف عنه الإثم! وقد وردتْ بذلك أحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة ، حين دعت على من سرق شيئاً من متاعها: لا تسبخي عنه! رواه أبو داود. أي لا تخففي عنه الإثم الذي يستحقه ـ هكذا قال الصنعاني في سبل السلام. ودعاء المظلوم من الأدعية التي لا تُرد ، فقد روى الإمام أحمد وغيره ، وصححه الأناؤوط: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ثلاثة لا يرد دعاؤهم: الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام يوم القيامة ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب عز وجل: بعزتي لأنصرنك ولو بعد حين).هـ. وقال الإمام ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره للآية: (لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا) ، قال [علي] بن أبي طلحة عن ابن عباس: (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) يقول: لا يحب الله أن يدعو أحدٌ على أحدٍ ، إلا أن يكون مظلوماً ، فإنه قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه ، وذلك قوله: (إلا من ظلم) وإن صبر فهو خير له. وقال أبو داود: حدثنا عبيد الله بن معاذ ، حدثنا أبي ، حدثنا سفيان ، عن حبيب ، عن عطاء ، عن عائشة قالت: سرق لها شيء ، فجعلت تدعو عليه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تسبخي عنه". وقال الحسن البصري: لا يدع علي ، وليقل: اللهم أعني عليه ، واستخرج حقي منه. وفي روايةٍ عنه قال: قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه من غير أن يعتدي عليه. وقال عبد الكريم بن مالك الجزري في هذه الآية: هو الرجل يشتمك فتشتمه ، ولكن إن افترى عليك فلا تفتر عليه ، لقوله: (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل). وقال أبو داود: حدثنا القعنبي ، حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: المستبان ما قالا فعلى البادئ منهما ، ما لم يعتد المظلوم". وقال عبد الرزاق: أنبأنا المثنى بن الصباح ، عن مجاهد في قوله : (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) قال : ضاف رجلٌ رجلاً فلم يؤد إليه حق ضيافته ، فلما خرج أخبر الناس ،

فقال: "ضِفتُ فلاناً فلم يؤد إلي حق ضيافتي". فذلك الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ، حين لم يؤد الآخر إليه حق ضيافته. وقال محمد بن إسحاق ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) قال: قال هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته ، فيخرج فيقول: "أساء ضيافتي ، ولم يحسن وفي رواية هو الضيف المحول رحله ، فإنه يجهر لصاحبه بالسوء من القول. وكذا روي عن غير واحد ، عن مجاهد ، نحو هذا. وقد روى الجماعة سوى النسائي والترمذي ، من طريق الليث بن سعد - والترمذي من حديث ابن لهيعة - كلاهما عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير مرثد بن عبد الله ، عن عقبة بن عامر قال: قلنا يا رسول الله ، إنك تبعثنا فننزل بقوم فلا يقرونا ، فما ترى في ذلك؟ قال: "إذا نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغي للضيف ، فاقبلوا منهم ، وإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم". وعن وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت أبا الجودي يحدث ، عن سعيد بن المهاجر ، عن المقدام أبي كريمة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أيما مسلم ضاف قوماً ، فأصبح الضيف محروماً ، فإن حقا على كل مسلم نصره حتى يأخذ بقرى ليلته من زرعه وماله". تفرد به أحمد من هذا الوجه وقال أحمد أيضاً: حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا شعبة ، حدثني منصور ، عن الشعبي عن المقدام أبي كريمة ، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ليلة الضيف واجبة على كل مسلم ، فإن أصبح بفنائه محروماً كان دينا له عليه ، إن شاء اقتضاه وإن شاء تركه". ثم رواه أيضاً عن غندر عن شعبة. وعن زياد بن عبد الله البكائي. عن وكيع ، وأبي نعيم ، عن سفيان الثوري - ثلاثتهم عن منصور ، به . وكذا رواه أبو داود من حديث أبي عوانة ، عن منصور. ومن هذه الأحاديث وأمثالها ذهب أحمد وغيره إلى وجوب الضيافة ، ومن هذا القبيل الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار ، حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا صفوان بن عيسى ، حدثنا محمد بن عجلان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن لي جارا يؤذيني ، فقال له: "أخرج متاعك فضعه على الطريق". فأخذ الرجل متاعه فطرحه على الطريق ، فجعل كل من مر به قال: مالك؟ قال: جاري يؤذيني. فيقول: اللهم العنه ، اللهم أخزه! قال: فقال الرجل: ارجع إلى منزلك ، وقال لا أوذيك أبداً. وقد رواه أبو داود في كتاب الأدب ، عن أبي توبة الربيع بن نافع ، عن سليمان بن حيان أبي خالد الأحمر ، عن محمد بن عجلان به ، ثم قال البزار: لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد ، ورواه أبو جحيفة وهب بن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ويوسف بن عبد الله بن سلام ، عن النبي صلى الله عليه وسلم).هـ. وقال العلامة القرطبي عن الآية ذاتها آية سورة النساء ما نصه: (أما من قرأ "ظلم" بالفتح في الظاء واللام - وهي ، قراءة زيد بن أسلم ، وكان من العلماء بالقرآن بالمدينة بعد محمد بن كعب القرظي ، وقراءة ابن أبي إسحاق والضحاك وابن عباس وابن جبير وعطاء بن السائب - فالمعنى: إلا من ظلم في فعل أو قول فاجهروا له بالسوء من القول ؛ في معنى النهي عن فعله والتوبيخ له والرد عليه ؛ المعنى لا يحب الله أن يقال لمن تاب من النفاق: ألست نافقت؟ إلا من ظلم ، أي أقام على النفاق ؛ ودل على هذا قوله تعالى: (إلا الذين تابوا). قال ابن زيد: وذلك أنه سبحانه لما أخبر عن المنافقين أنهم في الدرك الأسفل من النار كان ذلك جهرا بسوء من القول ، ثم قال لهم بعد ذلك: ما يفعل الله بعذابكم على معنى التأنيس والاستدعاء إلى الشكر والإيمان. ثم قال للمؤمنين: (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) أي: في إقامته على النفاق ؛ فإنه يقال له: ألست المنافق الكافر الذي لك في الآخرة الدرك الأسفل من النار؟ ونحو هذا من القول. وقال

قوم: معنى الكلام: لا يحب الله أن يجهر أحد بالسوء من القول ، ثم استثنى استثناءً منقطعاً ؛ أي لكن من ظلم فإنه يجهر بالسوء ظلماً وعدواناً وهو ظالم في ذلك. قلت: وهذا شأن كثير من الظلمة ودأبهم ؛ فإنهم مع ظلمهم يستطيلون بألسنتهم وينالون من عرض مظلومهم ما حرم عليهم. وقال أبو إسحاق الزجاج: يجوز أن يكون المعنى "إلا من ظلم" فقال سوءاً ؛ فإنه ينبغي أن تأخذوا على يديه ؛ ويكون الاستثناء ليس من الأول. قلت: ويدل على هذا أحاديث منها قوله عليه السلام: خذوا على أيدي سفهائكم. وقوله: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قالوا: هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً؟ قال: تكفه عن الظلم. وقال الفراء: "إلا من ظلم" يعني ولا من ظلم. قوله تعالى: وكان الله سميعاً عليماً تحذير للظالم حتى لا يظلم ، وللمظلوم حتى لا يتعدى الحد في الانتصار).هـ. وقال العلامة الطبري عن الآية ذاتها ما نصه: (لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا) قال أبو جعفر: اختلفت القرأة في قراءة ذلك: فقرأته عامة قرأة الأمصار بضم "الظاء". وقرأه بعضهم: (إِلا مَنْ ظَلَمَ) ، بفتح "الظاء". ثم اختلف الذين قرأوا ذلك بضم "الظاء" في تأويله. فقال بعضهم: معنى ذلك: لا يحب الله تعالى ذكره أن يجْهر أحدُنا بالدعاء على أحد ، وذلك عندهم هو "الجهر بالسوء إلا من ظلم" ، يقول: إلا من ظلم فيدعو على ظالمه ، فإن الله جل ثناؤه لا يكره له ذلك ، لأنه قد رخص له في ذلك. حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله: "لا يحب الله الجهر بالسوء من القول" ، يقول: لا يحب الله أن يدعوَ أحدٌ على أحد ، إلا أن يكون مظلومًا ، فإنه قد أرخَص له أن يدعو على من ظلمه ، وذلك قوله: "إلا من ظلم" ، وإن صبر فهو خير له. حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله: "لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم" ، فإنه يحب الجهر بالسوء من القول! حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله: "لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعًا" ، عذر الله المظلوم كما تسمعون: أن يدْعو قال ابن زيد: كان أبي يقرأ: (لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلا مَنْ ظَلَمَ) ، قال ابن زيد: يقول: إلا من أقام على ذلك النفاق ، فيُجهر له بالسوء حتى ينـزع. قال: وهذه مثل: وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ ، أن تسميه بالفسق بَعْدَ الإِيمَانِ ، بعد إذ كان مؤمنًا. وَمَنْ لَمْ يَتُبْ ، من ذلك العمل الذي قيل له فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ، حدثني الحارث قال ، حدثنا أبو عبيد قال ، حدثنا هشيم ، عن !قال: هو شرٌّ ممن قال ذلك. يونس ، عن الحسن قال: هو الرجل يظلم الرجل فلا يدْعُ عليه ، ولكن ليقل: "اللهم أعنِّي عليه اللهم استخرج لي حقي ، اللهم حُلْ بينه وبين ما يريد" ، ونحوه من الدعاء. فـ" مَنْ" ، على قول ابن عباس هذا ، في موضع رفع. لأنه وجَّهه إلى أن الجهر بالسوء في معنى الدعاء ، واستثنى المظلوم منه. فكان معنى الكلام على قوله: لا يحب الله أن يُجْهر بالسوء من القول ، إلا المظلوم ، فلا حرج عليه في الجهر به. وهذا مذهب يراه أهل العربية خطأ في العربية. وذلك أن "مَن" لا يجوز أن يكون رفعًا عندهم بـ "الجهر" ، لأنها في صلة "أنْ" ولم ينله الجحد ، فلا يجوز العطف عليه. من خطأٍ عندهم أن يقال: "لا يعجبني أن يقوم إلا زيد". وقد يحتمل أن تكون "من" نصبًا ، على تأويل قول ابن عباس ، ويكون قوله: "لا يحب الله الجهر بالسوء من القول" ، كلامًا تامًّا ، ثم قيل: "إلا من ظلم فلا حرج عليه" ، فيكون من استثناء من الفعل ، وإن لم يكن قبل الاستثناء شيء ظاهر يستثنى منه ، كما قال جل ثناؤه: لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ * إِلا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ، وكقولهم: "إني لأكره الخصومة والمِراء ، اللهم إلا رجلا يريد الله بذلك" ،

ولم يذكر قبله شيء من الأسماء. و "مَن" ، على قول الحسن هذا ، نصبٌ ، على أنه مستثنى من معنى الكلام ، لا من الاسم ، كما ذكرنا قبل في تأويل قول ابن عباس ، إذا وُجِّه " مَن " ، إلى النصب ، وكقول القائل: "كان من الأمر كذا وكذا ، اللهم إلا أن فلانًا جزاه الله خيرًا فَعَل كذا وكذا". وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا يحب الله الجهرَ بالسوء من القول ، إلا من ظُلم فيخبر بما نِيلَ منه. وقال آخرون: معنى ذلك: إلا من ظلم فانتصر من ظالمه ، فإن الله قد أذن له في ذلك. وقرأ ذلك آخرون بفتح "الظاء": (إلا مَنْ ظَلَمَ) ، وتأولوه: لا يحب الله الجهرَ بالسوء من القول ، إلا من ظلم فلا بأس أن يُجْهر له بالسوء من القول. قال ابن زيد: كان أبي يقرأ: (لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إلا مَنْ ظَلَمَ) ، قال ابن زيد: يقول: إلا من أقام على ذلك النفاق فيُجهر له بالسوء حتى ينـزع. قال: وهذه مثل: وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ ، أن تسميه بالفسق بَعْدَ الإِيمَانِ ، بعد إذ كان مؤمنًا. وَمَنْ لَمْ يَتُبْ ، من ذلك العمل الذي قيل له فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ، قال: هو شرٌّ ممن قال ذلك. قال أبو جعفر: وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ: (إلا مَنْ ظُلِمَ) بضم "الظاء" ، لإجماع الحجة من القرأة وأهل التأويل على صحتها ، وشذوذ قراءة من قرأ ذلك بالفتح.هـ. والأستاذ أحمد عماري يقول تحت عنوان: (الظلم ظلمات يوم القيامة) ما نصه بتصرف يسير: (إنّ الظلم خزي وعار ، وسبيل إلى الهلاك والدمار ، وسبب في خراب القرى والديار ، موجب للنقم ، ومزيل للنعم ، ومهلك للأسَر والشعوب والأمم. فلا يظنّنَّ أحد أنّ ظلمه للعباد بضرب ، أو سب أو شتم ، أو تزوير ، أو أكل مال بالباطل ، أو سفك دم ، أو غيبة أو نميمة ، أو استهزاء أو سخرية ، أو جرح كرامة؛ - لا يظنَّ أحد - أنّ شيئاً من ذلك الظلم سيضيع ويذهب دون حساب ولا عقاب. كلا ، كلا. فلابُدّ للظالم والمظلوم من الوقوف بين يدي الله عز وجل ليَحكم بينهما بالعدل الذي لا ظلم فيه ولا جاه ولا رشوة ولا شهادة زور. (اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ). روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لتؤدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ، حتى يُقادَ للشاة الجلحاءِ من الشاة القرناء. الظلم سبب في المحن والفتن والهلاك والبلاء في هذه الدنيا؛ فكم من أمم قد طغت فأبيدت ودُمّرَت ، وكم من أقوام قد طغوا فعذبوا وأهلِكوا ، وكم من أناس قد أسرفوا في الظلم والطغيان فكانت نهايتهم إلى الهلاك والخُسْران. يقول ربنا سبحانه:(وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ). روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلِتْه» قال: ثم قرأ: (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ). فأين الجبابرة؟! وأين الأكاسِرة؟! وأين القياصرة؟! وأين الفراعنة؟! أين الطغاة؟! وأين الطواغيت؟! أين عاد؟! وأين ثمود؟! وأين قوم نوح؟! وأين قوم لوط؟! أين الظالمون؟ وأين التابعون لهم في الغي؟ بل أين فرعون وهامان؟ وأين من دوّخوا الدنيا بسطوتهم وذكرهم في الورى ظلم وطغيان؟ هل فارق الموت ذا عز لعزته؟ أم هل نجا منه بالسلطان إنسان؟ لا والذي خلق الأكوان من عدم ، الكل يفنى فلا إنس ولا جانُ. (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ). فلتكن لنا في الأمم السابقة عِظة وعِبرَة ؛ أناس تكبروا وتجبروا وأسرفوا في الظلم والطغيان ، فأهلكهم الله تعالى وجعلهم عبرة لكل ظلم وطاغية. قال تبارك

وتعالى: (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) ، وقال تعالى: وقال سبحانه: (فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ * أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ). وقال عز وجل: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ). فيا من تظلم العباد ؛ اتق الله في نفسك ، ودع عنك الظلم والطغيان ، واعلمْ أن دعوة المظلوم مستجابة ، ليس بينها وبين الله حجاب. ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذا إلى اليمن فقال: (اتق دعوة المظلوم ، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «دعوة المظلوم تحمل على الغمام ، وتفتح لها أبواب السماوات ، ويقول الرب تبارك وتعالى: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين». أخرجه ابن حبان في الظلم سبب في العذاب والخسران في الآخرة؛ ويكفي في التحذير من ذلك قول ربنا •صحيحه. سبحانه: (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ). إياك أن تظن أن الله تعالى غافلٌ عن هذه الأرواح التي تُزهق ، ولا عن هذه الدماء التي تُسفك ، ولا عن هذه الأعراض التي تُنتَهك ، ولا عن هذه الحرمات التي تُستباح ، ولا عن هذه الأموال التي تُسلب ، ولا عن هذه المنكرات التي تُرتكب. (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ * وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ) ـ نجب دعوتك التي هي دعوة السلم والسلام ، دعوة الأمن والأمان ، دعوة المحبة والمودة والرحمة والوئام ، دعوة التعاون والتآزر والتعاطف والتراحم... وليست دعوة ظلم ولا طغيان ـ (نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ * وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ * وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ * فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ * يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) فاذكروا واعتبروا يا أولي الألباب. فيا مَن دعاك منصبك وجاهُك إلى ظلم العباد! ويا من حملتك قوتك وثروتك على ظلم العباد! تذكّرْ قدرةَ الله عليك ، وتذكر وقوفك بين يديه ، واعلم بأنّ مالِكَ الملكِ هو الذي سيقتصّ للمظلوم من الظالم يوم القيامة. فماذا يكون حالك إذا وقفتَ بين يدي الله ، وهو يقول سبحانه: (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ). يا من ظلمتَ نفسَك ، أو ظلمتَ العباد ؛ عُدْ إلى رُشدِك ، وابتعِدْ عن الظلم والطغيان ، واعلم أن الظالم محروم من الهداية ، محروم من الفوز والفلاح ، ومطرود من رحمة الله. قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ). وقال سبحانه: (إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) وقال عز وجل: (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ). ابتعد عن الظلم والطغيان ، واعلم أن الظالم محروم من الشفاعة يوم البعث. قال تعالى: (مَا لِلظَّالِمِينَ

مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ). ابتعِدْ عن الظلم والطغيان ، وتذكّرْ أنّ عذاب الله للظالمين شديد ؛ قال تعالى: (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ). وقال عز وجل: (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا). يا من وقعت في ظلم العباد ؛ بادِرْ برَدّ المظالم إلى أهله. اجتهدْ في رَدّ الحقوق والمظالم إلى أهلها ما دُمْتَ في هذه الدنيا ، أو تحللْ منها بالْتِماسِكَ من المظلوم المسامحةَ والعفوَ والتجاوز ، قبل أن تُؤخَذ منك الحسناتُ في الآخرة ، أو تتحمّل من أوزار المظلوم بقدر مظلمته. ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتدرون ما المفلس»؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: (إن المفلس من أمتي ، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيُعْطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيَتْ حسناته قبل أن يقضي ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحَتْ عليه ، ثم طرح في النار). وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن كانت له مَظلمة لأخيه مِن عِرْضِه أو شيء ، فليتحَلله منه اليوم ، قبل أن لا يكون دينارٌ ولا دِرهم ، إن كان له عملٌ صالح أُخِذَ منه بقدْرِ مَظلمته ، وإن لم تكن له حسنات أُخِذَ مِن سيئات صاحبه فحُمِلَ عليه. بادرْ بالتوبة والاستغفار قبل الرحيل عن هذه الدار. قال سبحانه: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا). وقال عز وجل: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا). وقال تعالى: (فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ). وفي الصحيحين عن أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «علِّمْنِي دُعاءً أدعو به في صلاتي». قال: (قل: اللهمّ إنّي ظلمتُ نفسي ظلماً كثيراً ، ولا يغفرُ الذّنوب إلّا أنتَ ، فاغفِرْ لي مغفرة مِن عِندِكَ وارْحمني ، إنّك أنتَ الغفورُ الرّحيم). وأنت يا عبد الله؛ قِفْ مع المظلوم بنُصرَتِه ، وخُذْ بيَدِ الظالم بنُصْحِه وتعليمِه. فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا ، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجُزُهُ ، أَوْ تَمْنَعُهُ ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ». أخرجه البخاري في صحيحه. وفي صحيح البخاري أيضا عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استَهَموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مَرّوا على من فوقهم ، فقالوا: لو أنا خرَقنا في نصيبنا خرْقاً ولم نؤْذِ مَن فوقنا ، فإن يَترُكوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجَوْا ، ونجوْا جميعاً)! وربنا سبحانه وتعالى يقول: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ). أما أنت أيها المظلوم ؛ فصبر جميل عسى الله أن يأتيك بالفرَج والنصر من عنده ، اصبرْ واحتسبْ طمعاً في حُسْنِ الجزاء وعَظِيم الأجر والثواب ، فقد قال الله تعالى: (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) وقال سبحانه: (وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى). يقول ابن الأنباري رحمه الله: (كان الحسن البصري يدعو ذات ليلة: اللهم اعف عمن ظلمني ، فأكثرَ في ذلك ، فقال له رجل: يا أبا سعيد ، لقد سمعتك الليلة تدعو لمن ظلمك حتى تمنيت أن أكون فيمن ظلمك ، فما دعاك إلى ذلك؟ قال: قوله تعالى: (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ).هـ. أسبق وتعرضت للظُلم يا صاحبي؟! إنه لا

يعرف معناه سوى من ظُلِم ، فاحرص أن تكون في الدُنيا ظالمًا لا مظلومًا. لا يسع المظلوم سوى التعبير عمّا طاله من الظُلم بالكتابة ، وذلك بصياغة المقالات والخواطر والقصائد عن الظلم من أقرب الناس. لقد رفضت جميع الشرائع الظُلم ؛ فهو من أقسى ما يُمكن أن يُبتلى به الإنسان. أتتخيل أن تتعدى جميع الشرائع فتكون ظالمًا لأقرب الناس إليك. إن الظلم من أكبر الذنوب التي يرتكبها المرء في حق نفسه أو غيره. فعقاب الذي ينهب حق غيره ، قلة البركة في الدُنيا والعقاب الشديد في الآخرة فتكون روحه رهن عفو المظلوم. لقد حذر الله – تعالى - من الظُلم ، ففطرة الإنسان السوية تجعله يخشى على مصالح غيره. فما ظنُك إن كان غيره أقرب الناس إليه. لم يُحزنني ما وقع عليّ من الظُلم ، فكُلنا معرضون إليه ولو لمرة في حياتنا. إن الأمر المُحزن حقًا هو أن يظلمك الذي آمنته. لقد كُنت يا ظالمي بمثابة أخٍ لي. كيف هان عليك ودي لهذا الحد؟ ألم تجعل العشرة بيننا حائلًا بين ظُلمك لي؟ إن الظُلم لا يقتصر على ظُلم الآخرين؛ بل يعود أثره على الظالم نفسه ، فتفسد دُنياه وأخراه. فما الذي يستحق هذا؟ ويظل المظلوم يعيش في حُزنه لفتراتٍ طويلة ، وعليه ألا يدفن نفسه جراء هذا الفعل ، فيبحث عن متنفس له ، كنشر قصائد ومقالاتٍ عن الظلم من أقرب الناس. كيف هُنت عليك يا هذا إلى هذا الحد؟ لا زال هذا السؤال لا يكاد يترك بالي. فلا يتوقع أحدٌ أن يكون شقيق روحه هو السبب في وقوع الظُلم عليه. لم أكن لأخال يومًا أن تعرضي للظُلم سيكون على يديك. لقد فُقت كل حدود عقلي ، فلا زلت لا أصدق حتى الآن أنك سببٌ فيما أعانيه اليوم. لا يُوجد أي مُبرر للظُلم. فهو من الكبائر التي لا يُمكن المُسامحة عليها ، كان يُمكنني مُسامحة الظُلم إلا أنني لا أستطيع مُسامحتك ، فمكانك عندي كان يجب أن يكون رادعًا لك عن ظلمي. أيخون الصديقُ صديقه؟! من الأسئلة التي تدعو إلى التعجب والغرابة ، إلا أنها حقيقية. وهو من أوجع أنواع الظُلم. من كانت له مظلمة في الدُنيا خيرٌ من أن يكون ظالمًا. فاحرص على الأثر الذي تتركه في غيرك ، قبل أن تفوت الأيام ، فلا تستطيع تعويض من قُمت بظُلمهم. إن وقع الظُلم في نفس المظلوم مُدمرًا ؛ فقد يبقى طوال عُمره لا يُمكنه التعافي من أثره ، وتنتشر قصائده عن الظلم من أقرب الناس ، والتي يُمكن مُشاركته علّها تكون سببًا في إفاقة أحد مّا ، فيقي الناس من شر ظلمه. لم يكُن ظُلمك لي سوى معرفة أنني لا أستطيع أن أقتص منك. فإذا كُنت استغنيت بضعفي ، فاعلم أن الله لا ينسى حق العباد مهما مرّت السنوات. أذاقك الله مُر ما أذقتني ، لم أكن أعلم أن شعور الظُلم موجعٌ إلى هذا الحد! غير أنني لم أتوقع أن يكون من أقرب الناس إليّ. حتى صرتُ أقول لنفسي ولمن حولي: لا تأمنن الدُنيا ، فاليوم زيدٌ صديقك وأقربهم إليك ، وغدًا يكون ظالمك. أيعتقد الظالم أنه ينجو بظُلمه؟! فوالله لا يُترك للمظلوم حقه. إن كُنت ارتضيت لي الأذى في الدنيا ، فإني لن أعفو عن حقي في الآخرة. لن أطالب بحقي منك ، فإن كُنت حريصًا على رد مظلمتي. فلم تكُن لتظلمني بدايةً. أكنت تعتقد أنك ستظلمني دون أن تنال جزاء أفعالك! فالحمد لله الذي رد لي مظلمتي في الدُنيا ، ولا تعتقد أنها النهاية فلك أضعاف الجزاء في الآخرة. إن التعرض إلى ظُلم أقرب الناس يترك في نفسك أثرًا لا يزول. فيُشعر بالخذلان والأسى ، أتتخيل أنك تتعرض إلى الخداع طوال سنوات عديدة. يختلف تأثير الظُلم فيكون غير مؤثر بنفس الدرجة حين تتعرض إليه من المُقربين إلى قلبك. الظلم الذي نفيد منه يسمى حظاً والظلم الذي يفيد منه سواناً يسمى فضيحة. واحدة بواحدة والبادي أظلم. المصبية ليست في ظلم الأشرار بل في صمت الأخيار. ومن ظلم نفسه فهو لغيره أظلم. وكم من طغاة على مدار التاريخ ظنوا في أنفسهم مقدرةً على مجاراة الكون في سننه أو مصارعته في ثوابته. فصنعوا بذلك أفخاخهم

بأفعالهم. وكانت نهايتهم الحتمية هي الدليل الكافي على بلاهتهم وسوء صنيعهم. وما يحدث هذه الأيام أن الكل يرفع الأيدي بالدعاء لرفع الظلم ، ولكن الكل ظالم مستبد ، كل في دائرته فلا يستجاب دعاء. وتغرق الدنيا في المظالم أكثر وأكثر. فإياكَ من عسفِ الأنامِ وظلمِهم. واحذر من الدعوات في الأسحار. يا ظالماً جار في من لا نصير له إلا المهين ، لا تغتر بالمهل. فلا تعجل على أحدٍ بظلم. فإن الظلمَ مرتعه وخيم. وإياكم يا قوم أن تظلموا أو تناصروا إلى الظلم إن الظلمَ يردي ويهلك. فالظلم أسرع شيء إلى تعجيل نقمة وتبديل نعمة. وكل من يزرع الظلم يحصد الخسران. فويل للظالم من يوم المظالم. وإذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس فأذكر قدرة الله عليك. وعموماً الظلم له ند وليس له فؤاد. والظلم ظلمات يوم القيامة. ويوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم. فيا ظالم ، هل قلبك تجمدت فيه مخافة الله ، فأصبح يتلذذ بظلم العباد. يا ظالم ، ألم تسأل نفسك يوماً ما عن سبب القسوة التي تجدها في قلبك والظلمة التي تعلو وجهك. يا ظالم ، ألم تسأل نفسك لماذا بطانتك لا تصدقك الأحاسيس. يا ظالم ، ألم تجد في قلبك من أثر الظلم وحشة ونكرانا ، أم هو التكبر والطغيان. يا ظالم ، هل حاسبت نفسك يوماً في ذات الله. يا ظالم ، هل سألت نفسك وأجبت عن السؤال بصدق ، هل أنت راض عن نفسك. يا ظالم ، ألم يئن لقلبك أن يُفيق من ظلمات الجور والظلم. يا ظالم ، ألم يئن لك أن تتوب. يا ظالم ، تب إلى ربك ، ورُد الحقوق إلى أهلها قبل أن يباغتك الأجل. يا ظالم ، هل تظن أنك مخلد ، أو أنك بمعزل عن عذاب الله وعقابه. يا ظالم ، أدرك نفسك ، وتحلل من المظالم قبل أن يأتي يوم تكون فيه أسيراً لأعمالك بعد أن عشت أسيراً لأهوائك. يا ظالم ، ألا تعلم أن سجل ظلم العباد لا يغفره الله. يا ظالم ، هل تعلم أن سُنة الله الغالبة أن الجزاء من جنس العمل. يا ظالم ، هل هانت عليك حسناتك حتى تهبها لخصومك. يا ظالم ، كم من حق حرمته ، أصحابه سيأخذونه منك يوم الفصل. يا ظالم ، هل أعددت العدة ليوم الحساب ، وأنت ترى ملك الموت يتخطف الناس من حولك. يا ظالم ، هل تظن أن من يساعدونك على ظلم المخالفين لك أو لهم سيحاسبون عنك. يا ظالم ، هل تظن أن حزبك سيحاسب عنك ، أو يغني عنك شيئاً يوم الحساب. يا ظالم ، هل نسيت أن للمظلوم دعوة مستجابة. يا ظالم ، ألم تعلم أن للمظلوم رباً تكفل بنصرته ولو بعد حين. يا ظالم ، هل تعلم أن عاقبة الظلم وخيمة في الدنيا قبل الأخرة. يا ظالم ، ألم يردعك عن الظلم ما حل بالظالمين من قبلك. يا ظالم ، ترقب كيف سينتقم الله منك إن لم تتب في الدنيا قبل الأخرة. والظالم مهما كان جباراً عتيا ، وحتى لو مشى الملايين في ركابه وقبلوا أعتابه فهو الخاسر والمنكسر ، لأن قوات السماء له بالمرصاد ولن يفلت من ضرباتها المذلة وربما القاضية. وأشد أنواع الظلم هي التي تتم باسم القوانين الجائرة والإصرار على تطبيقها بالقوة. فينجم الظلم إما عن هزيمة نفسية أو عن حقارة وصغار أو عن الإثنين معاً. وهو إما وليد التسرع أو وليد الخمول. فالمتعجلون والبطيئون نادراً ما يعدلون. والظالم إما أنه لا ينتظر أبداً أو ينتظر طويلاً حتى تسنح فرصته ويفعل فعلته الخسيسة. الظالم عدو نفسه. ومع أن صوت بوق الدعاية وطبل الطموح ومزمار القوة قد يطغى على صوت الضمير ، لكن ذلك الصوت الحق سيصرخ في أذنيه يوماً ما ، فيرعبه ويحرمه لذة الراحة. والظلم علامة واضحة من علامات الضعف البشري. والظلم يترنح لأنه في سبيله إلى التخاذل والتهاوي عاجلاً أم أجلاً. الظلم لا يعرف ديناً ولا رباً ، ومن يتعدى على حقوق الناس هو مغتصب وينبغي التصدي له. ومن هنا كان ذكر المظلوم لظالمه حياً أو ميتاً حقاً مكفولاً له بنص القرآن ، وكنا قد استعرضنا ذلك من التفسير والأحاديث فلا يقولن قائلٌ بأن هذا المظلوم لم يُراع حُرمة الأموات ، إنهم لم يُراعوا حُرمته وهم أحياء!

عداوة الشعراء

(إن عداوة غير الشعراء قد تنتهى بكُليمات في الهواء أو لكيمات تصيب الأبدان ، ما تلبث أن تزول. وما بين الكليمات واللكيمات مشاورات ومناورات ، ثم ينتهي كل شيئ كأنه لم يكن! وحتى على افتراض تطور الأمور فإن جراحات الأبدان تطبّب وتلتئم ، وعلى مر الأعوام تتلاشى! ولكن عداوة الشعراء تنتهى بقصائد يُعير بها من قيلت في حقهمُ الدهر. على حين يحظى الشعراءُ الذين كان لهم شرف كتابتها بالاحترام والتقدير من عوام الناس ، فضلا عن النقاد وصناع القريض. طبعا على حسب جودة القصيدة وحُسن سِباكتها وجمال حبكتها. ولذلك فإنني أنصح كل من يتصدى للشعراء وينال من أعراضهم - بغير حق له في ذلك - أن يتورع ويتقي الله - تبارك وتعالى – ولا يُعادي ولا ينال من شاعر منهم. وهذا على أي حال أفضل من أن تكتب فيه قصيدة يُعيّر بها الدهر ، ويكون قد أسدى للشاعر معروفاً كبيراً ، وجميلاً يستحق عليه الشكر والثناء. إذ إنه قد عطر الديوان بنوع من القصائد ربما لم يفكّر هو في طرق بابه من قبل ، وبإثراء شعره بنمط وغرض من أغراض الشعر العربى ، هو الانتصار للنفس بالحق من الغير المعتدي ، وعلى منهج الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -. (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا) ، (اهجهم وروح القدس معك) ، (أين حسان لها) ، (قم إليهم يا عبد الله بن رواحة). وكلها كلمات قالهن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يطول المقام بتفصيلها! إنني أكتب (عداوة الشعراء) بشيراً ونذيراً لكل من تسول له نفسه أن ينال من شاعر تقي بغير حق. لأنه سوف يرد ويؤجر عند الله بنيّته. والأصل أنه يجوز له رد الأساءة بمثلها. وذلك لعموم قول الله تعالى: (وجزاء سيئةٍ سيئة مثلها.) وقوله: (لا يحب الله الجهر بالسوء إلا من ظلم). وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). رواه مسلم. وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا! فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا ، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا ، كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنْ الظُّلْمِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ). رواه البخاري. وعَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا. رواه مسلم. وأخبر معمر عن قتادة أو الحسن - أو كليهما - قال: الظلم ثلاثة: ظلمٌ لا يُغفر وظلمٌ لا يُترك ، وظلمٌ يغفر ، فأما الظلم الذي لا يُغفر فالشرك بالله ، وأما الظلم الذي لا يُترك فظلم الناس بعضهم بعضاً ، وأما الظلم الذي يُغفر فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه. "وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ". رواه البخاري من حديث معاذ. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْوَالِدِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ. رواه أبو داود. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ. رواه الترمذي. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ. رواه احمد. وعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ. رواه أحمد. ومن هنا فللشاعر أن يرد ويدافع عن نفسه ودينه وعرضه. والأصل أن يكون رد الشعراء شعرا. نعم يردون عن الإساءة بالشعر الذي يملأ سمع الزمان والمكان! وليس يفهم

كلامي هذا إلا ذوو الأهداف في الحياة ، وفي القلب منهم الشعراءُ ذوو الرسالة ، والكُتاب ذوو القضية ، والأدباء ذوو المنهجية. إن الفرق كبير جداً بين أن يحيا زيدٌ أو عَمْرٌ لرسالةٍ وقضية ، وبين أن يحيا أحدهما أو كلاهما بدون رسالةٍ أو قضية! والدليلُ على ذلك أن بعض قصائدي التي أنشدتُها في ظروفٍ مماثلةٍ ومناسباتٍ مشابهةٍ للقضية التي نحن بصددها (أن يتطاول عليّ أحدهم أو إحداهن بالباطل) ، فأستل قلمي وأكتب ، فإذا بشعر يُعَبر فعلاً عن حقيقة ما ألاقيه! وأجده بعد ذلك قد شفي غليلي في الخصم ، وصَفي قلبي من كيده! وبقيتْ التجربة للآخرين! والأمر عند الأوباش السفل لا يهم كثيراً ، فلسنا في زمان تعمل فيه الكلمة عملها! فلسان حالهم يقول: دعْه يَهذِي حتى تخرجَ أمعاؤُه من فِيه! أو دَعه ينبح نباح الكلب ، ومن ذا الذي يُعير له أذنا أو يرد عليه كلاماً! عموماً الحق لا يموت ، والحقيقة لا بد وأن تظهر للعيان! وأحلى ما في الشعر أنه يبقى بعد صاحبه ، فهو أطولُ منه عُمراً ، وأقوى منه حُجّة ، وأقدرُ على توثيق الأحداث وعدم إغفال أو إهمال أي جزئيةٍ منها! وإذنْ فعداوة الشعراء – حقيقة - لا تُطاق!)

أهـلُ القـريض لهـم - فـي الكيـدِ – أشـعارُ! فاحـذرْ عـداوة مَـن عَـداؤهم عـارُ!

لهـم قصـائدُ - فـي التسـفيه - مُشْـهِرَة سَـيفَ التشـفي ، وللأشـعار آثـار

تُـرْدِي الخصـوم ، وتكـوي مَـن يُناوئهـا وتسـتهين بمـن يهـذي فينهـار

وتسـتخفُ بمـن ينـال عزتهـا! وصَـوتُ نقمتهـا - فـي الحـرب - هـدار

وتُلقِـم العـاديَ المَغـرور حُجّتهـا كأنمـا حُجَـجُ التهديـد إنـذار

وتصـبغ الشِـعرَ - بالألفـاظ - جارحـة كأنمـا صُـب - فـي طياتهـا - القـار

وتسـتجيشُ صـدى الأحيـاء ، يَجعلهـا فـي ذروة الحَبْـك ، كـي يسـعى لهـا الثـار

تمضـي القـرونُ ، ويبقـى الشـعر فـي أمـم كأنمـا هـو - فـي الأجيـال - تـذكار

لـه رُواة - علـى ترجيعـه - درجـوا وفـي القصـائد تنكيـلٌ وأخبـار

حـلا لرواياتـه أوزانٌ وقافيـة نعـم التـرنمُ ، لا رقٌ ولا طـار!

جنـى علـى الظـالم المُحتـال منطقـه حتـى رمـاه - بسـيف الكيـد - (بشـار!)

تفنـى الـديارُ ، ويُبلـي الـدهرُ سـاكنها والشـعرُ يَفضـحُ مَـن جـاؤوا ومَـن سـاروا

أهـلُ القـريض جحـيمٌ ، إن تعقـبهم غِـر بظلـم ، وفـي أشـعارهم نـار

لا يَظلمـون ، لأن الحـق يَعصـمُهم لكـنْ إذا ظلمـوا ، فالشِـعرُ بتـار

هـمُ النسـيم ، إذا مـا العـدلُ داعـبَهم فللقصـائد ألحـانٌ وأوتـار

وإن عـــلا صـــوتُ جبَّـــار بصـــولته ... فلـــيس يُخمِـــد نـــارَ الشـــعر جبـــار

مـــا أجمـــل الشـــعرَ تقـــوى الله تحرسُـــه! ... قصـــائدٌ - بهُـــدى القـــرآن - أبكـــار

حلـــتْ لقارئهـــا ذوقـــاً وملحمـــة ... وللتراكيـــب ألغـــازٌ وأســـرار

طغـــى الجمـــال علـــى العُشـــاق ، فـــانطلقوا ... هـــذا يهـــيمُ ، وللهُيّـــام مِعيـــار

وذاك - فـــي لغـــة العيـــون - مُنجـــدلٌ ... يـــذوبُ وجـــداً ، وفـــي الغـــرام إقـــرار

أغـــرى القـــريضُ الألـــى لصـــوته اســـتمعوا ... وفـــي الضـــمائر تقـــديرٌ وإكبـــار

أبياتـــه صـــدعتْ بـــالخير يَقـــدُمُها ... كأنهـــا - فـــي دنـــا اللاهـــين - أذكـــار

تـــدعو إلـــى الخيـــر مَـــن تـــابوا ومَـــن فجـــروا ... أواه كـــم يهتـــدي – بالشِـــعر - فجـــار!

تُبَـــيّن الحـــق ، تهـــدي النـــور مَـــن هبطـــوا ... إلـــى الحضـــيض ، لهـــا صُـــوىً وأفكـــار

لا تســـتكينُ لمَـــن يُـــرْدُون عِفتهـــا ... إذ لـــيس يُخـــرسُ صـــوتُ الحـــق دَيـــار

ولـــيس تهـــبط للإفـــلاس يَهزمهـــا ... فللرشـــاد مَقامـــاتٌ وأقـــدار

والشـــعرُ إن ضـــلّ ، فالســـوآى رســـالته ... يَمجّهـــا - فـــي سُـــويدا القلـــب - مِجعـــار

ولـــيس يكتبُـــه إلا الألـــى فســـقوا ... ومَـــن قصـــائدُهم مكانهـــا الـــزار

ويحرقـــون بخـــوراً مُنتِنـــاً قـــذِراً ... ويصـــحبُ الشِـــعرَ قيثـــارٌ ومِزمـــار

ويَعزفـــون لحونـــاً ، خـــابَ عازفهـــا! ... وخـــاب - واللهِ - طبـــالٌ وزمـــار!

حـــربٌ علـــى الخيـــر ، بـــات الشِـــعرُ قائـــدَها ... والـــداعمون - لهـــذي الحـــرب - سُـــمّار

بضـــاعة ضـــل حاميهـــا ومُوجـــدها ... أواه كـــم يقلـــبُ الميـــزانَ أزيـــار!

أمســـى المُجـــون أهازيجـــاً مُلحّنـــة ... تجترّهـــا - فـــي ليـــالى الـــدعر - أنظـــار

وتســـتكينُ لهـــا نفـــوسُ مَـــن سَـــفلوا ... وبعـــدُ تســـقط - فـــي التضـــليل - أبصـــار

هـــمُ الضـــحايا بمـــا أيـــديهمُ كســـبتْ ... ومـــا لمـــا اجتـــرحَ الأنـــذالُ أعـــذار

عـــزائمٌ وهنـــتْ ، والشـــعرُ جامَلهـــا ... حتـــى تـــردّتْ ، وفيـــه البُلـــهُ قـــد غـــاروا

ولـــيس للشـــعر ذنـــبٌ فـــي تـــرهلهم ... حـار القـريضُ وهـم فـي الـوهم مـا احتـاروا

حســـامٌ الشـــعرُ فـــي أيـــدٍ تُسَـــخّره ... إذ يُنشـــد الشـــعرَ أخيـــارٌ وأشـــرار

إن شـــاء أن يبنـــيَ الأمجـــاد باســـقة ... فـــلا تهـــددها - فـــي الـــدار - أخطـــار

أو شـــاء عربـــدَ فـــي الأصـــقاع دون حيـــا ... وكـــان حربـــة مَـــن - علـــى الهُـــدى - جـــاروا

وِعـــاءٌ الشـــعرُ قـــد يكـــون ممتلئـــاً ... بالشـــهد ، جـــاد بـــه – للضـــيف - مِغـــوار

وقـــد يكـــون بـــه الغسّـــاقُ يَحملـــه ... نـــذلٌ ، هديتُـــه للنـــاس أقـــذار

الشِـــعرُ إن هُـــذبتْ أخـــلاقُ مُنشـــدِهِ ... فإنـــه - فـــي ديـــاجى العـــيش – أقمـــار!

يُزْكـــي المشـــاعرَ ، لا تلقـــاه مبتـــذلاً ... وفـــي القصـــائد يـــاقوتٌ وأزهـــار

مظلـومٌ الشـعرُ - بـين الخلـق - فـي زمنـي ... إذ أغلـب الشـعراء - اليـوم - تُجـار

يُتـــاجرون علـــى حســـاب عِفتنـــا ... أواه كـــم يـــذبح القـــريضَ فَجـــار!

صـــدقاً عـــداوة أهـــل الشـــعر مَحرقـــة ... وفـــي قصـــائدهم – للعِيـــر - أوضـــار

فاحـــذرْ عـــداوة قـــوم لســـتَ تُخرسُـــهم ... والنـــاسُ يـــا صـــاحبي رُوْىً وأغيـــار

تشـــينك - الـــدهرَ - أشـــعارٌ بهـــا ادّرعـــوا ... وأنـــتَ - مِـــن هـــول مـــا طالعـــتَ - مُنهـــار

ألا يُســـيئك ديـــوانٌ تُســـام بـــه ... سُـــوءً ، وفيـــه طـــواعينٌ وأوزار؟

فاربـــأ بنفســـك ، واعـــرفْ قـــدرَ مَـــن خبـــروا ... سَـــبك القـــريض ، وللشـــعراء مقـــدار!

كـــيلا تُعـــايَر فـــي ســـر وفـــي عَلـــن ... إن الهجـــاء - كمثـــل المـــوج - هـــدار

ولا تكـــن هـــدفاً لشـــاعر أبـــداً ... فمـــلءُ جعبتـــه - فـــي الحـــرب - أشـــعار

إنـــي نصَـــحتك ، والـــديانُ يشـــهد لـــي ... وإنْ تجـــاوزتُ ، فـــالرحمنُ غفـــار!

اذكروا محاسن موتاكم!

(ينسب كثيرون إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – قوله: (اذكروا محاسن موتاكم). ولمّا تتبعتُ هذا الحديث ، وجدته ضعيفاً جداً. ولكن هذا لا يعني بالضرورة أننا لا نشير إلى أخطاء وقعوا فيها أو مظالم اقترفوها في حق غيرهم. ولا يزال القرآن يُعلمنا: (عفا الله عنك لم أذنت لهم) ، (عبس وتولى) ، (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) ، (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) ، (وذا النون إذ ذهب مغاضباً) ، (فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين) (ولولا أنه كان من المسبحين) ، (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) ، (وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب). وإذن فذكر بعض تصرفات الموتى لا يعني النيلَ منهم! بل يعني بيان الحق والاستفادة من طيّب أفعالهم والحذر من سيئها! فلنفقه ولنتعلم! جاء في الدرر السنية ما نصه: (ذُكِرَ عند النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم هالِكٌ بسُوءٍ ، فقال: لا تَذْكُروا هَلْكَاكُم وفي روايةٍ مَوْتَاكُم إلا بخيرٍ). الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: العجلوني | المصدر: كشف الخفاء | الصفحة أو الرقم : 114/1 | خلاصة حكم المحدث: إسناده جيد | التخريج: أخرجه النسائي (1935) واللفظ له ، والطيالسي (1597) ، وابن أبي الدنيا في (الصمت) (709) بنحوه. وذُكرَ عندَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم هالِكٌ بسوءٍ فقالَ: (لاَ تذْكروا هلْكاكم إلاَّ بخيرٍ). الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح النسائي. الصفحة أو الرقم: 1934 | خلاصة حكم المحدث: صحيح. التخريج : أخرجه النسائي (1935) واللفظ له، والطيالسي (1597)، وابن أبي الدنيا في (الصمت) (709) بنحوه).هـ. فمَن ماتَ مِن النَّاسِ فقدْ أفْضَى إلى رَبِّه سبحانه ، وهو الذي يُحاسِبُه على أعمالِه ، وقد دلَّ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم أُمَّتَه على حُسنِ المعاملةِ معَ الأحياءِ والأمواتِ كذلك. وفي هذا الحَديثِ تَحكِي أمُّ المُؤمنِينَ عائشةُ رضي اللهُ عنها أنَّه: "ذُكِر عِندَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم هالِكٌ" ، أي: شَخصٌ ميتٌ "بسُوءٍ" ، أي: ذَكَره النَّاسُ بالشَّرِّ ، فقال صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم: "لا تَذكُروا هَلْكاكم إلَّا بخيرٍ" ، أي: لا تَذكُروا أمواتَكم إلَّا بالخَيرِ ؛ وذلك لأنَّهم "قَدْ أفْضَوا إلى ما قَدَّمُوا" ، كما قال النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - كما عِندَ النَّسائيِّ وابنِ حِبَّانَ وغيرِهما عن عائِشةَ رضِيَ اللهُ عنها ؛ فإنَّ ما قدَّموه مِن أعمالٍ سيُحاسبُهم الله عليها ، وورى الإمامُ أحمدُ عن المغيرةِ بنِ شُعبةَ أنَّ النبيَّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: "لا تَسبُّوا الأمواتَ فتُؤذوا الأحياءَ" ، وذلك بما يَحدُث مِن حُزنِ أقاربِهم ؛ فالنهيُ عن سَبِّ الأمواتِ فيه مُراعاةٌ لمصلحةِ الأحياءِ والحِفاظِ على سَلامةِ المجتمعِ من التشاحُنِ والتباغُضِ. وقد ورَد في الصَّحيحَينِ عن أنسِ بنِ مالكٍ رضِيَ اللهُ عنه، قال: "مرُّوا بجِنازةٍ ، فأَثْنَوا عليها خيرًا ، فقال النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم -: وجبَتْ ، ثم مرُّوا بأُخرى فأَثْنَوا عليها شرًّا ، فقال: وجبَتْ ، فقال عُمرُ بنُ الخَطَّابِ رضِيَ اللهُ عنه: ما وجبَتْ؟ قال: هذا أثنيتُم عليه خيرًا ، فوجبتْ له الجنَّةُ ، وهذا أثنيتُم عليه شرًّا ، فوجبتْ له النارُ ؛ أنتُم شُهداءُ اللهِ في الأرضِ" ؛ فلم يَنهَهُم النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم عن ذِكْرِ الميِّتِ بالشَّرِّ ، وممَّا قِيل في الجَمْعِ بَينَه وبَينَ هذا الحَديثِ: أنَّ النَّهيَ عن سَبِّ الأمواتِ هو في غَيرِ المنافقِ وسائرِ الكفَّارِ ، وفي غَيرِ المتظاهرِ بفِسقٍ أو بِدعةٍ ، فأمَّا المنافِقُ والكافِرُ وصاحِبُ البِدعةِ فلا يَحرُمُ ذِكرُهم بالشَّرِّ ؛ للتَّحذيرِ مِن طَريقتِهم ، ومن الاقتِداءِ بآثارِهم ، والتَّخلُّقِ بأخلاقِهم ، ومنه ذلِك الحديثُ الَّذي أثنَوْا على الميِّتِ فيه شرًّا ؛ لأنَّه كان مَشهورًا بنِفاقٍ ، أو نحوِه ؛ إذَن فالدَّاعي لذِكرِ الأمواتِ بالشَّرِّ هو حاجةٌ شَرعيَّةٌ إلى جَرْحِه. جاء في (إسلام ويب) سؤال وجوابه! السؤال: ما حكم انتقاد الميت على فعل فعله ، ولا زال أثر فعله

إلى اليوم؟ فالأصل عدم جواز سب الأموات ، وتنقصهم وانتقادهم بما فعلوا ، بل يترحم عليهم ، ويدعى لهم بالمغفرة ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: لا تسبوا الأموات ؛ فإنهم أفضوا إلى ما قدموا. رواه البخاري. لكن إن وجدت مصلحة راجحة تدعو إلى انتقاد الميت وذكره بسوء ، كأن كان مبتدعاً فيحذر من بدعته ، أو كان ظالماً فيحذر من ظلمه ، ومن عاقبة ما آل إليه ، فلا حرج في ذلك والحال هذه ، ويكون ذلك مخصصاً لعموم النهي عن سب الأموات. ودليل ذلك ما في الصحيح من ثنائهم على الجنازة خيراً وشراً ، وإقرار النبي صلى الله عليه وسلم لهم على ذلك بقوله: وجبت. ثم بقوله: أنتم شهداء الله في الأرض! قال ابن حجر في الفتح: قَوْلُهُ - يعني البخاري: بَابُ مَا يُنْهَى مِنْ سَبِّ الْأَمْوَاتِ - قَالَ الزَّيْنُ بْنُ الْمُنِيرِ: لفظُ التَّرْجَمَةِ يُشْعِرُ بِانْقِسَامِ السَّبِّ إِلَى مَنْهِيٍّ وَغَيْرِ مَنْهِيٍّ ، وَلَفْظُ الْخَبَرِ مَضْمُونُهُ النَّهْيُ عَنِ السَّبِّ مُطْلَقًا ، وَالْجَوَابُ أَنَّ عُمُومَهُ مَخْصُوصٌ بِحَدِيثِ أَنَسٍ السَّابِقِ ، حَيْثُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ثَنَائِهِمْ بِالْخَيْرِ وَبِالشَّرِّ: وَجَبَتْ ، وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ - وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِمْ. انتهى. ومن هذا الباب ذكر الحجاج وأضرابه من الظلمة ، وذكر المأمون وأشباهه من الدعاة إلى البدعة ، تحذيراً للناس ، وبياناً لعاقبة الظلم ، وتذكيراً بصبر العلماء وثباتهم ، ولم يزل العلماء يذكرون أمثال هذا عبر العصور. قال الشوكاني في شرح الحديث المذكور: وَالْوَجْهُ تَبْقِيَةُ الْحَدِيثِ عَلَى عُمُومِهِ ، إِلَّا مَا خَصَّهُ دَلِيلٌ كَالثَّنَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ بِالشَّرِّ ، وَجَرْحِ الْمَجْرُوحِينَ مِنْ الرُّوَاةِ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ؛ لِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ عَلَى جَوَازِ ذَلِكَ ، وَذِكْرِ مَسَاوِئِ الْكُفَّارِ وَالْفُسَّاقِ لِلتَّحْذِيرِ مِنْهُمْ وَالتَّنْفِيرِ عَنْهُمْ ، قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: سَبُّ الْأَمْوَاتِ يَجْرِي مَجْرَى الْغِيبَةِ ، فَإِنْ كَانَ أَغْلَبُ أَحْوَالِ الْمَرْءِ الْخَيْرَ وَقَدْ تَكُونُ مِنْهُ الْفَلْتَةُ ، فَالِاغْتِيَابُ لَهُ مَمْنُوعٌ ، وَإِنْ كَانَ فَاسِقًا مُعْلِنًا ، فَلَا غِيبَةَ لَهُ ، وَكَذَلِكَ الْمَيِّتُ. انتهى. فإن لم تكن مصلحة من ذكر الميت بما فيه من المساوئ ، فالأولى الكف ، والسلامة لا يعدلها شيء! وما أحسن ما قال الشوكاني - عليه الرحمة - وعبارته: وَالْمُتَحَرِّي لِدِينِهِ ، فِي اشْتِغَالِهِ بِعُيُوبِ نَفْسِهِ ، مَا يَشْغَلُهُ عَنْ نَشْرِ مَثَالِبِ الْأَمْوَاتِ ، وَسَبِّ مَنْ لَا يَدْرِي كَيْفَ حَالُهُ عِنْدَ بَارِئِ الْبَرِّيَّاتِ ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ تَمْزِيقَ عِرْضِ مَنْ قَدِمَ عَلَى مَا قَدَّمَ ، وَجَثَا بَيْنَ يَدَيْ مَنْ هُوَ بِمَا تُكِنُّهُ الضَّمَائِرُ أَعْلَمُ ، مَعَ عَدَمِ مَا يَحْمِلُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ جُرْحٍ أَوْ نَحْوِهِ ، أُحْمُوقَةٌ لَا تَقَعُ لِمُتَيَقِّظٍ ، وَلَا يُصَابُ بِمِثْلِهَا مُتَدَيِّنٌ بِمَذْهَبٍ. انتهى. وفي حديث صحيح رواه البخاري ، أنه مرّت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – جنازة فقال: مستريحٌ ومستراحٌ منه. قالوا يا رسول الله: مَن المستريح ومَن المستراح منه؟ قال: المستريح هو العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا ، والمُستراح منه العبد الفاجر ، يستريح منه العباد والدواب والشجر. ويُذهب غيظ قلوبهم فرح المؤمنون بهلاك رؤوس الكفر من صناديد قريش يوم بدر ، وفرح الإمام أحمد بن حنبل بهلاك المأمون ، وفرح أهل مصر بهلاك الولاة العبيدين وانتهاء الحكم الفاطمي في مصر ، وقبل ذلك بكثير سجد أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – حين سمع بمقتل مسيلمة الكذاب ، والقصص في هذا الجانب أكثر من أن نحصيها. إن قصص المستراح منهم عبر التاريخ كثيرة ، ولا بأس إن قام أحد بتذكير الناس بها بين الحين والحين ، خاصة عند هلاك ظالم ما ، والذي ليس شرطاً أن يكون هذا الظالم رئيساً أو زعيماً ، بل يمكن أن ينتشر الظلم عبر آخرين أقل درجةٍ ومرتبةٍ ، وظلمهم ربما يصل لمستوى الإضرار الرهيب بالآخرين ، لكن تختلف درجة الظلم من شخص إلى آخر ، والذي نتحدث عنه ها هنا أكثر من غيره هو ذاك الظالم الذي ينتشر ظلمه ويتسع ، وقد تبقى سنّته الظالمة حتى بعد هلاكه ، وهنا مكمن الخطر، بل هو ما يدفع إلى ضرورة التنبيه إليه والتحذير منه ، وبالطبع قبل ذلك ، إظهار الفرح بهلاكه. إن هلاك ظالم ما ، فيه سعادة بالغة لا يشعر بها

سوى من اكتوى بنار ظلمه من قريب أو بعيد ، سعادة لا يمكن وصفها والتعبير عنها إلا من ذاق الويلات والعذاب في حياة ذاك الظالم ، بصورة مباشرة أم غير مباشرة ، وليس في هذا أي غرابة ، لأنها فطرة في الإنسان السوي ، الذي يتألم للمظلوم ، ويسعد بهلاك الظالم ، (ويشف صدور قوم مؤمنين ، ويُذهب غيظ قلوبهم). هلاك الظالم بين الشماتة والفرح قد يخلط البعض في مسألة هلاك الظالم ، بين إظهار الفرح والشماتة ، والحقيقة أنه لا شماتة في الموت. لكن هناك خيط رفيع بين الشماتة والفرح في هذه المسألة ، وأشير إلى نقطتين ها هنا. الأولى ، أنه لا شيء في أن يفرح الناس بهلاك ظالم ، لأن فرحهم يقوم على أساس أن هلاك الظالم هو انقطاع لشره وظلمه وسُنّته ، وليس لأن الله كتب عليه الموت ، ذلك أن الموت يصيب كل شيء حي ، ولا توجد استثناءات في هذه الحقيقة ، والفرح بمَهلك أعداء الإسلام وأهل البدع المغلظة وأهل المُجاهرة بالفجور ، أمر مشروع – كما يقول الشيخ محمد صالح المنجد: وهو مِن نِعم الله على عباده وعلى الشجر والدواب ، بل إن أهل السنَّة ليفرحون بمرض أولئك وسجنهم وما يحل بهم من مصائب. لا شيء إذن أن تُظهر فرحتك بهلاك ونفوق فاسق داعر يجاهر بنشر فسوقه ، أو مجرم آثم كذاب لا يتورع عن نشر أكاذيبه ، وزرع الفتن بين الناس عبر الوسائل المختلفة ، لا شيء في أن تفرح بهلاك طاغيةٍ متجبر ، أو ديكتاتور ظالم زرع الآلام والأذى بين الناس لمجرد اختلافهم معه في الرؤى والتوجهات. إن من يفرح لهلاك أولئك الظلمة ، ليس لأن الموت خطفهم. لا ، إنما لأن الموت وضع حداً لجرائمهم وظلمهم وفسوقهم وإفسادهم حياة البلاد والعباد ، وربما الشجر والدواب ، والحديث الذي يستشهد به بعض أصحاب الورع البارد (اذكروا محاسن موتاكم) ليس بحديث ، بل اعتبره الإمام البخاري أنه منكر الحديث. النقطة الثانية في هذه المسألة ، أنه حين هلاك ظالم فاسق فاجر ، الأصل ألا يفرح الناس بذلك فحسب بل أكثر من ذلك وهو الاستمرار في التذكير بمساوئه وظلمه ، كي تظل عالقة بالأذهان ، يحذر الناس الاقتداء بها مستقبلاً ، أما محاولة تبييض صورته لسبب أو آخر ، فليس من سنّة السلف الصالح في التعامل مع مسألة هلاك الظلمة والمجرمين. إنه بالقدر الذي نبذل الجهد في تذكير الناس بمحاسن ومآثر الصالحين والأئمة العادلين بعد وفاتهم ، والدعوة إلى الاقتداء بهم والسير على صراطهم المستقيم ، فإنه بالمثل ، يلزم كشف مساوئ الظلمة والمجرمين على اختلاف وظائفهم وأدوارهم في الحياة الدنيا ، مع ضرورة فضح إجرامهم وألاعيبهم ، والتحذير منها على الدوام. قد روى أبو داود والترمذي والحاكم والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (اذكروا محاسن موتاكم ، وكفوا عن مساويهم) لكنه غير صحيح ؛ لأن في سنده عمران بن أنس المكي ، قال فيه البخاري: منكر الحديث ، وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه. إن الحديث المتداول "اذكروا محاسن موتاكم" هو حديث ضعيف. إن في صحيح البخاري ما يشبه نفس المعنى وهو: "لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا" ، وحول ما إذا كان المسلمون شهوداً على المتوفى إنه لا أحد يعلم من هو مقبول عند الله ، ولكن من توفي على الإسلام إنما يشرع في حقه الترحم عليه والاستغفار ، وعدم ذكر أخطائه فإنه أفضى إلى ما قدم ، ولا ندري لعل الله تجاوز عن سيئاته ، ففي حديث البخاري: لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا. ويضاف لهذا أن الكلام بالسوء على الأموات يؤذي الأحياء ، وأذاهم منهي عنه ، ولذا جاء في الحديث: لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا به الأحياء. رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي. وللدكتور عطية صقر فتوى حول معنى (اذكروا محاسن موتاكم) وهل يتعارض مع حديث الرسول: ما أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ، ومن قلتم عنه

شراً وجبت له النار ، أنتم شهداء الله فى الأرض. يقول صقر: إن من المشاهد أنه عندما يموت إنسان له شأن فى الدنيا يتحدث الناس عنه إما بالخير وإما بالشر ، والحديث بالخير إشادة بذكره وتكريم له ، وتعزية لأهله أن الناس راضون عنه ، والحديث بالشر تشويه لسمعته وإهانة له ، وزيادة ألم على أهله ، وقد يقصد به التشفى الذى يورث الأحقاد التى ربما تؤدى إلى نزاع يحتدم ويشتد وتكون له آثاره السيئة. وتابع صقر قائلًا: "إن الحديث عن الميت لا أثر له عند الله سبحانه فهو العليم بما يستحقه من تكريم أو إهانة ، وقد يكون حديث الناس عنه دليلاً ولو ظنياً على منزلته عند ربه ، لكن ذلك لا يكون إلا من أناس على طراز معين من الصلاح والإنصاف والتقوى وقول الحق لوجه الحق كالصحابة الذين قال النبى فيهم: (أنتم شهداء الله فى الأرض). ومع ذلك ، يقول صقر في نص فتواه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يذكر الأموات بالسوء إذا كان ذلك للتشفى من أهله ، فذلك يغيظهم ويؤذيهم ، والإسلام ينهى عن الإيذاء لغير ذنب جناه الإنسان ، ولا يؤثر على منزلته عند الله الذى يحاسبه على عمله. وقد قال صلى الله عليه وسلم فى قتلى بدر من المشركين "لا تسبوا هؤلاء فإنه لا يخلص إليهم شىء مما تقولون ، وتؤذون الأحياء" وعندما سب رجل أبًا للعباس كان فى الجاهلية كادت تقوم فتنة ، فنهى عن ذلك. وذكر صقر قول بعض العلماء: إن سب الموتى يكون فى حق الكافر وفى حق المسلم ، أما فى حق الكافر فيمتنع إذا تأذى به الحى المسلم - أو ترتب عليه ضرر- وأما المسلم فحيث تدعو الضرورة إلى ذلك ، كأن يصير مات قبيل الشهادة عليه ، وقد يجب فى بعض المواضع . وأضاف صقر أن ذلك قد يكون مصلحة للميت ، كمن علم أنه أخذ مالاً بشهادة زور ومات الشاهد ، فإن ذكر ذلك ينفع الميت إن علم أن من بيده المال يرده إلى صاحبه ، والثناء على الميت بالخير والشر من باب الشهادة لا من باب السب).هـ. وإذن فذكر مساوئ وتجاوزات الأموات الظالمين المجرمين المتجاوزين لحدود الله ، ليتجنبها الناس وليحذروها ، أمرٌ لا مؤاخذة فيه ولا مخالفة! ولقد تعمدتُ الاستطالة في هذا الأمر ليتبين الحق في المسألة! حيث إنني كلما ذكرتُ ظلماً وقع عليّ من أصحابه الظالمين مع سبق الإصرار منهم والترصد ، قِيل لي: (اذكروا محاسن موتاكم) في محاولة لإلجامي عن التحذي من ظلم الظالمين أو ذكر ظلمهم البين! والحمد لله أن الله تعالى أمكنني من مراجعة أغلب هؤلاء الظالمين وتوضيح ظلمهم لي علانية ، وتم ذلك مواجهة ، لا عن طريق وسطاء ، يزيدون وينقصون!)

خـــاب الـــذي كـــذباً - علـــى الله - افتـــرى ... ليُزيـــــغ بـــــالتلفيق ألبـــــاب الـــــورى

مـــــازال يكـــــذبُ كـــــي يُثبّـــــت بـــــاطلاً ... ويَكيـــــلَ بُهتانـــــاً تُزخرفـــــه الفِـــــرى

وعلـــى النبـــيّ الكِـــذَبُ أخبـــثُ رُتبـــة ... والنـــارُ عقبـــى مَـــن يســـوقُ المُنكـــرا

ولقـــد نحَـــذر مِـــن مســـاوئ مَـــن مضـــى ... لنحصّـــنَ الأحيـــاء مِـــن سُـــوءٍ جـــرى!

لـــم نقصـــدِ التقليـــلَ مِـــن أقـــدارهم ... لكـــنْ نعيـــذ - مِـــن الخطـــا - أهـــل القـــرى!

فلعـــل عَبـــداً يســـتجيبُ لقصـــدنا ... ويتـــوبُ ممـــا - فـــي هواجســـه - امتـــرى

ويـــرى حقيقـــة نفســـه متجـــرداً ... حتـــى يخـــفّ إلـــى التقـــى ، ويُشـــمرا

لا يســـــــتهينُ بذنبـــــــه مُســـــــتغنياً عـــن توبـــةٍ تـــودي بمـــا هـــو دبّـــرا

ويُصَـــحّح الـــدربَ الـــذي يســـعى بـــه ويبيـــتُ مُرتـــاحَ الســـريرة خيّـــرا

كـــيلا يُضِـــيعَ ثوابَـــه النـــزقُ الـــذي أغـــراه بالعِصـــيان كـــي يتـــأخرا

إحســـاننا للمَيّتـــين المســـلمين أمانـــة لا شـــك فـــي هـــذا ، ولا أدنـــى مِـــرا

إذ إنهـــم فـــي ذِمـــة المـــولى غـــدَوْا ولـــئن يكونـــوا غيّبـــوا تحـــت الثـــرى

نُطـــري مَحاســـنهم ، ونمـــدحُ خيـــرَهم ليكـــون مـــا بـــذلوا أجَـــلّ وأشْـــهرا!

ونبـــينُ الأخطـــاءَ قـــد وقعـــوا بهـــا ليكـــون دَربُ الحـــق صُـــبحاً مُســـفرا!

هذا بلاؤك يا ابن سليمان!

(هذه القصيدة بدون تقديم هدية شعرية لرجل مبتلى في كل من حوله لحكمةٍ بالغةٍ يعلمها الله. رجل تبرأتْ منه قبيلتُه بدون وجه حق ، ليتولاه أصهارُه فيتبلغون به إلى مآربهم ، ويحققون آمالهم ، ويستنزفونه إلى أبعد حَدٍ يُتخيل! ثم يُذيقونه من الويلات والمحن ما الله به عليم! وأحسن الرجلُ الظن بالجميع ، فنفعهم الله به جميعاً: سواءً قبيلته الخذولة ، أو أصهاره الأنذال! وتعدى خيرُه غيرَه حِسبة لله تعالى! من بعد أن تفننَ الفريقان في تصْليته سوء المعاملة والخذلان! فقد جعلوا جزاء معروفه وإحسانه الإساءة إليه بكل ما تحمله الكلمة من معانً! ثم تولى أصدقاؤه وأصفياؤه - الذين كان يدخر ليوم كريهة - باقيَ البلاء! حيث أوشوا به عند عدو الجميع ، فاستقرَ قرارُهم عندما أصبح الرجلُ في الشارع بلا مأوى ولا طعام ولا شراب! وكأنه كان يسكنُ مزرعة أبي أحدهم ويأكل من خيراته! وتم للأصدقاء ذلك في دار غربةٍ ملعونةٍ في بقعةٍ غير مباركة من بقاع الأرض! كل شيءٍ فيها بالمال: كلامُه الذي يتكلمه ، طعامُه الذي يأكله ، شرابُه الذي يشربه ، هواؤه الذي يتنفسه ، لباسه الذي يلبسه! نعم: إن عاش فليدفع ، وإن سافر فليدفع ، وإن أقام فليدفع ، وإن عملَ فليدفع ، وإن قعد عن عمله فليدفع ، وإن تاجرَ فليدفع ، وإن احترفَ فليدفع ، وإن ماتَ فليدفع! وعجب العُجاب في الفرقاء الثلاثة ألا يخرج منهم جميعاً رجلٌ واحدٌ ، أو امرأة واحدة ، أو طفلٌ واحد يقول الحق ، فيعترف للرجل نيابة عن فريقه ، بأنه قد ظلِمَ ، واغتُصبتْ حقوقه ، ونِيلتْ سُمعته! (أتواصوا به بل هم قوم طاغون)! وأحياناً يكون الصمت أهون من الجهر بالإفك والبهتان والكذب! بمعنى أن أحداً من الفرقاء الثلاثة إذا لم يعترف بحقوق الرجل المظلوم هذا ، فليسكت ولينقطع لسانه وليكف! لا ، بل الذي حدث عكسُ ذلك تماماً ، حيث تبجح الجميع بإنكار الفضل ودحض المعروف وهضم الإحسان! فما اعترف أحدهم بخيرية الرجل ولا بخلقه ولا بأريحيته ولا بشهامته! وفضحوه في الخلائق ، وادعوا أنهم أصحاب فضل عليه! لقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم أن يستر على المسلمين عوراتهم حسًا ومعنى ، أحياءً وأمواتًا دار حديثٍ بين رجلين من سلف الأمة: عَبْدُ اللَّهِ الْهَوْزَنِيُّ يقول: لَقِيتُ بِلَالًا مُؤَذِّنَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِحَلَبَ ، فَقُلْتُ: يَا بِلَالُ ، حَدِّثْنِي كَيْفَ كَانَتْ نَفَقَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَا كَانَ لَهُ شَيْءٌ ، كُنْتُ أَنَا الَّذِي أَلِي ذَلِكَ مِنْهُ مُنْذُ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ ، وَكَانَ إِذَا أَتَاهُ الْإِنْسَانُ مُسْلِمًا فَرَآهُ عَارِيًا يَأْمُرُنِي فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَقْرِضُ فَأَشْتَرِي لَهُ الْبُرْدَةَ فَأَكْسُوهُ وَأُطْعِمُهُ ، حَتَّى اعْتَرَضَنِي رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: يَا بِلَالُ ، إِنَّ عِنْدِي سَعَةً فَلَا تَسْتَقْرِضْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا مِنِّي ، فَفَعَلْتُ فَلَمَّا أَنْ كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ تَوَضَّأْتُ ثُمَّ قُمْتُ لِأُؤَذِّنَ بِالصَّلَاةِ ، فَإِذَا الْمُشْرِكُ قَدْ أَقْبَلَ فِي عِصَابَةٍ مِنَ التُّجَّارِ ، فَلَمَّا أَنْ رَآنِي قَالَ: يَا حَبَشِيُّ ، قُلْتُ: يَا لَبَّاهُ ، فَتَجَهَّمَنِي ، وَقَالَ لِي قَوْلًا غَلِيظًا ، وَقَالَ لِي: أَتَدْرِي كَمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الشَّهْرِ ، قَالَ: قُلْتُ قَرِيبٌ ، قَالَ: إِنَّمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ أَرْبَعٌ فَآخُذُكَ بِالَّذِي عَلَيْكَ فَأَرُدُّكَ تَرْعَى الْغَنَمَ كَمَا كُنْتَ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَأَخَذَ فِي نَفْسِي مَا يَأْخُذُ فِي أَنْفُسِ النَّاسِ ، حَتَّى إِذَا صَلَّيْتُ الْعَتَمَةَ ، رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى أَهْلِهِ ، فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ ، فَأَذِنَ لِي ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ؛ إِنَّ الْمُشْرِكَ الَّذِي كُنْتُ أَتَدَيَّنُ مِنْهُ قَالَ لِي كَذَا وَكَذَا ، وَلَيْسَ عِنْدَكَ مَا تَقْضِي عَنِّي وَلَا عِنْدِي وَهُوَ فَاضِحِي ، فَأْذَنْ لِي أَنْ آبَقَ إِلَى بَعْضِ هَؤُلَاءِ الْأَحْيَاءِ الَّذِينَ قَدْ أَسْلَمُوا حَتَّى يَرْزُقَ اللَّهُ رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم مَا يَقْضِي عَنِّي ، فَخَرَجْتُ حَتَّى إِذَا أَتَيْتُ مَنْزِلِي فَجَعَلْتُ سَيْفِي وَجِرَابِي وَنَعْلِي وَمِجَنِّي عِنْدَ رَأْسِي حَتَّى إِذَا انْشَقَّ عَمُودُ الصُّبْحِ الْأَوَّلِ ، أَرَدْتُ أَنْ أَنْطَلِقَ فَإِذَا إِنْسَانٌ يَسْعَى يَدْعُو: يَا بِلَالُ أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَانْطَلَقْتُ حَتَّى أَتَيْتُهُ ، فَإِذَا أَرْبَعُ رَكَائِبَ مُنَاخَاتٌ عَلَيْهِنَّ

أَحْمَالُهُنَّ ، فَاسْتَأْذَنْتُ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَبْشِرْ ؛ فَقَدْ جَاءَكَ اللَّهُ بِقَضَائِكَ ، ثُمَّ قَالَ أَلَمْ تَرَ الرَّكَائِبَ الْمُنَاخَاتِ الْأَرْبَعَ؟ فَقُلْتُ: بَلَى فَقَالَ: إِنَّ لَكَ رِقَابَهُنَّ وَمَا عَلَيْهِنَّ ؛ فَإِنَّ عَلَيْهِنَّ كِسْوَةً وَطَعَامًا أَهْدَاهُنَّ إِلَيَّ عَظِيمُ فَدَكَ فَاقْبِضْهُنَّ وَاقْضِ دَيْنَكَ ، ...[وفي الحديث أن بلالاً لما قضى دين رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره بذلك] فَكَبَّرَ وَحَمِدَ اللَّهَ شَفَقًا مِنْ أَنْ يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ وَعِنْدَهُ ذَلِكَ). رواه أبو داود وصححه الألباني. أوما قرأ هؤلاء الأوباش هذا؟! فأوصيت الرجل بالصبر والاحتساب عند الله تعالى. ذلك أن الابتلاء سُنة ماضية وكذلك الصبر عليه سُنة شرعية واجبة! يقول أهل العلم: من علامات السعادة أن المسلم إذا أُنعِمَ عليه شكر وإذا ابتُلي صبر وإذا أذنب استغفر ، فعلى المؤمن أن يصبر على كل ما يُصيبه من مصائب وبلايا لينال أجر الصابرين الشاكرين ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له". رواه مسلم. فالمؤمن الذي تُصيبه السراء والنعمة فيشكر ربه فله العاقبة الحسنة ، وذلك لأن الله يحب الشاكرين ، ويزيدهم من نعمه ، قال تعالى: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ). والمؤمن الذي يصبر على الضراء ينال أجر الصابرين ، كما قال تعالى: (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ.) ونسأل الله تعالى أن يرزقنا الصبرَ والاحتسابَ عندما ينزلُ البلاء بنا! فكتبتُ أعزي نفسي هذه القصيدة ، وعنونتُ لها بـ: (هذا بلاؤك! يا ابن سليمان)!)

ضَـمّخ قصـيدَك فـي المُصـاب ، وحَوقِـلِ ... واشْـكُ الـبلاء لربـك المـولى العلـي

واعلـمْ بـأنّ الله بـالغ أمْـره ... واصـبرْ علـى مُـرّ القضـا ، لا تعجـل

مَـن ذا رأيـت مُسَـلّماً لـم يُمـتحنْ ... سـبحان مَـن يُعفـي ، ومَـن هـو يبتلـي!

وإذا ابتلـى فلعِلـةٍ مَقـدورةٍ ... فاحمـدْ إلهـك دائمـاً ، وتحمّـل

والكـل مُمـتحنٌ ، فـلا تـكُ واهمـاً! ... وأخيرُنـا - فـي الابـتلا - كـالأول

فـإذا جزعـت لمَـا أصـابك فابتهـلْ ... وادعُ المليـكَ بلهفـةٍ وتوسّـل

فـالله أقسـمَ أن يُمحّـص مَـن هَـدى ... مِـن حزبـه كـل التقـاة الكُمّـل

حتـى يَبـين مَـن اتقـى ممـن غـوى ... والمسـتقيمُ مِـن الـدعيّ الأرذل

فلـم التشـاؤمُ مِـن مصـير قـادم؟ ... ولـمَ التعثـر مِـن خطـى المسـتقبل؟

ولـم اشـتكاؤك مـن عـذابات الجـوى؟ ... أوَلـيس - عـن هـذا الأسـى - مـن مَعـدل؟

لـمَ لا تواجـه مـا تُعـاني صـامداً ... مهمـا أصـابك مَـن طغـى فـي مقتـل؟

لـمَ لا تفاصـل مَـن يريـدُك ضـائعاً ... حتـى متـى تحيـا بقلـب مُثقـل؟

لـــمَ لا تغيَـــرْ مِـــن مَســـارك؟ إنـــه ... يُفضـــي إلـــى أشـــقى وأشـــأم منـــزل؟

لـــم لا تُعـــدّل مِـــن مناهجـــك التـــي ... كـــم أخرّتـــك عـــن الســـبيل الأمثـــل؟

حتـــى متـــى إحســـانُ ظنـــك بالغثـــا؟ ... وهـــمُ الألـــى كـــم خيّبـــوا مِـــن مَأمـــل؟

جهلـوك هـم؟ كـلا ، ومـا جهلـوا الصُـوى ... وكبيـــــرُهم واللهِ أظلـــــمُ مُبطـــــل

فتنـــوك هـــم؟ كـــلا ، فلســـتَ بهـــيّن ... فلـــم انجـــدالك فـــي المصـــير المُخجـــل؟

خـــدعوك هـــم؟ كـــلا ، فكلـــك فطنـــة ... وهـــمُ - ورب النـــاس - أخبـــثُ مُيّـــل

شـــغلوك عـــن ديـــن تعـــيشُ لأجلـــه ... حتـــى غـــدَوتَ - عـــن الهُـــدى - فـــي معـــزل

قهـــروك بالتهديـــد رَعْـــدٌ صـــوته ... حتـــى رَضـــختَ فسُـــرّ كـــلُ العُـــذل

ذبحـــوك ، والســـكينُ مُعـــتلجٌ دمـــاً ... بخيانـــةٍ مُزجـــتْ بطعـــم الحنظـــل

يـــا صـــاح أنـــت ضـــحية لنفـــاقهم ... والمَـــرعُ يأســـرُه لطيـــفُ تبتـــل

واليـــوم حَصحصـــتِ الحقـــائقُ ، فانتبـــهْ! ... واعـــرفْ لنفســـك حقهـــا ، وتأمّـــل!

واضـــربْ بســـيف الشـــعر هامـــاتِ العِـــدا ... لا تخـــشَ بـــاطلهم وبـــأسَ الجحفـــل

واســـألْ مليكـــك أن يُعيـــذك مـــنهمُ ... واحمـــلْ كلامـــي – الآن - خيـــرَ المَحمـــل

خـــذ مِـــن مُصـــائبك الـــدروس ، لعلهـــا ... تُقصـــي دجـــى ليـــل بهـــيم أليـــل

إن المليـــك قـــد ابـــتلاك لحِكمـــةٍ ... فاصـــبرْ لحُكـــم الله ، لا تتزلـــزل

(هـــذا بـــلاؤك) ، والأمـــورُ كمـــا تـــرى ... فـــزن المواقـــفَ بالهُـــدى ، وتعقـــل

ومِـــن الألـــى خـــانوا ودادك ، فـــاعتبرْ ... والعـــبءَ لا تحقـــرْ ، ولا تســـتثقل

إن الحيـــاة إذا تمـــرّقَ صَـــفوُها ... قـــد لا تـــروقُ لفاضـــل متفضـــل

لكـــنْ تَحمّلْهـــا علـــى عِلاتهـــا ... واليـــأسَ - مـــن قلـــب الهمـــام - استأصـــل

مـــا شـــاء ربـــك كـــائنٌ مهمـــا جـــرَى ... فعليـــه - فـــي كـــل الأمـــور - توكّـــل

المروءة مني ، وأنا منها

(اتهم رجل ذو مروءة بأنه عديمها. فراح يدافع عن نفسه. فقيل له: إنك منان على الناس بما تصنع لهم. فقال: ذلك لأننا في زمان تناقض الأشياء. إن سكت فيه المتفضل أنكِر فضله! وإن تكلم قيل إنه منان! وتبجّح بعضهم فزاد حبات الطين بلة بقوله: لا فضل لأحدٍ على أحد ، بل الفضل كله لله! ولا ينبغي أن يشكر أحدٌ أحداً لأن الشكر كله لله! والرد على هذا البعض المتبجح بأن القرآن حسم القضية: (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة – ولا تنسوا الفضل بينكم – أن اشكر لي ولوالديك)! فينبغي شكر أصحاب الفضل والمروءة على تفضلهم ومروءتهم! ألا إن صاحب الفضل من حقه أن يبين الحقيقة إذا خفيت! نعم لا يمن على من أحسن إليه! ولكن عندما لا يعترف من تُفضّل عليه ولا يشكر ، يمكن لصاحب الفضل أن يبين الحقيقة ، ويذكر شيئاً من تفضله ليذكر المنكر للجميل ليس إلا! فكتبتُ في هذا على البحر العروضي الوافر أقول:)

لمـــــاذا الطعـــــنُ بالعِلـــــل الوِجـــــاعِ؟ وهـــــل تـــــزوى الحقـــــائقُ بالخـــــداع؟

أيُـــــتهمُ البـــــرئُ بـــــلا دليـــــلٍ ويُرمـــــى بالوصـــــول والانتفـــــاع؟

ويُقهـــــر بـــــالتخرص دون حـــــق ويُوصَـــــف بالســـــفول والاختضـــــاع؟

ويُـــــذبَح جهـــــرة مثـــــل الأضـــــاحي ويُرمـــــى للأوابـــــد والســـــباع؟

ويُمسِـــــي عرضـــــه مُلكـــــاً مُشـــــاعاً ومَـــــن يعتـــــد بالمُلـــــك المشـــــاع؟

ألا إن المـــــروءة بعـــــضُ سَـــــمتي كمثـــــل الفلـــــك تســـــعى بالشـــــراع

وحـــــب البـــــذل ديـــــدنُ كـــــل حـــــر لـــــذلك كـــــان مـــــن أحلـــــى طبـــــاعي

ولســـــتُ مُزكّيـــــا نفســـــي ، ولكـــــنْ أحـــــدّثُ بـــــالنعيم المســـــتطاع

أقـــــول الحـــــق ، لا أخشـــــى البرايـــــا ومـــــا أنـــــا فـــــي التكلـــــف بالشـــــجاع

لأثبـــــت أننـــــي - مـــــن فضـــــل ربـــــي - كـــــريمٌ لســـــتُ مـــــن سِـــــقط المتـــــاع

لأدفـــــع تهمـــــة بلغـــــتْ مَـــــداها وباتـــــت تســـــتجيش رؤى الـــــدفاع

وأثبـــــت أننـــــي مـــــا كنـــــت نـــــذلاً لكـــــي تـــــنفضّ غائلـــــة النـــــزاع

وأنـــــي اليـــــوم أولـــــى بـــــاحترام يُخفـــــفُ مِـــــن مُقارعـــــة الصـــــراع

يَمِـــــينَ الله لـــــيس المَـــــنّ سَـــــمتي ولكـــــنْ إن ظلمـــــتُ فلـــــن أراعـــــي

ثمن المروءة

(ذات يوم ضننتُ على ولدي (عمر الفاروق) بشيءٍ ما طلبه مني. فقال لي: لماذا أبَيت كذا؟ ألست أنت القائل: (تجمّلْ بالعطاء تعش كريماً * * وتلقى السعد في دنيا البرايا) ، وهو بيت من أبيات القصيدة التي اغتصبتْ (نسيم الشوق)! فحاجّني ولدي ، وعزني في الخطاب. وما استطعتُ ساعتها إلا أن أطيعه فيما طلب. حيث خشيتُ أن يكون لي نصيب من الآية: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون؟ كبُر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون!). قيل لسفيان بن عيينة رحمه الله: "قد استنبطت من القرآن كل شيء فأين المروءة في القرآن؟" فقال: (في قول الله تعالى: "خذ العفو وأمُرْ بالعُرف وأعرض عن الجاهلين" ، ففيه المرءوة وحسن الآداب ومكارم الأخلاق ، إذ جمع في قوله "خذ العفو" صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين ، وفي قوله "وأمر بالعُرف" صلة الأرحام وتقوى الله في الحلال والحرام ، وفي قوله تعالى: "وأعرض عن الجاهلين" الحض على التخلق بالحِلم والإعراض عن أهل الظلم والتنزه عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة وغير ذلك من الأفعال الحميدة والأخلاق الرشيدة).هـ. وعموماً للمروءة ثمن.)

أهـــلُ المـــروءة يـــا بُنـــيّ كِـــرامُ ... وصُـــوى التفضّـــل لـــيس فيـــه سَـــوامُ

والشـــحّ يُـــزري بـــالخلائق مثلمـــا ... يُـــزري - بصِـــيد العـــالمين - الـــذام

والجـــودُ يرفـــعُ - فـــي الـــورى - أربابَـــه ... إن الجَـــوَادَ هـــو الفتـــى المِقـــدام

ثمـــنُ المـــروءة يـــا بُنـــيّ مُكلِـــفٌ ... وذوو المـــروءة - فـــي الأنـــام - عِظـــام

وأبـــوك لـــم يبخـــلْ ، وإنـــكَ شـــاهدٌ ... يـــأبى عليـــه الطبْـــعُ والإســـلام

وجميـــعُ مَـــن هـــو خصّـــهم بعطائـــه ... نكِـــروا الجميـــل ، وبالمكائـــد قـــاموا

وأهـــينَ مِعطـــاءٌ ، وأكـــرمَ مُمســـكٌ ... وجـــراحُ هـــذا الظلـــم لا تلتـــام

وجـــدُوا تكـــاليفَ المـــروءة جمّـــة ... فاســـتمرأوا الخـــذلانَ وهْـــو حـــرام

واســـتعذبوا هـــدمَ الإخـــاء تشـــفياً ... والظلـــمُ داءٌ - فـــي الأنـــام - عُقـــام

وأبـــوك عـــانى مِـــن شـــناعة مكـــرهم ... وأتـــتْ عليـــه - مـــن العُتـــاة - سِـــهام

والعُـــذرُ بعـــضُ جمـــيلهم وعطـــائهم ... وأبـــوك - فـــي حـــرب العُتـــاة - هُمـــام

مهمـــا تكلفـــه المُـــروءة لـــم يـــزل ... فـــي كفـــه الـــدينارُ والصمصـــام

إلى مظلوم مقهور!

(أجعل حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – الظلم ظلمات يوم القيامة ، مُقدمة ومَعنى عنوان هذه القصيدة ويَكفي ، إذ إنه – صلوات ربي وتسليماته عليه أوتي جوامع الكلم. وأصَبّر بهذه القصيدة الحزينة كل مظلوم. وأوصيه بالاحتساب والتصبّر حتى يأتي الله بأمره. وأذكّره بأن الظلم والظالمين في جَلد على امتداد التاريخ الإنساني كله. في كتابه (وماذا بعد الظلم؟) يقول الأستاذ عبد الحميد السحيباني ما نصه: (إن الناظرَ في أحوال الأمم والشُّعوب قبلنا - وبخاصة الظالمين منهم - ممَّن أهلكه الله – تعالى - لَيَأْخذ من ذلك عظاتٍ وعبرًا ؛ كيف لا وقد قال - سبحانه: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون). إنَّ في تأمُّل مصير الظالمين وما جرى عليهم من الإهلاك عِبرةً لكلِّ جبَّار عنيد ؛ نعم ؛ الجبَّارُ الذي ما كان يَهْدَأُ له بال في الدُّنيا إلَّا وهو يرى بأمِّ عينيه دماءَ الأبرياء من المؤمنين تنـزف على يد زبانيته المجرمين ، فما يُحَرك له ذلك ساكناً ؛ بل وكأنَّ شيئًا لم يكن! وهو – زيادة على ذلك - قد أطلق لنفسه العنان ، فأغرقها في الشَّهَوات والشُّبُهات ؛ منتهكاً بذلك الحُرُمات ، ضاربًا بالشَّرع المطهَّر عرضَ الحائط: (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ). ما المصيرُ الذي صار إليه أولئك الطُّغاة الذين ملكوا القوَّةَ والمالَ وأسبابَ البقاء والغَلَبة؟! ألم يأخذهم الله جميعًا بعدما فَتَنوا النَّاسَ وآذَوهم طويلًا! (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ). وهكذا يكون مصيرُ كلِّ ظالم ومتجبِّر على مَرِّ الأزمان والدُّهور ، ولا يَبْقى إلَّا حماية الله تعالى وركنه القويّ الرَّكين. إنَّها حقيقةٌ ضخمة عُني بها القرآن الكريم ؛ حيث قرَّرها في نفوس الفئة المؤمنة ، فكانت بذلك أقوى من جميع القوى التي وَقَفَتْ في طريقها ، وداست بها على كبرياء الجبابرة في الأرض ، ودكَّت بها المعاقلَ والحصونَ. لقد استقرَّتْ هذه الحقيقةُ الضَّخمةُ في كلِّ نفس وعمَّرت كلَّ قلب ، واختلطت بالدم ، وجرت معه في العروق ، ولم تَعُدْ كلمة تقال باللِّسان ، ولا قضية تحتاج إلى جدل ؛ بل بديهة مستقرة في النَّفس لا يجول غيرها في حسٍّ أو خيال. قوَّةُ الله هي القوة ، وولاية الله هي الولاية ، وما عداها فهو واهنٌ ضئيلٌ هزيلٌ مهما علا واستطال ، ومهما تَجَبَّرَ وطَغَى ، ومهما مَلَكَ من وسائل البَطْش والطُّغيان والتَّنكيل. إن ابن كثير– رحمه الله - في كتابه (البداية والنهاية) تناول نهاية كثير من الطُّغاة والظالمين ؛ بدءاً بفرعون وقومه حتى العصر الذي عاش فيه ابن كثير).هـ. فهو إذن الصراع المستمر المتواصل إلى يوم القيامة. وعزائي أن الله يرفع دعوة كل مظلوم فوق الغمام ويقول: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين. وعزائي أن الله يسمع ويرى! وعزائي أن ظلم الظالمين يَحدث لحِكمة ، وهذا يكفي.)

كفكــفْ دموعَــك فــي المُصــاب ، وردّدِ: الله حَسْــبي - فــي الــبلاء - ومُنجــدي

واكــبحْ نشــيجَك ، واصْــطبرْ فــي مِحنــةٍ واخمــدْ نحيبــك ، واحتسِــبْ ، وتجلــد

واخمــدْ كروبــاً أشــعلتْ فيــك الأســى واذبــحْ همومَــك ، وامْــض لا تتــردد

وأطـــلْ دعـــاءك للمليـــك تـــذللاً ... وأدمْ قيامَـــك ضـــارعاً ، وتهجّـــد

لا تشْـــكُ أقـــدارَ الإلـــه لخلقـــه ... مـــا ذاك شـــأن المُخبـــتِ المُتعبـــد

حتـــى متـــى لـــومٌ ، وحُرقـــة يـــائس ... وعـــذابُ قلـــب نـــارُه لـــم تَخمـــد؟

وإلـــى متـــى الآهـــاتُ يَحـــدوها الجـــوى؟ ... وتـــروحُ شـــكوى ، ثـــم أخـــرى تغتـــدي؟

وإلـــى متـــى الأنـــاتُ باكيـــة الصَـــدى ... تطغـــى عليـــك ببأســـها المتوقـــد؟

وإلـــى متـــى ماضـــيك يُشـــهرُ ســـيفه ... ضـــجَراً ، ويَحرمُـــك التطلـــع للغـــد؟

وإلـــى متـــى نظـــرٌ يتـــوقُ إلـــى الـــورا ... وإلـــى متـــى ثـــأرٌ يُحـــاكُ لمُعتـــد؟

وإلـــى متـــى الأطـــلالُ تـــدْحَرُ عزمـــة ... وتنـــالُ منـــك بســـيفها المُتصـــلد؟

أتـــراك بَعثـــرتَ الأمـــانيَ عـــاجزاً ... ووأدتَ آمـــالَ المَضـــا المُتجـــدد؟

أكســـرت مِجـــدافَ الســـفين ، فعاقـــه ... مَـــوجُ الوســـاوس فـــي الخِضَـــمّ المُزبـــد؟

أطعنـــت بالأوهـــام خاصـــرة الإبـــا ... فحُبســـتَ فـــي سِـــجن الركـــون المُوصـــد؟

أأرقـــت فـــي دَعـــةٍ تشـــامُخ هيـــثم ... فأسِـــرت فـــي أغـــلال ذل مُرعِـــد؟

أنســـيت أن الحـــق يَـــدمغ بـــاطلاً ... مهمـــا تـــذرعَ بـــالهوى المُستأســـد؟

أنســـيتَ أن النـــورَ يجتـــثُ الـــدجى ... ويُبيـــدُ ظلمـــة كـــل ليـــل أســـود؟

أنســـيت أن الخيـــر إن يَغـــشَ الـــوغى ... فلســـوف يَمحـــقُ كـــل شـــر مُجهـــد؟

أنســـيت أن الرشـــد فـــي دنيـــا الـــورى ... يُـــردي هـــوى المُتخـــرّص المُتبلـــد؟

أنســـيت أن الصـــدق يرفـــعُ أهلـــه؟ ... وبـــرغم أنـــف الكـــاذب المُتزيـــد؟

أنســـيت أن العـــدل يبقـــى شـــامخاً ... كـــالطود ، رغـــم الظـــالمين الحُسّـــد؟

أنســـيت أن حقـــائق الأشـــياء أثـــ ... ـــبتُ فـــي التحـــدّي مِـــن ســـراب صَـــيْهد؟

يـــا أيهـــا المظلـــوم ، اخلـــصْ فـــي الـــدعا ... بتبتـــل ، والـــزمْ ريـــاض الهُجّـــد

وابـــذلْ دعـــاءك فـــي الســـجود ، فإنمـــا ... لـــم يَـــدنُ مِـــن مَـــولاه كالمُتهجـــد

وارحـــمْ ذوي قربـــاك ممـــن أجرمـــوا ... هـــذي ورب النـــاس سُـــنة (أحمـــد)

لمّـــا تمكّـــن مِـــن رقـــاب خصـــومه ... ســـألَ الجميـــع بلهجـــةِ المُتـــودد

مـــا ظـــنكم قـــومي بمـــا أنـــا فاعـــل؟ ... قـــالوا: أخ بـــرٌ عظـــيم المَحتِـــد

قـــال: اذهبـــوا الطلقـــاءُ أنـــتم فـــي الـــدنا ... والأمـــنُ موعـــدُكم ، فيـــا دنيـــا اشـــهدي

مـــن يـــدخل البيـــت الحـــرام فـــآمنٌ ... والأمـــنُ فـــي أبيـــاتكم غـــضٌ نـــدي

و(أبـــو معاويـــةٍ) أمـــانٌ دارُه ... فبمثـــل هـــذا ، هـــل ســـمعت بمشـــهد؟

العفـــوُ أنجـــعُ إنْ أردت ســـعادة ... والرفـــقُ أجـــدى مِـــن تطـــاول ألـــود

والصـــفحُ أنفـــعُ حِيلـــة ووَســـيلة ... تجتـــث غـــيمَ خِلافنـــا المُتبلـــد

والسِـــلمُ أفضـــلُ مِـــن حُـــروب أهلكـــتْ ... عِـــز الإخـــاء ونـــورَ درب الســـؤدَد

يـــا أيهـــا المظلـــومُ ، حقـــك واعـــدٌ ... يرنـــو إليـــك بفرحـــةٍ وتـــودد

فـــارفقْ بـــه مِـــن أخـــذ قارعـــة الـــردى ... واخفـــضْ جَناحَـــك للمُحِـــب الأرشـــد

لمّـــا يَضِـــعْ حتـــى تعـــاني فقـــدَهُ ... بـــل مُهـــدَرٌ بـــين العشـــير العُنـــد

نكِـــرُوه ، بـــل ســـلبوه دون هـــوادةٍ ... واستضـــعفوك ، وأنـــت أقـــوى أصْـــيد

فـــاجهرْ بـــه عنـــد الـــذين تصـــامَمُوا ... أن يســـمعوا حقـــاً نقـــيَ المـــورد

فلربمـــا اســـتهوى الـــذي يرثـــي لـــه ... فيصـــولُ صَـــولة مُنصـــفٍ مُتوعـــد

ولربمـــا عهـــدٌ تجـــددَ بَـــدْؤه ... كـــالفجر يقتـــلُ طـــولَ ليـــل ســـرمد

ولربمـــا جمْـــعٌ يراجـــعُ نفســـهُ ... فيُعيـــدُ حقـــاً ، ســـيفه لـــم يُغمـــد

كـــم ظـــالم - فـــي النـــاس أعمـــاه الهـــوى ... فـــإذا بـــه يُـــردَى بخبـــثٍ ألكـــد

نهـــبَ الحقـــوق ، ولـــم يكـــنْ متعففـــاً ... أبـــئس بفعـــل المُســـتبد المُفســـد!

غرّتـــه دنيـــاهُ ، فكـــان أســـيرَها ... فطغـــتْ علـــى نيّاتـــه والمَقصـــد

ومضـــى يَـــؤز بقضّـــه وقضيضـــه ... وينـــالُ بالتهديـــد كـــل مُوحّـــد

سَـــلِم العِـــدا مِـــن هولـــه ورماحـــه! ... وسَـــخاؤه فـــي العِيـــر لمّـــا يُجْحَـــد

أمِـــنَ العُتـــاة مِـــن الظلـــوم جمـــيعُهم ... وتجَـــرّع الكُرُبـــاتِ أهـــلُ المســـجد

وبنـــى لأهـــل الجهـــل مَجـــداً زائفـــاً ... فبـــدا كبيـــرُهمُ بطلعـــة فرقـــد

يـــا أيهـــا المظلـــوم: إن عزاءنـــا ... فـــي أمـــة الإســـلام غيـــرُ مُحـــدد

فلـــئن ظلِمـــت ، فـــإن أمّتـــك اكتـــوتْ ... بـــالظلم يخـــتم خافقيـــه ويبتـــدي

أمـــمُ الصـــليب علـــى ترائبهـــا جثـــتْ ... وضـــغائنُ الكفـــار لمّـــا تنفـــد

ويهـــودُ أرض الله فـــوق سُـــهولها ... ورياضـــها وهضـــابها والأوهـــد

وعلـــى رُبـــا الأقصـــى دَمـــارٌ قاصـــلٌ ... والكفـــرُ مُختـــالٌ بوجْـــهٍ أربـــد

وتـــرى فلســـطينَ الكســـيرة تشـــتكي ... ترنـــو لهيعـــة مَشـــرفي مُنجـــد

وتـــرى علـــى بغـــداد أخبـــثَ جحفـــل ... مُتتـــرس بســـلاحه مُتســـيّد

فـــوق الـــرؤوس صَـــليبُه مُتـــرنحٌ ... وأتـــى الكِفـــارُ ضـــحىً لأحقـــر مَوعـــد

ويخـــط ـ فـــوق الرمـــل ـ سَـــطوته التـــي ... هـــي مِـــن دَم مُتضـــمّخ مُتبـــدد

ســـحقوا الـــديارَ بأهلهـــا ، لـــم يعبـــأوا ... يـــا ذل صُـــقع للعِـــدا مُســـتعبد!

طعنـــوا النســـاءَ ، ولـــم يُراعـــوا حُرمـــة ... وتعقبـــوا الأطفـــالَ فـــوق الأنجُـــد

ذبحـــوا الكِبـــارَ ، ولـــم يُبـــالوا غِيلـــة ... مـــا بـــين مَغـــدور بـــه أو مُطـــرَد

وعِراقنـــا تحـــت الـــدغاول أحرقـــتْ ... والكفـــرُ قـــبّحَ مِـــن أثـــيم مُوقِـــد!

وشـــبابنا ذاقـــوا الأســـى بصُـــنوفه ... مـــا بـــين مَفتـــوكٍ بـــه ومُصَـــفد

وهنـــاك فـــي (كشـــمير) كوكبـــة الهُـــدى ... يغتالهـــا الهنـــدوسُ دون تـــردُد

وهنـــاك فـــي (البلقـــان) أكبـــرُ فتنـــةٍ ... يحيـــا التقـــيّ بهـــا بقلـــب مُكْمَـــد

أســـفى ، وفـــي الســـودان شَـــرٌ مُحـــدِقٌ ... ولســـوف يُســـفرُ عـــن أذىً وتشـــرّد

أنـــى اتجهـــت علـــى البســـيطة مُسْـــلمٌ ... يُـــؤذى ، ومُســـلمة مُكبلـــة اليـــد

وحُققونـــا ضـــاعتْ ، وأذهـــبَ عِزَهـــا ... كيـــدُ الطغـــاة الكـــافرين الحُشـــد

وديارُنـــا اغتُصِـــبتْ ، ودَك صِـــيانَها ... هـــذا التســـابقُ للرخـــاء المُخلـــد

ودماؤنـــا سُـــفِكتْ بـــدون جريـــرةٍ ونقودُنـــا حِيـــزتْ لأظلـــم أعبُـــد

وكرامـــة الأعـــراب فـــي جَـــوف الثـــرى وتـــراثهم تحـــت الـــدمار المُرصـــد

ومُـــروجُهم فـــي الأســـر تبكـــي خضـــرة ذهبـــتْ سُـــدىً مـــع زهرهـــا المُتـــورد

يـــا أيهـــا المظلـــوم: هـــل مـــن هبّـــةٍ تُزجـــي المُنـــى والجـــاه للمتشـــرد؟

لا يســـتوي المَحبـــورُ والمَقهـــورُ ، لا! شـــتان بـــين مُولـــول ومُغـــرد!

مـــا العـــيش إلا طاعـــة لله فـــي حـــبٍ وخـــوفٍ وفـــق شِـــرعة (أحمـــد)

ورجـــاء رحمـــة ربنـــا والخـــوف مـــن نـــار تلظـــى للطغـــاة بمَرصَـــد

والصـــبرُ نـــورٌ فـــي دروب المُبتلـــى وبـــه الكـــوارث لانفـــراج أغيـــد

والحِلـــمُ زيـــنٌ ، لا ســـجية مثلـــه ودواء كـــل مـــن احتـــواك بمرصـــد

والصـــبرُ نـــور فـــي دروب المبتلـــى وبـــه الكـــوارث لانفـــراج أغيـــد

والرفـــقُ مَرقـــاة تُبلغـــك العـــلا وبـــه تســـيرُ علـــى الصـــراط الأقصـــد

والعـــز يُدركُـــه التقـــي ، فـــلا تـــرى مثـــل التقـــي ، فيـــا لأعظـــم ســـيد

والعلـــمُ أفضـــلُ مـــا يَنـــالُ مـــن اتقـــى والعـــالِمون - الـــدهرَ - أنبـــلُ قصّـــد

والزهـــدُ يجعـــلُ ســـالكيه أكـــابراً خـــابَ الـــذي فـــي عيشـــه لـــم يزهـــد!

يـــا أيهـــا المظلـــومُ ، ربـــك ناصـــرٌ فاجـــأرْ إليـــه بحُرقـــةِ المُســـتنجد

فالنصـــرُ للمظلـــوم منـــه تفضـــلٌ فـــادعُ المهـــيمنَ فـــي جَـــوىً وتوجّـــد

هـــو رافـــعٌ هـــذا الـــدعا فـــوق الغمـــا م ، ومُقسِـــمٌ أن لا انتصـــار لمُعتـــد

بـــل واعـــدٌ بالنصـــر مَظلومـــاً ، ومَـــن حاشـــا مِـــن الـــرحمن أصـــدقُ مَوعـــد؟

ولكـــل مخلـــوق تجبّـــرَ ســـاعة يُقـــتصُّ فيهـــا مِـــن عَتِـــيٍّ ألـــود

ويُقـــالُ للمظلـــوم أخبـــرْ بالـــذي لاقيـــت منـــه ، ويـــا خلائـــق فاشـــهدي

ويُقـــال للجبـــار أقصـــرْ واســـتمعْ ويَمـــر بـــين الخلـــق أفظـــعُ مَشـــهد

وإذا المَـــوازينُ التـــي مـــا أغفلـــتْ ... مِثقـــالَ خردلـــةٍ تُـــرى كـــي تفتـــدي

لا ظلـــمَ ، والـــرحمنُ يقضـــي بيـــنهم ... ويُغِـــل بالأصـــفاد أظلـــمُ مُفســـد

ويقـــالُ للمظلـــوم: جنتـــك ازدهـــتْ ... وتزينـــــتْ أرحابُهـــــا بزبرجـــــد

وأســـاورُ الأضـــياف أنصَـــعُ فضـــة ... ولآلـــــىءٌ قـــد رُصّـــعَتْ بزمـــرد

ولباسُـــهم فيهـــا الحريـــرُ مُعطـــراً ... ومُطـــرزاً بجـــواهر فـــي عَســـجد

وحـــريمُهم حُـــورُ الجنـــان ، فهـــل تـــرى ... فـــي الكـــون أجمـــلَ مِـــن حِســـان خُـــرّد؟

وشـــرابُهم عســـلٌ ومـــاءٌ والحليـــبُ ... وخمـــرة ، يـــا نفـــس يـــا أنسِـــي ردِي!

وطعـــامُهم لحـــمٌ وفاكهـــة ، وقـــد ... لفـــتْ بطلـــح فـــي الجنـــان مُنضـــد

وفراشـــهم مِـــن سُـــندس غـــض ومِـــن ... إســـتبرق يَســـبي العيـــون مُمهـــد

وهُـــدوا إلـــى طِيـــب الكـــلام وعَذبـــه ... وتـــرنم بـــالقول مِثـــل المُنشـــد

يـــا أيهـــا المظلـــومُ: ســـلْ رب الـــورى ... جنـــاتِ عـــدن فـــي جـــوار (محمـــد)

واحقـــنْ سُـــعارَ الغـــيظ تســـمُ إلـــى العـــلا ... واهـــرعْ إلـــى التقـــوى ، ولا تتـــردد

وأدمْ دعـــــاءَك للمليـــــك تـــــذللاً ... وعلـــى الســـميع إجابـــة المُتهجـــد

فلعلك باخع نفسك!

(أحسن ذلك الرجل الطيب المبارك الظن بقوم يلعبون به عقدين من الزمان. وظل هذا المحسنُ الظن يلعب بالنار حتى احترق. وبقدر ما أحسن الظن أخذ يلوم نفسه لوماً عاتياً! فقلتُ له: لعلك باخعٌ نفسك من فرط اللوم. فهوّن عليك ، واستفد من الدرس ، واستدرك أمرك ، واهجر الأوباش. واعلم بأن هذا كله لرفع الدرجات وتكفير السيئات. وكن كما أنت ، على عطائك وبَذلك ، وعلى جُودك وكرمك ، ولا تحسِن الظن بمن بدتْ جلية علاماتُ هزله وعبثه ، وظهرتْ واضحة للعيان أماراتُ نذالته وخِسته ، بغير مُبرر ولا إكراه! ولا تُهلك نفسك ، بل استقبلْ ما استدبرت مِن أمْرك!)

كيف تطوي إباءَك الضراءُ؟ ... يا أبياً أودى به الأدعياءُ؟

كنتَ أحسنتَ بالمَناكيد ظناً ... فإذا هم مَصائبٌ وبلاء

وبنيتَ اليقينَ - فيهم - سراباً ... فتهاوى بما ظننتَ البناء

كيف ترجو مِن الغفاة رَشاداً؟! ... صاح إنّ الأوباش فِعلاً غثاء

لا يُلامُ الأنذالُ ، أنت مَلومٌ ... فتحمّلْ صَرعى إليك أساؤوا

وتسلحْ بالصبر إن رُمت نُصحاً! ... يَعشقُ الصبرَ في الأذى الحكماء!

وتجلدْ في المُعضلاتِ ، وأكثرْ ... مِن دعاء الرحمن ، نِعم العزاء!

أنت أولى بكل سَمتٍ جميل ... فاحتملْ ، لا يلعبْ بك السفهاء

دَعك منهم ومن فعالٍ أتوْها! ... كُن أبياً ، لا يُثنِك اللؤماء

خفِفِ اللومَ ، آهةَ القلب ثَكلى ... والعتابُ يختالُ فيه الشقاء

باخعٌ أنت النفسَ قهراً وحزناً ... وتُدمّي فؤادَك الشحناء

كجوادٍ مُكَبّلٍ بقيودٍ ... تتمنى نضاله الهيجاء

فاعقل الدرسَ واستمعْ نُصح شعري ... والقريضُ يعنو له الشعراء

رُبّ شِعرٍ منه النصيحة فاحتْ ... فتفطنْ لِمَا أتى الأعداء

قلبٌ يُعـــــذب!

(الشعور بالضيم حريٌ أن يُصيب المرء باليأس. ولكن الإيمان بالله يصرفه عن ذلك ويحميه. يقول الأستاذ أحمد أمين تحت عنوان: (عذاب المُصْلحين) ما نصه: (لقد قرأتُ كثيراً من سير المصلحين المجددين ، فرأيتُ اضطهادَ الناس لهم ، دعوة حارة إلى الإصلاح يتبعها تألب العامة عليهم ، واضطهادُ الرأي العام لهم ، والتنكيل بالمُصلِح ، ثم انتصار الأفكار الجديدة التي أتى بها هذا المصلح. لماذا كل هذا؟ ولماذا يتشابه التاريخ حتى كأنه قانونٌ طبيعي؟ ولماذا يتكررُ هذا المنظرُ في الشرق والغرب وكل مكان حل به الإنسان؟ السبب في هذا أن الفكرة الجديدة تأتي فلا تجد مكاناً بيننا).هـ. فعن زوج مخيّر بن طلاق زوجته الناشز ، وبذلك يُضحّي بابنته الوحيدة وببيته أو يتحمل ويعيش بقلب يعذب ، أنشد من البحر المجتث!)

أراغـــــبٌ فـــــي الســـــعادةْ ... ولا يُطيـــــــق الجـــــــلادةْ؟

ألا تحمَّـــــــلْ ، وجاهـــــــدْ ... وكـــــــنْ قـــــــويَ الإرادة

وازرعْ جمـــــــيلاً ، وأحســـــــنْ ... فســـــــوف تجنـــــي حصـــــاده

واصـــــبر علـــــى مـــــا تلاقـــــي ... فالصـــــبرُ نعـــــم العبـــــادة!

واحلـــــمْ علـــــى شـــــر زوج ... أمســـــى لهـــــا الســـــوءُ عـــــادة

نشـــــــوزها لا يُبـــــــارَى ... فتلـــــك تهـــــوَى النكـــــادة

وكـــــم نصـــــحتَ! ولكـــــنْ ... أنـــــى لهـــــذي الإفـــــادة؟

وكـــــم تحمّلـــــتَ منهـــــا ... حتـــــى قلتـــــك الرغـــــادة!

ورغـــــم هـــــذا تجلـــــدْ ... تلـــــقَ الرخـــــا والســـــعادة

فبيتُـــــك اليـــــومَ أولـــــى ... مِـــــن الرخـــــا بالزيـــــادة

وبنتُـــــك - الآن - تشـــــكو ... مـــــا عاينـــــتْ مِـــــن بَـــــلادة

فضَـــــحِّ حتـــــى تراهـــــا ... بـــــين الـــــورى خيـــــرَ غـــــادة

إنـــــا عهـــــدناك فـــــذاً ... وتلـــــك منـــــا شـــــهادة

لـــــذلك اصـــــبرْ ، وصَـــــابرْ ... وارجُ الهنـــــا فـــــي الزهـــــادة

أرشيف المعالي!

(ما كان هذا العبد الموفق ليقبل أن تكون يده السفلى ، برغم تضييق الطواغيت عليه. ولم يقبلْ أن يبيع دِينه ليأكل. فكلفه ذلك الكثير. وزاد من رصيد أرشيف المعالي والسجايا التي تمتع بها الرجل. إن الذي يريد أن يحيا عزيزاً في هذا الزمان فليستعد لحرب لا يعلم إلا الله مداها. وخصومُه في هذه الحرب الطويلة المَدى مُتنوعون في درجة عُدوانهم وفي درجة قرابتهم منه. وتكون الحرب أعتى وأشد عندما يقودها الأرحامُ وذوو القرابات. ولكن هذا لا يعني بالضرورة الرضوخ لضغط الواقع الأثيم الذي يَعيشه. بل المواجهة والاستعانة بالله فإما حياة عزيزة ، أو موتٌ في عِزةٍ كذلك. أكتب هذه اللامية في هذا الموضوع فأقول على مشطور الرجز:)

تحيَّـــــةَ يـــــا ذا المقـــــام العـــــالي ... تعطـــــــرتْ بالشـــــــوق والآمـــــــالِ

كتبتُهـــــا شِـــــعراً شَـــــدتْ أنغامُـــــه ... مُـــــــذكِّراً بـــــــالجود والأفضـــــــال

مُبيِّنـــــاً أخـــــلاقَ فـــــذٍ طيّـــــب ... أفعالُـــــه مِـــــن رائـــــع الأفعـــــال

رأيتُـــــه لـــــم يقتـــــرفْ مـــــن هفـــــوةٍ ... ولـــــم يبـــــعْ دِينـــــاً لأجـــــل المـــــال

ولـــــم يقـــــلْ قـــــولاً بـــــه يرجـــــو الغنـــــى ... فدينـــــه أســـــمى مِـــــن الأقـــــوال

ولـــــم يُؤلـــــهْ غيـــــرَ خـــــلاق الـــــورى! ... مَليكُنـــــا أولـــــى بـــــذا الإجـــــلال

ولـــــم يُفـــــرِّط لحظـــــة فـــــي دِينـــــه ... وإنْ يُواجـــــهْ أشـــــرسَ الأهـــــوال

ولـــــم يجامـــــلْ لحظـــــة مَـــــن أفســـــدوا ... فـــــذاق - فـــــي هـــــذا - لظـــــى الإذلال

وذاك (أرشـــــيف المعـــــالي) شـــــاهدٌ ... وكـــــم تحـــــدّى ســـــطوة الأحـــــوال!

ولـــــم يُقِـــــرَّ الســـــوءَ فـــــي أصـــــقاعنا ... فمـــــا لهـــــذا فـــــي دجـــــى الإضـــــلال

ومَـــــنْ يعِـــــشْ للحـــــق يَشـــــرُفْ مـــــا حَيـــــا ... مُعَظّمـــــا ، ذا قـــــدوةُ الأجيـــــال

السُّمعة الدامية في دياجير التيه

(عندما تُلاك سُمعة برئ بألسنةٍ حِدادٍ لا يرقب أصحابُها في مُؤمن إلاًّ ولا ذمة ، فإن السمعة تئنّ وتبكي دمًا لا دموعًا. والغيبة والنميمة كبيرتان من كبائر الذنوب ، فالواجب الحذر من ذلك ، يقول الله سبحانه: (وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا) ، ويقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (رأيتُ ليلة أسري بي رجالاً لهم أظفار من نحاس يَخدشون بها وجوههم وصدروهم ، فقلت: من هؤلاء؟ فقال جبريل: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون في أعراضهم). هم أهل الغِيبة. ويُعرّف النبي الغِيبة بقوله: (ذكرك أخاك بما يكره). قيل: يا رسول الله إن كان في أخي ما أقول؟ قال: (إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته). فالغيبة في شريعتنا مُنكرة وكبيرة من كبائر الذنوب ، والنميمة أختها من الرضاعة ، يقول الله - جل وعلا -: (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ*هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ). ويقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (لا يدخل الجنة نمّام) ، ويقول بأنه رأى شخصين يعذبان في قبورهما ، وما يعذبان في كثير ، أما أحدهما فكان لا يستنزه من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة! فالواجبُ الحذرُ من مجالسة هؤلاء الذين يغتابون الناس ، ويعملون بالنميمة ، وإذا جلس المسلمُ معهم ، فلينكرْ عليهم ذلك ، ويحذرْهم من مَغبة ذلك ، وليخبرْهم أن هذا لا يجوز ، وأنه منكر ، فإن تركوا وإلا فليقم عنهم ولا يجلسْ معهم ، ولا يشاركْهم في الغيبة ، ولا في النميمة ، حتى لا يؤاخذ بجَريرتهم!)

تَعَـــاوَرَتِ الحِـــرَابُ مَـــعَ السُّـــيوفِ ... عَلَـــى رَجُـــلٍ عَـــنْ السُّـــوآى عَـــزُوفِ

فَوَاعَجَبًـــا تَـــدُورُ رَحَـــى المَنَايـــا ... عَلَـــى شَـــهْمٍ عَـــنِ الـــدُّنْيا عَفِيـــفِ!

ووااأسَـــفِي عَلَـــى الخَلْـــقِ اسْـــتَبَدُّوا ... وَلاحَـــقَ كَيـــدُهُم عِـــرْضَ الشَّـــرِيفِ!

رَأَوْا فِـــي كُـــلِّ عِرْبِيـــدٍ هُمَامًـــا ... وَأَهْـــدَرَ ظُلْمُهُـــم حَـــقَّ الضَـــعِيفِ

وَأَمْسَـــى الجَـــوْرُ طَـــابَعَ كُـــلِّ حَـــيٍّ ... سِـــوَى مَـــنْ دَانَ بالـــدِّينِ الحَنِيـــفِ

فَحَقّـــقَ مَـــا يرِيـــدُ اللهِ مِنـــهُ ... تَعَـــالَى اللهِ مِـــنْ رَبٍّ لَطِيـــفِ!

إِلَـــى الـــدِّينِ القَـــوِيمِ هَـــدَى أنَاسًـــا ... فَعَاشُـــوا فِـــي تُقًـــى سَـــامٍ نَظِيـــفِ

وَبَعْـــدُ أضَـــلَّ قَوْمًـــا عَـــنْ هُـــدَاهُ ... وَأَبْعَـــدَ عَـــنْهُمُ كُـــلَّ الصُّـــرُوفِ

وَأَغْـــدَقَ خَيـــرَهُ جَمًّـــا عَلَـــيهِم ... مِـــنَ النِّعْمَـــى حَـــوَى كُـــلَّ الصُّـــنُوفِ

فَلاكُـــوا العِـــرْضَ مَـــا الْتَزَمُـــوا بِشَـــرْعٍ ... وَفَجَّـــرَ لَـــوْكَهُم أعْتَـــى نَزِيـــفِ

وَكَيـــدُ عُتُـــوِّهِمْ فِـــي الـــنَّفْسِ أمْضَـــى ... بِمِـــينَ اللهِ مِـــنْ وَقْـــعِ السُّـــيوفِ

دَيـــاجِيرُ التَّجَنِّـــي فِـــي البَرَايـــا ... تُمِيـــتُ الحَـــقِّ بِالكَـــذِبِ العَنِيـــفِ

وَتَمْحَـــقُ عِـــزَّةً يـــأوِي إِلَيهَـــا ... مُرِيـــدُ الحَـــقَّ فِـــي دُنْيـــا الزُّيـــوفِ

تَـــئِنُّ السُّـــمْعَةُ الشَّـــهْبَاءُ حُزْنًـــا ... وَيَنْفَعِـــلُ الجَـــوَى بَـــينَ الحُـــرُوفِ

عَلَـــى الأعْـــرَاضِ تُهْتَـــكُ دُونَ حَـــقٍّ ... وَبَـــدْرُ الصِّـــدْقِ آذَنَ بِالخُسُـــوفِ

بداية الطريق

(ظل سنواتٍ ينهزمُ لمن لم يقدروه حق قدره ، ويُظهرُ الانكسارَ لهم. فلما قويتْ شوكتُهم عليه ، أراد أن يردهم ولكنه لم يستطع. فأخذ يستعرضُ الماضيَ فرآه مؤلماً. فقررَ أن يسيرَ في طريق جديد مُغاير بعد أن خانه تقديرُه في معرفة الناس.)

خانـــك التقـــديرُ يـــا أقـــوى بطـــلْ ... فـــارحم القلـــبَ ، كفانـــا مـــا حصـــلْ

لـــم تكـــن أجرمْـــتَ فـــي حـــق الـــورى ... لـــم يكـــنْ همّـــك تضـــخيمَ العِلـــل

لـــم تكـــنْ تعشـــقُ إهـــدارَ القـــوى ... لـــم تكـــنْ تهـــوى متاهـــاتِ الجـــدل

أنـــت مـــا فرقـــت شـــملاً لمّـــه ... خُلـــقٌ يُعْلـــي وتقـــوى وعمـــل

أنـــت أحســـنت لقـــوم أنكـــروا ... كـــل مـــا قـــدمتَ مِـــن جُهـــد المُقِـــل

هـــم أرادوك علـــى مـــا خططـــوا ... وعـــن الأفـــذاذ لا يَرضـــى الســـفل

فانـــأ عـــنهم ، لا تخـــالط طغمـــة ... أو فجاهـــدْهم ، وصـــابرْ ، واحتمـــل

ســـوف لـــن تقـــوى علـــيهم ، فابتعـــدْ ... ربمـــا فـــي البعـــد إصـــلاحُ الخلـــل

وتجنـــبْهم ، فهـــم شـــرُ الـــورى ... واختـــر الـــدربَ ، وخـــفْ عُقبـــى الزلـــل

واحتســـبْ كـــل الـــذي جـــادت بـــه ... كـــفُ شـــهم ، جـــودُه أضـــحى المَثـــل

ســـوف لـــم تعـــدِمَ دربـــاً صـــافياً ... قـــد خـــلا مـــن كـــل ألـــوان الـــدجل

وأنْـــأ علـــى مـــاض جحـــيمٌ ذكـــرُه ... لـــم تُخـــوّنْ فيـــه أربـــابَ الـــدغل

بـــل أمِنـــتَ الكـــل مَهمـــا بـــدّدُوا ... واحترمـــت البُلـــه مِـــن أهـــل الخطـــل

فـــالتمسْ فيمـــا تـــأتّي عبـــرة ... واســـتعنْ بـــالله ، واصـــمدْ يـــا رجُـــل

بعد اليوم بين بين

(اعتاد ذلك الموفق أن يُحسن النية والقصد مع الكل. فجنى عليه هذا المسلك حيث حصد الحنظلَ من ورائه. فقرر أن يتوسط فلا يسرف ، وأن يعتدلَ فلا يغالي. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ، وَلاَ تَحَسَّسُوا ، وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ تَحَاسَدُوا ، وَلاَ تَدَابَرُوا ، وَلاَ تَبَاغَضُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا). أخرجه أحمد والبُخاري. قال النووي: (إن المُحرّم من الظن ما يستمرُ صاحبُه عليه ويستقر في قلبه دون ما يعرض في القلب ولا يستقر فإن هذا لا يكلف به ، ومعناه احذروا إتباع الظن واحذروا سوء الظن بمن لا يساء الظن به من العدول ، والظن تهمة تقع في القلب بلا دليل).هـ. شرح النووي على مسلم. فأنشدتُ قصيدتي في مدح التوسط وعدم المغالاة ، وذلك على الكامل!)

إن التوسّـــط ـ فـــي الأمـــور ـ هنـــاءُ ... ويُضـــــيرُنا الإفـــــراط والغُلـــــواءُ

والله ذمّ المســـــــــرفين مَذمّـــــــــة ... يرتـــــاعُ منهـــــا الصـــــفوة الحكمـــــاء

وكـــذاك ربـــي ذمّ قومـــا قـــد غلـــوْا ... فـــي ديـــنهم ، وتطـــاولوا وأســـاؤوا

هـــيَ أمـــةَ الإســـلام أعـــدلُ أمـــةٍ ... وَسَـــطَ ، وإنْ أزرى بهـــا الجُهـــلاء

وسَـــطَ ، فـــلا إفـــراط يَـــدمَغ سَـــمتها ... كـــلا ، ففيـــه الضـــنكُ والبلـــواء

وســـطَ ، فـــلا تفـــريط يَـــدحضُ شـــأنها ... كـــلا ، ففـــي تفريطهـــا الأرزاء

مـــن أجـــل ذلـــك لا تبـــالغ ، واعتـــدلْ! ... عـــدمُ اعتـــدالك خيبـــةٌ وشـــقاء

كـــنْ مُنصِـــفاً فـــي الحكـــم تُصـــدرُه علـــى ... كـــل الأمـــور كمـــا تـــرى وتشـــاء

كـــنْ بـــينَ بـــينَ لكـــي تعـــيشَ مُوَفقـــاً ... ويُحبـــك الأفـــذاذ والعقـــلاء

وتـــدبّرِ الأفكـــارَ ، أنـــت وليّهـــا ... كـــيلا يُصـــيبك ـ فـــي الحيـــاة ـ بـــلاء

أوَمـــا تـــرى الغـــالين مَلّهـــمُ الـــورى ... والكـــل يُجْمِـــعُ أنهـــم ســـفهاء؟

يـــا صـــاح ـ بعـــد اليـــوم ـ كـــنْ مسترشـــداً ... وادرسْ أصـــولاً خطهـــا العلمـــاء

واعقـــلْ ، ولا تـــكُ طائشـــاً مُتهـــوراً ... إن التعقـــلَ فِطنـــةٌ وذكـــاء

واربـــأ بنفســـك عـــن تملـــق طَغمـــةٍ! ... فتملـــقُ الأوْغـــادِ بـــئسَ الـــداء!

بعد اليوم

(بعد عِشرةٍ طويلةٍ ، تبين له أن من يعاشرهم اعتادوا في تعاملهم على الأخذ دون العطاء ، وأنهم يُغلبون الجاهلية على الإسلام. فقال: لي منكم موقفٌ محددٌ واضح. وعاش الرجل على الحياد مع قوم لا يستحقون الاحترام ولا التقدير! ذلك أن الحياة أخذ وعطاء ، وليست استغلالاً واستنزافاً لما عند الآخرين ، بدون بذل شيء من رد الجميل والمعروف!)

طرائـــــقُ عِشـــــرتكم مُخجلـــــة ... ولـــــن تســـــتمرَ – بـــــيَ - المَهزلـــــة

كفـــــاني الـــــذي ذقـــــتُ مـــــن وُدكـــــم ... ومـــــا قـــــد نســـــجتم مـــــن البَلبلـــــة

وكـــــم كنـــــتُ أحسِـــــنُ ظنـــــي بكـــــم! ... وأنهـــــي خلافاتِنـــــا المعضـــــلة

وعشـــــــتُ أوَقِـــــــرُكم حِســـــــبة ... وأطـــــــري المكانـــــــة والمنزلـــــــة

وأزرعُ فـــــي الـــــدرب وَردَ الصـــــفا ... وأجتـــــث - مِـــــن بيننـــــا - الحنظلـــــة

وأســـــتبعدُ الشـــــك مِـــــن خـــــاطري ... بـــــنفس - علـــــى أهلهـــــا - مُقبلـــــة

وأوفـــــي ، وإن هـــــدّ عزمـــــي الوفـــــا ... وأحمـــــلُ – للمعتـــــدي - سُـــــنبلة

إلـــــى أن تبـــــين عكـــــسُ الـــــذي ... يُرينيـــــهِ حُبـــــي وفـــــرط الصِـــــلة

توقفـــــتُ أنشـــــدُ لـــــي موقفـــــاً ... يُجَلـــــي الحقـــــائقَ مسترســـــلة

يُبَـــــيّن لـــــي مَـــــن أجـــــود لهـــــم ... كـــــريح - بـــــأغلى العطـــــا - مُرســـــلة

يُبَـــــيّن لـــــي أنكـــــم جَوقـــــة ... تُحِـــــب الهـــــوى والأذى والبَلـــــه

وتأخـــــذ ليســـــت تحـــــبُ العطـــــا ... وتعشـــــقُ أهواءَهـــــا المُبْطلـــــة

دخلـــــتم حيـــــاتي ، فلكْـــــتُ الشـــــقا ... وروحـــــي - بتـــــدميركم - مُثقلـــــة

وكِلـــــتم مشـــــاكلَ مثـــــلَ اللظـــــى ... تتـــــابَعُ مُشـــــكلة مُشـــــكلة

ألا بعـــــد يـــــومي لكـــــم دربُكـــــم ... وعهـــــداً ســـــألتزمُ الحســـــبلة

فأين المعايير؟

(التمسَ من أقاربه فضلاً عن معارفه القرض إلى ميسرة. وبرغم قدرة من قصد على الإقراض ، لكن البخل كان هو الجواب. وهبت ريح الخذلان المتوقعة من أقارب كان الأحرى بهم أن يحملوا عن هذا المسكين المنتسب إليهم هموم الحياة وأعباءها الثقيلة. ولكنهم آثروا الخذلان كعادتهم. الأمرُ الذي جعله يلتمس المال على سبيل القرض من غيرهم. ولما لم يجد من أهل مِلته ولا من أهل قرابته ، عمد إلى سؤال من لا يجتمعون معه في نسب ، ولا في قوميةٍ ، ولا في جيرة ، ولا في زمالة ، ولا في صداقة ، ولا في دين! وكانت المفاجأة التي لم يتوقعها أبداً. حيث جاد عليه وأشفق من هو على غير مِلته. فدعا له من كل قلبه بالهداية ، وشكره على الجميل. ولو أن هؤلاء الأقارب زوراً وبهتاناً جعلوها واحدة بواحدة ، لكان للأمر وجه. ذلك أن قريبهم هذا قد تقدم بجميله عليهم ولم يقصر في حقوقهم. بل كان سبباً في كل ما آل إليهم من الثراء بعد أن كانوا فقراء! على أن ديننا لا يُقر أبداً مقابلة الإساءة بالإساءة. بمعنى أن الرجل حتى لو قصّر في حقوقهم ، فكان عليهم أن يكرموه. (أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك) (وأنْ أعفو عمن ظلمني). فما بالنا إن كان الرجلُ لم يُقصِّر؟ فكتبتُ من الطويل.)

معـــاييرُكم ليســـت تســـاوي دُريهمـــا ... فـــلا تنكـــأوا جرحـــاً تُقرحـــه الـــدِّما

نـــأيتُم وكـــان البخـــلُ أقصـــى عطـــائكم ... وأمســـى لكـــم سَـــمتاً وطبعـــاً ومَعلمـــا

فيـــا ليتنـــي لـــم ألـــتمسْ مـــنكمُ العطـــا ... ولـــو أننـــي أبقـــى مـــدى الـــدهر مُعْـــدِما

خـــرقتُم معـــاييرَ القرابـــة والإخـــا! ... وجرعتُمـــوني الهـــمّ والغـــمّ علقمـــا

وأهـــدرتمُ حقـــي ، وبعـــتُم قرابتـــي ... ولـــم تقبلـــوا عُـــذري ، وكممـــتمُ الفمـــا

ألا تـــذكرون المجـــد كنـــتُ بنيتُـــه ... لكـــم ، رغـــم إمـــلاق علـــيّ تحتمـــا؟

ولســـتُ الـــذي يشـــكو المليـــك لخلقـــه ... ولكنـــه حـــالُ الـــذي – بالشـــقا - اســـتمى

ولـــم أقتـــرفْ فـــي حقكـــم مـــا يَعيبنـــي ... وكيـــف تعيبـــون الـــذي مـــا تجهمـــا؟

تحمّلـــتُ مـــنكم مـــا ينـــوءُ بعُصـــبة ... وعانيـــتُ مـــا أودى بنفســـي وبـــالحِمى

ومـــا الأهـــل إن لـــم يكفلـــوا أقربـــاءَهم ... فيكفـــلُ مَيســـورٌ فقيـــراً بـــه احتمـــى؟!

ومـــا الأهـــل إن لـــم يبـــذلوا الخيـــرَ حِســـبة ... لمـــن خصَّـــهم دَهـــراً بخيـــر وأكرَمـــا؟

ومـــا بـــي مـــن البلـــوى ســـوى مـــا أهمّنـــي ... وأدعـــو لمـــا ألقـــى الـــذي هـــو فـــي السـما

فيـــا رب مَكّـــنْ لـــي وأصـــلحْ ســـريرتي ... ومِـــن كربتـــي ارزقنـــي رَخـــاءً ومَغنمـــا

ويـــا ربنـــا اهـــد العبـــدَ أقـــرض لـــم يخـــف ... وكـــم جـــاد لـــم يحنـــثْ ، ووفـــى وأنعمـــا!

صَمتُ الثبات

(الثبات على الحق نعمة. لا يدركها إلا من تعرض للبلاء والمحنة والفتنة. وإذا كان الصمت من ذهب فإن كلمة الحق من ماس. وإذا دُفع الإنسان دفعاً إلى الجهر بالباطل يكون الصمت أولى. ويصبح صمت الثبات أروع من صوت السقوط. إن سحرة فرعون عندما عرفوا الحق ورأوا نوره الساطع لم يهتموا بوعد فرعون (نعم وإنكم إذن لمن المقربين) ، ولا اكترثوا بوعيده (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، ولأصلبنكم في جذوع النخل ، ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى). ولم يلقوا لتهديده بالاً. فكان ردَّهم عليه منبعث من قوة يقينهم وصلابة إيمانهم ، فقالوا:(لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا). قال الشيخ السعدي – رحمه الله -: (لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات). العلامات الدالات على أن الله هو الرب المعبود وحده ، المعظم المبجل وحده ، وأن ما سواه باطل ، ونؤثرك على الذي فطرنا وخلقنا سبحانه وتعالى ، هذا لا يكون (فاقض ما أنت قاض) مما أوعدتنا به ، من القطع والصلب والعذاب. (إنما تقضي هذه الحياة الدنيا) أي: إنما توعدنا به ، غاية ما يكون في هذه الحياة الدنيا ، ينقضي ويزول ولا يضرنا ، بخلاف عذاب الله ، لمن استمر على كفره ، فإنه دائم عظيم. تفسير السعدي(ص509). إن من توفيق الباري سبحانه وتعالى لعبده أن يسر له الأخذ بالأسباب التي بعونه سبحانه تعينه على الثبات عند هيجان الفتن وكثرة البلايا والمحن ، فيُبصر طريق الحق فيسلكه ، ويعرف طريق الباطل فيتجنبه ، ومن أهم هذه الأسباب: اللجوء إلى الباري سبحانه والافتقار إليه ، فهو سبحانه العاصم من كل الفتن ، والعبد ليس له غنى عن ربه سبحانه وتعالى مهما بلغت مكانته وعلت منزلته ، قال تعالى: (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً). قال الشيخ الشنقيطي - رحمه الله -: بيّن جل وعلا في هذه الآية الكريمة تثبيته لنبيه - صلى الله عليه وسلم - ، وعصمته له من الركون إلى الكفار. أضواء البيان(178/3). ولهذا يُستحب لمن نزل به مكروب ، وكثرت عليه الخطوب ، أن يفوض أمره لله جل وعلا ويعترف بضعفه ، ويدعو بما علمه النبي - صلى الله عليه وسلم - ، حيث قال - صلى الله عليه وسلم -: دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ ، اللهم رَحْمَتَكَ أَرْجُو فلا تَكِلْنِي إلى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وَأَصْلِحْ لي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إلا أنت. رواه أبو داود من حديث أبي بكرة - رضي الله عنه - وحسنه الألباني. قال المناوي- رحمه الله -: أي: لا تفوض أمري إلى نفسي لحظة قليلة قدر ما يتحرك البصر. التيسير بشرح الجامع الصغير (6/2). قال ربيع بن هادي: (قال الصحابة – رضوان الله عليهم -: واللهِ لولا الله ما اهتدينا ، ولا تصدقنا ولا صلَّينا ، يعني أنَّهم معترفون بأنَّ الهداية من الله تعالى منٌّ وفضلٌ منه سبحانه وتعالى ورحمة منه لمن شاء من عباده (يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ). يمتن على من يشاء ، ويتفضّل على من يشاء بالهداية ، ويُسدِّدهم ويُوفِّقهم سبحانه وتعالى ، وتحفُّهم عنايته تبارك وتعالى من الزيغ والضلال والانحراف. (ويُضِلُّ من يشاء): إمَّا بالضلال الكامل كالكفر والخروج من الإسلام – عياذاً بالله تعالى -. وإمَّا الضلال الجزئي: ضلال من يدخل في الإسلام فيضِلُّ في عقيدته وفي منهجه - عياذاً بالله تعالى -. فهذا الضلال حصل بمشيئة الله تعالى. والهداية التي نالها ، وإن كانت ضئيلة من الله سبحانه وتعالى ، فالأمر كلُّه له والحكم له سبحانه وتعالى ونواصي العباد بيده ، وقلوب الناس بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء سبحانه وتعالى. ولهذا علَّمنا رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - أن ندعو: (يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلوبنا على دينك).

الإنسان لا يُوكل إلى نفسه (ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين). ولو وُكِل الناس إلى أنفسهم لهلكوا في دينهم ودنياهم ، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي بيده كلُّ شيءٍ ، والأمور كلُّها بيده ونواصي العباد بيده ، وقلوب الناس جميعاً بين إصبعين من أصابعه تعالى وتقدَّس سبحانه وتعالى).هـ. وأيضاً من الأسباب: أن يسأل الله عزَّ وجلَّ الثبات على الدين القويم والصراط المستقيم. فالمؤمن لا يأمن على نفسه من الزيغ بعد الهداية والانجرار مع الفتن بعد الوقاية ، فالقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن سبحانه وتعالى يقلبها كيف يشاء ، فعن أنس - رضي الله عنه - قال: (كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُكْثِرُ أَنْ يقول: يا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي على دِينِكَ ، فقلت: يا رسول الله آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟! قال: نعم إِنَّ الْقُلُوبَ بين إصبعين من أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ.رواه الترمذي وصححه الألباني. قال المناوي- رحمه الله -: قال الحليمي: هذا تعليم منه لأمته أن يكونوا ملازمين لمقام الخوف مشفقين مِن سلب التوفيق غيرَ آمنين من تضييع الطاعات ، وتتبع الشهوات. فيض القدير. وكذا الاستعاذة من شرور الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ من الْفِتَنِ ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ ، فقالوا: (نَعُوذُ بِاللَّهِ من الْفِتَنِ ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ). رواه مسلم من حديث زيد بن ثابت - رضي الله عنه -. وكذلك من الأسباب: الرجوع إلى العلماء الربانيين والأخذ بأقوالهم إذا هاجت الفتن فهم أبصر الناس بخطرها وأعلمهم بعواقبها وآثارها ، قال الإمام الحسن البصري رحمه الله: الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم وإذا أدبرت عرفها كل جاهل. الطبقات الكبرى لابن سعد (166/7). وإذن فهي معادلة صعبة أن يُخيّر الإنسان بين عقيدته وحياته! وقليل من الصالحين من يوفقهمُ الله سبحانه وتعالى لاتخاذ القرار الصائب قبل الفتنة والسقوط!)

إن في الصمت السلامة ... ولمَن يطغى القيامة

وإذا في الحرف كيدٌ ... وثآليلُ الزعامة

ما على الأخرس عُتبٌ ... بل ، ولا أدنى ملامة

وإذا الباطل أرغى ... وادّعى طبع الصرامة

واستكان القومُ دهراً ... جعلوا الجُبنَ علامة

دفنوا - في الرأس - دهراً ... مثلما تلهو النعامة

نشدوا في الذل عزاً ... ورأوْا فيه السلامة

فتنازلْ عن لسان ... واجعل الصمت كلامه

وانأ عن ذل المطايا ... نعم هذي مِن كرامة!

إنما الفكرة نورٌ ... تمنحُ الذات الشهامة

تبعـــــــثُ النفحـــــــة قلبـــــــاً واعـــــــداً ، تنفـــــــي الســـــــآمة

وحـــــــرامٌ ذبـــــــحُ هـــــــدْي فـــــــي ثنايـــــــاهُ الإمامـــــــة

ثـــــم يُرمـــــى فـــــي البيـــــادي مثلمـــــا تُرمـــــى القمامـــــة

صـــــمتُ حاميهـــــا كـــــلامٌ وإذ الحـــــرفُ دمامـــــة

فـــــإذا لـــــم تحتملهـــــا صـــــاح ضـــــعها فـــــي الغمامـــــة

ذاك أحلـــــى مـــــن مصـــــير بعـــــده كـــــل الندامـــــة

شِعرٌ يؤبّنُ صاحبه!

(تخيلتُ أنني قد رحلتُ عن الدنيا ، وخلفتُ قصائدي للرقاد الطويل ، تحظى بالإهمال والتضييع والترك! وذلك كما حظيَ صاحبها من قبل بالإهمال والتضييع والترك! ذلك أن الشعر كغيره من الفنون ، ما لم توجد جهة تتبناه وتتابعه وترقى به ، ورواة يروونه ويتناولونه ومطابع تشرفُ عليه تدقيقاً وتحقيقاً وتنقيحاً ونقداً ودراسة وطباعة ونشراً وتوزيعاً ، فإنه يحكمُ عليه بالضياع والإهمال والترك! ولقد حاولتُ قدر المستطاع في خضمّ الحياة الهائج المتلاطم الأمواج ، وسعيرها اللافح المستعر ، ومشاغلها اللامحدودة ، وحاجاتها المُلِحة ، ومطامحي وآمالي وطموحاتي وأمنياتي التي هي أضعاف عمري ، وكنتُ موقناً أن العمر سوف ينقضي يوماً ولم أحققْ عُشر معشار هذه الآمال والطموحات والأمنيات ، حاولتُ والحال هكذا أن أنشر هذا الشعر قدر المستطاع ولكنني للأسف لم أستطع حيث عضلتْ بي إمكانياتي والواقع المزري الذي يصغي لشعراء الإسفاف والرذيلة وليس يُعنى بشعراء القيم والفضائل والأخلاق! وكان مما يهوّن عليّ إحساسي هذا وتجربتي تلك أن أجد في عصري شعراء كثيرين من شعراء القيم والأخلاق كان مصيرهم هكذا! رغم فحولتهم وفحولة شعرهم فلم يكن حال أحدهم يختلف كثيراً عن حالي! ولقد بصرتُ بالواحد منهم ولم أبلغ عشر معشار رصيده الشعري وحسّه الفني وإبداعاته الشعرية ، ولم يستطع نظراً لضغوط الحياة وضغوط الواقع الجاهلي المعاش ، لم يستطع أن يجد لشعره روزنة صغيرة ولا مشربية صغيرة يُطل من خلالها بشعره على الناس! وإن كثيراً من الشعراء على مَرّ العصور وكرّ الدهور كانوا يُعوّلون على ورثتهم فيعهدون إليهم تلميحاً أو تصريحاً بتبني ما كتبوه وطباعته ونشره إن أدركهمُ الموت! وكان ورثتهم على ضربين: إما مهتمٌ بالشأن تكريماً للوالد ، وإما إيماناً بقضاياه التي ناقشها وقدمها للناس في أشعاره! وإما غير مهتم ولا مبال تماماً بما كتب والده ، حيث إنه أضاف إلى إهماله للشعر عدم إيمانه به ولا بقضاياه! والضرب الأول قليل جداً في الناس ولا شك! ومن هنا تضيعُ عشرات بل مئات بل آلاف القصائد كل وقت وحين وتموت بموت شعرائها! وما ذاك إلا بسبب إهمال الشاعر فيها قبل أن يدركه الموت ، وإما لأنه ابتليَ بورثةٍ ما تركه أبوهم من مال عيني ونقدي أحب وأغلى مما تركه من شعر وفكر وأدب! ولمّا كنتُ أرى بوادر ذلك آثرتُ أن أجعل شعري أحد أبنائي فأفردتُ له مصروفاً ووقتاً وجهداً لأراه يتبوأ أسمى المقامات وأرقى المكانات! وهو عموماً جهدُ المُقِلّ الضعيف المعوز المُعدِم! حيث إن الحاجات كثيرة وضغوط الحياة أكثر ، ولا نشكو ما نعانيه إلا لله وحده! ولئن كانت القضية قضية المال الذي تكون به الطباعة ويكون به النشر والتوزيع ، فهناك ما هو أكبر وأكبر وهو كم العراقيل والعقابيل التي سنها ووضعها الجبّارون للحيلولة بين الناس وبين الشعر القيمي الأخلاقي ، وهناك ما هو أكبر وأكبر وأكبر ألا وهو انصرافُ الناس في عُمومهم عن القراءة ابتداءً ، وإن قوماً يزهدون في قراءة كتب العقيدة والتوحيد والتفسير والحديث ، لهم أزهدُ وأزهدُ في قراءة الشعر والأدب! ونعود لسبب كتابة القصيدة وجوها النفسي فنقول: لقد كان الباعث على كتابه هذه القصيدة هو إحساسي بقرب النهاية وانقضاء الأجل المعلوم والمحتوم! حيث تخيلتُ نفسي ـ والحال هكذا ـ أنني قد رحلتُ عن الدنيا وغسلتَ وكفنتُ وحُمِلتُ وشُيعتُ وأدخلتُ قبري! ولم يعد يذكرني أحد ولا يبكيني أحد ولا يحزنُ عليّ أحد ، إلا أشعاري وقصائدي اللاتي لبسن السوادَ حُزناً عليّ ورحن يندبن حظهن وما لقينه من الإهمال والترك والتضييع قبل مماتي وبعده! وتخيلتُ فيما تخيلتُ أن شعري صار هو الذي يؤبنني وينعيني ويبكيني ، كما كنت أؤبن غيري وأنعيه وأبكيه شعراً

ونثراً! وذلك لأنه عدم من يؤبنني وينعيني ويبكيني ، فانتهزها شعري مبادرة لطيفة منه فأخذ اليراع ، وبدأ يكتب هذه القصيدة في تأبين شاعره أحمد سليمان ، ذلك الشاعر الذي حظي شعرُه بالإهمال والترك والتضييع في حياته فكيف بعد موته؟! والأمل في الله تعالى كبير أن يتولى من يُحققه ويُنقحه ويُدققه ولو من أحفادنا الأعزاء ، ولو بعد عقود وها أنا ذا أدعو له وقد وسّدتُ الثرى ، بأن يُقيل الله عثرته كما أقال عثرة ذلك الشعر البائس! ولعل زمانه يكون أفضل من زماني! وكان دوري أن أحافظ له على النص الشعري وقد فعلت! والله المستعان على كل حال ، وله سبحانه الأمر من قبل ومن بعد! ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين! ولنطالع كيف أبّبني شعري وقد رحلتُ عن عالم الحياة والأحياء ودنيا الناس! وذلك في قصيدة هي الأغرب في شكلها ومضمونها وموضوعها وعنوانها! ولم يطرق هذا الموضوع شاعر! إذ المعتاد أن يؤبن الشاعر غيره! ولكن أن يؤبن الشاعر نفسه فهو أمرٌ غريب مستبعد تماماً! يقول الأستاذ الفاضل جمال المراكبي عن الموت ما نصه: (فإن الله عز وجل جعل الموت حلقةً من حلقات الحياة يتم به الاختبار والابتلاء؛ فالموت ليس فناء كما يعتقد الجاهلون ، بل هو انتقال من دار إلى دار ، وبرزخ يفصلُ بين حياتين: حياة الاختبار والابتلاء ، وحياة الجزاء والبقاء. والحياة الحقيقية هي حياة الآخرة وإن آثر أكثر الناس الحياة الدنيا ، قال تعالى: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ}. وقال: {إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ}. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة» (رواه البخاري). والموت هو اليقين حقّا ، وإن أعرض الناس عنه وحادوا ، والحياة الدنيا دار البلاء والاختبار والعمل لما بعد الموت. قال تعالى: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ}. وقال: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} أي: الموت. ولما مات عثمان بن مظعون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما عثمان فقد جاءه اليقين». فالموت حق لا يُعرض عن ذكره إلا غافل ، ولا يفر منه إلا جاهل ، قال تعالى: {قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}. ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإكثار من ذكره والاستعداد له ، فقال: «أكثروا ذكرَ هادم اللذات». ففي ذكر الموت فوائد عظيمة: فهو أدعى لقصر الأمل في الدنيا والزهد في زخارفها ، والحرص على العمل الصالح وإحسانه ، ومحاسبة النفس على ما فعلت ، والمبادرة للتوبة النصوح ، وأداء الحقوق إلى أصحابها ، ثم هو يردع عن المعاصي ويلين القلب القاسي ، وذكر الموت في كل حال أدعى لصلاح الحال ؛ ففي صلاتك: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اذكر الموت في صلاتك ، فإن المرء إذا ذكر الموت في صلاته فحري أن يحسن صلاته ، وصل صلاة رجل لا يظن أنه يصلي صلاة غيرها». (صحيح الجامع). وفي صباحك ومسائك: «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لمرضك ، ومن فراغك لشغلك». والموت راحة للمؤمن من تعب الدنيا ونصبها ونهاية سعيدة لهذا الابتلاء الذي عاناه فيها ، أما الكافر فبالموت يبدأ شقاؤه وعناؤه والعياذ بالله. مرت جنازة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مستريح أو مستراح منه ؛ أما المؤمن فيستريح بالموت من تعب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله عز وجل ، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب» (البخاري). وتبدو هذه الراحة في بشارة الملائكة للمؤمن عند الموت لا تخف ولا تحزن وأبشر بالجنة، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّـهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ. نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ

فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ. نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ}. والبلاء الذي يتعرض له المؤمن قبل موته يكفر عنه ذنوبه ويرفع درجته ؛ فإنه لا يصيب المؤمن همٌّ ولا غمٌّ ولا نَصَب ولا أذيً حتى الشوكة يشاكها إلا كفّر الله بها من خطاياه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا ابتلى الله العبد المسلم ببلاء في جسده ، قال الله عز وجل لملائكته: اكتبوا له صالح عمله ، فإن شفاه الله غسله وطهّره ، وإن قبضه غفر له ورحمه». (صحيح الجامع).هـ. لقد كان مفتاح تعاملي مع الشعر هو احتسابه عند الله تعالى وقصره على أبواب الخير التي واحد منها الدعوة إلى الله! قَالَ ابْنُ القَيّم رَحِمَهُ اللهُ فِي حَادِي الأَرْوَاحِ: وَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِكلّ مَطْلوبٍ مِفْتَاحًا يُفْتَحُ بِهِ فَجَعَلَ مِفْتَاحَ الصَّلاةِ: الطَّهورِ ، وَمِفْتَاحَ: الحَجِّ الإِحْرَامُ ، وَمفتاحَ البِرِ: الصَّدَقَةُ ، وَمِفْتَاحَ الجَنَّةِ: التَّوْحِيدُ ، ومِفتاحَ العِلم: حُسْنُ السَّؤَالِ ، وَحُسْنَ الإِصْغَاءِ ، وَمفتاحَ النَّصْرِ والظَّفَرِ: الصَّبْرُ ، وَمفتاحَ الْمَزِيد: الشُّكْرُ ، وَمِفْتَاحَ الوِلايَةِ:المَحَبَّةُ ، وَمِفْتَاحَ الرَّغْبَةِ فِي الآخِرةِ: الزُّهْدَ في الدُّنْيَا. وَمفتاحَ الإيمانِ: التَّفكرُ فِيمَا دَعَا اللهُ عِبَادَهُ إلى التَّفَكُر فيهِ ، وَمَفْتَاحَ الدُّخُولِ عَلَى اللهِ: إسلامَ القَلْبِ وَسَلامَتَهُ لَهُ والإخْلاصَ لَهُ فِي الحبّ والبُغْضِ لَهُ والفعلَ والتَّرْكَ ، ومفتاحَ حياةِ القَلْبِ: تَدبّرَ القُرْآنِ والتَضَرُّعَ بالأسْحَارِ ، وَتَرْكَ الذُّنوبِ ، وَمَفْتَاحَ حُصُولِ الرَّحْمَةِ: الإحسانُ في عِبَادَةِ الخَالِقِ والسَّعْي فِي نَفْعِ عَبِيدِهِ ، وَمَفْتَاحَ الرِّزْقِ : السَّعْيُ مع الاسْتَغْفَارِ والتَّقْوَى ، ومِفْتَاحَ العِزّ: طَاعَةُ اللهِ ، وَمِفْتَاحَ الاسْتِعدَادِ للآخِرَةِ: قَصْرُ الأمَلِ ، وَمِفْتَاحَ كُلّ خَيْرُ: الرَّغْبَةُ فِي اللهِ والدَّارَ الآخِرَةَ ، وَمُفْتَاحُ كُلّ شَرٍ: حُبُّ الدُّنْيَا وَطُولُ الأمَلِ. وَهَذَا بَابٌ عَظِيمٌ مِنْ أَنْفَعِ أَبْوابِ العِلْمِ وَهُو مَعْرِفَةُ مَفَاتِيحِ الخَيرِ والشَّرِ ولا يُوَفَّقُ لِمَعْرِفَتِهِ وَمُرَاعَاتِهِ إلا مَنْ عَظُمَ حَظُّهُ وَتَوْفِيقه فإنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ لِكُلّ خَيْرٍ وَشَرٍ مِفْتَاحًا وَبَابًا يَدْخُلُ مِنْهُ إِلَيْهِ كَمَا جَعَلَ الشَّرْكَ وَالْكِبْرَ والإعْرَاضَ عَمَّا بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ وَالغَفْلَةُ عَنْ ذِكْرِهِ والقِيامِ بِحَقِّهِ مِفْتَاحًا لِلنَّارِ وَكَما جَعَلَ الخَمْرَ مِفْتَاحَ كُلّ إثْمٍ ، وَجَعَلَ الغِنَاءَ مُفْتَاحَ الزِّنَا ، وَجَعَلَ إطْلاقَ النَّظَرِ فِي الصُّوَرِ مِفْتَاحَ الخَيْبَةِ والحِرْمَانِ ، وَجَعَلَ الْمَعَاصِي مِفْتَاحَ الْكُفْرِ ، وَجَعَلَ الكَذِبَ مِفْتَاحَ النِّفَاقِ ، وَجَعَلَ الشُّحَ والحِرْصَ مِفْتَاحَ البُخْلِ وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ وأَخْذَ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ حِلّهِ ، وَجَعَلَ الإعْرَاضَ عَمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِفْتَاحَ كُلِّ بِدْعَةٍ وَضَلالٍ ، وَهَذِهِ أُمُورٌ لا يُصَدِّقُ بِهَا إلا كُلُّ مَنْ لَهُ بَصِيرةٌ صَحِيحةٌ وَعَقْلٌ يَعْرِفُ بِهِ مَا فِي نَفْسِهِ. انْتَهَى. وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: عَلامَةُ تَعْظِيمِ الأَوَامِرِ والنَّواهِي رِعَايَةُ أَوْقَاتِهَا وَحُدُودِهَا والتَّفْتِيشُ عَلَى أَرْكَانِهَا وَوَاجِبَاتِهَا وَكَمَالِهَا والحِرْصُ على تَحَيُّنِها في أَوْقَاتِهَا والْمُسَارَعَةِ إِلَيْهَا عَنْدَ وُجُوبِهَا والحُزْنُ والكآبَةُ والأسَفُ عِنْدَ فَوَاتِ حَقٍّ مِنْ حُقوقِهَا كَمَنْ يَحْزَنُ عَلَى فَوَاتِ الجَمَاعَةِ وَيَعْلَمُ أَنَّهَا لَوْ تُقُبِّلَتْ مِنْهُ صلاتُهُ مُنْفَرِدًا فَإِنَّهُ قَدْ فَاتَهُ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ ضِعْفًا. وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً يُعَانِي البَيْعَ والشِّرَاءَ يَفُوتُهُ فِي صَفْقَةٍ وَاحِدَةٍ فِي بَلَدِهِ مِنْ غَيْرِ سَفَرٍ وَلا مَشَقَّةٍ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا لأَكَلَ يَدِيهِ نَدَمًا فَكَيْفَ وَكُلُّ ضِعْفٍ مِمَّا تُضَاعَفُ بِهِ صَلاةُ الجَماعَةِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ وَأَلْفِ أَلْفٍ وَمَا شَاءَ اللهُ تَعَالى).هـ.)

صَـــمَتَ القـــريضُ ، وأطرقـــتْ أوزانـــي! وزَوى البيـــانُ ، وأمســـكتْ ألحـــاني!

وبكـــتْ علـــيّ قصـــائدي وفرائـــدي وبكـــى الخيـــالُ بدمعـــه الهتـــان

ونحيـــبُ أســـئلتي يُرجّـــعُ ثاويـــاً حـــالاً توشّـــحَ بالمصـــير الآنـــي

هـــذي دواوينـــي تُشـــاطرُني الأســـى لتُحـــدّ مِـــن مَرثيـــة الأحـــزان

ويقـــول شَـــعري: أنـــت تـــاركني لمـــن لأبيـــت - مِـــن ألـــم الرحيـــل - أعـــاني

أنـــت الـــذي أكرمتنـــي ونفحتنـــي وأجَـــدْتَ فـــي نظمـــي بكـــل تفـــاني

وبـــذلتَ جُهـــداً فـــي الكتابـــة لـــم أزل أطريـــه فـــي سِـــر وفـــي إعلانـــي

وأضـــفت لـــي بعـــض الجديـــد لأســـتمي فرفلـــتُ فـــي منظومـــة الأوزان

ألبســـتني حُلـــل الترفـــع والعُـــلا حتـــى ازدهـــى - بـــين اللغـــات - بيـــاني

غنيتنـــي لحنـــاً يُغـــرّدُ جَرْســـه فـــي الخـــافقين شـــدا ، كمـــا الكـــروان

أبـــدعت فـــي رســـمي بـــأظرفِ ريشـــةٍ وغمســـتها فـــي أبهـــج الألـــوان

وحبكـــت ترتيـــب الكـــلام تكلفـــاً بترنمـــاتٍ طهّمـــتْ بحنـــان

وطرقـــت أبـــوابَ القـــوافي حاديـــاً وذكـــرت ، لـــم تـــركَنْ إلـــى النســـيان

واليـــومَ تتركُنـــي ، وترحـــل صـــامتاً فمَـــن الـــذي تعنيـــه رفعـــة شـــاني؟

ومَـــن الـــذي يعنيـــه أمـــري فـــي الـــورى ويَصُـــدّ مـــا ألقـــى مـــن العـــدوان؟

ويـــرد هجمـــة حاقـــدٍ مستشـــرق يبغـــي ويرفـــعُ رايـــة الطغيـــان؟

ويُجيرُنـــي ممـــن تطـــاولَ واعتـــدى وأذاقنـــي بـــالرغم كـــأسَ هـــوان؟

ويَـــردّ لـــي بعـــض الكرامـــة والإبـــا ويُعيـــد مَجـــداً ضـــاعَ ، ثـــم قلانـــي؟

ومَـــن الـــذي يبكـــي لمـــا قـــد نـــالني مِـــن غربـــةٍ ذهبـــتْ بعـــذب صِـــياني؟

ومَـــن الـــذي يجتـــثُ صـــائلة العِـــدا ويُعاجـــلُ الهمـــجَ الغثـــا بطِعـــان؟

أوَمـــا تـــرى (الـــديوان) يخنقـــه الجـــوى لفِـــراق صـــاحبه اللطيـــف الحـــاني؟

لمَـــن القصـــائدُ قـــد تركـــت كســـيرة ودمـــوعُهن سَـــواجمُ وحَـــوان؟

ينـــدبْن حَظـــاً سُـــوّدتْ صَـــفحاتُه وفصـــوله تنعيـــه كـــل أوان

مُـــتجَللاتٍ بالســـواد قوانتـــاً أنْ لـــيس يقـــرأهن مِـــن إنســـان

وكأنـــه المـــوتُ المُمَـــنهجُ غيلـــة وافـــى بـــلا نـــذر ولا اســـتئذان

مـــات الـــذي وهـــبَ القـــريضَ حياتـــه وأعـــاره حُلـــلاً مِـــن التبيـــان!

واليـــوم عشـــعشَ فـــي صـــحائفها الثـــرى ... وقـــد اغتـــدتْ تشـــكو مـــن الهجـــران

غـــدتِ القصـــائد كاليتيمـــات اختفـــتْ ... بَسَـــماتُهن ، ومـــا لهـــنّ يـــدان!

كـــن الغـــواليَ فـــي الصـــياغة والصُـــوى ... يحملـــن خيـــرَ مَطـــامح وأمـــان

يســـلبن بعـــض صـــواب كـــل متـــيّم ... والشـــعرُ يُطـــربُ كـــل ذي هَيَمـــان

يســـكنّ آفـــاق القـــرائح والنهـــى ... فيزدْنهـــا بطـــلاوة الرجحـــان

كـــن الخرائـــدَ يحتفـــين بعاشـــق ... أمســـى يُقلـــبُ صـــفحة الـــديوان

واليـــوم نـــاح الشـــعرُ ينعـــي مَـــن قضـــى ... ويقـــول فـــي ثقـــةٍ وفـــي اطمئنـــان:

تعســـاً لحـــال لا أطيـــقُ بقاءهـــا ... ذهبـــتْ بنـــور ســـكينتي وكِيـــاني

فجُعلـــتُ إرثـــاً لا يَطيـــبُ لـــوارثٍ ... وقصـــائدي أغلـــى مِـــن العِقيـــان

فـــي أربعـــين مـــن الســـنين صـــياغتي ... وقصـــائدي - فـــي مَـــرّهن - غـــواني

لـــم يـــألُ جهـــداً صـــاحبي فـــي نظمهـــا ... فـــي الـــنص والأفكـــار والعنـــوان

عـــانى وكابـــدَ ، ثـــم ســـلّ يراعـــه ... وأتـــى بشـــعر عـــاطر مُـــزدان

كـــم خصّـــه بسِـــنِيّ عُمْـــر أثمـــرتْ ... شِـــعراً يفـــوقُ أزاهـــرَ البســـتان!

كـــم جَـــدّ فـــي نظـــم القصـــائد ذائـــداً ... عـــن قيمـــةٍ ومبـــادئ ومعـــاني!

كـــم ســـخر الأشـــعارَ تخـــدمُ دينـــه ... ليســـودَ هـــذا الـــدينُ فـــي البلـــدان!

ولكَـــم بهـــذا الشـــعر أبّـــن مَـــن مضـــى ... مِـــن أنبـــل العلمـــاء والخـــلان!

ولكَـــم بهـــذا الشـــعر نـــاوأ ظالمـــاً ... يعتـــدّ بـــالقوات والســـلطان!

ولكَـــم بهـــذا الشـــعر أصـــلحَ واقعـــاً ... أضـــحى يُحـــاربُ شِـــرعة الـــرحمن!

ولكَـــم بهـــذا الشـــعر لامَ مقصّـــراً ... واللـــومُ يَصـــقلُ دُربـــة الإخـــوان!

ولكَـــم بهـــذا الشـــعر ناصـــحَ غـــافلاً ... والنصـــحُ يَنفـــعُ صـــاحبَ النســـيان!

ولكَـــم بهـــذا الشـــعر أيقـــظ نائمـــاً ... مـــا كـــان فـــي دنيـــاه باليقظـــان!

ولكَـــم بهـــذا الشـــعر أطـــرى مُحْســـناً! ... والمـــدحُ يُشـــعلُ جَـــذوة الإحســـان

ولكَـــم بهـــذا الشـــعر فصّـــل مُبهمـــاً ودليلـــــه يحتـــــاجُ للبرهـــــان!

ولكَـــم بهـــذا الشـــعر حـــلّ عويصـــة ثقلـــتْ عـــن القـــدرات والأذهـــان!

ولكَـــم بهـــذا الشـــعر جاهـــدَ مَـــن طغـــى ومَـــن اســـتبدّ ، وشـــط فـــي العِصـــيان!

ولكَـــم بهـــذا الشـــعر عَـــرّض بـــالألى رَكَنـــوا لكيـــد وســـاوس الشـــيطان!

ولكَـــم بهـــذا الشـــعر عـــارضَ فرقـــة مِـــن خِيـــرة الشـــعراء فـــي الأوطـــان!

ولكَـــم بهـــذا الشـــعر خَـــصّ فضـــيلة بالمـــدح والتـــرويج فـــي إتقـــان!

ولكَـــم بهـــذا الشـــعر أرشـــدَ قومَـــه للخيـــر والمعـــروف دون تـــوان!

واليـــوم يســـكنُ قبـــرَهُ مُستســـلماً لقضـــا المليـــك الواحـــد الـــديّان

والمـــوت حـــقٌ لـــيس يُنكـــره الـــورى مـــاذا تفيـــدُ بشـــاعة النكـــران؟!

ويقولهـــا شِـــعرُ الفقيـــد صـــراحة: إنـــي أوَبّـــنُ شـــاعري المتفـــاني

أبكيـــه فـــذاً لـــم ينـــلْ مـــن فرصـــةٍ مُنِحـــتْ لشـــرذمة مـــن الغربـــان!

نعِقـــوا ، وعَـــمّ نعـــيقهم أصـــقاعَنا وأتـــوْا بمـــا هـــو لـــيس فـــي الحُســـبان!

أبكيـــه مظلومـــاً ، وأنصـــرُ حقـــه لأراه بـــين النـــاس غيـــرَ مُـــدان!

وأفنـــدُ الشـــبهاتِ عنـــه تأصّـــلتْ وترسّـــختْ بـــالزور والبُهتـــان

أبكيـــه شَـــهماً للمناقـــب كـــم دعـــا حسْـــب الـــذي قـــد كـــان فـــي الإمكـــان!

وجنـــت عليـــه صـــراحة وطبيعـــة إذ لـــم يكـــن بمُخـــادع دُهقـــان

خبَـــر الحيـــاة بكهفهـــا ورقيمهـــا واختـــارَ آخـــرة لنيـــل جنـــان

أبكيـــه جـــادَ بمـــا تملـــك حِســـبة يرجـــو ثـــوابَ المُـــنعم المَنـــان

والنـــاسُ أتبـــاعُ الكـــريم وحِزبُـــه وأحبـــة المُتفضـــل المِعـــوان

أبكيـــه مِضـــيافاً ، يَـــبَشّ لضـــيفه والحُـــرُ يُكـــرمُ جيئـــة الضـــيفان!

إذ عـــاش يتخـــذ العطـــاءَ وســـيلة لنـــوال عفـــو الله والرضـــوان

أبكيـــه عَفـــاً عـــن مغازلـــة النســـا ... مـــا عـــاش يَشـــغفُ لحظـــة بحِســـان!

لـــم يتخـــذ وَلـــعَ العـــذارى حِيلـــة ... لِلعْـــب مُحتـــالاً علـــى النســـوان!

وإذا أتتـــه وَليـــة فـــي حاجـــةٍ ... لـــبسَ الحيـــاءَ ، وغَـــضّ طـــرفَ عِيـــان

وأعارَهـــا أخلاقـــه ونوالـــه ... لمّـــا يقـــلْ عِشـــقُ الكعـــاب غزانـــي

وقضـــى لهـــا مـــا تبتغـــي مُســـتعلياً ... عمـــا يَميـــلُ إليـــه قلـــبُ حَصـــان!

واحتـــاط للـــنفس اللجـــوج مِـــن الهـــوى! ... يـــأتي الهـــوى بالســـوء والخســـران

لمّـــا يعـــشْ يومـــاً أســـيرَ ذوائـــب ... لـــم تخفهـــا بُحبوحـــة الفســـتان

لـــم يُغـــره مِـــن غـــادةٍ تهريجُهـــا ... بـــل خصّـــها فـــي التـــو باســـتهجان

أبكيـــه لـــم يُحْـــن الجبـــينَ لظـــالم ... متجبّـــر مســـتكبر خـــوّان

عـــاش الأبـــيَ ، وإنْ تـــدنى غيـــره ... والحُـــرُ يَـــأنفُ عِيشـــة العُبـــدان

يـــا صـــاحبي مِـــت العزيـــزَ ، ولـــم تـــزلْ ... وبـــرغم أنـــف الظلـــم والكفـــران

فعليـــك مـــن رب الســـما رَحَماتُـــه ... وأنـــا لـــيَ المـــولى العظـــيم الشـــان!

واللهُ ناشـــرُني ومُبْلـــغ حُجّتـــي ... وقضـــيّتي فـــي عـــالم الإنســـان!

صدقت يا أبتاه

(أقدم على الزواج من امرأةٍ. وكان أبوه قد حذره منها ومن أهلها ، ونصحه بالبُعد عنها وعنهم ، فلم يَنتصحْ ، ولم يتبينْ له صدقُ أبيه إلا بعد الزواج فندم ، إذ غلّب هواه! ولله دَر من قال: (الهوى وما أدراك ما الهوى ، المفسد العظيم من مفسدات القلوب ، هو عن الخير صاد ، وللعقل مضاد ؛ لأنه يُنتج من الأخلاق قبائحها ، ويُظهر من الأفعال فضائحها ، ويجعل ستر المروءة مدلوكاً ، ومدخل الشر مسلوكاً ، والهوى مطية الفتنة ، والدنيا دار المحنة ، فانزل عن الهوى تسلمْ ، وأعرضْ عن الدنيا تغنمْ ، ولا يَغرنك هواك بطيب الملاهي ، ولا تفسدنك دنياك بحسن العوافي ، فمدة اللهو تنقطع ، وعارية الله ترتجع ، ويبقى عليك ما ترتكبه من المحارم وتكتسبه من الجرائم).هـ. فتخيلته يعتذر لأبيه في خجل ، فأنشدتُ هذه القصيدة.)

بَصُـــرْتُ بنصـــحِكَ لمّـــا اكتـــوى ... فـــؤادي بمُـــرِّ الأســـى والجـــوى

فيـــا ليتنـــي كنـــتُ مسترشـــداً ... بنصـــحٍ جميـــعَ الرشـــاد احتـــوى

أســـاتُ الظنـــون ، فلـــم أكتـــرثْ ... وصِـــرتُ ضـــحيّة هـــذا الهـــوى

وغلّبـــتُ رأيـــي بـــلا حجـــةٍ ... فتاهـــتْ معـــالمُ أهـــدى صُـــوى

وذقـــتُ الهـــوانَ بـــلا رحمـــةٍ ... وواجهـــتُ فـــي الـــدرب أعتـــى القـــوى

فمـــا الظـــن بالعبـــد يـــأبى الهُـــدى ... وينصـــاعُ طوعـــاً لمـــا قـــد غـــوى؟

صـــدقتَ أبـــي فـــي الـــذي قلتـــه ... ويـــا ليـــت قلبـــي إليـــه أوى!

لقـــد جرعَتْنـــي العـــروسُ الأذى ... وقلبـــي - مِـــن العائـــدات - ارتـــوى

وكنـــتُ أؤمـــلُ فيهـــا الهنـــا ... وأرفـــعُ طاعـــة ربـــي لِـــوا

وعشـــتُ أطبّـــب أمراضَـــها! ... وكانـــت دمـــائي ودمعـــي الـــدوا

وجئـــتُ لهـــا بالـــذي تشـــتهي ... وكنـــا علـــى الخيـــر - حقـــاً - سَـــوا

وغيَّـــر أخلاقهـــا أهلهـــا ... فباتـــتْ تُبـــالغ فـــي الالتِـــوا

وأضـــحَوْا جميعـــاً شـــقائي الـــذي ... طـــلاقَ الحِيلـــة كـــان انتـــوى

لـــيَ اللهُ ممـــا ألاقـــي هنـــا ... فيـــا ربنـــا الطـــفْ بعبـــدٍ هـــوى

سامحوني أيها الأبناء!

(إن أسمى حقوق الأبناء على الآباء المسلمين أن يُحْسِن الآباء اختيارَ الأمهات والأصهار والأحساب والأنساب! فتكون الأمهاتُ طالباتِ علم ، وعلى خلق ودين بوصفهن مصانع الرجال! وإلا كانت النتائجُ وخيمة! ويكون الأصهار والأنساب طلاب علم كذلك ، وعلى خلق ودين! فقبل الإنفاق والتربية والتعليم والتوجيه والرعاية والبذل يتعين اختيار الأم الصالحة العفيفة طالبة العلم الواعية الناصحة الأمينة! وتكون من بيئة أو عائلة لها ذات المواصفات! ذلك أن جاهلة لن تُربي ، ولن تعلم ولن توجه! ومعنى جاهلة هنا ليس كونها أمية لا تقرأ ولا تكتب ، أو لم تحصل على الشهادات والدرجات العلمية! لا! وإنما جاهلة بعلوم الشرع ، بالحلال والحرام ، بالتوحيد والعقيدة. ولقد تحصل على الماجستير والدكتوراه في علوم الدنيا ، وهي لا تحسن كيف تتوضأ ، ولا تعرف شرطاً واحداً من شروط لا إله إلا الله! فضلاً عن أن تعرف الفرق بين الربوبية والألوهية ابتداءً! ولا تفقه سُنة ولا واجباً ولا مندوباً ولا مكروهاً! وإن عجوزاً تفقه العقيدة والتوحيد لأفضل بكثير من دكتورة في الجامعة لا تعرف شيئاً عن الإسلام ورسالته! وهذا الأب الذي في قصيدتنا هو رجل لم يحسن اختيار أم أولاده ولا أهلها ، فجنى الحنظل وسار على الشوك وتجرع الدم ، وجنى وأولاده منها النتائج الوخيمة! وكانت الحياة معها ضرب من ضروب الشقاء والجاهلية! وإنما الرجل أخِذ بمعسول الكلام والتشدق بالسنة ، بل الجوهر لم يكن شيئاً مذكوراً! فلقد أعجبه من أهلها صناعتهم للكلام المنمق المزخرف ، وعندما عرض الأمر على ابنتهم صمتتْ ، فأعاد الطلب فلم تُحر جواباً! فأفهمها بأن الأهل إن أجبروها فإنه قادر على إنهاء الموضوع في سلام! فإذا بها تصمت للمرة الثالثة! ففهم من ذلك أنها ليست مُغرراً بها ولا هي مُكْرهة على ذلك! وكان الزواج غير الميمون ولا المبارك ، وكانت العثرات تلو العثرات ، والنكبات تلو النكبات! وخرج الأبناء فيهم من الجاهلية ما الله به عليم ، من جَرّاء هذه الزيجة وتلك الزوجة! فاعتذر لأبنائه اعتذاراً لطيفاً ، وطلب إليهم أن يسامحوه على هذا الخطأ الجسيم الذي حرمهم التربية العقدية السليمة! وتحت عنوان: (أسس الاختيار الصحيح للزوجة والزوج) يقول الكاتب الأديب الأستاذ: عادل عبد المنعم أبو العباس ما نصه بتصرف: (هناك أسس صحيحة لاختيار الزوجة الصالحة! الأساس الأول – الدين: إن أول أساس وضعه لك الإسلام ، لاختيار شريكة العمر ، أن تكون صاحبة دين ، ذلك أن الدين يعصم المرأة من الوقوع في المخالفات ، ويبعدها عن المحرمات ، فالمرأة المتدينة بعيدة عن كل ما يغضب الرب ، ويدنس ساحة الزوج. أما المرأة الفاسدة المنحرفة البعيدة عن هدى دينها ، وتعاليم إسلامها ، فلا شك أنها تقع في حبائل الشيطان بأيسر الطرق ، ولا يؤمن عليها أن تحفظ الفرج ، أو تصون العرض ، بل إن الخطر يشتد إذا كان مع الفساد جمال ، ومع الجمال مال. من أجل ذلك بالغ الإسلام في حَثِّك أيها المسلم على اختيار ذات الدين ، وحضك على البحث عنها في كل بيت مسلم أمين. فها هو ذا رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ، يبين لك أصناف الناس في اختيار المرأة ، ثم يدلك على الصواب فيقول: [تنكح المرأة لأربع: لمالها ، ولجمالها ، ولحسبها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك] (رواه البخاري) ، فإذا صرفت نظرتك عن الدين ، ورحت تنشد الجمال وحده أو الحسب والنسب ، والجاه والمال ، فاعلم أنك مغبون ، وهمتك قاصرة. وينصح صلى الله عليه وسلم آمراً ناهياً في قوله: [لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة سوداء خرماء ، ذات دين أفضل] (رواه ا بن ماجه). فلم يضع الإسلام مقياساً "الملكة جمال العالم" لأنه لا يوجد بعد من تتمتع بإجماع آراء الرجال وإنما اكتفى بأن يكون جمال منظرها نسبياً بالنسبة لك ، وخلاصة القول أنه إذا لم يكن إلا الجمال ، من غير دين... فلا! وإذا لم يكن إلا المال ،

من غير دين... فلا! وإذا لم يكن إلا الحسب ، من غير دين... فلا! ذلك أن (جمال الوجه مع قبح النفوس كقنديلٍ على قبر المجوسي)! أما إذا كان مع الدين ، جمال ، ومال وحسب فبالأولى ، ولكن مع ذلك يستهدف الدين أولاً! وقد كان أسلافنا الصالحون حِرَاصاً على ابتغاء ذات الدين ، مهما تكن عاطلاً من حلية الحسب والنسب ، والمال والجمال. وآية ذلك ، صنيع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في إيثاره ابنة بائعة اللبن زوجاً لابنه عاصم ، وقد كان ـ رضي الله عنه ـ يتمنى أن تكون زوجة له لو كانت به حاجة إلى زواج ، على ما روى الثقات من المؤرخين وفي طليعتهم الإمام ابن الجوزي في تأريخه لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب حيث يقول: روى ابن زيد عن جد "أسلم" قال: بينما كنت مع عمر بن الخطاب ـ وهو يعّس بالمدينة ـ إذا هو قد أعيا فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل فإذا امرأة تقول لابنتها: يا بنتاه قومي إلى اللبن فامذقيه (أي اخلطيه) بالماء ، فقالت لها ابنتها: يا أُمتاه ، أما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم ، ألا يُشاب اللبن بالماء ، فقالت الأم: قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء ، فإنك في موضع لا يراك فيه عمر ولا منادي عمر ، فقالت البنت لأمها: والله ما كنت لأطيعه علانية وأعصيه سراً ، وكان أمير المؤمنين ـ في استناده إلى الجدار ـ يسمع هذا الحوار فالتفت إليّ يقول: يا أسلم ، ضع على هذا الباب علامة ، ثم مضى أمير المؤمنين في عسه ، فلما أصبح ، ناداني: يا أسلم امض إلى البيت الذي وضعت عليه العلامة ، فانظر من القائلة ، ومن المقول لها؟ انظر هل لهما من رجل؟ يقول أسلم: فمضيت ، فأتيت ، الموضع فإذا ابنة لا زوج لها ، وهي تقيم مع أمها وليس معهما رجل ، فرجعت إلى أمير المؤمنين عمر فأخبرته الخبر ، فدعا إليه أولاده ، فجمعهم حوله ثم قال لهم: هل منكم من يحتاج إلى امرأة فأزوجه؟ لو كان بأبيكم حركة إلى النساء ، ما سبقه أحد منكم إلى الزواج بهذه المرأة التي أُعرف نبأها ، والتي أحب لأحدكم أن يتزوجها. فقال عاصم يا أبتاه تعلم أن ليس لي زوجة فأنا أحق بزواجها ، فبعث أمير المؤمنين من يخطب بنت بائعة اللبن لابن أمير المؤمنين عاصم ، فزوجه بها ، فولدت له بنتاً تزوجها عبد العزيز بن مروان ، فولدت له خامس الخلفاء الراشدين الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليهم أجمعين! كان من يمن هذا التصرف الكريم أن جاءت ثمرة هذا الزواج ، خليفة لا تعرف الإنسانية له نظيراً في عدالته ، وزهادته ، وسعادة رعاياه به ، ـ رضي الله عنه ـ وتسألني الآن عن صفات ذات الدين من النساء؟ وأجيبك بما قاله صفوة البشر صلى الله عليه وسلم فعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أخبركم بخير ما يكنــز المرء؟ المرأة الصالحة التي إذا نظر اليها سرته ، وإذا غاب عنها حفظته ، وإذا أمرها أطاعته. وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل ، خيراً له ، من زوجة صالحة: إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله]. (رواه ابن ماجه). وإذا كان هذا هو وصف الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم للمرأة الصالحة المتدينة فإنه ولا شك أنها موجودة في البيئة الصالحة الطيبة ، فإن كان رب البيت من الصالحين الأتقياء فلا بد من أن تكون بنياته من العفيفات المتدينات. والأساس الثاني: الخلق! أما الأساس الثاني لاختيار شريكة الحياة فهو أن تكون صاحبة خلق ، والحقيقة أن هذا العنصر مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأساس الأول الذي هو الدين ، ذلك أن المتدينة لا بد من أن تكون صاحبة خلق ، لأن دينها سيمنعها من فحش القول ، وبذاءة اللسان ، وسوء المنطق وثرثرة الكلام ، وعلى كل فحسن الخلق أساس قويم ، ومنهج حكيم في البحث عن المرأة ، وصدق لقمان الحكيم عندما قال لولده يا بني اتق المرأة السوء فإنها تشيبك قبل المشيب ، يا بني استعذ بالله من شرار النساء ، واسأله خيارهن فاجهد نفسك في الحصول على الصالحة الطيبة تلق السعادة أبد الحياة. والأساس الثالث ـ أن تكون بكراً: ثم إن الإسلام طالبك ورغبك بأن تكون امرأتك التي تريد الزواج بها بكراً ، وما رغب في ذلك

إلا لأن طبعك الإنساني يألف الجديد ، وينفر من امرأة مسها واحد قبلك ، ولهذا قال نبيك الكريم صلى الله عليه وسلم لصاحبه الجليل جابر بن عبدالله عندما علم أنه تزوج ثيباً: [هلا بكراً تلاعبك وتلاعبها] ، فعلل الصاحب الجليل زواجه بالثيب بأن أباه قد مات وترك له أخوات صغيرات يحتجن إلى الرعاية والعناية ، وأن الثيب في هذه الحالة أقدر على رعاية البيت ، ولولا هذا الذي قدره الله وقضاه لكانت بكراً ، وفي المرأة البكر فوائد جليلة ، ومحاسن وفيرة ، حيث إنها تجعل كل حبها لهذا الذي اختارها من بين آلاف النساء ، وما الحب إلا للحبيب الأول ، ثم إنها لم تجرب الرجال من قبل فلا شك في أنها ستمنح من يتزوج بها جميع ما تملك من مودة وحنان. والأساس الرابع: أن تكون ولوداً. ومن الأسس التي وضعها لك الإسلام ، أن تختار المرأة الولود. والولود تعرف بشيئين: الأول: خلو جسمها من الأمراض التي تمنع الحمل ، ويرجع في هذا إلى المتخصصين من الأطباء الذين هم أهل الذكر في هذا الشأن ، وهو ما رأته بعض الدول من ضرورة العرض على الطبيبات قبل الزواج! الثاني: أن ننظر في حال أمها وعشيرتها ، وأخواتها المتزوجات ، فإن كنَّ من الصنف الولود فهي ولود في الغالب - إذا أراد الله - ذلك أن للوراثة من الأدوار ما لا يخفى ، ومن أجل ذلك أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم بالبحث عن المرأة الولود. فعن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالباءة ، وينهى عن التبتل نهياً شديداً ويقول: [تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة]. رواه أبو داود والنسائي. وعن معقل بن يسار ، قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني أصبت امرأة ذات حسن وجمال وإنها لا تلد أفأتزوجها؟ قال: "لا" ، ثم أتاه الثانية فنهاه ، ثم أتاه الثالثة ، فقال: [تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم] (رواه النسائي وأبو داود). والأستاذة نوال العتال تقول تحت عنوان: (معايير اختيار الزوجة) ما نصه بتصرف يسير: (الزواج سنة الله في الكون ، فبالزواج تُعمّر الأرض عن طريق التكاثر والتناسل ، كما أن الزواج يكون سكناً لكلا الزوجين ، وفيه الطمأنينة والراحة إذا كان اختيار كل من الزوج والزوجة صحيحاً ، فالمرأة تكون أمينة في مال زوجها وعرضه ، وتربي أبناءه ، وتحفظ سره ، ولهذا حثت الشريعة الإسلامية على حسن اختيار الزوجة. وهناك عدّة معايير لاختيار الزوجة: أن تكون ذات دين: فقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (تنكح المرأة لأربع: لجمالها ولمالها ولحسبها ولدينها -ثم قال صلى الله عليه وسلم- فاظفر بذات الدين تربت يداك)، فيستحب أن تكون الزوجة ذات دين حتى تُعين زوجها على طاعة الله - عز وجل - وتربّي أبناءه تربية صالحة ، فيصلح بذلك المجتمع! الأصل والمنبت الحسن: ويعني أن تكون طيبة الأصل ، ومن عائلة طيبة وحسنة ، فهذا يؤثر على تربية الزوجة وتنشئتها. وحُسن الخُلق: بحيث تكون الزوجة صاحبة خلق حسن ، وهذا مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالدين ، فدين الزوجة يمنعها من القول الفاحش ، وبذاءة اللسان ، وثرثرة الكلام ، وسوء المنطق وقد أوصى لقمان الحكيم ولده وقال له: "يا بني ، اتّق المرأة السوء فإنها تشيبك قبل المشيب ، يا بني استعذ بالله من شرار النساء ، واسأله خيارهن ، فاجهد نفسك في الحصول على الصالحة الطيبة تلق السعادة أبد الحياة". أن تكون المرأة ولوداً: ويعني أن تكون المرأة قادرة على الإنجاب بخلوّها من الأمراض التي تمنع الإنجاب ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (تزوّجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة). تتعدد معاير اختيار الزوجة الصالحة في الإسلام ويبقى أساسها وجوهرها الدين ، كما أن حسن الخلق والأصل والمنبت الحسن مهمّ أيضاً ، ويستحبّ أن تكون الزوجة ولوداً).هـ. والأستاذة القديرة سناء الدويكات تقول تحت عنوان: (اختيار الزوجة الصالحة) ما نصه بتصرف: (شرع الله – تعالى – الزواج ؛ ليكون اللبنة الأولى في المجتمع ، والتي تتحقق من خلالها السكينة والمودة وإشباع الرغبات والميول الفطري بين كل من الجنسين الذكر والأنثى ، يقول -تعالى-: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) وأما عن كيفية اختيار الزوجة الصالحة ، فكما أن المرأة مأمورة بأن تتحرى الاختيار الملائم للزوج الصالح ، فإن الرجل كذلك مأمور بأن يتحرى الاختيار الملائم للزوجة الصالحة ، لتُبنى أسرة متماسكة ، وتساهم في تقدم ورفعة الأمة والمجتمع فالزوجة الصالحة هي خير متاع الدنيا. وأما عن كيفية اختيار الزوجة الصالحة فهو كالآتي: اختيار ذات الدين: إن من الأمور التي دعا إليها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اختيار الزوجة ذات الدين ، والتي يأمن الرجل معها على عرضه وبيته وماله ، كما أنها تكون معينًا له على مختلف وجوه الخير ، وتربي أبناءها تربية صالحة ، وتكون ذات لطف ولين ولا تكلف زوجها فوق ما يطيق. اختيار ذات الجمال: وإنه يجدر الإشارة إلى أن الجمال نسبي ويختلف من شخص لآخر ، المهم أن يختار الرجل من يجد أنها تشبع رغبته ، وتعفه عن الحرام ، ومن تكون أقرب إلى الوئام والمودة وحسن المعاشرة. اختيار ذات المال: إن التكاليف المالية عمومًا في الزواج من واجبات الرجل ، إلا أن اختيار امرأة قد تكون ذات مال مما قد يخفف عن الرجل من بعض التكاليف للكماليات التي تحتاجها المرأة ، كما أنها قد تساعده في سد بعض الحوائج إذا احتاج للمال يومًا ما. اختيار ذات الحسب: إن نسب المرأة مما يؤثر تأثيرًا مباشرًا على الأبناء ، فهم يأخذون جزءًا من الصفات الوراثية لأخوالهم ، كما أن اختيار العائلات الراقية والمحترمة يؤدي إلى تبادل الاحترام بين كل من الرجل وعائلة زوجته ، وبين عائلة الزوجة وعائلة الزوج).هـ. ولكن ضحية قصيدتنا فرجل لم يحسن اختيار زوجته ولا اختيار عائلتها ، فذاق الويلات عبر مسيرة زوجية فاشلة ، وراح يعتذر لأولاده عن الجريمة التي أجرمها في حقهم جميعاً! فترجمتُ اعتذارَ الأب لأبنائه شعراً! وأنا أعتذر الاعتذار كله عن طول المقدمة! وما ذاك إلا لأحيط القراء خاصة الرجال بأسس اختيار الزوجة في الإسلام! ولأبْطِل المقولة الملعونة التي تقول: (إن الذي يتزوج امرأة لا يتزوج أهلها!) بل يتزوجها وينصهر بأهلها ، وكلمة (ينصهر) لا تقل كثيراً عن كلمة (يتزوج) إن لم تكن تزيد!)

أبنـــائيَ الغـــرَّ خـــانتْني أظـــانيني ... فبُـــوْتُ مِـــن زَلتـــي بالعِيشـــة الـــدون!

أخِـــذتُ بـــالمَنطق المَـــدهون فلســـفة ... وانصَـــعتُ للهـــاجس المُحْـــتجّ بالـــدين

وغرَّنـــي قـــولُ (زيـــدٍ) قبـــل فعلتـــه ... وكـــم يُغـــر فتـــىً بقـــول مَلســـون!

ومِلـــتُ مَـــيلاً عظيمـــاً لا حُـــدودَ لـــه ... لخـــادعين ذوي خبْـــل دَهـــاقين

ثـــم اتبعـــتُ الـــذي صـــاغوه مـــن دَجَـــل ... لمّـــا اســـتعاروا لـــه أحلـــى المَضـــامين

وكنـــتُ بيّـــتٌ حُسْـــن الظـــن تكرمـــة ... فـــي عـــالم سَـــيئ الأوصـــاف مَـــدْجون

وكنـــتُ أخلصـــتُ فـــي سِـــر وفـــي عَلـــن ... وكنـــتُ عاملـــتُ كـــل النـــاس بـــاللين

عَـــدّيتُ خيـــري لغيـــري ، والجميـــعُ رأوا ... ومـــا مننـــتُ ، ومـــا ســـاءتْ أظـــانيني

وعشـــتُ مـــا عشـــتُ مِعوانـــاً ومُحتســـباً ... أعطـــي المَعـــوذ ، وأرْضـــي كـــل مِســـكين

ولـــم أغلـــب غـــرورَ الـــنفس يجعلنـــي ... أصـــارعُ العـــيشَ بـــالتحقير والهُـــون

حتى ابتُليتُ بأفاكين دَيدَنُهم ... بين الخلائق تصميمُ الأسافين

واعتادَ أفجرُهم تلميعَ سِيرته ... بما تيسّرَ مِن قول وتزيين

مازال بالخطب العصماء يُتْحِفني ... مَزيدة بقناعاتٍ وتبيين

مازال يُظهرُ لطفاً لستُ ألمسُه ... في غيره شارحاً بعض البراهين

مازال يَخدَعُني بما يُمارسُه ... من الأكاذيب تُشجي قلبَ محزون

مازال يتلو نصوصاً لستُ أحفظها ... مُرّجّعاً صوته بعذب تلحين

مازال يَصحبُني إلى محاضرةٍ ... لكي يُسَرّ بها فؤادُ مفتون

مازال يسمعُ مني ما أبوحُ به ... من القصائد بين الحين والحين

مازال يُدهشُني بما يُرَدّدُه ... من الثناءات تحوي خيرَ تدشين

مازال يدأبُ في حُسنى مُجاملتي ... مُقدّماً عَبْرَها بعضَ الرياحين

مازال يُقنعُ مَن حَولي بمَنقبتي ... بطيّب مِن لطيف القول مَوزون

حتى وثِقتُ به ، واخترتُ صُحبته ... وإنْ يكنْ حوله بعضُ الشياطين

واخترتُ زوجيَ مِن بناته شغفاً ... رأيتُها غادة تأوي لتحصين

وقلتُ: عَلّي - على الأيام - أرشِدُها ... فالعقلُ ذو رَشَدٍ يبدو وتفطين!

فأظهرتْ – كأبيها – الحبَ يَشفعُه ... بعضُ الدلالات تُزجيها بتلوين

وتم عقدٌ وإشهارٌ ومَأدُبة ... في مَحفل – في فناء الدار - مَيمون

وخادعت نفسَها والأهلَ قاطبة ... إذ وافقتْ مثلما خصّتْ بتلقين!

وكلفتْنا جميعاً فوق طاقتنا ... ولم يكنْ عندها أدنى الموازين

ماذا عليها إذا باحت بما اقتنعتْ ... بسِر قلب شديدِ الوقع مكنون؟!

ماذا عليها إذا ما صارحتْ رجلاً ... أبدى صراحته بغير توطين؟!

قال: اصْدُقيني ، ولا تُبدي مُراوغة ... وإنّ صِدقكِ - يا أختاه - يَكفيني

أنا سأنهي الذي لا تأذنين به ... ولن أقول: أفادتْنا بتأذين!

ولـــن تكـــون بمـــا أدلـــي مفاجـــأة! فـــالرأي رَأيّـــي ، ومـــا جـــدوى الأفـــانين؟!

لكـــنّ صَـــمتكِ قـــد أضـــحى مُوافقـــة وفـــقَ الشـــريعة ، بـــل وفـــقَ القـــوانين

صَـــمتُ الفتـــاة إذا مـــا رُوجعـــتْ (نَعـــمْ)! كأنـــه نـــصُ مَرســـوم ومَضـــمون!

فـــي دارنـــا هـــذه ، أو فـــي قـــرى عَجَـــم فـــي الشـــرق فـــي الغـــرب أو فـــي الهنـــد والصـــين

وبعـــدُ تـــم زواجٌ مـــا أريـــدَ بـــه وجـــهُ المليـــك ، فمـــا وافـــى بتمكـــين!

وأوقِـــدَتْ فتنـــة أنـــا ضـــحيتُها! وأنـــتِ ناجيـــة مـــن كـــل إســـفين!

هـــل مُوقـــدُ النـــار يُصْـــليها لتحرقـــه؟! ثـــم اتُهمـــتُ بتشـــكيكٍ وتخـــوين

ومَـــدّ كـــلّ إلـــى الحليـــل مُدْيتـــهُ والشـــائعاتُ غـــدتْ مثـــلَ الســـكاكين

فـــأين عِلمُـــك – فـــي البلـــواء – يُنقـــذنا؟! وأيـــن نخـــوة أصـــهار ميـــامين؟!

واســـتحكمتْ عِيشـــة بالجهـــل قـــد دُمغـــتْ دارتْ رَحاهـــا ، ولـــم تعمَـــد لتســـكين

وعِشـــتُ مـــا عِشـــتُ فـــي ذل ومَسْـــكنةٍ كمـــا يعـــيشُ ذلـــيلاً كـــلُ مِســـكين!

أمـــا الضـــحايا فهـــم أبنـــاءُ مـــا اقترفـــوا إثمـــاً ، ولا اتُهمـــوا يومـــاً بتـــدجين

مـــا أدركـــوا الأم تهـــديهم وترشـــدُهم حتـــى ينـــالوا مقـــامَ الفقـــه فـــي الـــدين

أبنـــائيَ الصِـــيدَ كُفـــوا عـــن مُؤاخـــذتي إنـــي لمُعتـــرفٌ بـــالخِزي والهُـــون

أخطـــأتُ فـــي حقكـــم خِطـــأ أبـــوءُ بـــه ولا يُعَوّضُـــه مُلـــكُ الفـــدادين

اختـــرتُ أمّـــاً بـــلا عِلـــم ولا رَشَـــدٍ والبيـــتُ أمســـى رَهينـــاً للطـــواحين

تعلمـــوا العلـــمَ ، والمَـــولى يُعَلمكـــم وعامِلوهـــا بكـــل الرفـــق واللـــين!

وراجعـــوا الشـــعرَ قـــد سَـــطرتُه عَبقـــاً إن القصـــائد نشـــوى فـــي الـــدواوين!

وســـامحوني علـــى مـــا جئـــتُ مـــن غلـــطٍ فـــي حقكـــم ، كـــان عـــن حـــدْس وتـــزكين

ويغفـــرُ الله مـــا قارفـــتُ مِـــن زَلـــل! أنـــا الضـــعيفُ الـــذي طاشـــت مـــوازيني!

هل أصبحتُ وباءً؟!

(غابَ عن دياره سنينَ عدداً! وكان له قبل غيابه أصدقاءُ بررة ومعارفُ طيبون صالحون! وكان هؤلاء وأولئك لا يُحْصَون كثرة! وكم اشتاق إليهم في غربته! وكان على اتصال بأغلبهم! فلما رجع إلى الديار بأشواقه ومحبته إذا به يجد الجميع بلا استثناءٍ ينفَضّون عنه! فراح يسألهم: هل أصبحتُ وباءً تخشون على أنفسكم منه؟! وليس يدري لذلك تفسيراً. وكلما سأل أحدهم كانت (السهوكة) هي الإجابة لكل أسئلته! فراح يتساءل: يا قوم هل فعلتُ ما يُغضِبكم عليّ ، ويُبرر لكم هذه القطيعة! فكانت هذه القصيدة ترجمة لهذا المَوقف المُزري! والأصلُ أن تكون الصراحة بديلاً عن الرياء والتنصّل والتهرب! ولسنا ندري لما جاءه هؤلاء الأصدقاء والمعارف والرفقاء تفسيراً! وعجبُ العُجاب في الأمر أن الكل هكذا بلا استثناء! أتواصوا به؟!)

اللهُ أعلـــــمُ بالـــــذي تُورونـــــا ... وهـــو البصـــيرُ بكـــل مـــا تُخفونـــا

مـــــاذا دَهـــاكم إذ قليـــتُم صُـــحبتي ... وأزدتُـــمُ بلـــلاً يَفـــيضُ الطينـــا؟!

مـــــاذا جَنيـــتُ لتُســـتباحَ مَـــودتي ... وأبيـــتُ ـ فـــي ضـــنك الخصـــام ـ رَهِينـــا؟

مـــــاذا اقترفـــتُ لتقطعـــوني جَهـــرة؟ ... كيـــف اغتـــدى حبـــلُ الوصـــال وَهينـــا؟

يـــا ليـــت شِـــعري كيـــف بعـــتُم رفقتـــي ... وقلبـــتُمُ ظهـــرَ المِجَـــنّ سِـــنينا؟!

أو ليـــت شِـــعري كيـــف نيلـــتْ سُـــمْعتي ... ورمـــى عليهـــا المُغرضـــون عُفونـــا؟!

أو ليـــت شِـــعري كيـــف حَجّـــلَ واســـعاً ... جَمـــعٌ تحمّـــلَ ـ فـــي الحيـــاة ـ فتونـــا؟!

أو ليـــت شِـــعري كيـــف عِبْـــتُم مِنهجـــي ... حتـــى غـــدَوتُ بفِعلكـــم مَغبونـــا؟!

أو ليـــت شِـــعري كيـــف هانـــت خُلـــة ... كـــم واجهـــتْ مِحَنـــاً زكـــتْ وطعونـــا؟!

يـــا قـــوم عُـــودوا للأخـــوة ، واعقلـــوا ... إنْ عُـــدتمُ عـــادَ الإخـــاءُ مَكينـــا

ســـافرتُ عـــنكم ، والرحيـــلُ مَقاصـــدٌ ... وازددتُ ـ بالســـفر الطويـــل ـ يقينـــا

أن المَـــــودة لا يَـــــزولُ شُـــــروقها ... مهمـــا تواجـــهْ بـــاطلاً ودُجُونـــا

أنـــا لســـتُ مَـــرذولاً بـــه لـــن ترتقـــوا ... أنـــا لســـتُ خـــدّاعاً ، ولا مَأفونـــا

أنـــا لســـتُ أزري بالـــذين عَـــرفتُهم ... أنـــا لا أجيـــدُ الخَتْـــلَ والتلوينـــا

أنـــا لســـتُ اتخـــذ التزلـــفَ صَـــنعة ... أنـــا لســـتُ يومـــاً ـ بـــالهوى ـ مَفتونـــا

أنـــا لســـتُ عَـــدْوَى تتقـــون بهجرهـــا ... أنـــا لســـتُ طاعونـــا ولا (كورونـــا)!

يـــومي كأمســـي ، لـــم يَشُـــبْهُ تغيـــرٌ ... والقـــولُ بالفعـــل اغتـــدَى مَقرونـــا

لـــم تـــنقصْ الأشـــواق شـــوقاً واحـــداً ... وتَبينـــوا - إن شـــئتُمُ - تبيينـــا

واســـتوثِقوا ممـــا أقـــولُ وأدّعـــي ... أنـــا لا أسَـــوّقُ – للصـــحاب - ظنونـــا

لـــم يَعتـــورْ حبـــي الأصـــيلَ تملـــقٌ ... بـــل زادَ حبـــي – للرفـــاق - حنينـــا

لـــم تُعمنـــي الأمـــوالُ عـــنكم لحظـــة ... وســـوايَ أهدتْـــه النقـــودُ مَنونـــا

أنـــا مـــا نســـيتُ الـــدارَ تجمـــعُ عُصـــبة ... جُمِعـــتْ لتلـــتمس الهُـــدى والـــدينا

أنـــا مـــا نســـيت – بغربتـــي - أســـمى العُـــرى ... أنـــا لســـتُ - للعهـــد الوثيـــق - خؤونـــا

أنـــا مـــا نســـيتُ عَلاقتـــي بـــأحبتي ... بـــل عِشـــتُ أرفـــعُ - بـــالوداد - جبينـــا

أنـــا مـــا نســـيتُ تجـــاربي وتعففـــي ... بـــين الأنـــام ، وإنْ بَـــذلتُ أنينـــا

أنـــا مـــا نســـيتُ تمسّـــكي بمبـــادئي ... إذ قـــدتُ فـــي لجـــج البحـــار سَـــفينا

أنـــا مـــا نســـيتُ تصَـــبّري ولجـــاجَكم ... يـــوم (الخِيـــار) ، وقـــد حلفـــتُ يمينـــا

أنـــا مـــا نســـيتُ الـــذكرياتِ تشـــوقني ... وروى قريضـــي جُلهـــا مَمْنونـــا

أنـــا لـــم أزلْ أرعـــى الـــذمارَ ، وأحتفـــي ... بـــالطيبين ، وأســـتطيبُ اللينـــا

أنـــا لـــم أزلْ أهفـــو إلـــى إحســـانكم ... يـــا زمـــرة تســـتعذبُ (الإســـفينا)!

أنـــا لـــم أزلْ بعزيمتـــي مستعصـــماً ... مهمـــا طغـــى غيـــري ، وبـــات مَشـــينا

أنـــا لـــم أزل أضـــعُ الوفـــاءَ قبـــالتي ... وبـــه أصـــونُ روابطـــاً وحُصـــونا

وعقيـــدتي – مهمـــا ادعَـــوا - وَسَـــطية ... وغـــدا التزامـــي – بالهُـــدى - مَوزونـــا

أهـــوى الـــدليلَ ، وأقتفـــي آثـــارَه ... وأثمّـــنُ الحُجَـــجَ اسْـــتمتْ تثمينـــا

وأحـــب أهـــل الحـــق ، ألـــزمُ دربَهـــم ... وولاؤهـــم عنـــدي غـــدا مَســـنونا!

ربـــاه فـــاجمعْني بهـــم فـــي جنـــةٍ ... إنـــي دَعَـــوتُ - لمـــا أريـــدُ - مَتينـــا!

المقابر تتكلم 5 (ميّتٌ يطردُ المُعزين فيه!)

(عاش مُحسناً لمن حوله ، وقوبلَ إحسانه بالإساءة من بعضهم. ووصلتِ الإساءة إلى حد القطيعة التي دامت عُقوداً من الزمان! وحاول الإصلاح وإعادة العلاقات عدة مرات. وباءتْ كل محاولاتِه بالفشل. وعجبَ من قوم قد قصَروا زياراتهم له على المناسبات النادرة كالأفراح والجنائز! وحتى إن حضروا هذه المناسبات لا يُسلمون عليه ولا يُصافحونه ، بل يحضرونها أجساماً دون قلوب أو أرواح أو ضمائر أو عواطف أو أحاسيس! وتوقع بفراسته أن يأتي هؤلاء المتخاذلون الأصاغر ليُعزوا أبناءه من بعده ، فقام بتسجيل وصية صوتية هي الأغرب من نوعها في تاريخ البشرية! في هذه الوصية يُسميهم بأعيانهم وأسمائهم ويلومهم لوماً شديداً ويَحثهم على الرحيل وتركب مَوكب العزاء على المَقبرة ، وأنه عليهم أن يُكْملوا مسيرة القطيعة له وهو ميت كما كانت وهو حي! وعهد بهذه الرسالة الصوتية إلى أكبر أبنائه ، وأوصاه بأن يُذيعها على المَلأ ليُسمع القاصي والداني أنه لا يُرحّب بهم في مشهد عزائه ويرفض تعزيتهم ومواساتهم لذويه قائلاً: من لم يهتم بي وأنا حي لا حاجة لي به وأنا ميت. اذهبوا أيها الوضعاء المتخاذلون فإنه لا خير فيكم، قاطعتموني عقوداً حتى إذا ما مت جئتم لتعزوا أهلي. اذهبوا عن هذا المشهد فإنني وأهلي لا نرحب بكم! إنه لا مكان للغدر والغادرين المخادعين في موكب الجنائز إلا بعد أن يعتبروا بها وبأهلها! قال تعالى: (وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً) ، قال القاسمي: (لا تنقضوا العهود الجائزة بينكم وبين من عاهدتموهم ، فتخفروها وتغدروا بمن أعطيتموه إياها). وقال الراغب: (ولكون الوفاء سببًا لعامة الصلاح ، والغدر سببًا لعامة الفساد ، عظَّم الله أمرهما ، وأعاد في عدة مواضع ذكرهما ، فقال: (وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً) ، وقال: (وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ)! وقال ابن رجب: (ويدخل في العُهود التي يجب الوفاءُ بها ، ويحرم الغَدْرُ فيها: جميعُ عقود المسلمين فيما بينهم ، إذا تَرَاضَوا عليها من المبايعات والمناكحات وغيرها من العقود اللازمة التي يجب الوفاءُ بها ، وكذلك ما يجبُ الوفاء به لله عزَّ وجلَّ ممَّا يعاهدُ العبدُ ربَّه عليه من نذرِ التَّبرُّرِ ونحوه). - قال تعالى: (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ) قال ابن كثير: (يقول تعالى لنبيه ، صلوات الله وسلامه عليه وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ قد عاهدتهم خِيَانَةً أي: نقضًا لما بينك وبينهم من المواثيق والعهود ، فَانبِذْ إِلَيْهِمْ أي: عهدهم عَلَى سَوَاء أي: أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم حتى يبقى علمك وعلمهم بأنك حرب لهم ، وهم حرب لك ، وأنه لا عهد بينك وبينهم على السواء ، أي: تستوي أنت وهم في ذلك). قال تعالى: (وَلاَ تَتَّخِذُواْ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ) ، والمعنى: أي تجعلون أيمانكم التي تحلفون بها على أنكم موفون بالعهد لمن عاقدتم- خديعةً ، وغرورًا ، ليطمئنوا إليكم ، وأنتم مضمرون لهم الغدر ، وترك الوفاء بالعهد ، والنَّقلة إلى غيرهم ، من أجل أنهم أكثر منهم عَددًا وعُددًا وأعز نفرًا ، بل عليكم بالوفاء بالعهود ، والمحافظة عليها في كل حال). أورد صاحب الدرر السنية عن الغدر والغادرين: (عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لكل غادر لواء يوم القيامة ، يقال: هذه غدرة فلان)! قال ابن بطال: (وهذه مبالغة في العقوبة وشدة الشهرة والفضيحة). وقال النووي: (لكل غادر لواء. أي: علامة يشتهر بها في الناس ؛ لأن موضوع اللواء الشهرة مكان الرئيس علامة له ، وكانت العرب تنصب الألوية في الأسواق الحفلة لغدرة الغادر ؛ لتشهيره بذلك)! (وفي هذا الحديث دليل على أن الغدر من كبائر الذنوب ، لأن فيه هذا الوعيد الشديد). - وعن عبد الله بن عمرو ، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أربع من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدَّث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر). قال المناوي: (وإذا عاهد غدر) أي: نقض العهد. وقال العظيم آبادي: (وإذا عاهد غدر) أي: نقض العهد وترك الوفاء بما عاهد عليه. وقال ابن عثيمين: (... (وإذا عاهد غدر) يعني: إذا أعطى عهدًا على أي شيء من الأشياء غدر به ، ونقض العهد ، وهذا يشمل المعاهدة مع الكفار ، والمعاهدة مع المسلم في بعض الأشياء ثم يغدر بذلك. - وفي حديث هرقل الطويل مع أبي سفيان عندما سأله عن النبي: (فهل يغدر؟ قال: لا ، ثم قال هرقل: وسألتك هل يغدر؟ فزعمت أن لا ، وكذلك الرسل لا يغدرون). قال ابن بطال: (قد جاء فضل الوفاء بالعهد ، وذم الختر في غير موضع في الكتاب والسنة ، وإنما أشار البخاري في هذا الحديث إلى سؤال هرقل لأبي سفيان ، هل يغدر؟ إذ كان الغدر عند كلِّ أمة مذمومًا قبيحًا ، وليس هو من صفات رسل الله ، فأراد أن يمتحن بذلك صدق النبي ؛ لأن من غدر ولم يفِ بعهد لا يجوز أن يكون نبيًّا ؛ لأنَّ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أخبرت عن الله بفضل من وفى بعهد ، وذم من غدر وختر). - وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حرًّا ثم أكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ، ولم يعط أجره). قال المهلب: قوله: (أعطى بي ثم غدر) يريد: نقض عهدًا عاهده عليه. وقال المناوي: (...ثم غدر) أي: نقض العهد الذي عاهد عليه ؛ لأنَّه جعل الله كفيلًا له فيما لزمه من وفاء ما أعطى ، والكفيل خصم المكفول به للمكفول له). وقال الصنعاني: (فيه دلالة على شدة جرم من ذكر ، وأنه تعالى يخصمهم يوم القيامة نيابة عمن ظلموه ، وقوله أعطى بي ، أي: حلف باسمي وعاهد ، أو أعطى الأمان باسمي وبما شرعته من ديني ، وتحريم الغدر والنكث مجمع عليه). - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به). قال ابن بطال: (دلَّ أنَّ الغدر حرام لجميع الناس ، برهم ، وفاجرهم ؛ لأن الغدر ظلم ، وظلم الفاجر حرام كظلم البرِّ التقي. فإن قال قائل: فما وجه موافقة حديث ابن عباس للترجمة؟ قيل: وجه ذلك- والله أعلم- أنَّ محارم الله عهود إلى عباده ، فمن انتهك منها شيئًا لم يف بما عاهد الله عليه ، ومن لم يفِ فهو من الغادرين ، وأيضًا فإنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة مَنَّ على أهلها كلِّهم ، مؤمنهم ، ومنافقهم ، ومعلوم أنه كان فيهم منافقون ، ثم أخبر صلى الله عليه وسلم ، أنَّ مكة حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، وأنَّه لا يحلُّ قتال أحد فيها ، وإذا كان هذا ، فلا يجوز الغدر ببرٍّ منهم ولا فاجر ؛ إذ شمل جميعهم أمان النبي وعفوه عنهم). - وعن أبي سعيد رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة) ، وفي رواية: (لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره ألا ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامة). قال النووي: (وفي هذه الأحاديث بيان غلظ تحريم الغدر ، لاسيما من صاحب الولاية العامة ؛ لأن غدره يتعدى ضرره إلى خلق كثيرين). إن الغدر والغادرين والمصرين على القطيعة ينبغي أن يراجوا نفسهمُ المريض من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله!)

مَللـــــتُ عِتـــــابَ الغـــــدور الجبـــــانْ! ومـــــا لـــــي بـــــرَدّ التجنـــــي يَـــــدَانْ!

لقـــــد شَـــــرّقَ الوغـــــدُ مُســـــتنكفاً وغرّبْـــــتُ كـــــي أتحاشـــــى الطِعـــــان!

وحَصّـــــنتُ نفســـــيَ مـــــن كيـــــده ... بتـــــرك الجـــــدال وهجْـــــر المكـــــان

فمـــــا اتعـــــظ الخِـــــبُ مِـــــن فعلتـــــي ... ولـــــم يَســـــتطعْ أن يكُـــــف اللســـــان

يَمينـــــاً لقِيـــــتُ الأمَـــــرّين مِـــــن ... غـــــدور خـــــؤون خـــــذول جبـــــان

فكـــــم لاك عِرضـــــي بحَبْـــــك الفِـــــرَى ... وأمســـــى بريئـــــاً وغيـــــرَ مُـــــدان!

وكـــــم دسّ عنـــــي أكاذيبَـــــهُ ... وأطلـــــقَ – للشـــــائعات - العَنـــــان!

وكـــــم شَـــــوّه المُفتـــــري سُـــــمعتي ... وبـــــالغ فـــــي الافتِـــــرا بامتهـــــان!

وكـــــم أجّـــــجَ الغِـــــر نـــــارَ العَـــــدا ... وأتقـــــنَ - فـــــي الحـــــرب - نفـــــخ الـــــدخان!

وكـــــم سَـــــعّرَ النـــــذلُ حَربـــــاً طغـــــتْ ... وأمســـــك - فـــــي ســـــاحها - بالســـــنان!

لمـــــاذا؟ وكيـــــف تبيـــــعُ الإخـــــا ... وتُمعِـــــنُ - فـــــي بُغضـــــنا - يـــــا فـــــلان؟!

ألـــــم أقسِـــــمِ الـــــدارَ تُـــــؤوي فتـــــىً ... ليَـــــنعم - فـــــي أمّهـــــا - بالأمـــــان؟!

ومَخـــــدع نومـــــك صَـــــمّمْتُهُ ... وزخرفـــــتُ - بـــــالودِّ - أحلـــــى مكـــــان

ألـــــم أكُ - فـــــي الجُـــــود - مُسْـــــتكثراً؟ ... ألا اســـــألْ ضـــــميرَك يـــــا ثعلبـــــان!

لمـــــاذا القطيعـــــة أشـــــهرتها ... حُســـــاماً يُقطـــــعُ أوهـــــى صِـــــيان؟

وكنـــــتُ تناســـــيتُ مـــــا قـــــد مضـــــى ... ومـــــا كـــــان منـــــك قـــــديماً ، وكـــــان

لنبـــــدأ عهـــــداً جديـــــدَ الصُـــــوى! ... ونعفـــــو عـــــن الصِـــــل كـــــاد وخـــــان!

وســـــاقَ الفحـــــيحَ لإرعابنـــــا ... وبـــــالرغم ضـــــاقَ - بـــــه - الفرقـــــدان

ولمّـــــا نخـــــفْ ، بـــــل صَـــــمدْنا لـــــهُ ... وكـــــان لنـــــا منـــــه أشـــــقى امتحـــــان

فهـــــل غيّـــــرَ الصـــــلُ جَلـــــداً ثـــــوى ... ليُصـــــبحَ ذا مكرُمـــــاتٍ وشـــــان؟!

وأرســـــلتُ مَـــــن أصـــــلحوا بيننـــــا ... فـــــأعطيتهم - فـــــي اللقـــــاء - الضـــــمان

وأعطيـــــتُ عَهـــــداً لمـــــن صَـــــدّقوا ... ونقضُـــــك للعهـــــد فـــــي التـــــو بـــــان

وأســـــقيتني الخـــــذلَ مُســـــتغنياً ... بمالـــــك عنـــــي ، فبـــــئس القِـــــران!

وعُوملـــــتُ حيـــــاً كمـــــن قـــــد قضـــــى ... ومكـــــرُك بـــــي - يـــــا غـــــويّ - اســـــتبان

وأسْـــــلمتُ أمْـــــري لـــــرب الســـــما ... وأشْـــــفقتُ أن أبتلـــــى بافتتـــــان

وكنـــــتُ اتخـــــذتُ القـــــرارَ الـــــذي ... يُجَنبنـــــي ذِلتـــــي والهـــــوان

فقـــــد هـــــدمَ النـــــذلُ كُـــــوخ الإخـــــا ... وبـــــانَ الخـــــداعُ تمـــــامَ البيـــــان

ولـــــم يُبـــــق وَصـــــلاً ولا مُلتقـــــى ... لأن الوصـــــالَ شَـــــقيقُ الحنـــــان

ولـــــيس حَنـــــانٌ بقلـــــب جَفـــــا ... ولمّـــــا أهـــــانَ المُـــــروءاتِ بـــــان

وأســـــوارُ إيلافنـــــا هُـــــدّمتْ ... ولـــــم يبـــــقَ للـــــود أي كِيـــــان

إذا أدرك الســـــورَ تهديمُـــــهُ ... فمـــــاذا يُفيـــــدُ بقـــــاءُ الـــــدهان؟!

ومَـــــرّتْ عقـــــودٌ علـــــى غـــــدركم ... لعـــــاً للكرامـــــة والصـــــولجان!

وراهنـــــتُ يومـــــاً علـــــى عـــــودةٍ ... نرجّـــــعُ مَجـــــداً ثـــــوى واســـــتكان

ولكـــــنْ رهـــــاني خبـــــا وانـــــزوى ... فقـــــد كســـــبَ الجُعظـــــريُ الرهـــــان

ومِـــــت ومَظلمتـــــي لـــــم تمُـــــتْ ... ســـــتبقى تُهـــــددُ كـــــل جبـــــان

وتشـــــكو الســـــنينَ العِجـــــافَ التـــــي ... سَـــــقتني الأذى والشـــــقا والهـــــوان

بشـــــؤم جُهـــــودك يـــــا ظالمـــــاً ... بعِرضـــــي وحقـــــي وشـــــأني اســـــتهان!

وتـــــأتي الجنـــــازة مُســـــتعبراً ... وتصـــــحبُ بعـــــضَ الشـــــماتِ الحِـــــزان

لمـــــاذا أتيـــــت تُعَـــــزي هنـــــا؟ ... وهـــــل أنـــــت منـــــا؟ أجـــــبْ يـــــا فـــــلان!

وكـــــم مِـــــن جنـــــائزَ شـــــيعتها! ... فـــــلا اعتبـــــرت بأنـــــك فـــــان؟!

ألا ارجـــــعْ وحيـــــداً بـــــلا عـــــودةٍ ... مَجيئُـــــك عَكّـــــرَ صَـــــفوَ المَكـــــان!

وعنـــــد المليـــــك غـــــداً نلتقـــــي ... وتلقـــــى جَـــــزاءك يـــــا أفعـــــوان!

شقيقان فرقهما الهوى

(صدق الإمام الجليل الفذ علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - في أبياتٍ نسبتْ إليه ولا يبعد أن تكون له:-

فما أكثر الإخوان حين تعدهم لكنهم في النائبات قليلُ

ولا خير في ود امرئ متلون إذا الريح مالت مال حيث تميل

جوادٌ إذا استغنيت عن أخذ ماله لكنه عند احتمال الفقر عنك بخيل

والحقيقة لا ولن تموت أبداً مهما طال الزمان ، ومهما زخرف كل صاحب إفكٍ إفكه! والتمثيلية محبوكة ومكشوفة لكل عاقل. وما هو إذ يطالع أولها ويعاينه حتى ينبيك عن الأحداث والخاتمة. ولقد تآمر شقيق مزعوم مع شياطين الإنس على خراب بيت شقيقه ، وكافأه الشياطين بالتوسط له عند أشباههم ليصبح هذا الجاني في مكانة يجمع فيها المال ، فبات منشاراً من المناشير التي لا ترحم ، وصار مرتزقاً من المرتزقة الذين يأكلون على حساب القيم والفضائل ، وقام الشقيق المجني عليه بالمواجهة في بيت الشقيق الغادر ، وذلك بحضور شقيق الاثنين مع اثنين آخرين من شياطين الإنس أعداء المؤمنين. وكان الاعتراف الصارخ والشقيقان يستمعان بكل هدوء وسكينة ، وكأن الشقيق المجني عليه ليس لأي منهما بشقيق ، مما يدل على تورطهما في التمثيلية الغثة ومشاركتهما في المسرحية الهزلية وتواطؤ كل منهما مع الغادرين ، وإذا بالأشقاء على طرفي نقيض! وصبرتُ واحتسبتُ ، ولقاء الجميع عند الله الذي يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون. وحكم الله في القيامة حكم عدل لا مجاملة فيه ولا ظلم فيه ولا تحيز! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً! فإذا فات الانتصار لحق مظلوم وأخذه من الظالمين في الدنيا ، فلن يفوت في الآخرة! والأيام بيننا! وعند الله تعالى تجتمع كل الخصوم!)

أيها التائهُ تهفو مُشرَئبا ليت شِعري ، أتظنُ الوَصْل عَذبا؟

أتظنُ الخذلَ يُعْلي مُستخفاً؟ إن قلبي غصّ – بالتبيين - شجبا

أتظنُ الروحَ تهفو لهواكم؟ أتظنُ القلبَ بالأشواق رَحبا؟

أنت ما كنت رفيقي ، أو صديقي أنت نذلٌ - فوق هذي الأرض - دبا

أنت ما كنت خليلي ذات يوم أنت مِنشارٌ على الفلس أكبا!

أنت شاة بين كل الناس تلهو همّها في القوم أن تقتات عُشبا

أتظنُ الوَجدَ يَسري في دِمانا؟ إنما الأفواه عانت مِنك ندبا

تصِلُ الأعدا ، وتجترّ الوصايا وبهم يا مُفتر تصنعُ حِزبا

وبهم تُشهِرُ سيفاً في قرانا ... وبهم يا مُعتدٍ تُعلنُ حَربا

ثم تأتي تدّعي اليوم إخاءً ... لستُ أرضى منك تدجيلاً وكِذبا

إنما أنت سَرابٌ ، لا شقيقٌ ... أنت وَهمٌ وخيالٌ فيه شبا

أنت قيحٌ في حياتي ودُروبي ... وضلالٌ في مَعين العمر صُبا

قد خذلت الهدي جهراً دون عُذر ... يا شقيقي ، ومَلأت القلب رُعبا

أنت قد دَمّرت بيتاً وضحايا ... أنت يا أفاك قد حطمت دربا

وردمت البئرَ ، بَدَّدت الأماني ... لستُ أرجو - مِن مَعين البئر - شربا

واستبحت العِرضَ عَمْداً والقضايا ... وضربت الحق يا سَفاحُ ضربا

عندما واجهتُ أعدائي ، وقالوا: ... قد فعلنا ، لم نخفْ في الكيد ربا

وأمام اثنين كلٌ قد تعامى ... وتناسى لم يُعِر سمعاً وقلبا

أأخٌ في الله صِدقاً مثلُ هذا؟ ... أأخ مَن كان – للطاغوت - جيبا؟

أشقيقٌ مَن يبيعُ الود بخسا؟ ... أشقيقٌ مَن يَزيدُ الخطب خطبا؟

ويَزيدُ الطينَ ماءً دون جهل؟ ... ويَزيدُ الكربَ بالخذلان كربا؟

لم تُحرّك ساكناً للقوم ، كلا ... إنما أمرُ التجني كان غصبا

واتفقتُم ومَكرتُم ، يا خزايا ... وسَبكتُم ، كان هذا المَكرُ غيبا

ثم في المَلهاة كنتم كالمطايا ... ونصرتُم - في اللقا - صِلاً وذِئبا

وشربتُم - في المُعاناة - دِمانا ... ونسجتُم - فوق هذا الغل - رَهبا

وأخٌ قدّمتُماهُ للدواهي! ... كنتما في الشر: ثعباناً وضَبا

لكُما في الحقد سَيفٌ وحِرابٌ ... تسلبان النورَ في المِصباح سَلبا

أشقيقٌ مَن يرد الحق عَمداً ... وعلى أشلائنا يأكلُ حَبا؟

يحرقُ السمعة في كل البوادي ... ثم يحسو مِن دماء الطفل شوبا

همسَ الغادرُ فأذنْ لي بذبح ... قلت: فافعلْ لا تخفْ خذلاً ورَيبا!

إنمـــا الغـــادرُ أعطـــاك الهـــدايا حيـــث قـــد نصّـــبْتَ أســـتاذاً وأبّـــا

لـــتمجّ الســـم لـــلأولاد مَجـــاً وتزيـــدُ الحَـــوب ـ تلـــو الحَـــوب ـ حَوبـــا

مثلمـــا يحتـــالُ شَـــمّاسٌ وقـــسٌ مـــا عليـــك اليـــوم يـــا دُهقـــان عُتبـــى

فـــادرس التلمـــودَ والمُوضـــاتِ حتـــى لا يكـــونَ الـــدرسُ مَلغـــوزاً وصَـــعبا

واســـأل (الحاخـــامَ) عـــن كـــل غريـــب نـــاقش (البابـــا) ، فهـــذا لـــيس عيبـــا

لتبـــث الصـــلبَ فـــي كـــل الزوايـــا ثـــم تُعلـــي ـ فـــوق بـــأس الحـــق ـ سُـــحْبا

أيهـــا الســـادرُ فـــي قـــيح المَخـــازي الـــتمسْ فـــي القـــوم أصـــحاباً ورَكبـــا

لـــم أعـــدْ أهـــواك ، أنـــت – الآن ـ عـــارٌ وشـــنارٌ ، بـــات وصـــلُ الوغـــد ذنبـــا

لا تقـــلْ يومـــاً: شـــقيقي غـــاب عنـــي إننـــي اليـــوم غريـــبٌ ، بـــت نهبـــا

إننـــي ســـطرتُ – للتـــاريخ ـ شِـــعري لا لتلقـــى فيـــه إشـــفاءً وسَـــبا

لا لتلقـــى فيـــه أفعـــاك التشـــفى إن ـ فـــوق الكـــل يـــا مَـــأفون ـ رَبـــا

هـــذه الأفعـــى جهـــاراً فرّقتنـــا وطوتنـــا ، فلهـــا الخـــذلانُ عُقبـــى

زوجـــة ـ فـــي الكيـــد ـ غالـــتْ واســـتطالتْ دَعـــك منهـــا ، والـــتمسْ فـــي الـــوزر توبـــا

إيـــهِ يـــا بالونـــة ثكلـــى أفيقـــي إن ـ فـــي إفلاســـك المنفـــوخ ـ ثقبـــا

أنـــتِ فـــي دنيـــا الغـــواني بعـــضُ ظِـــل خنفســـاءٌ فـــي حضـــيض الأرض جَـــدبا

أيهـــا الممقوتـــة الشـــوها كفانـــا أنـــتِ فـــي الألـــوان والتضـــليل حِربـــا

لـــم تســـاو الشِـــعرَ يُزجيـــه يراعـــي صَـــدِّقيني هِـــرة بـــالله حَـــدْبا

أخبرينـــي: هـــل لـــك اليـــوم حَليـــلٌ ليـــت شـــعري ، أنـــتِ ـ بـــين الغيـــد ـ عَزبـــا

وأراكَ ـ اليـــوم ـ مزهـــواً بهـــذي فـــي انفعـــال ، قـــد قتلـــت الـــنفسَ عُجبـــا!

وافترضـــت الخيـــرَ فيهـــا والســـجايا وادعيـــت الحُســـن فيهـــا ، وهْـــي جربـــا

إننـــي ســـطرتُ شـــعري للبرايـــا كاشـــفاً للمفتـــري شـــرقاً وغربـــا

منطـــقُ التـــاريخ عـــاتٍ لا يُحـــابي ... قلـــتُ رأيـــي ، لـــم أراع اليـــوم قربـــى

أيـــن مِـــن روحـــي شـــقيقٌ فيـــه تقـــوى ... وثبـــاتٌ ، لـــيس - بـــين النـــاس - عطبـــا؟

يشـــتريني مِـــن هجيـــر الظلـــم هـــذا ... قـــد عـــدِمتُ اليـــوم خلانـــاً وصـــحبا

ولـــــه نصـــــحٌ وعِـــــزٌ وعَطـــــاءٌ ... وإذا الأمـــــراضُ ســـــادت كـــــان طِبـــــا

وإذا القلـــبُ يُعـــاني كـــان ســـلوى ... وإذا الـــروحُ قلتُنـــي كـــان قربـــى

يمـــلأ الـــنفسَ سُـــروراً وبَهـــاءً ... وجمـــالاً يُفعِـــم الإحســـاسَ حُبـــا

إنْ قلانـــي النـــاس دَهـــراً ، ورمَـــوْني ... كـــان - فـــي حزنـــي - شـــقيقاً مُسْـــتحبا

وإذا خيّـــــر بينـــــي والمنايـــــا ... قـــــال: أفديـــــه بروحـــــي ، وتـــــأبّى

طـــاهرُ الفطـــرة مِقـــدامٌ حلـــيمٌ ... وعلـــى التوحيـــد – صِـــدقاً – قـــد تربـــى

وإذا طالبْتُـــــه يومـــــاً بشـــــئ ... قـــــال: هـــــذا ، وإذا بالشـــــهم لبّـــــى

لـــيس هـــذا بمُحَـــال يـــا فـــؤادي ... فلمـــاذا الـــنفسُ يـــا قلبـــاه غضـــبى؟

ولمـــاذا يلعـــقُ البلـــوى شُـــعوري؟ ... ولمـــاذا تســـكنُ الآمـــالُ جُبـــا؟

ولمـــاذا لا يـــرى النـــورَ إبـــائي؟ ... ولمـــاذا تنشـــدُ الأشـــعارُ شِـــعبا؟

أيهـــا الســـائرُ فـــي الغـــي تُـــداجي ... إننـــي واجهـــتُ - بعـــد النـــوب - نوبـــا

بـــاعني الخـــلانُ للطـــاغوت صِـــدقاً! ... أحرامـــاً أصـــبح العَـــونُ ، وعيبـــا؟

ثـــم بـــات الظلـــمُ فنـــاً واحترافـــاً ... ثـــم أضـــحى النـــذلُ مِغـــواراً وقطبـــا

لـــم يخـــفْ رب البرايـــا مَـــن رمَـــوني ... لـــيس يـــدري جـــائرُ الخـــلان أوبـــا

وترانـــي رغـــم هـــذا فـــي نعـــيم ... رغـــم أنـــي قـــد قتلـــتُ الـــنفسَ نحبـــا

وإذا بـــي فـــي نشـــاطٍ واجتهـــادٍ ... وثبـــاتي - رغـــم هـــذا - بـــات صُـــلبا

آه لـــو أنـــك فـــي مثـــل مكـــاني ... لـــم تطـــقْ عيشـــاً ، وإن مُلّئـــتَ إربـــا

غيـــرَ أنـــي أحمـــد الله تعـــالى ... أننـــي فـــي الجـــد لا أعـــرفُ لِعْبـــا

أحمـــل الـــنفس علـــى الصـــبر مِـــراراً ... لســـتُ أخشـــى - فـــي مســـير العمـــر - غبـــا

ومَضـــــائي مثـــــلُ سَـــــدٍ مُســـــتنيفٍ لا تـــرى فـــي عُـــرض هـــذا الســـد نقبـــا

عَزمَتـــي فـــي البـــأس لا ترضـــى هـــواني وكـــــذا العِـــــزة فـــــي الآلام شَـــــهبا

هِمّتـــــي - فـــــوق الثريـــــا - لا تبـــــالي وصُـــــمودي بالرزايـــــا صـــــار خصـــــبا

وشـــبابُ العُمـــر دومـــاً فـــي ازدهـــار لـــيس يَـــدري رَغـــم غِـــل القيـــدِ شـــيبا

وســـأحيا أكتـــبُ الشـــعر ، وأشـــدو رغـــم كَـــون الجيـــل - بالتـــذكار - جـــدبا

وســـتروي كتـــب التـــاريخ شـــعري عنـــدما أصـــبح - فـــي الأجـــداث - تربـــا

أيهـــا المَغـــرورُ لا يَغـــرُرْك حِلمـــي إن - فـــي الأبيـــات خلـــف الـــرمح - خِلبـــا

ســـوف أصْـــلِي بلهيـــب الشِـــعر وغـــداً ســـكبَ الغـــدرَ - علـــى الأشـــلاء - ســـكبا

ســـوف لـــن تســـعدَ بـــالعيش طـــويلاً ســـوف يغـــدو الـــذل - للمغـــرور - كســـبا

إن تكـــنْ فحـــلاً أجـــبْ بالشِـــعر شِـــعري وإذا العُجـــــب تمـــــادى فاســـــتطبا

ثـــم صـــدّقْ أنـــت لـــم تـــذهبْ بعيـــداً منـــك إنـــي قـــد رأيـــت اليـــوم شـــعبا!

ولـــــيَ الـــــرحمنُ ، لا أبغـــــي سِـــــواهُ يرقـــــبُ الغـــــوثَ فـــــؤادي مُشـــــرئبا!

فـــأجرْ يـــا رب عبْـــداً فـــي مُصـــاب واجعـــل اللهـــم لـــي - فـــي النـــاس - حِبـــا

لا تبكِ يا مَن كنت شقيقي

(بعد أن سلب ذلك الشقيق النذل الجبان شقيقته كل شئ. لجأتْ إلى سؤال الناس بعد أن أصبحتْ معوذة محتاجة وهي الغنية. وعثر عليها تتسول ، فأخذته الرقة والشفقة ، واستعصمتْ عن رقته وشفقته. وقالت: لا تبك يا من كنت يوماً ما شقيقي. فأخذتْني قشعريرة الشعر لمّا سمعتُ بقصتها. ذلك أنها كم وعظته ونصحته ، ولكنه أعرض ونأى بجانبه ، وأخذته العزة بالاثم! والشقيق الذي يؤثر الظلم على العدل ، ويفضلُ العجرفة على التعامل بالقيم الإنسانية النبيلة ، لا يستحقُ أن يكون شقيقاً! لأنه لا يدرك من الأخوة شفافيتها ولا تضحيتها ولا بذلها! وأظن أن مثل هذه الطوام إن كانت سمت إنسان ما ، فلن ينصفَ الآخرين من نفسه ، لا في سِلم ولا في حَرب!)

الـدمعُ يُزْكِـي الجَـوَى والكـربُ يشـتدُ ... والحـزنُ فـي القلـب رغـم الأنـف يمتـدُ

والوجْـدُ يَـذبحُ إحساسـي وعـاطفتي ... وطـالَ ليـلُ الأسـى ، فمـا لـه حـد

والـنفس فـي لجـة الأوهـام جاثمـة ... وسَـهمُ حَسـرتها – للقلـب - يرتـد

غـدرُ الشـفيق ديـاجيرٌ تُسـربلني ... وكلمـا لمْتـه علـيّ يحتـد

وكـم عَتِبـتُ فلـم يُنصـتْ لنـائبتي! ... وبيننـا - مـن لظـى شـقاقنا - سـد

لأنـه غاصـبٌ حقـي ، وقـاطعني ... وإنْ طلبـتُ فمـا لخـاطري رد

لـذا مَـدَدتُ يـدي لمَـن يناولهـا ... حـق المسـاكين ، والتقـوى هـي القصـد

عَففـتُ إذ رتـعَ الشـقيق مغتبطـاً ... فـي حُـر مـالي ، وقـد أحاطـه السـعد

ولـم يُـراع إخـاءً كـان يجمعُنـا ... لمّـا يمـر علـى وفاتـه عَقـد

أواهُ مـن طمـع أضـحى يُهـددنا ... وكيـدُه اليـومَ - بـين الأهـل - يشـتد

لا تبـكِ ، أنـت الـذي قـد بعـت خلتنـا ... وخنـت عهـد الإخـا ، حتـى ثـوى العهـد

مازلـت تسـرقُ حقـاً كـان يمنعنـا ... سـؤالَ مَـن - بسـراب المـال - يعتـد

ومـا شـبعت مـن الحـرام تحصـده ... وسـوف يُـدخِلك النيـرانَ ذا الحصـد

فتـبْ إلـى الله مـن أكـل الحقـوق ، كفـى ... عسـى ذنوبـك يـا مَغـرورُ تنهـد!

أخوّتـــــان

(دعا ذلك الشقيق أحد أشقائه كان يأنس فيه رشداً ، لأن يكون منه كما كان أصغر القطبين من أكبرهما. رحم الله سيداً وحفظ محمداً. فلقد مثلاً ثنائياً قلّ أن يوجد له نظير في التاريخ. فمن رسم من معالم الطريق وبسط ظلاله وتشخيص مشكلاته وتقعيد خصائصه ومقوماته والتفاؤل بأن المستقبل له ، إلى كشف الجاهلية التي تحاربه وبيان الواقع المعاصر وخوض معركة التقاليد ورسم دروب أصول التربية التوحيدية والعقدية وأيضا تصحيح المفاهيم وإعادة كتابة التاريخ الإسلامي والاقتباس من أنوار النبي – صلى الله عليه وسلم - ألا إنه كلام ثنائي لم يتكرر حسب علمي في التاريخ. إلا أن الشقيق الآخر الذي دعاه شقيقه ليكون كذلك أدرك بذكائه وعورة الطريق ومحنة سلوكه وعذاباته والبلاءات المترتبة عليه. فاختار لنفسه السلامة ، وآثر الجاهلية فطريقها من وجهة نظره آمنٌ وسالم. وتبرّأ من راية التوحيد ومِن حاملها. ولم يُبق حتى على الإخوة. ورفع راية الجاهلية وفضل أفكارها. فآثر ما يفنى على ما يبقى. ولم يكن من أخيه قط بمنزلة أحد القطبين من الآخر. فظل الداعي على ما هو عليه! وظل المدعو على ما هو عليه. فهما إذن اخوتان الأولى أخوة إيمان ورحلة جهاد طريقها مفروش بالدم والكوارث من كل صوب ، ونهايتها إذا أخلص صاحبها لله هي الجنة. وأما الثانية فطريقها مفروش بمتاع الدنيا والتمكين فيها على حساب العقيدة. ونهايتها إذا خولفت أوامر الله والمعلوم منها من الضرورة ليس إلا النار. إنهما أخوتان متباينتان لا سبيل إلى التقريب بينهما. وليعلمن ذلك الشقيق الجاهلي المتنازل عن الحق نبأ ما قد فعل بعد حين. إن هذه الحياة الدنيا قصيرة. فما أجمل أن يترك الإنسان بعده الذكرى الحلوة التي عمادها الإيمان! قال مجاهد: صحبت ابن عمر أُريد أن أخدمه فكان هو الذي يخدمني. وقام عمر بن عبد العزيز رحمه الله يطلب النصيحة من عمرو بن مهاجر وقال له: (يا عمرو إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلابيبي ثم هزني ثم قل لي: ماذا تصنع). تاريخ بغداد. وقال عبد الله بن الإمام أحمد: (لما أُطلق أبي من المحنة خشي أن يجئ إليه إسحاق بن راهوية فرحل أبي إليه فلما بلغ الري دخل إلى مسجد فجاء مطر كأفواه القرب فلما كانت العتمة قالوا له: اخرُج من المسجد فإنا نريد أن نغلقه فقال لهم: هذا مسجد الله وأنا عبد الله فقيل له: أيهما أحب أن تخرُج أو نجُر رجلك! قال أحمد: فقلت: سلاماً! فخرجت من المسجد والمطر والرعد والبرق فلا أدري أين أضع رجلي ولا أين أتوجه فإذا رجل قد خرج من داره فقال لي: يا هذا أين تمر في هذا الوقت؟ فقلت لا أدري أين أمر فقال لي: ادخل فأدخلني داراً ونزع ثيابي وأعطاني ثياباً جافة وتطهرت للصلاة فدخلت إلى بيت فيه كانون فحم ولبود ومائدة منصوبة فقيل لي: كل فأكلت معهم. فقال لي: من أين أتيت؟ فقلت: من بغداد. فقال لي: أتعرف رجلاً يقال له أحمد بن حنبل؟ فقلت أنا أحمد بن حنبل. فقال لي: وأنا إسحاق بن راهويه). المناقب لابن الجوزي. وعن تحريم تحقير المسلمين قال تاج الدين السُبكي: (كنت جالساً بدهليز دارنا فأقبل كلب فقلت: اخسأ كلبٌ ابن كلب! فزجرني والدي من داخل البيت فقلت: أليس هو كلب ابن كلب؟ قال: شرط الجواز عدم قصد التحقير فقلت: هذه فائدة). وورد عن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: (ما حاججت أحداً إلا وتمنيت أن يكون الحق على لسانه). وعن عبد الملك أو قيس بن عبد الملك قال: قام عمر بن عبد العزيز إلى قائلته ، وعرض له رجل بيده طومار (صحيفة مطوية) ، فظن القوم أنه يريد أمير المؤمنين فخاف أن يُحبس دونه ، فرماه بالطومار ، فالتفت عمر فوقع في وجهه فشجه ، قال: فنظرت إلى الدماء تسيل على وجهه وهو قائم في الشمس ، فلم يبرح حتى قرأ الطومار ، وأمر

بحاجته وخلى سبيله. وكان ابن عباس كأبي بكر وكثير من الصحابة يرى أن الجد في الميراث يُسقط جميع الإخوة كالأب ، وكان زيد كعلي وابن مسعود يرى بتوريثهم مع الجد ، فقال ابن عباس يوماً: (ألا يتقي الله زيد يجعل الابن ابناً ولا يجعل أب الأب أباً؟) ثم قال: (وددت إن الذين يخالفونني يجتمعون بي عند الركن ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين)! وذلك لثقته بصحة اجتهاده. وبعد وقت رأى أبن عباس زيد بن ثابت راكباً دابة فأخذ بركابه يقوده فقال له زيد: تنح يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: هكذا أُمِرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا! فقال زيد: أرني يدك فأخرج ابن عباس يده فقبلها زيد وقال: هكذا أُمِرنا أن نفعل بأهل بيت رسولنا صلى الله عليه وسلم! ولما مات زيد قال ابن عباس: هكذا يذهب العِلم ، لقد دُفن اليوم علمٌ كثير. وعند البخاري أن أبا هريرة رضي الله عنه وهو يصف كرم جعفر بن ابي طالب لإخوانه فقال: (كان خير الناس للمساكين فكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته ، حتى إنه ليخرج إلينا العكة التي ليس فيها شيء فنشقها فنلعق ما فيها). وفي طبقات ابن سعد عن حُسن عشرة ابن عمر رضي الله عنهما عن مجاهد قال: (كنت أُسافر مع عبد الله بن عمر ، فلم يكن يطيق شيئاً من العمل أعمله ولا يكله إلينا ، ولقد رأيته يطأ على ذراع ناقتي حتى أركبها). وفي الآداب الشرعية قال عبد الله بن عثمان شيخ البخاري: (ما سألني أحدٌ حاجة إلاَّ قمت بها بنفسي ، فإن تم وإلا قمتُ بها بمالي ، فإن تم وإلا استعنتُ له بالإخوان ، فإن تم وإلا استعنتُ له بالسلطان). وقال محمد بن مناذر كنت أمشي مع الخليل بن أحمد فانقطع شسعي ، فخلع نعله فقلت: ما تصنع؟ قال: أواسيك في الحفاء. وكان الحسن البصري رحمه الله إذا افتقد الرجل من إخوانه أتاه فسلم عليه وسأله عن حاله ، فإذا خرج من عنده دعا الخادمة فأعطاها صرة فيها دراهم فقال: ادفعيها لمولاتك فقولي استعمليها ولا تُخبري بها سيدك). وقال مسور بن الورّاق: ما كنت لأقول لرجل إني أُحبك في الله تعالى فأمنعه شيئاً من الدنيا. وجاءت يزيد بن عبد الملك بن مروان غلة من عُمّاله فجعل يصررها ويبعث بها إلى إخوانه ويقول: إني أستحيي من الله عز وجل أن أسال الجنة لأخٍ من إخواني وأبخل عنه بدينار أو درهم. وكان الحسن إذا فقد الرجل من إخوانه أتى منزله ، فإن كان غائباً وصل أهله وعياله ، وإن كان شاهداً سأله عن أمره وحاله ، ثم دعا بعض ولده من الأصاغر فأعطاهم الدراهم ووهب لهم وقال: أبا فلان إن الصبيان يفرحون بهذا. وكان بشر بن منصور إذا زاره الرجل من إخوانه قام معه حتى يأخذ بركابه. وكان طلحه بن مُصَرّف يأتي أُم عمارة بن عمير يبرها بالنفقة والكسوة والصلة ، وذلك بعد أن مات عمارة ببضع عشرة سنة. ولقي الحسن بعض إخوانه ، فلما أراد أن يفارقه خلع عمامته فألبسه وقال: إذا أتيت أهلك فبعها واستخدم ثمنها. وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية عن إيثار الإمام أحمد: قال يحى بن هلال الوراق: (جئت إلى محمد بن عبد الله بن نمير فشكوت إليه ، فأخرج أربعة دراهم أو خمسة وقال: هذا نصف ما أملك! وجئت مرة إلى الإمام أحمد فأخرج إليّ أربعة دراهم وقال: هذا جميع ما أملك). وفي الأدب المفرد عن أُخُوّةِ أنس بن مالك رضي الله عنه أنه إذا أصبح دهن يده بدهنٍ طيب لمصافحة إخوانه). وعند الطبري في الكبير ورجاله رجال الصحيح عن سلامة صدر أبن عباس رضي الله عنهما: (أن أبي بريدة الأسلمي قال: شتم رجل ابن عباس فقال له: أتشتمني وفيَّ ثلاث خصال ، إني لا أتي على آيةٍ من كتاب الله إلا تمنيتُ أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم ، ولا سمعتُ بقاضٍ عادل إلا فرحت ودعوت له وليس لي عنده قضية ، ولا سمعت بالغيث في بلد إلا حمدت الله وفرحت وليس لي فيها ناقة ولا شاة). وفي السلسلة الصحيحة عن أبي سليمان الداراني أنه قال: (إني لأضع اللقمة في فم أخٍ

من إخواني فأجد طعمها في حلقي). وفي مناقب الإمام أحمد أن أبا بكر المروزي قال: قال لي أبو عبد الله وذكر رجلاً فقيراً فقال لي: أذهب إليه وقل له: أي شيء تشتهي نعمل لك ، ودفع إليّ طيباً وقال لي: طيّبْه. ودخل علي بن الحسين زين العابدين على محمد بن أُسامة بن زيد يعوده ، فبكى ابن أُسامة فقال: ما يبكيك؟ قال: عليّ دينٌ! قال: وكم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار ، وفي رواية سبعة عشر ألف دينار. قال هي عليّ. وعن الحسن قال: إن كان الرجل ليخلف أخاه في أهله بعد موته أربعين سنة. وفي تاريخ بغداد: (إن فتح الموصلي جاء إلى صديق له يقال له عيسى النجار ، فلم يجده ، فقال للخادمة: أخرجي إليّ كيس أخي! فأخرجته ، ففتحه فأخذ منه درهمين! وجاء عيسى لمنزله فأخبرته الخادمة بأخذ الدرهمين فقال: إن كنتِ صادقة فأنت حُرة لوجه الله ، فنظر فإذا هي صادقة فأعتقتْ). وقال الإمام عبد الرحمن بن أبي ليلى: (ما ماريتُ أخي أبداً لأني إن ماريتهُ إما أن أُكذبه وإما أن أُغضبه). الآداب الشرعية. ويذكر الإمام أحمد عن ابن راهويه وكان يخالفه في أُمور فيقول: (لم يعبُر الجسر إلى خرسان مثل إسحاق بن راهويه وإن كان يخالفنا في أشياء ، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً). وروى الخطيب بسنده عن عبد الله بن عبد الكريم قال: (سمعت أحمد بن حنبل وذكر عنده إبراهيم بن طهمان وكان متكئاً من علة فاستوى جالساً وقال: لا ينبغي أن يذكر الصالحون فيُتكئ). وروى الخطيب عن عبد الله بن الخطيب (أن الطيب إسماعيل أبا حمدون من القراء المشهورين كانت له صحيفة مكتوب فيها 300 من أصدقائه وكان يدعو لهم كل ليلة فتركهم ليلة فنام فقيل له في نومه: لِم لم تُسرج مصابيحك الليلة؟ فقعد فأسرج وأخذ الصحيفة فدعا لهم واحداً واحداً حتى فرغ). وقال عبد الله ابن عباس رضي الله عنه: (ثلاثة لا أُكافئهم رجل يبدأني بالسلام ، ورجل وسع لي في المجلس ، ورجل اغبرت قدماه في المشي إليّ يريد السلام عليّ ، أما الرابع: فلا يكافئه عني إلا الله! قيل من هو؟ قال: رجل نزل به أمرٌ فبات ليلته يفكر بمن ينزله ، ثم رآني أهلاً لحاجته فأنزلها بي). وشتم رجل الأحنف ، وجعل يتبعه حتى بلغ حيه ، فقال الأحنف: يا هذا إن بقي في نفسك شيء فهاته وانصرف ، لا يسمعك بعض سفهائنا فتلقى ما تكره. وورد عن عطاء بن رباح أنه قال: (إن الشاب ليحدثني حديثاً فأستمع له كأني لم أسمعه وقد سمعته قبل أن تلده أمه). وفي تاريخ بغداد قال ابن مرار: (تكلم عبد الله بن عياش المنتوف بكلام أراد به إساءة ابن عمه عمر بن ذر ، فقام عمر فدخل منزله ، فندم ابن عياش فأتى عمر فقال: أيدخل الظالم؟ فقال: نعم ، مغفور له والله ما كافأت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه). وكان الشافعي حين يحدث عن أحمد لا يسميه تكريماً له بل يقول: (حدثنا الثقة من أصحابنا أو أخبرنا الثقة من أصحابنا). وروى أبو نعيم عن أبي وائل الراسبي قال: (أُتي ابن عمر بعشرة آلاف ، ففرقها وأصبح يطلب لراحلته علفاً بدرهم نسيئة). وأخرج أبو نعيم في الحِلية عن نافع قال: كان ابن عمر رضي الله عنهما ليُفرق في المجلس ثلاثين ألفاً ثم يأتي عليه شهر فما يأكل مزعة لحم). ودخل عمر بن عبد العزيز المسجد ليلة في الظلمة ، فمر برجل نائم فعثر به ، فرفع رأسه فقال: أمجنون أنت؟ فقال عمر: لا؟ فهمّ الحرس فقال عمر: مه إنما سألني أمجنون أنت؟ فقلت: لا. وعن عبيد الله بن أبي الوسيم الجمال قال: أتينا عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله نسأله في دين على رجل من أصحابنا ، فأمر بالموائد فنُصبت ، ثم قال لا حتى تُصيب من طعامنا ، فيجب علينا حقكم وذمامكم قال: فأصبنا من طعامه فأمر لنا بعشرة آلاف درهم في قضاء دين وخمسة آلاف درهم نفقة لعياله (مكارم الأخلاق). وتضع الكاتبة الفاضلة سهير الخالدي إشراقات عن الأخوة الحقيقية فتقول ما نصه: (إن أعظم ما أكّد عليه

الدين الإسلامي هو التأخي والأخوة والمحبة والمودة بين الناس ، على اختلاف طبقاتهم وقومياتهم ومذاهبهم ، بل حتى على اختلاف دياناتهم السماوية ، فقط أكّد الإسلام على الأخوة والصداقة الحقيقية وجعل لها منزلة خاصة ، وأن الأخوة والصداقة في الله والتي تبنى على أسس صحيحة وحقيقية ، كما أنها لو ارتبطت بعقيدة الدين يكون دورها أكبر وأفضل وذلك عبر القران الكريم (إنما المؤمنون أخوة). أي أخوة في الدين والعقيدة ، ولا ننسى ما حصل في زمن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) بعد هجرته الى المدينة المنورة حيث إنه (صلى الله عليه وسلم) جمع بين المهاجرين والأنصار وجعل بينهم رابط الأخوة الحقيقي والصداقة في الله ، ولذلك فإن التاريخ الإسلامي لا ينكر ذلك الموقف الذي وقفه أهل المدينة مع المهاجرين ومشاركتهم في العيش والسكن ، حتى إنه وصل بهم الأمر إلى تقسيم رغيف الخبر بينهم ، رغم تلك المعاناة والغربة والألم الذي تعرّض له المسلمون ، لكنهم بقوا متمسكين في أخوتهم في الله وأعطوا أجمل درس ترجمه التاريخ الإسلامي من خلال المُؤاخاة).هـ. وأنا أسأل: أين إخوة هذا الزمان وأخواته من هذه النماذج الفذة الفريدة؟ أم أنني وقعتُ عليها ونقلتها لهم من الخيال؟ أو طالعتها في (ألف ليلة وليلة)؟ إن الفرق بينهما شاسعٌ للغاية!)

أخوتـــان: فـــذي هُـــدَىً وذِي ضـــللُ! !واسـألْ عـن الفـرق مَـن سـادوا ومَـن عقلـوا

أخوتـــان: فـــذي خيـــرٌ ومَعدلـــة وتلـــك دَيـــدُنها الخســـرانُ والمَيَـــل

أخوتـــان: فـــذي ربـــي يُباركُهـــا وتلـــك يَـــدمغها البـــوارُ والفشـــل

أخوتـــان: فـــذي المَـــأوى نهايتُهـــا وتلـــك نـــارُ اللظـــى - لأهلهـــا - نُـــزل

أخوتـــان: فـــذِي ســـبيلها طهـــرتْ وتلـــك قـــد خبُثـــتْ بشـــؤمها الســـبل

أخوتـــان: فـــذي نـــارٌ علـــى عَلـــم وتلـــك يُعجُمُهـــا الإبهـــامُ والـــدغل

أخوتـــان: فـــذي دربُ الألـــي رَشـــدوا وتلـــك دربُ الألـــي إيمـــانَهم جهلـــوا

أخوتـــان: فـــذي الإســـلامُ سُـــلمُها وتلـــك تَصـــرفها عـــن الهُـــدى المِلـــل

أخوتـــان: فـــذي القـــرآنُ يُرشـــدُها وتلـــك تهـــدي لهـــا الضـــلالة النِحَـــل

أخوتـــان: فـــذي دربـــي ، وعشـــتُ لـــه وتلـــك أمْقتهـــا ، لأنهـــا الضـــلل

أخـــوة الحـــق نـــورٌ فـــي دياجرنـــا وبعـــدُ ذكـــرى لمـــن - عـــن حقهـــا - غفلـــوا

أخـــوة تغـــبط الأنـــامُ صـــاحبَها لأن حـــظ فتاهـــا - فـــي العُـــلا - جَلـــل

هـــي المَنـــارُ لمـــن يـــأوي لسُـــؤدَدِها ومَـــن لـــه مَطمـــحٌ فـــي العـــيش أو أمـــل

هـــي الـــدنانيرُ إنْ فقـــرٌ ألـــمّ بنـــا هـــي العطـــاءُ إذا مـــا النـــاس قـــد بخلـــوا

هـــي الـــدليلُ إذا حـــارت أدلتنـــا والطهـــرُ إن عمـــتِ الأقـــذارُ والوحَـــل

هـــي الســـلاحُ لمَـــن يخـــوضُ خندمـــة كـــيلا تثبطـــه الأعـــذارُ والعِلـــل

هـــي المحبـــة إنْ كـــل الـــورى كرهـــوا هـــي المبـــادئُ والأخـــلاقُ والمُثَـــل

هـــي النصـــيحة فـــي أصـــفى عبارتهـــا ولـــيس ينصـــحُ مَـــن قـــد عـــاش يرتجـــل

هـــي الهبـــاتُ أتـــتْ بـــلا مُؤاخـــذةٍ قـــد ســـاقها مَـــن - علـــى الـــرحيم - يتكـــل

هـــي المرافـــئُ إن تاهـــت سَـــفائننا وحـــار مَـــن ركبـــوا ، وقيـــلَ مـــا العمـــل؟

فيهـــا يجـــودُ - بنشـــر العلـــم - مَـــن عَلمـــوا ويصـــبحُ القـــدوة الشـــهباءَ مَـــن عملـــوا

فيهـــا - بأموالـــه - يســـخو الـــذي ملكـــتْ يـــداه يُعْلمنـــا أن الغِنـــى دُول

ولا يَمُـــن بمـــا يســـخو علـــى أحَـــدٍ لأن صـــاحبنا - بـــالله - متصـــل

ويحمـــل العـــبء عمـــن قـــد يضـــيقُ بـــه لأنـــه إن دعـــا داعـــي الفِـــدا رجـــل

فـــردٌ ويعـــدلُ آلافـــاً مُؤلفـــة مِـــن الأراذل مَـــن - فـــي جـــدهم - هزلـــوا

فـــردٌ وصُـــحبته تســـمو براغبهـــا لأن صـــاحبه - بـــين الـــورى - المَثَـــل

فـــردُ وتُغنـــي عـــن الأهلـــين رفقتُـــه إذ عـــن صـــديق لـــه الـــبلاءَ يَحتمـــل

لمّـــا يَضـــن علـــى خِـــل بعارفـــةٍ شـــأن الألـــى اعتـــذروا فـــوراً إذا سُـــئلوا

أمـــا أخـــوة مَـــن غـــارت مُروءتُـــه والخـــذلُ شـــيمته والبُخـــل والختـــل

فتلـــك عـــارٌ تعـــافُ الـــنفسُ صـــورته لأن صـــاحبها فـــي جُبنـــه بطـــل!

يمـــوت حزنـــاً إذا مـــا الجُـــودُ ناشـــده شـــيئاً مـــن البـــذل يُزجيـــه لمـــن ســـألوا

والنـــذلُ نـــذلٌ ، وإنْ حـــازت خزائنُـــه أمـــوالَ (قـــارونَ) ، إن النـــذلَ مُختبـــل

عَبـــدٌ ، وسَـــيده الـــدينارُ لـــيس ســـوى هـــو التعـــيسُ ، وبـــين النـــاس يُرتـــذل

إن البخيـــلَ جميـــعُ النـــاس تكرهُـــه أمـــا الكـــريمُ بـــه الأنـــام تحتفـــل

والنـــاسُ تـــدعو علـــى البخيـــل مـــا رُفعـــتْ كـــفٌّ ، ومـــا فتـــئ اللســـانُ يَبتهـــل

والنـــاسُ أحبـــابُ مَـــن بـــالجُود يشـــملهم ولـــيس - فـــي جـــوده - زيـــفٌ ولا حِيـــل

وينفـــــرون مِـــــن البخيـــــل يَحـــــرمُهم وسِـــــترُ تقتيـــــره - عليـــــه - ينســـــدل

لنفســـــه عـــــاشَ ، فليلـــــزمْ مَحِلتهـــــا حتـــــى يُباغتـــــه - فـــــي حينـــــه - الأجـــــل

لنفســـــه ضَـــــنّ - بـــــالأموال - يجمعُهـــــا والمـــــرءُ لا بـــــد - عـــــن دنيـــــاه - مُرتحـــــل

لنفســـــه منـــــعَ الحقـــــوق مُعتقـــــداً أن الكـــــريم - علـــــى الأيـــــام - يُبتـــــذل

وخلّـــف الشـــحُّ جرحـــاً فـــي بصـــيرته ولا أراه - علـــــى الأيـــــام - يَنـــــدمل

رأى التواضـــــع بـــــين النـــــاس مَخبثـــــة لـــــذا تكبّـــــر حتـــــى غـــــرَّه الخطـــــل

وكـــم تناســـى الـــذي عانـــاه مِـــن زمـــن وعـــاش شـــيئاً - مِـــن الخيـــال - ينتحـــل!

رأى الـــذي مَـــرّ - مِـــن أيامـــه - طلـــلاً فهـــل يُغيّـــر عـــيشَ الحاضـــر الطلـــل؟

رأى الطريـــــق إلـــــى المـــــأوى يُكلفُـــــه وجنـــــدلَ العـــــزمَ - فـــــي ضـــــميره - السَّـــــفل

فـــيم الدراســـةَ - فـــي الإســـلام - يَعقبُهـــا بُعـــدٌ عـــن العِيـــر مَـــن بـــربهم عـــدلوا؟

فـــيم التمســـكُ بـــالأخلاق فـــي زمـــن يعلـــو الرقيـــعُ بـــه ، والشـــهمُ مُبتـــذل؟

فـيم التبـاهي بمـا - فـي الـدين - مـن قـيم وأنـــت إمعـــة تـــؤوي مَـــن اختبلـــوا؟

زهـدت فـي الـدين ، حتـى عشـت مُنحـدراً إلـى الحضـيض تحـاكي هـزلَ مـن فشـلوا؟

إنـــي برئـــتُ مِـــن الأخـــوة انـــدحرتْ فيهـــا معـــالمُ مَـــن مِـــن خـــذلهم خجلـــوا

أخـــوةٌ بهتـــت ألـــوانُ سُـــؤدَدِها ولا يُثمنهـــا إلا الألـــى سَـــفلوا

أخـــوةٌ فقـــدت رُوحـــاً تـــدِل بهـــا فأصـــبحت - بالـــذي جَنتْـــه - تختبـــل

وأصـــبحت مِـــن جنـــى أفعالهـــا جـــبلاً وهـــل يُطـــاق جَنـــى نفـــس هـــي الجبـــل؟

أخـوةٌ مـا لهـا - فـي الخـذل - مِـن مَثـل ويـــأمنُ النـــاسُ بلواهـــا إذا اعتزلـــوا؟

إذ تجعـــلُ الخـــذلَ تمحيصـــاً وتجربـــةً والحـرصُ - فـي زيفهـا اللمّـاع - يَشـتعل

وكـــم نصـــحتُ ، فلـــم تُـــدركْ رســـالتها! وكـــم جهـــرتُ لعـــل النـــذلَ يَعتـــدل!

إنـــي وجـــدتُ - بأهـــل الســـلم - غـــائبتي مِـــــن الـــــذين إذا ذكّـــــرتهم وجلـــــوا

مَـــــن يبـــــذلون بـــــلا مَـــــن ولا ألـــــم وينصـــــحون بـــــأقوال هـــــي الغـــــزل

مَـــــن يبـــــذلون ، وإنْ مـــــدحتُهم أســـــفوا لأن قـــــدوتهم - مِـــــن الـــــورى - الرُّســـــل

فـــــالجودُ طـــــابعُهم إمـــــا إذا برحـــــوا والبـــــذل ديـــــدنهم إمـــــا إذا نزلـــــوا

هـــمُ الميـــامينُ فـــي سِـــر وفـــي عَلـــن وهـــــم تُقـــــاة إذا قـــــالوا وإن فعلـــــوا

هـــمُ الأشـــــاوسُ ، لا تُلـــــوى إرادتهـــــم والقـــــولُ فصـــــلٌ ، فـــــلا هـــــزلٌ ولا زلـــــل

هـــــم الأماجـــــدُ ، والأمجـــــادُ مـــــوئلُهم والقـــــومُ ممـــــا أتـــــت أمجـــــادُهم ذهلـــــوا

هـــــم الأفاضـــــلُ بالأفضـــــال قـــــد نُعتـــــوا والصـــيتُ مستشـــرفٌ ، والأجـــرَ قـــد حصـــلوا

ولســـــتُ أقـــــوى علـــــى ردّ الجميـــــل لهـــــم وإنْ تكلفـــــتُ ممـــــا كنـــــتُ أفتعـــــل

وإنمـــا الشِـــعرُ بعـــضُ الـــرد لـــيس ســـوى فـــي كـــل بيـــتٍ رُوِىً نـــاءت بْهـــا الجُمـــل

والشِـــــعرُ يُنصِـــــفهم ممـــــن ينـــــاوئهم إن الحقـــــائق لا يُضـــــيرُها الجـــــدل

أعـــيشُ مـــا عشـــتُ فـــي الـــدنيا أوَقـــرهم فهـــم لكـــل الـــذي أدعـــو لـــه كفلـــوا

أجِـــلُّ - فـــي هـــذه الـــدنيا - أخـــوتهم كمـــا يُجَـــلّ العِظـــامُ الســـادة الأول

أدعـــو لهـــم كلمـــا ذكـــرتُ سِـــيرتهم إنْ جـــاوروني ، وإنْ عـــن قريتـــي ارتحلـــوا

ربـــاه هُـــم - بجميـــع الفضـــل - قـــد سَـــبقوا فاقبـــلْ صـــحيحَ الـــذي فـــي ذِي الـــدُنا عَمِلـــوا

الأخوة الزائفة (سُداسيات شعرية)

(بعد أن سعى عامداً في خراب بيت شقيقه ، وصاحبَ الأعداء ، وقام بصياغة الحبكة القصصية ، وسيناريو المسرحية ، وإعداد السهرة الدرامية ، والتمثيلية الهزلية ، زاعماً أن الحقيقة يمكن أن تموت بمرور الأيام ، ولم يكن فيه مَعلمٌ من معالم الأخوة التي كان عليها عُتبة وشيبة ولدا ربيعة ، فضلاً عن معالم الأخوة في التصور العقدي ، حيث يَزعمُ هذا الجاني أنه من أهله. وقد أرسل شفعاءه ليحققَ مبدأ يتوافق عليه كثير من المغالطين هو:

مـــــــن اليـــــــوم تعارفنـــــــا وننســـــــى مـــــــا جـــــــرى منـــــــا

ولا كـــــــــــان ، ولا صـــــــــــار ولا قلـــــــــــتُم ، ولا قلنـــــــــــا

وإذا به يبتسمُ لشقيقه ابتسامة البُله والسذج والمنافقين ، واهماً أن الابتسامة يمكن أن تعيد الأخوة المزعومة المُفتراة المُدّعاة ، ونسي أو تناسى بيتاً من الشعر يصفُ تنافر القلوب فيقول شاعره مبيناً أنها لا تعود كما كانت مطلقاً ، مهما كانت الجهود المبذولة في ذلك:

إن القلـــــــوب إذا تنـــــــافر ودّهـــــــا مثـــــــل الزجاجـــــــة كسْـــــــرُها لا يُشـــــــعَبَ

ومن هنا كانت القصيدة ترجمة لهذا المَوقف الأليم المُزري من الشقيق الزائف الذي لا يُشرّف. يقول الأستاذ عبد الرحمن الكيلاني عن الأخوة الحقيقية ما نصه: (لا شك أن مفهوم الأخوة في الإسلام يتعلق بالإيمان نفسه وهو قائم على العلاقة في الله ، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول في الحديث الصحيح: "أوثقُ عُرى الإيمانِ الحُبُّ في اللهِ والبغضُ في اللهِ". وفي الحديث الآخر: "من أحبَّ في الله وأبغضَ في الله فقدِ استكملَ الإيمانَ" ، لأن الحب من عمل القلب متعلق به. وكذلك البغض ، وهما ـ أي الحب والبغض ـ يجب أن يكونا عند المؤمن في الله ولله. فالمؤمن يحب ما أحب الله ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يبغض ما أبغض الله ورسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ. لذلك ، فإن عمل قلب المؤمن ـ من حب أو بغض ـ إنما متعلق بأمر الله تعالى وأمر دينه! لا بهوى النفس وحظوظها ، لأن النفس في ذاتها قد تحب ما يبغض الله ـ والعياذ بالله ـ وبالعكس ، فإنها قد تبغض ما يحب الله تعالى. وهذا ـ بلا شك ـ نقص وشرخ في إيمان المرء. لذلك ، فإن مفهوم الحب في الله والبغض فيه ـ سبحانه ـ له موازين تحكمه. يقول المولى عز وجل: (والعَصْرِ إنَّ الإنْسانَ لفي خُسْرٍ إلاّ الذينَ آمنوا وعَمِلوا الصّالحاتِ وتَواصَوْا بِالحَقِّ وتواصَوْا بالصَّبْرِ). روى الطبري في تفسيره جامع البيان بسنده عن مجاهد: "(إن الإنسان لفي خسر) إلا من آمن (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يقول: إلاّ الذين صدقوا الله ووحدوه ، وأمروا له بالوحدانية والطاعة ، وعملوا الصالحات ، وأدوا ما لزمهم من فرائضه ، واجتنبوا ما نهاهم عنه من معاصيه ، واستثنى الذين آمنوا من الإنسان ، لأن الإنسان بمعنى الجمع ، لا بمعنى واحد". وقال الطبري: "وقوله: (وتواصوا بالحق) يقول: وأوصى بعضهم بعضا بلزوم العمل بما أنزل الله في كتابه من أمره واجتناب ما نهى عنه فيه. وقد جاء عن الحسن (وتواصوا بالحق) يعني: كتاب الله. قوله: (وتواصوا بالصبر) "يقول: وأوصى بعضهم بعضاً بالصبر على العمل بطاعة الله. وهذا مروي عن قتادة بن دعامة السدوسي. قال: (وتواصوا بالصبر) الصبر: طاعة الله. وكذلك قال الحسن البصري رحمهم الله تعالى"اهـ. وجاء عن الشافعي قوله: "إن الناس أو أكثرهم في غفلة عن تدبر هذه السورة". ونقل ابن كثير في

تفسيره قول الشافعي - رحمه الله -: "لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم". وقال ابن كثير عند قوله تعالى: (وتواصوا بالحق): "وهو أداء الطاعات ، وترك المحرمات. (وتواصوا بالصبر) أي على المصائب والأكدار وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر").هـ. روى الإمام مسلم بن الحجاج القشيري في صحيحه عن بردة عن أبي بردة عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضاً". وعنده عن النعمان بن البشير مرفوعاً: "مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثلُ الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحمى". وفي رواية عنه قال صلى الله عليه وسلم: "المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينُه اشتكى كله ، وإن اشتكى رأسُه اشتكى كلُّه").هـ. الأخوة أكسير الحياة بعد التوحيد! ولكن أية أخوة؟ إها الأخوة الحقيقية الصادقة! والآن لنطالع القصيدة! وأعتذر عن طول المقدمة ، فلقد كان هدفي أن أبين الفارقَ الجوهريَ بين الأخوة الزائفة ، والأخوة الحقيقية!)

خبّئ البسمة ، هذا أوقعُ ... واذبح الفرحة ، أنت الأرفعُ

واقتل الترحيبَ ، لا تنطقْ به ... وانسفِ التجميلَ ، هذا أروع

واقطع الودَ الذي أودى بنا ... إنما سيفُ التجني أقطع

انتهى عهدٌ تولى بيننا ... إنما مات الإخاءُ الطيع

وعلى الماضي أقمْ لي مأتماً ... إنما هذا مُصابٌ مُفجع

إنني أردتُ فؤادي نارُكم ... والتعالي مِنك هذا أفظع

****

لست والله تساوي حيرتي ... أنت غِرٌ لا تساوي صرختي

إنما أنت الشقيقُ المُفتري ... وأنا وَحدي أعاني حُرقتي

نسبٌ قد رَخصَتْ أثمانه ... ليس والله يُساوي دَمعتي

كم من الأعماق قد أعطيته ... كي يُربى في مَغاني لوعتي!

وكظمتُ الغيظ أرعى وُدّهُ ... ليت شعري ، كم طوتْني ثورتي!

كنت أزجي كل خير ، أبتغي ... رفعَ قومي والهُدَى والشِرعة

****

يا شقيقَ الغِل أنت المُنْتِنُ ... وضياعُ الود منكم هيّنُ

قـــد ســـبكت الـــدورَ ، خفـــفْ نبـــرة ... فلكـــل الزيـــف أنـــت المـــتقن

غيّـــر الحَبكـــة هـــذي ، إنهـــا ... كُشـــفتْ ، وانجـــابَ فيهـــا المَطعـــن

لســـت منـــي لحظـــة ، يـــا مُفتـــر ... دَارُكـــم مـــا عـــاد فيهـــا مـــأمن

إن مـــاء العمـــر فيهـــا ذاهـــبٌ! ... وعـــذابُ الـــروح فيهـــا مُـــزمن

وهـــلاكُ المـــرء فيهـــا مُحـــدقٌ ... وســـرابُ الـــوهم فيهـــا يَكمـــن

****

إن صِـــدقَ الـــنفس شَـــمسٌ تشـــرقُ ... وعطـــاءَ الـــذات خيـــرٌ يعبـــقُ

وشـــقيقَ المَـــرء مَـــن يســـمو بـــه ... وحبيـــبَ الـــروح خِـــلٌ يَصـــدق

لـــيس يُوشِـــي لفظـــة عـــن خِلـــه ... وعلـــى المَحبـــوب دَومـــاً يُشـــفق

لـــيس يســـعى خلـــف دينـــار ، ولا ... يرتضـــي الشـــح ، فـــدوماً يُنفـــق

يعبـــدُ المَـــولى ، ويَرضـــى حُكمـــه ... وهْـــو – بـــين العـــالمين - البيـــرق

شـــامة تحيـــا بهـــدْي وتقـــىً ... وبكـــل العـــدل دومـــاً تنطـــق

****

أيـــن مَـــن دنيـــاي خِـــلٌ مســـلمُ ... شـــامخ العـــزة ، فيهـــا هيـــثمُ؟

يبـــذلُ المعـــروف دومـــاً ، والهُـــدى ... وإذا حُوربـــتُ ثـــارَ الضـــيغم

ضـــاحكُ الثغـــر شَـــقيقٌ وأخ ... ينصـــحُ الصـــحبَ علـــيهم يحلـــم

راشـــدُ الـــرأي ، صـــريحٌ فـــي المَضـــا ... ولـــه وسْـــط البرايـــا مَعلـــم

ينثـــرُ النـــورَ علـــى عُمـــر الفتـــى ... ويُبيـــدُ الشـــرَ لا يَستســـلم

رب فارزقنـــا صـــديقاً مُؤمنـــاً ... وفِـــداه الـــروحُ ، صِـــدقاً والـــدم

الرجولـــة المـــوءودة!

(الأخوة عندي بذلٌ وتضحية ، وفداءٌ ونصيحة وجود. وأما الأخوة الباهتة الهزيلة الأنانية فلا تصلح أن تكون صُحبة أو مَعرفة. وحقيقة ما استحق أن يكون أخاً شقيقاً مَن سَولتْ له نفسه يوماً ، وسمحَ له ضميرُه الميت ، وقبلتْ له شخصيته ، وأذنتْ له أخوته أن يُهان شقيقه إهانة بلغتِ المُنتهى وهو يعلم. ولا أراه شقيقاً أبداً من كان يسعى في النيل من أخيه ، في غربةٍ كلاهما في أشد الحاجة لأخيه أو لشقيقه المزعوم. وصدق الشاعر أبو فراس الحمداني إذ يقول معاتباً! ولقد أجدى عتابه ، لأن أهله كانوا على مستوى الأهلية:-

أيـــا قومنـــا لا تُشـــعلوا الحـــرب بيننـــا أيـــا قومنـــا لا تقطعـــوا اليـــد باليـــدِ

فجـــرحُ ذوي القربـــى أشـــد مَضاضـــة علـــى الـــنفس مـــن وقـــع الحُســـام المُهنـــد

إن الأخوة هي المفتاح السحري للتعامل مع الأحداث ، ومن هنا كانت للأخ وللشقيق مكانتُهما في هذه الحياة. ولا يدرك ما أقول إلا رجل فقد الشقيق الموحد أو الأخ في الله. وساعة يكون الشقيق على عقيدة وتوحيد يكون شقيقه محظوظاً منظوراً من قبل الآخرين! ولكن عندما توأد الرجولة ويسمح الشقيق بأن يرى شقيقه مهاناً بعد كرامة وذليلاً بعد عزة ، فليس ثمة علاقة ولا خلة ولا شفاعة ، ولا يتمسّحَن شقيق هذا وصفه بشقيقه. وصدق إيهاب عبد الجليل إذ قال: (للرجولةِ قيمتُها ومنزلتها عند أربابِ العقول ، ويَدَّعيْها مَن ليسَ من أهلِ الاستنانِ بها من الصغار ، ويَرنو إلى المِدحةِ بها الأكابرُ ، فيُمدَح الشخص بأنه: رجلٌ ، ومن قومٍ رِجال ، وفيهِ رُجولةٌ ، وقد يَصِلُ الحالُ أن تُمْدَح المرأةُ بأنها: مُسْتَرْجلةٌ ، لنُدرَةِ الرجولة بين الناس). قال تعالى: (مّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ) ، وقال تعالى: (رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَاء ٱلزَّكَـوٰةِ يَخَـٰفُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلأَبْصَـٰرُ). إن بين الله وبين المؤمنين بيعة ، مفادها قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ). المشتري هو الله ، والبائع فيها هو المؤمن ، والسلعة هي الأنفس والأموال ، والثمن هو الجنة.)

إنمـــا نـــورُ المكرمـــات ســـبيلُ والهُـــدى - بـــين المُكْـــرَمين - رســـولُ

لكـــنِ الكيـــدُ المســـتريبُ طوانـــا وعلـــى أشـــلاء الإخـــاء طلـــول

بيننـــا آبـــارٌ تُـــؤجِّج نـــاراً وعَـــذاباتٌ فـــي دُجاهـــا الفلـــول

ونجـــومُ الـــود الشـــريفِ تناءتْ وأبـــادَ الإشـــراقُ فيهـــا الأفـــول

وإخـــاءٌ – عَبْـــرَ الـــدُجُنّات - عـــانى ثـــم أردى الأطيـــافَ فيـــه الـــذبول

ليـــت شِـــعري ، كيـــف الرجـــولاتُ ماتـــت ثـــم ســـادتْ - بـــين الأنـــام - الـــذيول

واســـتبيحَ العِـــرض الكـــريم غِلابـــاً وعـــلا – بـــين الخلـــق – نـــذلٌ عميـــل

لا تســـــلني كيـــف الـــودادُ تـــولى؟ لا تسَـــــلني ، إن الجـــــوابَ يَطـــــول

لا تســـــلني ، أنســـــابُنا لا تســـــاوي ودِمانـــــا – بـــين البرايـــا - تســـيل

لا تســـــلني ، هـــذي الـــدماءُ تُـــرابٌ وإبـــــاءُ الأرواح فيهـــــا قتيـــــل

لا تســـــلني عمّـــا كتبـــتُ بشـــعري قـــد تنـــاءى عنـــي وعنـــك الســـبيل

لا تســـــلني ، كيـــف الأخـــوة زالـــت؟ ولمـــــاذا هـــــذا الشـــــقاءُ يطـــــول؟

ولمـــــاذا بينـــــي وبينـــــك بُعـــــدٌ؟ ولمـــــاذا الشـــكوى؟ ومـــــاذا الـــدليل؟

ولمـــــاذا لا نرتضـــــي الوصـــــلَ زَاداً؟ ولمـــــاذا يُـــــردي الإخـــــاءَ عَـــــذول؟

قلـــتُ: كـــلا ، أنـــت الوئيـــدُ تمهّـــلْ وجبـــانٌ – فـــي المَكرُمـــات - رذيـــل

ومصـــــابٌ بالخـــــذل قلبـــــاً وعقـــــلاً ووضـــــيعٌ فـــــي النائبـــــات خـــــذول

ولكـــــم عانيـــــتَ الرقـــــاد طـــــويلاً! وشـــحيحٌ – فـــي التضـــحيات - بخيـــل

أنـــت أخـــزى مَـــن قـــد عرفـــتُ ، وربـــي وبَطـــــيءٌ عنـــــد المصـــــاب كســـــول

وعـــــديمُ الأخـــــلاق قـــــولاً وفعـــــلاً وغلـــــيظ - عنـــــد الإبـــــاء - كليـــــل

لـــــم تكـــــنْ يومـــــاً مســـــلماً وحنيفـــــاً ثابتـــــاً فـــــي أخـــــذ الهُـــــدى لا تميـــــل

حيـــث لـــو أنـــت المُتقـــي مـــا ذللنـــا لا ، ولـــم يَخمِـــش خافقينـــا العُجـــول

لـــم تكـــنْ تـــدري مـــا الرجولـــة حقـــاً إنمـــــا أنـــــت المُســـــتهين العليـــــل

إنمـــــا لـــــو كنـــــت الكـــــريمَ المُعَلـــــى لـــــم يكـــــنْ لـــــي ذاك المَقـــــامُ الـــــذليل

لـــم أكـــنْ – بـــين الخلـــق – يومـــاً مُهانـــاً لـــم يكِـــدْ لـــي – بـــين البرايـــا - الـــدخيل

فـــادفن الأخـــلاقَ التـــي لـــم تصُـــنها فعســـــاني يحنـــــو علـــــيّ خليـــــل

وعســـــاني ألقـــــى رجـــــالاً بقـــــومي وعســـــاني يطـــــوي اســـــتيائي الرحيـــــل

صِدق الأخـــوة!

(إن القصة التي قال صاحب (عيون الأخبار) ج4 صـ 5:4 عن هذين الأخوين لغريبة! قال العُتبي: سمعتُ أبي يحدّث عن ناس من أهل الشام: أن أخوين كان لأحدهما زوجة ، وكان يغيب ويخلفه الآخر في أهله ، فهويته امرأة الغائب فراودته عن نفسها فامتنع ، فلما قدم أخوه سألها عن حالها ، فقالت: ما حال امرأة تراوَد في كل حين! فقال: أخي وابن أمي! وإني لا أفضحه! ولكن لله عليّ أن لا أكلمه أبداً. ثم حج ، وحج أخوه والمرأة ، فلما كانوا بوادي الدوم "مكان في الحجاز يفصل بين خيبر والعوارض" ، هلك الأخ ودفنوه ، وقضوْا حجهم ورجعوا ، فمرّوا بهذا الوادي ليلاً فسمعوا هاتفاً يقول:

أجـــدك تمضـــي الـــدوم لـــيلاً ، ولا تـــرى عليـــك - لأهـــل الـــدوم - أن تتكلمـــا

وبالـــدوم ثـــاو لـــو ثويـــت مكانـــه ومـــرّ بـــوادي الـــدوم حيـــاً لســـلما

فظنتِ المرأة أن النداء من السماء ، فقالت لزوجها: هذا مقام العائذ ، كان من أخيك ومني كيت وكيت. فقال: والله لو حلّ قتلك لوجدتني سريعاً ، ففارقها وضرب خيمة على أخيه وقال:

هجرتـــك فـــي طـــول الحيـــاة ، وأبتغـــي كلامـــاً لمـــا صـــرت رمســـاً وأعظمـــا

ذكـــرتُ ذنوبـــاً فيـــك كنـــت اجترمتهـــا أنـــا منـــك فيهـــا كنـــت أســـوا وأظلمـــا

ولم يزل مقيماً حتى مات ودفن بجانب أخيه ، فالقبران معروفان (عيون الأخبار : 4 /5:4).هـ.

وإن المرء اليوم لينعي الأخوة حيث كان بعض الإخوة يأتي بالصرر فيها الدراهم والدنانير ، فيجعلها في نعال إخوانه حتى إذا لبسوها أحسوا بما فيها فأخذوه دون أن يشعروا ، فيقال له: لماذا لا ترسلها إليهم؟ قال: "إني أكره أن يتمعر وجه أخي عندما ينظر إلى رسولي ، أو إلى كتابي ، أو إذا لقيني"! وقال عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - معبراً عما كان في ذلك الصدر الأول من البذل للإخوة: "أتى علينا زمان وما يرى أحدٌ منا أحق بالدينار والدرهم من أخيه المسلم". قال أبو عبيد القاسم بن سلام: "زرت أحمد بن حنبل في بيته ، فأجلسني في صدر داره ، وجلس دوني ، فقلت: يا أبا عبد الله أليس يقال: صاحب البيت أحق بصدر بيته؟ فقال: نعم ، يقعد ويُقعِد من يريد" ما دام له الحق يُقعِد من يريد ، "فقلت في نفسي: خذ إليك فائدة أبا عبيد ، ثم قلت: يا أبا عبد الله ، لو كنت آتيك على نحو ما تستحق لأتيتك كل يوم" لو على حقك ومقدارك - يا أيها الإمام - لكان الواجب أن آتيك كل يوم". قال: لا تقل هذا إن لي إخواناً لا ألقاهم إلا في كل سنة مرة أنا أوثق بمودتهم ممن ألقى كل يوم". قد تكون هناك ظروف تمنع من اللقاء اليومي ، أو الأسبوعي ، أو الشهري ، لكن المحبة في الله باقية ، "فقلت في نفسي: خذ أبا عبيد فائدة ثانية ، فلما أردت القيام قام معي ، فقلت: يا أبا عبد الله ، فقال: قال الشعبي: من تمام زيارة الزائر أن تمشي معه إلى باب الدار ، وتأخذ بركابه". "فقلت: يا أبا عبيد هذه الثالثة ، فمشى معي إلى باب الدار ، وأخذ بركابي"! قال بعض السلف: "إني لأستحي من الله أن أسأل الجنة لأخٍ من إخواني ، وأبخل عليه بالدنيا" أي بالدينار والدرهم. وروي أن مسروق رحمه الله ادَّان ديناً ثقيلاً ، وكان على أخيه خيثمة دين ، قال: فذهب مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم - خيثمة لا يعلم أن مسروق قضى دينه - ، وذهب خيثمة فقضى دين مسروق ومسروق لا يعلم ، فكل واحد قام بشأن أخيه من غير أن يعلم ، وكلاهما صاحب حاجة. وكان

أبو جعفر محمد بن علي يدعو نفراً من إخوانه كل جمعة ، فيطعمهم الطعام ، ويطيبهم ويبخرهم ، ويروحون إلى المسجد من منزله. أنشدتُ في ذلك من المنسرح أقول:)

أخـــــوة تُبتغـــــى وتُلـــــتمَسُ منهـــــا كِـــــرامُ الأنـــــام تقتـــــبسُ

ليســـــت تُبـــــارى مهمـــــا تَكلفهـــــا جيـــــلٌ - بمـــــا يحتويـــــه - يـــــأتنس

إن الإخـــــاءَ البـــــرئ ديـــــدنها ومِـــــن أصـــــيل الوفـــــا لهـــــا أســـــس

والمَكْرُمـــــاتُ الحِســـــانُ تُربتُهـــــا والبـــــذلُ والجُـــــودُ هـــــا همـــــا قـــــبس

مـــــاذا تريـــــدُ البلهـــــا التـــــي مَكـــــرتْ؟ والعِشـــــقُ طوفـــــانٌ فـــــائرٌ مَـــــرِس

كـــــم أزهـــــا للـــــذي تُؤمّلـــــه وهـــــجُ التـــــدني ، كأنـــــه القـــــبس!

إذ راودتْ لـــــم تَخـــــفْ عواقبهـــــا وقلبُهـــــا - فـــــي السُـــــعار - مُـــــنغمس

تُســـــعّرُ النـــــزوة التـــــي جَمحـــــتْ وذا طريـــــقٌ مُجنـــــدلٌ يَـــــبَس

ولكـــــنِ الشـــــهمُ عـــــاب جُرأتهـــــا وقـــــال: لســـــتُ البهـــــيمَ يفتـــــرس

وإنْ تخـــــنْ تلـــــك زوجهـــــا عَلنـــــاً والأمـــــرُ بـــــادٍ ، ولـــــيس يلتـــــبس

وتبـــــذلُ العِـــــرضَ لـــــيس يردعُهـــــا عُـــــرفٌ ، ولا إســـــلامٌ ، ولا عَسَـــــس

وتشـــــتهي العـــــارَ لســـــتُ أقربـــــه واهتـــــاجَ فيهـــــا السُـــــعارُ والـــــنفس

فلـــــيس مثلـــــي الـــــذي يَحِـــــنّ لهـــــا إذ للتـــــدني أزيـــــارُه الحُمُـــــس

وإنْ أتتنـــــي ضُـــــحَىً تراودنـــــي عَـــــز الـــــذي تشـــــتهي وتلـــــتمس

خـــــوفي مِـــــن الله بـــــات يَمنعُنـــــي وللتـــــردّي تبـــــذلٌ نجـــــس

وإنّ صـــــدق الإخـــــا يُسَـــــربلني صُـــــواه بـــــادٍ ، ولـــــيس ينـــــدرس

فأين المعالـــــي؟

(إذا كانت الأخوة مسمى فقط ، وزيارات صورية وشكلية في المناسبات ، دون تحقيق الركن الركين في الأخوة والذي نجده في قول النبي – صلى الله عليه وسلم -: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ، فإنها والحال هكذا تصبح أخوة زائفة جوفاء لا قيمة لها. ويكون الأغراب لهم من الاحترام ما ليس للإخوة. إذ الأخوة في حقيقتها بذل وتفان وعطاء وتضحية. إن أخاً يلود كما تلود رقيعات النساء إن كان يريد شيئاً من أخيه ، حتى إذا انقضت حاجته مرّ كأن لم تكن بينه وبين أخيه أرجى مودة ولا أخوة ولا أدنى معرفة ، إن أخاً هذا شأنه لا يستحق أن ينتسب مجرد الانتساب إلى الأخوة. الأخوة معالي أمور ومعالي قيم وأخلاقيات. فإذا فرّغتْ من حقيقتها ومضمونها فليس ثمة أخوة! وعموماً الأنذال لا يُصافيهم ولا يُصاحبهم إلا الأنذالُ الذين هم على منهجهم وطريقتهم. أما الكرماء ذوو القيم والمبادئ والبذل فلهم أصحاب يشبهونهم في منهجهم! وكما يقال بصدق: (الطيور على أشكالها تقع! والنذل الخسيس لا يُتوقع منه أن يقوم بأعمال الرجال المغاوير!)

تـــا الله مـــا الأتـــراحُ كـــالأفراحِ! شـــتّان بـــين الليـــل والإصـــباح!

إنّ الإخـــوة إنْ تمـــرقَ وصْـــلها ليســـت تخاطـــبُ عـــالمَ الأرواح

وأخـــوة الأنـــذال عـــارٌ يُتقـــى فمـــن الـــذي يئـــدُ الإخـــا ويُلاحـــي؟

أيـــن المعـــالي فـــي أخـــوة أرذل متملـــق مســـتعطفٍ مِلحـــاح؟

إمـــا أراد الشـــيءَ كـــافحَ دونـــه أبـــئسْ بشـــر مُكـــافح وكِفـــاح!

يتملـــقُ الأخ فـــي تزلـــف مُعـــدِم! ويَجـــدّ فـــي التدشـــين والأمـــداح!

ويسِـــحّ مُلتاعـــاً دمـــوعَ مُضـــيّع ويُضـــيفُ للآهـــات بعـــضَ نـــواح

حتـــى إذا نـــالَ الخســـيسُ مُـــراده أو حقّـــقَ المَـــرذولُ بعـــضَ نجـــاح

نكِـــرَ الجميـــلَ ، وكـــادَ للشـــهم الـــذي يومـــاً أعـــانَ بهمـــةٍ وطِمـــاح

ومضـــى يُبـــاهي النـــاسَ بالخـــذل الـــذي هـــو طبعُـــه ، يـــا ويـــحَ هـــذا اللاحـــي!

ويقـــول: حققـــتُ المـــآربَ كلهـــا بالختـــل والتلفيـــق والإلحـــاح

إن الأخـــوة مِـــن صَـــنيعكِ تســـتحي يـــا لاعبـــاً بـــالزيف شـــر ســـلاح

ولقـــد عرفتـــكَ بعـــد طـــول تـــربّص شـــتان بـــين الشـــهم والســـفاح!

نعـــم الوكيـــلُ اللهُ حســـبي وحـــده! ولســـوف يَشـــفي الله كـــل جراحـــي

فأين حق الجـــوار؟

(عندما تفتقد الأخوة بين شقيقين ، نسأل فنقول: فأين حق الجوار؟ ولا جواب. لأن الشعار هو(عشْ نذلاً تعش أو تمت مستوراً) ، وأيضا (نفسي ومِن ورائي الطوفان). وقد سرق هذا الشقيق الغادرالمفتقد لمعاني الأخوة كُتب شقيقه وأسفارَ عِلمه وشرائطه المسجلة علانية بلا حياء. فليته إذ افتقد الأخوة حافظ على الجوار العام. لقد وصف الله المؤمنين بقوله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ). يقول القرطبي: (والأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال. والأمانة تشمل كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه قولاً وفعلاً والأمانة هي أداء الحقوق ، والمحافظة عليها. والأمانة خلق جليل من أخلاق الإسلام! فهي فريضة حملها الإنسان ، بينما أبتِ السماوات والأرض والجبال أن يحملنها).هـ.)

كـــم تلظـــتْ فـــي بلاويهـــا ضـــمائرْ! واســـــتكانت لمآســـــيها ســـــرائرْ!

وافتـــرى فـــي ظلمِـــهِ نـــذلٌ خســـيسٌ أضـــرمَ الكيـــدَ ، وضَـــحّى بالأواصـــر

وامتـــرى الإفـــكَ يُغطـــي مـــا تبـــدّى مِـــن عَـــوار لـــم يكـــنْ إلا بـــوادر

حـــاز أســـفاري، كـــأني زرتُ قبـــري ومضـــى بالســـطو يزهـــو ويفـــاخر

يخـــدعُ النـــاسَ لكـــي يلقـــى التحايـــا أو يقـــالَ: عـــالمٌ جَـــمّ المَـــآثر

أنـــتَ - والله - جَهـــولٌ لا تســـاوي مِدحـــة غبـــراءَ يُلقيهـــا مُقـــامر

فلمـــاذا تلـــبسُ العِلـــم رداءً؟ يـــا ســـفيهاً ، هـــل غـــدا العِلـــمُ مظـــاهر؟

أنـــت عبـــد للـــدنايا والأغـــاني لـــم تكـــنْ طالـــبَ عِلـــم أو مُنـــاظِر

أنـــت للأزيـــاء عَبـــدٌ مُســـتكينٌ أنـــت بالعِصـــيان للمَـــولى تُجـــاهر

يـــا أبـــا جهـــل أعِـــدْ أســـفارَ علمـــي وتفـــرَّغ لأغـــاني كـــل ســـامر

إن للعلـــم رجـــالاً لســـتَ مِـــنهم طهُـــروا سَـــمتاً وهَـــدياً وســـرائر

ولـــه ضـــحَّوْا بأوقـــاتٍ ومـــال وديـــار ، بـــل ودُور وعشـــائر

أنـــت لـــم تُنفـــقْ علـــى العلـــم ريـــالاً إنمـــا تســـرقُ أســـفارَ المســـافر

لـــو ترانـــي لســـتُ للســـاطِي شَـــقيقاً أيـــن حـــقُ الجـــار للجـــار المجـــاور؟

من أرشيفِ الغربـــــة!

(اغتربَ هذا البائس عن أهله لسنوات. فقام بعضُ أهل الأغراض من ذويه بالاستيلاء على كتبه وممتلكاته التي قد تركها عند الأهل أشبه وأقرب ما تكون بالأمانة. فلما رجع رثى للحال وأخذ يقلبُ أوراقَ الغربة من أرشيفها. والأصلُ أن يحافظ الأهل على مُقتنيات ابنهم إن كانوا أهلاً حقيقيين! أما أن تكون ممتلكاتُ الغائب نهباً للسِباع والضواري ، فهي إذن أعرافُ الغابة وتقاليدُ الأوابد والوحوش! تلك الأعرافُ والتقاليد التي لا تحترمُ ملكيات فردية ولا خصوصيات لآخرين! قول صلى الله عليه وسلم: {أربعٌ من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن ، كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها: إذا أوتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر} رواه الشيخان. وأيضاً: {لا إيمان لمن لا أمانة له}.)

غربتـــــي طالـــــتْ وآذانـــــي الشـــــقا ... فمتـــــى – بـــــالأقربين - المُلتقـــــى؟

هـــــذه الغربـــــة أمســـــتْ شَـــــبحاً ... يَســـــرقُ العُمـــــرَ ، ويُزجـــــي العَسْـــــلقا

ولظاهـــــا مُوقِـــــدٌ نـــــارَ الجـــــوى ... والغريـــــبُ مـــــا لـــــه - فيهـــــا - بقـــــا

بـــــاغترابي نـــــال كـــــلّ إربَـــــه ... وأنـــــا – وحـــــدي - ألـــــوكُ المَأزقـــــا

عَـــــذبتني غربتـــــي بـــــين الـــــورى ... كيـــــف يحيـــــا المـــــرءُ يَجتـــــرُّ الشـــــقا؟

وحـــــده يبكـــــي بـــــدمع حـــــائر ... بـــــات - بـــــالأغلال جَبْـــــراً - مُوثقـــــا

يفـــــتحُ الأرشـــــيف لا يلقـــــى ســـــوى ... غربـــــة تُزجـــــي أســـــاها مَنطقـــــا

أكلـــــتْ عمـــــري وبأســـــي عنـــــوة ... وأعـــــارتْني - بكـــــلٍّ - مَزلقـــــا

والكتابـــــات ثـــــوتْ ، تشـــــكو النـــــوى ... لـــــم يجُـــــلْ - فـــــي خـــــاطري - أن تُســـــرقا

إذ عليهـــــا قـــــد ســـــطا مُســـــتهزئٌ ... وعليهـــــا بيتـــــه قـــــد أغلقـــــا

ثـــــم إنْ عُوتـــــب أرغـــــى مُزبـــــداً ... وإلـــــى الإنكـــــار كـــــان الأســـــبقا

حـــــاز أســـــفاري ، بـــــلا أدنـــــى حيـــــا ... إننـــــي أمقـــــتُ هـــــذا الأخرقـــــا

مُســـــتحِلاً كـــــل شـــــي كـــــان لـــــي ... خائنـــــاً عهـــــدَ الإخـــــا ، والمَوثقـــــا

وبهـــــذا زادَ ضـــــنكا غربتـــــي ... حَـــــاملاً سِـــــكّينه ، والبَيرَقـــــا

اختـــلاف

(شقيقان الأولُ شهمٌ لم يبخلْ على شقيقه قط. بل أقال عثرته ، منفقاً من وقته وجهده وماله الكثير. والثاني نذلٌ جبٌ خسيسٌ جبان. دينارُه أحب إليه من روحه فضلاً عن شقيقه. وفي الحديث: "تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميلة ، تعس عبد الخميصة ، إن أعطيَ رضي وإن منع غضب ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش". قال الشيخ الحسن الددو: (وهذا تحذير من الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته من الإيغال في هذه الدنيا وأن تكون أكبر همهم ، فبيَّن أن العبد الذي يجمع الدنانير والدراهم ويرضى بذلك وهو أكبر همه ويصرف وقته وطاقته وجهده وشبابه في جمع الدراهم والدنانير أو جمع الخمائل والخمائص - وهي أنواع الملابس- أو ما يشبه ذلك من ضروب هذه الدنيا ومما فيها ، فإنه قد تعس).هـ. فالدنيا في حقيقتها عرض زائل ، والآخرة هي دار الحق! أنشدتُ في هذا قصيدتي من السريع!)

يـــــا فاقـــــدَ الإحســـــاس والشـــــيمِ ... يـــــا ظلمـــــة فـــــي عـــــالم القِـــــيمِ

يـــا صـــخرة - فـــي الـــدرب - جاثمـــة ... يـــا مُـــوغلاً فـــي أخبـــثِ الـــتهم

يـــا عابـــدَ الـــدينار يَجمعُـــه ... فـــي مَرتـــع مُســـتقذر وَخِـــم

يَختـــالُ – بـــالأموال - مُزدَهيـــاً ... ويَصـــولُ بـــالأرزاق والقِسَـــم

هـــل تـــذكرُ الإنفـــاق أعضـــلني ... وسَـــعيتُ فـــي الأخطـــار والقحَـــم؟

والبيـــت قـــد قسّـــمْتُه طمعـــاً ... فـــي أن تـــرى يـــا مُغرضـــاً كرمـــي

قـــد كنـــتُ أرجـــو أن تشـــاركني ... عِـــبءَ الهُـــدى فـــي عـــالم الظلـــم

لله أخلصْـــتُ العطـــا ، فأنـــا ... مـــا كنـــتُ - فـــي بَـــذلي - بمُهـــتم

إن اختلافـــاً بيننـــا سَـــطعتْ ... أنـــوارُه فـــي كـــل مُصـــطدم

نـــذلاً تعـــيشُ العمـــرَ مُحتقـــراً ... وأراك فينـــا غيـــرَ ذي شـــيم

وإذا لقيـــت اللهَ دون هُـــدى ... تلقـــاه حقـــاً غيـــرَ مُحتـــرم

أقصِـــرْ ، وخُـــذ دَرســـاً ومزدجَـــراً ... هـــذا أوانُ الـــوعظ والنـــدم

حقـــي مَهـــيضٌ بـــين أظهـــركم ... يـــا مـــن سَـــحَقتم رَونـــقَ الـــرَحم

أشـــهرتمُ سَـــيفاً يُجنـــدِلني ... مـــا جُنحتـــي؟ يـــا قـــوم مـــا جُرُمـــي؟

مفاجأة انعكاس الحقائــق!

(قاطع أخاه ذلك السفيه الحاقد ، على ما يزعم رهط من الحمقى بسبب بُغض زوجته لأخيه ، وايم الله لو كان أخاً في الله ورسوله والإسلام ما حدث منه هذا. ولو كان أخاه في العروبة والقومية والعشيرة والدم ما فعل هذا. ما هو أساس الأخوة؟ الاعتصام بحبل الله عز وجل ، وبمنهج الله عز وجل ، وبطريق الله تعالى. والأخوة عبادة ، ولا بد أن نعرف أن الأخوة عبادة من العبادات ، نعم هي عبادة نتقرب إلى الله بها ، مثلما نتقرب إليه بالصلاة أو بالصيام ، أو بالحج. بالدعاء. بالتوكل. فهي شعيرة من الشعائر الجليلة التي وعد الله تعالى عليها فضلاً عظيماً منه عز وجل ، وهي نعمة عظيمة جداً ، نعمة عظيمة لا يحس بها إلا من توافرت فيه شروط الأخوة ، وإلا فأقولها بصراحة: إن كثيراً من الناس اليوم تجده يقول: فلان من أعز أصدقائي ، أو فلان هذا صديق عزيز ، أو فلان هذا كنت أنا معه في السنة الفلانية ، أو في المرحلة الابتدائية ، أو كنا معاً في حارة واحدة ، هذا فلان من أعز أصدقائي ، هذا الكلام ـ صدقاً ـ لا يعني مطلقاً أن هذين الرجلين متآخيان في الله ، لا. فقد تكون العلاقة بينهما هي علاقة تجاذب وتقارب وتوافق نفسي فقط ، اثنان يرتاحان كل في صاحبه ، أما الأخوة في الله فهي مسألة أعلى من ذلك بكثير ، فهي مراتب وصفات لا يحس بها إلا من عرفها وذاق طعمها. ولا تفسِد هذه العلاقة الحميمية بين الأخوين لا زوجة ولا جارة ولا شقيقة ولا قريبة ولا بعيدة ، ولا أهل الأرض جميعا! ومن هنا برزت مفاجأة للأخ المخلص ، ألا وهي مفاجأة انعكاس الحقائق ، حيث انقلبت الأخوة إلى عداوة وكراهية وبغضاء. والله المستعان على الخذلان وأهله. يقول الأستاذ مصطفي قاسم عباس في مقال له عن الأخوة ما نصه بتصريف: (الأُخُوَّةُ الصادقة كلمةٌ أريْجُها يعطّر الأرجاء ، وعبارةٌ تفيض بالحُبِّ والإخلاص والوفاء. أُخوةٌ من غير نَسَبٍ ، وصداقةٌ لا تعرف الخداع ولا الزيف ولا الكذب. حُبٌّ في الله ، وإخاءٌ لا لمصلحةٍ من مالٍ أو منصبٍ أو جاهٍ. لكنْ ، يبقى السؤال: هل افتقدنا هذه الكلمة في أيامنا؟ أم نحن كالذين سبقونا ، بحثوا عنها فلمْ يجِدوها ، وجعلوا الخِلَّ الوفيَّ ثالثَ المستحيلات. وقد تلتقي بإنسانٍ لأول مرةٍ ، فيغمرك إحساسٌ بأنك تعرفه منذ زمن بعيد ، ويدخل قلبَك من غير استئذانٍ ، والعكس صحيحٌ ، وما ذلك بعجيبٍ ، فإنّ روحك قد ألفَتْ روحَه ، أمّا الثاني الذي لم تستسغه ، فربما يكون في روحَيكُما تنافرٌ لا إراديٌّ ، إما أن يقوَى مع مرور الزمن ، وبعد التجربة والمعرفة ، وإمَّا أن تحصل الألفة فيما بعد ، وعلى كلِّ حالٍ ، حديثُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم واضحٌ في ذلك وصريحٌ ، حيث يقول: (الأرواحُ جنودٌ مجندةٌ ، فما تعارفَ مِنْها ائتلَفَ ، وما تَناكرَ مِنْها اختلَفَ). (صحيح ابن حبان باب: ذكر الإخبار عن سبب ائتلاف الناس وافتراقهم). إنّ الأخ الصادق ، والصديق الصدوق يظفر به الإنسان عندما تبنى هذه الأخوةُ والصداقة على محبة الله ، لذلك جعل الله تعالى من السبعة الذين يُظلُّهم في ظِلِّه يومَ لا ظلَّ إلاّ ظِلُّهُ كما في الحديث الصحيح: (...ورَجُلينِ تَحَابَّا في اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ). (رواه البخاري). فالمحبة في الله هي التي تبقى ، وسِواها يتلاشى ويضمحلُّ ، والذي يحبُّ إنساناً ما لِمالِه ، فإنه لا يحبه لشخصه ، بل يحب المال الذي في جيبه ، لذلك عندما يصبح فقيراً ينفضُّ عنه الناس. وكذلك الذي يحب إنساناً لمنْصبه ، فهو لا يحبه لشخصه ، بل للمنصب الذي يتسلَّمه! وعندما قيل لبعض الولاة كم لك من صديق؟ فقال: أمّا في حال الولاية فكثير. ولما نُكِب علي بن عيسى الوزير لم يَنظُرْ ببابه أحداً من أصحابه الذين كانوا يألفونه في ولايته ، فلما رُدَّت إليه الوزارة ، وقف أصحابه ببابه ثانياً.)هـ. وإذن فالأخوة الحقيقية ليست بالادعاء الأجوف العاري عن الحقيقة! إنما هي بذل وعطاء! يقول صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ». (متفق عليه). ويقول: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ

لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (متفق عليه). ويقول: «مَنْ أَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ وَأَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَنْكَحَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ». (رواه الترمذي). ومن هنا فقد ثبتت رابطة الأخوة بين المؤمنين الموحدين بقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}. فمفهوم الأخوة الإسلامية أنه امتداد لمحبة الله تعالى وتوحيده. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي الْيَوْمَ؟ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي». (رواه مسلم). فالمحبة والموالاة للمؤمنين هي لازم من لوازم محبة الله وأبجدية من أبجديات موالاته ، فمن أحب الله ولله وفي الله لا بدّ أن يحب من يحبه الله سبحانه وتعالى ومن يقرب من الرسل والصديقين والمؤمنين. يقول الله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ). وإلا يكن ذلك كذلك فلا أخوة هنالك ولا إخاء! أكتب من السريع!)

بـــانَ الهـــوى والقصـــدُ والهـــدفُ ... والنـــذلُ عمّـــا قـــال يَختلـــفُ

يـــا صـــاحبي عنّـــتْ حقيقـــتُكم ... والغِـــرُ بالخُـــذلان مُتصـــف

لا تعكـــس الحـــق الـــذي انبلجـــتْ ... آياتُـــه ، فالنـــاسُ قـــد عرفـــوا

لا تنكـــأ الجـــرحَ الـــذي انقهـــرتْ ... آلامُـــه ، فالكيـــدُ مُنكشـــف

أنـــا الـــذي أسْـــرفتُ فـــي ثقتـــي ... واليـــوم يـــا دُهقـــان أعتـــرف

أمســـت أحاديثـــاً أخوتنـــا ... كـــم جُـــدتُ ، والطمّـــاعُ يغتـــرف!

يـــا حاقـــداً ، هـــذي أنانيـــة ... فـــي رجســـها تشـــقى وتنجـــرف

والـــزوجُ فيمـــا تـــدَّعي كـــذبتْ ... إذ إنهـــا بـــالزيف تعتلـــف

أنـــتَ الـــذي أفســـدْتها ، فطغـــتْ ... كـــم غرّهـــا التيســـيرُ والتـــرف!

كفكـــفْ دمـــوعَ الـــزور إن لنـــا ... أهـــلاً علـــى أشـــلائنا وقفـــوا

يـــا صـــاح أشـــمتَ العِـــدا زمنـــاً ... والصـــحبُ ممـــا تفتـــري انصـــرفوا

يـــا صـــاحبى جَمّـــدْ علاقتنـــا ... فـــالعمرُ يـــا خَـــرّاص يَنتصـــف

إن لـــم تكـــنْ وفيـــتَ فـــي صِـــغر ... فـــي الشـــيب هـــل تعفـــو وتـــأتلف؟!

لا خيـــرَ فـــي نـــذل يُناصـــبنا ... مُـــرّ الأذى ، والظلـــمَ يَقتـــرف

لا تقولوا: ضحية زوجتــه!

(أخ شقيقٌ أمره وتصرفه وسلوكه من أعجب ما رأيتُ ورأتْ معي الدنيا بأهلها! راح يُناصبُ شقيقه الأكبرَ العداءَ ، ويكيلُ له الكراهية بدون أدنى مبرر! كما راح يسعى جاهداً بشتى الأساليب في خراب بيت شقيقه هذا بلا جريرة له في ذلك. يحكي لي شقيقه الأكبرُ قصتهما معاً بمرارةٍ وأسىً وجوىً فيقول: لقد وقفتُ بجانبه وقفة الشهم المتفضل الجواد الكريم ، ولم أبخل عليه يوماً بوقتٍ ولا بمال ولا بجهد! وتعرضتُ لعدة مخاطر من أجله ، ولم أرض له إلا العيش الكريم والشهادة الجامعية ، كي لا يكون أقل ممن حوله من زملائه ، وبذلتُ في ذلك الغالي والنفيس! كما بذلت في الغربة ما الله به عليم! ثم قابل ذلك الإحسان والمعروف بالإساءة! الأمر الذي جعلني أتساءل: لماذا؟ وإلى متى؟ وراح الناسُ يختلفون في جواب سؤالي: فقال قومٌ: إنها زوجتُه المغرضة عديمة الوفاء ، تلك الحيزبونُ الدردبيس التي لم تكن تترك موقفاً يمر إلا وظفته للقطيعة والجفاء والشقاق! فقلتُ في نفسي: ربما! ولكنني ما لبثتُ أن واجهتُ الناس قائلاً: الأخ الحقيقي لا تُغيره نساء الأرض بما فيهن زوجته تلك ، ولا تغيّره النفوس التي خلقت بما فيها نفسه إلا أن يشاء الله ربي شيئاً! إن الأخ الحقيقي كالذهب الخالص ، نعم ، كالذهب في نفاسته وطبيعته! ولقد تأتي على الذهب ذراتُ الغبار وأكوامُ الأتربة فتُخفي لمعانه وبريقه! ولكن بأقل مسحة بخرقةٍ بالية ما يلبثُ البريقُ واللمعانُ أن يعودا! فكذلك الأخ الصادق المخلص يمكن أن تأتي مواقف تُغيّره بعض الشيء! ولكنه بشيء من المراجعة والعتاب واللوم والتوبيخ يعود ، وتكون عودته أروع وأحلى وأجمل مما كان عليه من ذي قبل! ولستُ أنكرُ أن زوجته من أخبث نساء الأرض فيما أعلم. ولكن منّ الله علينا وعليه وعلى الناس وأخذها أخذ عزيز مقتدر! وصدق أبو العتاهية الشاعر إذ قال: (موت بعض الناس على البعض فتوح)! فهل راجع ضميره الميت بعد رحيلها إن كانت هي السببَ في عداوته وكراهيته وحِنقه؟ كلا وربي! لستُ أدري هل العيب فيّ إذ أغلب المثالية على الواقع؟ أم العيب في الناس إذ انحرفوا عن القيم والمبادئ التي كان ينبغي أن يعيشوا عليها؟! تح عنوان: (المثالية بين المشاعر المزيفة والأدوار المصطنعة) يقول الأديب الأستاذ عمر عاطف نوفل ما نصه بتصرف: (عن أنس رضي الله عنه: "أنَّ رجلًا من أهل البادية كان اسمه زاهرًا ، يُهدي النَّبي صلى الله عليه وسلم الهديَّة من البادية ، فيُجهِّزه النَّبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج ، فقال رسول الله: إنَّ زاهرًا باديتنا ، ونحن حاضروه. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحبُّه ، وكان رجلًا دميمًا ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبيع متاعه ، فاحتضنه من خلفه ، ولا يبصره الرَّجل ، فقال: أرسلني ، مَنْ هذا؟ فالتفت ، فعرف النَّبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل لا يَأْلُو ما ألصق ظهره بصدر النَّبي صلى الله عليه وسلم حين عرفه ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من يشتري العبد؟ فقال: يا رسول الله ، إذًا والله تجدني كاسدًا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لكن ـعند الله ـ لست بكاسد. أو قال: لكن ـ عند الله ـ أنت غال)! لا تكن مثاليًا فأنتَ بشر تصيب وتخطئ ، تحب وتكره ، تمرض وتشفى ، تقوى وتضعف. كن دومًا على سَجيتّك ، وكف عن تقمص الأدوار التي تبدو بها للآخرين ؛ وكأنَّكَ آتٍ من عالمٍ آخر. كمالك في كونك أنت لا غيرك ، والطبيعة الحقَّة أن تتصرف بجبلّة طبيعية عفويّة دون أن تُظهر للآخرين أنَّكَ مميز ، أو تختلف عنهم. لا تُحاول أن تصنع لك أكثر من شخصيّة؟ من أجل جلب انتباه الآخرين واهتماماتهم. هل أضحينا ممثلين! لماذا لا تكن إنسانًا عفويًا؟ بدون أن تُسدي لنفسِكَ مزيدًا من التّصنع ، والتكلف ، والزيف الذي سيذوب سريعًا. الناس دائمًا تميلُ إلى الذي يكونُ قريبًا من

أرواحهم ، حكاياتهم ، مآسيهم ، يتسامرُ معهم يُشاركهم ضحكاتهم. حتى لو كُنتَ ذو مكانة اجتماعية ، أو تحمل شهادة دراسات عليا... إلخ ، (راجع تدوينة "الرحمة أعظم من الحب.. رفقاً بأصحاب الأرواح المتعبة!")! ومن هنا عانت الشخصية المتخيلة.. بين الحقيقة والوهم! فلا شيء يدوم على حاله ، إن كنت غنيًا سيأتي يومٌ وتكون بلا مال ، وإذا كنت تحمل شهادةً في أي مجالٍ سينتهى وقتها ، وإذا كنت مسؤولًا سُتقال قريبًا وتنتهي من الخدمة. لماذا لا تكسب قلوب الناس؟ لا تجعل مثاليتك حاجزًا مانعًا عن تعاملك مع أصناف الناس بشكلٍ طبيعي. لا يُمكن أن تفرض شخصيتك أمام الآخرين بشكلٍ ناجح ، وتقدير محبة الناس إليكَ ؛ إلاّ بأسلوبك. كن على قناعة أنَّكَ لن تصنع منك قدوة للآخرين والتسلل إلى قلوبهم ؛ ما لم تنزل لمستواهم ، وتتساوى معهم بروحكَ ، وقلبك وأسلوبكَ. قال الله تعالى: "وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا". قال ابن القيِّم: "أي: سكينة ووقارًا ، متواضعين غير أشِرين ولا مَرِحين ولا متكبِّرين". وقد نهى الشرع الحنيف عن التكلف والتصنع وإظهار الإنسان وجهًا آخر غير حقيقته ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "نهينا عن التكلف" رواه البخاري. إن المثالية والتكلف في التعامل مع الناس تصنع منَّا شخصيات "وهميّة مشوّهة" ؛ لأننا نتصرف على غير طبيعتنا المُعتادة ، ونُصاب بالخيبات والأمل ، وفقدان الذات ، والانصهار داخل أنفسنا ؛ حينها نصبح أكثر الناس سطحيّة، ونمطية، وتناقُضًا؛ لأنَّنا نقوم بأداء الأدوار المصطنعة بشكل متكرر وفق تقاليد معينة. نظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى شاب نكس رأسه ، فقال: يا هذا ارفع رأسك ؛ فإن الخشوع لا يزيد على ما في القلب ؛ فمن أظهر للناس خشوعًا فوق ما في قلبه فإنما أظهر نفاقًا على نفاق. لماذا نعقد أنفسنا؟ ونتناسى بشريّتنا ، ونبدو على غير حقيقتنا؟ هل هو عدم الرّضا عن الّذات؟ أو فشلاً في شخصياتنا؟ لماذا يسكننا هاجس أن نبدو دومًا مثاليين؟ مشيتنا غريبة ، كلامنا مصطنع ، خلافاتنا تُغلفها الأنا الفردية ، لباسنا طاغٍ في شكله ومضمونه ، هل أضحينا ممسوخين! يقول الشيخ العودة – حفظه الله -: "البساطة.. تعطيك عمراً إضافياً وتمنحك شخصيتك الحقيقية ، وتساعدك على أن تعيش كما أنت لا كما يريد الآخرون منك. البساطة تختصر لك الصداقات ، والعلاقات ، والكلام.. وكل مَناشط الحياة ، وتدَّخر لك منها الأجمل والأصفى والأعمق. والرسمية والمجاملة ومجاراة رغبة الآخرين تقضي على العمر ، وقد تصحو في نهاية عمرك على ساعات مهدرة وضائعة. ولكن هل هناك علاقة بين صناعة السعادة.. والمتعة الحسية؟! ليكنْ معلوماً أنه لا شيء يدوم على حاله ، إن كنت غنيًا سيأتي يوم وتكون بلا مال ، وإذا كنت تحمل شهادةً في أي مجالٍ سينتهى وقتها ، وإذا كنت مسؤولًا سُتقال قريبًا وتنتهي من الخدمة. لماذا لا تكسب قلوب الناس؟ فهم النجاح الحقيقي الذي يحققه الإنسان خلال حياته. أن تكون إنساناً طيب السمعة ، رحيم القلب يحبه الناس ، ويقتربون منه ؛ لأنه مصدر محبةٍ وسعادة.. كسْبُ القلوب أولى بكثير من بعض الأمور الوقتية لا تصنع لك أعداء ؛ فأنت بغير الناس والعلاقات لن تستطيع أن تُمارس حياتكَ بشكلٍ طبيعي ، حتى لو تعامل معك البعض سيكون بأسلوب التقية ، وسيأتي اليوم الذي يذوب فيه الجليد لتعرف حقيقتك عند غيرك! إن الكلمة الطيبة ترياق يمكنك أن ترسم بها بسمة ، وتُزيل بها غُمَّة.. الجبروت والقسوة لن تصنع لك إلا جنوداً غير حقيقيين بدون ولاء وانتماء حقيقي ، ستكون أنت الكذبة الكبرى التي كذبت عليك ، وأنت تحسب أنَّكَ تُحسِنُ صُنعًا.. لماذا لا تضع رأسك على وسادتك ، وأنت مرتاح الضمير؟ نقي السريرة؟ صناعة السعادة للآخرين من أعظم المُتع الحسية التي يشعر بها المرء ، والوقوف معهم من أجلّ الخدم التي تقدم لهم. سعادة الغير

لا يجدها إلا من طهر قلبه ، وامتلأت روحه محبةً للآخرين. قيل للحسن البصري: ما التَّواضع ؟ قال: التّواضع هُو ألا تَرى مُسلمًا إلا وتَظنّ أنهُ خيرٌ مِنك. ولكن ماذ نقول إذا تغلبتِ الأنانية المفرطة تجاه الذات؟ إن المشكلة التي لا يكتشفها الناس عادةً إلّا في أواخر حياتهم ؛ أنّهم فكروا في أنفسهم أكثر من غيرهم ، وتعاملوا بأنانيةٍ مُفرطةٍ تجاه الآخرين وخسروا أشخاصًا لا يقدرون بثمن من أجل منافع لن تدوم طويلًا ، وبعد ذلك نرجع إلى وعينا ، وبدل أن نعترف بهفواتنا وأخطائنا نسوق المبررات والظروف التي جعلتنا نتصرف هكذا.. إلى متى سنبقى غير مُتزنين نعيش على الأنا؟ ومتى سنعِي أنَّ هذه الحياة لا تُعاش إلا بالتعاضد ، والمحبّة؟ وأنَّ الانزواء والتقوقع في مكانٍ بعيد هو هروب من إنسانيّتنا. وعدم تحمّل أنفُسِنا. عوضاً عن تحمّل الآخرين! يجب أن تخلو حياتنا من هذه الممارسات والشعائر المزيّفة ، فلنكف فورًا عن ذلك ، ونرجع إلى حقيقتنا. وأن نُقوّمَ أنفُسنا بين الحين والآخر لنكون أكثر اتساقًا مع ذواتنا ، وأفكارنا وتعامُلاتنا مع الناس. نحن في حقيقة الأمر نتلاعب بالوهم وننتج منه حقيقة خاوية وفاقدة للبقاء والاستمرارية. أنت في حقيقة الأمر تتمرد على شخصيتك ، وضعفك وعدم رضاك عن أدائك إذا أنت ترفض نفسك ؛ وهذا ليس الحل ؛ وإنما الحل يكون بإصلاح نفسك ، وتقويمها وإرجاعها إلى كُنهها ، وحقيقتها ، فلا تتعمد إغواء الغير بتقمص غير حقيقتك. نحن نحتاج لشيء يجعل لحياتنا معنى. يجب أن نكف عن إظهار أنفسنا للغير من أجل الظهور والمباهاة. أيها الإنسان كن أنت.. لا تكن غيرك؟ لا تبحث عن نفسك بين الآخرين ؛ فهذا هو الجهل بعينه ، فأنت من تملك ذاتك ، وشخصيتك وأفكارك ، ونجاحك ، وفشلك. الاتجاهات كُلها أنت تملكها فقط! حدد المسار الصحيح وسِر فيه وحدك. امض قُدمًا وأنتَ تعي حقيقتك أكثر من غيرك ، لا تُرغم نفسك على الضحك وأنت لا تريد ذلك ، ولا تُرغم نفسك على البُكاء وأنت تصطنع ذلك ، ولا تكن غيرك وأنت لست أنت ، الطبيعة الربانية ، والجمال الحقيقي للشخص ؛ هو عدم اجتزاء شخصيته وتوزيع أدوارها في مهامٍ ليست من طبعه. لذلك تجنّب التكلف ، والمبالغة في أي شيء بالحياة ؛ حتى تبدو في أكثر حالاتك صدقًا وأنت ترتدي ثوب العفويّة ، ولا تُحمّل نفسك ما لا تُطيق. ركز على ما تملكه في داخلك من حقيقة غير مصطنعة حتَّى تشعر بالسعادة والتماهي بين قوام شخصيتك وأفعالك فهذا هو الجمال الحقيقي النابع من الفطرة السليمة).هـ.

من وجهة نظري لقد آن الأوان للأُخوّة المزيفة أن تنقشع عن عالمنا! أيها الإنسان ليس أخوك هو فقط الشقيق الذي ولدته أمك من أبيك ، ولا هو غير الشقيق الذي هو من أمك دون أبيك أو من أبيك دون أمك ، ولا هو أخوك في الرضاعة ، فهؤلاء جميعاً هم غالباً إخوة بالاسم فقط ، ولكنهم في الحقيقة والواقع ليسوا سوى شركاء في علاقة محدودةٍ ومقيدةٍ هي علاقة الانتساب إلى نفس الأم أو الأب أو مجرد حليب الرضاعة ، ولا تتعدى علاقتهم هذه التسمية ، بل هي محصورة في هذا الإطار المجتمعي المتعارف عليه ولا تتجاوزه إلى الممارسة العملية والالتزام الحقيقي. وهي لا تدخل في حساباتهم إلا عند المصلحة الخاصّة لكل منهم ، فإذا التقت مصالحهم فهم إخوة وإن تعارضتْ مصالحهم وأهواؤهم تنكروا لهذه الرابطة الأخوية وضربوا بها عرض الحائط ، وقد يتخاصمون أو يتدابرون أو يعتدي بعضهم على بعض ، بل ربما يقتل الأخ أخاه لأي سبب ، وكأنهم عند الخصام "لا أنساب بينهم يومئذ" ولا يتعارفون ولا يتفاهمون. أو هي على حد تعبير الأستاذ الأديب شريف شكري أخوة مزيفة! وإذن فهذه ليست أخوّة حقيقية حميمة ، ولا هي قرابة وأرحام ، بل هي رابطة مزيفة وفاشلة ومرهونة بالظروف والمصالح والأهواء ، وهي غير مضمونة العواقب لا في الدنيا ولا في الآخرة: "يوم يفر المرء من

أخيه". إنها إذن علاقة شكليّة لا وجود لها إلا في سجلات المواليد ، ولكنها عند الحاجة إليها تسقط في أول اختبار لها ، وقد يكون جارك القريب خيراً لك من أخيك البعيد ، أو حتى القريب ، كما يقول المثل (وهو حديث): "رب أخ لك لم تلده أمك ". وهناك شواهد كثيرة على تشاحن الإخوة وخصوماتهم التي قد تصل إلى حد القتل ، كما حصل بين الأخوين "الشقيقين" هابيل وقابيل ، وما حصل بين الإخوة "غير الأشقاء" يوسف عليه السلام وإخوته الذين تآمروا على قتله حسداً وحقداً ، ثم عدلوا عن القتل وقرروا تخفيف حكم الإعدام والاكتفاء بإلقائه في الجُب وتركه في مصير مجهول وهو النبي ابن النبي ابن النبي ابن النبي! أما الشكل الثاني من أشكال الأخوة المزيفة فهو الأخوة أو الرابطة القومية أو الحزبية أو المذهبية أو غير ذلك من التسميات التي ما أنزل الله بها من سلطان ، وهذه الرابطة أكثر خيبة وفشلاً وتفككاً من رابطة النسب ، بل هي مجرد رابطة وهمية لا تتعدى كونها كلاماً في كلام ودجلاً وشعاراتٍ زائفة وأوهاماً لا وجود لها إلا في خيال المغفلين "ولا مؤاخذة". وأخيراً نقول بأن الأخوّة الحقيقية المتينة هي تلك الوشيجة التي أرادها الله رابطة للمؤمنين إذ يقول: "إنما المؤمنون إخوة" فهذه هي الأخوة الصادقة والعروة الوثقى التي لا تنفصم ولا تزول بتعارض الأهواء والمصالح بل تبقى راسخة في السرّاء والضرّاء. إن أخاك الحقيقي هو أخوك المسلم الذي يهُب لنصرتك ويشد أزرك وقت الضيق والحاجة امتثالاً لقول الرسول الكريم: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه". إن الأخوة في الإسلام ليست مجرد شعاراتٍ وكلام أجوف خال من أي عاطفةٍ أو التزام ، بل هي ممارسة وصدق ومحبة وإخلاص في القول والعمل ، وهي قبل كل شيء طاعة لله ولرسوله مصداقاً لقوله تعالى: "واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً". أيها العاقل الواعي الناصح لنفسه: لا تطلق مسمى الصداقة على كل عابر في حياتك ، حتى لا تقول يوماً: الأصدقاء يتغيرون. وعموماً الصداقة جبل شاهق ، لا يتسلقه إلا الأوفياء من الناس. والصديق المزيف كالظل ، يمشي ورائي عندما أكون في الشمس ، ويختفي عندما أكون في الظلام. وطعنة العدو تُدمي الجسد ، وطعنة الصديق تُدمي القلب. وما استبقاك من عرّضك للأسد. فلتحذر عدوك مرة ولتحذر صديقك ألف مرة ، فإن انقلب الصديق فهو أعلم بالمضرة. وحقيقة الصديق المزيف كالعُملة المزيفة ، لا تكتشف إلا عند التعامل. والصداقة المزيفة كالطير المهاجر ، يرحل إذا ساء الجو. فتمهل عند اختيار الصديق ، وتمهل أكثر عند تغييره. وإلا فإن الصمت هو الصديق الوحيد ، الذي لن يخونك أبداً. فحذار أن تركن إلى صديق خذلك ساعة الضيق. واعلم بأن صديقاً غير مُجرب ، مثل جوزة لم تكسر. والإنسان – عند الانتفاعيين الأخِسّة - صديق عندما يدين ، وعدو عندما يسترد. فإذا طلبت إيفاء دينك ، تجد الصديق قد انقلب عدواً. والصديق الذي صنعته بالهدايا، سوف يشتريه غيرك. ونحن في زمان عجيب: إذا ابتسمت أتاك الأصدقاء ، وإذا عبست أتتك التجاعيد. ومن لم يعد صديقك ، لم يكن صديقك أبداً. فإذا اختبرت إنساناً ، فوجدته لا يصلح أن يكون صديقاً ، فاحذر من أن تجعله عدواً. وصديق الجميع ليس صديقي لماذا؟ لأنه لا ينتقي ولا يختار ، وإنما الناس عنده كلهم خير وبرَكة! وإذن فأعداؤك ثلاثة ، عدوك ، وصديق عدوك ، وعدو صديقك. فلاتشير على عدوك وصديقك إلا بالنصيحة ، فالصديق يقضي بذلك حقه ، والعدو يهابك إذا رأى صواب رأيك. والأمر كما قالوا: عدو عاقل خير من صديق جاهل. والأفعال الشنيعة التي يقترفها صديق لك تلطخك وتهينك ، ومن واجبك أن تصدر بشأنها حكماً لا يعرف الرأفة.

وصديق واحد مؤمن بك ، خيرٌ من ألف صديق لا يعرفونك إلا اسماً. فما قيمة الصديق إذا لم يفهم صديقه ، ويستشف ما وراء صدره من آلام وأحلام. فاحذر مما تخبر به الناس ، فصديق اليوم يمكن أن يصبح عدو الغد. والصديق الحقيقي لن تجده أبداً في طريقك ، إلا عندما تبدأ في السقوط. إذ لا يوجد عدو أعنف من صديق سابق. ولذا قالوا: عُرف الصديق من العدو ، بسقطات اللسان ولحظات العيون. فنحن لا نخسر الأصدقاء ، بل نتعلم من هو الصديق الحقيقي. وبين ثانيةٍ وثانيةٍ يموت أمل وَيحيا يأس ، تبتسمْ شفاة وَتدمعَ عين ، يخونْ صديق ويخلص عدو ، بين الثانية وَالثانية. إنه لا حاجة لي بصديق يتغير عندما أتغير ، ويهز رأسه عندما أهز رأسي ، ظلي يفعل ذلك بشكل أفضل! وإذن فما لم يكن الصديق ذا أثر إيجابي على صديفه فلا خير فيه! وصدق من قال: (يخادعني العدوُّ فما أبالي ، وأبكي حين يخدعني الصديق). والأصدقاء نوعان ، صديق لا تنسى فضله طوال حياتك ، وصديق لا تنسى غدره ليوم مماتك. والصديق عندما يغش ويغدر ويخون فهو ليس بأكثر من عدو معروف. ولن أتنافس مع أي شخص يريد أن يأخذ مني حبيباً أو صديقاً ، سوف أفسح له المجال! لماذا؟ باختصار لأني أؤمن بأن من يريدني لن يتركني. فإذا أساءَ إليكَ صديق فقل له: إنني أغفرُ لكَ جنايتكَ علي ، ولكن هل يسعُني أن أغفر لك ما جنيتهُ على نفسك بما فعلت؟ وهكذا يتكلم عظيم الحب ، لأنه يتعالى حتى عن المغفرة والإشفاق. والسير مع صديق في الظلام ، أفضل من السير وحيداً في النهار. وأنا لستُ أخشى على ظهري من عدو شريف ، بقدر ما أخشى على صدري من صديق مخادع. وأعدى العُداة صديق في الرخاء ، فإن طلبته في أوان الضيق لم تجده. فماذا تفعل حين يخيَّب صديق أملك، فلا يعود صديقك؟ وماذا تفعل حين يُخيَّب الصديق البليد أملك ، فلا يعود صديقك ، وبما أنك تصاب بخيبة الأمل بسهولة ، فسوف تُصبح في نهاية المطاف بلا أصدقاء ، وبلا رُفقاء درب. ولسوف تُعلمك الحياة أن الصديق الذي يغيب عنك وقت حزنك ، ليس له أي قيمة في وقت فرحك. وترياق الخمسين عدو ، صديق واحد. والصديق المنافق أسوأ من عشرة أعداء. والغدر أعني غدر الصديق يُغفر ولا ينسى ، والغدر ينشأ من الثقة الزائدة عن الحد. وفجأة وبدون مقدمات ، يتركك وحيداً ، فهل تقف تائهاً ، أم تبكي؟ وهنا تقف حزيناً ، أم حائراً مهموماً؟ والحقيقة أنه من السهل أن تحب الناس ، ولكن من الصعب أن تجبر الناس على حبك. فيصبح بعد ذلك صديقاً منسياً ، ولذلك الصديق المنسي ، نعم منسي ، لقد نسيته حتى آخر حرف من هذه الكلمات ، لأن غدر الصديق سكين تصيب القلب فلا يبرأ. ومن المؤسف حقاً أن تبحث عن الصدق في عصر الغدر ، وتبحث عن الحب في قلوب جبانة. وأكثر الناس حقارة هو ذلك الذي يعطيك ظهره ، وأنت في أمس الحاجة إلى قبضة يده. فلا تسالني يا صاحبي عن الغدر ، فأنا لا أعتقد أن هناك كلمات قادرة على وصفه. وليس من الصعب أن تضحي من أجل صديق ، ولكن من الصعب أن تحب صديقاً يستحق التضحية. وكم من ندامةٍ خلفتها وراء هذا الصديق ، وكتبت من صميم فؤادي عن الأصدقاء المخلصين كثيراً من قصائدي! ولكنني كتبتُ أكثر منها عن غدر الأصدقاء! ذلك أن الغدر من الصديق يُحوله إلى صديق مزيفٍ غير حقيقي وغير جدير بالصداقة! إن الصديق المزيف كالعملة المزيفة لا تكتشفه إلا عند التعامل معه. والأصدقاء المزيفون هم مثل الظلال ، إنهم يتبعونك في الشمس ، لكنهم يتركونك في الظلام. والنمو في الصداقة يعني أن إدراك الكثير من أصدقائك ليسوا أصدقاءك حقًا! لماذا؟ باختصار لأن محكات التعامل في الحياة تفضح الكثيرين منهم وتجلي لك حقيقتهم! فبعض الأصدقاء مثل العملات ، ذو وجهين ولا قيمة له. وعدو معروف خيرٌ من صديق زائف. ولا تطلق مسمى الصداقة على كل

عابر يمر في حياتك ، حتى لا تقول يومًا الأصدقاء يتغيرون. إن الصديق إما يكون مخلصًا وإما يبتعد عنك. والأصدقاء المزيفون موجودون عندما يعتقدون أنك رائع ، أما الأصدقاء الحقيقيون فموجودون حتى عندما يعتقدون أنك أحمق. والأصدقاء مثل الأزهار بعضها كبير وبعضها صغير ، وبعضهم حقيقي وبعضهم مزيف. والصديق الزائف لطيف أمامك ، ومن المضحك أنه يتحدث خلف ظهرك. والأصدقاء المزيفون مثل أوراق الخريف ، إنهم مشتتون في كل مكان. والصديق الزائف لا تفقده ، فهو من الأساس ليس بصديق. لأنك أخطأت يوم جعلته لك صديقاً وأطلعته على العديد من أسرار حياتك! والموقف الحقيقي سيكشف دائمًا عن كل صديق مزيف. والصديق الحقيقي يهتم بما يجري في حياتك ، والصديق المزيف سيجعل مشاكله تبدو أكبر. والدليل أن الصديق الحقيقي دائماً يسأل عن أحوالك ويحاول أن يصلحها! ومن هنا فبعض الأصدقاء حقيقيون ، وبعضهم جيدون ، وبعض الأصدقاء مزيفون ، وبعضهم جيدون في أن يكونوا مزيفين. فلا تخسر عندما تفقد أصدقاء مزيفين. ولا تخف من العدو الذي يهاجمك ، ولكن من الصديق المزيف الذي يعانقك. وعندما تكبر في السن والخبرة ، سوف تدرك أنه من المهم أن يكون لديك الكثير من الأصدقاء ، والأهم من ذلك أن يكون لديك أصدقاء حقيقيون. فلا مجال إذن لمصادقة الأصدقاء الزائفين ؛ فإما أن تكون حقيقيًا ، وإما أن تختفي من عالم الأصدقاء إلى الأبد. وسيجد الأصدقاء الحقيقيون دائمًا طريقة لمساعدتك ، وسيجد الأصدقاء المزيفون عذرًا دائمًا. والصديق المزيف يمكن أن يُلحق ضررًا أكثر من خمسة أعداء أو عشرة كما أسلفنا. فقط الصديق الحقيقي سيخبرك في وجهك بما يقوله الآخرون خلف ظهرك. والصديق المزيف يحب أن يراك جيدًا ، لكن ليس أفضل منه. والأصدقاء الحقيقيون يقفون عند المغادرة ، والأصدقاء المزيفون يغادرون عندما تبكي. ولكل عملة وجهان ، تمامًا مثل الصديق الزائف له وجهان. وليست وظيفتك فضح الصديق المزيف فلا تهتم به ولا بحِيله ومقالبه وإسفيناته كثيراً ، لأن عامل الزمن سيكشفها لك! وفي الوقت المناسب يكشفون أنفسهم فلا تستعجل لهم. ونصيحتي قاطع الصديق الزائف لأسباب حقيقية ، وليس الصديق الحقيقي لأسباب وهمية. والصديق غير الحقيقي ينساك ، حتى يريد شيئًا منك. والمزيفون يكرهون الصدق ، إنها الأكاذيب التي تجعلهم يشعرون بالرضا عن أنفسهم. والأصدقاء المزيفون بمجرد أن يتوقفوا عن التحدث إليك ، يبدأون في التحدث عنك. والجميع ليسوا أصدقاءك فقط لأنهم يتواجدون حولك ويضحكون معك ، ويتظاهر الناس على أنهم جيدون ، لكن في نهاية المطاف تعرض المواقف الحقيقية الأشخاص المزيفين ، لذا انتبه جيدًا. أما بالنسبة للأكاذيب التي تُروّج عنك فسيصدق الأصدقاء المزيفون تلك الأباطيل والأضاليل والدعاوى والأكاذيب والشائعات عنك ، لكن الأصدقاء الحقيقيين يعرفون أفضل ويدافعون عنك. والأصدقاء المزيفون هم أولئك الذين يحفرون فقط تحت القارب الخاص بك للحصول على تسريب ؛ أولئك الذين يشوهون طموحاتك ، وأولئك الذين يدّعون أنهم يحبونك ، لكن وراء ظهورهم يعرفون أنهم يدمرونك. إن الشيء الأكثر حزناً في الخيانة هو أنها لا تأتي أبداً من أعدائك. والأصدقاء المزيفون يؤمنون بالشائعات المروّجة عنك ، أما الأصدقاء الحقيقيون فيؤمنون بك. ويظهر الأصدقاء المزيفون ألوانهم الحقيقية عندما لا يحتاجون إليك بعد الآن ، لذا كن حذرًا. من خلال معرفة قوته وجدارته ، سيكون من الواضح أنك لا تحتاج حقًا إلى صديق مزيف. انتبه جيدًا لأولئك الذين لا يُصفقون عندما تفوز ، فأولئك أصدقاء زائفون. وفي بعض الأحيان لا يتغير الأصدقاء ، بل القناع الذي يسقط. وتحت عنوان: (ظاهرة الصداقة المزيفة في مجتمعنا) يقول الأستاذ رياض

سعد ما نصه: (لا أظن أن هذا العنوان دقيقاً من الناحية الفلسفية والنظرية ؛ لان الزيف لا يجتمع مع الصدق كما الكذب تماماً ؛ فهما متضادان ومتناقضان ؛ إلا أنني أتماهى مع بعض العبارات السائدة ومنها ما ورد في العنوان: (الصديق المزيف أو الصداقة المزيفة ما شئت فعبر) من باب حشر مع الناس عيد ؛ ولأن الأمر خفيف المؤنة ؛ فالمعنى هو ما أصبو إليه ؛ و طبقا للحكمة القديمة: (تُعرف الأشياء بأضدادها) ، فإن الإنسان لا يعرف خصوصيات النهار إلا إذا جاء الليل ، ولو كان النهار مستمراً لم يعرف الإنسان حقيقة النهار ، والعكس صحيح أيضاً! كما أن الإنسان لا يعرف حقيقة العطش إلا بعد معرفة حقيقة الارتواء ، وبالعكس ، إلى غير ذلك من الأمثلة... ولمعرفة الصديق المزيف لا بد لنا من إجراء مقارنة بين الصديق الحقيقي والصديق المزيف ، أو الصاحب المزيف بتعبير أدق ؛ وفيما يلي يتضح معنى كل منهما وتظهر خصائصه ؛ وسأبيّن الفرق بينهما: فالصديق أصلاً مشتق من الصدق كما أعتقد وأؤمن ولكل منا وجهة نظر ؛ فهو ذاك الشخص الذي يصدقك ويصدق معك بمشاعره وعواطفه ومواقفه وكلماته ، ويبادلك الأحاسيس الصادقة والنابعة من القلب ، ولا يسيء الظن بمشاعرك تجاهه ، وهو الكهف الذي تلتجئ إليه عندما تُداهمك الخطوب وتنزل بك النوازل وتهجم عليك نوائب الدهر ، والسند المعتمد والحصن الحصين الذي تحتمي به من هجمات الأعداء وشماتة الأنذال وخذلان المعارف والأقرباء ؛ فكلمة الصداقة مشتقة من الصدق كما أسلفنا آنفا ، وأول ما نبحث عنه في الصديق أن يكون حقيقياً وصادقاً في أقواله وأفعاله ، والأهم من ذلك أن يكون حقيقياً وصادقاً في مشاعره ونواياه ؛ ولكن لا مفر من التعامل مع الأشخاص المزيفين ، والخبرة الاجتماعية المتراكمة هي التي تجعلنا أكثر قدرة على تمييز ومعرفة الصديق المزيف من غيره! وكيفية التعامل معه ومعرفة مدى تأثير الصداقة المزيفة على حياتنا. وهناك ظواهر مرضية اجتماعية ونفسية يعاني منها المجتمع وتستنزف المجتمع بشكل خطير ، ومنها : أننا مجتمع نهتم بالظاهر والشكل على حساب الجوهر والمضمون ، حتى اختل حكمنا على الأمور ، لأننا أصبحنا لا نقيم وفق معايير ثابتة حقيقية ، ولكن وفق استيفاء مظاهر الشكل ، فطالما استوفيت الأوراق أو المظاهر فلا يهم بعد ذلك أي شيء ، حتى أصبحت حياتنا أشباه أشياء في كل المجالات ، فلدينا شِبه تعليم وشِبه ثقافة وشِبه علاقات اجتماعية وشِبه منظومة صحية وشِبه رياضة وشِبه تدين ... ليصبح في الحقيقة مجتمعنا شِبه مجتمع ؛ إننا لا نتعامل بعمق وصدق مع الأمور ، ولا نريد أن نعالج مشاكلنا بشكل حقيقي ، بدءاً من مشاكلنا الاجتماعية في الزواج والطلاق والصداقة والزمالة والحب... كل هذه المنظومات تحتاج إلى مراجعةٍ شاملة ، ونعاني من تفاصيلها ، ولكن لا يجرؤ أحد على الاقتراب الحقيقي وإزالة ركام من الموروثات ، فعلى سبيل المثال في الزواج نكتفي بالحديث عن فشله والتعاسة فيه ، ولا أحد يتساءل كيف نتزوج؟ أو لماذا نتزوج؟ ليستمر الزواج بنفس طريقته البائسة ، فنتزوج مثلما يتزوج الناس ، ونتزوج تشبُّهاً بالأصدقاء والأقارب ، أو نتزوج لننجب أطفالاً لا نعلم شيئاً عن كيفية تربيتهم أو حتى لماذا أنجبناهم وماذا نريد منهم وما هي واجباتنا نحوهم؟ ولعل تشبث البعض منا بالعلاقات الاجتماعية المزيفة والعابرة والسطحية تعبر عن تعويضٍ شديد لإحساس بالنقص وفقدان الأمان والعطف والحنان ... ويتخيل ذلك البعض بأن المجتمع سوف يعوضه من خلال تلك المظاهر الكاذبة الخاوية البائسة ، والتي تخفي وراءها هشاشة نفسية مرعبة. إن العشوائية النفسية والاجتماعية وحالات التناقض بين الفعل والقول هي علامات لمرض نفسي شديدٍ للمجتمع عندما نرصدها في الأفراد ، فإننا نتوقف ونبادر بالعلاج فإن الحقيقة أنها في المجتمع

أولى وأهم ، لأن علاج المجتمعات أصعب من علاج الأفراد وأكثر تعقيداً ؛ لأن علاج الأفراد يحتاج إلى الطبيب النفسي ، ولكن علاج المجتمع يحتاج أن ينهض كل المجتمع لعلاج نفسه. ومما تقدم نعرف أن الصديق المزيف هو الصديق الذي تكون علاقته بك مبنية على الخداع والكذب أو المصلحة أو لقضاء الوقت في الثرثرة معك ليس إلا ... الخ ، ولا يكون صادقاً في مشاعره أو مخلصاً في صداقته أو مهتما بمعرفتك وتفقد أحوالك ونجدتك ، وقد يكون الصديق المزيف مزيفاً مع سبق الإصرار والترصّد والتخطيط ، أو تمنعه بعض صفاته الشخصية السلبية من الإخلاص أو الدخول في علاقة صداقة حقيقية. فالشخص المزيف هو الذي يظهر بصورة مختلفة عن حقيقته ، سواءً على مستوى المعلومات التي يقدمها لأصدقائه عن نفسه وحياته ، أو على مستوى مشاعره الحقيقية تجاه الآخرين أو مواقفه وأفكاره. وليس من النادر أن يتحول الصديق الحقيقي إلى صديق مزيف بسبب التغيرات التي يمر بها الصديق أو التغيرات التي تمر بها العلاقة ، أو بسبب التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية الكبرى التي يمر بها المجتمع! ومن ذلك قالوا: (صديق في السلطة هو صديق فقدته)! وعليه لا تستغرب عندما يتخلى النذل عن أصدقائه القدامى وأصحابه الخلص عندما تتغير أحواله نحو الأحسن ؛ فالفقير والضعيف والنكرة عندما يُصبح غنياً وقوياً ومعروفاً فسرعان ما ينسى أصحابه ، وينكر قديم مودتهم ويتبرأ من عشرتهم ... وقد صدق الإمام علي عندما قال: (إذا بلغ المرء من الدنيا فوق قدره تنكرت للناس أخلاقه) ، وغالباً ما تظهر علامات انهيار الصدق في العلاقة وتحوّلها إلى صداقةٍ مزيفةٍ بشكلٍ واضح ومزعج ... وقد بين الإمام علي ذلك عندما قال: (ما أضمر أحدكم شيئاً إلا أظهره الله في فلتات لسانه وصفحات وجهه). والمقصود ها هنا أن الاعتقادات والمشاعر والأحاسيس والشهوات التي يُضمرها الإنسان ويحافظ عليها ويراعى سترها عن اطلاع الغير عليها لمصالح متصورةٍ ومقاصدَ اختياريةٍ سواء كانت نافعة أو ضاره ، فإنها وإن بولغ في مراعاة حفظها واجتُهد في عدم اطلاع الغير عليها ، فلا بد وأن تظهر ، ثم إن الامام علياً نبه على سببين من أسباب الظهور ، وحكم بأنه لا بد وأن تظهر بأحدهما مع تلك المحافظة! ولكن هذا لا يعني انحصار انكشاف حقيقة الشخص بهذين الأمرين فقط ؛ ولذلك قيل: (يعرف الصديق من العدو ، بسقطات اللسان ولحظات العيون). وبما أن الصداقة من أنبل الأشياء الموجودة في العالم – لذلك قيل بأن الصداقة أسمى العلاقات الاجتماعية ؛ وبما أن الصداقة الحقيقية هي التي يشترك فيها العقل والقلب والضمير ؛ أصبحت عملة نادرة لا سيما في المجتمعات المريضة والمأزومة! فمن الصعوبة أن تجد صديقاً حقيقياً صادقاً في كل شيء ، يقف بجوارك وقت الشدة والفرح دون مصلحةٍ ويقدم لك النصيحة والمشورة دون فائدة ، ولكن في حقيقة الأمر ما أكثر الأصدقاء المزيفين في هذا العالم اليوم! لا يعرفونك إلا وقت المصلحة فقط ، وعند المواقف التي تبين الصديق الحقيقي لا تجدهم ، ولا تجد منهم من يساندك أو يقف بجانبك أو يخفف عنك أوجاع الحياة! ومما قاله الدكتور تامر شلبي - خبير التنمية البشرية - حول هذا الموضوع: (الأصدقاء المزيفون أو ما يُسمى بالأعداء الودودين هم أولئك الذين يتظاهرون ظاهرياً بأنهم أصدقاء مقربون ، لكنهم في الواقع يشعرون بالغيرة منك ويتمنون لك الفشل في الحياة ؛ وعادة ما يكون هؤلاء الأشخاص في أقرب دائرةٍ اجتماعيةٍ إليك ، بين الأصدقاء أو الزملاء أو حتى أفراد الأسرة ؛ ولديهم علامات يمكن استخدامها لتمييز هؤلاء الأشخاص عن الأصدقاء الجيدين والمقربين) ؛ فعدد المحيطين بك لا يعني أنك تمتلك الكثير من الأصدقاء ؛ لأن لقب الصديق لا يطلق على أي شخص قريب منك أو تجمعك به الحياة ، ولذلك

وحتى لا تتعرض لخيبة أمل مفاجئة في أحد أصدقائك أو من كنت تظنه كذلك ، ولكي لا تضيع الكثير من الوقت بمرافقته ؛ وحتى لا تتذوق غدر الأصدقاء ؛ عليك معرفة الفرق بين الصديق الحقيقي والمزيف ؛ فلكل واحدٍ منهما علامات يعرف بها ، وأمارات تدل على حقيقة معدنه وجوهره ، وفي النهاية وبرغم كل ما سبق من علامات إلا أنه يبقى الشعور هو علامة ومؤشر الشخص على طبيعة علاقته بمن حوله ، فإذا لم تشعر بحقيقة مشاعر من حولك فمن الصعب أن تفرق بين الأصدقاء الحقيقيين والمزيفين ، حتى لو أدركت علامات الصداقة الحقيقية تمام الإدراك. ومن علامات الشخص المزيف والصديق الوهمي شخص متصنّع: عادةً ما يكون الصديق المزيف شخصاً متصنِّعاً ومزيفاً في حياته ، ويتكلم بطريقةٍ مزيّفةٍ ويتصرف بطريقة غير حقيقية ، وكأنه يحاول لفت الانتباه إليه بشكل مستمر ، وينسب إلى نفسه صفاتٍ ليست فيه أو يصطنع مشاعر ويبالغ في إظهارها وهي ليست من طباعه وسجاياه ؛ فالأصدقاء المزيفون: هم أشخاص يتصنعون التصرفات والأفعال والأقوال ولا يعرفون للصدق طريقاً ، بل يقدمون مشاعر مزيفة وينسبون لأنفسهم صفاتٍ ليست بحقيقية ؛ لذلك نادراً ما تجد شخصاً عفوياً مزيفاً ، فكل المزيفين متصنعون في الأساس ؛ لذا ترى الصديق الوهمي متصنعاً ومتكلفاً وعلى غير طبيعته في كل شيء ، يتكلم بطريقةٍ مصطنعة ، كذلك تبدو أيضًا تصرفاته ؛ لذا تلاحظ أن هذا الصنف من الناس يكثر في الساسة ورجال الدين والتجار وكل من يشغل منصباً عاماً او عنواناً اجتماعياً ... الخ ؛ ومما تقدم نعرف حقيقة مقولة الفيلسوف اليوناني أرسطو: (صديق الكل ليس صديقاً لأحد) ؛ ومعنى هذه المقولة حسب فهمي القاصر: أن من يريد أن يجعل كل الناس أصدقاء له ، سواء ممن يتفق معه أو من يختلف معه ، ويحاول أن يُرضي الجميع بحسب الظاهر فقط ، ستكون طبيعة هذا الرجل متلونة ومصطنعة ، ويأتي كل طرف بحسب ما يهواه ، وقد يضمر في قلبه خلاف ذلك ؛ ولعله يهدف من وراء ذلك استغفال واستحمار الآخرين ، والضحك على ذقونهم ، واللعب بمشاعرهم ... ؛ وقد نسب للنبي محمد حديث جاء في البخاري يبين لنا خطر هؤلاء المزيفين : (وتجِدونَ شرَّ النَّاسِ ذا الوجهينِ ، الَّذي يأتي هؤلاءِ بوجهٍ ، ويأتي هؤلاءِ بوجهٍ)! والصديق المزيف أناني: فلا يهتم كثيراً بمشاعرك أو حاجاتك من الصداقة ، وغالباً ما يتهرب منك عندما يشعر بأنه مطالب بالتضحية أو حتى بتقديم واجب الصداقة والمساعدة البسيطة ، ولكنه يلجأ لك عندما يحتاجك ؛ فهو يتسم بالأنانية ، ولا يستطيع إخفاء ذلك في الكثير من الأحيان ؛ فالصداقة بالنسبة له مصلحة في الكثير من الأحيان أو هو قطب الرحى فيها لا غير ، ويريد أن يكون محور الاهتمام فهو بحاجةٍ لجمهور وليس أصدقاء ، و مع مرور الوقت تشكل أنانيته عبئاً عليك ، نظرًا لأنك مطالب بتلبية احتياجاته معظم الوقت ؛ فالشخص الأناني يضع نفسه أولاً ؛ وقبل صديقه في كل شيء حتى بتوافه الأمور ؛ إذ يجعل الاهتمام في كل الأمور التي تخصك وتخصه منصباً عليه هو في المقام الأول ، ويغفل نفس الأمر لك بل ويستنكره عليك أيضاً! يتوقع الأصدقاء الأنانيون المزيفون دائمًا أن يأتي شخص ما لزيارتهم والاتصال بهم ورؤيتهم ، لكنهم لا يريدون بذل نفس الجهد ؛ يعتقدون أنه من المقبول عدم بذل جهد في العلاقة ، الأمر الذي يمكن أن يستنزف الشخص الآخر ؛ فهو يشبه نفسه بالكعبة التي هي دوماً تُزار ولا تزور! وهو غير ملتزم: لا يلتزم الصديق المزيف بالوعود أو العهود أو حتى المواعيد ، وكثيراً ما ينسى أو يتناسى وعوده التي يقطعها لأصدقائه ، كما أن الصديق المزيف يجد إطلاق الوعود أمراً سهلاً ، لأنه يعرف سلفاً أنه لن يلتزم بها ، وإنما يطلق الوعود من باب التخدير أو النفاق أو الرياء والادعاء ... ؛ فهو لا يفي

بعهدٍ أو وعدٍ أو موعد ، وينسى باستمرار أو يدعي النسيان للوعود. فالأصدقاء المزيفون يخبرونك دوما أنهم سيفعلون هذا وذاك من أجلك ، لكن في نهاية المطاف ، لن يفوا بوعودهم أبدًا ؛ ثم يقدمون لك مختلف الأعذار والتبريرات ؛ واعلم أن عدم الالتزام بالوعود خاصةً بين الأصدقاء يدل على عدم الاكتراث وعدم تقدير صديقك لك ، وبالتأكيد أن الأعذار الواهية والحجج التافهة التي ليست لها قيمة هي ما يقدمها لك كما أسلفنا ؛ لكسب ودك من جديد أو لتخليص نفسه من الشعور بالذنب! والصديق المزيف يضع خططاً لا يلتزم بها ؛ فهل سبق لك أن صادفت صديقاً قديماً في الشارع وخطط معك على الفور للقاء لتناول القهوة؟ ويظهر عليه بأنه متحمس جداً لرؤيتك والتحدث عن كل الذكريات الحلوة التي تجمعكما ، ولكن بعد ذلك ... لا مكالمة ، لا قهوة ، ولا يأتي منه أي اتصال ؛ هذه مشكلة حقيقية شائعة في المجتمع ، فالناس يتعهدون بالتزامات لا يقومون بالوفاء بها أبداً ؛ حتى إنهم أحياناً لا يتصلون بك ليقولوا لك إن الخطط قد تغيرت أو أن شيئًا ما قد حدث! وهو متنمِّر ومحبِط: يتنمر على صديقه ويسخر منه ، ويستخدم معرفته العميقة بأصدقائه للتنمر والسخرية والاستهزاء بهم ؛ كما أن الصديق المزيف خبير بالإحباط ؛ لذا تجده يسخر من طموحاتك وأحلامك أو حتى أفكارك وطريقة تعبيرك عنها ؛ ولا يدعمك أو يشجعك ؛ فالإحباط والتنمر من أشد صفاته سوءاً ؛ فهو يستغل المعرفة بتفاصيله – أي بتفاصيل حياة صديقه - للاستهزاء به وإحباطه! وهو لا يراعي مشاعرك فيؤذيك بكلماته وسلوكه عمداً ؛ بالإضافة إلى أنه يحب السخرية المهينة من صاحبه ، ومن المعروف أن التنمر وغيره من الممارسات المماثلة والتي تتعرض لها من بعض الأصدقاء والأصحاب قد تسبب لك أضراراً نفسية ، بل وتخدش مكانتك الاجتماعية والمهنية أحياناً! نعم إن تبادل السخرية والدعابات والمزاح بين الأصدقاء أمر طبيعي ، ويحتوي على الكثير من الضحك والسعادة بكل تأكيد ، ولكن هناك فارقاً كبيراً بين السخرية الكوميدية وبين الإهانة المقصودة والمتكررة ، فالصديق الحقيقي لا يفكر حتى في إهانة صديقه ، أما النوع المزيف من الأصدقاء فإن السخرية على أي شيء تقوم به أو كلمة تخرج من فمك بالنسبة لهم أمر طبيعي حتى ، وإن كانوا يدركون جيداً أنك قد تشعر بالإهانة من مناقشة نوع معين من المواضيع أو الأفعال! فالصديق السطحي ؛ يُحطم معنوياتك ويُضعف ثقتك بنفسك ، بل يُهينك باستمرار ويُقلل من شأنك أمام الآخرين بحُجة المزاح ؛ حتى يُغذي النقص الذي يُعانيه ، ودائمًا ما يُدلي الصديق المزيف بتعليقاتٍ دنيئةٍ تجعلك تعتقد أنك تبدو سيئًا ، حتى لو لم تكن كذلك في الواقع وحقيقة الأمر! وهو غير متسامح: فلا يستطيع الصديق المزيف أن يتسامح مع أخطاء صديقه أو يغفرها ، حتى الأخطاء الصغيرة والعادية ، بل لا يتسامح الصديق السطحي مع الانتقاد الهادف ويحاول أن يبدو دائماً بمظهر المعصوم عن الخطأ ؛ فهو لا يستطيع أن يعفو ويسامح مع أبسط خطأ قد يقوم به صديقه ، حتى الغلطات الغير مقصودة لا يغفرها ؛ بل ويُكبرها ويُعظم خطرها فهي ليستَ من أولوياته: والوقت عامل مهم في الصداقة ، وما يجعل الصداقة الحقيقية تنمو وتستمر هو مقدار الوقت الذي يمنحه الأصدقاء لبعضهم ، لذلك لا يمنح الصديق المزيف وقتاً خاصاً لصديقه ، وربما يترك صديقه على هامش أولوياته كصديق احتياطي عندما لا يكون غيره متاحاً ؛ فالصديق السطحي لا يُعطيك الوقت الذي تحتاجه للجلوس معه ، بل قد يتركك في قائمة من آخر الأولويات ، فقد يعتبرك موجوداً عندما لا يكون غيرك كذلك ؛ أي صديق لقضاء الوقت الفائض ... فإهمال صديقك لك وعدم محادثتك لفتراتٍ طويلةٍ دون سبب وعلى الرغم من تفرغه أمر غير طبيعي أو مقبول ، فأنت لست دمية أو وسيلة لملء الفراغ الخاص بأحدهم

ليتذكرك عند الشعور بالملل فقط أو عند رغبته العابرة بالحديث معك ؛ فبكل تأكيد يجب أن لا تسمح لنفسك بأن تكون صديقاً على مقاعد الاحتياط يتم التواصل معك فقط عند الحاجة. ومن الطبيعي أن لا يقوم الصديق السطحي بإلغاء بعض الخطط أو البرامج أو يترك بعض الالتزامات والمسؤوليات لأجلك ؛ فهو يختار وباستمرار أشياء أخرى ويفضل أشخاص آخرين عليك ؛ فأنت لست من أولوياته. نعم هنالك ظروف قد تمنع تواصل صديقك معك ؛ فليس من المعقول أن يترك الشخص شؤونه الخاصة ومسؤولياته العائلية والمهنية من أجل التواجد معك بصورةٍ شبه دائمة ؛ أو الوقوف معك في مناسباتٍ عاديةٍ لا تستحق أن يترك شؤونه المهمة لأجلها. فصديقك أيضاً إنسان له حياة مستقلة واحتياجات شخصية وأولويات عملية واجتماعية لا يمكن أن يهملها فقط ؛ لأنك تريد تواجده دائماً ، أو تواصله معك بغض النظر عن ظروفه ؛ فلابد من احترام حياة صديقك وتقدير ظروفه وعالمه الخاص ؛ فليس كل من انقطع عنك يعد صديقاً مزيفاً! والصديق السطحي يتكلم عنك بالسوء: لأن الصديق الحقيقي هو من يحاول أن يحافظ على صورتك أمام الآخرين ويدافع عنك ، أو على الأقل لا يشارك في جلسات النميمة والغيبة والتسقيط التي تتناولك بالسوء ، أو التي تقدح بك وتذمك ، أما الصديق المزيف فقد يكون مديراً لجلسات النميمة والتسقيط ؛ والصديق السطحي يتحدث في غيابك بطريقةٍ سيئةٍ ؛ بل وقد ينشر الشائعات عنك والتي قد تسئ إلى شخصيتك وسُمعتك بالطرق المخادعة التي يتسم بها ؛ فهو يتحدث عنك بشكل سيء! نعم هو شعور سيء ومدمر عندما تكتشف بأن الشخص الذي يتحدث من وراء ظهرك هو الشخص الذي ظننت بأنه صديقك ؛ إذ إن صديق السوء أسوأ من العدو الصريح ؛ فالبعض ممن يبدو لك أنه صديق شريف ، بمجرد ذهابك أو مغادرته يتحدث عنك بالسوء! ويصل الخداع بالبعض ؛ أنه بمجرد ذهابك وبقاءه هو بين أصدقائك ومعارفك ؛ يبدأ بإظهار نفسه بصفة الناصح الأمين والصديق المشفق الوفي ويتهمك بما ليس فيك أمامهم بحجة تقديم النصح لك وأنت غائب عنهم ؛ والهدف الحقيقي لسلوكه المشين هذا ؛ هو تحطيم سمعتك أمام الناس ؛ واحذر من الذين يتحدثون بالسوء عن أصدقائهم أمامك ؛ فمن المحتمل أن يتحدثوا عنك بنفس الطريقة ؛ فهؤلاء لا يمكن الوثوق بهم أبداً! والصديق السطحي يفضح أسرارك: والأسرار من أهم أعمدة الصداقة الحقيقية ، والصديق المزيف يستخف بالأسرار ولا يعطيها قيمة ، وربما يتقصد فضح أسرارك أو يستخدمها للابتزاز والضغط أحياناً ؛ فهو يُفشي أسرارك دائماً ولا يحترم خصوصية هذه الأسرار ...فالصديق السطحي يخبر الجميع بأسرارك ؛ ولأهمية الأسرار في حياتنا لا بد لنا من اختبار الصديق بإخباره "بسر" صغير والطلب منه الاحتفاظ به لنفسه ؛ فإذا سمعت عنه في مكان آخر ، فستعرف بالضبط من هو المسؤول عن هذا التسريب! وهو كاذب ويُخفي الكثير: يكذب الصديق المزيف في الكثير من الأمور ، وليس بالضرورة أن يكون كذبه هادفاً ، لكنه ربما يكذب لتلميع صورته أو إخفاء عيوبه ، وعموماً ستعلم أن الصديق المزيف يخفي عنك الكثير من الأشياء التي تؤثر على الصداقة بينكما! فمن أبرز الصفات التي يتسم بها الصديق المزيف صفة الكذب ؛ وعندما يقول الحقيقة فعادة ما يكون ذلك من أجل التحضير لكذبةٍ أكبر ؛ وقد يكذب الصديق المزيف للحصول على نقاط التعاطف أو لوضع نفسه في قلب الدراما التي يكون فيها دائمًا النجم الذي يحتاج إلى الاهتمام به ؛ فهو يكذب على من حوله في كل ما يتعلق بحياته مثل إنجازاته ، حياته الشخصية ، أي شيء لإظهار نفسه بصورة أحسن من الحقيقة ولكي يستطيع التباهي! وقد يكذب الأصدقاء المزيفون للتستر على مخاوفهم ، وقد يكذبون بشأن الإنجازات والدرجات والأشياء المادية ؛ بالإضافة إلى ذلك ،

قد يكذبون أيضًا بشأن أنفسهم و"أصدقائهم" والصديق السطحي حسود: فالغيرة بين الأصدقاء – أحيانا – تكون واردة ، وربما تكون صحية إذا كانت من باب المنافسة البنّاءة الشريفة ، ولكن الحسد يدمر الصداقة ، والصديق الحسود لا يمكن أن يكون صديقاً حقيقياً ، لأن الحسود لا يتمنى أن يكون مثلك ؛ بل يتمنى زوال ما لديك من نعمةٍ لتصير مثله أو أدنى منه ؛ لذلك قال الامام علي: (حَسَدُ الصَّدِيقِ مِنْ سُقْمِ الْمَوَدَّة)! فهو لا يريد أن يميز في هذا الموضع حسد الصديق عن باقي أنواع الحسد ، بل يريد أن يبيَّن بأنَّ الصديق الحقيقي لا يحسد صديقه ؛ لأنَّ الحسد تمنّي زوال نعمة الغير ، والصديق الحقيقي لا يتمنى زوال نعمة صديقه بل يغبطه ، أي: يتمنى أن يحصل بمثل ما حصل عليه صديقه ، فإذا حسد شخص صديقاً له دلَّ حسده على وجود خلل في محبته ومودته لصديقه ، والصداقة الحقيقية لا تتم إذا وُجد خلل في المودة ؛ ففي كلامه إشارة إلى ضرورة ترك التحاسد بين الأصدقاء! ويميل الصديق المزيف إلى الشعور بالغيرة. فهو لا يغير من اهتمامك بنفسك واهتمام من حولك بك ، والمال والمساعدة التي تقدمها للآخرين فقط ، بل يشعر أيضًا بالغيرة من إنجازاتك ونجاحاتك! وهذه ـ الغيرة ـ من أكثر صفات الصديق المزيف وضوحاً ، فهو لا يعجبه حين تنجح في شيء ويظهر عليه ذلك سواء في تعبيرات وجهه أو في طريقة حديثه معك ؛ وقد يضع نفسه في منافسةٍ دائمةٍ معك ؛ فبدلاً من أن يقوم بدعمك تجده يسعى لمنافستك والتقدم عليك بشكل دائم ، حتى وإن كان ذلك في الأمور البسيطة ، فإذا كان ذلك في الدراسة فهو يسعى للحصول على درجات أكثر منك أنت بالذات ، وإن كان في عمل فهو أيضاً يسعى لإنجازه قبلك أنت بالتحديد. ربما تكون قد لاحظت سمات الحسود في بعض الأشخاص من حولك من قبل ؛ لكن ليس من الضرورة أن تكون تلك السمات واضحة ، إذ يمكن للناس أن يكونوا بارعين للغاية في غيرتهم في الواقع ، وقد لا يدرك الصديق الغيور غيرته ؛ فقد يكون ـ هذا الشعور السيء ـ غارقاً في أعماق اللاوعي ؛ وهذا يجعل الأمر أكثر صعوبة في المعالجة ؛ لذا ترى بعض الأصدقاء لا يبدو عليهم الحسد أو الغيرة طالما أن الجميع متساوون نسبيًا ؛ ولكن في اللحظة التي تتفوق فيها ـ في شيء ما ـ ؛ قد تظهر مخالب هؤلاء البعض ؛ فهم لا يفرحون بنجاحاتك أو يضايقهم تفوقك ؛ لذا تراهم ينزعجون ويشككون في إنجازاتك وأعمالك بل ويطمحون لسلبها عنك ... فالصديق الحقيقي هو ذلك الشخص الذي يفرح عندما ينجح صديقه ؛ أما الصديق المزيف فقد تلاحظ أنه بدلاً من الاحتفال معك ، فإنه يقدم تعليقات صغيرة أو يحفر من تحتك ، أو يضايقك ببعض التصريحات السلبية بسبب إنجازاتك ؛ وهذا ليس ما يفعله الصديق الحقيقي ، هذا ما يفعله الشخص عندما يشعر بالغيرة كما أسلفنا ؛ فلن تجده أبداً يتمنى لك الخير حتى ولو أظهر عكس ذلك لأنه وبكل بساطةٍ يغار منك ويحاول تقليدك في كل شيء ؛ وقد يبدو الصديق المزيف وكأنه يقول أشياء جيدة لصديقه ، لكن تعابير وجهه لا تتطابق مع الكلمات التي ينطق بها ؛ وأما الصديق الصادق لن يغار منك ولن يتمنى لك إلا دوام النعمة والخير ، ولن يسعى إلى مقارنة نفسه بك بل بالعكس سيدعمك دائماً دون حساب! والصديق السطحي نفعي (مصلحجي) : يظهر فقط عندما يريد منك شيئاً ، ونادراً ما يتواصل معك بشكل طبيعي ، كما يختفي عندما تريد منه شيئاً ؛ والحقيقة هي أن الصداقة طريق ذو اتجاهين ولكن بالنسبة للصديق المزيف ، فإن الصداقة هي مجرد آلة وهو يقوم بالضغط على الزر متى أراد شيئًا منك فقط ؛ فعلاقته بك مشروطة ، أي قائمة على مصلحةٍ ما أو خدمةٍ ما ؛ ويقترب منك متى يريد منك أمراً ، خاصة في وجود الأزمات والاحتياجات ، ويبتعد عنك متى ينتهي ذلك ؛ يجب أن تكون صادقاً مع نفسك وتواجه حقيقة

صداقتك مع الشخص الآخر. هل هو يحبك؟ هل هو صديقك الحقيقي؟ هل هو يحبك لنفسك أو يحبك لما تقدمه له من خدمات واحتياجات؟ فالصديق (البرجماتي): هو الذي يعاشرك لغرض قضاء حاجاته لا لحبه لك ، وعندما يأخذ منك ما يريد فسرعان ما ينسل منك ولا يظهر إلا بعد أن يحتاج منك شيئاً آخر ، وإذا رفضت تلبية حاجته قد يقطع علاقته بك ؛ فأنت مجرد أداة لهم ؛ لأنهم يستخدمونك وربما يتعلق الأمر بسيارتك أو درجاتك أو شقتك الخاصة أو منصبك ووظيفتك أو أحد أصدقائك الحميمين ، ولكن الشيء الوحيد الذي يشترك فيه جميع الأصدقاء المزيفين هو تكوين صداقاتٍ مع أشخاص يستفيدون منهم أكثر ؛ فما أنت إلا مجرد أداةٍ أخرى في صندوق الأدوات المستخدم من قبلهم! لذا فأنت تلاحظ بوضوح المحاولات المستميتة للاقتراب منك فجأة بعد حصولك على المال أو مركز مرموق أو توسع دائرة معارفك أو حتى تمتعك بمهارةٍ معينةٍ في أحد مجالات الحياة ؛ لذا يجب عليك أن لا تجعل الأمر يمر مرور الكرام فهو دليل قاطع على أنك مجرد جسر لتحقيق الطلبات أو الوصول إلى الغايات ، وبعد ذلك لن تصبح الأمور أفضل بكل تأكيد ؛ ولأنك شخص عاقل وحُر ولا تدين لأحد بأي خدمةٍ يجب أن لا تسمح لنفسك بأن تُصبح مجرد جسر للعبور عليك ، فإن كنت طيب القلب وتحب مساعدة من حولك فهذا دليل على حسن التربية التي منحتها لك عائلتك ، أو التي صنعتها بيدك ، وأن الأمور والخدمات التي تُقدمها بمحض إرادتك ؛ فأنت لا تقدم الخدمات لمن يظنون أنهم أذكياء ، ويتقربون منك بهدف مصالحهم فقط! والصديق السطحي يتسم بالثرثرة والدراما: فهو شخص يحب الثرثرة ويحول مواقف حياته إلى حبكةٍ دراميةٍ من أجل تفاقمها واكتساب عاطفة الآخرين فهو صانع الدراما من الدرجة الأولى ، ومن أسوأ الأنواع التي تستنزف طاقتك ويجعلك دائماً تشعر بالطاقة السيئة ؛ كما توضح مدربة الحياة (تارا ماير روبسون): فإن الأصدقاء المزيفين الذين هم صانعو الدراما من أسوأ الأنواع الذين يستنزفون طاقتك ويجعلونك تشعر وكأنك لا تريد ؛ بينما يكره البعض منا الدراما التي لا طائل من ورائها ، فإن خلقها أو الانخراط فيها يعتبر مصدرًا للحيوية بالنسبة لبعض الناس! والصديق السطحي يتصرف بغرابة عندما تكون مع أشخاص آخرين: غالبًا ما يواجه الصديق المزيف مشكلة في السلوك النرجسي ؛ إذ يعتقد أنه من حقه أن يفعل ما يريد وأنه محور الكون ، فعندما تكون في الخارج أو بالقرب من أصدقاء آخرين ، قد يتصرف بشكل غريب ، وقد يقلل من شأنك أمام أصدقائك حتى يلفت انتباه الآخرين له ، وقد يتظاهر الصديق المزيف أمام الآخرين بأنه أكثر هدوءًا ، وقد يكون أقل ثرثرة معهم ، وعندما تكونان وحدكما يتعامل معك بشكل جيدٍ ، لكن إذا كان هناك شخص آخر فإنه يغير من تعامله معك كما أسلفنا ؛ فمثلاً إن كنت تعد عرضاً لموضوع في مادةٍ مدرسيةٍ ولأنه الأقرب لك استشرته وطلبت رأيه في الموضوع ونصائحه للرفع من مستوى الموضوع ؛ فأخذ يصفه بالمثالية والموضوعية ، وقال: إنه خال من الأخطاء ؛ وأثناء عرضك له في الفصل الدراسي وأمام التلاميذ انهال عليك بالأسئلة المحرجة للتقليل من قيمة عملك! وإذن فهي صداقة ظرفية: فالصديق المزيف غالبًا ما يكون ضمن إحدى المقابلات التي تجمعك معه في بيئة أو مكان واحد فقط لفترة ما ؛ وهؤلاء في الغالب ليسوا أصدقاء حقيقين ؛ وربما يكون من الصعب بعض الشيء أن تقول بأنه صديق مزيف ، فقد كانت أوقاتكما معًا ملحمية ؛ ولكن الصداقة كانت بالتأكيد مؤقتة وظرفية ، وكانوا يطلقون على مثل هذه الصداقات في العراق: (صداقة جيش) لأنها صداقة مؤقتة ومرتبطة بإداء الخدمة العسكرية ، ومع انتهاء الخدمة العسكرية تنتهي تلك الصداقة ويذهب كل في طريقه وكأن شيئاً لم يكن ؛ على الرغم من حميمية

المشاعر وصدق المواقف بينكما وقتذاك ؛ فهو رفيقك في سياق معين ، ولكنه في الواقع لا يريد أن يكون صديقك طوال الحياه أو يعمق صداقته معك بأي شكل من الأشكال! والصديق السطحي ديدنه الهروب في الأزمات: فإذا كنت تعاني من أزمةٍ بعينها ، هنا يظهر معدن صديقك إذا كان حقيقياً أم مزيفاً ؛ إذ يتسم الصديق المزيف بأنه شخص غير مسؤول تجاه أصدقائه ؛ ففي وقت الشدة والأزمات لن تجده معك ؛ وقد يخلق لك الكثير من المبررات والتي بها قدر كبير من الكذب ؛ فإذا كان صديقك يخيب ظنك باستمرار ؛ فهو مزيف ؛ إذ إن الأصدقاء المزيفين غالباً ما يكذبون ولا يُوفون بوعودهم أو يختفون عند الحاجة! فالصديق المزيف تجده يضع الخطط لمساعدتك ويطلق الوعود لك بأنه سوف يكون دائماً متواجداً بجوارك ومعك ، إلا أنه في الغالب لا يلتزم بذلك ويخذلك مراراً وتكراراً كما أسلفنا ؛ فهو يختفي عندما تكون في أمس الحاجة إليه والاختفاء في أكثر الأوقات التي نحتاجهم فيها هي صفة شائعة يتميز بها الأصدقاء المزيفون ؛ فعندما يحتاجونك لأمر ما تجدهم بجوارك ، لكن عندما تحتاج شيئاً منهم ، يختفون! فعلاقة الصداقة ليست علاقة يأخذ فيها أحد أطرافها كل شيء بينما يظل الطرف الثاني يعاني دون مقابل! والصديق السطحي ديدنه النميمة: أو القيل والقال كما يطلقون عليها ؛ فسوف تجد هذا الصديق المزيف يتحدث عنك من وراء ظهرك بشكل غير جيد ، كما تحدث أمامك عن الآخرين ، فتجده يتكلم عنك مع الآخرين ويحكي عن أشياء تخصك أنت فقط من وراء ظهرك ؛ فالنمام ذلك الصديق الذي ينقل كلامك للآخرين وينقل كلام الآخرين إليك ؛ ويتناول موضوعات حساسة في حياة الأشخاص والأصدقاء ويسرد عيوبهم بشكل معيب ويتكلم عنهم باستهزاء وسخرية! والصديق السطحي علاقته مشروطة: ولعلها أكبر علامة على أن صديقك مزيف! وكما تعلم فهناك فرق بين الحدود والشروط! فالحدود هي مثلاً أن لا تشارك أي شيء مع أصدقائك سواء كان شيئاً مادياً كأغراضك الخاصة أو معنوياً كأسرارك المهمة ومشاكلك العائلية ؛ أما الشروط كأن يتحرج صديقك من مظهرك أمام الغير فيطلب منك مثلاً تغيير ملابسك شريطة ذهابك معه لمكان ما! والصديق السطحي ديدنه اللامبالاة: اللطف و التعاطف والاهتمام من أهم سمات الصديق الحقيقي ؛ فمثلاً قد يتركك صديقك اللامبالي وحدك ويذهب مع أصدقائه الآخرين إلى المقهى ولا يهتم بإنجازاتك وأحلامك ، ولا يبالي بهمومك وآلامك ، ولا يعيرك أي أهمية ، فهو لا يساندك ولا يهتم لأمرك بتاتاً ، لا يستمع إليك عندما تتحدث ؛ نعم قد يتظاهر بالاستماع إليك لكنه يستخدم هاتفه في نفس الوقت أو يتحدث لشخص آخر عبر محادثة نصية بينما يجلس أمامك مباشرةً ؛ فهو لا يستمع إليك بشكل فعلي ؛ فالاستماع الفعال أمر مهم لبناء علاقاتٍ قويةٍ وكذلك هو لا ينزعج لأجلك مهما حدث ؛ واعلم بأن أي "صديق" يتظاهر بأنه لا ينزعج ولا يغضب من أي شيء يتعلق بك فهو صديق مزيف وغير حقيقي ، فمن المستحيل أن لا يتواجد أي شيء يزعجه ، والصديق الحقيقي هو الذي يظهر لك انزعاجه وغضبه ويخبرك بذلك بشكل صريح لأنه يحبك ، نعم دائمًا ما يظهر الأصدقاء الحقيقيون لبعضهم البعض ، بغض النظر عن الوضع ، وفي حالة الأصدقاء المزيفين ، ستجده دائمًا شخصًا متفرجًا يستمتع بالتنمر عليك أو لا يقول كلمة واحدة ترفع من معنوياتك أو تخفف من آلامك! والصديق السطحي ديدنه عدم الاحترام: أقم حدوداً لترى إن كانوا سيحترمونها ؛ لتمتحن صدق أصدقائك ضع بعض المعايير والحدود ؛ وانتظر رَدة فعلهم ؛ فإن احترموا تلك الحدود فقد احترموك وإلا فهم مزيفون ؛ فالاحترام شيء والمزاح و(الميانة) شيء آخر ؛ لذلك قال الامام علي: (لا تضيعن حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه ، فإنه ليس لك بأخ من ضيعت حقه) ؛ فلكل صلة وعلاقة تقوم في هذه

الدنيا نوع من الحقوق ، فللأب حق وللأم حق ، وللإخوة حق ؛ وما لا بد منه هو الحذر من تضييع حقوق الإخوة ، فالتقصير في حقوق الإخوة لا يؤدي إلى سقوطها ؛ والسبب في التقصير في حقوق الأخوة كما يكون أحياناً عن سبق تصميم ، قد يصدر أحياناً من خلال التهاون والاتكال على الصداقة والأخوة ، وهذا ما يحذّر منه الإمام علي ، وأن الأخوة لا تعني إطلاقاً التقصير في أداء الحقوق وعدم الاحترام ؛ فإن ذلك سوف يؤدي إلى حدوث القطيعة! والصديق السطحي ديدنه الاختلاف: وكما هو معلوم فالاختلاف طبيعة إنسانية وسنة إلهية في البشر جميعاً ، لكن هناك من يريدك أن تتفق معه في كل ما يقول وكل ما يعتنق من أفكار ، وإذا اختلفتما فإنك تجد منه معاملة لا تدل عن حبه لك ولا عن كونه إنساناً متعايشاً فقد يهجرك أو يغير من تعامله معك ، فهذا النوع من الأفضل أن لا تجعله صديقاً مقرباً منك ؛ لأنه يقطع علاقته بك عند الاختلاف! والصديق السطحي ديدنه السلبية: الصديق المزيف تجده دائما ينتهج أسلوباً عدوانياً تجاهك ، وقد يهاجمك لأتفه الأسباب ، كما أنه يكون سلبياً تجاه ما تقوم به من أعمال ، خاصة في حالة نجاحك في تلك الأعمال ؛ الأصدقاء المزيفون يضعونك أمام الآخرين ويضحكون ويتحدثون عنك في وجهك ؛ وهذه علامة على أن هؤلاء أصدقاء مزيفون ؛ لديهم أيضًا دائمًا موقف سلبي وحكمي تجاهك ؛ و إذا أخبرتهم عن أحلامك التي تريد تحقيقها ، فسوف يضحكون وينتقدونك في وجهك قائلين: لا يمكنك فعل ذلك! هذا مستحيل! إنهم يحاولون دائمًا إبعادك عن أحلامك ؛ فلديهم جو من السلبية ؛ وقد يستخدم الصديق المزيف أيضًا أساليب غير مباشرة لإيذاء مشاعرك ، على سبيل المثال ، قد يعجب بشخص أمامك كي يضايقك ؛ ولا يحب هؤلاء الأشخاص منشوراتك وحالاتك على الشبكات الاجتماعية أو يتفاعلون معها بتعليقات سلبية ، وقد يفعل الصديق المزيف عمداً الشيء الخطأ ليضعك في مواقف تشعر فيها بالحرج أو الخجل ؛ فهؤلاء إذا لم يكن بإمكانهم أن يكونوا سعداء من أجلك ، فقم بركلهم إلى الرصيف ؛ أما الأصدقاء الحقيقيون فسوف يُصَلون ويدعون الله لأجلك دائمًا ؛ ويتمنون لك الخير والصحة والسعادة ، ويرفعون من شأنك ؛ وبمجرد أن تراهم يذهب همك وينجلي حزنك ، وتستمد الطاقة الإيجابية منهم! والصديق السطحي ديدنه عدم الاعتراف بالخطأ: فالكمال المطلق لله والعصمة لأهلها كما قيل قديماً ؛ إلا أن الأصدقاء المزيفين لن يعترفوا حرفيًا بأنهم مخطؤون ؛ إنهم يبحثون باستمرار عن أشخاص آخرين يتحملون المسؤولية عن الأمور التي تحدث خطأ في حياتهم ، حتى لو كان ذلك خطأهم بوضوح ، فالصديق المزيف يلومك على إخفاقاته ، ويظل يقول بأنه لو لم تفعل شيئًا كان بإمكانه تحقيق شيء ما ، والصديق السطحي دائم الانتقاد: فالصديق المزيف ينتقدك في كل شيء حتي في الأشياء الجيدة ، وأحياناً يكون السبب هو الغيرة ؛ بينما من صفات الصديق إسداء النصائح والتشجيع ، وليس الانتقاد السلبي والسخرية منك. والصديق السطحي ديدنه عدم مشاركة اللحظات السعيدة: ونحن نعني هنا اللحظات السعيدة الخاصة بك ، أو أي إنجاز شخصي تقوم به! فعلى سبيل المثال إذا حصلت على وظيفةٍ فسوف تجد الصديق الحقيقي يقدم لك التهنئة ، ويشعر بالسعادة تماماً كما تشعر بها أنت أما في حال ما إذا كان صديقك من النوع المتصنع المزيف فإنك سوف تلاحظ أنه لا يكترث حتى بتوجيه التهنئة لك ، أو دائماً ما ستجده يحاول بكل قوته التقليل مما حققته مهما كان إيجابياً! وأرانا قد أسرفنا في الحديث عن الصديق النفعي السطحي الانتفاعي (المصلحجي) الخسيس! فلنتحدث بعض الشيء عن علامات الصديق الحقيقي! يَعْتَمِدُ العَقْلُ الإِنْسَانِيُّ فِي تَمْيِيزِهِ بَيْنَ الأَشْيَاءِ عَلَى المُقَارَنَةِ فِيمَا بَيْنَهَا ، فَكُلَّمَا كَانَتِ الأَشْيَاءُ أَكْثَرَ تَقَابُلًا وَتَضَادًّا كُلَّمَا كَانَتْ

أَكْثَرَ تَمَايُزًا وَوُضُوحًا، وَلِذَا قِيلَ: (مَعْرِفَةُ الأَشْيَاءِ بِأَضْدَادِهَا). فَطَبِيعَةُ المَعْرِفَةِ تُحَتِّمُ عَلَى العَقْلِ القِيَامَ بِهَذِهِ المُقَابَلَةِ لِرَسْمِ الحُدُودِ الفَاصِلَةِ بَيْنَ الشَّيْءِ وَضِدِّهِ ، فَحَتَّى تَعْرِفَ النُّورَ لاَبُدَّ أَنْ تَعْرِفَ الظَّلاَمَ ، وَلَا يُمْكِنُ اقْتِرَاحُ وَسِيلَةٍ أُخْرَى لِأَنَّ النُّورَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ هُوَ الظَّلاَمَ ، وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ النُّورُ هُوَ غَيْرَ الظَّلاَمِ ، وَفِي هَذِهِ الحَالَةِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُبَايِنًا لَهُ بِالمُطْلَقِ ، وَإِمَّا مُبَايِنًا لَهُ فِي بَعْضِ الوُجُوهِ ، وهَكَذَا يَحْصُرُ العَقْلُ الاحتمالات المُمْكِنَةَ ، وَالإِنْسَانُ عِنْدَمَا يُفَكِّرُ فِي الأَشْيَاءِ يُفَكِّرُ ضِمْنَ هَذِهِ المَسَارَاتِ المُحَدَّدَةِ ؛ ولاكتمال صورة الصداقة المزيفة في أذهاننا لا بد لنا من بيان أهمية الصداقة الحقيقية في حياتنا ومعرفة معناها ومفهومها ؛ ومن ثم العروج إلى بيان علامات الصديق الحقيقي ؛ كي يتضح الموضوع بصورةٍ جليةٍ لا لبس فيها ولا غموض.

والإنسان كائن اجتماعي ، وهو في سعي دائم لتكوين صداقات وإنشاء علاقات ، حتى لو كانت افتراضية من خلال وسائل التواصل الاجتماعي أو البريد ... الخ ، وقد يعتقد الشخص أن لديه صداقاتٍ حقيقية ، ويسعد بارتفاع عدد متابعيه ومعجبيه ، ولكن الصداقة الحقيقية هي أقرب إلى المستحيل في وقتنا الراهن ، بل إن العرب ببلاغتهم جعلوا الصديق الوفي أحد المستحيلات ، فدائماً نسمع مقولة: «هذا من رابع المستحيلات» ؛ والمستحيلات الثلاثة هي: الغول والعنقاء والخِل الوفي ؛ إذن الخِل الوفي هو بمثابة المستحيل ، ولو أنعم الله على الإنسان بصديق واحد أو اثنين أو ثلاثة أوفياء ، فإن ذلك بمثابة هبة من الله ، خصوصاً في زمننا الذي طغت فيه المادة والأنانية ، ولم يعد الناس يلتزمون بوعودهم وقيمهم السامية ؛ وكما أسلفنا: الإنسان لا يستطيع أن يحيا بمفرده ، وهو بحاجة إلى أصدقاء ، لأن ذلك يُشبع حاجته إلى الانتماء والأهمية ، بل والشعور بالسعادة والطمأنينة والعطاء أيضاً ، وكلنا بحاجة لبعضنا البعض ، لكن هناك فئة ـ أصبحت الغالبية العظمى ـ لا تعرف أحداً إلا وقت أن تحتاج إليه فقط ، فإذا انقضت الحاجة لم تعد هناك حاجة لهذه المعرفة وذلك التواصل الاجتماعي ، ولا يمكن أن تبذل أي نوع من العطاء ، ولو بالنصيحة ، وإن قدمت النصيحة فهي ليست صادقة ، بل لأهدافٍ خفية ، قد تتضمن مصلحة ذلك الصديق المزيف ولو على المدى البعيد! ففي الماضي كنا نعتقد أنه من المهم أن يكون لدينا الكثير من الأصدقاء وبغض النظر عن نوعيتهم ، ولأننا نكون بأمس الحاجة لوجود الصديق في حياتنا ، تغيب عن بصيرتنا أمورٌ مهمة يجب أن تتواجد في ذلك الصديق. وقد اشتبه البعض منا عندما تصور أن فلاناً صديقه وإذا به يكتشف معدنه الحقيقي! وهذه حالة طبيعية ، فالصديق المزيف كالعملة المزيفة لا تكتشفه إلا عند التعامل معه ؛ والأصدقاء المزيفون هم مثل الظلال ، إنهم يتبعونك في الشمس ، لكنهم يتركونك في الظلام! ولكن مع مرور الوقت ، وبفضل التجارب الحياتية والشخصية والصدمات النفسية التي تعرضنا لها بسبب علاقاتنا العامة والاجتماعية الكثيرة والتي من خلالها عرفنا المزيف من الحقيقي ، وميزنا بين الغث والسمين. ولذلك صرنا ندرك أن الكثير من أصدقائنا ليسوا أصدقاءنا حقًّا ؛ عندما يزداد وعينا وتكثر تجاربنا ويقوى حدسنا ؛ أصبح كل ما يهمنا ونبحث عنه الآن هو وجود صديق واحد حقيقي يقف بجانبنا وقت الضيق ؛ فمن الحمق أن تطلق مسمى الصداقة على كل عابر يمر في حياتك ، أو على كل شخص تجمعك به مناسبة أو حادثة! ولا بد لنا من التمييز بين المعارف والأصحاب والزملاء والرفاق والأصدقاء والأقرباء. لذلك عدت الصداقة الحقيقية شيء غالي الثمن ، بل هي من أسمى العلاقات الإنسانية على الإطلاق ، فقد تنشأ بين الأصدقاء علاقة قوية أشبه بعلاقة الأخ بأخيه بل وأشد قوة ، في وقوفهم إلى جانب بعضهم بعضاً ، وخوفهم على بعض ، والكثير من الأمور والعواطف التي تجعل منها علاقة قوية ،

فالكثير من الأشياء والأمور والأحاسيس لا تستطيع البوح بها لأخيك ، لكنك تستطيع قولها لصديق مخلص ، حتى تستطيع إخباره بأهم الأمور التي تشغلك وتزعجك حتى عن نفسك: لذلك قال بنيامين فرانكلين: «الصديق هو من تخبره عن أخطائك قبل أن تعترف بها لنفسك»! فتنشأ بين الأصدقاء علاقة وطيدة تكللها الثقة والمودة ؛ لذا يلعب الصديق الحقيقي دوراً مهماً وأساسيّاً في حياة الإنسان ، وفي كثيرٍ من الأحيان يكون الصديق أقرب إلينا من أفراد عائلتنا حتّى ، فالصداقة هي أسمى العلاقات وأنبلها وهي أرقى العلاقات في الحياة ؛ والصداقة تعد من أنبل العلاقات الإنسانية وأرقاها وأسماها ـ كما أسلفنا ـ في حالة أن تكون مبنية على الحب والمودة والتفاني وكذلك الإخلاص والإيثار والصدق والصراحة ؛ لذلك نرى حياة الأصدقاء الأوفياء تمتلئ بالذكريات الجميلة والمواقف المشرفة التي لا تنسى والتي تبقي عالقة وموجودة في الوجدان إلى الأبد ، ومن هنا أدرك العقلاء بأن صديقاً واحداً حقيقياً خيرٌ للإنسان من ألف صديق مزيف ، وعليه فابحث عن الصديق المخلص والخل الوفي بين قائمة أصدقائك ومعارفك وعندما تعثر عليه ألغ البقية من حياتك ولا تجعل لهم في ودك نصيباً وفي قلبك مكانة ؛ فالصداقة الحقيقية ليست بعدد السنوات ولا بكثرة الوعود والكلمات بل بعدد المواقف والالتزامات ؛ لذلك قد تلاحظ أن الأشخاص المزيفين يقيمون علاقات صداقةٍ كثيرة جداً ؛ في حين لا يكون للحقيقيين إلا القليل من الأشخاص الموثوق بهم ، لأن الحقيقيين لا يحتاجون لأرقام ، بل لعدد قليل من الأحباء الملتزمين ؛ فالأشخاص الحقيقيون راضون عن هويتهم ، ولا يحتاجون إلى مزيد من الاهتمام لإثبات صفاتهم الطيبة! هنالك فروق عديدة بين الصداقة الحقيقية والمزيفة ؛ وسأذكر لكم بعضاً منها ؛ كي يستطيع القارئ تمييز الطيّب من الخبيث ، والحقيقي من الوهمي ، والصادق من الكاذب يدعمك في كافة مواقفك فلسان حاله: (انصر أخاك ظالماً ومظلوماً) ؛ فالصديق الحقيقي يقف بجوارك دائماً في كل خطوةٍ تخطوها في مشوار حياتك ، ويشجعك على الوصول إلى هدفك الذي تحلم به يحب الجانب السلبي من شخصيتك: فكلنا لنا جوانب "سلبية" في شخصياتنا ، والصديق الحقيقي هو من يحب تلك الجوانب ويقبلها ويتكيف ويتعامل معها ؛ أي يقبلك كما أنت على طبيعتك دون قيدٍ أو شرط ، فالكمال لله كما قيل قديماً يسامحك على أي شيء: قد تحدث أحياناً مواقف أو أخطاء بين الصديقين ، مع الشخص المزيف تدفع ثمنها وتخسر العلاقة ربما للأبد ، لكن الصديق الحقيقي يعي جيداً ذلك الأمر ، بل ويسامح من قلبه ، لأنه ببساطةٍ يُقدر فعلاً صداقتك ، ولا يتوقف عند أخطائك المؤقتة ، وهو يعلم بأن الانسان قد يُخطئ! فلا داعي لكثرة العتاب والتقريع لإخواننا وأصدقائنا ـ حتى ولو خابت ظنوننا في بعضهم ـ بسبب بعض الأخطاء ؛ وإذا ظللنا نقرع ونشجب ونعاتب فسنفاجأ قريباً بأنه ليس حولنا أحد ؛ لأنه لا يوجد شخص على وجه هذه الأرض ـ لا في الماضي ولا في الحاضر ولا في المستقبل ـ سالماً من العيوب والنقائص والأخطاء ، فكلُ بني آدم خطاء، وإذا أردت أخاً بلا عيب بقيت بلا أخ ، فعليك أن تتقبل صديقك على ما فيه من العيوب ، وأن تغفر لصاحبك ما دام قد أخطأ عن غير عمد ، وتسامحه عن الهفوات ، وكما قال الحكيم: إذا أردت أخاً بلا عيب فعش وحيداً أو عليك أن تصل أخاك – وتقبله كما هو ـ فهو يحسن مرة ويسيء أخرى! وهو يقف خلف ظهرك دائماً: فالصديق الحقيقي من يقف خلف ظهرك لحمايتك ؛ عندما يحدث لك مكروه ما أو تتعرض لتهديد ، بل ويناضل من أجلك دون أن يكلّ أو يملّ! ولا يهدف بهذا الخلق النبيل إلى تحقيق غرض معين أو غاية ؛ إذ يقف الصديق الحقيقي بشكلٍ دائم معك ويُساندك في مختلف المواقف والمشاكل التي قد تمر بها! ويجعلك تكتشف اهتماماتك ويفرح

لأجلك: الصديق الحقيقي هو من يساعدك في اكتشاف الجوانب الجديدة والجميلة والإيجابية في شخصيتك وحياتك والتي لم تكتشفها أنت بنفسك ، بل ويشجعك على تنميتها وتطويرها ؛ ويشعر الصديق الوفي بسعادةٍ كبيرة عندما تتمكن من تحقيق المزيد من النجاحات والأرباح إن كان في حياتك الخاصة أو في حياتكَ العمليّة ، بينما يشعر الصديق السيئ بالغيرة الشديدة منكَ ومن كل النجاحات التي من الممكن أن تحققها ، لهذا فهو دائماً ما يسعى إلى إحباط عزيمتكِ وتشجيعكَ على الاستسلام! ويبقى على تواصل واتصال دائم: الصديق المزيف من يتواصل معك فقط عندما يرغب في معرفة شيء ما أو خدمةٍ معينة ، وفور الانتهاء منها ، لا يعرفك ، بينما الصديق الوفي هو من يتواصل معك في أي وقتٍ ومن أي مكان ، ويهتم بمعرفة أخبارك ومُجريات حياتك ، وليس لقاء على غداءٍ أو عشاءٍ من أجل الثرثرة فقط! وإن عجز عن رؤيتك أو تعذر التواصل معك بصورة مباشرة سأل الاخرون عنك ؛ للاطمئنان عليك يحتفظ بأسرارك: بالطبع الصديق الوفي من يحتفظ بسرك وإن كان صغيراً ولا ينقله أو يثرثر به مهما حدث ، وهو الذي تتحدث إليه كما لو كنت تخاطب نفسك ، بينما المزيف هو الذي يتعامل مع الأسرار كأنها معلومات للابتزاز أو عادية لذلك تراه لا يتحرج من تسريبها للآخرين! ويترك لك وقتاً لنفسك: فالصديق الحقيقي يترك لك مساحة ووقتاً لتجلس مع نفسك ، ولا يلومك لقضاء وقت فراغك بمفردك من دونه ، بل يعرف تماماً أنك بحاجةٍ إلى أن تخلو بنفسك في بعض الأوقات ؛ أو يعلم بانشغالك بالشؤون العائلية والمهنية ؛ فهو سهل المؤونة عندما تحتاجه تجده! وعندما تختفي عنه يعذرك لأنه يقدر الظروف ويحسن الظن بك تلجأ إليه عندما "تبكي": ثمة فارق كبير بين الصديق الحقيقي والزائف ؛ فعندما تشعر بالوحدة أو البكاء أو ترغب في البوح و(الفضفضة) ؛ وقتها ستجد الشخصية المزيفة هي من تربت على كتفك وتواسيك للحظة ثم تحاول تغيير الموضوع الأساسي ؛ أو تهرب منك أصلاً ولا تعيرك أي اهتمام ، أما الصديق الوفي فهو من يحتضنك ويضمك إلى صدره ويشعرك بأهمية ما تقول ويستمع إليك ويهتم لأمرك ، وتجده دوماً سواء كنت سعيداً أو حزيناً بجانبك ؛ ولا يتركك إلا وقد خفف عنك وطء المصيبة صريحاً معك: فالصديق الحقيقي هو الشخص الذي لن يخشى أبدًا إخبارك بالحقيقة غير السارة عنك أو عن نفسه أو عن أي شيء آخر ؛ فالصراحة أساس الصداقة الحقيقية العلاقة الفكرية والعاطفية والروحية الوثيقة: غالباً ما يكون الصديق الحقيقي هو الذي يشبهك من حيث القيم والمعتقدات والأفكار والرؤى ووجهات النظر حول الأشياء الأساسية التي تهمكم نظرًا لأن شخصيات الناس وقيمهم إذا كانت متشابهة ، فإنها تمنحهم إحساسًا بالانتماء ، مما يرضي الحاجة الإنسانية الأساسية للشعور بالارتباط والأمان ، بالإضافة إلى تشابه الأخلاق والقيم الإنسانية أحياناً الاحترام! ويحرص الصديق الوفي على احترامك وعلى التعامل معك بكل لطفٍ ومحبة وتقدير ، ومهما كان يشعر بالغضب أو الاستياء من غير الممكن أن يوجه لك أي كلمةٍ جارحة ، بينما لا يتردّد الصديق السيئ من توجيه الكلمات الجارحة والقاسيّة بحقك في حال تغيير مزاجهُ ، أو في حال شعر بأي نوع من الغضب أو الاستياء! ويحترم خياراتك الفكرية والعقائدية: يحرص الصديق الوفي على احترامك ومحبتك مثلما أنت ، أي أنّهُ لا يسعى ولا يُفكر بتغير أفكاركَ ومعتقداتك ، بل إنّهُ يحترمها لأنّها أفكار ومعتقدات تخص صديقه الرائع الذي لا يُريد أن يخسر وجودهُ في حياتهِ ، بينما يُحاول الصديق السيئ أن يُغير كل الأفكار والمعتقدات التي تخصكَ والتي لا تتناسب مع أفكارهِ ومعتقداتهِ ، ولا يكفُ كذلك عن توجيه الانتقادات القاسيّة لك ولمعتقداتكَ وأفكاركَ).هـ. وطبعاً مسألة المعتقدات والقناعات فيها نظر! لماذا؟ لأنه

يتعين على الصديق المخلص الوفي أن يغير المعتقدات الباطلة والخرافات والأباطيل من قلب وذهن صديقه. وأراني أسرفت وأطلتُ النفس ، وأعدت القول وأبدأته في الحديث عن الصديق بنوعيه: المزيف والحقيقي! مع أن القصيدة برُمتها عن الشقيق الواطي النذل! فما العلاقة بينهما وما الجامع بينهما؟! أقول بأنه وقد انحرف عن دوره في أن يكون شقيقاً مخلصاً وفياً ، فليته ساوى الصديق الوفي! ولكن للأسف لم يكن شقيقاً ولا صديقاً! ورب أخ لك لم تلده أمك! وعودٌ إلى ذلك الشقيق النذل الخايس الواطي الذي زعم أقوام أن زوجته هي التي غيرت قلبه تجاه أخيه! قلنا بأنها ماتت ونفقت وهلكت فلماذا لم يعد إلى حبه وحنانه وأخوته؟ والجواب باختصار لأنها لم تكن السبب! وأن هذا الشقيق لم تتغير طبيعته فهو منذ البداية حاقد حاسد خايس واطي نذل حقير! وإذن فلم تكن زوجته وراء هذه العداوة والبغضاء! وليس الشقيقُ النذلُ الوبشُ الواطي الخايسُ ضحية زوجته ، كما يقول من يهرفون بما يعرفون! ومن هنا عزيت ذلك الشقيق الأكبر بقصيدةٍ أنشدتُها حكاية على لسانه ، وكأنه يحكي لنا شعراً بعض الأحداث التي واكبت مسيرة حياة ذلك الشقيق الخذول النذل الجبان والمآسي التي عاناها معه!)

لا تزيـــــدوا تعصّـــــبي وانفعـــــالي ... إن هـــذا التأويـــلَ فـــوق احتمـــالي

لا تكِيلـــوا بالخُسْـــر أهـــونَ كيـــل ... مـــا أجِـــلَ التطفيـــفُ فـــي المِكيـــال

لا تقولـــوا قـــولاً يُخـــالفُ حقـــاً ... لـــيس ينجـــو مَـــن يفتـــري ، أو يغـــالي

واصـــدُقوا فـــي الفتيـــا ، وسُـــوقوا دَلـــيلاً ... فالـــدليلُ يســـمو بصِـــدق المقـــال

وإذا قلـــتم فاعـــدلوا ، واســـتقيموا ... إنمـــا العـــدلُ زينـــة الأقـــوال

واحـــذروا أن تُبـــالغوا فـــي التجنـــي ... شـــأنَ كـــل مُســـتهتر لا يُبـــالي

واحصُـــدوا التصـــوياتِ كـــي تســـتفيدوا ... كـــم تـــدك الأخطـــاءُ صـــرحَ الجـــدال!

واصـــبُغوا بالإحســـان تقيـــيمَ قـــوم ... راقبـــوا فـــي تحليلـــه ذا الجـــلال

لا تقولـــوا: ضَـــحية لثَريّـــا ... رغـــم كـــل مـــا أحـــدثتْ مـــن نَكـــال

عـــفّ شِـــعري عـــن أن يُوصّـــفَ أفعـــى ... حقهـــا أن تحيـــا مـــع الأصـــلال

لـــم تكـــنْ تحيـــا بيننـــا فـــي ســـلام ... ضَـــربتْ للبغضـــاء أخـــزى مِثـــال

كـــم نصَـــحنا ، فمـــا اســـتجابتْ لنصـــح! ... واســـتمرتْ فـــي درب أهـــل الضـــلال

لـــم تُهيّـــئ للحـــق والخيـــر قلبـــاً ... واســـتبدّتْ بـــالرأي والإرتجـــال

جَرّعتْنـــا كـــأسَ الوقيعـــة مُـــراً ... وأذاقتْنـــا مـــن نقيـــع الخبـــال

لـــم تـــزلْ بالشـــحناء تهـــدمُ بيتـــاً ... وتُلاحِـــــي سُـــــكانه بالجـــــدال

فأضـــافتْ فـــوق الخِـــلاف المآســـي ... بانتقـــام ، كأننـــا فـــي اقتتـــال

والحليـــلُ (الهلفـــوتُ) يقفـــو خطاهـــا ... لـــيس يحيـــا (الدَلـــدولُ) مثـــلَ الرجـــال

وتبنـــى مـــا خططـــتْ دون وعـــي ... قـــائلاً: ســـعيي خلـــفَ أم العِيـــال

تـــابعٌ يحيـــا بالتـــدني ذلـــيلاً ... والـــذليلُ يهفـــو إلـــى الإذلال

مِـــن يـــديها مَصـــروفَه كطفيـــل ... حيـــثُ حـــازت جبـــراً جميـــعَ المـــال

والمَســـيرُ اليَمِـــينُ إن يمّنتْـــهُ ... أو شِـــمال ، فلـــيس غيـــرَ الشـــمال!

والحـــلالُ مـــا حللـــتْ ، فليُطعْهـــا ... دون أدنـــى تلكـــؤ أو مَـــلال

والحـــرامُ مـــا حرّمـــتْ ، فليُطبّـــقْ ... دون إبـــداء غضـــبةٍ وانفعـــال

سَـــيداً أمســـتْ ، والحليـــلُ عُبيـــدٌ! ... هـــل لعبـــدٍ أمْـــرٌ علـــى الســـت عـــالي؟!

إنمـــا العيـــبُ فـــي الرذيـــل ابتـــداءً ... لـــيس قطعـــاً فـــي رَبـــة الأحجـــال

أيـــن كانـــت إذ شـــيطنَ الأخ نـــذلٌ ... وتمـــادى فـــي رَمْيـــه بالنبـــال؟!

أيـــن كانـــت لمّـــا تخـــرّصَ عمـــداً ... قـــائلاً عنـــه أشـــنعَ الأقـــوال؟

أيـــن كانـــت لمّـــا توقـــدَ حِقـــداً ... ثـــم ســـوَّى حرامَـــه بـــالحلال؟!

أيـــن كانـــت لمّـــا وَشَـــى ببـــريءٍ ... عنـــد أعـــدا هـــم للطـــواغي مَـــوالي؟!

أيـــن كانـــت لمّـــا توشّـــحَ ســـيفاً؟ ... وي كأنـــا بثْنـــا بســـاح القتـــال!

أيـــن كانـــت لمّـــا رَمَـــى بالأحـــاجي ... والـــدعاوى عَبـــرَ الســـنين الخـــوالي؟!

أيـــن كانـــت لمّـــا أتـــى بالأغـــاني ... فـــي بُييـــتٍ أعيـــاهُ سُـــوءُ ابتـــذال؟

أيـــن كانـــت إذ عكّـــر الصِـــل صَـــفواً ... كـــل فـــردٍ منـــه اشـــتكى سُـــوءَ حـــال؟!

أيـــن كانـــت والخِـــب فـــرّقَ شَـــمْلاً ... ثـــم دامـــتْ تفريقـــة الأشـــمال؟!

أيـــن كانـــت والـــوَبشُ يَـــزرعُ فينـــا ... تُرّهـــاتٍ تســـوقنا لاختبـــال؟

مَـــن دَهانـــا بحُـــب أهـــل المعاصـــي ... فانطلقنـــا نخصّـــهم باحتفـــال

مَـــن هـــدانا لجمْـــع أخبـــار قـــوم ... لـــم ينـــالوا منـــا قليـــلَ اشـــتغال

مـــا فتنـــا نعطـــي التصـــاويرَ همّـــاً ... وعليهـــا نرتـــادُ أعتـــى صِـــيال

دَورُهُ فـــي التضـــليل كـــابن لحَـــيٍّ ... لســـتُ فيمـــا دَوّنتُـــه بمُغـــالي

بَـــدّلَ البيـــتَ مِـــن خليـــة نحـــل ... تُجتنـــى فيهـــا أطيـــبُ الأعســـال

لبُييـــتٍ فـــي حَمْـــأة الجهـــل يرسُـــو ... هـــل يُرَجّـــى خيـــرٌ مِـــن الجُهّـــال؟!

لـــم يَعُـــدْ قـــرآنٌ – علـــى الأهـــل - يُتلـــى ... آيُـــهُ فـــي ليـــل الـــدجى كـــاللآلي!

وأضـــلَ الـــدُهقانُ قومـــاً حَيـــارى ... بفتـــون طالـــتْ جميـــعَ العيـــال

صَـــدّهم عـــن هَـــدْي المليـــك ، فضـــاعوا ... ثـــم عاشـــوا مَعيشـــة الأنـــذال

والغـــرابُ أمســـى دليـــلَ الخزايـــا ... ثـــم قـــالوا: يقودُنـــا باعتـــدال

لا تقولـــوا: زوجُ الســـفيه طوتْـــهُ ... حيـــثُ عـــاشَ حقـــاً أســـيرَ جمـــال

لـــم تكـــنْ بالحســـناء بالحُســـن تسْـــبي ... عقـــلَ صَـــب لمّـــا مَشـــت باختيـــال

لـــيس هـــذا ضـــحية لهواهـــا ... كـــي نقـــول: ضَـــحّى لنيـــل الوصـــال

هـــو أشـــقى ، واللهُ بالنـــذل أدرَى ... مـــا تحلـــى يومـــاً بـــأحلى الخِصـــال!

عظم الله أجرك في الكتب!

(كثيرة هي الهوايات ، وأكثرُ منها أصحابها. ومن بين الهوايات كانت هواية القراءة والاطلاع. وعجيب أمْرُ راوي هذه القصة ، حيث أخبرني بأنه ظل يجمعُ الكتب على مدى عقدٍ من السنين ، نعم ، عشرة أعوام من البذل والإنفاق حباً في العلم والأدب والثقافة. وكان يعتبر مِلكية الكتاب نصفَ الانتفاع به ، وإن لم يقرأه. وككل مغترب سافر هذا الغريب البائس ، مُخلفاً وراءه متاعاً ينم عن هواياته ، ما بين كتب يقرأها ، وأشرطةٍ يستمعُ إليها ، وعُملاتٍ يجمعُها ، وملابسَ يلبسها ونحوِ ذلك. ولكن الذي كان يهمه أكثر مجموعةَ الكتب التي كانت تشكل مجموعة من المكتبات ، فلقد تنوعتْ بحيث كانت تشمل مختلف الثقافات ، والعلوم والآداب العالمية والإنسانية. والأصل أن كل هذه المقتنيات بما فيها أهمها وهي الكتب والأشرطة ، تعتبرُ أمانة عند من تركها عندهم. فلقد تركها وديعة في بيت عائلة ، ولم يتركها في الشارع لتكون مِلكاً للمارة والسابلة ، كما لم يتركها في الغابة لتكون نهباً للوحش والسباع. وطبيعي أن تكون العائلة بحكم تكوينها أكثرَ محافظة على المُقتنيات من غيرها. على أقل تقدير لتكون ذكرى لصاحبها ، إن كانت العائلة تحبه بأي درجةٍ من درجات الحب. وليس طبيعياً أن يعود الرجل بعد سنين ، ليجد مقتنياته أثراً بعد عين ، وخيالاً بعد حقيقة. ويسألُ الناس فلا يُجاب! والذي حدث للأسف الشديد يَندى له الجبينُ حياءً ، حيث محا أفرادُ هذه العائلة ذكرى ذلك المغترب المخلص الذي لم يتوان في خدمة عائلته ، بل اعتبرَ ذلك واجباً أخلاقياً وإنسانياً وشرعياً ، فلقد أخذ على عاتقه أن يَكسر فقر هذه الأسرة ، ولو على حسابه. فبينما كان هو سبباً مباشراً في سعادة أسرته تلك ، كان أفرادها جميعاً بدون استثناء سبباً مباشراً في شقائه وتعاسته. وإنه لمن بركة العائلة أي عائلة في الأرض ، أن يبقى ذكرُها بالخير والمعروف والبر ، مهما طال بها الزمن ، وتكونَ مثالاً في صيانة الحقوق ، وحِفظ الواجبات ، والمحافظة على القيم والأخلاق. وإنه لمن شُؤم ونحس العائلة ، أي عائلة في الدنيا ، أن يموت ذكرُها الحسنُ وأفرادُها أحياء ، وتكونَ مثالاً في الظلم والغدر ، وأكل الحقوق وتضييع الواجبات. وإذ عاد الرجل من سفره ، لم يجد من مُقتنياته عشرَ مِعشار ما ترك. فسأل جموعَ الحاضرين وطابور الشامتين فقالوا: لا ندري ، ولسانُ بعض المُتندرين السخفاء منهم أن يقول له ، كما كان يقال له وهو طفل يسأل عن ألعابه التي فقدها: أخذتها العصفورة وطارت في أجواز الفضاء ، أو أخذها العفريت الجني وهرب إلى الأرض السفلى. ولم يقر له قرار ، حيث ظل يبحث ويستقصي عن متاعه وأغراضه ، وأهم شيء عنده كتبه ، فلقد كانت أعز وأثمن وأجمل ما يملك. وأخيراً علم الحقيقة من مصدر موثوق ، وهي أن أحد القراصنة من أفراد العائلة غير المباركة ، كان قد جمعها ووضعها في بيته أمام عيون الجميع لماذا؟ أكان يهدف إلى صيانتها والمحافظة عليها ريثما يأتي صاحبها؟ معاذ الله. للأسف لا ، إنما ليُزين بها بيته زاعماً لنفسه أنه من أرباب الفكر والأدب والثقافة ، وهو في الحقيقة عار عن ظل هذه الأشياء فضلاً عن حقيقتها. فتحدث صاحبُ الكتب إلى شقيقين آخرين التمس فيهما رشداً ، ليتحدثا إلى الشقيق الأول سارق الكتب ، فبعد أن أقنعاه برد الحقوق لصاحبها وأقر بذلك ، وتحدد يوم موعود اصطحبوا فيه أبناء عمومة لهم لأخذ الكتب والأغراض ، فحال المطرُ الثجّاجُ دون استلام الكتب. وتُرك الأمر إلى أجل غير مسمى. فصبر صاحب الكتب لعل سارقها يتذكرُ أو يخشى. ولكنه أعرض ونأى بجانبه. وعاد إلى الإنكار. ولكن إنكارُ ماذا؟ وهل يُصدقُ الإنكار؟ وهل يُجدي؟ الكتبُ ليست إبرة في كوم من القش. كما أنها ليست ملعقة ألقيت في البحر المحيط ، حتى نعتقد بأنها اختفت. إلا أن يعود الزمان إلى

عهد الطفولة ونقول: أخذتها العصفورة وطارت ، أو أخذها العفريت وهرب ، خاصة إن علمنا أنها في عمومها عبارة عن موسوعات في الأدب العربي ، والأدب الإنجليزي ، والأدب الأمريكي ومراجع تاريخية ، وأخرى جغرافية ، وأخرى معرفية ، وشرعية وشعرية وتراثية. وإذن فتصديقُ اختفائها بون سطو ساطٍ أمر يَصعب تصديقه. إلا أن تكون قد فقدت في مثلث برمودا ، أو في بحر الظلمات ، أو حُبستْ مع المسيح الدجال في جزيرته. فقلتُ لصاحب القصة اليائسة البائسة: أنت اليوم أولى بأن نعزيك في كتبك التي نهبت وسُرقت. فلقد كانت هذه الكتب أصدقاءه على حد تعبيره ، حيث صنع بها ما صنع شوقي بكتبه ، ولكنه لم يخطئ فيقول: (أنا من بدل بالكتْب الصحابا) ، والباء تدخل على المتروك كما تقول اللغة ، ولكنّ لسانَ حاله يقول: (أنا من بدل بالصحاب الكتبا) فقلتُ له: إنك اليوم أولى والله ، بكلمة أم محمد الصغير (الأمير الأندلسي المستهتر) الذي عندما غزا أعداؤه مملكته واستوثق من ضياعها أخذ ينتحب ويبكي ويقول لأمه: الأعداء أخذوا مملكتي يا أماه. فقالت كلمتها الشهيرة الجهيرة: ابك بكاء النساء ، على ملك لم تحافظ عليه حفاظ الرجال. وهو ما يُعرف في تاريخ الأندلس بزفرة العربي. فقلتُ آسفاً لصاحب الكتب: عظم الله أجرك في كتبك ، وابك عليها بكاء النساء ، لأنك لم تحافظ عليها حفاظ الرجال. وعجيب جداً أمر سارق الكتب هذا. لقد أحسن إليه صاحبُ الكتب إحساناً نقرأ عنه في كتب السير والتراجم والأدب فقط. فلا سبيل لوجوده في عالم الواقع اليوم. وهل هناك أكثر من قِسمة الدار؟ الأمر الذي حدث بين المهاجرين والأنصار. وإن لهذا السارق اليوم بيتاً بأدواره فهل يمنح أخاه صاحب الكتب بيرَ سُلم أو عُشة دجاج؟ كلا ، وربي. هل جزاء الإحسان إلا الإحسان أيها الناحل السارق؟ وأسأل: هل عندما يتمكن زيدٌ من بناء بيتٍ يسطو على متاع عَمْر وكتبه ، ويُزخرف بها داره؟ أم يكون رد الجميل المحافظة عليها إلى حين عودة صاحبها فترد إليه؟ ثم إن العلم رحمٌ بين أهله. فلو كان ذلك السارق مثقفاً متعلماً بمعنى الكلمة ، لمنعته ثقافته وعلمه ، عن أن يجرؤ على ما فعل. ولو كان دَيّناً فقيهاً وَرعاً لمنعه دينه وفقهه وورعه عن سرقة متاع أخيه. إن نصاً في أحد كتب المكتبة التي سرقها وهو أعظمها بإطلاق (القرآن) يقول: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءٍ بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم) ، ونصاً آخرَ في أحد كتبها (صحيح البخاري) الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى يقول: (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعِرضه). أفلا يمنعه النصان؟ لا. لماذا؟ لأن الوقار للجنيه لا للقرآن ولا للسنة. لم يزل الأدباء والكُتاب والشعراء يتغنون بالأخوة الصادقة ويجعلونها أكسير الحياة وسر بقائها النابض بعد التوحيد والعقيدة! وكان هناك أحلى كلام عن الأخ ، فأحدهم ذهب بالأخ الشقيق مذهباً مبالغاً رفيه جداً فقال: في بعض الأحيان يكون الشقيق أفضل من ألف بطل خارق. وآخر يقول: إن أخاك من يسعى معك ومَن يَضر نفسه لينفعك ، ومَن إذا ريب الزمان صدعك ، شتت فيك شمله ليجمعك. ويكتب آخر لأخيه المخلص فيقول له: أخي الغالي يا صديقي ورفيق دربي وكفاحي ، يا من معه تحلو كل الأوقات ، وبقربه أشعر بالأمن والأمان ، ومعه دائماً يحلو الكلام أحبك في الله يا أخي. وإذن فوجود الأخ في حياة أخيه هو حضور لصديق أبدي ، ورفيق أول للطفولة ، وصخرة يستند إليها عندما يكبر! ويدعو آخر ويبتهل إلى الله فيقول: ربي لا ترني في إخوتي شيئاً يُبكيني. وحقيقة الأخ الصالح المؤمن الموحّد خير من نفسك ، لأن النفس أمارة بالسوء ، والأخ المؤمن الصالح لا يأمر إلا بالخير. والأخ بهذه الأوصاف وتلك الصفات لا يعوض أبداً ، فيا رب احفظ لي إخوتي الذين أحببتهم فيك وعلى نور منك ، ولا تُرني فيهم بأساً. والأحمق الغبي من كانت له أخت مؤمنة موحدة مخلصة

ولم يكن لها أعز الأصدقاء. وفي العوائل المحترمة تشكل الأخت الكبرى أمّاً أخرى لهم باختصار. وبعض القلوب لا يمكن أن تتكرر أبداً كقلب الأخ المخلص الصادق. ولكل شيء بديل إلا أخي الذي أحببته في اله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم -. ويقول أخ أصغر عن أخيه الأكبر: يا قومي أخبروا أخي بأنه أبي الثاني ، وأنه سندي في هذه الدنيا ، وأنه عوني من بعد الله وأني أحبه جداً. ولسان حاله يقول: حتى رائحة عطرك يا أخي تُشعرني بالأمان. وإخوة الصفاء خير مكاسب الدنيا ، فهم زينة في الرخاء ، وعُدة في البلاء ، ومعونة على الأعداء. وإن كنت سأتحدث عن نعيم الحياة فسأبدأ بأخي المؤمن الموحد. ومهما كان العمر ، يظل الأخ الكبير هو الأب الثاني لإخوته. ويتشارك الإخوة ذكريات الطفولة وأحلام الشباب. والأخ المؤمن الصادق المخلص نعمة من نعم الله تعالى لا تُضاهى بثمن. ويبقى الأخ أمن لا يشوبه خوف وسند لا يميل ولا يهتز ، وحب لا يخيب. والأخ الطيب الصالح سند عظيم ، وقوة وضلع ثابت لا يميل. ولقد قيل في حب الأخ المحترم الشهم المعطاء هو ذلك الجبل الذي أُسند عليه نفسي عند الشدائد ، وكيف لا أحبه ورب الكون قال فيه: "سنشد عضدك بأخيك". وما الأخ الصادق المخلص إلا نعمة تعجز الحروف عن وصفها فهو الصديق والرفيق ، وهو العِوض ، وهو السند وهو الظهير. والإخوة الصادقون كالأصدقاء الحقيقيين ، حيث لا يُسيئون فهم بعضهم البعض أبداً ، فهم متسامحون ، وبجانب بعضهم مهما كان الوضع ومهما اكفهر الحال ومهما ادلهم الخطب ، وقل من بعض البلهاء الذين لا يدركون مدى ارتباط الأخوة الصادقة بالحب: ليس من المهم أن يكون هناك حب متبادل بين الطرفين ، وإنما هناك دائماً روابط من الأخوة تسمى الصداقة الصدوقة. وباختصار الإخوة الجيدون المحترمون المخلصون هم الروابط والدعائم التي تقوم على أساسها الحياة ، وهم الشيء الذي يربط بين الأمور التي حصلت في الماضي والحاضر ، وهم الطريق إلى المستقبل ، وأساس التعقّل في عالم مليء بالجنون. ولا أعتقد أنّ حادثة الولادة تجعل من الأناس أخوة وأخوات ، وإنّما تجعلهم أشقاء خرجوا من رحم واحد ، وتمنحهم تبادل الأنساب وحملها ، والأخوة أيضاً حالة تحدث بين الناس في نطاق العمل. فقد يحافظ الأشقاء على هوية بعضهم البعض ، فهم الوحيدون الذين يقدمون الحلول والنصائح لبعضهم بغير قيود بطيب نفس. وليس الأخ من ودَّ بلسانه ، ولكن الأخ من ودّ وهو غائب ، ومن ماله مالي إذا كنت مُعدماً ، ومالي له إن أعوزته النوائب. ولسان الحال: بحثت عن ذاتي ، ولكنني لم أجدها ، وبحثت عن وجداني ولكنه خانني ؛ فبحثت عن أخي المحتم الصادق فوجدت فيه كلّ ما أبحث عنه. ولقد يكون الإخوة والأخوات مع بعضهم البعض يتشاركون كل شيء منذ بداية الحياة وإلى الأبد ، وهذا الشيء لا مفر منه. والإخوة الصادقون المخلصون هم الأشخاص الذين نعتمد عليهم ، والأشخاص الذين يعلموننا العدالة ، والتعاون ، والعطف ، والرعاية. وعندما تتوافق آراء الإخوة ، تكون علاقتهم أقوى من أي شيء في هذا العالم. وبعد أن تكبر الفتاة ، يحمونها إخوتها الصغار كما لو كانوا أكبر سناً. ويسألونك عن النقاء قل هو قلب أخت ملصة صادقة ، ويسألونك عن الأمان قل هو عطف أخ مخلص صادق. والأخوة تشبه نافذة من زجاج صافٍ ، نطل منها على أحلى ما في الدنيا ، ونرى من خلالها كل المعاني الجميلة. وشعور الأخت الصادقة مع أخواتها الشقيقات هو: أنا وأخواتي أميرات أنجبتنا ملكة عظيمة. ولا تُقارن بين أحدٍ وأخيك الصادق مطلقاً. وعلاقة الأخوة الصادقة بطبيعتها كعلاقة الصداقة. والأخوة نعمة من الله ، لا يعرف قيمتهم إلاّ من افتقد إليها. وربّ أخٍ أصفى لك الدهر وده ، ولا أمة أدلت إليك ولا الأب. وقديماً قالوا: ساعد أخاك في نيل مطالبه ، وستصل أنت كذلك إلى ما

تتمناه. وحقيقة إن أخاك من آساك. ورب أخ لك لم تلده أمك كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم -. ألا وإن الفتنة التي تقع بين الإخوة الصادقين المخلصين هي عرس الشيطان. وكأني بأخت مخلصة تقول لنا عن أختها الصادقة في أخوتها: أختي أنتِ النور الذي يضيء حياتي ، والنبع الذي أرتوي منه حباً وحناناً. ومن هنا فإن الأخت الشهمة تلتمس لأختها المعاذير ، ولا تُلجئها إلى الاعتذار ، ولا تعيرها بذنب فعلته ، ولا بجرم ارتكبته. وتقول: هي أختي وصديقتي ، ونصف ابتسامتي ونصف حياتي ، وهي التي لا أريد أن أفقدها ، وتدعو فتقول: يا رب أدمها لي. والأخت هي قلب أختها وكاتمة أسرارها ، وهي علاج لهموم الأيام والأمل إذا غاب الأمل ، والأخت الشهمة حكاية لا تصفها الحروف. والأخت المحترمة كلمة صغيرة تحمل في جوفها معاني كثيرة ، ومفاهيم واسعة. والأخت الكريمة لا تعارضك إلا فيما يخالف مصلحتك ، وتحبك لأنك باختصار أخوها الأكبر. ومن كانت لديه أخت صادقة مخلصة فقد ملك الدنيا بأكملها ؛ لأن الأخت بحد ذاتها دنيا وعالم. والأخت المخلصة هي مرآة لشخصيتك. والأخت الشهمة كالسيف موجوده لتحمي ظهرك. وهذا أخ يصف أخته المخلصة فيقول لنا وهو يخاطبها: أختي ستبقين من يؤنس وحدتي ، ويملأ علي خلوتي ، ويبعد عني وحشتي ، أنتِ يا توأم روحي. ومن كانت لديه أخت طيبة صالحة فقد ملك الدنيا بأكملها ؛ وذلك لأن الأخت بحد ذاتها دنيا وعالم. وتحت عنوان: (الفرق بين الأخ والشقيق) قالت الأديبة سناء الدويكات ما نصه: (إن الأخوّة من أجمل الرّوابط الأسرية التي تربط بين أفراد الأسرة الواحدة معاً ، فهذه الرّابطة هي رابطة الدّم الواحد الذي يجري في عروقهم ، ولا يمكن أن توجد رابطةً مثلها على وجه الأرض ، فالإنسان عندما يشعر بالتعب أوّل من يخطر على باله هم إخوته من الرّجال والنساء ، وعندما يحتاج إلى أي شيءٍ فإنه يلجأ إلى أخيه قبل أي أحدٍ آخر ، قال الله عز وجل حاكياً على لسان موسى: (وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي) ، فقد طلب سيدنا موسى أخاه هاروناً ليكون عَضُداً له وليس أي شخصٍ آخر ، وعندما تكون الرّوابط الأخوية سليمةً ، فإنّ هذه الأسرة ستقوم بدورها على أكمل وجهٍ ، وتنتج جيلاً قوياً ومتماسكاً. وهناك فرقٌ شاسع بين الأخ الشقيق والأخ غير الشقيق ؛ فعندما نقول أخوين شقيقين فيعني ذلك أنّهما لهما نفس الأم والأب ، بينما الأخوان غير الشقيقين هما اللذان يشتركان معاً في الأم أو الأب. لهذا الاختلاف بين الأخ الشقيق وغير الشقيق أحكامٌ في الدين الإسلامي ، خاصّةً عند ترك الوالدين للورثة بعد وفاتهما ، فقد حدد الله تعالى حصةَ كلّ منهما ، فالأخ غير الشقيق من الأم يكون صاحب فرض لكنه ليس من العصبة ، ولكن الأخ غير الشقيق من الأب يكون من العصبة ويحلّ محلّ الأخ الشقيق إذا لم يكن موجوداً. ولقد تحدث بعض الخلافات بين الإخوة سواء كانوا أشقاءً أم لم يكونوا كذلك ، فالاختلاف من الأمور الفطرية التي أوجدها الله تعالى في جميع الخلق من أجل التكامل والعيش معاً بطريقةٍ أفضل ، والمشاكل تنتج عن بعض الاختلافات في التفكير ، ولا تعتبر هذه الخلافات والمشاكل سبباً وعذراً لمن يقوم بأذية الآخرين وخاصةً أخيه ، فقد أصبحنا نشاهد ونسمع للأسف عن الكثير من القصص التي يقوم الأخ بالتعرّض لأخيه ومحاولة قتله أو قتله في لحظات الغضب ووجود المشاحنات ، كما أصبحنا نلاحظ أنّ بعض الأخوة قد يقطعون بعضهم البعض ولا يتزاورون أو يطمئنون على بعضهم البعض نتيجة مثل هذه الخلافات. وعلى الوالدين توثيق العلاقات الطيبة بين الإخوة وعدم التفريق بينهم على أيّ أساسٍ كان ، فيجب أنْ يكون العدل هو الأساس في طريقةِ التّعامل ، فقد يُولِّدُ التمييز والتَّحيّز بين الأبناء إلى إثارة الحقد والبغضاء والغيرة بينهم ، كما لا بدّ من ترسيخ مفهوم الأخوة في قلوبهم ووجوب الوقوف معاً في أيّ

ظرف ، والمحافظة على صلة الرّحم فيما بينهم ، والاطمئنان على بعضهم البعض ، وعدم معاونة الغُرباء على بعضهم البعض).هـ. وإذا كان الأدباء والكُتاب والشعراء قد مدحوا الأخوة الصادقة الطيبة الصالحة المخلصة ، فهناك فريق منهم ذم الأخوة الخسيسة الأنانية الانتفاعية! وإذا نظرنا للأخوة من ناحية العقيدة برزت لنا الأخوة الحقيقية التي لا شائبة فيها أبداً! فلا أخوة تعلو على أخوةٍ قامت في الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم - والإسلام! فهذا نوع نادر من الأخوة حيث ترتفع أخوة الإسلام على أخوة الأرحام! وتحت عنوان: (الأخوة الحقيقية هي أخوة الدين) يقول أستاذنا يحيى بن إبراهيم الشيخي ما نصه: (إن الإنسان ليغبط أشد الغبطة عندما يراه الآخرون وقد أصبح لديه عدد من الإخوة يؤازرونه ويقفون بجانبه عند الشدائد ، وينصرونه إذا ظلم ، وخاصة من حرموا الإخوة ، أو لديهم إخوة لا خير فيهم ، مفككين فيما بينهم ومشتتين كل في جهة ، لا يهتم الواحد منهم إلا بنفسه ، فهل هذه الأخوَّة التي يتمناها كل إنسان ، أم أن هناك أخوَّة غيرها هي التي يبحث عنها ويشعر بالأمن والسعادة معها؟ وهنا يجيب الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا السؤال مبينًا لنا أن الأخوّة الحقيقية ليست أخوة النسب ، وإنما هي أخوة الدين ، فكم من أخ من النسب لا قيمة له ، يتخلى عن أخيه وقت الشدائد ، ويخذله عند المهمات ، ويفقده عند الحاجة ، بل ربما يكون مع عدو أخيه على أخيه ، ويبيع أخيه بعرض من الدنيا ، كل ذلك من أجل إكرام لعين حبيب ، أو خوف من بعيد أو قريب ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، وهنا نستمع لحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو يبين لنا نوع هذه الأخوّة. عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة ؛ متفق عليه. كما قال الله تبارك وتعالى: (فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) ، وقال الله تعالى: (فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ). وهذه الأخوة هي أوثق الأخوَّات ، فهي أوثق من أخوَّة النسب ، فإن أخوة النسب قد يتخلف مقتضاها ، فيكون أخوك من النسب عدوًّا لك كارهًا لك ، وذلك يكون في الدنيا وفي الآخرة ؛ قال الله تعالى: (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ). أما أخوة الدين فإنها أخوة ثابتة راسخة في الدنيا وفي الآخرة ، تنفع الإنسان في حياته وبعد مماته ، لكن هذه الأخوة لا يترتب عليها ما يترتب على أخوة النسب من التوارث ووجوب النفقة وما أشبه ذلك. ثم قال: لا يظلمه ولا يسلمه ، (لا يظلمه) لا في ماله ، ولا في بدنه ، ولا في عِرضه ، ولا في أهله ، يعني لا يظلمه بأي نوع من الظلم ، (ولا يسلمه) يعني لا يسلمه لمن يظلمه ، فهو يدافع عنه ويحميه من شره ، فهو جامع بين أمرين: الأمر الأول: أنه لا يظلمه. والأمر الثاني: أنه لا يسلمه لمن يظلمه ، بل يدافع عنه. الله أكبر ما أجمل هذه الأخوة ، إنها أخوة حقيقية. ولهذا قال العلماء - رحمهم الله -: يجب على الإنسان أن يدافع عن أخيه في عرضه وبدنه وماله ؛ في عرضه: يعني إذا سمع أحدًا يسبه ويغتابه ، يحب عليه أن يدافع عنه ، وكذلك أيضًا في بدنه: إذا أراد أحد أن يعتدي على أخيك المسلم وأنت قادر على دفعه ، وجب عليك أن تدافع عنه ، وكذلك في ماله: لو أراد أحد أن يأخذ ماله ، فإنه يجب عليك أن تدافع عنه. ثم قال عليه الصلاة والسلام: (والله في حاجة العبد ما كان العبد في حاجة أخيه) يعني أنك إذا كنت في حاجة أخيك تقضيها وتساعده عليها ، فإن الله تعالى يساعدك في حاجتك ويعينك عليها جزاءً وفاقًا. إن في قضاء حاجات إخواننا في الدين ثوابًا لا يعلمه إلا الله ، والله لو استشعر أحدنا النتائج المثمرة التي يحصل عليها في الدنيا والآخرة ، لقضى وقته وحياته من

أجل قضاء حاجات الناس ، وفي خدمة الناس ، ولشعر بسعادة لا يعلمها إلا الله ، فإن من يعيش من أجل الناس ، يعيش كبيرًا ويموت كبيرًا ، ومن يعيش لنفسه فإنه يعيش صغيرًا ويموت صغيرًا ، وكلنا قادرون أن نساعد ونخدم الآخرين ، كلٌّ باستطاعته ، فاستمع لبشارة المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو يقول: (أحب الناس إلى الله أنفعهم ، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربة ، أو تقضي عنه دينًا ، أو تطرد عنه جوعًا ، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهرًا...) ؛ حسنه الألباني. الله أكبر، دقائق معدودة تقضيها مع أخيك المسلم لقضاء حاجته ، أحب من اعتكاف شهر في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الذي تعدل الصلاة فيه ألف صلاة في غيره إلا المسجد الحرام ، فهل يقصر أحدنا بعد سماعه لهذا الفضل العظيم ، ويُفهم من ذلك أن الإنسان إذا ظلم أخاه ، فإن أخوته ناقصة ، وإذا أسلمه إلى من يظلمه ، فإن أخوته ناقصة ، وإذا لم يكن في حاجته ، فإن هذا يفوته الخير العظيم ، وهو كون الله تعالى في حاجته. ثم قال: (ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا ، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة) ، والكرب ما يضيق على الإنسان ويشق عليه ، ويجد له في نفسه همًّا وغمًّا ، فإذا فرجت عن أخيك هذه الكربة ، فرج الله عنك كربة من كرب يوم القيامة. وتفريج الكربات يكون في أمور متعددة: إن كانت كربة مالية ؛ فبإعطائه المال الذي تزول به الكربة ، وسواء كان هذا المال من مالك أو جمعته من أهل الخير ، ففرجت كربته ، يشملك الأجر ، وإن كانت كربة معنوية ؛ فبالحرص على رد معنويته ورد اعتباره حتى تزول عنه الكربة ، ومن ذلك أن كثيرًا من الناس يتورط في مشكلة ، أو يحتار عقله في اختيار مشروع ما أو زواج ، أو تعثَّر هو أو أحد أفراد أسرته في الحصول على وظيفة معينة ، أو ما أشبه ذلك ، وليس عنده خِبرة في حل مشكلته أو اختيار ما ينبغي له اختياره ، ثم جئت إليه وأبديت له مشورتك وخبرتك ، وبيَّنت له العيوب التي لولا مشورتك بعد الله ، لربما ظل حائرًا مهمومًا بما هو فيه ، أو شفعت له في وظيفة فقبِلت شفاعتك ، أو أصلحت بينه وبين زوجه وأولاده ، فجمعت الشمل وأفرحت الأسرة ، وأدخلت عليهم السرور ، فقد فرجت كربته وكربة أهله ، وإذا كان الذي به كربة هم وغم من مرض أو مصيبة أو غير ذلك ، فبأن توسع عليه وتنفس له ، وتبين له أن الأمور لا تدوم ، وتبين له ما في هذا من الأجر والثواب العظيم ، حتى تهون عليه الكربة. ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة ، (من ستره) يعني: غطى عيبه ولم يُبينه للناس ، فإن الله يستره في الدنيا والآخرة ، وهذا ليس على إطلاقه ، فهناك نصوص تدل على أنه غير مطلق ، فالستر قد يكون مأمورًا به محمودًا ، وقد يكون حرامًا ، فإذا رأينا شخصًا على معصية ، وهو رجلٌ شرير منهمك في المعاصي ، لا يزيده الستر إلا طغيانًا ، فإننا لا نستره ، بل نبلغ عنه حتى يُردع ردعًا يحصل به المقصود. أما إذا لم تبدر منه بوادر سيئة ، ولكن حصلت منه هفوة ، فإنه من المستحب أن تستره ولا تُبينه لأحد ، فإذا سترته ستر الله عليك في الدنيا والآخرة. ومن ذلك أيضًا أن تستر عنه العيب الخلقي ، إذا كان فيه عيب في خلقته كجروح مؤثرة في جلده أو برص ، أو ما أشبه ذلك ، وهو يتستر ويحب ألا يطلع عليه الناس ، فإنك تستره ، فإذا سترته سترك الله في الدنيا والآخرة ، ومن هنا نوجه التحذير الشديد للأطباء ومغسلي الأموات أن يستروا عيوب الناس التي يرونها بأعينهم ، فإنها أمانة تقلدوها ، فليتقوا الله فيها. إذا كانت هذه هي الأخوة الحقيقية ، فدعونا نشخص واقعنا الذي نعيش فيه ، هل نحن بالفعل نطبق هذا الحديث في واقعنا؟ وهل بالفعل نحن متحابون فيما بيننا ، كما حث عليه هذا الحديث الشريف؟ وهل يبذل أحدنا كل ما في وسعه من

أجل رضا أخيه المسلم؟ وهل يتمنى لأخيه من الخير ما يتمناه لنفسه؟ وهل يغض الطرف عن هفواته ويستر ما يراه منه من عيب أو هفوات؟ أم ينشر أسراره بين الناس ، ويتشفى بما يسمع عنه من بلايا ونكبات؟ هل فكر أحدنا أن يساعد أخاه إذا احتاجه؟ وهل يفرح لفرحه ويهنئه من كل قلبه ويبارك له بفرحه؟ وهل يحزن لحزنه ويشاركه أحزانه إذا حزن؟ ومن أعظم ذلك الحب أن تذبَّ عن عرضه وتدافع عنه في غيبته ، فكم نسمع في المجالس من الغيبة والتهم لإخوتنا ، ولكن للأسف لا ندافع عنهم ولا نذب عن عرضهم ، مع أن في الذب عن عرضهم والدفاع عنهم ثوابًا عظيمًا نحن بحاجة إليه يوم القيامة ؛ يقول صلى الله عليه وسلم: (من ذبَّ عن عرض أخيه ، ذبَّ الله عن عرضه يوم القيامة) ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، فلماذا كل هذا الجبن والخذلان الذي يمنع أن يدافع أحدنا عن أخيه المسلم إذا سمع أحدًا يغتابه أو يتهمه بما لا يليق به).هـ. وبالطبع فإن أخوة الجاهلية وأخوة الانتفاع الخسيس المقيت المريض تختلف تمامً عن الأخوة الصادقة المخلصة أخوة لعقيدة! وليس يدرك ما أصف به الأخوة الصادقة الانتفاعيون الأخسة الأوباش الذين تنتهي أخوتهم بانتهاء منفعتهم ومصلحتهم! وكأني بهم أقاموا أخوتهم على أساس الانتفاع الدنيوي الحقير! وتحت عنوان: (الأخوة الإيمانية) يقول الأستاذ حمدان بن راشد البقمي ما نصه بتصرف: (إن الأخوَّة في الله ليستْ مجردَ كلمة تلفظها الأفواه ، ولا لحنًا يتغنَّى به الشعراء ؛ بل هي معنًى عظيمٌ ، ودين يُرجى من الله ثوابُه ، فأهلُ المحبَّة في الله على منابر النور في المحشر ، يَغبطهم لأجلها خيرُ الخلق على الإطلاق ؛ فقد روى الترمذيُّ وغيره من حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أنه قال: سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (قال الله - عز وجل: المتحابُّون في جلالي لهم منابرُ من نور ، يغبطهم النبيُّون والشهداء). وجعل الله الأخوةَ فيه أوثقَ عُرى الإيمان ؛ فقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - كما روى الطبراني من حديث ابن عباس: (أوثقُ عرى الإيمان: الموالاةُ في الله ، والمعاداةُ في الله ، والحبُّ في الله ، والبغضُ في الله) ، فإذا رأيتَ الرجلَ يُحِبُّ في الله ، ويُبغِض فيه ، فاعلم أن هذه علامة إيمان فيه ، وفضلٌ عظيم من الله وُفِّق إليه ، فالمحبُّ في الله وصل منزلةً من الإيمان جعلتْه يقود رغبتَه وميلَ قلبِه ، ويثني طِباعَه وما جُبلتْ عليه نفسُه ، لتصبح منقادةً لما يحبه الله ويرضاه. وإن المتأمِّل لحديث النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي بيَّن فيه غايةَ ما يسعى إلى تحصيله عدوُّنا الشيطان ، ومنتهى ما يصبو إليه ؛ فقال: (إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلُّون في جزيرة العرب ؛ ولكن في التحريش بينهم) ، فانظر إلى اقتران التحريش بعبادة الشيطان ، فغايتُه الأولى أن يُعبَد من دون الله ، وإذا عجز عن تحقيق مراده ، تنحَّى إلى المرتبة التي تليها ، وهي فصْلُ تلك الروابط الإيمانية بين المسلمين ، عن طريق إحداث النزاع بالتحريش ، فقد أدرك اللَّعينُ أنه إذا بقي في قلب المؤمنِ شيءٌ من ذلك ، فلن يستطيع الوصول إلى قلبه ولا استعباده ، فترابُطُ القلوب بهذا المعنى لا يَدَعُ مجالاً للأعداء في التسلُّط عليهم ، وأوَّلُهم الشيطان ، وما سواه من باب أولى. فإذا علمنا أن الأخوة الإيمانية رباطٌ وثيق يمنعُ تسلُّطَ الأعداء ، وحصنٌ حصين يصدُّ أهلَه عن مسالك الأشقياء ، بالدليل البيِّن ، والبرهان المضيء ، فلا بد أن يكون ذلك التآخي سببًا في أعظم مطلَبٍ ، وأعزِّ مرغوب ، إنه الثبات على دين الله ، فكلُّ مؤمن خالَطَتْ بشاشةُ الإيمان قلبَه ، وسار حبه والولاء له في كل عرق ينبض به لبُّه ، قدوته في ذلك خير العالمين ، وقدوة الناس أجمعين ، محمدُ بْنُ عبدالله - صلوات ربي وسلامه عليه. فقد كان - عليه الصلاة والسلام - يتحين الفرص ويقصد المواطن التي يستجاب فيها الدعاء ، ويقصدها ليدعو بأدعية الثبات ، ويسأل اللهَ فيها ، وهو لنا أسوة ،

مع أنه المعصوم الذي غفر الله له ما تقدَّم وما تأخَّر من ذنبه ، فكان يقول عن موطن السجود: (أقربُ ما يكون العبدُ من ربه وهو ساجد ؛ فأكْثروا الدعاء) ، ويستغلُّ ذلك الموطنَ العظيم بسؤال الله الأمرَ الذي يليق بذلك المقام ، فيقول: (يا مقلِّبَ القلوب ، ثبِّتْ قلبي على دينك). وفي السفر ، الذي هو حريٌّ بأن تُستجابَ فيه الدعواتُ ، كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ حريصًا على ذلك أيَّما حرص ، مهتمًّا به أيما اهتمام ، فكان من دعائه ـ عليه الصلاة والسلام: (اللهم إني أعوذ بك من وعْثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، والحَوْر بعد الكَوْر). وإذا علم العبد كيف كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حريصًا على هذا ، فإنه يسير على نهجه ، ويحذو حذوَه ، ويستنُّ بسُنته ، ويقتفي أثره ، فكان ذلك متحققًا بأخوة أهل الإيمان ، الذين أَمَرَ الله نبيَّه بلزومهم ، وألاَّ ينصرف عنهم ، وذلك في قول الله ـ تعالى ـ: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا). ولما كانت الأخوة الإيمانية من أعظم الأمور التي تدعو إلى الثبات ، كان الشيطان حريصًا كلَّ الحرص على فكِّ روابطها العظيمة ، وكان سعيُه إلى غايته سعيًا حثيثًا ، يبذل فيه كلَّ وُسْعِه وطاقته ، فيجلب على المتحابِّين في الله بخَيْلِه ورَجِلِه ، ويَستفزُّ مَن استطاع منهم ، ويشاركهم في الأموال والأولاد ويَعِدُهم ، وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا. ولما كانت النجاة من كيدِه في هذا الباب عزيزةً ، رتَّب الله على ذلك الفعلِ عظيمَ الثواب ، الذي يغبطهم لأجله أفضلُ الخلق على الإطلاق ، فأيُّ رتبةٍ أعظمُ من هذه الرتبة؟! وأي ثواب أعظم من هذا الثواب؟ فحريٌّ بنا أن نتأمَّل كيدَه في هذا الجانب ، ونحذِّر أحبابنا في الله من مكايده ومداخله الخفية. فالأخوةُ في الله عبادةٌ تتطلب منا نيَّةً خالصة لله ـ تعالى ـ وبما أن النيات تتقلَّب ؛ فإن للشيطان دورًا كبيرًا في تقلُّبها ، والعمل كلما كانت مقاصدُه عند الناس أكثرَ ، كان عن الإخلاص أبعدَ ، وللشيطان إليه مداخل كثيرة ، والصحبةُ من أكثر الأعمال اختلافاً في المقاصد بين الناس ؛ لأن الصحبة مفطورٌ عليها كلُّ إنسان ، والناسُ كلهم إما صاحب أو مصحوب ؛ لكن تتباين مقاصدُهم ، وتختلف مطالبُهم ، كاختلاف ما بين السماء والأرض ، فكلها دنيوية ؛ ما عدا صحبة المتآخين في الله ، فالناس يصحب بعضُهم بعضًا ؛ إما لأجل كسبٍ مالي ، أو مطمعٍ في منصب ، أو لقصد شهوة من شهوات النفس ، والنفس تشتهي راحتها ، التي تتحصل في أمْنِها في الوطن ، وغناها في المال والسكن ، وتشتهي إيفاء رغباتها الجنسية بالزواج المباح ، أو غيره من الزنا والسفاح ، وإشباع ما فُطرتْ عليه من استئناس بحديث ، أو لهو أو لعب ، أو ضحك ومزاح. وقد حَكَم الله ـ تعالى ـ في كتابه على كلِّ صحبةٍ غيرِ صحبة أهل التقوى بالزوال والانقطاع ، أما صحبة أهل التقوى ، فهي باقية ما بقيت السماء والأرض ، بحول الله وقوَّته ؛ قال الله ـ تعالى ـ: (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) ؛ لأنها قامتْ على أساسٍ عظيم ، وهو الإيمان بالله ـ تعالى ـ فهي تتَّسم بالصدق ؛ لأن أهلها يتناصحون بينهم إذا رأى أحدُهم من الآخر خطأً ، أمَّا من سواهم ، فكيف يتناصحون وهم لم تَخْلُ مجالسُهم من معصية الله؟ وأهلُ الأخوة الإيمانية يَصُونُ بعضُهم أعراض بعضٍ في السرِّ والعلن ، ففي العلن ينتقون أطايبَ الكلام ، فلا شتيمة ولا مسبَّة بينهم ، ولا حرص على فضيحة ، ولا تطاول على محارم ، وفي السرِّ يَذكُرون محاسنهم عند الناس ، ولا يغتابونهم ولا يبهتونهم ، ولا ينتهكون أعراضهم ، وإن ذُكِرهم الناسُ بغِيبةٍ ذبُّوا عنهم ؛ لأنهم مأمورون بذلك ، وصدقُ محبَّتِهم في الله تَدْعوهم إلى الْتماس رضوان الله ـ تعالى ـ في كل أمر ، أما من سواهم ، فالسبُّ واللعان ، والتهتُّكُ بالألفاظ الشنيعة في حضورهم وعند غيابهم ـ هجومٌ بقبيح الألفاظ ، وذِكرٌ بالسيِّئ من الأقوال ، وغيبة وبهتان

وتنقص ، وإن ذُكروا عندهم بسوء لم يذبُّوا عن أعراضهم ؛ لأن صُحبتَهم لم تقم على أساس التقوى ؛ فهي مهزوزة ، وبناؤها هش من قش. والمتآخون في الله لا تخلو مجالسُهم مِن ذِكره! وكيف لا يحصل ذلك وقد أمَرَهم مَن تحابُّوا فيه بهذا الأمر ؛ فقد قال الله ـ تعالى ـ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) ، أما من سواهم ، فالغفلةُ والإعراض عنوانُهم ، وكأنهم لم يُخلَقوا لأجل العبادة ، فيقومون من مجالسهم كأنهم يقومون عن جيفة حمار ـ عياذًا بالله. وأهل الأخوة في الله يحبُّ بعضُهم الخيرَ لأخيه كما يحبُّ الخير لنفسه ، ففي خير الدنيا يُؤثِرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وفي خير الآخرة يتناصحون ويتعاونون عند لقائهم بعضهم ببعض ، ويَدْعون لبعضهم البعض عند افتراقهم بأنْ يجمعهم الله عنده على سُرُرٍ متقابلين ، فيؤمِّن المَلَك على دعائهم ؛ جزاء من جنس العمل).هـ. وإذن فالأخوة الصادقة لا انتهاء لها! لماذا لأنها تصل بأصحابها إلى الجنة والجنة لا نهاية لنعيمها ، وأصحاب الأخوة الصادقة المخلصة من أهل الجنان لم تمت أخوتهم الإيمانية في الدنيا ، ولن تموت في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر! أما أخوات الجاهلية فماتت في الدنيا بموت أسبابها وأغراضها من الانتفاع والمصالح والمنافع! فلا سبيل لأن تصل بأصحابها إلى جنات النعيم! وتحت عنوان: (مقتضى الإخوة الإسلامية) قال تاج رؤوسنا ودُرة علمائنا وبقية سلفنا سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ما نصه بتصرف زهيد: (أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن المسلم أخو المسلم وأمر بذلك في قوله: (كونوا عباد الله إخواناً) فهذه الأخوة التي أمِرنا بها ليست أخوة في اللسان فحسب ، ولكنها أخوة عميقة كامنة في النفوس والقلوب ، غِراسها إخلاص الود ، وثمراتها المعاملة الحسنة لأخيك ، والذب عنه أخوة تقتضي أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك تحب أن يكون صالحاً ، أن يكون عزيزاً ، أن يكون قوياً ، أن يكون غنياً ، أن يكون متخلقاً بالأخلاق الفاضلة كما تحب لنفسك أن تكون كذلك تسعى في نصحه وإرشاده وتقويمه سالكاً بذلك أحسن السبل لحصول المقصود كما تحب أن يسعى لك في هذا ، تكره لأخيك ما تكره لنفسك ، فتكره أن يكون فاسداً ، أن يكون ذليلاً ، أن يكون ضعيفاً ، أن يكون متخلقاً بالأخلاق السافلة تكره ذلك كله لأخيك كما تكرهه لنفسك لا يكفيك إذا كان أخوك ، ورأيته على حال لا تحبها لنفسك أن تدعو الله له بإصلاح حاله بل ادع الله له ، واستعن بالله على فعل الأسباب التي تنقذه مما تكره ، من واجبات هذه الإخوة أن لا تظلمه. لا تظلمه في دمه ، ولا تظلمه في ماله ، ولا تظلمه في عرضه ، كما أنك تكره أن تظلم في هذه الأمور! هل من الإخوة أن تأكل مال أخيك بغير حق؟ هل من الإخوة أن تعتدي على حقوقه؟ هل من الإخوة أن تقطع رزقه فتبيع على بيعه ، وأن تؤجر على إجارته ، وأن تفالح على مفالحته ، وأن تخطب على خِطبته هل ذلك من الإخوة؟ هل من الإخوة أن تخدعه؟ أن تغدر به إذا عاهدته أن تغشه إذا عاملته؟ هل من الإخوة أن تتبع عوراته؟ فتعلنها ، وتنظر إلى حسناته بعين الأعشى ، فتسترها هل من الإخوة أن تعتدي على عرضه تغتابه فتأكل لحمه ميتاً في كل مجلس؟ لقد شاعت هذه المعصية في الناس ، وتهاونوا بها ، واحتقروها مع أنها من كبائر الذنوب ، (سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الغيبة ، فقال: "هي ذكرك أخاك بما يكره فقيل: يا رسول الله أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كانت فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول ، فقد بهته). ولقد صارت الغيبة في مجتمعنا عند بعض الناس من فواكه المجالس ، حتى لا تعمر مجالسهم إلا بها نسأل الله لنا ولهم الهداية. نعود إلى الحديث فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته) ما أعظم هذا من ثواب نقد عاجل يكون لأخيك الحاجة ، فتقوم بها ، وتعينه عليها ،

فيقوم الله بحاجتك ، ويعينك عليها فحقيق بمن آمن بهذا ـ وكلنا نؤمن به إن شاء الله ـ حقيق أن يكون في حاجات إخوانه دائماً يغيث الملهوف ، وينصر المظلوم ، ويعين العاجز ، ويصلح بين المتخاصمين ، ويؤلف بين المتعادين ، ويقضي حاجة من لا يستطيع قضاءها ، فيطعم الجائع ، ويكسو العاري ، ويسقي الظمآن ، ويدل الأعمى على الطريق ، ومن كان في حاجة أخيه ـ قليلة كانت أو كثيرة ـ كان الله في حاجته ، والجزاء من جنس العمل ، ومن كان الله في حاجته ، فلا بد أن تقضي حاجته ، وتيسر أموره. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة).هـ. رحمك الله يا ابن عثيمين لقد كنت تضرب بكلامك هذا نياط القلوب بكلمات عذبةٍ تصيبُ بها كبد الحقيقة ، وكأنك تنظر إلى ما حدث لي مع اثنين يزعم كل نذل منهما أنه أخ لي شقيق! والله يا شيخنا ما استقر لهما قرار حتى بقيت وزوجي وولديّ الرضيعين في الشارع في ديار يُباع فيها الهواء فضلاً عن الطعام والشراب واللباس والمسكن! وقادا حرباً ضروساً ضد أخيهما الأكبر ، لا لشيء إلا لحظ النفس والهوى ولداعي الحقد والغيرة ليس إلا! ولو كانت أخوتهما إيمانية صادقة لضحّينا بالحق الخاص من أجل تحصيل الحق العام! ولو كنتُ يوماً نذلاً أنانياً خسيساً لا يتعدى خيري غيري للمتُ نفسي وقلت: (فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)! ولكنني أحسّ يا شيخنا أنها عقوبة عاجلة لموالاتي أهل الجاهلية على حساب الأخوة الإيمانية التي تفضلت بالحديث عنها! وتحت عنوان: (الأخوة رباط الأرواح وبساط الأفراح) يقول الأستاذ خميس النقيب ما نصه: (الحب في الله عملةٌ نادِرة في زمن الحِرمان ، مع أنَّها أصل الإيمان ؛ (أوثَقُ عُرَى الإيمان الحبُّ في الله والبُغْضُ في الله). صحيح ، وهو سماد الأخوَّة ، يصقلها ويغذيها ، يُبقِي عليها وينقيها ، يُعلِي من قدرها ويُزكِّيها. الأخوَّة هي الألفة الروحيَّة ، والمِنحة القدسيَّة ، والعاطفة الأبديَّة ، واللَّمسة الإلهيَّة التي يَقذِفها الله ـ تعالى ـ في قلوب الأصفياء من خلقه ، والأتقياء من عِباده ، والأولياء من أحبابه ، فيَتحابُّون من وَراء المحيطات والبِحار ، ويأتَلِفون من خلفِ الحواجز والأستار ، ويَتعارَفون عبرَ الليل والنهار ؛ (الأرواح جنودٌ مُجنَّدة ، فما تَعارَف منها ائتَلَف ، وما تَناكَر منها اختَلَف) ؛ صحيح. إنها حياة الرُّوح وروح الحياة ، إنها نور العين وعين البصيرة ، إنها مَنارة الدنيا وأخوَّة الدِّين ؛ عن أبي سعيدٍ الخدري: أنَّ رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ جلَس على المنبر وقال: (إنَّ عبدًا خيَّره الله بين أنْ يُؤتِيَه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده ، فاختار ما عنده) ، فقال أبو بكر: فديناك يا رسول الله بآبائنا وأمَّهاتنا ، قال: فعَجِبنا ، فقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ ، يُخبِر رسول الله عن عبدٍ خيَّره الله بين أنْ يُؤتِيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عند الله وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمَّهاتنا! قال: فكان رسول الله هو المخيَّر ، وكان أبو بكرٍ هو أعلمنا به ، فقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: (إنَّ من أَمَنِّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكرٍ ، ولو كنتُ مُتَّخذًا خليلاً لاتَّخذتُ أبا بكرٍ ، ولكن أخوَّة الإسلام ، لا تبقينَّ في المسجد خَوْخَةٌ إلا خَوْخَةُ أبي بكرٍ) ، قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسن صحيح ، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح ، وقال الشيخ الألباني: صحيح. لذلك أقام رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ المجتمع الإسلامي في المدينة على الأخوَّة ، فكانتْ ركيزةً أساسيَّة من ركائز الدولة في الإسلام ، وهناك نزَل القرآن على قلب رسول الله يَشرَح هذا المعنى ويُنميه ؛ (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) ؛ إذ لا أخوَّة بدون إيمان ، ولا إيمان بدون أخوَّة ، ويقول الله ـ تعالى ـ: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ). وعن أبي موسى عن النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يَشُدُّ بعضه بعضًا) ، ثم شبَّك بين أصابعه ؛ متفق عليه. وعن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: (مثَل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتَعاطُفهم مثلُ الجسد ؛ إذا اشتَكَى منه عضوٌ تَداعَى له سائرُ الجسد بالسَّهَر والحمَّى) ؛ صحَّحه الألباني. وهذا الذي أَرادَه النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - حين استَقرَّ بالمدينة فأقام مجتمعًا فريدًا مثاليًّا ، ناصَب الأعداء بالحبِّ والمودَّة والإخاء ، آخَى النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - بين المهاجِرين والأنصار رغم أنهم حديثو عهدٍ بالإسلام ، انصهرَتْ أرواحُهم في بوتَقَة واحِدة ، حتى كان الأخ يقول لأخيه: يا أنا ، وأعطوا أمثلةً نادِرة في الأخوَّة ، كانوا يحبُّون بعضهم بعضًا إلى درجة الانصِهار ، وكانوا يعطفون على بعضهم بعضًا إلى درجة الإيثار. فالأخوَّة لذَّة في الدنيا وفرحة في الآخِرة. فإنْ أحببتَ الأخيار وصاحَبتَ الأطهار ، فأنت مع نبيِّك المختار وصحابته الأبرار والتابعين الأحرار ، ستُحشَر معهم إذا شاء ربُّ العالمين ؛ ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالكٍ - رضِي الله عنه - أنَّ رجلاً سأل النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - عن الساعة ، فقال: يا رسول الله ، متى الساعة؟ قال: (وما أعددتَ لها؟) ، قال: لا شيء ، إلا أنِّي أحبُّ الله ورسولَه ، فقال: (أنت مع مَن أحببتَ). قال أنس: فما فرحنا بشيءٍ فرَحَنا بقول النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم -: (أنت مع مَن أحببتَ) ، قال أنس: فأنا أحبُّ النبيَّ وأبا بكرٍ وعمر ، وأرجو أنْ أكون معهم بُحبِّي إيَّاهم وإنْ لم أعمل بعملهم ، وبلال بن رباح حينما جاءَتْه سكرات الموت سمع امرأةً تقول: واحسرتاه ، فقال: لا تقولي: واحسرتاه ، ولكن قولي: وافرحتاه ؛ فغدًا ألقى الأحبَّة ، محمدًا وصحبه. والنبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - رسِّخ معاني أخوَّة الإسلام بإبطال عصبيَّات الجاهليَّة. ذكر في سبب نزول الآيات: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ) إلى قوله - تعالى -: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا). محاولة اليهود الإفساد بين المسلمين بإحياء العصبيَّة الجاهليَّة ، وحضور النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - عند الفريقَيْن المتناحرَيْن من المسلمِين ، وقوله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: (يا معشرَ المسلمين الله الله أبدعوى الجاهليَّة وأنا بين أظهُرِكم بعد إذ هَداكم الله إلى الإسلام وأكرَمَكم به وقطَع عنكم أمرَ الجاهليَّة واستَنقَذكم به من الكفر وألَّف به بينكم تَرجِعون إلى ما كنتم عليه كفارًا!). قال الله - تعالى -: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ). رابطة النسب إنْ لم تكن من خِلال الإسلام فهي عصبيَّة جاهليَّة: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ...). وعندنا ابن نوح - عليه السلام -: (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ). وعندنا عمُّ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم -: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ). وعندنا الأخوَّة ورابطة المصاهرة: (وَأَزْوَاجُكُمْ). وعندنا زوجات أنبياء: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ). وعندنا الأخوَّة ورابطة القوميات والوطنيات: (وَعَشِيرَتُكُمْ). وعندنا هجرة المسلمين من مكة أرض المولد والعشيرة والوطن في سبيل الله. وعندنا الأخوَّة ورابطة المصالح الاقتصاديَّة وغيرها: (وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ

تَرْضَوْنَهَا). عندنا تضحِيَة الأنصار بأموالهم ، وتأثُّر اقتصادهم بسبب إيوائهم النبيَّ - صلَّى الله عليه وسلَّم – والمسلِمين. ولَمَّا اجتَمَع الأنصار ليلةَ العقبة بالنبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - وكلَّمَهم في البيعة قام العبَّاس بن عُبادة بن نَضلَةَ الأنصاريُّ - رضِي الله عنه - فقال: يا معشر الخزرج ، هل تَدرُون علامَ تُبايِعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم ، قال: إنَّكم تُبايِعونه على حرْب الأحمر والأسود من الناس ، فإنْ كنتم ترَوْن أنَّكم إذا أُنهِكت أموالكم مصيبةً وأشرافكم قتلاً أسلمتُمُوه فمن الآن ، فهو والله إنْ فعلتُم خزيُّ الدنيا والآخِرة ، وإنْ كنتم ترَوْن أنَّكم وافون له بما دعوتُموه إليه على نهكة الأموال وقتْل الأشراف فخُذُوه ، فهو والله خير الدنيا والآخِرة. حتى تكون الأخوة الإيمانية مثمرة فلا بد من شروط وضوابط لها ، منها: أنْ تكون خالصةً لوجه لله. وأنْ تكون الأخوَّة في الله مقرونةً بالإيمان والتقوى. وأنْ تكون الأخوَّة ملتزمة منهج الإسلام. وأنْ تكون الأخوَّة قائمةً على النُّصح لله ولعباده. والأخوَّة القائمة على الحبِّ في الله تجمَع أصحابها في الخير ، وتُؤلِّف بينهم في الدنيا ، وتُجلِسهم على منابر من نور في الآخِرة ؛ قال الله - تعالى - في الحديث القدسي الشريف: "حَقَّتْ محبَّتي للمتحابِّين فِيَّ ، وحَقَّتْ محبَّتي للمتواصِلين فِيَّ ، وحَقَّتْ محبَّتي للمتناصِحين فِيَّ ، وحَقَّتْ محبَّتي للمُتزاوِرين فِيَّ ، وحَقَّتْ محبَّتي للمُتباذِلين فِيَّ ، المتحابُّون فِيَّ على منابر من نورٍ يَغبِطُهم بمكانهم النبيُّون والصدِّيقون والشُّهداء" ؛ تخريج السيوطي: عن عبادة بن الصامت ، صحَّحه الألباني: انظر: حديث رقم: 4321 في "صحيح الجامع". إنَّ رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يُفضِّل هذا النوع من الأخوَّة ، ويحبُّ الذين صدَرُوا عنها ؛ (وَدِدتُ أنِّي لَقِيتُ إخواني الذين آمَنوا ولم يرَوْني) ؛ تخريج السيوطي: عن أنس ، صحَّحه الألباني: انظر: حديث رقم: 7108 في "صحيح الجامع).هـ. وإذن فنذل قصيدتنا لا علاقة له بهذه الأوصاف في الأخوة: لا الأخوة الجاهلية ذات القيم ، كالتي كانت بين عنترة بن شداد العبسي وأخيه شيبوب ، ولا الأخوة الإيمانية بقيم الإيمان ، كالتي كانت بين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما! إن نذل قصيدتنا (سارق الكتب) تدور أخوته على المصلحة الرخيصة والانتفاع الخسيس فقط! وإن كان له وصف الأخ من النسب! ولكنها أخوة مفرغة من معناها الحقيقي وجوهرها السامي! وتحت عنوان: (حقوق الأخوة) يقول الأستاذ عصام محمد فهيم جمعة نصه: (قال تعالى: (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ). لقد وقَعَت المعجزة التي لا يقدر عليها إلا اللهُ ، والتي لا تصنعها إلا هذه العقيدةُ ، فتحوَّلت هذه القلوب النافرة ، وهذه الطِّباعُ المختلفة ، إلى هذه الكتلة المتراصة المتآخية ، الذَّلُولِ بعضها لبعض ، المحب بعضها لبعض ، المتآلف بعضها مع بعض. إن هذه العقيدة عجيبة فعلًا ، حين تخالط القلوب تتحول إلى مِزاج من الحب والأُلفة والمودة ، هذه العقيدة تهتف للبشرية بنداء الحب في الله ، فإذا استجابت وقعتْ تلك المعجزة ، التي لا يدري سرَّها إلا اللهُ ، ولا يقدر عليها إلا الله. الأخوة والحب في الله منحة قدسية ، وإشراقة ربانية ، يقذفها الله في قلوب المخلصين من عباده ، وفضائلُ الأخوة أكثر من أن تُعَدَّ وتحصى ، وخيرها في الدنيا والآخرة لا ينقطع ، وإليك بعضها فقط. على منابر من نور يوم القيامة: يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن من عباد الله لأُناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى) ، قالوا: يا رسول الله ، تخبرنا من هم؟ قال: (هم قوم تحابُّوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، والله إن وجوهَهم لنور ، وإنهم لعلى نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس). أن تذوق حلاوة الإيمان: فقد جاء في الحديث

الصحيح: (ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان ، منها أن تحب المرء لا تحبه إلا لله) ، وفي رواية الإمام أحمد: (من أحب أن يجد طعم الإيمان ، فليحبَّ المرءَ لا يحبه إلا لله. أنهم في جنة الله ورضوانه: روى الترمذي أن الحبيب النبي قال: (من عاد مريضًا أو زار أخًا له في الله ، ناداه منادٍ بأنْ طبتَ وطاب ممشاك ، وتبوَّأتَ من الجنة منزلًا). غفران الذنوب: روى الطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن المسلم إذا لقي أخاه المسلم فأخذ بيده ، تَحاتَّتْ عنهما ذنوبهما كما تتحاتُّ الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف ، وإلا غفر لهما ذنوبهما ولو كانت مثل زبد البحر). في ظل عرش الرحمن يوم القيامة: يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (سبعة يظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظل إلا ظله) ، وعدّ منهم: (ورجلان تحابَّا في الله ، اجتمَعا عليه ، وتفرَّقا عليه). أنهم في كنف المحبة الإلهية: فقد أخبَرَ النبي صلى الله عليه وسلم عن ربِّه سبحانه في الحديث القدسي: (حقَّتْ محبَّتي للمتحابِّين فيَّ ، وحقَّت محبتي للمتواصلين فيَّ ، وحقَّت محبتي للمتناصحين فيَّ ، وحقَّت محبتي للمتباذلين فيَّ ، المتحابون فيَّ على منابرَ من نور يغبطهم النبيون والصدِّيقون والشهداء). وهذه دعوة من الله إلى الحب في الله ، دعوة إلى توحيد الكلمة وجمع الصف ولمِّ الشمل ، وتأليف القلوب تحت راية الأخوة والحب في الله ، وزيادة هذه العاطفة عن طريق التواصل والتناصح والتباذل ؛ فهذه من وسائل تعميق الأخوة ، وعندما يتحقق هذا الحبُّ يصبح المسلمون يدًا واحدة ، وقلبًا واحدًا ، وجسدًا واحدًا ، يسعى بذِمَّتِهم أدناهم ، وهم يدٌ على من سواهم ، يصدُق فيهم قول الرسول الكريم: (مثل المؤمنين في توادِّهم وتعاطُفِهم كمَثَلِ الجسد الواحد ؛ إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى). ولكن ما هي حقوق الأخوة؟ لأخيك الذي اخترتَه حقوقٌ وواجبات ، ينبغي أن تقوم بها. وقد عَدَّها الإمام (أبو حامد الغزالي) في الإحياء ، وهي: حق في مالك: وهذا الحق على درجات ، هي أن تعطيه من فضل مالك ، أو تنزله منزلة نفسك ، أو تؤْثره عليك ، وهي أعلى الدرجات ، كما حدَثَ من الأنصار مع المهاجرين ، فقد روي أنه "لما آخى رسول الله بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، آثره بالمال والنفس ، وعرَضَ عليه أن يناصفه أهله وماله. فقال عبد الرحمن: بارك الله لك فيهما ، دُلَّني على السوق. ومن أروع الأمثلة في تفاعل الأخوة والصداقة القائمة على تقوى الله والإيثار وقضاء حوائج الصديق. قال (علي بن الحسين) رضي الله عنه لرجل: هل يُدخِل أحدُكم يدَه في كمِّ أخيه ، فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه؟ قال: لا ، قال: فلستم بإخوتي. كان على (مسروق) دَينٌ ، وكان على صديقه (خيثمة) دَين أيضًا فذهب مسروق فقضى دَينَ خيثمة وهو لا يعلم ، وذهب خيثمة فقضى دَين مسروق وهو لا يعلم. ومن الحقوق أن تقوم بقضاء حاجته: يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه) ، وقد حكي عن أحد السلف يسمى (ابن شبرمة) أنه قضى حاجة كبيرة لبعض إخوانه ، فجاء بهدية ، فقال ابن شبرمة: ما هذا؟ قال: أخوة؛ لِما أسديتَه إليَّ من المعروف ، قال (ابن شبرمة): خُذْ مالك ، عافاك الله ، إذا سألتَ أخاك حاجة فلم يجهد نفسَه في قضائها ، فتوضأ للصلاة ، وكبِّر عليه أربع تكبيرات ، وعُدَّه في الموتى. ومن الحقوق: عدم ذكر عيوبه في غيبته وحضرته: فالكريم يذكُرُ في نفسه محاسنَ أخيه ، ويقبل منه العذر ، ويُحسِن به الظن ، قال صلى الله عليه وسلم: (إياكم والظنَّ ؛ فإنه أكذَبُ الحديث) ، وقال صلى الله عليه وسلم: (لا يستُرُ عبدٌ عبدًا في الدنيا إلا ستَرَه الله يوم القيامة) ، وهذا أَولى بين الإخوة ، فلا يجوز لك أن تُفشي له سرًّا ، أو تذكُر له عيبًا، وتذكُره بما يكره ، فإذا رأى فيه عيبًا عليه أن يقدِّم له النصيحة بأدب ولطف وفي خلوة ، فهذا من أدب النصح للمسلم. ومن الحقوق: أن تعفو

عن زلاته وهفواته: علينا أن نضع في حسابنا أننا بشر ، نخطئ ونصيب ، كذلك لا بد من العفو لأنه من شيم الكرام ، قال تعالى: (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) ، وأن تقبل اعتذاره. ومن لوازم الأخوة أيضًا زيارتُه في الله ، وعيادته إذا مَرِضَ ، والسلام عليه عند اللقاء ، والبشاشة في وجهه ، وتشميته إذا عطس ، وإجابة دعوته وتشييع جنازته ، والدعاء له بظهر الغيب ، والذبُّ عن عرضه ، وسد حاجته ، والوقوف إلى جانبه ، ونهره إذا ظَلَم ، ونصيحته وتوجيهه ، وسلامة الصدر ، إلى غير ذلك من الحقوق والواجبات. وكل مسلم في الأرض أخٌ لك أخوةً إيمانية قرآنية شرعية ، كتب عقْدَها اللهُ ، جاء بصفتها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) ، قال الإمام القرطبي: (أي في الدِّين ، لا في النَّسَب). وإذا لم تتحقق هذه الحقوق في الواقع فلا وجود لأخوة حقيقية بمعنى الكلمة).هـ. ونذل قصيدتنا وقفت به أخوته عند النسب والانتساب فقط! أما هذه النواحي وتلك الأبعاد في الأخوة الصادقة المخلصة الوفية المبنية على الجود والكرم والعطاء والبذل ، فلا علاقة له بها إلا عندما يحصد هذه الأشياء وينتفع بثمراتها! فليس في قاموس أخوته لفظ العطاء ولا البذل! إنما في القاموس ذاته الأخذ والانتفاع! وتحت عنوان: (ملامح تربوية من الأخوة في النسب) تقول الأستاذة الأديبة سارة بنت هليل المطيري ما نصه بتصرف زهيد: (تظهر أهمية علاقة الأخوَّة في النسب من خلال التعرُّف على مكانتها في القرآن الكريم ؛ حيث إنَّها تدخل ضمن الأرْحام في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}. فـ "قرن الأمر بتقْواه بالأمر ببرِّ الأرحام والنَّهي عن قطيعتها ؛ ليؤكد هذا الحقَّ ، وأنه كما يلزم القيام بحق الله كذلك يجب القيام بحقوق الخلق ، خصوصًا الأقربين منهم ؛ بل القيام بحقوقهم هو من حقِّ الله الذي أمر الله به" ، ومن هؤلاء الأرْحام الذين تؤكد الآية حقَّهم: الإخْوة. ومما يدل على مكانة الأخ ومنزلته: فِعْلُ موسى ـ عليه السلام ـ حين اختار أخاه وزيرًا دون غيره من الناس ؛ كما جاء في قوله تعالى: {وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا}. جاء في التفسير: "وخصَّ هارون لفرط ثِقته به ، ولأنَّه كان فصيح اللسان مِقْوالاً ، فكوْنه من أهلِه مظنَّة النصح له ، وكونه أخاه أقوى في المناصحة ، وكونه الأخ الخاصَّ لأنَّه معلوم عنده بأصالة الرأي ، وعن المؤمنين في الجنَّة يقول تعالى: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} ، تنبيه على انتفاء المخالفة من بينهم ، وفي وصْفِهم بالأخوَّة دلالة على عِظَم مكانتها وارتضاء الله ـ تعالى ـ لهم ذلك. وقد ثبت عن نبيِّنا محمد ـ صلَّى الله عليْه وسلَّم ـ إكرامُه لأخته من الرضاع: الشيماء ، فذُكِر أنَّها لما انتهت إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليْه وسلَّم ـ قالت: يا رسول الله ، إني لأختُك من الرَّضاعة ، قال: (وما علامة ذلك؟) قالت: عضَّة عضضتَها في ظهري وأنا متورِّكتُك ، فعرَف رسولُ الله ـ صلَّى الله عليْه وسلَّم – العلامة ، فبسط لها رداءَه ، ثم قال لها: (هٰهُنا) ، فأجلسها عليْه ، ودمعت عيناه ، وخيَّرها فقال: (إن أحببتِ فأقيمي عندي مُحبَّبة مُكرّمة ، وإن أحببت أن ترْجعي إلى قومك أوْصلتك) ، فقالت: بل أرجِع ، فأسلمتْ. وأعْطاها رسولُ الله ـ صلَّى الله عليْه وسلَّم ـ نعمًا وشاءً وثلاثةَ أعبُد وجارية. ورُوِي عن لقمان: أنَّه قدِمَ من سفر ، فلقِيه غلامٌ في الطريق ، فقال: ما فعل أبي؟ قال: مات ، قال: الحمد لله ، ملكتُ أمري ، قال: ما فعلت أمِّي؟ قال: ماتت، قال: ذهب همِّي ، قال: ما فعلتِ امرأتي؟ قال: ماتت ، قال جُدِّد فراشي ، قال: ما فعلت أختي؟ قال: ماتت ، قال: سُتِرت عورتي ،

قال: ما فعل أخي؟ قال: مات ، قال: انقطع ظهري. وممَّا يساعد على قيام العلاقة بين الإخْوة على خير ما يراد: العناية من قِبَل الوالدين بتربية أبنائِهم على الإحساس بأهميَّتها ، وضرورة تقْويتها ، وبذْل الجهد والنصح لهم بكل ما يصونُها من نزغات الشَّيطان ، والاهتمام بالأساليب والوسائل التربويَّة الموصِّلة لذلك. والأخوَّة إما أن تطلق على الأخوَّة في النسب: الأشقَّاء أو غير الأشقَّاء ؛ كالإخوة لأم ، أو الإخوة لأب ، أو الإخوة من الرضاعة ، وإمَّا أن تطلق استعارة ويدخل تحتها أنواع عديدة ، كما جاء في القرآن الكريم ، أُطلقت ويراد بها المعنى الأصلي ، وهو أخوة النسب ؛ ومثالها قوله تعالى: {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}. وأُطلقت على معانٍ أخرى ، خرجتْ عن المعنى الأصلي ، تُفيد المشاركة أو المُشابَهة ، ومن أمثلتِها: أخوَّة الدين والعقيدة: سواء الأخوَّة في الإيمان أو الأخوَّة في الشِّرْك أو الكفر ، ومثال أخوَّة الإيمان قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} ، يقول القرطبي - رحِمه الله -: أي في الدين والحرمة لا في النَّسب ، ولهذا قيل: أخوَّة الدين أثبت من أخوَّة النسب ؛ فإنَّ أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين ، وأخوَّة الدين لا تنقطع بمخالفة النَّسب. ومثال أخوَّة الكفر والنفاق: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} ، وقوله: {وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ} ، ويحتمل أن يكون المراد من هذه الأخوَّة المشاكلة في الدين ، واتَّفق إلى أن صار بعض المنافقين مقتولاً في بعض الغزوات ، فالَّذين بقُوا من المنافقين قالوا ذلك. أخوَّة في الآدميَّة والإنسانية: ومثاله قوله تعالى: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا} ؛ أي: وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودًا ، قيل: أي بشرًا من بني أبيهم آدم ، سماه أخًا تنبيهًا على إشفاقه عليهم شفقة الأخ على أخيه. أخوَّة في القبيلة: ومثالها الآية السَّابقة ؛ وفق تفسير آخر ، فقيل في قوله تعالى: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا} أي: وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودًا ، قيل: أخاهم في القبيلة. أخوَّة الشَّيطان: ومثاله قوله تعالى: {إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا}. والمراد من هذه الأخوَّة: التشبه بهم في هذا الفعل القبيح ؛ وذلك لأنَّ العرب يسمُّون الملازم للشيء أخًا له ، فيقولون: فلان أخو الكرم والجود ، وأخو السَّفر إذا كان مواظباً على هذه الأعمال. الأخوَّة بين الأمم: ومثالها قوله تعالى: {كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ} ؛ أي: صاحبتها وشبيهتها. الأخوَّة بين الآيات: ومثاله قوله تعالى: {وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آَيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} ؛ أي: كانت آيات موسى من كبار الآيات ، وكانت كل واحدة أعظم مما قبلها ، وقيل: "إلاَّ وهي أكبر من أختها" ؛ لأنَّ الأولى تقتضي علمًا والثَّانية تقتضي علمًا ، فتضم الثَّانية إلى الأولى فيزداد الوضوح ، ومعنى الأخوَّة: المشاكلة والمناسبة ، كما يقال: هذه صاحبة هذه ؛ أي: هما قريبتان في المعنى. ويستفاد من هذه الآية أنَّ اجتماع الإخوان يزيدهم قوَّة ، وتفرقهم مضعف لهم ، وهذه ثمرة من ثمرات علاقة الأخوَّة حين تكون قويَّة كما سيأتي بيانها. ومن ثمرات وآثار قوة العلاقة بين الأخوة ، المساهمة في تحقيق أهداف الأسرة في الإسلام. من أهداف الأسرة المسلمة: تنمية قدرات الإنسان العقليَّة ومواهبه الذِّهْنية ، وتوجيهها نحو الخير العام ، ومن الوسائل المعينة على تحقيق هذا الهدف: الأخوَّة الصَّالحة الدَّافعة إلى الخير ، الأخوَّة في الأسرة تورث المحبَّة والإيثار ، وتبعد الحسد والشَّحناء

والغل والقطيعة ، وقد رأينا كيف فعل الحسد في أسرة يعقوب ـ عليه السلام ـ حيث قضى الحسد والبغضاء على استقرار الأسرة الكريمة" ، فإذا تحقَّق الاستقرار وتوفَّرت المحبَّة والإيثار ، تهيَّأ الجو المناسب والأسباب المعينة على تحقيق الهدف السابق. ومن ثمرات الأخوة: التكاتف والاستقرار الأسري. إذ الأسرة هي الدرع الحصينة ، وفي ذلك دلالة على الشدَّة والقوَّة حيث إنَّ كلَّ فرد فيها يشد عضد أخيه ويقويه ، فيحصل التَّآلف بين الإخوة والتكاتُف فيما بينهم يفرح الأخ لفرَح أخيه ، ويغضب لغضبه ، ويألَم لألمه ، فتغدو الأسرة كالجسد الواحد ، الَّذي إن اشتكى منه عضوٌ ، تداعى له سائر الأعْضاء بالحمَّى والسَّهر ، وبذلك تتميَّز الأسرة ذات العلاقات الأخويَّة القويَّة دون غيرها من الأسر. وإرضاء الوالدين وإدْخال السَّعادة على قلبيْهما. ومن المعلوم أنَّ الوالدين يفرحان بمحبَّة الأبناء لبعضهم ، وصفح أحدهم وتجاوزه عن إساءة أخيه عند حصول النِّزاع بينهما وذلك كما فعل يوسف ـ عليه السَّلام ـ مع إخوتِه في آخر قصَّته التي حكاها القُرآن الكريم ؛ فإنَّه لمَّا حضر أبواه وإخوتُه مجلسَه ، تحدَّث عن نعم الله عليه ، وحرص على ألاَّ يذكِّر إخوته بما يسوؤهم ؛ لئلا يدخل الحزْن على قلب أبويه إذا سمعا منه ما يدل على بقاء العداوة بينهم ؛ فقال: {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} ، و "لَم يقل: من الجُبِّ ، مع كوْنِه أشدَّ بلاء من السجن ؛ استعمالاً للكرم ؛ لكيلا يُخجل إخوته بعدما قال لهم: {قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} ، وأحال ذنب إخوته على الشَّيطان تكرُّمًا منه وتأدُّبًا ، بقوله: {مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي}. ونسأل ونجيب: ما هي أسباب ضعف العلاقة بين الإخوة؟ من الأسباب: عدم العدْل بين الأبناء. ففقدانه سبب لحصول الحقْد والبغضاء بين الإخوة ، ويترتَّب عليه التفرُّق ، وضعف أو انعدام العلاقة الحسنة فيما بينهم ، ومن صور فقدان العدْل: اختلاف العطايا والهبات واختلاف المعاملة ، واختلاف أساليب الثَّواب أو العقاب ، دون حاجةٍ تدْعو لاختلافها ؛ كاعتبار العمر ، والحاجة النفسيَّة لكل منهم. ومن الأسباب كذلك: سوء المعاملة الوالدية: كالمقارنة الخاطئة بينهم ، والاستخدام الخاطئ للسلطة ، والقسوة عليهم ، والغلظة في المعاملة معهم ، وعدم اتفاق الوالدين في هذه المعاملة. ومن الأسباب أيضاً: إهمال الوالدين تعليم أبنائهم مكانة الأخوَّة من الدين: كالتقصير في تعليمهم معنى الأخوة بمفهومها الواسع والضيق ، وتعليمهم فضل صلة الرحم ومكانتها من الدين ، وأهمية الأخ وفضله).هـ. وعموماً رُحتُ أصَبّر صاحب الكتب وأقول له: احتسبْها جميعاً عند الله ، واعلم أن الدنيا ليست نهاية المطاف ، واعلمْ أيها المظلوم البائس أنك ستموت وسيموت من أخذ كتبك بغير حق ، وهناك في ساحة القيامة يعود ذلك كله ، فهونْ عليك ، ولا تقتلْ نفسك حسرة وندامة ، واستعنْ بالله ولا تعجز. إن في القيامة عزاءً لك عن أن تحزنْ أو تقلق. ويكفيك فخراً أن تكون ابن آدم المظلوم لا الظالم. ومرة أخيرة: عظمَ الله أجرك في الكتب يا صاحبي. ولقد أهديتُك هذه المعلقة الرائية الثمانينية من البحر البسيط ، بشيراً لك – ثبتنا الله تعالى وإياك على الحق المبين ـ ، ونذيراً لسارق كتبك – عليه من ربه ما يستحق وما هو أهلٌ له ـ. والآن لنتابع ما من الله سبحانه وتعالى وعز وجل علينا به ، في تعزية صاحب الكتب المظلوم!)

أمـــا أتـــاك عـــن المُســـتهتر الخبـــرُ؟ وعـــن جُفـــاةٍ إلـــيهم يُنسَـــبُ الأشـــرُ؟

وعـــن أقـــاربَ قـــد خـــانوا أمـــانتهم لمّـــا طغـــى الغـــدرُ والإيقـــاعُ والـــدَبَر؟

وعـــن أباعـــدَ فـــي شـــيءٍ جـــرى شـــمتُوا وأظهـــروا الكيـــدَ ، منـــه القلـــبُ ينفطـــر؟

وعـــن صـــحاب لنـــا كنـــا نـــوقرُهم ... فهـــم لنـــا الســـمعُ والإحســـاسُ والبَصـــر

فأصـــبحوا ولظـــى الخُـــذلان يحـــرقهم ... ونـــارُ خيبـــتهم فـــي القلـــب تســـتعر؟

وعـــن رفـــاق لنـــا فـــي غربـــةٍ نكِـــروا ... جميـــلَ رفقتنـــا ، والنكـــرُ مُشـــتهِر؟

وعـــن دُعـــاةٍ بهَـــدْي (المصـــطفى) ارتزقـــوا ... والأكـــلُ بالـــدين كَسْـــرٌ لـــيس ينجبـــر؟

وعـــن مُحِبـــين أمســـى حـــبُهم حَزنـــاً ... ومُوجعـــاتٍ أتـــى بهولهـــا الكَـــدَر؟

وعـــن معـــارفَ كنـــا نســـتعينُ بهـــم ... إن عَضّـــنا مَـــأزقٌ ، أو هالنـــا الخطـــر؟

وعـــن جهابـــذةٍ فـــي العِلـــم مـــا سُـــبقوا ... كنـــا إلـــى وُدهـــم نســـعى ونبتـــدر؟

وعـــن عبـــاقرةٍ فاقـــتْ كِتـــابتُهم ... كـــل الألـــى كتبـــوا الآدابَ أو نثـــروا؟

وعـــن أفاضـــلَ كنـــا نحتفـــي بهـــمُ ... فـــإذ بهـــم لســـراب الباطـــل انحـــدروا؟

وأصـــبحوا فـــي الـــدنا ضـــنكاً يُهـــددنا ... ونالنـــا مـــنهمُ الـــبلاءُ والضـــجر؟

وبـــددَ الكـــلُ مـــا نرجـــوه مـــن أمـــل ... حتـــى اســـتحال علينـــا العِـــز والظفـــر

تبلغـــوا واعتلـــوا مُتـــون رفعـــتهم ... بـــين الـــورى ، ولنـــا الوهـــادُ والحُفـــر

وحققـــوا أبعـــدَ الأحـــلام تحســـبُهم ... علـــى العِـــدا فـــي الحـــروب الـــوعْرة انتصـــروا

كانـــت لهـــم خطـــط يُراهنـــون علـــى ... تنفيـــذها ، وبهـــا علـــى المـــلا افتخـــروا

لـــم يُخطئـــوا فـــي الـــذي رامُـــوه خردلـــة ... والـــوِردُ كـــان لهـــم فـــي الأمـــر ، والصَـــدَر

فلـــم يكـــنْ عُجَـــرٌ يَشُـــوبُ مـــا عملـــوا ... ولـــم يكـــن فـــي الـــذي هـــم نفـــذوا بُجَـــر

وقـــد سَـــلِمنا مِـــن العُـــدوان جنـــدلنا ... وقـــد نجونـــا مـــن الأعـــدا بنـــا مكـــروا

ومـــا ســـلمنا مِـــن الأهلـــين ســـربلنا ... عـــداوُهم إذ عتـــوا ، كـــأنهم تتـــر!

وجـــرحُ أهـــل الفتـــى عـــارٌ ومَخبثـــة ... لا يســـتريحُ لهـــا الأكيـــاسُ والبُـــدُر

فالأهـــلُ سِـــترٌ علـــى سَـــليلهم وغطـــا ... إمّـــا اعتـــراهُ أذىً ، أو عَـــزتِ السُـــتُر

شـــيطنتُمُ الشـــهمَ بـــالزيوف دون حيـــا ... وفـــي التجنـــي لكـــم مواقـــفٌ أخـــر

كـــــلٌ يُـــــرَوّجُ تضـــــليلاً وهذرمـــــة ... كمـــا تحـــيصُ – علـــى نهيقهـــا - الحُمُـــر

مِـــن ســـالف العُمْـــر ، والأحقـــادُ تـــأكلكم ... أسَـــرّ بعـــضٌ بهـــا ، والـــبعضُ قـــد جهـــروا

أهنتُمـــــوني بـــــلا جَريـــــرةٍ بَـــــدرتْ ... وذِعـــــتُمُ كـــــاذبَ الأخبـــــار تنتشـــــر

كأنمـــــا نِســـــبتي إلـــــيكمُ هُـــــزُءٌ ... وفـــــي طبـــــائعكم كـــــم بـــــت أفتكـــــر!

مَـــن مِـــثلكم فـــي الـــذي تـــأتون مِـــن ضَـــلل؟ ... ألـــيس فـــيكم رَشـــيدٌ عنـــده نظـــر؟

أيُصـــبحُ النـــذلُ شـــهماً فـــي تصـــوّركم ... لـــه المـــدائحُ رغـــم الأنـــف تُـــدخر؟

مَـــن لـــم يجُـــد بجُنيـــهٍ بـــات (حـــاتمَكم)؟ ... والمـــدحُ أمســـى عليـــه اليـــومَ يُقتصَـــر

أعَـــقّ إبـــن غـــدا فـــي البِـــر مدرســـة؟ ... أمـــا لـــديكم مِـــن التـــدجيل مُزدجـــر؟

لـــه أطايـــبُ مـــا يبتـــاعُ مـــن أكُـــل ... والشـــربُ مُرتصـــدٌ ، والـــزادُ ، والثمـــر

أمـــا البقايـــا ففـــي الأكيـــاس قـــد وُضـــعتْ ... للوالـــدَين ، وللضـــيف الألـــى حضـــروا

أو للـــدواجن فـــوق الســـطح قـــد حُبســـتْ ... وجاءهـــا الخـــسُ والجَرجيـــرُ والجَـــزر!

هـــل البخيـــلُ اشـــترى دَوا لوالـــدةٍ ... طمّـــتْ مَواجعُهـــا ، ومَسّـــها الضـــرر؟

هـــل اشـــترى إبـــرة يومـــاً لوالـــده ... لـــدفع ضُـــر أتـــتْ ببأســـه الغِيَـــر؟

وهـــل لأختٍ لـــه أعطـــى هديتـــهُ؟ ... متـــى؟ وأيـــن؟ ودونَ الســـائل السِـــيَر

وُلـــدتَ يـــومَ ســـمتْ بالبُخـــل شِـــرذمة ... وكـــل شـــهم خِـــلالَ الشـــح يَحتقـــر!

متـــى اشـــتريت كتابـــاً كـــي تُطالعـــه ... يـــا أبخـــلَ النـــاس إنْ قلـــوا وإنْ كثَـــروا؟

حتـــى ظفِـــرت بأســـفاري ومَكتبتـــي ... وقـــد تبقـــى مِـــن المَراجـــع العُشُـــر

وقلـــتُ: أصـــبرُ قـــد تخـــزى وتُرجعُهـــا ... وكـــم يُحصّـــلُ عُقبـــى الصـــبر مصـــطبر!

لكـــنْ وجـــدتُك تســـتحلّ مـــا ســـرقتْ ... كـــفٌ تعـــدّتْ ، فـــلا تُبقِـــي ولا تـــذر

إلا القليـــلَ الـــذي بـــه تُخادعُنـــا ... فهـــل تظـــنُ بـــأن القـــوم مـــا شـــعروا؟!

وإن مـــا جئتـــه أخـــزى مـــؤامرةٍ ... فهـــل شـــقيقٌ علـــى أخيـــه يـــأتمر؟

وغـــرّك الحِلـــمُ ســـاءتْني إطالتُـــه ... فقـــد زعمـــتَ بـــأني لســـتُ أعتبـــر

وخِلـــت نفسَـــك فـــي حُســـنى وفـــي شـــرفٍ ... فهـــل تـــرُوجُ أباطيـــلُ الألـــى فشـــروا؟

أنـــــت البصـــــيرُ بضـــــادٍ أو معارفهـــــا ... ومنـــــك تبـــــرأ ضـــــادُ العُـــــرْب والفِكَـــــر

هـــــذي الكُنيبـــــة مهمـــــا خِلتهـــــا رَســـــختْ ... تبقـــــى هُـــــراءً ، وإنْ فاهـــــتْ بهـــــا زمَـــــر

بـــــل أنـــــت مُرتـــــزقٌ بالضـــــاد لـــــيس ســـــوى ... ككُـــــل مُحتـــــرفٍ مُـــــرادُه الأجُـــــر

لا تلـــــبس الثـــــوبَ لـــــم تمـــــلأ غلائلـــــه ... واحقِـــنْ غـــرورَك ، قـــد يُـــودي بـــك الغـــرر

واكـــبحْ هـــوى الـــنفس ، أعلمْهـــا حقيقتهـــا ... نـــارٌ هواهـــا ، ومنـــك الكَـــبْحُ والشـــرر

وارجـــعْ لتاريخـــك القريـــب ، واخـــلُ بـــهِ ... واســـــأله عـــــن ســـــيّئ الأدوار تُبتكـــــر

خُزعبلاتُـــــــك ربُ النـــــــاس بيّنهـــــــا ... ولا يُصـــــــدّقها إلا الألـــــــى هـــــــزروا

وذات يـــــوم نأينـــــا عـــــن مَضـــــاربكم ... وطـــــالَ بالراحـــــل المُفـــــارق الســـــفر

حتـــــى أتـــــى دَورُ صُـــــعلوكٍ تعقبنـــــا ... ومَـــــدّ كفـــــاً مِـــــن التجـــــريح تـــــأتمر

فكـــــان شـــــاهدَ زور فـــــي مُنـــــاظرةٍ ... وكـــــان منـــــه الـــــذي مـــــا كنـــــتُ أنتظـــــر

أيـــــن الخطابـــــاتُ ، والبريـــــدُ يحملهـــــا ... فيهـــــا الكـــــلامُ بـــــه الإطـــــراءُ مُســـــتطر؟

فيهـــــا الوعـــــودُ لهـــــا أبعـــــادُ زخرفـــــةٍ ... فيهـــــا العهـــــودُ إلـــــى التطبيـــــق تفتقـــــر

ألـــــم تقـــــلْ قـــــدوتي ، ولســـــتُ أخذلـــــه ... وإن تجـــــاوزتُ حتمـــــاً ســـــوف أعتـــــذر؟

هـــــل الأخـــــوة أن تغتـــــالَ غربتنـــــا؟ ... إنـــــي أســـــائلُ: مـــــا الأثمـــــانُ؟ مـــــا الأجُـــــر؟

هـــــل الأخـــــوة أن أصْـــــلى دَسائسَـــــكم؟ ... مـــــاذا تركـــــتَ لمَـــــن خـــــانوا ومَـــــن فجـــــروا؟

هـــــل الأخـــــوة أن تبيـــــعَ عِشـــــرتنا ... يـــــا ســـــاقطاً بـــــإزار الخـــــذل تـــــأتزر؟

هـــــل الأخـــــوة أن تنـــــالَ زوج أخ ... بالشـــــائعات بهـــــا البهتـــــانُ مُســـــتتر؟

وتفتـــــري زوجُـــــك الرعنـــــاءُ فِريتهـــــا ... وأنـــــت تـــــدعَمُها ، ولـــــم يكـــــنْ حَـــــذر

تقـــــول: بالســـــحر والأوراد قـــــد حملـــــتْ ... يـــــا مُفتـــــر رزقهـــــا أولادَهـــــا قـــــدر!

هـــــل الأخـــــوة أن تُثيـــــرَ زوبعـــــة ... عنـــــي ليـــــنهشَ حُســـــنى سُـــــمعتي الغجـــــر؟

هـــــل الأخـــــوة أن تغتـــــالَ مَكتبتـــــي ... وتُشـــــهرُ الســـــيفَ لا حِـــــسٌ ولا خبـــــر؟

هـــــذي الأخـــــوة بالوشـــــاية انتحـــــرتْ ... وقـــــد تعـــــودُ إذا عـــــادَ الألـــــى انتحـــــروا

لـــــو عـــــاد للضـــــرع يـــــا مُســـــتهتراً حلـــــبٌ ... يعـــــودُ مـــــا بيننـــــا يومـــــاً ويزدهـــــر

عـــــارٌ عليـــــك ادّعـــــاءُ العِلـــــم يـــــا جهـــــلاً ... للعِلـــــم قطعـــــاً علـــــى أصـــــحابه أثـــــر

لا تـــــدع الشـــــيءَ لـــــم تبـــــذلْ شَـــــرافته ... ممـــــا ادعيـــــت جميـــــعُ النـــــاس تعتبـــــر

يـــــرون كِـــــذبَك لا يَقـــــينَ يُســـــعفه ... يـــا أكـــذبَ النـــاس مَـــن غـــابوا ومَـــن حضـــروا

مـــــاذا جنـــــت كتـــــبٌ فـــــي الـــــدار مُودَعـــــة؟ ... أمانـــــة نهبُهـــــا لا لـــــيس يُغتفـــــر!

تُصـــــانُ حتـــــى يعـــــودَ الشـــــهمُ صـــــاحبُها ... مهمـــــا تعاقبـــــتِ الأعـــــوامُ والعُصُـــــر

تُبـــــدي الفروســـــية الجوفـــــا علـــــى كتـــــب ... وفـــــي مواقـــــفِ أهـــــل البـــــأس فـــــالخور!

اشْـــــرَقْ بريقـــــك عـــــن عِرضـــــي ومَنقبتـــــي ... يـــــا والغـــــاً فـــــي الـــــدما ككـــــل مَـــــن غـــــدروا

الـــــزمْ حُـــــدودك ، لا تنكـــــأ جراحتنـــــا ... وإن نكـــــأت فمـــــا العُقبـــــى؟ ومـــــا الـــــوَطر؟

ذي قشـــــة قصَـــــمتْ ظهـــــر البعيـــــر ، فلـــــم ... يقـــــمْ بُعيـــــدَ الـــــذي أحـــــدثت يـــــا قـــــذر

عنـــــي ســـــألت فهـــــل تأســـــى لمُعضـــــلتي ... واللهِ أنـــــت إذا أوذيـــــتُ تبتشـــــر

وإنْ سُـــــرورٌ أتـــــاني بـــــتّ مبتئســـــاً ... بـــــدمع عـــــين جـــــرى ، كأنـــــه النهـــــر

لـــــو كنـــــت حقـــــاً أخـــــاً مـــــا عِشـــــت تجرحُنـــــي ... بلفـــــظ مُفتئـــــتٍ ، كأنـــــه الحَجَـــــر

لقاؤنـــــا عنـــــد رب لســـــت تُعجـــــزه ... ولـــــيس عنـــــه الـــــذي فعلـــــت يَســـــتتر

إنـــــي رفعـــــتُ لـــــه شـــــكوايَ ضـــــارعة ... ومنـــــك يومـــــاً مليـــــكُ النـــــاس ينتصـــــر

وســـــوف أدعـــــو ، وربُ الخلـــــق يســـــمعُني ... أدعـــــو ، وأمْعـــــنُ فـــــي الـــــدُعا ، وأصـــــطبر

إن الـــــذي يُرجـــــعُ الحقـــــوقَ أجمعَهـــــا ... ربٌ قـــــديرٌ شـــــديدُ البـــــأس مقتـــــدر!

الثعبـــــان 1

(لعب ذلك الصِل لعبة على أوراق عقد شراء. ثم امتدت اللعبة للواقع. إذ أثبتت له الملكية التي هي لغيره. ولدغ لدغته! أما المظلوم فاشتكى إلى الله. يقول الدكتور مصطفى محمود: (والكون كله جدول من القوانين المنضبطة الصريحة التي لا غش فيها ولا خداع. سوف يرتفع صوت ليقول: وما رأيك فيما نحن فيه من الغش والخداع والحروب والمظالم وقتل بعضنا البعض بغياً وعدوانا؟ أين النظام هنا؟ وسوف أقول له: هذا شيء آخر. فإن ما يحدث بيننا نحن دولة بني آدم يحدث لأن الله أخلفنا في الأرض وأقامنا ملوكاً نحكم وأعطانا الحرية. وعرض علينا الأمانة فقبلناها. وكان معنى إعطائنا الحرية أن تصبح لنا إمكانية الخطأ والصواب. وكان كل ما نرى حولنا في دنيانا البشرية نتيجة هذه الحرية التي أسأنا استعمالها).هـ. فكتبتُ منددا على البحر المُجتث هذه القصيدة مبيناً ما قام به ذلك الصل الآدمي الحقير في غفلةٍ مني وغفوةٍ ولا شك. والله تعالى المستعان عليه وعلى أعوانه!)

فجعـــــتَ - يـــــا صِـــــلُ - قلبـــــي ... وزدت - بالغـــــــــدر - خطبـــــــــي

وحُـــــــزت مـــــــالي اغتصـــــــاباً ... لكـــــــــي تُعِـــــــــدّ لحربـــــــــي

وكنـــــــت دَلسْـــــــت عقـــــــداً ... بكـــــــــل كيـــــــــدٍ ونهـــــــــب

وقـــــــد أعانـــــــك قـــــــومٌ ... أراهـــــــمُ شـــــــرّ حِـــــــزب

وجئـــــــتُ أطلـــــــبُ حقـــــــي ... معـــــــي رفـــــــاقي وصـــــــحبي

فـــــأنكرَ الصـــــلُ فـــــوراً ... فقلـــــتُ: يـــــا رب حســـــبي

وقـــــال صـــــحبي: تـــــذكّرْ ... وأنـــــت صـــــاحبُ لـــــب

فقـــــال: هـــــذا كـــــذوبٌ ... فقلـــــتُ: أثبـــــتُ كـــــذبي؟

وســـــقتُ أهـــــدى دليـــــل ... مفنـــــداً كـــــل رَيـــــب

وشـــــارحاً كـــــل لـــــبْس ... وفاضـــــحاً كـــــل عَيـــــب

فقـــــال: هـــــل مـــــن عقـــــودٍ ... صـــــحيحةٍ دون لِعْـــــب؟

فقلـــــت: إلا يمينـــــي ... فســـــاق لعنـــــي وسَـــــبي

فقـــــال: مـــــا لـــــك شـــــيءٌ ... فقلـــــتُ: كـــــلا ، وربّـــــي

فقـــــال: دعنـــــي وشـــــأني ... فقلـــــتُ: مـــــولايَ حَســـــبي!

الثعبـــــــان 2

(قبل سنوات كتبت (الربان والثعبان) وأيضا كتبت (الأفعى) وأخيراً كتبت (الثعبان حارساً). واليوم أكتب عن ثعبان آدمي ، يغير جلده كما يغير الثعبان جلده. ولكن التقاة الواعين لا يخدعون في مثل هذا النوع من الثعابين الآدمية والأفاعي البشرية! والعجيب أن كثيراً من الثعابين الآدمية تلك يزخرف لهم الشيطان أحاجيهم وألاعيبهم ، فيظنون أن الناس من حولهم لا تعرف حقيقتهم! والحقيقة المُرة التي يجب أن يعرفها ثعابين الإنس أن كثيراً من الناس يعرفون حقيقتهم ويأخذون حذرهم منهم. ألا وإن الثعبان الحقيقي يمكن أخذ الحيطة منه ، بينما الثعبان الآدمي لا يمكن أخذ الحذر منه ولا الاحتياط من شره ، حيث إنه يلقاك بوجه أبي ذر وقلب أبي لهب. ومن أنت حتى تعلم ما في القلوب وما انطوت عليه النوايا؟ اللهم إلا إذا ذاع سرّه ، وحذر بعضهم بعضاً منه! والأمر كما يقول المثل: يمكنك خداع الناس بعض الوقت ، ولكنك لن تخدعهم كل الوقت!)

أطفـــئْ فحيحَـــك ، إن النـــاس قـــد بصُـــروا ... بمـــا تُـــدبرُ ، واحـــذرْ بـــأسَ مَـــن قـــدروا

غيّـــرت جلـــدَك مَـــراتٍ لتخـــدعنا ... ونحـــن يـــا صِـــلُ لا يُضـــيرُنا الخطـــر

مازلـــت تـــنفخ بالســـموم ســـاعرة ... والســـم أوعَـــرُ مـــا تلقِـــي بـــه الإبـــر

حتـــى عرفنـــاك يـــا ثعبـــان عـــن كثـــب ... وكـــل يـــوم سُـــعار الكيـــد يشـــتهر

فـــي كـــل يـــوم ألاعيـــبٌ مُمَوّهـــة ... يشـــعّ منهـــا لهيـــبُ المكـــر والشـــرر

تعـيش فـي الـوهم ، لا ترضـى بـه بـدلاً ... وتســـتخفُ بنـــا ، كأننـــا غجـــر

يـــا صِـــلُ أقصـــرْ ، فمـــا النعمـــى بدائمـــةٍ ... وذات يـــوم ســـتُنهي ظلمـــك الغِيَـــر

واللهِ مـــا لـــك غيـــرُ التـــوب ، فـــانجُ بـــه ... مِـن لجـة الجَـور وانظـرْ فـي الألـى فجـروا

أودى الفجـــورُ بهـــم ، وقـــضّ مضـــجعَهم ... ثـــم اســـتراحَ مـــن الأخســـة البشـــر

أيـــن الطواغيـــت يـــا ثعبـــانُ مَـــن بطشـــوا؟ ... أيـــن المغـــولُ؟ وأيـــن الفـــرْسُ والتتـــر؟

أيـــن الـــدهاقين مَـــن فـــي غـــيهم رَتعـــوا؟ ... والـــرومُ أيـــن؟ ومَـــن بالنـــاس قـــد مكـــروا؟

أيـــن القياصـــرة العُتـــاة؟ أيـــن مَضَـــوْا؟ ... ألـــم يزولـــوا ، فـــلا ذكـــر ولا أثـــر؟

يـــا صِـــلُ خـــذ عِبـــرة مِـــن كـــل مَـــن ذهبـــوا ... واحـــذرْ ، لقـــد ينفـــعُ المُفـــرِّط الحـــذر

وانظـــرْ لمـــن هلكـــوا تُفـــدْك ســـيرتهم ... وفـــي وقـــائعهم ذِكـــرى ومُزدَجَـــر

دمعـــــة

(قرأ أحد القراء من سورة (يوسف) – عليه السلام - إلى أن وصل قوله: (وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب) ، فانفعلتُ إذ لم ألق من إخوتي الأشقاء غير ما لقي يوسف من إخوته من أبيه. فدمعتْ عيناي دمعة توجّع. قال المعتمرُ بن سليمان: (إن الرجل يُصيبُ الذنب في السر فيصبح وعليه مذلته). قال ابن الجوزي: (نظرتُ في الأدلة على الحق سبحانه فوجدتُها أكثر من الرمل ، ورأيت من أعجبها: أن الإنسان قد يُخفي ما لا يرضاه الله. فيُظهره الله عليه ولو بعد حين! ويُنطق الألسنة به ، وإن لم يشاهده الناس. وربما أوقع صاحبَه في آفةٍ يفضحُه بها بين الخلق ؛ فيكون جواباً لكل ما أخفى من الذنوب ، وذلك ليعلم الناس أن هنالك من يجازي على الزلل ، ولا ينفع من قَدَره وقدرته حجاب ولا استتار). وكانت قصيدتي هذي دمعة عيني!)

دمـــعُ عينـــي يرثـــي لحـــال الأشـــقا ... إن للـــدمع - فـــي مَراثيـــه - حقـــا

والجـــراحُ كـــم أورثتْنـــي همومـــاً! ... والعتـــابُ كـــم أورثَ القلـــب ضَـــيْقا!

كـــم لقِيـــتُ مِـــن حُرقـــةٍ ومَـــرار ... مـــن أنـــاس فـــي حَمـــأة الخـــذل غرقـــى!

حطمـــونـي بخـــذلهم دون حـــق ... كـــم كـــريم - بالخـــذل - يعيـــا ويشـــقى!

كـــم بـــذلتُ للكـــل ، لمَّـــا أقصِّـــرْ! ... والجميـــلُ - عنـــد الأجاويـــد - يبقـــى

كـــم تفضـــلتُ ، كـــي يعيشـــوا كِرامـــاً! ... مـــا أقمـــت - بـــين الأشـــقاء - فرقـــا

غربتـــي زادت بالأشـــقاء ضَـــنكاً ... وأرانـــي مازلـــت ألقـــى وألقـــى!

كنـــتُ أنـــوي أخـــوّة لا تُبـــارَى ... وانطلاقـــاً - بـــالود - غربـــاً وشـــرقا

واعتصـــاماً بالشـــرع يُهـــدي المَعـــالى ... وانتصـــاراً للـــدين يخفِـــقُ خفقـــا

والتزامـــاً بـــالحق يَختـــال فخـــراً ... يَســـحق الأعـــداءَ المُضِـــلين سَـــحقا

واتباعـــاً للـــوحي فـــي كـــل شـــأن ... واحترامـــاً يَفـــيض حُبـــاً وشَـــوقا

فـــإذا بـــي ألقـــى عَـــداءً وكيـــداً ... واحتقـــاراً ألقـــاه - فـــي الـــدرب - حمقـــى

مِحنتـــي فـــيهم ، فـــي الهُـــدى والســـجايا ... مَـــن رآهـــم يقـــول: ليســـوا أشِـــقا

رُبَّ شـــهم يكـــون للمـــرء عَونـــاً ... هـــو خيـــرٌ دينـــاً ، وأوسَـــعُ أفقـــا

الأشقاء الأعداء

(أشقاء شاذون لا يستحقون ما تحتويه الكلمة في طياتها من معاني الإخاء والحب. أحسن إليهم أكبرهم ، وسخره الله لهم أباً دون أب ، وصدراً حانياً بعد أن لفظتهم الصدور ، وكان لهم رداء وظهرا في الغربة. وجعل هؤلاء الأشقاء الأعداء جزاء المعروف خيانة وخسة وغدراً. فسمحوا لشقيقهم بالإهانة وهو الذي أعز شأنهم بين الناس بتوفيق الله إياه لذلك الجميل العظيم وسمحوا له بالضياع الذي أعدوا له عدتهم ، وسمحوا له بذل النفس بين الأراذل ، وكادوا له كيداً ليس لعدو! فأعلنها صراحة أن هؤلاء ليسوا مني ولستُ منهم إلا في مجرد الادعاء الأجوف على الأوراق والألسن ، ورب أخ لك لم تلده أمك. إن كل مسلم لم يعدم الأخوة الحقيقية في أحبائه وأصفيائه من أهل الإيمان بالله. فأرسل ذلك الشقيق الأكبر هذه الرسالة ، يكشف فيها نوايا الأشقاء الأوباش الذين افتعلوا تمثيلية فقط يقنعون أخاهم أنهم عادوا وأنابوا ، والله يشهد إنهم بكل ما تعنيه الكلمة لكاذبون. إذ الحقوق لم ترجع ، والأمر كما أعدوا ورتبوا. إنهم يريدون عودة جوفاء لا أخوة صادقة فيها. وفي مقال عنوانه: (الأخوة في الله) يقول كاتبه أبو سعد الأثري ما نصه: (ينزل المسلم أخاه المسلم منزلة الصاحب لديه ، فيقوم بحاجته من فضل ماله إذا احتاج ، ولا ينتظر سؤاله فإن ألجأه إلى السؤال فهو دليل على تقصيره في حق أخيه ، وإذا انحط المسلم عن هذه المرتبة فهو مقصر مذنب يحتاج إلى فحص نفسه ، وتهذيبها والتوبة إلى الله تعالى. روى أن رجلاً جاء أبي هريرة فقال: إني أريد أواخيك في الله فقال: أتدري ما حق الإخاء في الله؟ قال له: عرفني! قال: ألا تكون أحق بدينارك ودرهمك مني! فقال الرجل: لم أبلغ هذه المنزلة بعد. فقال أبو هريرة رضي الله عنه: فدعك عني. وليس هذا من بنات أفكار أبي هريرة رضي الله عنه فقد وردت مجموعة من الأحاديث تؤكد هذه الحقيقة العظيمة التي مفادها أن المؤمنين بوتقة واحدة ، ليس بينها حواجز. فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ قَالَ فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ قَالَ فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ) . وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُ اعْتَلَّ بَعِيرٌ لِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ وَعِنْدَ زَيْنَبَ فَضْلُ ظَهْرٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِزَيْنَبَ: (أَعْطِيهَا بَعِيرًا فَقَالَتْ: أَنَا أُعْطِي تِلْكَ الْيَهُودِيَّةَ؟ فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَجَرَهَا ذَا الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمَ وَبَعْضَ صَفَرٍ). وعن ابن عمر قال: (ثم لقد أتى علينا زمان أو قال حينٌ وما أحد أحق بدينارٍ ودرهمه من أخيه المسلم ثم الآن الدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة يقول يا رب هذا أغلق بابه دوني فمنع معروفه). ثم يرتفع بعض المؤمنين الصادقين إلى مرتبة الإيثار فيقدم إخوانه على نفسه فيلحق بأولئك الأفذاذ الذين خلد ذكرهم المولى عز وجل في القرآن الكريم: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). فيصبح من المفلحين الذين يغبطهم الشهداء والنبيون. عن يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: (سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُقْطِعَ مِنْ الْبَحْرَيْنِ فَقَالَتْ الْأَنْصَارُ حَتَّى تُقْطِعَ لِإِخْوَانِنَا مِنْ الْمُهَاجِرِينَ مِثْلَ الَّذِي تُقْطِعُ لَنَا قَالَ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي). ومن هذا النوع من الإيثار الذي يعجز الزمان أن يأتي بمثله ، ما حصل بين المهاجرين والأنصار عندما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم بعد الهجرة. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي وَانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوِيتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا فَإِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا قَالَ

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ قَالَ سُوقُ قَيْنُقَاعٍ قَالَ فَغَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فزاحمهم وبزهم في ميدانهم ، فما لبث غير قليل حتى كسب مالاً وتأهل من ماله ولم يرزأ سعداً بشيء). لقد كان عبد الرحمن عفيفاً ولكن تعجز النساء أن يلدن مثل سعد بن الربيع رضي الله عنه. هذه مرتبة مستحبة ، وليست هي واجبة أو فريضة محتمة كما كان في دين السيد المسيح الوجيه المقرب صلى الله عليه وسلم ، إذ قد روي أن أتباعه كانوا يخرجون من أموالهم ويضعونها في صندوق مشترك تصرف منه أمراؤهم على كافة أفراد الجماعة. طيب الكلام والمبسم والبشاشة في وجه الأخوة ورد السلام والفرح باللقاء! لأنه مدعاة لجلب المحبة ودوامها وفي هذا يقول المولى عز وجل: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا). ووصف عباده الصالحين أنهم طيبي الكلمة فقال عز وجل: (وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنْ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ). والقول الطيب والكلام الحسن يبطل كيد الشيطان ويسد أمامه الطريق للإفساد والتفريق بين الأخوة وفي ذلك يقول تعالى: (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا). وهذا أمر من الله سبحانه وتعالى يفيد وجوب طيب الكلام وحسنه واختيار أفضل العبارات أوضحها في التعبير عن المقصود وإدخال السرور على قلب أخيك كل ذلك يدخل في مفهوم طيب الكلام ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ). ومن طيب الكلام أن يدعو أخاه بأحسن أسمائه وأحبها على قلبه يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (ثلاث يصفين لك ود أخيك تسلم عليه إذا لقيته وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه). والمبسم والبشاشة في وجه الأخوة من موجبات الأخوة الإيمانية وكذلك هو من وسائل كسب القلوب ، لأن الوجه عبارة عن المرآة التي تعكس ما هو موجود في داخل أعماق الإنسان ، فإذا كان الوجه طليقاً بشوشاً كان موحياً بالبشر والمحبة في نفس المقابل ، أما عن كان عبوساً مظلماً فلا شكَ أنه يوحي في قلب المقابل بالضيق والاشمئزاز وعدم الانشراح ، فعلى الإخوة أن يطلقوا وجوههم فيما بينهم وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ).هـ.)

أيهـــا الأوبـــاشُ ، عـــزّ الطلـــبُ ... ومِـــن الـــدعوى يفـــوحُ الكـــذبُ

حَصـــحصَ الحـــق ، فـــلا تعتـــذروا ... مـــا علـــيكم - فـــي التـــدني - عَتـــب

خيبـــة حَلـــتْ علـــى أكبـــركم! ... والأشـــقاءُ الخزايـــا سَـــبب

حســـرة فـــي القلـــب تكـــوي غـــدَهُ ... وبـــلاءٌ - مِـــن عـــل - ينســـكب

وشـــقاءٌ يغمـــرُ الـــنفسَ جَـــوىً ... ومُصـــابٌ شَـــبّ فيـــه التبـــب

ودمـــوعٌ تُغـــرقُ العـــينَ أسَـــىً ... وعـــذابٌ - فـــي صَـــداهُ - اللهـــب

وجـــراحٌ نزفهـــا مُنفعـــلٌ ... وإبـــاءٌ فـــي الـــدجى ينتحـــب

وشـــموخ هـــانَ يـــا أوبئـــة ... وعلـــى البـــاغي اللظـــى ينقلـــب

وعلـــوٌ - فـــي الـــورى - بَـــدّدَهُ ... كيـــدُ مَـــن - بالمُوبقـــات - اختضـــبوا

وكرامـــــــاتٌ ثـــــوى سُـــــــؤدَدُها ... وانـــزوى - خلـــف الســـراب - النســـب

لا تقولـــــــوا: ذا شـــــــقيقٌ أبـــــــداً ... إنكـــــم لـــــم تفعلـــــوا مـــــا يجـــــب

لا تقولـــــــوا: ذا أخونـــــــا ، فأنـــــــا ... لســـــتُ للصـــــرعى - إذن - أنتســـــب

لا تقولـــــــوا: إننـــــــي أكبـــــــرُكم ... بيننـــــا ضـــــاعت - تـــــروْن - النِســـــب

لا تقولـــــــوا: ذاك منـــــــا ، فأنـــــــا ... كـــــــلَ نـــــذل مـــــــنكمُ أجتنـــــــب

لا تقولـــــــوا: دمُـــــــه مِـــــن دمنـــــــا ... فـــــدمي عـــــن دمكـــــم مُغتـــــرب

اصـــــدقوا النـــــاسَ ، ولا تخترعـــــوا ... مـــــنكمُ الصـــــدقُ غـــــدا ينتحـــــب

لـــــم تُراعـــــوا حُرمـــــة شـــــرّعَها ... ربنـــــا المَـــــولى ، فـــــلا تضـــــطربوا

أنـــــتمُ نـــــارٌ بـــــدربي اشـــــتعلتْ ... والأســـــى - مِـــــن وهْجهـــــا - يلتهـــــب

أيهـــــا الأوغـــــادُ أنـــــتم ألمـــــى ... ليتنـــــي مِـــــن مَكـــــركم احتجـــــب

إننـــــي قـــــدمتُ خيـــــري غـــــرداً ... عنـــــد لربـــــي إننـــــي أحتســـــب

فـــــانتقلتم مِـــــن ضـــــنىً يقـــــتلكم ... وقلاكُـــــــم فقـــــــركُم والـــــــوَدَب

كنـــــتمُ - فـــــي النـــــاس - عِبئـــــاً قـــــذراً ... واعتلـــــتْكم - فـــــى البرايـــــا - الكُـــــرب

ثـــــم أصـــــبحتُم رُكامـــــاً مَحِـــــلاً ... وقطيعـــــاً - فـــــي الـــــورى - يحتـــــرب

لـــــيس عَـــــوْدٌ - بيننـــــا – يـــــا همَـــــجٌ ... أنـــــتمُ - فـــــي النـــــاس - بـــــئس العصـــــب!

إننـــــي فـــــي غيـــــركم مُبـــــتهجٌ ... وبكـــــم قلبـــــي مَهـــــيضٌ لجـــــب

أحمـــــــدُ الله علـــــــى فرقتِنـــــــا ... ثـــــم - بعـــــدَ اليـــــوم – لا أكتئـــــب

قد عرفتُ الطريق!

(مجموعة أشقاء أخلدوا إلى الأرض ، واتبعوا أهواءهم إلا واحداً آثر طريق الحق ، فراح يُصرّح لهم أنه عرف الطريق. والأصل أن لا يكون الأشقاء كذلك في دارهم ، فما بالنا إن كانوا في دار غربةٍ ومذلة؟! فتخيلت ذلك الشقيق الذي أمسى يغرّد خارج السرب وبعيداً عن الدار ، وينادي أمواتاً غير أحياء هم أشقاء له ، ويعاتب دهراً لا يلين لعاتب عندما يزعم أن واحداً منهم يُصغي لعتابه ، ويرثي لحاله ويبكي لبكائه. تخيلتُه يهتفُ قائلاً: لقد عرفتُ الطريق الذي يجبُ أن أسلكه في غربتي ، وهو أن أعيشَ وحدي متفيأ ظلال التوكل على الله وحده في تلك الغربة القاسية! ذلك أن الوحدة في هذه الحال خير من عِشرة قوم مُتخاذلين أشحّة على الخير!)

ألا قـــد كفـــاكم تُرَّهـــاتٍ وجَعجعـــة ... فلســـتُ أرى - فيمـــا تقولـــون - منفعـــة

(أشِـــقاءُ) هـــذي - فـــي البطاقـــات - دُوّنـــتْ ... ولكـــن مثلـــي لـــيس - فـــي القـــوم - إمعـــة

أناصـــحُ لـــو تـــدرون معنـــى نصـــيحتي ... لعشـــنا جميعـــاً فـــي رخـــاءٍ ، وفـــي دَعـــة

ولـــم أدّخـــر نصـــحاً يُصَـــفي نفوســـنا ... فقـــال فريـــقٌ: يمـــلأ الـــدار قعقعـــة

وقـــال فريـــقٌ: دربُـــه لا تروقنـــا ... وإن ســـاق أشـــقانا البـــراهينَ مقنعـــة

وقـــال فريـــقٌ: يُـــؤثِر الحـــق منهجـــاً ... وهـــذا الـــذي أغـــرى بـــه ، ثـــم ضـــيَّعه

وقـــال فريـــقٌ: لـــو ســـمعنا كلامـــه ... لضِـعنا ، ومَـن يقـوى علـى الـذل والضـعة؟

وقـــال فريـــقٌ: لـــيس يَرضـــى بحالنـــا ... لنـــا أدوُرٌ شِـــيدَتْ ، وللشـــهم صـــومعة

ولا ، والـــذي لـــم يخلـــق الخلـــقَ غيـــرُهُ ... أراكـــم أصـــبتُم كـــل زور وجعجعـــة

ألا إننـــي أبصـــرتُ دربـــي وغـــايتي ... ونفســـي لهـــذا الحـــق - والله - طيّعـــة

فـــلا تحســـبوني فاقـــدَ الحـــس مـــثلكم ... ألـــوكُ خـــواري إن بُليـــت بمَعمعـــة

ولـــيس شـــجاعُ القـــوم مثـــلَ جبـــانهم! ... كمـــا أن ليـــثَ الغـــاب لـــيس كضـــفدعة!

ألا إننـــي أدركـــتُ رُشـــدي ومَـــأملي ... فخلـــوا ســـبيلي ، إننـــي اليـــوم فـــي سَـــعة

ومـــا أنـــا مـــنكم ، فاعلموهـــا صـــراحة ... وقلبـــي قـــلا ممـــن أهـــانوه أربعـــة

الشقيقتـــــان!

(عاشوا إخوة وأخوات أشقاء من أب واحد وأم واحدة ، في بيت واحد! لهم ذات الآمال ونفس الطموحات وعين الأمنيات! ووحّد الفقر بينهم ، فكانوا عُصبة على من سواهم. وكان الناس يعجبون من أين يأتي أبو الأطفال الستة في مختلف مراحل العمر بالطعام والشراب والغطاء والدواء والإيجار والماء والكهرباء والدروس الخصوصية والتعليم والترفيه؟! وإنها إرادة الله تعالى أنه ذات يوم يسافر أحد الأبناء ، وفيما يبدو كان أخلصهم وأوفاهم ، ولم يكن أخسّهم ولا أحقرهم ولا أنذلهم! وكان فاتحة خير عليهم جميعاً! وما زال يذكر وصية أبيه على محطة القطار: (لا تتركني ، لا تنسني ، إخوتك لا يزالون صغاراً ، وخصّ بالذكر الشقيقتين اللتين هما موضوع القصيدة). فبدأ الابن المسافر في انتشال هؤلاء الأبناء جميعاً ، وأخذ على عاتقه كسر فقر العائلة المنكوبة البائسة في فترة وجيزة ، وكان ذلك كله على حسابه هو! وضحّى بالكثير الكثير من ماله وجهده ووقته ومزاجه وحقوق أسرته (زوجه وولده)! وتغير حال الأسرة فأصبحت تتكلم في البنايات والعقارات التي كانت ترى صورها في الجرائد والمجلات فقط! أو تراها في أيدي مُلاكٍ آخرين من أهل القرية! وبدأ الجميع بأخذ الثأر من رجل هو ابن من أبنائهم وأخ من إخوتهم: فمن سارق لأرضه بالحِيلة ومدلس في عقد الشراء الذي كان ينبغي أن يكون باسمه ، فإذا هو محرر باسم سواه! وتلك أمانة يُسأل فيها وعنها الأب حيث كان كل شيء قد عُهد إليه فيه ، وأخذت مشورته كذلك فيه ، وبوصفه طرفاً وشاهداً ومتعهداً في نفس الوقت بإرجاع المال لصاحبه أو صيانته على الوجه الأمثل! وأخ آخر كان قد سرق كتب أخيه ومراجعه وأشرطته جميعاً ، كأن أخاه هذا قد مات وورثه ذلك الأخ فقط! علماً بأنها كانت أمانة عند الجميع! وتشمت العائلة بأسرها في ذلك المحسن الشهم ، كأنهم يقولون له: لم أحسنت إلينا؟ لم اهتممت بنا؟ لم أصلحت شأننا؟ لماذا كنت شهماً محسناً معنا؟ أما كان الأحرى بك أن تكون نذلاً أنانياً تعيش لنفسك فقط؟ أما كان أولى بك أن تكون وبشاً منحطاً وضيعاً لا يمتد خيره إلى غيره؟ والحمد لله أنه كان ينتظر الأجر من الله أولاً وآخراً! ولكنه كان يتوقع أنهم عندما يُغنيهمُ الله من فضله ، فسوف يعودون عليه بشيء من ردّ الجميل ، إن لم يكن كأخ لهم يحمل اسمهم وينتسب إليهم ، فكغريب سخره الله تعالى لهم ، فاهتم بهم ، واعتنى بشؤونهم ، حتى أدركوا ما هم فيه! وتناقش الشهم المحسن معهم ، وحذرهم من سوء العاقبة وشر المآل ، ولكن كل فرد فيهم صغيراً كان أم كبيراً كان يُناصبه العداء ، وكأن الرؤوس قد تساوت! وكأن المقادير قد سقطت! وبالطبع لم تكن أوراق تثبت هذه الحقوق ، فضاع كل شيء! وإذا بقطار الأخوة والقرابة يتجاوزهم جميعاً ، فما هؤلاء بالإخوة ولا هم بالقرابة ولا بالمعارف فضلاً عن أن يكونوا أصدقاء! وبرئتْ منهم الأخوة والقرابة كما برئت المعرفة والرفقة والصداقة! واتسع الخرق على الراقع ، حيث أنكر كل طرف الحق ، وتنكر للحقيقة التي إن ضاعت عند الناس ، فلن تضيع عند الله تعالى رب الناس! إن الحال الذي وصل إليه هؤلاء الأشقاء مع شقيقهم أنهم من غير أصحاب المروءة والنبل! كما أنهم من غير أصحاب الاجتهاد في الدين! إن المروءة وحدها حَريّة بأن تقيم مجتمع الكفاية والعدل! فإذا وجد معها التوحيد والعقيدة ، كان ذلك المجتمع مجتمعاً إيمانياً متكافلاً متضامناً متكاملاً! وكان طبيعياً أن تصل العلاقة إلى هذه النهاية بينهم ، لأنهم للأسف يجمعون إلى صفات الخسة والنذالة كراهية الالتزام بالإسلام كما أسلفنا ، فالدين عندهم حفنة من المناسك وليس له علاقة بالحياة ولا الأحياء بعد ذلك! والتوحيد عندهم هو الربوبية فقط! وإذن فليس لهم لون اجتهاد في الإسلام! وهذا الذي أجهز على العلاقة من

طرف أخيهم الشهم ذي المروءة! فالعلاقة من طرفهم انقطعت لأن أخاهم ليس على ما هم عليه من جاهلية وانحراف وبُعد عن الدين وجهل بأحكامه المعلوم منها بالضرورة وغير المعلوم! ويضاف إلى ذلك ثافية الأثافي أنهم يقيسون أخاهم بما يملك! لأنهم يملكون وقد أغناهمُ الله من فضله! وذلك بالقدر الذي أصبح أخاهم فيه أدنى درجة: مالاً وجاهاً وعقاراً وبنايات! وإذن فطبقته لم تعد مثل طبقتهم! وزاد حبات الطين بلة أنهم ربّوا أبناءهم وبناتهم على ذلك! فشب الأبناء والبنات يكرهون عمّهم! أما من ناحيته فليس يرى شيئاً من ذلك! فقط يريد التوحيد والعقيدة ويصالح ويسامح ويعطي ويمنع ويكره ويحب على أساسهما! ذلك لأن المؤمن قد يكون جباناً ، فليس عنده من الشجاعة القدر الذي يستطيع معه نصرة أخيه! وقد يكون المؤمن بخيلاً ، فليس عنده من المروءة والشهامة والنجدة ما يجعله يتجاوز بأخيه فقره وعوزه وحاجته ابتغاء مرضاة الله! ولكن هل يكون المؤمن جاهلياً معرضاً لا يعرف الفرق بين الإسلام والإيمان؟ ولا بين الإله والرب؟ ولا بين الدين والعبادة؟ ولا يعرف من لا إله إلا الله إلا الحروف ولا يحقق مضمونها ولا يطبق شروطها فضلاً عن أن يعرفها؟ هذا ليس وارداً على المؤمن أبداً! هل يستوفي المؤمن حياة الجاهلية ويعجب بها ويسترسل في عبادتها من دون الله تعالى! ويخاصم ويصالح ويحب ويكره على أساسها؟ ماذا بقي له من الإسلام سوى الانتساب الأجوف الباهت الهزيل الذي ليس له رصيد من الواقع! إنه لا خير في رجل كان جُهال المشركين الأوائل أعلم منه بلا إله إلا الله ولذلك أبوا أن يقولوها! فلا عقيدة وتوحيد وإسلام وإيمان ، بمروءة ونجدة ، فنقول: إخوة مؤمنون أجاويد ذوو شهامة ومروءة ونجدة! ولا عقيدة وتوحيد وإسلام وإيمان ، بدون مروءة ونجدة ، فنقول: إخوة مؤمنون موحدون بخلاء جبناء ، فهم مقبولون لإيمانهم وتوحيدهم وعقيدتهم أساساً! ولا هم بعد ذلك إخوة ذوو معايير إنسانية بصرف النظر عن التوحيد والعقيدة ، فهم مقبولون في مضمار البر العام والإقساط العام الذي أمر الإسلام بهما مع غير المسلمين! أما إخوة بلا توحيد ولا عقيدة ولا لون اجتهاد في الإسلام ، وبخلاء أشحة أنذال أوباش أنانيون ، فعلى أي منهج نلتقي؟ وفي أي مضمار يمكن أن نتآذر؟ إنها علاقة وئدتْ يوم ولدتْ! كالتي كان الواحد من أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم - يجهر بها لقرابته من غير مِلته: (إليك عني يا أبتاه – إليك عني يا زوجتاه – إليكم عني يا إخوتاه ، فرّق بيني وبينكم دين محمد – صلى الله عليه وسلم -!) يقول الدكتور / خالد الغامدي متحدثاً عن المروءة وأصحابها: (إن مِن أعظم مقاصِدِ بِعثة المُصطفى – صلى الله عليه وآله وأصحابه جميعاً وسلم – أن يُتمِّمَ مكارِمَ الأخلاق وصالِحَ الآداب ، ويُنشِئَ في الأمة النماذِجَ الأخلاقية الراقِيَة ، والمُثُل والآداب السامِيَة التي تَكفَلُ الحياةَ الكريمةَ والسعادةَ ، والعزَّةَ للفرد والجماعة. وإن فروعَ هذه الأخلاق الإسلامية الراقِيَة كثيرةٌ ومُتشعِّبة ، ولكنها تجتمِعُ كلها في أصولٍ عظيمةٍ ، وأركانٍ متينةٍ ، تلتَقِي فيها كلُّ الآداب النبوية والأخلاق المُصطفوية ، وما تعارَفَت عليه العقولُ الصحيحةُ والعاداتُ الحسنة. هذا وإن مِن أعظم هذه الأصول الجامِعة المانِعة: أصلًا عظيمًا يجتمِعُ تحتَه ما تفرَّق ، وينتَظِمُ في سِلكِه ما تشعَّب ، ألا وهو: المُروءةُ. وما أدراكُم ما المُروءة؟! إنها منبَعُ الخيرات ، ومُلتَقَى الآداب ، وعِمادُ الحياة الشريفة الحُرَّة ، وجِماعُ المحاسِنِ والكمالاتِ ، وأساسُ الإنسانية ، وكمالُ الرجولية. بها يتفاضَلُ الرجالُ والنساءُ ، حتى عُدَّ ألفٌ بواحدٍ ، والناسُ كمعادنِ الذهبِ والفضَّة ، وكإبلٍ مائةٍ لا تكادُ تجِدُ فيها راحِلةً إلا مَن كمَّلَ نفسَه بأخلاق المروءة التي تُحِبُّها النفوسُ الكِبارُ ، ويَهِيمُ بها العُظماءُ والنُّبلاءُ ، ويرتفِعُ بها العبدُ في قلوبِ الناسِ وإن كان أقلَّ منهم مالًا وجاهًا. وتلك فِطرةُ الله تعالى التي فطَرَ الناسَ

على حبِّ المُروءة ، والاتِّصاف بها ، ورِفعة شأن المُتحَلِّين بها ، لا تبديلَ لخلقِ الله. فِطرةٌ مركوزةٌ في الخليقة والبشرية ، حتى إن النفسَ لتنتَشِي فرَحًا حينما تُوصَفُ بأنها مِن أهل المُروءات ، أو ترى أفعالَهم. وقال – عليه الصلاة والسلام -: «إن الله يرضَى لكم ثلاثًا ويكرَهُ لكم ثلاثًا ؛ فيرضَى لكم: أن تعبُدُوه ولا تُشرِكُوا به شيئًا ، وأن تعتصِمُوا بحبلِ الله جميعًا ولا تفرَّقُوا ، وأن تُناصِحُوا مَن ولَّاه اللهُ أمرَكم ، ويكرَهُ لكم: قِيلَ وقالَ ، وكثرةَ السُّؤال ، وإضاعةَ المال» ؛ أخرجه أحمد ومسلم عن أبي هريرة. وقد لزِمَ هذا السَّنَنَ النبويَّ الرفيعَ صحابتُه الكرامُ – رضي الله عنهم – والتابِعُون لهم ، وأورَثُوه إلى مَن بعدَهم مِن العُلماء والفُضلاء والنُّبلاء الذين كتَبُوا في ذلك الرسائل والكُتُب التي تُبيِّنُ للناسِ آدابَ المُروءة وخِصالَها ، حتى إنهم جعلُوا مِن أهم صِفاتِ راوِي الحديث ومَن تُطلَبُ مِنه الشهادةُ في الأُقضِيات أن يكون مُتحلِّيًا بآداب المُروءة ، مُجتنِبًا خوارِمَها ومُفسِداتها. بل قد حثَّ النبيُّ – صلى الله عليه وآله وسلم – على التسامُح مع أهل المُروءات ، والعفوِ عن خطئِهم وعثَرَات أقدامِهم ؛ لمُروءتِهم ونُبلِهم ، فقال – عليه الصلاة والسلام -: «تجافَوا عن عُقوبةِ ذوِي المُروءةِ» ؛ أخرجه الطبرانيُّ عن ابن عُمر بسندٍ صحيحٍ. وقال أيضًا – عليه الصلاة والسلام -: «أقِيلُوا ذوِي الهيئاتِ عثَرَاتهم إلا الحُدود» ؛ أخرجه أحمد وأبو داود عن عائشة – رضي الله عنها-. فأهلُ المُروءات مِن العُلماء والفُضلاء وصالِحِي المُسلمين ، لهم فضلُهم ومكانتُهم ومنزلتُهم ، ولا يجوزُ أبدًا أن تُهدَرَ فضائِلُهم ، أو تُطمَسَ مناقِبُهم لزلَّةِ قدَمٍ أو كَبوَةِ جَوادٍ ؛ وما ذاك إلا لشرفِ المُروءة وعلُوِّ كعبِها والتي تحمِلُ صاحِبَها وترفعُه وتُزكِّيه ، وإذا بلغَ الماءُ قُلَّتَين لم يحمِلِ الخبَثَ. والله – سبحانه وتعالى – قد احتمَلَ لكليمِهِ مُوسَى – عليه وعلى نبيِّنا الصلاة والسلام – احتمَلَ له إلقاءَه ألواحَ التوراة ، وأخذَه بلِحيةِ أخيهِ هارُون – عليه السلام – يجُرُّه إليه وهو نبيٌّ. وإن المروءةَ خُلُقٌ عظيمٌ ، وإذا نزلَت في جَذرِ قلوبِ الرجالِ والنساءِ أثمَرَت وطابَت بها الحياة ، وسعِدَت الأرواح وهذَّبَت ما في النفوسِ مِن آفات الشُّحِّ المُطاع ، والهوَى المُتَّبَع ، وإعجابِ كلِّ ذي رأيٍ برأيِه. ولا تكادُ تجِدُ امرأً قد تمكَّنَت المُروءةُ مِن قلبِه ورسَخَت إلا كان لله عامِلًا عابِدًا مُطيعًا ؛ لأنه يعلَمُ أن ارتِكابَ المُحرَّمات ، والتساهُلَ في غشيان المُنكرات والرِّضا بها مِن أخطر خوارِمِ المُروءة ومُفسِداتها. ثم إن أهل المُروءات أصحابُ هِممٍ عالِية ، وإراداتٍ حازِمة ؛ فإنه لم يُرَ أقعَدَ عن المكرُمات مِن صِغَر الهِمَم ، فلذلك تجِدُهم يضرِبُون في كل خيرٍ بسَهمٍ ، ويُسابِقُون في وجوهِ الإحسان ، وهم يستعمِلُون مع الناسِ كلِّهم حُسنَ الأدبِ والخُلُقَ الحسنَ في القولِ والفعلِ ، في الجِدِّ والمِزاحِ ، في السرَّاء والضرَّاء ، في السفَر والحضَر ، في الحبِّ والكُرهِ ، فلا يصدُرُ منهم إلا جميلُ القول والفعل ، كما قال – سبحانه-: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا). ومِن نُبلِهم ومُروءتهم: أنهم يقومون بحوائِجِهم وحوائِجِ أهلِيهم ومَن يعُولُون ، فليس مِن المُروءة أن يُضيِّعَ المرءُ نفسَه وأهلَه وعِيالَه ، ولا أن يجعلَهم عالةً يتكفَّفُون الناسَ ويسألُونَهم. ولذلك فهم يحرِصُون على إصلاح أموالِهم ، ويَنوُون في ذلك نيَّةً طيبةً مِن العفافِ والاستِغناءِ عن الناس ، ونِعمَ المالُ الصالِحُ للرجلِ الصالِح. ومِن أجمل صِفاتِ أهل المُروءات: الحِلمُ والرَّزانة ، والتثبُّت والتأنِّي والهُدوء ، والبُعد عن الطَّيش والعجَلَة والنَّزَق والتهوُّر ، وخِفَّة العقل عند حُلول الحوادِثِ والنَّوائِب. وإن مِن خوارِمِ المُروءة: أن يكون المرءُ داعِيةَ شرٍّ وإرهابٍ وفوضَى وفساد ، أو يكون مِن الهَمَجِ الرَّعاع أتباعَ كلِّ ناعِقٍ ، يَمِيلُون مع كل رِيحٍ ، لم يستضِيئُوا بنُور العلمِ والحكمةِ ، ولم يلجَأوا إلى رُكنٍ وثيقٍ مِن الحُكماء الحُلماء ، مِن العُلماء الذين أمرَنا ربُّنا – سبحانه – أن نرُدَّ إليهم الأمرَ مِن الأمن أو الخوف. ولذلك كان مِن صِفات أهل المُروءات:

مُجالسةُ الصالِحين ذوِي المُروءة والنُّبل والعقل والحِكمة والبُعد عن مُجالسة الخُبثاء الأشرار الذين سقَطَت مُروءاتُهم في توجُّهاتٍ مُنحرِفةٍ. ومِن أنبَلِ خِلالِ أهل المُروءات: أنهم يُعامِلُون الناسَ بصِدقِ قلبٍ ، وصفاءِ نفسٍ ، بَعِيدُون عن النِّفاقِ والتلوُّن ، يُحبُّون للمُسلمين ما يُحبُّون لأنفسِهم ، ولا يحمِلُون غِلًّا ولا حسدًا ولا حقدًا للذين آمنوا ، فلذلك يُوفِّقهم الله – سبحانه - ، فيُنجِّيهم مِن مواطِنِ الذمِّ والعيبِ واللَّومِ. والمُروءةُ تحمِلُ صاحبَها على صِيانة نفسِه وحِمايتِها مِن كل ما يَعيبُها ، ويُزرِي بها عند الله وعند خلقِه في كل زمانٍ ومكانٍ فتعلُو هِمَّتُه ، ويصلُبُ عزمُه وحزمُه ، ويبتعِدُ عن كل ما يخدِشُ الإيمانَ والحياءَ مِن الدَّنايا والرَّزايا. وإن مِن أدبِ أهل المُروءات: أنهم يُراعُون الأعرافَ والعادات الطيبة الحسنة عند الناسِ ، ولا يُشهِرُون أنفسَهم بلِباسٍ أو مظهرٍ أو أمرٍ يُخالِفُون به أعرافَ الناسِ الطيبةَ التي تُخالِفُ الشرعَ ؛ لأن مُجاراةَ العُرف الحسَن مِن الأمور المُعتبَرَة شرعًا ، خاصَّةً إذا ترتَّبَ على المُخالفَة مفاسِد ، فإنهم – أعني: أهلَ المُروءات – مِن أحرصِ الناسِ على تأليفِ القلوبِ ، وتطييبِ النفوسِ ، ومَدِّ بِساطِ الأُخُوَّة والمحبَّة ، وتلك شِيَمُ الكِرام أهل المُروءات والنُّبل).هـ. ولا شك في أن الناس يحبون أصحاب المروءات لكرمهم عليهم ورفقهم بهم وإحسانهم إليهم! إن أهل المروءة قد غزوا قلوب الناس بهذه المروءة وبذلك الإحسان! ولا يدرك ذلك ولا شيئاً من ذلك الأراذل الأوباش الوضعاء الأنذال الأنانيون ، الذين شعارهم نفسي نفسي! أو نفسي ومن بعدي الطوفان! تعساً لهم ولما ارتأوْا من القيم الوضيعة الهزيلة التي تُزري بأصحابها إن كان عند الواحد منهم دمٌ أو شعور! والشيخ الدكتور خالد بن عثمان السبت يقول في المروءة: (إن المسلمين قد اختلطوا بغيرهم من الأمم ، وتداخل الناس حتى صاروا إلى ما صاروا إليه ، مما أثر سلباً على كثير من أخلاق المسلمين ، وجعل كثيراً منهم يتحللون ويتخففون من كثير من المؤن التي من شأنها أن يرتفع بها الإنسان ويسمو ، ويكون على حالة مرضية من الأخلاق ، ومقومات الإنسانية ، فهم قد اختلطوا بأقوام لا خلاق لهم ، ولا يرفعون للمروءة رأساً ، ولا شك أن هذه الخلطة تؤثر أبلغ تأثير. والأمر الآخر: وهو ما حصل من غلبة المادة على كثير من المسلمين ، فصار هم كثير منهم أن يحصل بغيته ومطامعه ، ولو كان ذلك على حساب الأخلاق ، ولو كان ذلك على حساب كرامته وشيمته ومرتبته عند الله - عز وجل - وعند خلقه ، فإذا تهافت الناس على هذه المادة ، وصارت شغلاً لهم ، وصارت هي غاية مطلوبهم ، فإنهم بعد ذلك قد لا يرفعون رأساً لمكارم الأخلاق ومحاسن العادات. وهناك أمر ثالث: وهو أن الإنسان مدني بطبعه ، فلا بد له من مخالطة ، وهذه المخالطة تقتضي أموراً يجب عليه أن يفعلها ، من إكرام الضيف ومن الإحسان إلى الأهل والجيران والقرابات ، إلى غير ذلك من الحقوق والواجبات التي يتعين عليه أن يؤديها ، وأن يقوم بها على الوجه المطلوب ، ثم أيضاً لا يخلو الإنسان من أضداد ، ولا يخلو الإنسان ممن يسيء إليه بكلمة أو بفعل أو بغمز أو همز أو لمز أو بغير ذلك. الإنسان مدني جداً بطبعه ، فلا بد له من مخالطة ، وهذه المخالطة تقتضي أموراً يجب عليه أن يفعلها ، من إكرام الضيف ومن الإحسان إلى الأهل والجيران والقرابات ، إلى غير ذلك من الحقوق والواجبات التي يتعين عليه أن يؤديها ، وأن يقوم بها على الوجه المطلوب ، ثم أيضاً لا يخلو الإنسان من أضداد ، ولا يخلو الإنسان ممن يسيء إليه بكلمة أو بفعل أو بغمز أو همز أو لمز أو بغير ذلك. وأنت تسير في الطريق لربما ألقى عليك إنسان لا يحسب حساباً للكلام لا تليق ، فماذا تصنع؟ هل تنزل فتكون مساوياً لهذا الإنسان في أخلاقه ودناءته وتقاصره عن المطالب العالية ، وبالتالي تكون قد ساويته. وأنت تتحدث في الهاتف لربما أخطأت الرقم المطلوب ، وابتليت بمن

لا خلاق له فسمعت منه ما لا يرضيك ، فهل تتطاول مع هذا الإنسان بالسباب والمشاتمة؟ تكون إذن قد ساويته. لربما ترتبط مع إنسان في عقود ، أو في عهود أو في مبايعات ومعاملات أو شراكة أو غير ذلك ، فترى من ألوان المطل والظلم وأكل حقوق الناس والكذب وإخلاف المواعيد ، فكيف تستخلص حقك؟ وكيف تحرز نفسك من ظلم هؤلاء الذين لا يعبأون بحق ، ولا يرعون ذمة ولا عهداً ، فهل تبقى معهم في حال من المهارشة تنـزل فيها عن مستواك الرفيع فتصل إلى دركات هابطة من أجل أن تستخلص هذا الحق ولو كان حقيراً؟ فأقول: الإنسان بحاجة إلى أن يضبط نفسه في مثل هذه المقامات جميعاً ، فهذا أمر لا بد من معالجته. نحن نرى في كثير من الأحيان والأحوال ، خللاً في مظاهر المروءة في حياة الناس ، في اجتماعاتهم ، وفي معاملاتهم ، وفي مناسباتهم وفي غير ذلك مما يتعاطونه ، فإذا ترك الناس ولم تصوب أفعالهم ، ولم يحصل التواصي الذي أمر الله ـ عز وجل – به ، فإن الناس يسرق بعضهم أخلاق بعض ويتأثرون ، شعروا بذلك أم لم يشعروا ، وكما قيل: الطبع سراق ، والناس كأسراب القطا جبلوا على تشبه بعضهم ببعض ، فإذا تركت هذه المظاهر من غير معالجة ، فإن ذلك لا يلبث أن يتحول إلى خلق لعامة الناس ، ويصير فيه أصحاب المروءات غرباء كالشعرة البيضاء في جلد ثور أسود. والمروءة: مأخوذة من لفظ المرء كما تقول: الفتوة من الفتى ، والإنسانية من الإنسان ، والرجولة من الرجل. وحقيقة هذه المروءة هي أن يتصف الإنسان بصفات الإنسان الحقيقية ، التي يفترق بها عن الحيوان وعن الشيطان ، إذ أن النفس تشتمل على دواع شتى ، في النفس ما يدعو إلى أخلاق الشيطان ، والشيطان يدعو إلى ذلك من الكبر والحسد والعلو والبغي والشر والأذى والفساد والغش وفي النفس ما يدعو إلى الأخلاق البهيمية بالجري خلف الغرائز البهيمية ، والبحث عن اللذات ، كما أن في النفس ما يدعوها إلى أخلاق الملك من العلم والإحسان والنصح والبر والطاعة. فإذا استطاع الإنسان أن يتجرد من داعي الهواء والشيطان والنفس الأمارة بالسوء ، وأن يتخلق بالأخلاق الفاضلة التي تتلاءم مع إنسانيته فينـزع إلى أخلاق الملك ، كما قال بعض السلف ـ رضي الله تعالى عنهم ـ فإنه يكون بذلك أسمى وأعلى. وهذا السمو الذي حصله والعلو الذي حققه هو حقيقة المروءة ، ولذا فعلى الإنسان أن يسمو عن الأخلاق الهابطة المشينة ، التي لا تليق بالإنسان ؛ ولذا قيل: المروءة هي غلبة العقل على الشهوة ، أي: أن تزم الشهوة بزمام العقل. إن المروءة هي كمال الإنسانية ، وهي الرجولة الكاملة ، وهي ما يسميه العامة في عصرنا الحاضر وبلغتهم الدارجة هي المراجل ، هي ما يقولون عنه ويعبرون حينما ينشئون الصغار ، هي درب الطيب ، هي المكارم ، هي السمو والرفعة والعلو ، في الأخلاق ، هي أن يترفع الإنسان ويتكرم وأن يعلو بنفسه عن أخلاق السفلة ، وعن أخلاق البهائم حيث تتهارش على شهواتها ورغباتها. البهائم جعلها الله ـ عز وجل ـ بشهوات من غير عقول ، وجعل الله ـ عز وجل ـ الملائكة موصوفين بالعلم من غير غرائز ولا شهوات ، وركب الله ـ عز وجل ـ الإنسان فجعل فيه ما ينـزع إلى الشهوات وما ينـزع إلى العلم والضبط والعقل والإدراك والمعرفة ، فهو بحسب ما غلب عليه. المروءة هي جماع مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب ، هي كمال النفس بصونها عما يوجب ذمها عرفاً ، ولو مباحاً ، مما يستقبح ويستهجن من أمثاله. المروءة: أن تستعمل ما يجملك ويزينك وأن تجتنب ما يدنسك ويشينك ، فهي كيفية نفسانية تحمل المرء على ملازمة التقوى وترك الرذائل. هي آداب نفسانية تحمل مراعاتها على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات ، إنها رعيٌ لمساعي البر ورفع لدواعي الضر ، وهي طهارة من جميع الأدناس والأرجاس ، وكل شيء

يحمل على صلاح الدين والدنيا ويبعث عن شرف الممات والمحيا ، يدخل تحت هذه المروءة التي تحدثنا عنها. قيل لسفيان بن عيينة - رحمه الله - وهو من السلف الأكابر - رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم -: قد استنبطت من القرآن كل شيء ، فهل وجدت المروءة فيه؟ فقال: "نعم ، في قوله تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) ، يقول: ففيه المروءة وحسن الأدب ومكارم الأخلاق ، فجمع في قوله: خُذِ الْعَفْوَ صلة القاطعين والعفو عن المذنبين ، والرفق بالمؤمنين ، وغير ذلك من أخلاق المطيعين ، وذلك في قوله: خُذِ الْعَفْوَ ، ودخل في قوله: وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ صلة الأرحام ، وتقوى الله في الحلال والحرام ، وغض الأبصار ، والاستعداد لدار القرار ، ودخل في قوله: وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ الحظ عن التخلق بالحلم والإعراض عن أهل الظلم والتنـزه عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة والأغبياء وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة. وأما صاحب المروءة فهو من صان نفسه عن الأدناس ، وما شانها عند الناس ، فحملها على ما يجمل من مكارم الأخلاق ، وأدى حقوق الله - عز وجل - وحقوق المخلوقين ، واجتنب ما يدنس عرضه وشرفه من كل قول وفعل ومقام ، وغير ذلك مما يهبط بالإنسان عن المراتب العالية).هـ. وكنت قد تأخرت في الكتابة عن هذا الموضوع ثلاثة عقود لشيء يريده الله تعالى! وقلتُ: لعل كل واحد منهم يتذكر أو يخشى! يتذكر الجميل والمعروف ، ويخشى سوء العاقبة التي إن لم تلحقه في الدنيا فوالله سوف تلحقه في القيامة! يوم يقول الله للمظلوم تقدم ويقول للظالم: لا تتكلم! وإنهم يرونه بعيداً ، ونراه قريباً! ومن مات فقد قامت قيامته ، والقبر أول منزل من منازل الآخرة! وعند الله الجبار المنتقم القهار الغالب القدير العزيز القادر تجتمع الخصوم! ولكن لمّا بلغ الأمر منتهاه ، وبلغ السيل الزبى ، ولم أعد أحتمل تطاول أبناء الأبناء الذين لم يشهدوا شيئاً ، فإذا بهم يقطعون بأشياء وأشياء! وكنت أعذرهم صغاراً لأنهم لا يدركون! أما وقد أصبحوا كباراً راشدين يعقلون ويدركون ، فإن الأمر يحتاج إلى مُعلقة عصماء تعيد الحق إلى نصابه ، وتعطي القوس لباريها! وعنونتُ لها بـ: (الشقيقتان) فكأني خصصت ولم أعمم! وهذا لأنني وجدت الشقيقتين أشد ضراوة في الحرب الملعونة الشعواء! فلقد قادتا حرباً ضد أخيهما الأكبر للأسف ، استمرت ثلاثة عقود! وعندهما من الأسرار والكلام والأباطيل والخطط والتلفيقات ما الله به عليم! ولا شأن لنا بشيء من ذلك! إنما العبرة بالأفعال الظاهرة والمآلات الواضحة! والأنثى جبلها الله على الرحمة والشفقة والعطف والحنان واللين ، إلا هاتين الشقيقتين! حيث كانتا في الخصومة ألد ، وفي العداء أشد ، وفي الحرب أعتى ، وفي الانتقام أنكى! وأسأل: لماذا؟ أما كان أحرى بكما التلطيف وبعث روح التفاهم والصلح؟ وأسأل أين حق أخيكما الذي آثركما عن نفسه يوماً ما؟ والعجيب في الأمر أنه كما يقول المثل العربي: (الطيور على أشكالها تقع)! حيث تزوجت كل شقيقةٍ نذلاً لا يساوي في سوق الرجال قميصاً يلبسه أو لباساً يستر به عورته! والأصل أن يقوم زوج البنت بإصلاح ما يتدهور من العلاقات بينها وبين أهلها! هذا إذا كان ابن ناس بالمعنى الشائع المتداول! أما إذا كان وبشاً نما وترعرع في أسرةٍ وضيعة ساقطة من سوق الأسر ، والقيم والأخلاق منها بريئة براءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب عليه صلوات الله وتسليماته – فإن الأمر يختلف! حيث يجد ذلك النذل الوضيع الحقير في الخلافات فرصة سانحة ليستأثر بها فريسة وضيعة حقيرة مثله! على أن المثل السيار يقول: (الذي ليس له كبير فليشتر له كبيراً)! إلا أننا نجد الحال قد اختلف مع هاتين الشقيقتين العجيبتين! الكبير موجود فلن يُشترى ومع ذلك كانت البراءة منه! الله أكبر! فأنشدتُ هذه القصيدة حكاية على لسان ذلك الشقيق الأكبر المظلوم ظلماً بيناً لا سبيل

لإنكاره! وأعلم أنها لن تؤتي ثمارها عند قساة القلوب الأجلاف غلاظ الطباع من الآباء والأمهات! ولكن ربما كان الأمر على العكس ، عند الأبناء والبنات ممن يريدون الحق! ولربما استفاد منها الآخرون ، حيث تحمل هذه القصيدة من الدروس والعبر والمواعظ الشيء الكثير! وعموماً بذل المعروف من شيم الكرام! والاعتراف بالحق والإشادة بأهل الخير من طبائع ذوي القيم! والأستاذ الفاضل منقذ بن محمود السقار يتحدث عن: (معنى المعروف وأهمية هذه العبادة) فيقول ما نصه: (المعروف المقصود هنا هو فعل الخير وإسداؤه للعباد ، سواء كان هذا الخير مالاً كالصدقة والإطعام وسقاية الماء وسداد الديون ، أو جاهاً كما في الإصلاح بين المتهاجرين والشفعة وبذل الجاه ، أو علماً ، أو سائر المصالح التي يحتاجها الناس ، كحسن المعاملة وإماطة الأذى وإغاثة الملهوف وعيادة المرضى. أما أدلة صناعة المعروف من القرآن الكريم: يقول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون). فقوله: {وافعلوا الخير} أمر يشمل كل خير ، لأنها نكرة في سياق العموم كما يقول النحاة ، وقال تعالى{لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس} ، {وأحسنوا إن الله يحب المحسنين). وأما أدلة صناعة المعروف وتعدد صوره من السنة النبوية: فمن صور صناعته صلى الله عليه وسلم للمعروف ما جاء عن عبد الله بن جعفر قال: فدخل صلى الله عليه وسلم حائطاً لرجل من الأنصار فإذا جمل ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حنّ وذرفت عيناه ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه فسكت فقال: (من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتىً من الأنصار ، فقال: لي يا رسول الله. فقال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه شكا إليّ أنك تُجيعه وتُدْئبه). أبو داود. ومنه أيضاً شفاعته لمغيث عند زوجته السابقة بريرة ، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه ، وفيه أن زوج بريرة كان عبداً يقال له مغيث ، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعباس: (يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ، ومن بغض بريرة مغيثاً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو راجعتِه قالت: يا رسول الله تأمرني؟ قال: إنما أنا أشفع. قالت: لا حاجة لي فيه). البخاري. وأما صناعة المعروف عند السلف: فلقد كان السلف رحمهم الله أسرع الناس في صناعة المعروف وبذله ، ومن ذلك ما ذكر من إنفاق الصديق وعثمان والزبير وأمهات المؤمنين وعبد الرحمن بن عوف ، وغيرهم ، وهذا يطول ذكره. ومنه أيضاً صنيع أبي بكر الصديق حين ولي الخلافة ، فكان في كل يوم يأتي بيتاً في عوالي المدينة تسكنه عجوز عمياء ، فينضج لها طعامها ، ويكنس لها بيتها ، وهي لا تعلم من هو ، فكان يستبق وعمر بن الخطاب إلى خدمتها. أُسد الغابة. ولما ولي عمر الخلافة خرج يتحسس أخبار المسلمين ، فوجد أرملة وأيتاماً عندها يبكون ، يتضاغون من الجوع ، فلم يلبث أن غدا إلى بيت مال المسلمين ، فحمل وقر طعام على ظهره وانطلق فأنضج لهم طعامهم فما زال بهم حتى أكلوا وضحكوا. الرياض النضرة. ومن صناعة المعروف أيضاً ما ذكر عن علي زين العابدين ، فقد كان أناس من أهل المدينة ، لا يدرون من أين معايشهم ، فلما مات فقدوا ذلك الذي كانوا يؤتون بالليل. ولما غسلوه رحمه الله وجدوا بظهره أثراً مما كان ينقله بالليل إلى بيوت الأرامل. سير أعلام النبلاء. وهذا عبد الله بن المبارك كان ينفق من ماله على الفقهاء ، وكان من أراد الحج من أهل مرو إنما يحج من نفقة ابن المبارك ، كما كان يؤدي عن المديون دينه ويشترط على الدائن أن لا يخبر مدينه باسمه. سير أعلام النبلاء).هـ. وعلى وجه العموم تعتبر خصال الخير من الأخلاق التي جاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليتممها!

وكلنا يذكر قوله – صلى الله عليه وسلم -: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). وتحت عنوان: (مكارم الاخلاق) يقول الأستاذ محمد مروان ما نصه: (تعتبر الأخلاق هي الضّامن الوحيد لاستمراريّة الحياة على سطح الكرة الأرضيّة بسلام ومودّة ومحبّة ، وهي الضّامن أيضاً لاستمرار النّهضة. فانعدامها يعني الدّمار والخيبة والخسران ، ليس على الإنسان فقط ، بل تنعكس آثارها السّلبية على المجتمع ، بل تؤدّي إلى تضرّر جميع المخلوقات والكائنات وأشكال الحياة أيضاً ، وهي عملية تراكميّة بامتياز ، متنوّعة مصادرها ، فقد يستمد النّاس أخلاقهم من العادات والتقاليد والأعراف المتّبعة ، وقد يقوّم الدّين أخلاق النّاس ، من خلال إضافة الأخلاق الحميدة ، ومحو الأخلاق السّيئة التي نشأوا عليها ، لهذا فالأديان ضرورية جداً للنواحي الأخلاقيّة ، إضافةً إلى وظيفتها الرّئيسية الأخرى ، والمتمحورة حول تعريف النّاس بخالقهم وربّهم المعبود ، وكذلك فإنّ التّفاوت الأخلاقي بين النّاس موجود ، نظراً لاختلاف البيئات التي ترعرعوا فيها ، ونظراً أيضاً لاختلاف أهمّيتها عند النّاس ، فبعض النّاس يضربون بها عرض الحائط ويعتبرونها معيقاً للطموح والتقدّم والنّجاح ، فهم بذلك يدوسون على إنسانيتهم وعلى من حولهم ، حتى يستطيعوا الوصول إلى أهدافهم وغاياتهم الدّنيئة الرّخيصة ، والتي ستسبّب لهم ولمن حولهم الهلاك والخسران. ولطالما عانت الحضارات والبشريّة والدّول والشّعوب من انعدام الأخلاق عند ساستها وقائديها ، ومن يتولون أمورها ويديرونها ، فقد أدّى ذلك إلى طحن العديد من البشر برحى الموت ، وآخرها ومن أكبرها ما حدث في الحربين العالميتين الأولى والثّانية ، من دمار وخراب اجتاح العالم أجمع ، وقضى بسببه ملايين النّاس والبشر).هـ. أيتها الشقيقتان الأنانيتان النذلتان ينبغي أن تعلما أن شقيقكما الأكبر قد بذل الكثير من أجل تربيتكما ، وضحى بالكثير من أجل راحتكما! ولا يصح أبداً أن تقولا: (إنما كان يساعد أباه!) لأن أباه لم يكن بحاجة إليه! إنما بكما كان ذا حاجة بسبب مطالبكما التي أثقلت كاهله! فكيف يدفع ذلك الأخ الأكبر ثمن مروءته اليوم خذلاناً؟ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ لقد حملكما في جملة من حمل بالأمس لتحملوه جميعاً اليوم! ولو كان الرجل يدري نذالتكم وخستكم جميعاً لانشغل بنفسه ومن يعول ، وأعد نفسه ومن يعول لذلك اليوم الذي يكون فيه بحاجة لكم! فهنيئاً للشقيقتين النذلتين الأنانيتين! وإنا لنرى انتصار الله منكما حيث تزوجتما بنذلين حقيرين لا أخلاق عند أحدهما! ولقد تسلط كل منهما على زوجته وأخذ ما أخذ وانتفع على حساب رد جميل الشقيق الأكبر! إن هذه القصيدة قد لا يكون لها صدى عند قلوب يعبد أصحابها المال من دون الله تعالى! كما لن يكون لها تأثير عند قوم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة! يا ناس إن خلل التوحيد والعقيدة يؤدي لأكثر من هذا ، حيث لا يعرف المعرض - عن تعلم التوحيد والعقيدة – مولاه الحق! ومن هنا تنتكس الموازين عنده! ولذا فخلل المناسك التعبدية يجبره التوحيد الحق والعقيدة الصحيحة! بينما خلل التوحيد لا تجبره صحة المناسك التعبدية ولو أداها صاحبها على الوجه الأكمل! وقد أعذرنا إلى الله بالكتاب وبالشريط وبالقصيدة! وأهديناكم كل الشعر! ولكن لا حياة لمن تنادي لأن الوقار في قلوب هؤلاء المعرضين ليس لله بل للدرهم والدينار! نسأل الله العافية! وإذن فلا ذنب لكم في أعناقنا ، كانت بين أيديكم الكتب والأشعار لنا ولغيرنا! لا عذر لكم!)

لـــولا الإخـــاءُ لـــزدتُ فـــي اســـتهزائي ولـــذِعتُ أســـراراً بـــدون حيـــاءِ!

لـــولا محبـــة والـــدَيَّ لقلتُهـــا: بنتاكمـــا أســـوا مِـــن الأبنـــاء

لـــولا احتمـــالُ التـــوب يُـــدركُ مَـــن غـــوى لوصـــفتُ مـــا يجـــري مِـــن الأرزاء

لـــــولا مخافـــــة أن أصـــــير مُلاعنـــــاً ... لقبيلتـــــي البدويـــــة العصـــــماء

لـــولا الـــتحفظ فـــي مخاطبـــة الـــورى ... وحُثالـــــة الأنـــــذال والحُقـــــراء

لـــولا التلطـــفُ شِـــرعتي أمـــرتْ بـــه ... فـــي شـــأن قربـــى المـــرء والغربـــاء

لـــولا احتيـــاطي أن أكـــونَ مُغالطـــاً ... لجهـــرتُ - بـــين النـــاس - باســـتهزائي

وأنـــا ظلِمـــتُ ، وذاك يكفـــي وحـــده ... للجهـــر – رغـــم الأنـــف – بالأســـواء!

لمّـــا يكـــنْ سُـــوءاً يمـــرّ ويُتقـــى ... فـــالنفسُ كـــم تلقـــى مـــن البأســـاء!

والقلـــبُ كـــم يلقـــى الأذيـــة صـــابراً ... مُتغـــافلاً ، يرنـــو إلـــى العليـــاء!

والـــروحُ تـــزدردُ العـــذابَ رَضـــية ... وتلـــوكُ مـــا يبقـــى علـــى اســـتحياء

لمّـــا يكـــنْ مـــا جئتمـــاه بهـــين ... يُرديـــه لـــومُ العاتـــب المســـتاء

لكنـــه البأســـاء صُـــب ســـعيرُها ... وأحـــيط بـــالإهلاك والضـــراء

وأعـــانني المـــولى عليـــه ، وصـــانني ... مـــن أن تُمـــس عقيـــدتي وإبـــائي

أوَلـــم نكـــنْ أبنـــاء بيـــتٍ واحـــدٍ ... مـــا فيـــه مـــن حقـــدٍ ولا شـــحناء؟

آمالنـــا - بـــين الجميـــع - توحّـــدتْ ... ونـــرى كمـــالاً عيشـــة الصـــلحاء

وعلـــى الكفـــاف توجهـــتْ أحلامنـــا! ... عـــيش الكفـــاف تطلـــعُ العقـــلاء!

وطموحُنـــا أن لا يفـــارق بعضـــنا ... بعضـــاً ، ففـــي التفريـــق شـــرُ شـــقاء!

أوَلـــم نعـــان الفقـــرَ يقطـــعُ ســـيفه ... أعناقنـــا مِـــن شـــدة البلـــواء؟

أوَلـــم تجُـــعْ يـــا مُفتـــرون بطوننـــا ... كبطـــون أهـــل الحاجـــة الفقـــراء؟

أوَلـــم تـــدُمْ أســـقامُنا ، فتـــذكروا ... إذ لـــم تجـــدْ – يـــا نـــاسُ – أي دواء؟

وأراد رب العـــــالمين نجـــــاتكم ... والفضـــــلُ فضـــــلُ الله ذي النعمـــــاء

واختـــارَ مـــن أبنـــائكم عبـــداً لـــه ... ليُقيـــلَ عَثـــرتكم بـــدون عنـــاء

وحمـــاه فـــي سَـــفر ، وفـــي حَضَـــر ، وفـــي ... نجْـــع اغتـــراب حُـــفَّ بالأعـــداء

فـــأتى ، ومكّنـــه الإلـــهُ ، وخصـــه ... بـــين الألـــى كـــادوا لـــه بعطـــاء

لـــم ينصـــرمْ شـــهرٌ عليـــه بطولـــه ... حتـــى حبـــاكم مالـــه بســـخاء

لمّـــا يُســـددْ دَينـــه مُســـتأذناً ... مِـــن دائـــن هـــو أخبـــثُ الســـفهاء

إذ لـــم يـــزلْ فـــي شـــأنه متحكمـــاً ... وكأنـــه أمســـى مـــن الأمـــراء!

وتحمّـــل الشـــهمُ الـــتحكم مـــؤثراً ... عـــدمَ الصِـــدام يقـــوده لتنـــائي

مـــا قـــال: نفســـي والوحيـــدة زوجتـــي ... بـــل قـــال: أهلـــي كلهـــم نـــدمائي

وأبـــي وأمـــي قبـــلَ أي قرابـــةٍ ... فـــالخيرُ للأمَّـــات والآبـــاء

ولإخـــوتي مـــن بعـــدهم فضـــلُ العطـــا ... حتـــى يعـــيشَ الكـــل فـــي اســـتغناء

لا يطلبـــون النـــاسَ فضـــلة زادِهـــم ... دَيـــنٌ علـــيّ لهـــم ، وذاك وفـــائي

لـــم يـــدّخر وُســـعاً لكـــي تتنعمـــوا ... دومـــاً بـــأكرم حالـــةٍ وثـــواء

هـــو خصّـــكم بالمَكرُمـــات جميعهـــا ... حتـــى تعيشـــوا عيشـــة الســـعداء

مـــا كـــان أســـهلَ أن يعـــيش لنفســـه ... مُتعاليـــاً فـــي غِلظـــةٍ وجفـــاء

وأتـــى بـــبعض عِيـــالكم عونـــاً لـــه ... وأجـــابَ عاجـــل أمْـــركم ونِـــداء

وهنـــاك قسّـــم دارَه ونقـــوده ... متفضـــلاً بتـــوددٍ وإخـــاء

وبكفـــه صـــنعَ الســـريرَ تكلفـــاً ... وبـــرغم ضِـــيق الجهـــد والآنـــاء

لا (متـــرَ) لا (شـــنيورَ) ، لا (منشـــارَ) أو ... (إزميـــلَ) ، أو حتـــى بُعـــيض غـــراء!

حتـــى خيـــوط الفجـــر أجْهِـــدَ صـــانعٌ ... وأصـــيبَ - بعـــد الصـــنع - بالإعيـــاء

صـــلى صـــلاة الفجـــر فـــي مِحرابـــه ... مُتـــدثراً بالكـــدِّ والإغمـــاء

حتـــى أتـــم صـــلاته وخِتامهـــا ... ومضـــى لنـــوم بعـــد طـــول بـــلاء

وأتـــت إلـــى الـــدار الخذولـــة زوجُـــه ... لتعـــيش دَور الحيـــة الرقطـــاء

ولتحـــرق الـــدارَ الحصـــينة نارُهـــا ... ويصـــابَ حـــيٌ عـــامرٌ بفنـــاء

أنـــا مـــا اعتـــديتُ لكـــي ألاقـــيَ غـــدرَكم ... يـــا شـــرَّ أهـــل فـــوق ذي الغبـــراء

وجـــزاء إحســـاني اســـتحال عـــداوة ... والغـــدرُ أصـــبح والنكـــالُ جزائـــي

ولقيـــت حـــق مُروءتـــي وشَـــهامتي ... كيـــداً تـــدثر - فـــي الـــدجى - بخفـــاء

والأرضُ قـــد غصِـــبتْ ، ودُلـــسَ عَقـــدُها ... ودفاعُنـــا المصـــدوقُ مَحـــضُ هُـــراء

مـــا ذنـــبُ هـــذي الأرض تُغصَـــبُ عنـــوة ... ليُقـــام - فـــوق الأرض - شـــر بنـــاء؟

والغاصـــبُ المحتـــالُ يضـــحكُ ســـافراً ... إذ بـــــات ذا بحبوحـــــةٍ وثـــــراء

وشـــقيقه سَـــرقَ المراجـــعَ عامـــداً ... بتحايـــل ، وتلصُـــص ، ودَهـــاء

وشـــقيقتاه شـــريكتا عُدوانـــه ... فـــي الـــدس ، والإدنـــاء ، والإقصـــاء

فـــأخ يُقـــرَّب رغـــم ظلـــم شـــقيقه ... وأخ يُجنـــدَلُ فـــي قِلـــىً وجفـــاء

كلتاهمـــا تطغـــى ، وتُمعـــن فـــي العَـــدا ... أفـــلا يُطـــاق العـــيشُ دون عـــداء؟!

إنـــي أســـائل أيـــن حقـــي يـــا غثـــا؟ ... أنـــتم ورب النـــاس شـــرُ غثـــاء

مهمـــا كـــذبتم ، وادّعيـــتم خلتـــي ... مـــا - لادِّعـــاء البُلـــهِ - أيُّ بقـــاء

أعطيـــتُ - بـــالأمس القريـــب - مُقايضـــاً ... حتـــى يُـــرَدَ إلـــيّ بعـــضُ عطـــائي

لـــم أعـــطِ مـــا أعطيتُـــه مُســـتغنياً! ... أنـــى لمثلـــي جُـــودُ الاســـتغناء؟!

والله وسّـــع يـــا غثـــا أرزاقكـــم ... لـــمَ شُـــحكم يـــا أتعـــسَ الـــبخلاء؟

كانـــت يـــدي الطـــولى ، فلـــم أكُ بـــاخلاً ... متحـــدثاً بعطـــاء ذي النعمـــاء

غجَـــرٌ ، ولـــيس لكـــم كبيـــرٌ يُحتفـــى ... بكلامـــه ، ولـــه كبيـــرُ وَلاء

أيســـرُكم حـــالي وضـــيقُ مَعيشـــتي ... وتعسُّـــرٌ بُليـــتْ بـــه أبنـــائي؟

هـــذا لأنـــي فـــي الـــورى ضـــيَّعتهم ... لمّـــا اتجهـــتُ لقـــوميَ الجُبنـــاء

حتـــى عـــلا بُنيـــانكم فـــي ذي الـــدنا ... مـــاذا تُفيـــد لجوقـــةٍ وُضـــعاء؟

مـــا عُـــذركم ألا تقيلـــوا عثرتـــي ... كـــي لا تثيـــروا وازع البغضـــاء؟

وشـــقيقتاي اليـــوم أرذلُ شـــامتٍ ... عـــن سَـــخطةٍ ، وتعنـــتٍ ، وغبـــاء

أخطـــأتُ إذ بيـــتَّ حُســـن طـــويتي ... وشـــرعتُ فـــي مَـــدحي ، وكيْـــل ثنـــائي

لأخيتـــــين إخـــــاءُ كـــــلٍ خنجـــــرٌ فـــي القلـــب يســـبحُ فـــي زكـــيٍّ دمـــاء

فـــإلى المهـــيمن منهمـــا أنـــا أشـــتكي وأزيـــد فـــي مرثيتـــي ودعـــائي

بينـــي وبينهمـــا سيقضـــي ربنـــا وقضـــاء رب النـــاس خيـــرُ قضـــاء

ربـــاه أنـــت الحـــق ، فـــاحكمْ بيننـــا فـــي هـــذه الـــدُنيا ويـــومَ جـــزاء!

نـهلة بين الإشهار والتشهير!

(كان أخوها الأكبر بمَثابة الأب الثاني الذي سخره الله لنـهلة ، ليُغنيَها من فضله تعالى عن سؤال الناس ، وليُعينها على أمر دينها ودنياها. فردتْ عليه أمرَ دينها ، وقبلتْ منه أمرَ الدنيا ، حيث أعانها الله تعالى وكسر عليها فقرها طالبة وموظفة وزوجة ، بفضل الله أولاً وآخراً ، ثم ببقية مال كان هذا الأخ الأكبر يُرسله لوالده الذي كانت نـهلة تُربى في داره! وظل الأخ الأكبر يقوم بدوره في خدمة عائلته بكل ما استطاع. وينصحُ للكل بما فيهم نـهلة. ولكنها لا تستجيب. فلم يعبأ بذلك ، وظل مؤشرُ العلاقة ينزوي ويضمحل ، حتى وصل لأدنى درجة وهي التزاور في المناسبات والاتصال للضرورة القصوى. ورزقها الله تعالى من حيث تحتسب ، ومن حيث لا تحتسب! ولكنها كانت كلما ازدادت غنىً ازدادتْ حِرصاً وشُحاً وبُخلاً! فبخلتْ بمالها عن أخيها! والجدير بالذكر أنه كانت لها عند أخيها مُداينة مِقدارها أربعة وخمسون ألف دينار! وقام بسدادها إلا سبعة آلاف دينار! والرجل لم ينكر ذلك المبلغ ولم يأكله ، وإنما اعتذر عن عدم القدرة على السداد ، وطلب النظِرة إلى مَيسرة ليس إلا! فكان رد النذلة التي هي إلى عبادة المال أقرب منها إلى عبادة الله: (حسبي الله ونعم الوكيل) تلك التي نقولها لمن بغى علينا أو سلب متاعنا أو أكل مالنا ، وعجزنا عن استرجاع شيء من ذلك منه! وراحت تُشهّر بأخيها تشهيراً عند بعض الناس! زاعمة أنه استحل دنانيرها التي أخذتْ أضعافها وهي في دار أبيها! وأتى اليوم الذي أرادتْ أخاها الأكبر ليكون وكيلاً للنكاح في المحكمة الشرعية ، وهناك قام الرجل بدوره ، ولم يتأخر ، وبعد محاورات ومناورات ونقاشات تم العقد قولاً وعملاً! وحسب البروتوكول الجاهلي جاء دورُ التقاط الصور فأبى الأخ الأكبر ، وقال: الصور للضرورة ، وهذه المناسبة أو تلك ليست من الضرورة! فوافقتْ وزوجُها على مَضض! وتركْنا باحة المحكمة ليُفاجأ الأخ الأكبر بهاتفٍ من زوج أخته (نـهلة) ، فظنه يرتبُ لحفل الإشهار العائلي المتواضع كالعادة والبروتوكول والعرف والشرع! فقال مقاطعاً في مَعرض السؤال: أين أنت: أنا أكلمك من البيت! فقال الأخ الأكبر: أي بيت؟ فقال عريس الغفلة وزوج النذلة: من بيت نـهلة. فقال الأخ الأكبر: كيف؟ كيف يكون الأمر من المحكمة إلى البيت؟ أليس هناك سُنة الإشهار الواجبة؟ وغضب الأخ غضباً شديداً تعظيماً لسُنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – التي أهدرتْ وانتُهكتْ! وكتب لنـهلة رسالة من جملة واحدة: (لقد جانبكما التوفيق في هذا الأمر!) ولم يزد عليها! فقاطعتْه نـهلة قطيعة أبدية ، واستأثرتْ بهذا الساقط زوجاً ، واستغنتْ به عن أخيها وباقي أهلها وكأنه (أبو زيد الهلالي) ، وسقوطه لأنه لم يُبادر إلى الإصلاح بين نـهلة وأخيها! برغم أن هذا الأخ ، والله العظيم ، كان سبباً مباشراً في إرجاعه من المطار ليُعرس بأخته ، وليته ما فعل! ذلك أنه بكلمةٍ واحدةٍ زواجُ صَفقات ، وعلاقة ما أريد بها وجهُ الله تعالى! فقبل الأخ القطيعة عندما زادت نـهلة المِبلة طيناً ، وحجّمت العلاقة للحد الذي لا تأتي منها رسالة إلا: (أريد الفلوس!) ، وجدّد أخوها الأكبر نيته أن تكون قطيعة خالصة لله تعالى! ومثل هذه الأخت النذلة تُبغضُ لجاهليتها ومُجاهرتها بالمعاصي ونذالتها وخِسّتها! حيث لم يعد محكٌ للتعامل باسم الإسلام ونعم التعامل ، ولا باسم الجاهلية التي فيها بعضُ المناقب والمَكرُمات! والنبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (أوثق عُرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله)! وهذا الأخ الأكبر يكره الجاهلية وأهلها ، من أجل ذلك قالها صريحة وأشهد الله تعالى وملائكته الكرام عليها: (اللهم إني أكرهُ هذه الأخت في الله لعدم تعظيمها شعائر الله ، وعدم احترامها للسُنة ، وعدم مراعاتها للأخوة! وقال في نفسه: ما حاجتي لأختٍ جاهليةٍ متعجرفةٍ مستكبرةٍ مَغرورةٍ

بخيلة شحيحة لا تعظم حُرُمات الله تعالى ، وتعتبرُ تذكيرَها بسُنة رسول الله خطيئة يعاقبُ عليها فاعلها! ولفرط غبائها المركب المستحكم ازدادتْ هوة الخلاف بينهما! وكانت كلمة (أعتذر عن ذلك يا أخي! أو نقوم بعمل هذه السنة اليوم ونستدركُ ما فاتنا! فإن الهدف من سنة الإشهار معرفة الناس والحاضرُ يبلغ الغائبَ أن فلاناً بن فلان تزوج من فلانة بنت فلان! والرجل زوج على كتاب الله وسنة رسوله ، والأمر كما قال الشافعي إمام المذهب: (كلنا ذلك الرجل الذي فاتته سُنة وسُنة وسُنة للنبي صلى الله عليه وسلم!) فلما علمتُ بقصة الرجل مع أخته (نهلة) أنشدتُ حكايتها شعراً على لسانه ، فكأنه يهديها هذه القصيدة ، بشيراً ونذيراً ، (يعلمها فيها بموقفه!) وقبل سنوات كتبتُ قصيدة عنوانها: (الطبع يغلب التطبع) وقدمتُ لها بمقدمةٍ أبرهن فيها على أن الطبع الذي اعتاده إنسان ما يغلب محاولته التطبع بسواه! من شب على شيء شاب عليه ، ومن شاب على شيء مات عليه! واليوم أقررُ أن الطبيعة والجبلة تغلبُ أي تطبع إلا أن يشاء الله! وأقررُ أن شراء الحب بالمال يستحيل! لا تُشرى القلوبُ ولا الضمائرُ بالمال! ولله در من قال: إنَّ كُلَّ إنسان يعيش ويحيا إما لله تعالى ، أو للشيطان! إما أن يحيا على الحق أو على الباطل ، إما أن يعيش في طاعة الله أو على معصيته! فمن داومَ على الطَّاعات ، كان من أعظم الأسباب لتحقيق حُسْن الخاتمة ، وقد جرَتْ سُنَّة الله في خلقه أنَّ من داوم على شيءٍ مات عليه ومن مات على شيءٍ بُعِث عليه ، كما في الحديث الذي أخرجه مسلمٌ من حديث جابر - رضي الله عنه -: "يُبعث كلُّ عبد على مات عليه". فمنهم من يبعث وهو يلبي: لبيك اللهم لبيك ، لأنه مات في الحج والعمرة بملابس الإحرام! لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً". ومنهم من يبعث ينبعث منه دم ، اللون لون الدم ، والريح ريح المسك ، من هؤلاء؟ هؤلاء الشهداء في سبيل الله. ومنهم من يبعث وهو لا يقوى على القيام ، إذا وقف وقع على الأرض سقط لا يستطيع قياماً ولا جلوساً ، فمن هذا؟ هذا آكل الربا ، كان لا يشبع من حلال. (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا). ومنهم من يبعث ، ومجموعة من الأطفال يجرّونه جرّاً ويدفعونه دفعاً ، ليقدموه في أرض المحشر ليوقفوه بين يدي الله عز وجل فمن هذا؟ ومن هؤلاء؟ هذا آكل أموال اليتامى ، وهؤلاء هم اليتامى يدفعونه دفعاً ليوقفوه بين يدي الله: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً). ومنهم من يبعث مخموراً مات وكأس الخمر في يده فيبعث وهو سكران ، ومنهم من يبعث وقد سرق في الدنيا تراه يمشي في أرض المحشر ، وهو يحمل بيضة سرقها ، أو يحمل دجاجة ، أو يحمل شاة أو ناقة ، يبعث وهو يحمل ما سرق ، إن لم يتب إلى الله ويرد ما سلب وسرق وغصب قال - جل وعلا: (وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). ومنهم من يحشر أعمي لا يبصر لأنه لم ينظر للقرآن في الدنيا ولم يعمل به! (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى}. وأورد الأستاذ / عبد مهنا في كتابه (معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام) صـ 314 وكذلك أورد ذات الخبر الأبشيهي في المستطرف ص 452: أن امرأة في البادية قالت تخاطب رجلاً إذ دخل عليها وبين يديها شاة مقتولة ، وإلى جانبها جرو وذئب! فقالت: أتدري ما هذا؟ فقال: لا. قالت: هذا جرو ذئب أخذناه صغيراً ، وأدخلناه بيتنا وربيناه فلما كبر فعل بشاتي ما ترى ، ثم أنشدَتْ تلوم ذلك الجرو الذي لم يُحْسِنْ إليها كما أحسنت إليه:)

بقـــرتَ شُـــويهتي ، وفجعـــت قلبـــي وأنـــــت لشـــــاتنا إبـــــنٌ ربيـــــبُ

غـــذِيت بـــدَرِّها ، ونشـــأت فينـــا فمـــنْ أنبـــاك أن أبـــاك ذيـــب؟

إذا كـــان الطبـــاعُ طبـــاعَ سُـــوءٍ فـــلا أدبٌ يفيـــدُ ، ولا أديـــب

فأنشدتُ أخاطبها إذ حدث معي ذات الشيء ، ولكن مع مجموعة من الذئاب الآدمية ، زعمتُ يوماً أن أشتري حبهم بالبذل والسخاء والعطاء ، ففعل كل الذي أستطيع ، ولكنهم قابلوا إحساني إليهم بالإساءة إليّ. وراحت أنفسهم القميئة تصوّر لهم أن الذي فعلوه هو عين الصواب. فصبرتُ عليهم ، ولم أكن لأقابل الإساءة بالإساءة ، بل عمدتُ إلى الصبر والتصبر والمصابرة حتى يأتي الله بأمره. وتذكرتُ أنها طبائع في النفس الإنسانية. فهؤلاء شبّوا على الخذلان والتشفي والغدر والغش والخداع ، وبئستِ الصفاتُ المرذولة ، وشابوا عليها وتأصلتْ فيهم. وكل يد اعتادتْ على الأخذ ، يستحيل عليها أن تعطي! كما أن كل يد اعتادتْ على العطاء يستحيل عليها أن تأخذ! فأنشدتُ أخاطبُ المرأة العجوز التي كانت في البادية ، وابتليتْ بمأساة الذئب الذي أكل شاتها كبيراً وقد ربته وأحسنت إليه صغيراً ، وأقول لها وقد عشتُ ما عاشت وعانيتُ ما عانت! بعد بذل لا يعلم إلا الله تعالى مداه ومقداره على أختٍ لا تُدخر ليوم كريهة ، ولكنه للأسف شراء الحب بالنقود ، وجذب القلوب بالنقود! وفي النهاية أدركتُ أن الحب والقلب لا يُشتريان!)

أراكِ عرفـــتِ أن الـــذئب ذيـــبُ وجاهلـــة - إذن - مَـــن تســـتريبُ

يمـــينَ الله أنـــتِ نكـــأتِ جُرحـــاً أليمـــاً ، منـــه مَـــن يحبـــو يشـــيب

وقلبـــتِ الفواجـــعَ فـــي الحنايـــا فأدمتْهـــا الـــدغاولُ واللهيـــب

وأخذت أواسيها ، وأهدِّئ من رَوْعها ، وأكفكف من غلوائها ، وأمسح دموع ندمها على إحسانها للذئب صغيراً ونكرانه للجميل كبيراً! وأحكي قصتها شعراً! إلى أن ختمت القصيدة يومها بالعبرة التي ساقتها هي لنا في بيتها الأخير عندما قالت مُعاتبة للذئب ومُعزية لنفسها ومُقدمة العِبرة والعِظة والدرس للأجيال:

إذا كـــان الطبـــاعُ طبـــاعَ سُـــوءٍ فـــلا أدبٌ يُفيـــدُ ولا أديـــب!

وفرّعْتُ عليه 4 أبياتٍ أخرى فقلت:

إذا مـــا غـــاص قلـــبٌ فـــي التـــدني فهـــل يُنجيـــه - مِـــن هـــذا - أديـــب؟

ويحيـــا - بالهُـــدى والبـــر - فـــذ حســـيبٌ فـــي قبيلتـــه نســـيب

كمثـــل الشـــمس تنفـــعُ كـــل حـــي إذا طلعـــتْ ، وإن حـــان الغـــروب

وإنّ الشـــمس يَـــذْهمُها مَغيـــبٌ! وذا الأخـــلاق لـــيس لـــه مَغيـــب!

وذات يوم سئل ـ درة علمائنا وتاج رؤوسنا وبقية سلفنا ابن باز رحمه الله ـ وأجاب! سُئل عن سنة الإشهار في الزواج فكان جوابه: (إن إشهار النكاح واجب ، حتى يتميز حتى لا يكون زنا ، إشهاره وإعلانه بصنع وليمة بدعوة الجماعة من الأقارب يحضرون الزواج ، ولو في البيت ، ولو ما راح إلى محلات الأعراس ، قصور الأفراح في بيته يكفي ، ولا ينبغي التكلف ؛ لأن التكلف قد يمنع الناس من الزواج ، وقد يسبب تعطيل الشباب والشابات ، فالسنة عدم التكلف ، وإذا دعا بعض الجماعة في بيته ، هذا كله إعلان ، هذا من الإعلان ؛ لا بأس ، يكفي هذا. فإذا انعقد النكاح بحضور ولي المرأة مع شاهدي عدل مع توفر أركان العقد الأخرى من صداق وصيغة ، فهو نكاح صحيح على كل حال ولا يعتبر هذا إشهاراً للنكاح ، لأن المقصود بالإشهار الضرب بالدف والغناء المباح وإظهاره بين الناس وهذا مستحب فقط وليس بواجب ، وإن اتفق الجميع على كتمه فهو باطل عند بعض أهل العلم كالمالكية ومن وافقهم ، والراجح صحته ، قال ابن قدامة في المُغني: فإن عقده بولي وشاهدين فأسروه أو تواصوا بكتمانه كره ذلك وصح النكاح ، وبه يقول أبو حنيفة والشافعي وابن المنذر ، وممن كره نكاح السرعمر ـ رضي الله عنه ـ وعروة وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، والشعبي ونافع ـ مولى ابن عمر ـ وقال أبو بكرعبد العزيز النكاح باطل ، لأن أحمد قال: إذا تزوج بولي وشاهدين: لا ، حتى يعلنه ، وهذا مذهب مالك. ولنا قوله: لا نكاح إلا بولي. مفهومه انعقاده بذلك وإن لم يوجد الإظهار ، ولأنه عقد معاوضة فلم يشترط إظهاره كالبيع وأخبارالإعلان يراد بها الاستحباب بدليل أمره فيها بالضرب بالدف والصوت ، وليس ذلك بواجب فكذلك ما عطف عليه ، وقول أحمد ـ لا ـ نهي كراهة ، فإنه قد صرح فيما حكينا عنه قبل هذا باستحباب ذلك ، ولأن إعلان النكاح والضرب فيه بالدف إنما يكون في الغالب بعد عقده ولو كان شرطاً لاعتبر حال العقد كسائر الشروط. انتهى. والمطلوب في عقد الزواج هو الإشهاد عليه بشاهدَين عَدلَين ، وذلك عند سماع الإيجاب والقَبول من الزوج والزوجة ، أو من يَنوب عنهما ، وهذا الإشهاد كافٍ في صحة العقد ، واقتضت النظم العصرية أن يُوثَّق ذلك رسميًا ، حتى لا يكون هناك إنكار ، وحتى تُضمَن حقوق الزوجين والأولاد ، وبخاصة عند ضعْف روح التديُّن وطهارة الذِّمَم. أما الإعلان والإشهار ، بحضور عدد كبير ، أو بعمل وليمة أو حفْل أو إعلان في وسائل الإعلام فذلك سُنَّة ، لِيَشِيع العلم بهذا الزواج بين كثير من الناس ، ولا يَشكُّوا في علاقة الرجل بالمرأة ولا في النسل المتولَّد منهما ، والحديث الشريف يقول: "أعلِنُوا هذا النكاح ، واضْرِبوا عليه بالدُّفوف ، واجْعلُوه في المساجد". رواه الترمذي وحسَّنه ، لكن ضعَّفه البيهقي ، وهو وإن كان ضعيفًا ، فهو يدعو إلى الإشهار بالوسائل المتاحة. ومنها الضرْب بالدفوف ، واجتماع كثير من الناس في مسجد ، أو نادٍ أو أيِّ مكان آخر ، مع الحفاظ على كل الآداب. ولم يَشتَرط لصحة العقد الإشهار والإعلان إلا الإمام مالك ، الذي قال: إن العقد بدون شاهدين صحيح ، وهما شرْط لصحة الدخول في أحد قولين له ، والإعلان كاف عنهما ، على أن يكون الإعلان وقْت العقد ، ولا يجوز تأخيره وإن أجازه البعض. وله أربعة شروط: (أولاً: تعيين الزوجين ؛ أي: تحديدهما في صيغة العقد. وثانياً: رضا الزوجين. وثالثاً: الولي. ورابعاً: الشهود). ويجب فيه تسمية المَهر ، فإذا تم الزواج على هذا ، فالنكاح صحيح ، والله أعلم. وهناك خلط بين الإشهاد في الزواج والإشهار فيه. إن المطلوب في عقد الزواج هو الإشهاد عليه بشاهدين عدْلين ، وذلك عند سماع الإيجاب والقَبول من الزوج والزوجة، أو من ينوب عنهما ، وهذا الإشهاد كاف في صحة العقد ، واقتضت النظم العصرية أن يوثق ذلك رسمياً ، حتى لا يكون هناك إنكار ، وحتى تضمن حقوق

الزوجين والأولاد ، وبخاصة عند ضعف روح التدين وطهارة الذمم).هـ. لقد نسيت هذه الأخت النذلة ماضيَها السحيق الذي تتمنى لو محتْه من التاريخ! ولقد ساعدها نسبياً على طمسه أن أغلب من عاصروه أصبحوا اليوم تحت أطباق الثرى! وهيهات لأصحاب القبور أن يُخبرونا عن شيء! إن كل من يتنكر لماضيه ولا يستلهم منه الدروس والعبر والمواعظ ، لا حاضر له ولا مستقبل! وصدق المثل الدارج القائل: (من فات قديمه تاه!) وتحت عنوان: (من فات قديمه تاه!) تقول الأستاذة الأديبة هند صفوت ما نصه بتصرف: (تعتبر الأمثال الشعبية ، جزءً لا يتجزأ من الشخصية المصرية ، حيث إن الهدف من هذه الأمثال هو إرسالة حكمةٍ أو معلومةٍ أو موعظة ، كما أن هذه الأمثال تُعتبرُ إرثاً تتناقله الأجيال ، جيلاً تلو الأخر ، ولأن لكل مثل حكاية ، نعرض أصل قصة مثل "من فات قديمه تاه"! يرجع أصل هذا المثل ، عندما قرر فلاح ـ من قديم الزمان ـ إلى أن يبيع بقرته ، التي كان يعتمد عليها في حرث الأرض ، وسقيها ، لكنه قرر في يوم من الأيام أن يبيعها ، ويشتري مكانها آلة تسقي الزرع بطريقةٍ أسرع وأسهل من بقرته هذه! ونظراً لعدم قدرته المالية لشراء تلك الآلة ، اضطر إلى بيع البقرة لأحد جيرانه ، لكنه في نفس الوقت كان حزيناً عليها حزناً شديداً ، لأنها كان يحبها. وفي يوم من الأيام ، تعطلت الآلة الجديدة ، ولم يكن لديه المال الكافي لتصليحها ، وتمني في هذه اللحظة أن تكون معه بقرته القديمة ، لكنه لم يكن معه المال من أجل استرجاعها. فاضطرت زوجته لبيع ذهبها ، وبالفعل تمكن الفلاح من استرجع بقرته ، وفرح بعودتها! وفي تلك اللحظة قالت له زوجته المقولة المشهورة: "من فات قديمه تاه" ، واستمر هذا المثل يتداولُ بيننا حتى يومنا هذا).هـ. ولا نزال نسمع الدرس تلو الدرس ، ونطالع الحكمة تلو الحكمة ، ونتمثل المثل تلو المثل عن نكران الجميل وعن الخِسة والدناوة التي هي ديدنُ الانتفاعيين الأخسة أخسّهم الله ولا كثَّر من أمثالهم! إن الأرض لتسعد كل السعادة بأصحاب المُروءة الكُرماء المخلصين! وإن الناس ليَهشون لهم ، ويُحبونهم ويَحترمونهم! لأن السخاء والكرم والجود سمات طيبة يتفاضل بها الناس جميعهم. وصدقَ الشاعرُ الفذ الذي قال مبيناً حب الناس للكرماء والأسخياء من البشر:

رأيـــت النـــاسَ خِـــلان الكـــريم ولـــم أر بخـــيلاً لـــه فـــي العـــالمين خليـــلُ!

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى مبيناً أثر المعروف الطيب في نفوس أصحابه:

يد المعروف غنم حيـــث كانت تحمّلها شكورٌ أو كفـــــــور

ففي شكر الشكور لها جـــزاء وعند الله ما كفـــر الكفـــــور

وقال كعب الأحبار رحمه الله تعالى: ما أنعم الله على عبد من نعمةٍ في الدنيا ، فشكرَها لله وتواضعَ بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ، ورفعَ له بها درجة في الآخرة. وما أنعم الله على عبدٍ نعمة في الدنيا ، فلم يشكرها لله ، ولم يتواضع بها ، إلا منعه الله نفعها في الدنيا ، وفتح له طبقاتٍ من النار يُعذبه إن شاء أو يتجاوز عنه. قال ابن الأثير في النهاية: من كان عادته وطبعه كفران نعمة الناس وترك شكره لهم كان من عادته كفر نعمة الله – سبحانه وتعالى وعز وجل ـ وترك الشكر له. قال المُتنبي مبيناً خطأنا في إكرام كل لئيم خسيس نذل نجني من لؤمه الحنظل:

إذا أنت أكرمت الكريـــم ملكتـــه وإن أنت أكرمت اللئيم تمـــــردا

وقال الأصمعي: سمعتُ أعرابياً يقول: أسرع الذنوب عقوبة كفرُ المعروف. وقال أحد الصالحين: كن من خمسةٍ على حذر: من لئيم إذا أكرمته ، وكريم إذا أهنته ، وعاقل إذا أحرجته وأحمق إذا مازجته ، وفاجر إذا مازحته. وقال وهب بن منبه رحمه الله تعالى: ترْك المكافأة من التطفيف. وكتب ابن السماك إلى محمد بن الحسن رحمهما الله تعالى حين ولي القضاء بالرقة: أما بعد ، فلتكن التقوى من بالك على كل حال ، وخف الله من كل نعمةٍ أنعم بها عليك من قلة الشكر عليها مع المعصية بها ، وأما التبعة فيها فقلة الشكر عليها ، فعفا الله عنك كلما ضيعت من شكر ، أو ركبت من ذنب أو قصرت من حق. وقال بعض الحكماء: لا يزهدنك في المعروف كفرُ من كفره ، فإنه يشكرك عليه من لا تصنعه إليه. وإعطاء الفاجر يقويه على فجوره ، وتعليم الجاهل زيادة في الجهل ، والصنيعة عند الكفور إضاعة للنعمة ، فإذا هممت بشيء فارتد الموضع قبل أن تُقدم عليه أو تتركه. وهناك أناس عند الغضب ينكرون الفضل ، ويُفشون السر ويُضيعون الأمانة. أيها النذل إذا زرعتْ فيك أرضُك خيراً فلا تحصده خيبة منك. ألا إن كل ناكر للمعروف هو أشد خصومة وعداوة للكرماء ولأصحاب المروءات. ومن ينكر الفضل ، يزرع العداوة. وأسأل: كيف لشخص أصيل ينكر معروف غيره؟ والطيبون هم المعترفون بجميل غيرهم ، والصامتون عن معروفهم. وكل ناكر للمعروف هو شخص يكره نفسه قبل أن يكره غيره. وكل ناكر للجميل هو من أكثر الناس نفاقاً. وناكرو الفضل لا يُصنع فيهم معروف. فيا أيها الإنسان لا تتكبر عن حفظ الجميل ، ولا تكن أسوأ الناس خلقاً. ومن ينكر الفضل ، لا يمكن أن يعرف قيمة المعروف. والمعروف في حقيقته هو خيرٌ يأتيك من الغير ، ونكرانه يعتبر شراً تفعله. وينبغي عليك أن تخبر الناس دوماً بجميلهم ، فإن فعلت تكن محموداً عند الله وعباده. فكن للجميل حافظاً ، وإياك ونكرانه أبداً. ولا تزرع في درب من فعل فيك معروف شوكاً ، علك تأتيه غداً حافياً. ونكران الجميل سوء خلق. فلا تخبر الناس عن معروفك فيهم ، ولكن أخبر الجميع عن معروف الناس فيك. والخلق الرفيع هو الذي يدفعك للاعتراف بجميل الآخرين. وأهل المعروف ، هو الذي صنعت فيهم خيراً فردوه شكراً وفعلاً. وخير الناس للناس خيرهم لنفسه أولاً. ومن حسُن خُلُقُه استراح وأراح. ومن حسُن خُلقُه وجب حقُّه. وصــدق من قال:

هي الأخلاق تنبـــت كالنبـــات إذا سقيـــت بماء المكرمـــات!

وهيهات تكتم في الظلام مشاعل! إن أعمال المعروف يا أقوامنا تبقى بعد رحيل أصحابها تشهد لهم بالخيرية.

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيـــت فإن همُ ذهبـــتْ أخلاقهم ذهبـــوا

وخير الناس من فرح للناس بالخير. وخير صِلاتِ الكريم أَعْوَدُها. وساقي القوم آخرهم شراباً. وسيد القوم خادمهم. إن كل هذه المناقب التي كانت موجودة في قبائل العرب ومركوزة في نفوس الأعراب ، زكاها الدين الإسلامي الحنيف ، ووعد عليها مع التوحيد الجنة ، وهذا يكفي.

شكــرت جميــل صنعكم بدمعي ودمــع العين مقيــاس الشعــور

وعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به. وفي سعة الأخلاق كنوز الأرزاق. والشريف إذا تَقَوَّى تواضع بينما الوضيع إذا تَقَوَّى تكبر. وحُسْنُ الخلق خير قرين للإنسان. وحُسْنُ الخلق يوجب المودة بين الناس. وكل امرئ بما يحسنه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. والأمر بالمماثلة في القول والعمل ، والصنيع والفعل! والجود والكرم له أهله ، والشح له أهله كذلك:

كما أن الســـــؤال يُـذِلُّ قومــاً كـــذاك يعـــز قـــوم بالعطـــاء

فلا تكن حُلواً فتُؤكل ، ولا مُراً فتُرمى. واعلم بأنه لا خير فيمن لا يَأْلَفُ ولا يُؤلف. وصدق الشاعر إذ قــال:

صلاح أمرك بالأخلاق مرجعـــه فَقَـوِّم النفـس بالأخـلاق تستقـــم

وللشدائد تُدَّخَرُ الرجال. ولو كان الكذب ينجي فالصدق أنجى. وما كل من قال قولاً وفّى ، وإنما الأقوال ممهورة بالأفعال. ومعاتبة الإخوة – رجاء تصحيح المفاهيم وإصلاح الأحوال - خيرٌ من فقدهم. ومن تواضع لله تعالى رفعه بين الناس. وأي الناس ليس به عيوب؟ كما تساءل الشاعر. والْبِشْرَ في وجوه الناس دال على الكرم. والتواضع من مصائد الشرف. فيا أيها الإنسان: عامل الناس برأي رفيق ، والق من تلق بوجه طليق. والحر تكفيه الإشارة. والحِلْمُ سيد الأخلاق. والدال على الخير كفاعله كما أن الدال على الشر كفاعله. وإذا لم تستح فافعل ما تشاء. واعلم أن أطهر الناس أعراقاً أحسنهم أخلاقاً. وأفضل الجود العطاء قبل الموعد. والأخلاق أولاً ثم العلم والكفاءة ، هذا هو مفتاح السعادة للأفراد. ويُعنى العقلُ بالحقيقة ، وتهتم الأخلاق بالواجب أما الذوق فإنه يوصلنا إلى الفن والجمال. ومن أخلاق الجاهل الإجابة قبل أن يسمع ، والمعارضة قبل أن يفهم ، والحُكم القاطع بما لا يعلم ، ومقاطعة المخاطب له وهو يتكلم. وصدق من قال: إن في العزلة لراحة من أخلاط السوء ، أو قال من أخلاق السوء. ونحنُ لا نكون مساكين إلا إذا كنا بلا أخلاق. وفي الحكم ينكشف زيف الأخلاق. والأخلاق ليست فقط نظاماً للتعامل بين الناس ، ولكنها هي التي تنظم المجتمع وتحميه من الفوضى. وإذا أردت أن تعرف أخلاق رجل فضع السلطان في يده ثم انظر كيف يتصرف. والحضارة ليست أدواتٍ نستعملها ونستهلكها ، وإنما هي أخلاق سامية نوظفها. ونحن لسنا محتاجين إلى كثير من العلم ، ولكننا محتاجون إلى كثير من الأخلاق الفاضلة التي إن عملنا بها نفعنا قليل علمنا عن كثيره! وما جدوى المعارف دون تطبيق؟ فإلي كل نفس مريضةٍ لا تعترف بالجميل ، وتنكره ، وتدعو للفتنة ونشر الفرقة بين الأهل والأقارب بالكذب والافتراء والخديعة ، أقول بأن هذه المحاولات الحسيسة الدنيئة لن تُغيّر من المروءة ومن خلق أصحابها! وقد وجه النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى الاعتراف بالجميل وعدم نكرانه. فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أُعطيَ عطاءً فوجد فليُجْز به ، ومن لم يجد فليُثن فإن مَن أثنى فقد شكر ، ومن كتم فقد كفر ، ومن تحلَّى بما لم يُعْطَهْ كان كلابس ثوبَي زور. أما أن يحسن الآخرون إلى أحدنا فلا يجدون إلا نكرانًا ، فهذا دليل على خِسَّة النفس وحقارتها إذ النفوس الكريمة لا تعرف الجحود ولا النكران ، بل إنها على الدوام وفية معترفة لذوي الفضل بالفضل! فحين لا يُقر الإنسان بلسانه بما يقر به قلبه من المعروف والصنائع الجميلة التي أسديت إليه سواء من الله أو من المخلوقين فهو منكر للجميل. وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل معروف صدقة ، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق ، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك). رواه الترمــذي ، رحمه الله تعالى. فما أعظم هذا الدين الذي لم يترك شاردة ولا واردة ، إلا تحدث عنها ، وفصل فيها وكانت كاملة مكملة! ولكن ما هي ثمرات صناعة المعروف يا ترى؟ والجواب: ثمرات المعروف كثيرة ومتشعبة ، نذكر منها: أولاً: صرف البلاء وسوء القضاء في الدنيا والآخرة. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة). رواه ابن ماجه.

وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه أبو أمامة: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، وصدقة السر تطفئ غضب الرب). رواه الإمام الطبراني. ثانياً: دخول الجنة: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن أول أهل الجنة دخولاً أهل المعروف). رواه الطبراني. ثالثاً: مغفرة الذنوب والنجاة من عذاب وأهوال الآخرة. عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا: أعملت من الخير شيئاً؟ قال: لا. قالوا: تذكر ، قال: كنت أداين الناس ، فآمر فتياني أن ينظِروا المعسر ويتجوزوا عن الموسر ، قال: قال الله: عز وجل تجوزوا عنه وفي رواية عند مسلم: (فقال الله أنا أحق بذا منك تجاوزوا عن عبدي). رابعاً: أن نكران الجميل سببٌ لدخول النار: إنه حين تكون عادة الإنسان نكران الجميل ، وكفران الإحسان فإنه يسلك بذلك سبيلاً إلى النار – والعياذ بالله – فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أُريتُ النارَ فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن" قيل: أيكفرن بالله؟ قال: "يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهنَّ الدهر ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيتُ منك خيرًا قط). وينبغي شكر صاحب المعروف على معروفه! عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله). رواه الترمذي في سُننه. وعود إلى (نهلة بين الإشهار والتشهير) لنطالع ما من الله به علينا في ذلك)

خالفتِ السُنة يا (نهلة)! وحَملتِ - على الداعي - حَمْلة!

وغدا الإشهارُ كتشهير وأمورُ حياتكِ مُختلة

وغدا التذكير كتغرير أقبحْ بالباطل مِن شُغلة!

وشمختِ بأنفكِ في صَلفٍ وأسأتِ الفِعلة والقولة

وغرورُكِ بالمال تمادى وطوتْكِ - مع العُجْب - الغفلة

فلديكِ المرءُ بدرهمه وبسُكنى القصر ، أو (الفلة)!

وبذهب تسطعُ لمعتُه وبأرض قد زرعَتْ غلة

و(جراج) فيهِ مَركبة تختصرُ عذاباتِ الرحلة

وملابسَ من خير قماش فستاناً كانت ، أو بدلة

وطعام من أشهى صنف في (المَايْكرويفَ) أو الحَلة!

أنسيتِ الماضيَ إذ ولى؟ أنسيتِ الفقرَ أيا (نهلة)؟

أنسيتِ الحاجة يوم طغتْ؟ أنسيتِ العيشة في العَيلة؟

أنسيتِ الضنك يُسربلنا وحياة تغمرُها الذلة؟

لـــــكِ كـــــان الفقـــــرُ دوا نـــــزق ... ينـــأى بـــكِ عـــن هـــذي المَيلـــة

لتكـــــوني فـــــي وضـــــع أســـــمى ... مِـــــن حـــــال أمســـــتْ مُنحلـــــة

ووعظـــــتُ ، ولـــــم يُثمـــــرْ وعظـــــي ... إذ كانـــــتْ – للباطـــــل ـ صـــــولة

هـــــل كنـــــتُ أناصـــــحُ طائشـــــة؟ ... أوَتمتثـــــلُ النصـــــحَ الهبلـــــة؟

وتركـــــتُ الشـــــعرَ دواوينـــــاً ... تَهـــــدي ألبابـــــاً مُعتلـــــة!

تصِـــــفُ الأدويـــــة لمَـــــن مَرضـــــوا ... كـــــم شُـــــفيتْ بقـــــريض عِلـــــة!

فقـــــرأتِ ، وعِبـــــتِ قصـــــائدنا ... والزلـــــة تتْبعُهـــــا زلـــــة

مَـــــن كانـــــت لا تقـــــرأ حرفـــــاً ... أوْ تكتـــــب فـــــي نـــــص جُملـــــة

أمســـــتْ تنتقـــــدُ قصـــــائدَنا ... وتراهـــــا صِـــــيغتْ فـــــي عُزلـــــة

للشـــــعر عُقـــــولٌ تفهمـــــه ... وأراهـــــا ـ فـــــي النـــــاس ـ القِلـــــة

وقلـــــوبٌ تفقـــــهُ مَقصـــــدَهُ ... وتُصـــــرحُ لا تُنكـــــر فضـــــلة

أســـــرفتِ علـــــى نفســـــكِ لمّـــــا ... فضـــــلتِ عـــــن الشـــــعر الأكلـــــة

للـــــروح مبـــــادئ تمنحُهـــــا ... أفكـــــاراً تجعلهـــــا نبلـــــة

والشـــــعرُ يُلخـــــصُ زبـــــدتها ... والحـــــق يُناولهـــــا الدولـــــة

والـــــبَطنُ لهـــــا أكُـــــلٌ شـــــتى ... لـــــنْ تُشـــــبعها يومـــــاً بَقلـــــة

فلحـــــومٌ تتْبـــــعُ أســـــماكاً ... والحلـــــوى بعـــــدَ (النوتلـــــة)!

وعصـــــائرُ تـــــروي مِـــــن ظمـــــأ ... والقهـــــوة تغلـــــي فـــــي (الدلـــــة)!

مـــــا لـــــكِ والشـــــعر وأبحـــــره ... أبهـــــا أزيـــــاؤك مُبتلـــــة؟!

ونُـــــدِبتُ لعَقـــــدٍ أشـــــهدُهُ ... فـــــي مبنـــــىً أســـــفله تلـــــة

وجُمعـــــتُ بصِـــــل أمقتُـــــهُ ... ولقيـــــتُ العاقـــــدَ والشـــــلة

وعـــــريسُ الغفلـــــة منتظـــــرٌ ... بعـــــد اللقيـــــا يـــــوم الدخلـــــة

وتـــــراه النذلـــــة (عنتـــــرة) ... ويراهـــــا صـــــاحبُها (عبلـــــة)!

عُـــــــرسٌ لا يُعـــــــرفُ مأربُـــــــه ... تخِـــــذ الإســـــلامَ لـــــه ظلـــــة

ونكـــــــرتُ التصـــــــويرَ ، فهـــــاجوا ... وجـــــوابي لـــــم يُمـــــنحْ مُهلـــــة

وعلـــــى مَضَـــــض قبلـــــوا قـــــولي ... لكـــــن نقضـــــت قـــــولي الفعلـــــة

فالصـــــورُ علـــــى الفـــــور التقطـــــتْ ... وعروســـــتُنا أمســـــتْ رَجُلـــــة

تُفتِـــــي ، وتُطبّـــــقُ مـــــا أفتـــــتْ ... والعاقـــــلُ يَســـــتهجنُ عَقلـــــه

وتحمّـــــلَ قلبـــــي مَزلقهـــــا ... والســـــقطة مـــــا كانـــــت ســـــهلة

وإذا بالهـــــازل مُتصـــــلاً ... كـــــي نبـــــدأ فـــــي الســـــوآى جَولـــــة

فظننـــــتُ ســـــيَخزى مُعتـــــذراً ... عـــــن زوج مـــــا كانـــــت عَدْلـــــة

أو يطلـــــبُ مِنـــــي مَوعـــــدة ... لنحَـــــدّد للعُـــــرس الحفلـــــة

أو ينشـــــدُ عفـــــوي عـــــن نـــــزق ... مارســـــه فـــــي أبهـــــى حُلـــــة

بـــــل ســـــاقَ النـــــذلُ مفاجـــــأة ... لـــــم يـــــدر - لبلواهـــــا - ثقلـــــة

مِـــــن بيـــــت الزوجيـــــة يهـــــذي ... إذ عـــــرّسَ نـــــذلٌ بالنذلـــــة

والأمـــــرُ طبيعـــــيٌ جـــــداً ... واليـــــوم إذا تـــــدري عُطلـــــة!

فـــــيم اللـــــومُ؟ وفـــــيم العُتْبـــــى؟ ... أوَلسـنا مِـــــن أهـــــل القبلـــــة؟!

قلـــــتُ: أرى التوفيـــــق قلاكـــــم ... مـــــا زدتُ علـــــى هـــــذي القولـــــة

أيـــــن الإشـــــهارُ أيـــــا صـــــرعى؟ ... لـــــم هـــــذا التحليـــــلُ الأبلـــــه؟!

حفـــــلٌ تحضـــــرُه عائلـــــة ... وصِـــــحابٌ فـــــي العـــــادة قِلـــــة

والشـــــاي مـــــع (الكيـــــك) تحايـــــا ... والحلـــــوى تُوضـــــعُ فـــــي الســـــلة

وهـــــدايا تلـــــزمُ مَـــــن حَضـــــروا ... كِيســـــتُها شُـــــفعتْ بالقُبلـــــة!

مـــــاذا قـــــدمتُ لتقطعنـــــي ... ســـــنواتٍ تتـــــوالى (نهلـــــة)؟

زادتْـــــكِ الأمـــــوالُ غـــــروراً ... قتلـــــتْ فيـــــكِ النخـــــوة قِتلـــــة

أنـــــا أغنـــــى منـــــك بـــــأخلاقي ... أنـــا ـ فـــي قومـــكِ ـ أنـــدرُ عُمْلـــة

مَـــــن مِثلـــــي أكـــــرم عائلـــــة ... منهـــا غســـلَ الأيـــدي غِســـلة!

لـــــن ترجـــــعَ يومـــــاً عِشْـــــرتُنا ... يـــــومَ صَـــــحِبتُكِ فيهـــــا طفلـــــة

قـــــد نصـــــبحُ يومـــــاً فـــــي ودٍ ... إمـــــا طلـــــع الجمَـــــلُ النخلـــــة!

إن كنـــــتِ اســـــتبدلتِ بـــــأخّ ... زوجـــــاً ، هـــــذي أنكـــــى زلـــــة

صَـــــفقتُه بانـــــت ، وانتشـــــرتْ ... وتخطـــــتْ مســـــألة الدبلـــــة

خـــــدعَ الكـــــل بزخـــــرف قـــــول ... وسَـــــبا العِيـــــرَ بضـــــرب الطبلـــــة

نحـــــن خصـــــومٌ عنـــــد المـــــولى ... بعـــــد نهايـــــة هـــــذي الرحلـــــة

وأحاســـــبُكِ علـــــى تشـــــهير ... بـــــي فـــــي حاضـــــرةٍ أو نزلـــــة

ومـــــوازينُ المـــــولى وُضِـــــعتْ ... أكـــــرمْ بمـــــوازين عدلـــــة!

وأقـــــول ، ويســـــمعُني ربـــــي: ... خـــــذ خـــــالصَ حقـــــي مـــــن (نهلـــــة)!

لولا حُرمة البيت لزدْتُك!

(عاد هذا الغريب إلى داره بعد عقدٍ من السنين في دار غربته. وكان طبيعياً أن يأتي الأهلُ والجيرانُ والأصدقاءُ للسلام على رجلٍ اشتاقوا إليه واشتاق إليهم. وفجأة يخرجُ - من بين جموع الضيوف والزائرين - أحدُ الحاقدين الحاسدين ، ولم يستطعْ إخفاء حقده وإضمار حسده حيث قال: أنا أفضل من فلان! وفلان هذا هو الغريب المُضِيف المَزور ضحية قصيدتنا! والرجل أحدُ طلبة العلم ، وأحدُ المتفضلين على الحاقد وأهله! وراح الحاقدُ الغِر الجبانُ يتنقصه بين الناس! وكانت الكلمة مسموعة للكل! فأشار إلى الغريب أحدُ الحاضرين بإيماءاتٍ يُفهم منها أن يطلب إليه أن يتجاهل ذلك الغشيمُ الحاقدُ الجاهل! فوافق الرجل احتراماً لطلب صاحبه! وعاد الحاقدُ فكرر الكلمة الباطلة: (أنا أحسن من فلان!) فأشار الصاحبُ الطيبُ للرجل الغريب أن يصمت ويَدعَ الحاقد يَهذي ويهرف بما لا يعرف ، فلربما خفف ذلك عنه من غلوائه وحقده! فوافق الغريبُ للمرة الثانية! وبعد وقتٍ قصير كررَ الحاقدُ كلمته للمرة الثالثة ، ثم أعقبَ ذلك بصمتٍ تابعه عليه الجميع! فأشار الرجلُ الطيب أن انتصرْ لنفسك مادام الحاقد لا يستحيي. فسأل الغريبُ الحاقدَ قائلاً: أنت أفضل مني في ماذا؟! فسكت الحاقد! فأعاد الغريب سؤاله على مرأى ومسمع من الجميع ، فلقد ساد صمتٌ طويل. فسأل الغريب: يا هذا لقد كررت كلمتك ثلاث مراتٍ ففيم صمتك الآن؟ لماذا لا تجيب على سؤالي! فقال الحاقد: نعم أنا أفضل منك. وافهمها كما يحلو لك. فقال الغريب: إن عنيت أنك أفضل مني في التطاول والحقد والحسد وانتقاص منازل الناس وأقدارهم فهذا صحيح! وإن عنيت أنك أفضل مني في الدين والتدين والدنيا ، فلنحسبْها معاً! وقبل الحساب ينبغي أن نعلم أن الله وحده هو الذي يعلم الخيرية والأفضلية! والآن لنحسب: أنا معي نصفُ القرآن استظهاراً ، ومعي من حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما الله تعالى به عليم. فماذا معك من هذا شيء؟ فضلاً عن إعطائي الدروس والمواعظ والمحاضرات! فهل لك في شيء من هذا كله نصيب؟! وإن عنيت الشهادات فمعي شهادة جامعية لها درجتها العلمية فماذا معك؟ وإن عنيت الدنيا فقبل سفري كانت لي دراجة هوائية عليها قفصٌ لحمل ما أشتريه من المتاع ، وبعد عودتي ها أنت ذا ترى سيارتي تحت البناية! ولقد تركتُك قبل سفري تركبُ حِماراً لك ، واليوم وبعد عودتي ها أنت ذا تربط حمارك ذاته في عامود للكهرباء بجوار سيارتي! فكيف رأيت نفسك أفضل مني وتجهر بها ثلاثاً؟! والله الذي بعث محمداً بالهدى ودين الحق ، لولا أنك ضيفٌ عليّ في بيتي لأسمعتُك ما لم ولن تسمع في حياتك. يا هذا اتق الله ، فكلنا لآدم وآدمُ من تراب! والأفضلية بالتقوى والعمل الصالح المقبول عند الله تعالى! وأنا لم أقل هذه الكلمة لك وأنا أولى وأجدر بها! منعني من ذلك خلقي وأدبي وتديني! بالإضافة إلى أنني لا أريد أن أتعالى على الناس بنعمة ربي التي منحني إياها! وما كنت لأرد عليك إلا لأنك كررتها ثلاثاً ، فكان هذا استفزازاً ممقوتاً منك تُؤاخذ عليه ولا شك! وأنا من لحم ودم وأعصاب وشعور ، ولستُ من حديد لأتحمل هذه الحماقات وتلك السخافات وهاتيك التجاوزات! وكان ردي عليك من باب: (لا يحب الله الجهر بالسوء إلا من ظلم) ، وأنا ظلمتُ وتُجووز عليّ ولا شك! فلا عيب إن رددت! وتحت عنوان: (ولاية المؤمن) في خطبة الجمعة يقول أستاذي صالح آل الشيخ في خطبته ما نصه: (المؤمنون بعضهم لبعض أولياء! المؤمن وليٌ للمؤمن يُحبه وينصره ويحمي عِرضَه ، ولا يرضى أن يُهان أو يُذل ؛ لا يرضى المؤمنُ أن يكون أخوه المؤمن الآخر مهيناً ذليلاً بين الناس ، بل إنما إذا وقع ذلك ينصره ، وذلك من مُقتضى محبته له وولايته له! يقول الله جل وعلا: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ

بَعْضٍ) ، فأثبت الوَلاية بين المؤمنين ومحبة المؤمن للمؤمن ، ومن ثمرات تلك الوَلاية وتلك المحبة أن يحمي المؤمن عِرض أخيه المؤمن ؛ وأن لا يقذفه بأمر أو بعيب وقع فيه ، وإنما تلك الوَلاية تقود المؤمن لأن ينصح لأخيه المؤمن ، وأن يحب له من الخير ما يحبه لنفسه ، فكل هذه الأمة خطاء ، وخير الخطائين التوابون ، فإذا وقع الخطأ أو الزلة من المؤمن فإن أخاه المؤمن يسعى في النصيحة إليه بما يحب أن يُنصح به ، فإن القلب يحب النصيحة الخالصة التي ليس فيها تشهير ، وليس فيها تشفٍّ ، وليس فيها غرض من أغراض النفس ، وعند ذلك يتمثل الإيمان بين المؤمنين رابطاً قوياً يحمي بعضهم بعضاً وينصر بعضهم بعضاً ، وقد شاع بين الناس في هذا المجتمع بل وفي كل مجتمع يضعف فيه الناس عن امتثال أمر الله وعن امتثال أمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن تكون بعض مجالسهم وقيعة في إخوانهم المؤمنين وأذية للمؤمنين والمؤمنات. بعض الناس الذين ضعف إيمانهم إذا سمعوا باطلاً ، إذا سمعوا خطأ وقع فيه بعض إخوانهم المؤمنين أشاعوه ونشروه ، ورأوا أنهم بذلك نصحوا لله ولرسوله وللمؤمنين ، وهذا خلاف ما يقتضيه الإيمان وتقتضيه المحبة بين المؤمنين ، هذا إن كان ذلك الذي يذكر ، سواء إن كان ذلك الذي يذكر صواباً ، فكيف إذا كان افتراء ، كيف إذا كان كذباً يتناقله الناس دون رعايةٍ لحق إخوانهم المؤمنين ، يقول الله جل وعلا: (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا) ، فبين الله جل جلاله وتقدّست أسماؤه في هذه الآية أن الذين يرمون المؤمنين والمؤمنات ويؤذونهم بأشياء لم يكتسبوها ولم يفعلوها وهم بُرآء منها أنهم قد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ، احتملوا بهتاناً وهو الإفك الذي لم يأتِ أصحابه عليه ببينةٍ! إنما سمعوا القالة السيئة فنشروها ورددوها ، وليس لهم على ذلك برهان وليس لهم عليه بينة ، واحتملوا أيضا إثماً مبيناً ؛ إثماً يبوء به صاحبه بيِّنٌ أنه إثم ، بيِّنٌ أنه معصية ، بيِّنٌ أن صاحبه ليس عليه أجر ، بل عليه الإثم والسوء في هذه الدنيا وفي الآخرة ، وهذا الوصف الذي في هذه الآية شاع من قديم فرمى المؤمنين والمؤمنات طائفة رموا أعلى المؤمنين إيماناً وأعلى المؤمنات إيماناً وهم صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رموهم بغير ما اكتسبوا ؛ رماهم الرافضة في زمن الصحابة وفيما بعده من الأزمان ، رمَوا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأشياء لم يعملوها ولم يكتسبوها ؛ بهتان وإثم مبين كما وصف الله جل وعلا بأنهم اكتسبوا بهتاناً وإثماً مبيناً لمَّا رموا الصحابة وهم أعلى المؤمنين إيماناً ، وهذا شاع في الناس فيما مضى من الزمان وشاع في هذا الزمان ، كذلك رمى طائفة من هذه الأمة من يلي الصحابة في الإيمان وفي تحقيق الإسلام وهم علماء هذه الأمة ، الذين اهتدوا بهدى الله ، والذين ساروا بالسنة ، والذين دعوا إلى عقيدة التوحيد وإلى عقيدة السلف الصالح فيما مضى من الزمان وفي هذا الزمان ، فشاع في طائفة من الذين خف عليهم إيمانهم ومن الذين رأوا أنهم إذا كانت قدمهم في النار ، فإن هذا ليس مهما بالنسبة لهم ، وقعوا في علماء الأمة بغير ما اكتسبوا ، ترى الواحد منهم يقول كلمة هي من الظنّ ليست من اليقين ، إنما يظنها ظنا يقول أظن كذا ، فيسمعها الآخر في المجلس فيُحَوِّرُها إلى أنه قيل كذا ، فيأتي الثالث فيُحَوِّرُها إلى أنني سمعت كذا ، فيأتي الرابع فيقول حدثني الثقة بكذا ، فيأتي الخامس فيجعلها حقاً وحقيقة لا تقبل النقاش ولا الجدال فتسير في الناس ، وهي رمي للعلماء ورمي لأولئك الهداة بغير ما اكتسبوا ، بشيء لم يكتسبوه ، ولم يفعلوه ، وإنما هو رمي رماهم الناس به ، وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبو داوود والترمذي وغيره حينما سئل عليه الصلاة والسلام عن الغيبة قال: «هي ذكرك أخاك بما يكره» قيل له عليه الصلاة والسلام: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن كان ليس فيه ما تقول فقد بهته». وهذا هو الواقع في كثير من المجالس يذكرون أولئك العِلية ، أولئك الصفوة ؛ الذين دعوا إلى الهدى ودعوا إلى عقيدة السلف الصالح ، ودعوا إلى الاستمساك بالإسلام رموهم بما هم بُرآء

منه غاية ما يكون أن يكون القول ظناً ، والله جل وعلا يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ)! ففرض على المؤمنين أن يجتنبوا الظن فيما بينهم ، وأن يجتنبوا اللمز فيما بينهم! أن يلمز المرء منهم أخاه أو أخته في الإسلام ، فكيف بأن يكون اللمز موجهاً لورثة الأنبياء الذين هم الصفوة ؛ هم الصفوة وهم النخبة الذين اصطفاهم الله جل وعلا لحمل الدين ولوراثة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث قال عليه الصلاة والسلام: «العلماء ورثة الأنبياء» ، نعم إن هذا الأمر واقع! وواجب على المؤمنين أن تكون مجالسهم مبرأة من البهتان ، مبرأة مما يكسبهم الإثم المبين والذنب العظيم بالوقيعة وباللمز لهداة الأمة من علمائها الذين هم صفوتها ، وهذا شاع وكأن الناس في هذا الزمان لا يهمهم أن تكون أقدامهم واردة على النار صالية بعض العذاب ، والعياذ بالله. فواجب على أهل الإيمان واجب أن يكون بينهم التناصر ، وأن يكون بينهم المودة التي من آثارها ليحموا عرض بعضهم بعضاً ، وأعلى العرض حق أن يحمى هو عرض علماء هذه الأمة ، فإن الظن ؛ ظن السوء عاقبته لأصحابه وخيمة فمن ظن سوءاً بإخوانه ظُنَّ به سوءاً ، ومن تشفى تُشفي منه لأن الحسنة يجزى صاحبها بمثلها والسيئة تعود على صاحبها بمثلها والعياذ بالله. كذلك من الوقيعة في المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ما يشيع في بعض المجالس ؛ مجالس المؤمنين ، مِن أنهم يرمون المؤمنين بالظن والسوء ، ويلمزون المؤمنين بالسوء من القول أو العمل وكل ذلك واجب أن يخمد ولا ينشر ؛ لأن نشره دليل على وقيعة المرء في نفسه ألم تر إلى قول الله جل وعلا: (وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ) فالمؤمن إذا لمز أخاه المؤمن أو أخته المؤمنة فإنما يلمز نفسه ؛ لأن المؤمن أخ للمؤمن يرعى في الدفع عن عرضه ، وفي حماية حرمته ، وفي حماية ذاته وعرضه وهذا هو الواجب ، وكيف بنا وبمن يقول إذا رأى سوءاً أو سمع سوءاً من القول أو من العمل فتراه ينشره كأنه لا يهمه الإثم والسيئات التي ستكتب عليه ، وقد قال عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ «وكف عليك هذا» وأشار إلى لسانه قال له معاذ: يا رسول الله أو مؤاخذون بما نقول؟ قال: «ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكبّ الناس في النار على مناخرهم أو قال على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟». من سمع بشيء لم يتحقق منه فلا يتكلمنّ به فإن حماية عرض المؤمن واجبة وخاصة إذا كانت في أعراض المؤمنات ، من سمع بشيء وتحقق منه فلا يجوز له أن ينشره وأن يُسمِّعه الآخرين من المؤمنين ،إنما الواجب عليه أن يسعى في النصيحة سراً لأن تلك الذنوب إذا نُشرت بين المؤمنين تساهلوا فيها ، وكان نشرها قائداً لانتشارها أكثر وأكثر بعد القول بالفعل ؛ لأن نشر مثل ذلك الكلام يخفف المعصية ، ويقود أن يتساهل الناس بذلك.).هـ.)

عـــن المبـــادئ أنـــت الراغـــبُ العـــاري ... وصُـــحبة النـــذل تُبلِـــي الشـــهمَ بالعـــارِ

كـــم ابتُليـــتُ بأنـــذال ، وضِـــقتُ بهـــم ... ذرعـــاً ، وكـــان الـــبلا نـــذيرَ أوضـــار!

وكـــم تحمّلـــتُ آلامـــاً يَنـــوءُ بهـــا ... ليـــثٌ يَصـــولُ بأنيـــاب وأظفـــار!

وكـــم رمـــاني بســـوء الوصـــف زيـــرُ نســـا ... مُرَوّجـــاً بعـــده رَدئَ أخبـــار!

وكـــم سَـــقاني الأذى وَبْـــشٌ ومُرتـــزقٌ ... مُحَرّقـــاً سُـــمعتي الشـــهباءَ بالنـــار!

وكـــم لقيـــتُ مِـــن الرفـــاق تحسَـــبُهم ... عنـــد الشـــدائد كـــانوا خيـــرَ أنصـــار!

بـــرغم أنـــيَ لـــم أحْقِـــرْ مَحامـــدَهم ... بـــل عِشـــتُ أمـــدَحُهم بكـــل إكبـــار

ولـــم أشـــهّرْ بهـــم فـــي كـــل مُصـــطدم ... ولـــم أبُـــحْ – للـــورى – عـــنهم بأســـرار

ولـــم أذِقهـــم مِـــن الخـــذلان خردلـــة ... فالخـــذلُ مَخبثـــة تُـــزري بمِغـــوار

ولـــم أزجَّ بهـــم فـــي ســـاح خندمـــة ... بـــل كنـــتُ أنـــأى بهـــم عـــن أي أخطـــار

حتـــى أتـــى حاقـــدٌ تفـــوحُ غيرتُـــه ... غِـــلاً دَهـــى مَجلســـي بـــدون إنـــذار

مـــاذا دهـــاك لكـــي تهـــذي فتجرحنـــي ... بقـــول مُجتـــرئ عـــن صِـــحةٍ عـــاري؟

والأفضـــــلية ربُ النـــــاس يعلمُهـــــا ... وهْـــو العلـــيمُ بأنجـــاس وأخيـــار

وكنـــتَ كـــررتَ قـــولاً لا أســـاسَ لـــهُ ... أبْـــئسْ بقـــول وتعييـــر وتكـــرار!

يـــا جـــاهلاً بالـــذي تقـــولُ فـــي مَـــلأ! ... جمـــيعُهم شَـــرعوا فـــي الأخـــذ بالثـــار

لكننـــي قلـــتُ: لا ، للـــدار حُرمتُهـــا! ... فينبغـــي أن تُراعَـــى حُرمـــة الـــدار

فقـــط أجادلـــهُ فيمـــا يُـــرددهُ ... علّـــي ألاقـــي لـــه رُتـــوشَ أعـــذار

حتـــى وإن لـــم أجـــدْ كنـــتُ الـــرحيمَ بـــه ... بمنطـــق لـــين الألفـــاظ مِهـــذار!

فلـــن أعَنتـــهُ ، ولـــن أبكّتـــهُ ... لكـــنْ أناقشـــه فـــي بعـــض أفكـــار

هـــذا الغشـــيمُ أراه لـــيس يعرفنـــي ... ولا يّراعـــي لقـــوم أي أقـــدار

رأيـــت نفســـك يـــا هـــذا مُفضـــلة ... وكِلـــت مِـــدحَتها أمـــام سُـــمّاري

واســـتهجن الكـــل مـــا أعلنتـــه غـــرداً ... مـــا عـــاد يـــنقصُ إلا الضـــربُ بالطـــار

تقـــول: أحسَـــنُ منـــي اليـــوم مَرتبـــة ... وبـــي اســـتهنتَ مِـــراراً بـــين زوّاري

ولا أزكّـــي - علـــى الـــرحمن - خالقِنـــا ... نفســـاً يُلطخهـــا العصـــيانُ بالقـــار

لكـــنْ أحـــدّثُ بـــالنعمى خُصِصْـــتُ بهـــا ... واللهُ حســـبيَ فـــي قـــولي وإعـــذاري!

كنـــتُ الفقيـــرَ الـــذي علـــى الكَفـــاف حيـــا ... ولا أحصّـــلُ قـــوتي دون أســـفار

رِق الوظيفـــة أوهـــى مُنتهـــى جلـــدي ... وعِيشـــتي حَفلـــتْ بـــبعض أكـــدار!

مَلكـــتُ درّاجـــة مـــن فوقهـــا قفـــصٌ ... حتـــى عُرفـــتُ بهـــا فـــي كـــل أمصـــاري

ولستُ أنكرُها ، وليس تنكرُني ... وهل تزولُ مِن الذكرى بإنكاري؟

واليومَ أبدلني المليكُ مَركبة ... أقضي على مَتنها جميعَ أوطاري

مَتينة أتقنَ الألمانُ صَنعتها ... تُسابقُ الريحَ في عزم وإصرار!

وكنتُ أسكنُ داراً لا سُقوفَ لها ... واليوم حَدّثْ أيا دُهقانُ عن داري

طولاً وعرضاً وحُسناً في بهيج رُباً ... يكادُ يَذهبُ مَرآها بأبصار!

وشَطرَ قرآن ربي اللهُ حَفظني! ... واللهُ علمني حديثَ (مُختار)!

والفضلُ لله ربّاني وأدّبني ... وإن تكنْ عِيشتي مرّتْ بأطوار

فمَن تكونُ لكي تُزري بمنزلتي؟ ... ومن تكونُ لكي تُذيع أسراري؟

ومَن تكونُ لكي تنال دون حيا ... مِن عِرض مَن لم يكنْ يوماً بغدّار؟

ومَن تكون لكي جهراً تُحقرَني؟ ... أبئسْ بغِر - على التحقيق - ثرثار!

أنا المُضَيَّعُ إمّا كنتَ مِن نسبي ... أو كنتَ يا حاقداً مِن بعض أصهاري

أنا المُشتت إمّا كنت لي عضُداً ... أو كنت يا حاسداً مِن بعض أجواري

زِن الكلامَ ، ولا تهرفْ بلا رَشَدٍ ... بعضُ الكلام شذىً ، والبعضُ كالنار

ودارِ حقدَك ، إن الحقدَ مَلهبة ... وكم يَضرُّ إذا وافى بإظهار!

ما دُمت دُوناً لماذا تستطيلُ على ... عبدٍ رعاك بتفضيل وإيثار؟!

لم التطاولُ في سِر وفي عَلن؟ ... ألم يقولوا بأن الجار للجار؟

أليس جاراً لكم يَرومُ جيرته ... كلُ الأماجد مِن صِيدٍ وأبرار؟!

إن التعاملَ بالحُسنى له ألقٌ ... وفي النفوس له جميلُ آثار

وللكلام دِلالاتٌ تُزخرفُه ... كما نُزخرفُ مَأوانا بأزهار

وقد يكونُ صُخوراً كم تُسِيلُ دماً ... هل يُرتجى الخير في لفظٍ كأحجار؟

يا رب قوّمْ لنا مُعْوَجَ ألسنةٍ ... كي لا نواجهَ منها شرَّ أضرار!

أنا النذير العُريان!

(أراد ذلك الرجل أن يبين وضوح منهجه في التعامل مع قوم يتلاعبون به ويستهينون فقال: (أنا النذير العُريان يا قوم) الكلمة التي هي جزء من حديث للنبي – صلى الله عليه وسلم - فازدادت سخرية الناس ، وصاروا يتفكهون بالكلمة للنيل من الرجل. فتبنى إثبات الكلمة. وقال: أخرج الشيخان البخاري ومسلم من حديث أبي موسى - رضي الله عنه – قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إنما مثلي مثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوم فقال: إني رأيت الجيش بعيني ، وإني أنا النذير العُريان ، فالنجاء النجاء ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا. وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم. فذلك مثل ما أطاعني فاتبع ما جئت به ، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق). وإذن فالنذير العُريان مأخوذة من عادة العرب في الجاهلية عندما يرى أحدهم العدو ينزع ثوبه ، ويلوحُ به لينذر به قومه ويبقى عُرياناً. وهذا المعنى الذي أراده النبي - صلى الله عليه وسلم - من أنه يُبينُ للناس الحق بكل بيان ووضوح وحرص عليهم وإشفاق ، فالكلمة صورة مستوحاة من البيئة. وإذن فلم يكن هناك ما يُبرر التندر والتفكه والسخرية والاستهزاء ، ولكنها الجراءة على دين الله كتاباً وسُنة. وجاء في شرح ابن حبان للراجحي ما نصه: (قال صلى الله عليه وسلم: (إن مثل ما آتاني الله من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً ، فكانت منها طائفة طيبة قبلت ذلك ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وأمسكت الماء فنفع الله بها الناس ، فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به ، فعلم وعمل ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به). وقد رواه البخاري من حديث أبي موسى بلفظ: (فعلم وعلم). فطائفة كالأرض الطيبة التي تقبل الماء فتنبت الكلأ والعشب ، قال العلماء: وهذا مثل العلماء الذين تعلموا وتفقهوا وفجروا ينابيع النصوص وحفظوا الأحاديث فانتفعوا في أنفسهم ونفعوا ، وقد شبههم الرسول الكريم بالأرض التي تمسك الماء فيأتي الناس وينتفعون بها. والطائفة الثانية: وصفها الرسول عليه الصلاة والسلام بقيعان لا تمسك الماء ولا تنبت الكلأ فلا تستفيد لنفسها ولا تفيد غيرها ، وكذلك مثل من لم يستفد ولم يقبل هدى الله وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام. والرسول صلى الله عليه وسلم شبه الإنسان في قبوله الحق بالأرض! وهي ثلاثة أنواع فصلها عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه البخاري: (مثل ما بعثني الله به من العلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الماء والعشب الكثير ، وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان أمسكت الماء فشرب الناس وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً) ومعناه أن الأرض ثلاثة أنواع وكذلك الناس! فالنوع الأول من الأرض ينتفع بالمطر فيحيا بعد أن كان ميتاً ، وينبت الكلأ ، فتنتفع بها الناس والدواب وغيرها ، وكذا النوع الأول من الناس فيبلغه الهدى والعلم فيحفظه فيحيا قلبه ويحيا به ، ويعلمه غيره ، بعد أن يعمل به فينتفع وينفع. والنوع الثاني من الأرض هو ما لا يقبل أن ينفع نفسه ولكنه ينفع الناس والدواب وغيرهما بأن يحفظ لهما الماء على سطحه ، وهذا مثل أهل القلوب الحافظة لكن ليس لهم أفهام ثاقبة فيحفظون الأحاديث ليأتي بعد ذلك طالب متعطش لما عندهم من الحفظ فيستخرج فوائده وينتفع به. والنوع الثالث هي الأرض الجدباء لا تنبت فهي لا تنتفع بالماء ولا تملكه لينتفع به غيرها ، وهذا مثل من يسمع العلم فلا

ينتفع به ، ولا يحفظه لغيره).هـ. فرحتُ أنشد على لسان ذلك النذير العُريان هذه القصيدة في محاولةٍ مني للانتصار له ، لأنه رجل مظلوم. أبتغي بذلك وجه الله ، فتخيلته يشكو ويقول:)

أعيـــا الأبـــاعرَ مِنطقـــي وبَيـــاني ... فاســـتهزأوا بالمُنـــذر العُريـــانِ

وتنـــدّروا بســـفاهةٍ ، واستســـخروا ... وتعللـــوا بـــالزور والبُهتـــان

واســـتكثروا منـــي الـــدفاعَ يَـــدينُهم ... فســـطوْا علـــى الإثبـــات والبرهـــان

وتبجّحُـــوا فـــي قـــولهم ، وتزيّـــدوا ... وتوشّـــحوا بـــالبغي والطغيـــان

وتخرّصـــوا فيمـــا ارتـــأوْه ، وبـــالغوا ... وتصَـــيّدوا الهفـــواتِ كالـــذؤبان

وتســـلحوا بـــالهزل دون تحفـــظٍ ... حتـــى تضـــيعَ معـــالمُ الفرقـــان

وتـــذرّعوا بالجهـــل يُبـــرز حُمقهـــم ... وتخبّطـــوا ـ فـــي الغـــيّ ـ كالعُميـــان

وترنحـــوا ـ عنـــد اللقـــاء ـ تخـــالهم ... زمَـــراً مـــن الغِربـــان والحِـــدآن

تـــا الله مـــا علمـــوا حقيقـــة حُجتـــي ... كـــلا ، ولا فقهـــوا جميـــلَ معـــاني

تـــا الله مـــا اعتبـــروا بمـــوعظتي التـــي ... قـــد سُـــقتها بتبتـــل وتفـــان

تـــا الله مـــا فهمـــوا ، ولا لـــن يفهمـــوا ... إن غلبـــوا منظومـــة الشـــنآن

يـــا قـــوم أنـــتم جـــاهلون ، تعلمـــوا ... فـــالعلمُ يرفـــعُ قيمـــة الإنســـان

وزنـــوا الأمـــور بدقـــةٍ ، وتـــدبّروا ... وضَـــعوا كـــلام النـــاس فـــي الميـــزان

وتريّثـــوا فيمـــا أردتُـــم قولـــه ... كـــم مِـــن نفـــوس أزهقـــت بلســـان!

وتمهلـــوا فـــي الحكـــم يُكتـــب وِزرُه ... ويبـــوءُ إمـــا اختـــلَّ بالخســـران

يـــا قـــوم إن لنـــا حقوقـــاً عنـــدكم ... قـــد سَـــنها الجبـــارُ فـــي القـــرآن

ولتُســـألن عـــن المظـــالم كلهـــا ... عنـــد المليـــك الواحـــد الـــديان

أنـــا مـــا اعتـــديتُ لتـــذهبوا بكرامتـــي ... ولتلعبـــوا بتعففـــي وكيـــاني

أنـــا مـــا تجـــاوزتُ الشـــريعة والهُـــدى ... لأداسَ فـــي ســـر وفـــي إعـــلان

أنـــا لـــم أنـــل مـــنكم ، ولـــم أكُ مُهْـــدِراً ... حـــق الجـــوار لكـــي أعـــيش أعـــاني

أنـــا لـــم أكلفكـــم عنـــاء مَـــودتي ... أبـــداً ، ومـــا صـــرّحتُ بالعـــدوان

أنـــا لـــم أكـــن عِبئـــاً علـــيكم لحظـــة ... لأذوقَ مُـــر الصـــدّ والهجـــران

أنـــا لـــم أنـــافقْ كـــي يقـــال: منـــافقٌ ... إن النفـــاق ينـــال مـــن إيمـــاني

أنـــا ســـاقني رب الأنـــام لعـــزكم ... فخـــدمتُكم بالجـــدّ دون تـــوان

وبـــذلتُ نفســـي كـــي تكونـــوا فـــي الـــذرى ... وخصصـــتُكم بـــالجود كـــل أوان

حتـــى إذا نلـــتُم مـــآربَكم ، بـــدتْ ... لغـــة التشـــفي مِـــن فتـــىً مِعـــوان

فجهـــرتُ: أن عُـــودوا لســـالف عهـــدكم ... لا تعمَـــدوا للظلـــم والخـــذلان

وأبنـــتُ مِـــن حُجَجـــي الكثيـــرَ مُـــؤمّلاً ... - واللهِ - دَحْـــرَ وســـاوس الشـــيطان

ومُبيتـــاً حُســـن النوايـــا ، راجيـــاً ... دَحـــضَ الفِـــرى وإقامـــة الأركـــان

ومُفنـــداً شُـــبَهاً تفـــاقمَ شـــرّها ... واســـتحكمتْ بـــالزور فـــي الأذهـــان

واختـــرتُ ألفاظـــاً تُؤلـــفُ بيننـــا ... مـــن ســـاحر التصـــوير والتبيـــان

حتـــى إذا عَجمـــتْ علـــيكم أشـــكلتْ ... وبـــرغم مـــا تحويـــه مِـــن رُجحـــان

لـــو تســـألوني عـــن غمـــوض شـــابَها ... لكـــنْ رَفعـــتم حَربـــة الأضـــغان

وكـــأنني فـــيكم خـــدعتُ ، فوَصْـــلكم ... نـــارٌ ، وهـــل يُلتـــذ بـــالنيران؟

فلأشـــكونّ الحـــالَ لله الـــذي ... بكـــمُ ابتلانـــي ، جَـــلّ مِـــن رحمـــن!

وأنـــا العزيـــز ، ولـــنْ أطـــاطِئ هـــامتي ... يومـــاً لكـــم بالـــذل والإذعـــان

ســـبحانك اللهـــم قـــد أغنيتنـــي ... عـــنهم ، فلســـتُ حِيـــالهم بمُـــدان!

ولســـوف أحيـــا مُنـــذراً ومُبشـــراً ... مُتمـــثلاً بمَقالـــة العدنـــان

تبديدٌ متعنت!

(كان يأتمنه على ماله. فاعتاد أن يبعث بماله لهذا الرجل ليصنع مستقبلاً لأولاده الذين لم يكونوا غرباء عن الثاني. فإذا به يبدد المال ، فلما عاتبه الأول تلجلج واحتج بأنه لم يبدد. فكانت مغالطة. جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة فقال: "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، قال: وكيف إضاعتها؟ قال: إذا وسّد الأمرُ إلى غير أهله فانتظر الساعة". [البخاري]. وقال صلى الله عليه وسلم: "لا إيمان لمن لا أمانة له! ولا دين لمن لا عهد له". [صحيح]. قال أبو ذر: يا رسول الله: ألا تستعملني - يعني ألا تجعلني والياً أو أميراً أو رئيساً لك على إحدى المدن - قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: "يا أبا ذر إنك ضعيفٌ ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خِزي وندامة ، إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذي عليه فيها".[مسلم]. فكتبتُ للصهر هذا من الوافر!)

يقـــولُ النـــاسُ أنـــي اليـــومَ مِحجـــاجُ ... ولـــي - مـــن دقـــة البرهـــان - مِعـــراجُ

فضـــمّد مـــا تـــداعى مـــن علاقتنـــا ... فبـــئس علاقـــة تُـــردي ومِنهـــاج!

بهـــا ضـــاعت كرامـــاتٌ وأحـــلامٌ ... وآمـــــــــــــــــــــالٌ وأولادٌ وأزواج

وفيـــك خُـــدِعتُ ، والـــرحمنُ مُطلـــعٌ! ... كمـــا خُـــدعتْ مـــن الخـــلان أفـــواج

أتلعـــبُ بـــي؟ أتطعـــنُ ودّ صـــحبتنا؟ ... وهـــل مِثلـــي لـــه رِقٌ وإحـــراج؟

أتهـــزأ بـــي - أمـــام النـــاس - دون حيـــا؟ ... وهـــل يأتيـــك - ممـــا قلـــت - إبهـــاج؟

أتطعـــنُ عِـــرض مُعتـــز بشِـــرعته؟ ... وهـــل تبقـــى - مـــع الإذلال - أوشـــاج؟

فحاســبْ نفســك العجلــى ، وكــنْ فطنــاً ... وأنــتَ - إلــى حســاب الــنفس - مُحتــاج

فقـــد أشـــعلت نيرانـــاً تُحَرّقنـــا ... لهـــا فـــي البيـــت أشـــواظٌ وتأجـــاج؟

وكـــم بـــدّدت أمـــوالاً شـــقيتُ بهـــا! ... وأنـــت تقـــول: إنـــي - اليـــوم - مِحجـــاج

ألا إنـــي لفـــي شـــكٍ يُمزقنـــي ... ويخنقنـــي - إذا فكـــرتُ - إنشـــاج

لمـــاذا اختـــرتُ ذل العـــيش بيـــنكمُ؟ ... ألـــمْ تـــكُ تفـــتحُ الأحضـــانَ (ســـوهاج)؟

أتمثيليـــــةٌ هـــــذي مُدبلجـــــةٌ ... لهـــا نـــصٌّ وتمثيـــلٌ وإخـــراج؟

تعنـــتْ كيـــف شِـــئت ، فلـــن أعـــودَ لكـــم ... فعطـــرُ فراقِنـــا – واللهِ - مِئـــراج

الشاعرُ المُفتَرى عليه!

(لم يربحْ شِعرُ هذا الشاعر المالَ ولا الشهرة لقدر من الله ولحكمةٍ يعلمها سبحانه وتعالى. ولأن هذا الشاعر ليس على دين مجتمعه عانى الأمرين في محاولة إظهار شعره للنور وافتريَ عليه كثيراً رغم جَودة شِعره. إنه يحافظ على القيم ويدعو إليها ويُغلبها في شعره! ولهذه القصيدة سببٌ مُخز وفاضحٌ! ألا وهو أن أحد الحاقدين الكارهين أخبرَ الشاعرَ الذي أهدَى لزيدٍ من الناس مجلداتِ شِعره ، فإذا بالحاقد يُخبر الشاعرَ بأن زيداً يُقطع أوراقَ ديوانه ليلف فيها اللب! الأمر الذي حدا بالشاعر ليكتب في رد هذا الخبر الذي لا يشك لحظة أنه كذب! إنه الحقدُ والغلُ عندما لا يجدان سبيلاً في نفس صاحبهما ، فيدفعانه لأن يَهرفَ بما لا يعرف! والأصلُ أن الشاعر بهذا الكلام يكون قد ظلِمَ ، ومن حقه أن يدافعَ عن نفسه وعن شِعره. فعزيتُه!)

لا تسَلْ في خوض مَن يُزجي الكذبْ ... يَرجَحُ الشعرُ اللآليْ والذهبْ

أنظِم الشعرَ يُداوي جُرحَنا ... إن نظم الشعر يسمو بالأدب

وارجُ بالأشعار مَرضاة الذي ... مَنحَ الإلهامَ ، والشعرَ وهب

واتركِ الشهرة ، لا تحفلْ بها ... كيف يرجو شُهرة مَن يحتسب؟

واهجُر المالَ لأرباب الغنى ... كم عظيم في هوى المال رسب!

إن أهل الحق أسمى عِزة ... ولهم - رغم النكايات - الغلب

أنت لا ترجو متاعاً عاجلاً ... عند أهل الزيغ دوماً يُطلب

أنت أسمى مِن سراب زائفٍ ... سِيقَ للغادين مِن أهل الريَب

صاح لا تعبأ بما قال الغثا ... كل ما قالوه لهوٌ ولعب

كذبٌ هذا ، وظلمٌ ، وافترا ... خابَ قومٌ قد تمادَوْا في الكذب

اهجُهم بالشعر يَفري كيدَهم ... إن للشعر سعيراً يَلتهب

يَحرقُ الزيف ، ويَغتالُ العِدا ... إنه أبلغ مِن أمضى الخطب

سوف يمضي مَكرُهم مهما غلا ... سوف يُكوى بقريض كالشهب

عِشْ كما أنت أديباً شاعراً ... إنما يكفيك هاذاك اللقب

شاعر عصره

(لامَني أحد الجاهلين بأنني شاعر يُعاب شعري بعشوائية العناوين. فكانت صفعة لم أقبلها منه ، حيث إنه ليس عندي عنوان قط إلا وله رمزه ودلالته ، وإن لم يفهمه ذلك المتفيهق المتحذلق. وحصحص الحق عندما نما إلى علمي أن هذا الرأي ليس له ، بل هو رأي زوجه التي تخصصت في العربية التي لا تفقه شيئاً عنها ، وانصاع لها مردّدا كالببغاء ما ارتأته دون تمحيص! ولربما عوّل على تخصصها فقط زاعماً أن لها بالعربية شأنا وإن هي نالت فيها شهادة عليا! وعلمتُ بأن الرجل لا يعرف عن الأدب والثقافة والدنيا إلا ما تمليه زوجه ، ولا يمتثل أمراً إلا ما تأمره به ، ولا يعتد بفعل إلا ما تفعله! ولعلهما استندا إلى حال الشعر العامة وأحوال الشعراء بصفة خاصة في هذا العصر. فأنشدت من البحر الطويل في الرد عليه!)

أتُوسِعُ شعري يا عديم الحيا ذمّا؟ وتتهمُ الألفاظ والوزنَ والأسما؟

وتُفتي بلا علم لتغتال همتي؟ وتهدم ما ألفتُ يا عاذلي هدما؟

وتطعن في عنوان كل قصيدةٍ؟ وفي نحر أشعار الهُدى تُرسلُ السهما؟

وتُوقد نيراناً تصَلّي قصائدي؟ وتُشعل - في قلبي - بها فتنة عظمى؟

وما دُمت يا هذا بما قلت جاهلاً وكل الذي تدريه ماذا أتتْ (سلمى)

وما دُمت عن ضاد الأعارب غافلاً لماذا التخاريفُ التي احتوتِ السُّما؟

هو الشعرُ رمزُ في ثنايا حروفه وبعضُ إشاراتٍ أراها له نُعمى!

وسل عن قريض العُرْب (أوْساً وخزرجاً) وسائل (قريشاً) يا جهولاً ، وسلْ (لخما)

يُخَبّرْكَ أهلُ الضاد عن عذب شعرهم لتدرك أن الشعر مما ترى أسمى

وتعلم أن الشعرَ فعلاً تذوقٌ ومثلك لا يَدري لمَعسوله طعما

وشاعرُ هذا العصر يشقى بأهله فأجياله يا صاح لا تحمِل الهما

طوتْ أغلبَ الناس الجهالة والهوى فلم يُدركوا شِعراً ، ولم يُدركوا عِلما

فأقصرْ مِن اللوم الجهول تحفظاً ولا تُكْثر التجريحَ والطعنَ والذما

كفى الشعرَ ما يلقي من الكيد سَاقه عُتاة غفاة أتقنوا الدسَّ والظلما

شاب شَعره ولم يشب لسانه!

(أشيب اعتاد منذ صغره على سلاطة اللسان والكلام البذيء السخيف والألفاظ الجارحة الفاضحة. ومن شبّ على شيء شاب عليه. فإذا به في مشيبه ، لم يستطعْ أن يتخلصَ من هذه العادة القذرة الحقيرة. فرأسُه كالثغامة ولسانه كالسيف الحاد الماضي ، لا في الحق ، ولكن في الباطل ، وبالألفاظ السيئة الفجة النابية الدنيئة. فإلى كل أشيب لا يحترمُ مَشيبه ، ولا يُوقر شبيبته ولا يُراعي شيبة ، ولا يكاد يُدرك ما يجب له ومنه وعليه. وليس ذلك نتيجة رجوعه إلى أرذل العُمُر ، بل الرجل لا يزال يعقلُ ما يقول. وصدق الله إذ يقول: (خلقكم من ضعفٍ ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة). ويقول: (والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يُردّ إلى أرذل العمر لكي لا يعلمَ بعد علم شيئاً إن الله عليم قدير). وصدق ابن الخطيم إذ قال: (إذا المرء أعيا رهطه في شبابه فلا ترجُ منه الخير عند مشيب) والأصل أن الذي يحترمُ ، فإنه يحترمُ نفسه قبل احترام الآخرين! أنشدتُ هذه القصيدة من الطويل. وكنت أتمنى أن تطول لعظم موضوعها. ولكن لم يأذن الله - تعالى - إلا بأبياتٍ قليلة. إذ المسألة ليست كما يحلو للبعض أن يتصورها (أن يكتب الشاعر العدد الذي يريد) بالطبع لا.)

هو الشيبُ يُردِي سَيّيءَ الهفواتِ ... ويَقهرُ ما في النفس مِن نزواتِ

ويزجُرُ ما في الذات مما يَشينها ... ويَقمعُ ما في القلب من نزغات

ويَردعُ كِبْراً في الحنايا يَؤزها ... ويَكبتُ ما فيها من الخطرات

فكم من عُيوب حَطمَ الشيبُ بأسَها ... وأنقذ أهليها مِن الشبهات!

وكم من سجايا دَعَّم الشيبُ أصلها ... فأنبت فيها أعطرَ الزهرات!

وليس يُعابُ الشيبُ إن ضلّ أهله ... وكيف يُعابُ الشرعُ إذ يُبتلى بعُصاة؟

إذا شاء شعرُ المرء فليعتبرْ به! ... ويُمْسي حزيناً ضارعَ الرعشات

أيهزلُ بين الناس مَن كان شيبة؟ ... ألا يذكرُ الأحداثَ والوَقعات؟

ألا يَذكرُ القبرُ الوشيكُ دخوله؟ ... ألا يستحي مِن هادم اللذات؟

ألا يا جَهولاً بالمشيب وحقه ... ستبذل يوماً سيئ الحسرات

وتندمُ أنْ لم تستجبْ لنصيحتي! ... وتُفضحُ في الساحات والعَرَصات

أشيب لم ينذرْه الشيب!

(ظل ينفخُ في البوق ، وتارة يضربُ بالطبل ذي الجلاجل ، وتارة يُحرّك الأوتار ، وأخرى يُشير بيده للفرقة! ذلك الأشيبُ الذي يُدْعَى علقمة ، والذي لم يحترم شيبه. وجادلته كمايسترو لفرقةٍ موسيقيةٍ معروفة ، فأعرض ونأى بجانبه! فطالبتُه بالبحث والتحرّي بُغية الوصول إلى التحريم فازداد نفوراً وإعراضاً! ونظرتُ فإذا باقي أفراد فرقته شُوّابٌ قد جاوزوا الستين أو السبعين أو هم عَوان بين ذلك! والشيبُ رسولٌ أرسله الله لكل أشيب ليدرك ما فات في زمان الشبيبة من المعاصي! والشيبُ نذيرٌ حثيث بقرب النهاية وأنه لم يعد في العمر قدر ما مضى منه! والشيبُ ناقوسٌ يدق في عالم النسيان والغفلة الذي يبتلى به المرء حال تقدمه في العمر! فليتق الله كل أشيب وليحرص على طاعة ربه وليجتنب معاصي الله! لقد يدركه الموت فجأة فما هو صانعٌ إن قبض على معصية من المعاصي أو كبيرة من الكبائر؟! فأنشدتُ في موقفي - مع علقمة الموسيقي الأشيب الذي لا يزال يَعزف ويَرن – قصيدتي على البحر المتقارب أقول:)

سَـــــمعتُ عزيفـــــك يـــــا (علقمـــــة) ... وأنكـــــرتُ عزفـــــك مـــــا أشـــــأمه!

وعِبـــــتُ الـــــذي جئـــــت مـــــن رنـــــةٍ ... تصِـــــمّ كـــــأني بهـــــا هذرمـــــة

أتـــــنفخ - فـــــي البُـــــوق - مُســـــتهتراً ... علـــــى آلـــــةٍ تُشـــــبه الحنتمـــــة؟

وتقـــــرعُ طـــــبلاً عَـــــلا صـــــوته ... بكـــــفٍ تُعربـــــدُ مســـــتلئمة

وتحمـــــلُ مِزمـــــارة لـــــم تـــــزلْ ... تُضـــــل بأنغامهـــــا المُبهمـــــة

وتضـــــربُ بـــــالرق فـــــي فرقـــــةٍ ... عليهـــــا اللعـــــائنُ مِـــــن شِـــــرذمة

هـــــو الشـــــيبُ يَزجـــــرُ أربابـــــه ... وزجْـــــر الكهولـــــة أحلـــــى سِـــــمة

فهـــــل أنصـــــتتْ أذنٌ ، أو وعَـــــتْ ... لتصـــــرفَ عـــــن غيـــــه (علقمـــــة)؟

يمينـــــاً تحيّـــــرتُ فـــــي أمـــــركم ... وفـــــي الفعلـــــة الفجّـــــة المُجرمـــــة

وفـــــي فرقـــــةٍ جـــــاهرت بـــــالهوى ... مجـــــاهرة فاقـــــت الملحمـــــة

وأشـــــيبَ - فـــــي أمّهـــــا - قائـــــدٌ ... وفِرقتـــــه - فـــــي التعـــــاطي - أمَـــــة

مـــــدى الـــــدهر تعـــــزفُ ألحانهـــــا ... وعـــــن هـــــدي رب الســـــما مُحجمـــــة

تبيـــــتُ وتُصـــــبحُ رهـــــن الصـــــدى ... وتُمســـــي لـــــه – الـــــدهرَ - مُستســـــلمة

ولـــــم يُعطِهـــــا الشـــــيبُ مِـــــن عِبـــــرةٍ ... وعِبـــــرة شـــــيب الفتـــــى مَكرُمـــــة!

لا تبكِ يا صديق الأمس!

(الصداقة نعمة عظيمة وهبة من الله جليلة. ولكن لا بد من مادة اشتقت منها لتجعلها حقيقية وهي الصدق. وأيما صداقة قامت على غير الصدق فهي صداقة زائفة سرعان ما تتلاشى وتنتهي! يقول الإمام بن القيم رحمه الله: (الصدق ثلاثة أقسام: 1- صدق في الأقوال. 2- وصدق في الأعمال. 3 – وصدق في الأخوة). أيها الصديق الموفق الصالح: سل نفسك ما الذي يجعلك تخالف الصواب في قولك وفعلك أحياناً؟ وكم مرّة تقع في ذلك يومياً؟ وهل تذكرت آية المنافق (إذا حدّث كذب)؟ وهل أخذت على نفسك عهداً ألا تقع في دائرة الكذب مهما كانت الظروف ، ومهما أضرّ بك الصدق ، وليس بفاعل؟ وصدق من نصح صديقه فقال له: اصدق القول والفعل والعمل تفز برضوان الله تعالى ، ولا يضيرك ما يقول الناس عنك أنه لا بد من المجاملات الكاذبة كي نتربع على قلوب الناس على حساب دخولنا في دائرة الوعيد! افتح صفحة صدق بيضاء نقية ليس من الغد ، بل من هذه اللحظة ، وارفع شعار الصدق في كل حين حتى تلقى ربك به ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدّيقاً ، وأنت صدّيق. إن أعظم ما في الصدق أنه يقود صاحبه إلى الجنة ، وهذا هو الفوز العظيم قال – صلى الله عليه وسلم -: (أنا زعيم بيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً) ، فهذا هو الرّبح الأوفر لأهل الصدق. وصدق من قال: (وأي ربح أعظم من الجنة لكن يبقى أن تسأل نفسك: ما هو نصيبك من هذا الخير العظيم؟ فإنه ما زاد نصيب الرجل في الصدق إلا وقلّ نصيبه من الكذب ، والعكس كذلك ، وقد قالوا: قد يكذب الصدوق - أي نادراً ولكن لا يصدق الكذوب). هذا وللأصدقاء الحقيقيين وللصالحين والفضلاء في الصدق أقوال جميلة عذبة ، وفرائد يشرف المؤمن بسماعها ودراستها ، وعبارات سديدة أزخرف مقدمة هذه القصيدة ببعضها! قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - (عليك بالصدق وإن قتلك) ، وقال أيضاً: (لأن يضعني الصدق - وقلّ ما يفعل - أحب إلى أن من أن يرفعني الكذب وقلّ ما يفعل) ، وقال أيضا: (قد يبلغ الصادق بصدقه ما لا يبلغه الكاذب باحتياله). وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: (أربع من كن فيه فقد ربح: الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر). وقال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى -: "ما كذبت مذ علمت أن الكذب يشين صاحبه". وقال الإمام الأوزاعي - رحمه الله تعالى -: "والله لو نادى منادٍ من السماء أن الكذب حلال ما كذبت". وقال يوسف بن أسباط - رحمه الله تعالى -: "لأن أبيت ليلة أعامل الله بالصدق أحب إلى من أن أضرب بسيفي في سبيل الله – تعالى -" ، وقال الشعبي: "عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فإنه ينفعك ، واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك". وقال عبد الملك بن مروان لمعلم ولده: "علمهم الصدق كما تعلمهم القران". ويقول الشاعر آمراً أحد أصحابه مبيناً قيمة الصدق وعذوبته مبيناً أن الأمر بالمجاهدة ، كما أن العلم بالتعلم والحلم بالتحلم:

عــوّدْ لســانك قــول الصــدق تحــظ بــه إن اللســـــان لمَـــا عـــوّدت معتـــادُ

ومن هذا المنطلق كان للصادقين وافر الأجر عند الله تعالى. إذ الصدق خلق جميل وخصلة طيبة. وما عانيت في حياتي كلها مثلما عانيت من أناس أخلصت لهم وأحببتهم في الله فإذا هم خونة! وأهدي هذه القصيدة لهم جميعاً بالتبعية ، ولهذا الصديق الغاش على وجه الخصوص! فهي قصيدة خاصة بالمناسبة ، ولكنها عامة لكل غادر غاش خائن يدعي الصداقة والرفقة ، إن مبدأ

الصداقة الحقيقية يرفض كل الرفض الخيانة والغدر! فإلى كل مدع للصداقة من الخائنين الغادرين الغاشين الذين تبرأ منهمُ الصداقة والأخوة والصحبة ، أهدي هذه القصيدة!)

ألا يـــا صـــديقي إنمـــا الحـــال يُخبـــرُ ... ألا فـــاحرق الزيـــف الـــذي لـــيس يُثمـــرُ

ولا تفتكـــرْ فـــي ودنـــا ، إنـــه مضـــى ... وبـــات جَلـــيّ الأمـــر مـــا كنـــت تضـــمِر

خـــدِعتُ كثيـــراً ، واحترقـــتُ بنـــاركم ... وأمـــرٌ كهـــذا كنـــتُ منـــه أحَـــذر

وفقـــتَ الأعـــادي ، فانبريـــتَ لحربنـــا ... وهـــذا الـــذي مـــا كـــان بالبـــال يخطـــر

وقـــد كنـــت أرجـــو - مِـــن ورائـــكَ - نصـــرة ... ولكـــنْ خـــذلتَ القلـــبَ ، والخـــذلُ أبتـــر

وشـــهّرتَ بـــي فـــي كـــل نـــادٍ ومجلـــس ... وأخرجـــتَ - للأقـــوام - مـــا كنـــت تســـتر

وحطمـــتَ قلبـــي بالوشـــاية والهـــوى ... وقلـــتَ كلامـــاً جُلـــه الآن مُنكـــر

وأســـمعتَ بـــي مـــن لـــيس يســـمعُ أو يـــرى ... وأشـــعرتَ بـــي يـــا صـــاح مَـــن لـــيس يشـــعر

تماديـــتَ فـــي الغـــي البغـــيض ، وبعتنـــي ... وأرخصـــتَ أثمـــانَ الصـــفا يـــا مُقتّـــر

وأطلقـــتَ للـــزور العنـــان ، فنـــالني ... وبـــت تُخلـــي تـــارة ، وتُـــؤخر

وإن الصـــديق الحـــق مَـــن يـــزرعُ الإخـــا ... ويُعطـــي كثيـــراً مَـــن أحـــب ، ويَصـــبر

ويَغفـــر جَمّـــاً عنـــدما يُخطـــئ الـــورى ... ويَصـــفح ، إن الصـــفح للمـــرء جَـــوهر

ويبـــذلُ نصـــحاً إن رأى الشـــر مُحـــدقاً ... ويعفـــو عـــن الـــزلات ، لا يتضـــجّر

يُشـــعُ ضِـــياءً عنـــد لقيـــا صـــديقه ... ويَحـــزنُ إن غـــاب الصـــديق المُبصّـــر

ويَغمـــر خيـــراً مَـــن صـــفا لـــوداده ... وإن خاصـــم الخـــلان لا ، لـــيس يفجُـــر

يَـــرُدّ عـــن الأصـــحاب نـــذلاً وشـــامتاً ... وعـــن نصـــرة الخـــلان لا ، لـــيس يَفتُـــر

لـــه إن أطـــل الشـــر قلـــبٌ مُلطـــف ... وإن أشـــرفَ الأعـــداءُ شـــهمٌ غضـــنفر

وإن الصـــديق اليـــوم أنـــدرُ عُملـــةٍ ... فـــإن الحيـــاة اليـــوم بيـــدٌ وأنسُـــر

وصـــدقُ الضـــمير اليـــوم غـــارت شموسُـــه ... وقـــد ســـاد - فـــي دنيـــا الرفـــاق - التنكّـــر

تـــوارى عـــن الأنظـــار صـــدقٌ وصـــادقٌ ... فكـــل كـــذوب بالغوايـــة يفخـــر

وتـــدمع عينـــا مخلـــص رغـــم صِـــدقه ... ويبكـــــي فـــــؤادٌ مُخبـــــتٌ متفكّـــــر

ويُكْبـــتُ - فـــي الغوغـــاء - عبـــدٌ موحّـــدٌ ... ويرتـــعُ فـــي دنيـــاه وغـــدٌ مُحَقـــر

وتعمـــى - عـــن الأخـــلاق - أدمغـــة الغثـــا ... ويبصـــرُ بـــين النـــاس مـــن لـــيس يبصـــر

ويُقمـــعُ حُـــرٌ رغـــم ديـــن وعـــزةٍ ... ويـــأمنُ بـــين النـــاس مـــن هـــو أغـــدر

حـــرامٌ علـــى الأقـــوام أن يتواضـــعوا ... وعـــينُ حـــلال أن يســـودَ التكبّـــر

ألا يـــا صـــديقاً سِـــعرُه اليـــوم كاســـدٌ ... لقـــد كنـــت زادي ، غرّنـــي فيـــك مظهـــر

وكنـــت صَـــفياً للفـــؤاد وللنهـــى ... وكنـــت بـــدين الحـــق دومـــاً تـــذكّر

وكنـــت الســـمير الشـــهم تشـــرحُ خـــاطري ... ويغبطنـــا فـــي الحـــال مـــن كـــان ينظـــر

وقـــد كنـــتَ بـــين النـــاس بأســـي وحربتـــي ... وإن غبـــت عـــن قلبـــي فكـــم أتـــأثر!

وأهـــديتُك الســـر المـــوارى بمُهجتـــي ... ولـــم أفتكـــر يومـــاً بغـــدر يُـــدمّر

وأحببتُـــك الحـــب الرفيـــع ، ولـــم أخـــن ... وكنـــتُ أبـــاهي بالصـــديق ، وأفخـــر

وأخفيـــتُ - عـــن كـــل الأنـــام - طـــويتي ... وأصـــبحتَ فيهـــا ســـالمَ الـــنفس تبحـــر

وعاديـــتُ فيـــك الأهـــل والـــنفس والهـــوى ... وعانيـــتُ فـــي ذودي ، ومـــا كنـــتُ أســـتر

وكـــم أرهـــق الإخـــلاصُ قلبـــي وعزمتـــي! ... وأنـــت ســـعيد القلـــب ، إذ لســـت تشـــعر

وحاربـــتُ قـــومي فـــي ودادك فتـــرة ... وكـــم ذدت عنـــك القـــوم! هـــل تتـــذكّر؟

أراك هنـــا تبكـــي ذهـــاب صـــداقةٍ ... ألا إنمـــا الأحـــوالُ هـــذي تسَـــطر

بأنـــك خنـــت العهـــد والوجهـــة التـــي ... ظللنـــا عليهـــا فتـــرة ، هـــل تبَـــرّر؟

وداعـــاً ، ورب الكـــون يَفصِـــلُ بيننـــا ... لـــه الخلـــقُ والتـــدبيرُ ربـــي المُقـــدر

يا صَدِيقاً! – مُساجلة عشماوية

(عن الصديق الذي يتغيرُ بلا مُبرر ، بل يغير طبيعته كما تغير الأفعى جلدها! كانت هذه المُساجلة الشعرية لقصيدة الدكتور عبد الرحمن العشماوي: (يا صديقاً!) على ذات بَحره ورويّه وقافيته! حُباً فيه وإعجاباً بقصيدته الجميلة التي وصفتْ كثيراً من أصدقائنا المتلونين الذين خدِعنا فيهم! يقول مطلعها:

أيـــــن ذاك الـــــود يـــــا منكـــــرهُ ... يـــومَ كنـــا ننســـجُ الـــود ســـويا؟!

وينطلق الدكتور العشماوي من السؤال إلى الجواب إلى أن يختم قصيدته بحكمةٍ نافعةٍ جميلة فيقول:

خيـــرُ مـــا فـــي المـــرء إن رامَ الهُـــدى ... وصـــلاحُ الأمـــر أن يبقـــى وفيـــا

فقلتُ مساجلاً للقصيدة العشماوية ، وضارباً على ذات الوتر ، وناكئاً ذات الجرح ، ومُعزياً كل من خدِع في صديق لم يكن يوماً على مستوى الصداقة!)

يـــا صـــديقاً كـــان شَـــهماً عبقريـــا ... يبـــذلُ الخيـــرَ لمـــن يرجـــو رضِـــيا

ويشُـــد الأزرَ فـــي كـــل الرزايـــا ... ويُســـلي خِلـــه عَفـــاً تقيـــا

ويُعـــينُ الخِـــلَ ، لا يَخـــذلُ يومـــاً ... بـــاذلاً معروفـــه جَلـــداً فتيـــا

ويَصـــونُ الـــوُد لا يَخفِـــر عهـــداً ... تخِـــذ التقـــوى وصِـــدقَ الوعـــد زيـــا

قولـــه فصـــلٌ بـــلا هـــزل وسُـــوآى ... بكُليمـــاتٍ تُنـــاغي مَســـمَعيا

مُشـــرقُ الـــروح ، يُعـــاني مـــا أعـــاني ... صـــادقُ الإكـــرام بسّـــام المُحَيـــا

يحمـــلُ الهـــم الـــذي أودى بعزمـــي ... ولـــه مَـــرأى يُســـلي ناظريـــا

حـــافظ الأســـرار لا يُفشـــي الخفايـــا ... لا يُـــذيعُ مـــن كـــلامٍ قلـــتُ شـــيا

دائـــمُ النصـــح بـــإخلاص وعـــزم ... بإشـــاراتٍ يُؤديهـــا نجيـــا

طيـــبُ القلـــب علـــيّ القـــدْر عنـــدي ... وأرانـــي عنـــده خِـــلاً عليـــا

لكـــنِ الخـــل طـــوى صـــفحة حبـــي ... ووِدادي ، وافتـــرى إثمـــاً غويـــا

نســـيَ العهـــدَ ، وبـــاعَ الـــودَ بخســـاً ... وافتقـــدتُ اليـــومَ شـــهماً عبقريـــا

فتســـاءلتُ عـــن الأمـــر طـــويلاً ... دون كَـــلٍ ، ثـــم أطرقـــتُ مَليـــا

باحثـــاً عـــن أي تبريـــر لهـــذا ... لأرى مـــا جـــاء خِلـــي مَنطقيـــا

شـــــاكياً نفســـــي وأخلاقـــــي وقلبـــــي ... هـــل يكـــونُ الخـــل هـــذا جاهليـــا؟

وأنـــــا أخطـــــأتُ دربـــــي واختيـــــاري ... إذ حسِـــــبتُ الصِـــــل مِقـــــداماً وَليـــــا

كـــان يرجـــو مـــن إخـــائي بعـــضَ نفـــع ... حَصّـــلَ النفـــعَ ، وضَـــحَّى بالأخيـــا!

هكـــذا الصـــحبة إذ تلقـــى خسيســـاً ... لـــم يَطِـــبْ سَـــمتاً ، وإن طـــاب المُحيـــا

وجـــدَ الوَصـــلَ تكاليفـــاً وبـــذلاً ... وعطـــاءً مُستفيضـــاً ألمعيـــا

فاشـــترى الـــنفسَ مِـــن الجـــود ، وولـــى ... وارتضـــى الطبـــعَ البخيـــلَ الأشـــعبيا

لـــم يكـــن عيبُـــك يـــا هـــذا وربـــي ... إنمـــا عيبـــي إذ اختـــرتُ الـــدنِيا

لؤمُـــك اليـــومَ علـــى مـــا جئـــتُ هـــزلٌ ... وأرانـــي إن تحســـرتُ غبيـــا

أعلـــى مثلـــك يبكـــي مَـــن تســـامى؟ ... بُكـــرة يأســـى ، ويَشـــكوك عشـــيا!

يَضـــع الخـــد علـــى الكـــف ويَنعـــى ... خـــائنَ الصـــحب ، ويَهجـــو المُفتريـــا

قـــائلاً للنـــاس: عَزونـــي وجـــدّوا ... صـــاحبي يـــا قـــوم مـــا أمســـى ســـويا

لـــم أعـــدْ آســـى علـــى خـــل ســـقاني ... كـــأسَ خـــذلانٍ غـــدتْ سُـــقيا ورِيّـــا

مـــا الصـــديقُ إنْ رأى الخـــذلان دربـــاً ... وقـــلا الخـــلَ ، فمـــا كـــان وفيـــا؟!

فاعدِلْ بينهم!

(قام ذلك الأب الظالم لنفسه ولعائلته ، بتقسيم عقاراته وأراضيه فأعطى زيداً من الأبناء وحرم عَمْراً! وزادَ حبّاتِ الطين بلة عندما تعمدَ حِرمانَ بناته مُغلباً مِلة أبي لهب وأبي جهل! فقِيلَ له: يا فلان بن فلان اعدلْ بينهم ليكونوا لك في البر سواء! فاستكبر وقال: أنا لا أورّث إنما أهبُ وأعطي! فقِيلَ له: هذا ظلمٌ كذلك بنص الحديث! وظل في تلاعُبه وظلمه وتجاوزه حتى أدركه الموت ، وهو ظالم لنفسه ولأبنائه! ليس ذلك فقط ، بل ترك أبناءه فريقين: ظالمين يدعون له بالرحمة ، ومظلومين يدعون عليه باللعنة! جاء في (إسلام ويب) ما نصه بتصرف زهيد: (رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو القدوة والأسوة الذي يَجب أن يقتدي به الآباء والمُرَّبون في تربيتهم ، ولا شك أن حياته وسيرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ مليئة بالمواقف الجديرة بالوقوف معها لاستخراج فوائدها ودروسها ، والتعامل من خلالها مع الصغار والكبار والأبناء والناس أجمعين ، قال الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً} وقد حفظت لنا السيرة النبوية العديد من هذه المواقف ، ومنها موقفه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع النعمان بن بشير وأبيه ـ رضي الله عنهما ـ الذي يظهر فيه حرصه على بيان أهمية العدل مع الأبناء. عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ: أن أباه أتى به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: إني نَحَلْتُ (أعطيت) ابني هذا غلاماً كان لي ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: أَكُلَّ وَلدِك نَحَلتَه مثل هذا؟ فقال: لا ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: فأرجعْه ، وفي رواية: فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (أفعلت هذا بولدك كلهم؟ قال: لا ، قال: اتقوا الله واعدلوا في أولادكم ، فرجع أبي ، فرد تلك الصدقة) ، وفي رواية: فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (يا بشير ألك ولد سوى هذا؟ قال: نعم ، قال: أَكُلَّهم وهَبْتَ له مثل هذا؟ قال: لا ، قال: فلا تُشهدني إذاً ، فإني لا أشهد على جور) ، وفي رواية: (لا تُشهدْني على جور) البخاري ومسلم وغيرهما. وفي رواية ابن ماجه عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ قال: (انطلق به أبوه يحمله إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقال: اشهد أني قد نحَلْتُ (أعطيت) النعمان من مالي كذا وكذا ، قال ـ صلى الله عليه وسلم فكل بنيك نحلتَ مثل الذي نحلت النعمان؟ ، قال: لا ، قال: فأشهد على هذا غيري ، قال: أليس يسرك أن يكونوا لك في البر سواء؟ ، قال: بلى ، قال: فلا ، إذاً! وعن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (اعدلوا بين أولادكم ، اعدلوا بين أولادكم ، اعْدِلوا بين أولادكم). رواه أحمد. قال الشيخ ابن عثيمين: "النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعطاه نِحْلة وغلاماً ، وفي رواية حائطاً (بستاناً) ، ولعله أعطاه البستان والغلام من أجل أن يعمل في البستان ، فقالت أمه عمرة بنت رواحة ـ رضي الله عنها ـ وهي فقيهة: لا أرضى أن تُعطي ابني هذا دون إخوانه ، حتى تُشْهِدَ النبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فذهب إلى النبي يُشهدُه على ذلك ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ له: (ألك بنون سواه)؟ ، قال: نعم ، قال: أعطيتهم مثلَ ما أعطيت النعمان؟ ، قال: لا ، قال: رُد ـ يعني رد ما أعطيت ـ ، ثم قال: (أشهدْ على هذا غيري) ، وهذا تبرؤ منه وليس إباحة له على أن يُشْهِدَ على ذلك ، بل هو تبرؤ منه ، ولهذا قال: أشْهِد على هذا غيري ، فإني لا أشهد على جور. وقال ابن القيم في كتابه "تحفة المودود بأحكام المولود:" قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أشهد على هذا غيري) ، هذا أمر تهديدٍ لا إباحة ، فإن تلك العطية كانت جَوْراً بنص الحديث ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يأذنُ لأحد أن يشهد على صِحة الجَور ، ومن ذا الذي كان يشهد على تلك العطية ،

وقد أَبَىَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يشهد عليها ، وأخبر أنها لا تصلح ، وأنها جور ، وأنها خلاف العدل ، ومن العجيب أن يحمل قوله: (اعدلوا بين أولادكم) على غير الوجوب ، وهو أمر مطلق مكرر ثلاث مرات ، والعدل واجب في كل حال ، فلو كان الأمر به مطلقاً لوجب حمله على الوجوب ، فكيف وقد اقترن به عشرة أشياء تؤكد وجوبه ، فتأملها في ألفاظ القصة وقال ابن حجر في فتح الباري: "وفي الحديث أيضا الندب إلى التآلف بين الإخوة ، وترك ما يوقع بينهم الشحناء أو يورث العقوق للآباء. إن ظاهرة عدم العدل بين الأبناء من الظواهر الاجتماعية السيئة الموجودة في بعض الأسر ، فيعمد بعض الآباء أو الأمهات إلى تخصيص بعض أولادهم بهبات وأعطيات دون الآخرين ، وهذا عمل محرم إذا لم يكن له مُسَوغ شرعي ، كأن تقوم حاجة بأحد الأولاد لم تقم بالآخرين ـ كمرض أو دَيْن عليه لا يستطيع سداده ـ . وهذه الظاهرة لها أسوأ النتائج في الانحرافات السلوكية والنفسية على الأبناء ، لأنها تولد الحسد والشحناء بينهم ، وتورث العقوق للآباء والأمهات ، ولذا حث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الوالدين على العدل بين أبنائهم في الهدايا والعطايا ، والطعام والكلام ، والاستماع والاهتمام ، بل وفي المداعبات والقبلة ، فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ ، قال: (كان مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجل ، فجاء ابن له فقَبَّله وأجلسه على فخذه ، ثم جاءت بنت له فأجلسها إلى جنبه قال: فهلَّا عدلتَ بينهما). رواه البيهقي ، وعن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (اعدلوا بين أولادكم في النِّحَل ، كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف). رواه الطبراني. انتهى. جاء في (الإسلام سؤال وجواب) سؤال وجوابه: السؤال: قام والدي بتقسيم كل ما يملك وهو المنزل الذي نشأنا فيه وتمليكه لثلاثة من أولاده دون الآخرين ، وأقصد أختين وأخ وأنا ، وإخواني بارك الله فيهم ولهم ميسورو الحال ، وأنا وأخي نعمل بالأجر خارج بلادنا ، وأخواتي متزوجات ، وعندما حصل التقسيم والتمليك كنا خارج البلاد ، وما زلنا لم نغضب والدينا ، والدليل أنهم يدعون لنا ويؤكدون عفوهم عنا. هل يجوز لوالدي منح ولد ، وحرمان الآخر في شيء كهذا؟ وبماذا تنصحنا أن نقول لوالدنا؟ لأننا سمعنا بأن هذا الفعل منافٍ للشريعة. الجواب: أولاً: الذي فعله والدك هو إعطاء لبعض أولاده دون الآخرين ، وليس قِسمة لأمواله بين ورثته في حياته ، لأنه لم يعط جميع الورثة ، وإنما خص بعض أولاده. وتخصيص بعض الأولاد بالعطية من غير سبب يُبيحُ ذلك حرام. وقد امتنع النبي صلى الله عليه وسلم من الشهادة على مثل ذلك ، وسماه جَوراً ، وذلك فيما رواه البخاري (2586) ومسلم (1623) عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه أَنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلَامًا ، فَقَالَ: أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَ مِثْلَهُ؟ قَالَ لَا قَالَ: (فَارْجِعْهُ). ومعنى (نحلت ابني غلاماً) أي أعطيته غلاماً! ورواه البخاري (2587) عَنْ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ (يعني: أمه) لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً ، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟ قَالَ: لَا. قَالَ: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ) قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ. وفي رواية للبخاري أيضاً (2650): (لا تُشْهِدْنِي عَلَى جَوْرٍ). وفي رواية لمسلم (1623) عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: انْطَلَقَ بِي أَبِي يَحْمِلُنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْهَدْ أَنِّي قَدْ نَحَلْتُ النُّعْمَانَ كَذَا وَكَذَا مِنْ مَالِي ، فَقَالَ: أَكُلَّ بَنِيكَ قَدْ نَحَلْتَ مِثْلَ مَا نَحَلْتَ النُّعْمَانَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: (فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي) ثُمَّ

قَالَ: (أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: (فَلا إِذًا)! ثانياً: على من وقع في هذا الجور أن يتوب إلى الله تعالى ، وأن يَرجع في عطيته تلك ، أو يعطي سائر أولاده مثله لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (فارجعه). قال ابن قدامة رحمه الله: "يجب على الإنسان التسوية بين أولاده في العطية ، إذا لم يختص أحدهم بمعنى يبيح التفضيل ، فإن خص بعضهم بعطيته أو فاضل بينهم فيها أثم ووجبت عليه التسوية بأحد أمرين ، إما رد ما فضل به البعض وإما إتمام نصيب الآخر. قال طاوس: لا يجوز ذلك ولا رغيف مُحترق. وبه قال ابن المبارك وروي معناه عن مجاهد وعروة. "انتهى من المُغني" وإذا رضي من مُنِعوا من العَطِية بذلك وطابت نفوسهم ، فلا حرج على الوالد في تخصيص بعض أولاده بها ، لأن الحق كان لإخوتهم وقد رضوا بإسقاطه ، مع أن الأفضل أنه لا يفعل ذلك حتى مع رضاهم. قال الشيخ ابن باز رحمه الله: يجب على الوالد العدل بين أولاده ذكورهم وإناثهم حسب الميراث ، ولا يجوز له أن يخص بعضهم بشيء دون البقية إلا برضى المحرومين إذا كانوا مرشدين ، ولم يكن رضاهم عن خوف من أبيهم ، بل عن نفس طيبة ليس في ذلك تهديد ولا خوف من الوالد ، وعدم التفضيل بينهم أحسن بكل حال ، وأطيب للقلوب ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم). متفق على صحته "انتهى من فتاوى الشيخ ابن باز. ثالثاً: سبق في جواب السؤال رقم (36872) أنه لا حرج في تفضيل بعض الأولاد بالعطية إذا كان هناك سبب يقتضي ذلك كحاجته وفقره أو كونه طالب علم ونحو ذلك. فإن كان هناك سبب شرعي لتخصيص والدكم هؤلاء بالعطية فلا حرج عليه ، وإن لم يكن هناك سبب شرعي ولم ترضوا بذلك فالواجب عليه رد هذه العطية والعدل بينكم. رابعاً: وعليكم إذا لم ترضوا بذلك أن تناصحوا أباكم بلطف ولين وتبيّنوا له أن الواجب عليه العدل بينكم ، وقد تحتاجون إلى بيان ذلك له بالأدلة الشرعية. هـ. وجاء في (إسلام ويب) سؤال وجوابه: السؤال: لي إخوة موظفون وأخوات متزوجات وأنا أصغرهم وموظف احتجت إلى مبلغ من المال لشراء سيارة فأعطتني أمي مبلغ عشرين ألف ريال ولم تعط إخواني وأخواتي شيئاً فأردت أن أرجع المبلغ إليها بعد أن توفر عندي ولكنها رفضت وقالت بأنها سامحتني فهل عليها شيء؟ وماذا يجب عليّ. مع العلم أنه ليس لديها مال سوى أرض باعتها من ورثتها؟ الإجابــة: فلا يجوز للوالد ـ أبا أو أماً ـ أن يهب عطية لبعض أولاده دون بعض ، أو يفاضل بينهم في العطية فيعطي بعضهم أكثر من بعض لغير مسوغ ، وأما واجبك الآن فهو أن ترد المال الذي وهبته لك والدتك ، وتحاول إقناعها بقبوله ، وتبين لها أن العطية لبعض الأولاد دون بعض دون مسوغ لا تجوز ، وقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم ظلماً وجَوراً ، فإن وافقت فقد أحسنت ، وإن لم توافق فبرك بها وإحسانك إليها يقتضي أن تُقسم هذا المبلغ بينك وبين إخوانك بالسويَة ، إنْ لم تطِب أنفسهم بالتنازل لك عنه).هـ. جاء في (شبكة الألوكة) ما نصه بتصرف يسير: (قد يفضِّل بعضُ الآباء أبناءَ الزَّوجة الجديدة ، أو الابن الأجمل أو الأذكى أو الأغنى ، إلى غير ذلك من الأسباب التي ليس لها وزن ولا قيمة في ميزان الإسلام. وكل الأسباب الخُلقيَّة والخِلقية لا تعدُّ مبررات في نظَر الشرع ، وكم يكون الأبوان ظالمين حين يَنهجان مع الولد هذا النَّهج السيِّئ ، ويُعاملانه هذه المعاملة القاسية؟ ما ذنب الطفل إن ظهر إلى هذه الحياة وهو أنثى؟ وما جريرته إن كان دميم الوجه؟ وما جريرته إن لم يُخلق على ذكاء فارط؟ وما الذي جناه إن كان بطبعه كثيرَ الحركة والتنقل والمشاغبة؟ وما مسؤوليته إذا قُدِّر له أن يُصاب بعاهات جسدية ظاهرة؟ فإذا كان المربُّون حريصين على سَلامة أبنائهم من العُقد النَّفسية ، ومركبات الشعور بالنقص ، وآفات القلوب ؛ من حِقد وحسد وفساد

طويَّة ، فليس أمامهم من سبيل سوى أن ينفذوا أمرَ الرسول صلى الله عليه وسلم القائل: (اتَّقوا اللهَ واعْدِلوا بَيْن أولادكم). وأنْ يرضوا بما قسَمه الله لهم من البنين أو البنات ، وعليهم أن يَسعوا جهدهم في إشعار أولادهم جميعًا روح المحبَّة والأخوَّة والتسامح والمساواة ؛ حتى يَنعموا في ظلال العدل الشامل ، والنظرة الرحيمة ، والعطف الصادق ، والمعاملة العادلة. إنَّ الحَيف والظلم والمُحاباة لها آثار خطيرة ونتائج وخيمة في الدنيا قبل الآخرة ، فهو سبَب من أسباب العقوق ؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لبشير بن سعد: (أيسرك أن يكونوا إليك في البرِّ سواء؟) ، قال: بلى ، قال: (فلا إذًا). وجاء عند ابن حبان: (اعدِلوا بين أولادكم في النحل ، كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البرِّ واللطف). فالعدل بين الأولاد من أعظم أسباب الإعانة على البرِّ ، وعلى النقيض من ذلك ؛ فالتفريق بين الأولاد من أعظم أسباب العقوق والهَجر والكراهية. فاحذر أيها الأب المبارك من التمييز بين أولادك والتفريق بينهم في أمور الحياة ، فهو سبَب للعقوق ، وعاملٌ مهم من عوامل الشعور بالنَّقص ، وكم هي المآسي والأحزان التي تعج بها بعض البيوت نتيجة للظلم والتمييز بين الأبناء. فلا تترك الشيطانَ يزرع حقولَ الحسد والبغض بين أولادك ؛ فإن: (إنَّ الشيطان قد أيس أن يَعبده المصلُّون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم). قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: يتعيَّن على الإنسان أن يَعدل بين أولاده ، وينبغي له إذا كان يحبُّ أحدهم أكثر من غيره أن يخفي ذلك ما أمكنه ، وأن لا يفضِّله بما يقتضيه الحب من إيثار بشيء من الأشياء ، فإنه أقرب إلى صلاح الأولاد وبرِّهم به واتفاقهم فيما بينهم ؛ ولهذا لما ظهر لإخوة يوسف من محبَّة يعقوب الشديدة ليوسف وعدَم صبره عنه وانشغاله به عنهم ، سعَوا في أمرٍ وَخيم ، وهو التفريق بينه وبين أبيه ، فقالوا: (إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ) ، وهذا صريحٌ جدًّا أن السبب الذي حملهم على ما فعلوا من التفريق بينه وبين أبيه هو تميزه بالمحبَّة. فبالعدل يَستقيم أمر الأسرة ، وتنشأ المحبة بين الجميع ، وتغرس الثقة بين أفراد الأسرة ، فلا مكان للأحقاد والبغضاء عندئذٍ. والمفاضلة بين الأبناء من أَعظم العوامل في انحراف الولد ، سواء كانت المفاضلة في العطاء ، أم في المعاملة ، أم في المحبة. وهذه الظاهرة لها أسوأ النَّتائج في انحرافات الولد السلوكيَّة والنفسية ؛ لأنها تولد الحسَد والكراهية ، وتسبِّب الخوف والحياء ، والانطواء والبكاء ، وتورث حبَّ الاعتداء ، والمشاجرة والعصيان ، وتؤدِّي إلى المخاوف الليلية ، والإصابات العصبية ، ومركبات الشعور بالنقص. وكم كان النَّبي صلى الله عليه وسلم حكيمًا حين أمر الآباءَ أن يتَّقوا الله ويعدلوا بين أولادهم. على كلٍّ من الأبوين أن يذكِّر الآخر إذا لم يعدل ، ويقِف الموقفَ الحازم حتى يتحقق العدل ؛ ومن ذلك المطالبة بردِّ الأمر إلى أهل العلم ، فهذه أمُّ النُّعمان بن بشير عمرة بنت رواحة رضي الله عنها لما أراد زوجها أن يتصدَّق على النعمان ببعض ماله قالت: "لا أَرْضى حتى تُشْهِدَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم. ويكفيك أخي المسلم رادعًا لتَرك الظلم والحيف بين أولادك قولُ الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم: (ما مِن عبدٍ استرعاه الله رعيَّةً فلم يحطها بنصيحةٍ ، إلَّا لم يجد رائحة الجنة).هـ. لقد تعمد الأبُ الظالمُ ضحية جهله أنْ يُعطي بعضَ أبنائه ويَحرم البعضَ الآخر ، فانقسموا فريقين كما أسلفنا في مُقدمتنا: فريق يدعو له بالرحمة لأنه اقتطع من جهنم وأعطى له ما لا يستحق ، وفريق يدعو عليه باللعنة والطرد من رحمة الله لأنه أهدر حقه وأعطاه لإخوته الآخرين! واليوم لا تزاوز ولا تلاقي بين الفريقين ، اللهم إلا في مناسبات الأعراس الجاهلية والمآتم الجاهلية!

وما ذاك إلا بسبب ظلم الأب! ونسأل: هل يمكن تصحيحُ المسار وإرجاعُ الحقوق لأصحابها؟ والجواب: يُمكن جداً! ولكن الإخوة الذين أعطاهم أبوهم حقوقَ إخوتهم لا تقوى في قلوبهم ولا إيمان يردعهم ، فهم يُلقون باللائمة على أبيهم! يا قوم أبوكم ظالم من الدرجة الأولى مع سبق الإصرار والترصد في فعله هذا! فهل تقبلون أن تكونون مثله في ظلمه؟ فقالوا: نعم نقبل! وإذن ففي القيامة تعود الحقوق عند الله المنتقم الجبار العزيز الغالب الملك العدل! وهذا هو العزاء!)

الظلـــمُ زادَك بـــين النـــاس تســـفيها ... وزادَ سُـــمعتك الرَّعنـــاءَ تشـــويها

وعِشـــت صَـــوتُك أعلـــى مِـــن أدِلتنـــا ... ومـــا أتيـــت لنـــا بمـــا يُضـــاهيها

والجاهـــلُ الـــدهرَ تُشـــجيه جَهالتُـــه ... وبعـــد حِـــين سَـــفيهُ العقـــل يُشـــجيها

كـم اسـتميت علـى النصـوص فـي صَـلفٍ ... واحتلـــت تُتْحِفنـــا بمـــا يُســـاميها!

كـــم اتبعـــت سَـــبيلَ الهـــازلين ، فمـــا ... عَلـــوت شـــأناً بمـــا أحرزتَـــه فيهـــا!

وكـــم تأوَّلـــت أحكامـــاً تُرَدِّدُهـــا ... بـــلا اعتبـــار ولا فِقـــهٍ يُجَليهـــا!

وكـــم تصَـــدَّرْت فـــي المجـــالس احتقـــرتْ ... أهـــلَ الهـــوى والأذى البُلـــةَ المَعاتيهـــا!

وكـــم سَـــخِرت مِـــن المَقاصـــد انتظمـــتْ ... ألبـــابَ قـــوم بهـــا كـــم انثنـــوا تِيهـــا!

وكـــم تنـــدَّرت تســـتهزي بمَـــن رَشَـــدوا ... وتســـتهينُ بهـــم سُـــخفاً وتســـفيها!

وكـــم تنمَّـــرت بالألغـــاز تُطلِقهـــا! ... ويـــحَ الحَماقـــاتِ قـــد بانـــت مَراميهـــا!

وكـــم طرحـــت نِكـــاتٍ فـــي مُنـــاظرةٍ! ... وحَبكـــة الهُـــزء تُخـــزي مَـــن يُزكِّيهـــا

حتـــى أتيـــت إلـــى تقســـيم مـــا ملكـــتْ ... يـــداك ، ذي قِسْـــمة تُخشـــى عَواديهـــا

أرضـــاً مَلكـــت ، وداراً كنـــت تســـكُنها ... ومـــا ســـألت عـــن الفتـــوى ومُفتيهـــا

أفتيـــت نفســـك بالجهالـــة اشـــتهرتْ ... وبعـــت نفســـك للشـــيطان شـــاريها!

ومـــا استشـــرت أولـــي الألبـــاب مَـــن عَلِمـــوا ... فقـــهَ الشـــريعة باديهـــا وخافيهـــا

ولا درســـت أمـــوراً أنـــت تجهلهـــا ... حتـــى تُحَصِّـــلَ تأصـــيلاً وتوجيهـــا

لكـــنْ تعمَّـــدت دَحـــضَ السُّـــنة انبلجَـــتْ ... تُنِيـــرُ دَربَ ســـليم القلـــب تاليهـــا

خصصـــت أبنـــاءَ أغنـــى منـــك يـــا لكَعـــاً ... والصـــحبُ كـــم نبَّهـــوا الـــدهقانَ تنبيهـــا

ومَـــن حَرمـــت ســـعيرُ الفقـــر يَحـــرقهم ... ونـــــارُ ظلمِـــــك عَمَّـــــتْهم غواشِـــــيها

أعَشْـــتهم فـــي ســـراب التيـــه عـــن رَغـــم! ... أبـــئسْ بقـــوم إذا مـــا واجهـــوا التيهـــا!

قيـــلَ: اســـتفقْ مِـــن قتـــام الظلـــم إنَّ لـــهُ ... علـــــى القلـــــوب خيـــــالاتٍ وتمويهـــــا!

مـــاذا دهـــاك ألا استرشِـــدْ ، وكُـــن فطِنـــاً؟! ... إنـــــا ننـــــوِّهُ للتوضـــــيح تنويهـــــا

أقلـــعْ عـــن الجَـــور ، لا تطـــرُقْ مســـالكَه ... أدِّ الحقـــــوقَ ، نجـــــا عبـــــدٌ يُوَفيهـــــا

هـــذي الشـــريعة رب النـــاس أحكمَهـــا ... وفقـــــه اللهُ فيهـــــا الـــــبعضَ تفقيهـــــا

وفـــاز عبـــدٌ أطـــاعَ الشِّـــرعة اشـــتُرعتْ ... للخيـــر فـــي ذي الـــدنا وخـــابَ عاصـــيها!

يـــا عبـــدُ نفـــذ بـــلا رأي أوامرَهـــا ... طوعـــاً ، ولا تقتـــرفْ يومـــاً نواهيْهـــا

وأنـــت غلّبـــت مـــا أمْلتْـــه غاشـــية ... أعمَتْـــك ، حتـــى سَـــرتْ بلـــوى دَياجيهـــا!

زرعـــت حِقـــداً ، جنـــى الأبنـــاءُ مِحنتـــه ... وأنـــت وحـــدك راويهـــا وراعيهـــا

فبعضُـــهم ظلَمـــوا ، واســـتمرأوا ، وبَغـــوا ... والنـــارُ مَوعـــدُهم ، تعســـاً لصـــاليها

وبعضُـــــهم ظلِمـــــوا ، واللهُ ناصـــــرُهم ... هـــذي المَظـــالمُ ربُّ النـــاس قاضـــيها!

مَـــن رامَ بِـــراً مِـــن الأبنـــاء مُنتظـــراً ... عليـــه بالعـــدل مِنهاجـــاً وتوجيهـــا

لا شـــيء كالعـــدل يُهديـــهِ رَعِيتـــه ... فالعـــدلُ بـــين جميـــع النـــاس يُعليهـــا

نِعـــمَ الرعيـــة عَـــدلُ الله يُورثَهـــا ... نصـــراً يُجَنبُهـــا سُـــوآى أعاديهـــا!

نِعـمَ الرعيـة راعَـت حـق مَـن حضـروا ... ونفـــذتْ شِـــرعة الـــرحمن تـــدريها!

ومـــا اســـتباحتْ حقـــوقَ الغيـــر عامـــدة ... بجهـــل أبٍّ عصـــى ، ورَامَ يُردِيهـــا

وراعـــتِ الحـــق أهلـــوهُ قـــد ارتحلـــوا ... فقدمتْـــه لهـــم تبكـــي مَآقيهـــا

يـــا رب بـــاركْ لمَـــن بـــالحق قـــد عملـــوا ... يـــا رب زِدْهـــم عـــن الحـــرام تنزيهـــا

وأرجـــع الحـــق ممـــن نِقمـــة ظلمـــوا ... وصَـــدَّروا الظلـــمَ للـــدنيا ومَـــن فيهـــا!

كذبتني ، فهل صدقت؟!

(عندما تقومُ الصداقة على المبادئ والقِيم والأخلاق ، فإنها تستمر إلى الأبد ، ولكن عندما تقوم على الهُزء والاستخفاف والسخرية والاستهزاء والانتفاع الخسيس الرخيص ، فإنها سُرعان ما تتلاشى ، وتُصبحُ أثراً بعد عَين! ولا نعجبُ مِن زوالها بقدر ما نعجبُ كيف استمرتْ ثلاثة عُقود! والاستمرارُ عائدٌ إلى أنَّ أحد الصديقين كان يُحسنُ الظن ، وينتظرُ لعل صديقه يتغير ، أو لعل الله يُحدِثُ بعد ذلك أمراً! وتكذيب الصديق لصديقه أمرٌ مستحيل! إنه بسبب استخفافه بصديق كان يثقُ فيه جداً ، وصلتِ العلاقة بينهما إلى القطيعة. فأشفقَ صاحبٌ علم بقصتهما ، فأراد التدخلَ للإصلاح ، فنصحَه المظلومُ الصادق بأن المواجهة مستحيلة ، لأن هذا الرجل مغالط ، واعتادَ أن يقلبَ الحقائق في أقل من لمح البصر! فاقترحَ ذلك الصالحُ المُصلحُ أن يقومَ المظلوم بتسجيل شريطٍ يتناولُ فيه العلاقة منذ نشأتها عام 1978م ، وحتى 2007 م ، وتحديداً حتى يوم عقد الصلح بينهما! ويقوم بإسماعه إياه ، لعل وعسى نصلُ إلى الإصلاح والتوفيق! فوافقَ المظلومُ على شرطين: الأول: أن لا يُوقفُ الشريط ولا يُعلقُ أثناء إذاعته. والثاني: أن يعودَ إليه الشريط كما هو! فقام الرجل بالتسجيل ، وذكرَ الأحداث بعد رصدها من الألف للياء! وعند تسليم الشريط للوسيط سأله الطيب الموفق سؤالاً مفاجئاً ، فقال: ماذا تتوقع من الرجل؟ فقال بدون تردد: سوف يقول لك: فلانٌ بن فلان كذاب ، ولن يعترفَ بحدث واحد من الأحداث ، ولن يُسَلم بحقيقة من الحقائق! فقال الوسيط حسن النية: ليس إلى هذا الحد! أراك تُبالغ بعض الشيء ، إن لم يكن كله! فعقب الأول: سترى. وكان الأمرُ بعد السماع كما توقع الأول. حيث استمعَ الصاحب المغرض المغالط المجادل لثلاثة أرباع الشريط مع آخرين ، وقال ومن قبل أن يُسأل: هذا الكلامُ كله كذب! فقال الوسيط: سبحان الله ، إنها ذاتُ الكلمات التي قالها الرجل عندما سألتُه ماذا تتوقعُ من فلان؟ فأوقف الشريط ونزعه من المسجل! وطلب الطرف المغالط المعاند: لو شئت أعطيتني الشريط! فقال وسيط الصلح والسلام: يستحيل ، لأنني أعتبر الشريط أمانة في عُنقي! فلا بد من تسليمه لصاحبه! إن ذلك وعدٌ وعدتُه وعهدٌ عاهدتُه! فعاد المغالط وألح في إكمال السماع للآخر ، فقال له الوسيط: إنه لا فائدة من السماع! لأن باقي الشريط سيكون كذباً كسابقه! فما يكون لرجل أن يكذب ساعة ونصف ويصدقَ في نصف ساعةٍ باقية! فلما عاد الوسيط بالشريط ، وقصَّ عليه ما عاين ورأى وسمع ، قال له الرجل: ارجعْ إليه وأخبرَه أن فلاناً رفع القضية من محكمة الأرض إلى محكمة السماء ، وأن الذي سيقضي فيها بينهما هو الله رب العالمين! والله حَكمٌ عدل! ولن يأتي اليوم الذي يلتقيان في ساحة جدال عن هذا الملف مطلقاً إلا أن يشاء الله ربي شيئاً! فعاد الوسيط وأخبر ، فإذا بالصاحب المُستفز المغالط يقول بكل برودٍ: ونعم بالله! وكأنه اتخذ عند الله عهداً والعياذ بالله! فأنشدتُ هذه القصيدة حكاية على لسان المظلوم الذي نال منه ذلك الصاحب المستفز المغالط العنيد كثيراً! ما قيمة الصداقة بدون تضحياتٍ من الطرفين؟! أما إن كان أحدهما هو الذي يقدم ، والثاني هو الذي يأخذ ولا يعطي ، فهذه صداقة المنفعة التي تنتهي بانتهاء المنفعة! عن التضحية قال الأستاذ أحمد الجموي ما نصه بتصرف: (التضحية كلمة من حروف محدودة ، لكن معناها عظيم ثقيل بوزن الجبال الراسيات لا بوزن حروف هذه الكلمة ، وهي تحمل شحنات من المروءة ، والثبات على المبدأ ، والشجاعة ، والإحساس بواجب المرء تجاه المبادئ التي يحملها ، والفكرة التي آمن بها واعتقدها. وقد شهد التاريخ وما يزال ، مضحين بذلوا وقدموا في سبيل ما آمنوا به من مبادئ ، وما حملوه من أفكار. وربما كانت تلك المبادئ والأفكار

صحيحة ، وربما كانت خاطئة منحرفة ، لكن إيمان صاحبها بها دفعها إلى البذل والتضحية من أجلها وفي سبيلها. لكن تضحية المسلم أعلى وأسمى من غيرها من التضحيات. فهي تضحية غايتها نيل رضاء الله عز وجل والتقرب منه. ويرجو صاحبها شيئاً وراء هذا العالم ، فهي تضحية تخترق أهدافها الزمان والعوالم ، وتسمو بعيداً عن دوافع الشهرة وحب المديح ، وبعيداً عن الحقد وحب الانتقام. وهكذا فإن تضحية المسلم عطاء وبذل في سبيل الدين دون انتظار مقابل في الدنيا ، ومن غير دوافع شخصية رخيصة. وهي بهذا تعبير رائع عن التجرد والإخلاص والتحليق والرفعة. وهي عنوان على نقاء المضحي من الأنانية وحب الذات ، وعلى امتلاء القلب باليقين بموعود الله سيحانه ، والرغبة في الآجل الباقي ، والإعراض عن العاجل الفاني. فما أحلاها وأروعها من كلمة ، وما أجمل ما تحمله من معان وتفيض به من دلالات. إن الصراع بين الحق والباطل قديم مستمر لم يتوقف ولن يتوقف ، وسيبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. قال تعالى: (ولا يزالون مختلفين) وقال أيضاً: (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) وما دام الأمر هكذا فلابد للحق من أقوام يدفعون عنه عدوان المعتدين ، ويحفظونه من عبث الضالين المبطلين. وهيهات أن تقوم للحق قائمة أو أن يكون له وجود إلا بالتضحية والبذل ، قال سبحانه: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهُدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً نعم إن الحق بحاجة إلى من يحيمه ويدفع عنه ولم يكن سدنة الشر ليكفوا عن الحق ويتركوه لأنه حق فحسب ، بل لابد من وجود من يتصدى لهم ويقارعهم. وهل يكون ذلك دونما بذل وتضحية؟! فلا حياة للمبادئ من غير تضحية ، ولا قيام للدعوات والأفكار مطلقاً إلا بها. وعلى أكتاف المضحين تنهض الدعوات وبتضحياتهم تحيا وتعيش ، وتجتاز المحن والصعاب وتحطم السدود والقيود. وما كان للجبناء المتخاذلين الذين يُؤثرون الدعة ، ويقدسون المصلحة الشخصية والسلامة الذاتية ، أن يحملوا دعوةً ، أو يدافعوا عن حق ، أو أن يحرسوا أسوار الدين ، ويذودوا عن حياضه ومبادئه).هـ. وإذن فلا قيمة للصداقة إن لم يكن هناك بذل وتضحية من الطرفين! وتعساً لصداقة الانتفاع!)

إنـــي اشـــتكيتُك للمليـــك الكـــافي ... يـــا صـــاحبَ القلـــب المَـــريض الجـــافي

كَـــذبتني ، ورأيـــتَ نفسَـــك صـــادقاً ... وجهـــرتَ فـــي عِـــز وفـــي استشـــراف

وطغـــى غـــرورُك ، لـــم تُفِـــدك حكـــايتي ... وضَـــجرتَ مِـــن إرهاصـــة الإيقـــاف

وطعنـــتَ بالتكـــذيب خاصـــرة الوفـــا ... وغـــدا العِنـــادُ هـــو الـــدليلَ الكـــافي

والصـــحبُ كـــم عـــابوا علـــيَّ تســـامحي ... مـــع راعـــن مُستبشـــع الإجحـــاف

سَـــردُوا لـــيَ التـــاريخ دون تجمُّـــل ... سَـــرداً نزيهـــاً طيِّـــبَ الأوصـــاف

فعلمـــتُ أخبـــاراً يَشـــينك ذِكرُهـــا ... حَفلـــتْ بالاســـتلئام والإســـفاف

كـــم قِيـــلَ عنـــك مِـــن الحقـــائق مُـــرَّة ... وأنـــا أدافـــعُ عنـــك باســـتعفاف!

كـــم رَدَّدَ الأقـــوامُ عنـــك مَعائبـــاً ... تُـــزري بصـــاحب سُـــؤدَدٍ وطِـــراف!

كـــم عَـــددوا عنـــك المَســـاوئ فجَّـــة ... والقـــومُ بـــين مُصَـــدِّق ومُنـــافي!

كـــم صَـــدَّروا لـــي عنـــك أســـوأ قـــولِهم ... بعبـــــارةٍ مَرســـــومَة الأهـــــداف!

لكننـــــي واللهِ مـــــا صـــــدَّقتُهم ... وبـــرغم مـــا ذكـــروه مِـــن إنصـــاف

كـــم كنـــتُ مَـــأخوذاً بلهجـــة ثـــائر ... يَهـــوى اتبـــاعَ طريقـــة الأســـلاف!

حتـــى إذا كُشِـــفتْ حقيقـــة خـــادع ... مُتتـــرس خلـــفَ الجَـــلال الصـــافي

فجَفـــاك قلبـــي دونَ أي تـــردُّدٍ ... وقلتْـــك رُوحـــي دونمـــا اســـتعطاف!

وأمرتُـــك: اخـــرجْ مِـــن بُيَيتـــي عازمـــاً ... ألا أعـــودَ لمَبـــدأ الإســـراف

أســـرفتُ فـــي حبـــي لأرذل صـــاحب ... وزعمـــتُ صُـــحبته الإخـــاءَ الـــدافي

وخسِـــرتُه إذ لـــم يُـــراع أخـــوتي ... كالصـــفوة الرئبالـــة الأشـــراف

وســـعى إلـــى الإصـــلاح خِـــل طيـــبٌ ... أدلـــى بـــدلو وافـــر الألطـــاف

ليُقِيـــلَ عَثـــرة مُبتلـــى فـــي حُبِّـــه ... فأذقتَـــه بـــالمَكر سُـــوءَ تجـــافي

لـــم يَســـتطعْ صَـــرفاً لعِنـــدِك لحظـــة ... فالعِنـــدُ ســـاقَ الخُلـــفَ بالأضـــعاف

فـــأتى بأذيـــال العِتـــاب يَجُرهـــا ... نحـــوي ، وجـــاهرَ بـــالمَلام الصـــافي

ودعـــا إلـــى مُنـــاظرةٍ لـــيَحكمَ بعـــدها ... بالشـــرع ، لا بضـــوابط الأعـــراف

ليكـــون حُكمـــاً لا يُخالطـــه الهـــوى ... بالعـــدل مُتصـــفاً وبالإنصـــاف

يبقـــى نهائيـــاً بـــلا نقـــض ، ولا ... طلـــب بـــإبرام ، ولا اســـتئناف!

فنصـــحتُه ألا يـــواجهني بمـــن ... وأدَ الإخـــا ، أبـــئسْ بـــذا العســـاف!

فاختـــارَ تســـجيلَ الكـــلام إنابـــة ... وبـــدون إبطـــاءٍ ولا إيجـــاف

فشـــرعتُ فـــي التســـجيل أوردُ قِصـــة ... حـــدثتْ قـــديماً فـــي قـــرى وفيـــافي

صِـــيغتْ بـــأتعس أحـــرُفٍ وعِبـــارةٍ ... والحِبـــرُ صُـــنِّعَ مِـــن نقيـــع زعـــاف

بـــدمي وأعصـــابي نســـجتُ فصـــولها ... لمَّـــا افتـــرَى جِلـــفٌ مِـــن الأجـــلاف!

وذكـــــرتُ أحـــــداثاً تُعـــرِّي ظالمـــــاً ... وتُمِـــيط أســـتاراً مِـــن الإســـداف

مِـــن يـــوم مَعرفتـــي بـــأحقر صـــاحب ... حتـــى نهايـــة مُشْـــكِل وخِـــلاف

يَنـــدَى الجبـــينُ لِمـــا أنـــا سَـــجّلته ... خجَـــلاً بمـــا صَـــنعَ الســـفيهُ الغـــافي

والقلـــبُ يبكـــي حســـرة وندامـــة ... ويُســـيلُ دَمـــعَ المَـــدمع الـــذراف

والـــنفسُ تُوبقهـــا مَـــرارة حُزنهـــا ... والســـر تـــركُ نصـــيحة الأشـــراف

وختمـــتُ تســـجيلي بصـــادق دعـــوتي ... لله ذي الإكـــــــرام والألطـــــــاف

ليكـــون حَســـبي فـــي القيامـــة وحـــده ... مَـــن مِثلـــه يَجـــزي الـــورى ويُكـــافي؟!

وأتـــاك بالتســـجيل أصـــدقُ صـــاحب ... فـــي حَيـــدةٍ كنضـــارة الأصـــداف

وتـــلا لـــك الشـــرطين كـــي يتحققـــا ... والـــنصُّ خـــالفَ عـــن رَويِّ القـــافي

وســـمعت ، واحترقـــتْ ســـخائمُ حاقـــدٍ ... لفضـــائح تُلِيَـــتْ علـــى الأضـــياف

أحـــداثُ لـــم أجهـــرْ بهـــا يومـــاً ، ولا ... ناقشـــتُها فـــي مَعـــرض استضـــعافي

والآن أذكرُهـــا بـــدون تحفـــظٍ ... واليـــومَ أذكـــرُ مـــا بـــدا والخـــافي

عقـــدين مِـــن عمـــري أصـــاع كَبـــوتي ... بسِـــني ذل فـــي الـــبلاء عِجـــاف

واليـــومَ تمحقهـــا بقولـــك: (كـــاذبٌ)! ... أنـــا (كـــاذبٌ) يـــا أيهـــا المتجـــافي؟!

والصـــدقُ قولـــك! يـــا كـــذوبُ ، ألا أفِـــقْ ... إن الكـــــلام مُشـــــعَّبُ الأطـــــراف

وشـــهودُ مـــا قـــد قلـــت يُمكـــنُ سُـــؤلهم ... لكننـــــي رفقـــــاً بكـــــم ســـــأعافي

قـــولي وقولـــك يـــا خصِـــيمُ تباينـــا ... شـــتانَ بـــين الـــدُّوم والخُـــذراف!

هـــذا القصـــيدُ أخطـــه متحققـــاً ... ليكـــون مِـــن الكُلـــوم يُشـــافي

ولقاؤنـــا يـــا فـــظ عنـــد مُهـــيمن ... جَـــلَّ المليـــكُ المُســـتعانُ الكـــافي

يَقـــتصُّ منـــك ، ولا إخالـــك ناجيـــاً ... ربِّ اشـــفنا ممـــا أتـــى يـــا شـــافي!

كـــم أعطـــوك؟!

(عندما يُقاسُ كل شيءٍ بالمال ، تكون طامة كُبرى قد أصابتْ وزنَ القيم! لماذا يا قومي؟ والجوابُ باختصار: لأن المال أبداً لا يشتري القيمَ ولا المبادئ! وأهلُ القيم والمبادئ ، أبداً لا يبيعونها بكنوز الأرض! وتبدأ قصة هذه القصيدة عندما استضافتْ إحدى القنوات الفضائية الفذة الرائعة المحترمة القيمية أحد الشعراء! وهذا الشاعر أمره عجيب وشأنه غريب ، رغم تمكنه من الشعر وغزارة إنتاجه الشعري وجودة موضوعاته الشعرية – وهذا من فضل الله عليه ، ثم فضل أساتذته الذين علموه - ، إلا أنه لا يهتم كثيراً ولا قليلاً بالأضواء ولا يجري وراءها ، لأنه كان يُدرك جيداً أن الأضواء تقتل صاحبها ، ولو بعد حين! وعاش يعتبر مدحَ الناس لأشعاره وقدحَهم سواء! وفوجئ ذات يوم بطلب استضافة مكتوباً من إحدى القنوات الفضائية! فتردد في الموافقة كثيراً ، ثم بعد دراسةٍ للأمر وافق! وحددَ القائمون على القناة موعداً لزيارتها ، ريثما تُجرى الترتيبات وإعداد استوديو الأخبار لأنه الأليقُ باستضافة الضيوف وخاصة الأدباء والشعراء والكُتاب! وذهب الرجل على موعده معهم ، والتقى مُعِدي البرنامج الذي سيكون ضيفاً عليه! ولم يشترط الشاعر عليهم إلا شرطاً واحداً ، وهو أن يُرفع هذا اللقاء على الميديا من خلال موقع القناة! لا للمشاهدات ، ولا للأضواء ، ولا لأي اعتبار آخر ، سوى الذكرى والتعريف بالشاعر ، وانتفاع الناس بما يُلقيه من القصائد! فقالوا: ما جئتنا بجديد ، إننا نرفع كل ما يتعلق بالقناة على موقعها مباشرة! فسُر الشاعر بذلك! وتم التسجيل ، وأعطوه موعدَ الإذاعة الحية والمُعادة على القناة! وكم كانت سعادته بهذا اللقاء ، وسُر به كذلك أحباؤه وأصفياؤه ، واغتاظ أعداؤه وانكمدوا! إلا أن المفارقة العجيبة وثافية الأثافي ، أن أحد هؤلاء الأعداء ما استطاع أن يُخفي مشاعره الحاقدة الكارهة ، حيث واجه الشاعر بقوله: كم أعطوك؟ فرد الشاعر عليه قائلاً: لأنهمُ (المجد) ، فقد أعطوني المجد والعز والفخار! لقد أعطوني ما لا يُقدّر عندي وعند أولي النهى ما يرجح كنوز الأرض منذ كانت الأرض إلى قيام الساعة! يكفي أنك تموت يوم تموت ولا يرى لك أحد صورة ولا يسمع لك أحد صوتاً! أما أنا فلقد خلد الله صُورتي وصَوتي قبل وبعد موتي يا لكاع يا حاقدُ يا شامتُ يا جاهل! على أن هذا السفيه كان يوماً من أصفى أصفياء الشاعر ، ذلك أنه لفرط قدرته على الاحتواء والخداع ، عاش يُظهر لصديقه الشاعر حِرصَه على الدين وتعصبه للسُّنة وتظاهرَه بالأخلاق والمبادئ والقيم! ولكن الحقيقة لا بد لها من أن تظهر يوماً! والأمرُ كما هو معروفٌ في أمثال الشعوب: (إنك تستطيعُ أن تخدعَ الناس بعض الوقت ، ولكنّ خداعَك لهم لا يمكنُ أن يستمر كل الوقت! وعندما ظهرتْ حقيقة ذلك الخادع المفتري الكاذب ، لم يترددِ الشاعرُ في مقاطعته!)

يـــا صـــاحباً ذبُلـــتْ فـــي القلـــب ذِكـــراهُ! ولـــم يعُـــدْ نـــاظري يَهـــوى مُحَيَّـــاه!

ولـــم يعـــدْ خـــاطري يهفـــو لطلتـــه ولـــم أعـــدْ أحتفـــي يومـــاً بلقيـــاه

خـــادعْتني زمنـــاً بـــالبر تُظهـــرُه وأنـــت أظلـــمُ مخلـــوق عرفنـــاه

صـــانعتني بادّعـــاء العِلـــم فـــي مَـــلأ وأنـــت أجهـــلُ إنســـان خبَرنـــاه

قـــالوا: غشـــيمٌ ، فـــلا تصـــحَبْه ، إنَّ لـــهُ تصـــنعاً تُتقـــى سُـــوآى بلايـــاه!

وانظـــرْ لمـــن حولـــه ، لا يـــأبهون بـــه ... إذ مـــا لـــه فـــي الأذى والكيـــد أشـــباه

ومِـــن مَقالبـــه الجميـــعُ مـــا ســـلِموا ... وأدركـــوا المكـــرَ لحـــنُ القـــول أخفـــاه

وعـــاينوا الحِقـــدَ فـــي سِـــر وفـــي عَلـــن ... كـــأنَّ إبلـــيسَ – للـــدهقان - أوحـــاه!

وناصـــحوه ، فلـــم يُنصـــتْ لمَـــن نصـــحوا ... ومـــا اســـتكانَ بمـــا قـــالوا لمَـــولاه!

ومـــا تضـــرَّعَ للـــرحمن عـــن رَغـــب ... حتـــى يُزيـــلَ دُجـــى جهـــل تغشّـــاه!

ومـــا تفقـــدَ قلبـــاً كـــي يُعالجَـــه ... مِـــن الضـــلال الـــذي اســـتعلى ، فـــأرداه

ومـــا تعقـــبَ نفســـاً كـــي يُزكّيَهـــا ... مِـــن اللجـــاج الـــذي كـــم كـــان يهـــواه

ومـــا تحمـــلَ نقـــداً مِـــن أقاربـــه ... ولا الأباعـــدِ ، إذ مـــا كـــان يرضـــاه

واليـــومَ يســـألني سُـــؤالَ مُكتـــرثٍ ... بمـــا أحَصّـــلُ مِـــن مـــال ليُعطـــاه!

حتـــى يُبـــدِّدَه ، بـــلا مُســـاءلةٍ ... كمـــا تعـــوَّدَ ، فـــالإخلاصُ جافـــاه!

لـــم يَعـــرفِ الصـــدقَ يومـــاً فـــي معاملـــةٍ ... حاشـــاه يُسْـــدِي حقـــوقَ النـــاس حاشـــاه!

يقـــولُ: أعطـــوك كـــم؟ أطـــربْ بهـــا أذنـــي ... يقولهـــا فـــاغِراً بجَرْسِـــها فـــاه

فقلـــتُ: أعطـــونيَ الأمجـــادَ مُشـــرقة! ... والخيـــرَ أدنـــاهُ أعطـــوني ، وأعـــلاه!

هـــم خلـــدوا فـــي الـــدنا ذِكـــرايَ طيِّبـــة ... مُـــذ سَـــجّلوا الشـــعرَ فواحـــاً بـــذكراه

هـــم بـــوَّأوني مِـــن الغايـــات أعـــذبِها ... ومِـــن زهـــاء العُـــلا فـــي النـــاس أســـماه

هـــم عَطـــروا سُـــمعتي بمـــا يُناســـبُها ... وضَـــمَّخوا الاســـمَ ، فاســـتعلى بسِـــيماه

هـــم أركبـــوني سِـــنامَ الفخـــر مُســـتمياً ... علـــى الحُـــزون ، فقـــد أتـــانيَ الجـــاه!

عَطـــاءَهم أجزلـــوا ، فـــالقومُ مـــا بخِلـــوا ... لكـــنّ مِثلـــك لا يُشـــجيه مَغـــزاه

عطـــاؤهم لـــيس يُفنـــي الـــدهرُ رَونقـــه ... ولـــيس تفنـــى - مـــدى الأيـــام - فحـــواه

عطـــاؤهم ليســـت الأمـــوالُ تُثقِلـــه ... فالمجـــدُ لـــيس ببـــذل المـــال نلقـــاه

إنْ مِـــتُّ غـــرَّدَ فـــي ســـمْع الزمـــان صَـــدى ... صَـــوتي بشـــعر ألا مـــا كـــان أحـــلاه!

شِـــعري الـــذي ذِعتُـــه فـــي عَـــذب أمســـيةٍ ... حتـــى يُـــرَدِّدَهُ جيـــلٌ تبنـــاه

شِـعري الـذي لـم يَهـمْ فـي حُسـن غانيـةٍ ... ولا تنـــاولَ قـــداً فـــي ثنايـــاه!

ولـــم يُحَسِّـــنْ قبيحـــاً فـــي قصـــائده ... ولـــم يُـــرَوِّجْ لبُهتـــان تمـــلاه!

ولـــم يُـــداهنْ لطـــاغوتٍ ليَنشـــره ... ولاســـتماتته - فـــي الحـــق - عـــاداهُ!

شِـعري الـذي عِبـت بـين النـاس يـا سَـمِجاً ... لأن عقلـــك لـــم يفطِـــنْ لمَعنـــاه!

أهـــلُ القنـــاة أعـــاروني مســـامعَهم ... فـــأدركَ الشـــعرُ - بالأمـــداح - مَحيـــاه

وعِشْـــتُ أجمـــلَ ســـاعاتٍ أتِيـــهُ بهـــا ... وزالَ عنـــي الجَـــوى والوَجـــدُ والآه!

أنـــا المَـــدينُ لهـــم بكـــل مـــا بَـــذلوا ... والشـــعرُ باشـــرَ فـــي القنـــاة مـــأواه!

فـادفنْ سُـؤالك فـي الحضـيض ، وانْـأ بـه ... عنـــي ، فقلبـــي دَرَى فـــي التـــو عُقبـــاه

ودار حقـــدَك عنـــي يـــا أســـيرَ هـــوىً ... أواهُ منـــك ، ومـــا قلـــت أواه!

كفـــاك هُـــزءًا وتدليســـاً وسفســـطة ... هـــل كـــاذبٌ مُفتـــر تـــدومُ دَعـــواه؟!

إنـــي اشـــتكيتُك للجبـــار يـــا لَكَعـــاً ... ولـــنْ يَضـــيعَ الـــذي ظهيـــرُه الله!

وأنـــت باركـــت حُكـــم الله يـــوم جَـــزا ... ويومَهـــا يَحتفِـــي عَبـــدٌ بشـــكواه!

نحن جاهزون للطلاق!

(عندما تستقوي زوجة ساذجة حَمقاءُ - بأهلها السفهاء - على زوجها ، فإنها وأولادها وحدهم يدفعون الثمن غالياً! ذلك أن زوجها يُمكنه بكل سُهولةٍ ويُسر أن يتزوجَ غيرها ، ويبدأ حياة جديدة ، ويُذيقها ويلاتِ الانقسام غير المبرر! ومناسبة هذه القصيدة أنَّ صِهراً أجرمَ في حق ابنته وزوجها ، وأحدثَ إجرامُه في حقهما طواماً ومشكلاتٍ! وعندما أرادَ زوجُ ابنته الإبقاءَ عليه صِهراً فقط بلا معاملاتٍ ، هاجَ وماجَ ، وأرغى وأزبد ، وقال قولته الملعونة: (نحن جاهزون للطلاق ، فهل أنت جاهز؟!) والله لقد كان صِهراً عجيباً ونسيباً غريباً ، ظل يُخطط مع ابنته للحيلولة دون عِزة زوجها وغِناه! وجعلاه بعد ثلاثة عقودٍ في الغربة في أغنى دولةٍ في العالم مَعوذاً يتكففُ اللقمة وينتظرُ نوالَ المحسنين! وساعدَهما على ذلك خُذلان أهل ذلك الزوج! فكانت الكرة في ملعب النسيب المَعتوه والصهر الأبله عقدين من الزمان ، يلعبُ بزوج ابنته كيف شاء ، ويتصرفُ في أمواله كما يشاء ، ويُشوِّه سُمعته ، وينالُ من عِرضه كيف شاء! ولما عاد الرجل من سفره وسأل عن ممتلكاته وممتلكات زوجته ، وسأله لماذا لا يُمنح الحرية المطلقة في إدارة المال وتولي زمام أسرته ككل زوج في الدنيا مسلماً أم كافراً؟! فأتى الرد يحمله الوسطاءُ الأمناءُ الصادقون: (هذا صايع ضايع في بلاد الغربة ، وهذه أموال ابنتي وعقاراتها ، ولا شيء له ، وزادَ حباتِ الطين بلة بقوله عن زوج ابنته: فلانٌ هذا بكابورت ، أي بالوعة أنا أدخلت ابنتي فلانة فيها وأنا الذي سأخرجها منها!) فلما استوثق الزوج من المصادر وقاسم أهلها بالله ، واستيقن أن الصهر المراوغ المغادع المتفحش الكاذب كان يخدعه بالله تعالى طِيلة هذه السنين ، قررَ أن يُطلق ابنته ، مادامت تباركُ صَنيعه المغالط الظالم! ولم يكن قرارُه عن هوى! لأنه لما رجع إليها ، وجدها تُقِر أفعال أبيها وكلماته القذرة الفجة التي تنم عن خلقه الذميم ، وتقول: (كل ما يقوله بابا صحيح وأنا معه!) فأدرك الرجل أنه أصبح ألعوبة في أيدي زوجته وأبيها وأهلها ، وأصبح أشبه ما يكون بالكُرة بين مضربين ، بل مجموعة مضارب! وأسرعت وتيرة الأحداث ، فلم تكن فرصة للتفكير المتروي العاقل الرزين! فواجه الزوج صهره وعلى قارعة الطريق وأمام ثنتين من بُنياته: (اسمع يا هذا ، لقد قررتُ أن أعيش من اليوم رجلاً ولو وراء القضبان ، ولا أعيش خروفاً أسيرُ خلفكما ، كما اعتدت على مدي عشرين سنة!) وبدلاً من أن يُراجع النسيب نفسه ، ويدرك أخطاءه وتجاوزاته ، راح يزيد حبات الطين بلة بقوله: (نحن جاهزون للطلاق ، فهل أنت جاهز له؟!) ويا لها من مفاجأةٍ أوسخ من الوسخ ، وأقذر من القذر ، وأسود من السواد! صِهرٌ ضَيَّعَ أسرة بأكملها بما فيها ابنته ، ولا يزال يزعمُ لنفسه أنه على حق ، فأخذتُ نصفَ عبارته العفنة ، لتكون عنواناً لهذه القصيدة ، لأعيد بذلك الحق إلى نصابه والقوس إلى باريها في عالم كثر فيه اللغط وطمَّت المغالطة ، وما ذلك كله إلا من باب الرخصة التي أعطانا الله إياها: (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلِم)! وعاد الزوجُ إلى رُشده ، بعد أن نصحه الواعون بأن الضحية يا فلان هم أبناؤك السبعة! أنت ستتزوج ، وهي ستتزوج! فمن سيضيعُ وتُربيه الشوارعُ والملاجئ؟ ليس إلا أبناؤك! فهل أنت سطحيٌ وأنانيُ إلى هذا الحد؟! فاختار الرجلُ الإبقاءَ على زوجيةٍ مُهترئةٍ من أجل الأولاد!)

يـــا مُجهِضـــاً أمســـي ويـــومي والغـــدِ قلبـــي أفـــاقَ مِـــن الخِـــداع الألكـــدِ

مازلـــت تلعـــبُ بـــي ، وتختـــرعُ الفِـــرى عنـــي ، وتفتعـــلُ الشـــجارَ ، وتعتـــدي

وأردتهـــا حربـــاً ضروســـاً تجتنـــي ... بسُـــعارها آمـــالَ قلـــبٍ مُكْمَـــد

وبـــذلت جُهـــدَك كـــي ترانـــي مُعـــدِماً ... مُتســـولاً أحيـــا علـــى مَـــدِّ اليـــد

واحتلـــت فـــي حَبْـــكِ الزيـــوف تســـوقها ... ليكـــون عَيشـــي كالخِضَـــم المُزبـــد

بَـــدَّدت مـــالي عامـــداً متعمـــداً ... أبـــئسْ بغـــدرة عامـــدٍ متعمـــد!

مازلـــت تكـــذبُ لـــم تـــردَّك شَـــيبة ... شَـــأنَ العُتـــاة المُفتـــرين العُنّـــد

فطلبـــتُ منـــك علـــى المَـــلا حُرِّيتـــي ... والنـــاسُ قـــد فهمـــوا مُنـــايَ ومَقصـــدي

قـــــررتُ إنهـــــائي لأي تعامُـــــل ... مـــع هـــازل مُـــتفحش مُتمـــرد!

أودتْ بنـــــا كَبَواتُـــــه وسُـــــقوطه ... واقتادنـــا نحـــو الهـــلاك المُرصِـــد

دَعنـــي أرتـــبُ كيـــف تحيـــا أســـرتي ... دَعنـــي بمـــا أبقيتـــه أبنـــي غـــدي!

وكفـــاك تبديـــداً ، وأبـــق علاقـــة ... دَمرتهـــا بغبائـــك المتبلـــد!

لمّـــا نكـــنْ أيتـــامَ ترعـــى شـــأنهم ... أو أعبُـــداً قهـــروا بـــأمر الســـيد!

لمّـــا نكـــنْ أســـرى لـــديك تســـومُهم ... سُـــوءَ العـــذاب ، وإنْ تُراجَـــعْ تُرعِـــد!

وطفقـــتَ تُوسِـــعنا بهُزئـــك ســـاخراً ... وتُـــذيقنا تكشـــيرة المتوعـــد

عبثـــاً تُفكـــرُ أنْ نعـــودَ لمَـــا مضـــى ... مُنِيَـــتْ وَشِـــيجتُنا بســـهم مُقصِـــد!

وفـــرْ مَلامَـــك والمُؤاخـــذة التـــي ... لـــنْ تُلـــبسَ الـــديجورَ وَمضـــة فرقـــد

أطفـــيءْ أذى التـــوبيخ ، فـــات أوانُـــه ... كـــم زادَنـــا التـــوبيخُ خفقـــة أكبُـــد!

أتقـــولُ: بيَّـــتُم طلاقـــاً مُزمَعـــاً ... فـــي عِيشـــةٍ أمســـتْ كـــوادٍ أجـــرد؟!

أدليـــت فـــي التخبيـــب دلـــوَ مُســـعر ... للحـــرب تقـــذفُ بـــاللظى المُتوقـــد!

وحملـــت ســـيفاً لـــيس يَحملـــه العِـــدا ... وأنـــا أواجـــهُ لـــيس شـــيءٌ فـــي يـــدي

والله خـــوَّلني لســـاناً مُفصِـــحاً ... أفـــري بمـــا يُلقِيـــهِ سَـــورة ألـــود

وجهـــرتُ أنْ أحيـــا بـــلا تبعيـــةٍ ... تُملـــى علـــيَّ مِـــن الأثـــيم المُعتـــدي

حتـــى وإنْ أودِعـــتُ سِـــجناَ ضـــيِّقاً ... ألقـــى بـــه ذلـــي وأنـــة مُجهـــد

قضـــــبانه يومـــــاً ســـــتُردِي قِصـــــتي ... عبـــرَ الـــبلاء المُكفهـــر الســـرمدي

حمّلتنـــــي مـــــا لا يُطِيـــــقُ ، وزِدْتنـــــي ... همَّـــاً علـــى هـــمٍّ ، فطـــالَ توجّـــدي

وقتلـــت سُـــمعة مَـــن أعـــزك فـــي الـــورى ... والقتـــلُ أهـــونُ مِـــن زوال السُـــؤْدَد

أخطـــأتُ يومـــاً إذ تخِـــذتُك صـــاحباً ... والقلـــبُ قلبـــي طيـــبٌ غـــضٌ نَـــدي

أنـــت الـــذي أبـــديت لـــي طبْـــعَ الوفـــا ... وتعصُّـــباً فـــذاً لسُـــنة (أحمـــد)!

وســـحَرتني بلطيـــف قولِـــك مُظهِـــراً ... حبـــي وهِمـــة ناصـــر ومُؤيـــد!

فخُـــدِعتُ فيـــكَ خديعـــة شَـــقِيتْ بهـــا ... نفســـي ، فلامتْنـــي ، فقلـــتُ لهـــا: رِدي!

هـــذا جزائـــي أنْ تُناصِـــبني العَـــدا ... وتـــروحُ فـــي كيـــدٍ ، وطـــوراً تغتـــدي!

فوضـــتُ أمـــري فيـــك للمـــولى الـــذي ... يـــأوي إلـــى لقيـــاه كـــل موحـــد

وهنـــاك يرجـــعُ كـــل حـــق خِلتـــه ... لا لـــن يعـــودَ لبـــائس مُترصـــد

بينـــي وبينـــك يـــا مُغـــالط مَوعِـــدٌ ... ســـيعودُ كـــل الحـــق فـــي ذا المَوعـــد

شـــوقي إلـــى حقـــي يُـــداعِبُ مُهجتـــي ... ويســـوقني للحـــق شـــوقُ العُـــوَّد

أغلقـــتُ فـــي الـــدنيا ســـجلَ عِتابنـــا ... ليكـــون فـــي الأخـــرى أمـــام الشـــهد

يـــا رب أنصِـــفني ، وثبّـــتْ حُجّتـــي ... لأبيـــت خيـــرَ مُوفـــق ومُسَـــدد

لمّـــا طغـــى غيـــري ، وبـــالغ فـــي الأذى ... فـــوراً لجـــأتُ إليـــك ، لـــم أتـــردد

العـــدلُ أنـــت ، وهـــل كعـــدل مَلِيكِنـــا؟! ... فأعـــذْ حقـــوقَ المُحســـن المُتعبـــد!

دمه وماله وعرضه!

(بلغتْ أختُ هذا السفيه الشقي سن الزواج ، فالتمسَ لها بين الرجال زوجاً صالحاً ، وذلك عملاً بوصية والده الذي اشترط عليه ألا يُزوّجها إلا لرجل صالح يؤمن بالله واليوم الآخر ، وألا يشترط عليه شيئاً ، وإنما يكِله إلى صلاحه ودينه وتقواه. وقد كان له ذلك ، حيث عرضها على أحد الصالحين (فيما يبدو للناس) ، والله حسيبه ووكيله ، ولا نزكّي على الله ربنا أحداً! فلما تم الزواج ، ملأ الصهر الأحمق الأخرق الدنيا بالإفك والبهتان من أنه زوّج فلاناً ومنّ عليه ، برغم أنه لم يتكلف له شيئاً يُذكر ، كما جرتِ العادة والعرفُ والتقليد والنظام الاجتماعي المتبع! فهل كان التماسُه زوجاً صالحاً لأخته منة عليه أو عليها؟! أم أنه واجب شرعي أمرتْ به الشريعة؟ وكان الزوج قد حمل على عاتقه كل ما يستطيعه وزيادة في هذا الزواج الذي لم يُرد به وجه الله تعالى إلا من طرف واحد هو الزوج المبتلى! هل نسي هذا الصهر المعتوه والنسيبُ الأبله أنه ختنه (زوج أخته) أخ له في الله والإسلام حرم ماله وعرضه بنص الحديث: (كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه)؟ ومادام لم يتكلف ولم يغرم فلماذا الكذب والمبالغة في البهتان والإسراف في الإفك؟ فيقال: ولماذا يتكلف هل صار ختنه بمثابة الابن؟ والجواب: لا يجب ، بل يستحب فإنه من فضائل الأعمال على أي حال! وإذن فلماذا الادعاء الكاذب الأجوف من أنه زوّج فلاناً؟! إنه لا منة له مطلقاً لا على ختنه ولا على أخته! إنه واجب شرعي تكليفي محض! وقد عرض شعيب ابنته على موسى – صلى الله عليه وسلم - ، وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على أبي بكر ثم على عثمان ثم تزوجها النبي – صلى الله عليه وسلم -! وعرض سعيد بن المسيب ابنته على عبد الله بن أبي وداعة ، وزوجه إياها لما ماتت زوجته ، وأعطاه عشرين ألف دينار أو أربعين على رواية أخرى! فهل منّ ابن المسيب يوماً على ابن أبي وداعة البنت والمال؟! بالطبع لا! إن الذي يعطي لله ينتظر الأجر منه وحده ، لا من سواه! هل منّ شعيب على موسى عليه السلام يوماً؟! هل منّ ابن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم تزويجه ابنته حفصة – رضي الله عنها – يوماً؟! والمثل المري الجميل يقول: (اخطب لابنتك ، ولا تخطب لابنك!) ، ونحن نوافقه في نصفه الأول: (اخطب لابنتك) ، والمعنى: (انتق زوجاً صالحاً لابنتك)! وفي هذا الانتقاء بالطبع عرضُ البنت على الصالحين ، وهو باب من أبواب الفقه الإسلامي في القديم والحديث! (باب: عرض الرجل موليته على الصالحين)! جاء في جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي تعليقاً على حديث: (دمه وماله وعرض) ما نصه: (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً! المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره ، التقوى ها هنا! ويشير إلى صدره ثلاث مرات ، بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم! كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه).هـ. رواه مسلم. هذا الحديث خرجه مسلم من رواية أبي سعيد مولي عبد الله بن عامر بن كريز عن أبي هريرة ، وأبو سعيد هذا لا يعرف اسمه ، وقد روى عنه غير واحد وذكره ابن حبان في ثقاته. وقال ابن المديني هو مجهول وروى هذا الحديث سفيان الثوري فقال فيه سعيد بن يسار عن أبي هريرة ، ووهم في قوله سعيد بن يسار ، إنما هو أبو سعيد مولي ابن كريز. قاله أحمد ويحيى والدارقطني ، وقد روى بعضه من وجهٍ آخر ، وخرجه الترمذي من رواية أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام: عرضه وماله ودمه ، التقوى ههنا ، بحسب امرئ من الشر أن يَحْقر أخاه المسلم).هـ. وخرج أبو داود من قوله: (كل المسلم على المسلم حرام إلى

آخره). وخرجه في الصحيحين من رواية الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً).هـ. وخرجاه من وجوه أخر عن أبي هريرة. وخرج الإمام أحمد من حديث واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ قال: (كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، والتقوى ها هنا ، وأومأ بيده إلى القلب. وحسب امريء من الشر أن يَحقر أخاه المسلم).هـ. وخرج أبو داود آخره فقط. وفي الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه). وخرجه الإمام أحمد ، ولفظه: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره وحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم).هـ. وفي الصحيحين عن أنس عن النبي ﷺ قال: (لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً). ويُروى معناه من حديث أبي بكر الصديق مرفوعًا وموقوفاً! فقوله ﷺ: (لا تحاسدوا) يعني لا يحسد بعضكم بعضًا والحسد مركوز في طباع البشر ، وهو أن الإنسان يكره أن يفوقه أحد من جنسه في شيء من الفضائل! ثم ينقسم الناس بعد هذا إلى أقسام فمنهم من يسعى في زوال نعمة المحسود ، وذلك بالبغي عليه بالقول والفعل ، ثم منهم من يسعى في نقل ذلك إلى نفسه ، ومنهم من يسعى في إزالته عن المحسود فقط ، من غير نقل إلى نفسه ، وهو شرهما وأخبثهما ، وهذا هو الحسد المذموم المنهي عنه ، وهو كان ذنب إبليس حيث كان حسد آدم عليه السلام لما رآه قد فاق على الملائكة ، بأن الله خلقه بيده ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شيء ، وأسكنه في جواره فما زال يسعى في إخراجه من الجنة حتى أخرجه منها! ويروى عن ابن عمر أن إبليس قال لنوح: (اثنان أهلك بهما بني آدم الحسد وبالحسد لعنت وجعلت شيطاناً رجيماً ، والحرص أبيح آدم الجنة كلها فأصبت حاجتي منه بالحرص). خرّجه ابن أبي الدنيا! وقد وصف الله اليهود بالحسد في مواضع من كتابه القرآن كقوله تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ} ، وقوله: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ}. وخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث الزبير بن العوام عن النبي ﷺ قال: (دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء ، والبغضاء هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر ، والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا ، أوَلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم).هـ. وخرج أبو داود من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (إياكم والحسد ، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، أو قال العشب).هـ. وخرج الحاكم وغيره من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (سيصيب أمتي داء الأمم! قالوا: يا نبي الله وما داء الأمم؟ قال: الأشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباغض والتحاسد ، حتى يكون البغي ثم الهرج). وقسم آخر من الناس إذا حسد غيره لم يعمل بمقتضى حسده ولم يبغ على المحسود بقول ولا بفعل. وقد روي عن الحسن أنه لا يأثم بذلك ، وروى مرفوعًا من وجوه ضعيفة! وهذا على نوعين: أحدهما أن لا يمكنه إزالة ذلك الحسد عن نفسه ويكون مغلوباً على ذلك ، فلا يأثم به! والثاني من يحدث نفسه بذلك اختياراً ويعيده ويبدئه في نفسه مستروحاً إلى تمني زوال نعمة أخيه. فهذا شبيه بالعزم المصمم على المعصية! وفي العقاب على ذلك اختلاف بين العلماء ، وهذا يبعد أن يَسْلم من البغي على المحسود بالقول فيأثم! بل يسعى في اكتساب مثل فضائله ، ويتمني أن يكون مثله ، فإن كانت الفضائل دنيوية فلا خير في ذلك! كما قال الله تعالى: {قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ} ، وإن كانت فضائل دينية فهو حسن ، وقد تمني النبي ﷺ الشهادة في سبيل الله. وفي الصحيحين عنه ﷺ قال: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا فهو ينفقه آناء الليل وآناء

النهار ، ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، وهذا هو الغبطة وسماه حسدًا من باب الاستعارة! وقسم آخر إذا وجد في نفسه الحسد سعي في إزالته وفي الإحسان إلى المحسود بإبداء الإحسان إليه والدعاء له ونشر فضائله وفي إزالة ما وجد له في نفسه من الحسد حتى يبدله بمحبته أن يكون المسلم خيرًا منه وأفضل ، وهذا من أعلي درجات الإيمان وصاحبه هو المؤمن الكامل الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه. وقوله ﷺ: (ولا تناجشوا) فسّره كثير من العلماء بالنجش في البيع ، وهو أن يزيد في السلعة من لا يريد شراءها ، إما لنفع البائع لزيادة الثمن له أو بإضرار المشتري بتكثير الثمن عليه. وفي الصحيحين عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه نهى عن النجش. وقال ابن أبي أوفي: الناجش آكل ربا خائن. ذكره البخاري. قال ابن عبد البر: أجمعوا على أن فاعله عاص لله تعالى إذا كان بالنهي عالمًا ، واختلفوا في البيع. فمنهم من قال: إنه فاسد وهو رواية عن أحمد اختارها طائفة من أصحابه. ومنهم من قال: إن الناجش هو البائع أو من واطأه البائع على النجش فقد فسد ، لأن النهي هنا يعود إلى العاقد نفسه ، وإن لم يكن كذلك لم يفسد ، لأنه يعود إلى أجنبي! وكذا حكي عن الشافعي أنه علل صحة البيع بأن البائع غير الناجش ، وأكثر الفقهاء على أن البيع صحيح مطلقاً ، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله ومالك رحمه الله والشافعي رحمه الله وأحمد رحمه الله في روايةٍ عنه ، إلا أن مالكا وأحمد أثبتا للمشتري الخيار إذا لم يعلم بالحال وغبن غبناً فاحشاً يخرج عن العادة وقد رواه مالك وبعض أصحاب أحمد بثلث الثمن فإن اختار المشتري حينئذ الفسخ فله ذلك ، وإن أراد الإمساك فإنه يحط ما غبن به من الثمن ذكره أصحابنا ، ويحتمل أن يفسر التناجش المنهي عنه في هذا الحديث بما هو أعم من ذلك فإن أصل النجش في اللغة إثارة الشيء بالمكر والحيلة والمخادعة ، ومنه من سمي الناجش في البيع ناجشا ويسمي الصائد في اللغة ناجشاً ، لأنه يصيد الصيد بحيلته عليه وخداعه له وحينئذ فيكون المعنى لا تخادعوا ولا يختل بعضكم بعضًا بالمكر والاحتيال ، وإنما يراد بالمكر والمخادعة إيصال الأذى إلى المسلم ، إما بطريق الاحتيال وإما اجتلاب نفعه بذلك ، ويلزم منه وصول الضرر إليه ودخوله عليه وقد قال تعالى: {وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ} فاطر. وفي حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ: (من غشنا فليس منا والمكر والخداع في النار). وقوله ﷺ: (ولا تباغضوا) نهى المسلمين عن التباغض بينهم في غير الله تعالى بل على أهواء النفوس ،فإن المسلمين جعلهم الله إخوة ، والإخوة يتحابون بينهم ولا يتباغضون! وقال النبي ﷺ: (والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء إذا فعلمتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم). خرجه مسلم).هـ. وعودٌ إلى الصهر العجيب الذي خدع ختنه وادعى عليه بالفضل المزعوم وتخرص عليه بالباطل! ألا إن تزوج وليته (أختاً كانت أو بنتاً أو أماً) من الصالحين هو واجبٌ شرعيٌ ليس فيه مِنة لا عليها ولا على زوجها! وهي سنة ربانية وتشريع قائم عرف من لدن موسى – صلى الله عليه وسلم – حتى النبي لرسول – محمد – صلى اله عليه وسلم - ، وظل عليه عمل الأمة المسلمة من بعثة محمد – صلى الله عليه وسلم – وإلى قيام الساعة! ومن أروع القيم الحضارية والإنسانية في سيرة خير البرية «عليه الصلاة والسلام» ، أن أم المؤمنين خديجة بنت خويلد «رضي الله عنها» هي التي خطبت الرسول «صلى الله عليه وسلم» لنفسها ، لا العكس وكان زواج الرسول «صلى الله عليه وسلم» دليلاً عملياً على هذا الموضوع ، إذ أبدت له رضي الله عنها ، رغبتها في الزواج به ؛ لما رأت من سجاياه الكريمة وشيمه النبيلة ، فقد بعثت إليه تقول: يا ابن عم ، إني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك في قومك ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك. وكانت رضي الله عنها ، يومئذ من أرفع نساء قريش نسباً ، وأعظمهن شرفاً ، وأكثرهن مالاً ، فذكر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ذلك لأعمامه ؛ فخرج معه عمه أبو طالب وعمه حمزة بن عبد

المطلب ، حتى دخلوا على والدها خويلد ، فخطبوها إليه ، فزوجها. ولفرط حبها له – صلى الله عليه وسلم – ولحسن تبيتها وأدبها وخلقها – رضي الله عنها – ما منت عليه يوماً بهذا الزواج!
جاء في الدرر السنية ما نصه: (مِنَ السُّنَّة عَرضُ الوليِّ مَوْلِيَّتَه على أهلِ الصَّلاحِ ، نصَّ عليه الشَّافِعيَّةُ ، وهو اختيارُ ابنِ العربيِّ ، وابنِ الجَوزيِّ ، والقرطبيِّ ، والشوكانيِّ ، وابن باز. الأدِلَّةُ: أوَّلًا: مِنَ الكِتابِ: قال تعالى: (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ * قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) ، وَجهُ الدَّلالةِ: في قوله: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ فيه عَرضِ المَولى وليَّتَه على الصَّالحِ. ثانيًا: ومِنَ السُّنَّة: عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما يحَدِّثُ: (أنَّ عُمرَ بنَ الخطَّابِ حين تأيَّمَت حفصةُ بنتُ عُمرَ مِن خُنَيس بنِ حُذافةَ السَّهميِّ - وكان من أصحابِ رَسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، قد شهِدَ بَدرًا وتوفِّي بالمدينةِ - قال عمرُ: فلَقِيتُ عُثمانَ بنَ عَفَّان فعَرَضتُ عليه حفصةَ ، فقلتُ: إنْ شِئتَ أنكَحْتُك حفصةَ بنتَ عُمَرَ. قال: سأنظُرُ في أمري. فلَبِثتُ لياليَ ، فقال: قد بدا لي ألَّا أتزوَّجَ يومي هذا. قال عمر: فلقيتُ أبا بكر فقُلتُ: إنْ شئتَ أنكَحْتُك حفصةَ بنتَ عُمَرَ. فصَمَت أبو بكرٍ فلم يرجِعْ إليَّ شيئًا ، فكنتُ عليه أوجَدَ مني على عثمانَ ، فلَبِثتُ لياليَ ، ثمَّ خطَبَها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فأنكَحْتُها إيَّاه ، فلَقِيني أبو بكرٍ فقال: لعلَّك وجدْتَ عليَّ حين عرَضْتَ عليَّ حَفصةَ فلم أرجِعْ إليك! قلتُ: نعم. قال: فإنَّه لم يمنَعْني أن أرجِعَ إليك فيما عرَضْتَ إلَّا أني قد عَلِمتُ أنَّ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قد ذكَرَها ، فلم أكُنْ لأُفشِيَ سِرَّ رَسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، ولو ترَكَها لقَبِلْتُها). وَجهُ الدَّلالةِ: في الحديثِ عَرضُ الوَليِّ مَوْلِيَّتَه على الرَّجُلِ الصَّالحِ).هـ. بل للمرأةِ أن تَعرِضَ نَفسَها على الرَّجُلِ الصَّالحِ ، نصَّ عليه الشَّافِعيَّةُ ، وهو اختيارُ ابنِ المنذِرِ ، وابنِ العربيِّ ، والقُرطبيِّ ، وابنِ دقيقِ العيدِ ، والعينيِّ ، والصنعانيِّ ، وابنِ باز. والدَّليلُ مِنَ السُّنَّة: عن سَهلِ بنِ سَعدٍ رَضِيَ اللهُ عنه قال: (جاءت امرأةٌ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقالت: يا رسولَ اللهِ ، إنِّي قد وهبتُ لك مِن نفسي ، فقال رجلٌ: زوِّجْنيها ، قال: قد زوَّجْناكها بما معك مِن القُرآنِ). وَجهُ الدَّلالةِ: في قَولِها: (إنِّي قد وهبتُ لك مِن نفسي) دليلٌ على جوازِ عَرضِ المرأةِ نَفسَها على الرَّجُلِ الصَّالحِ!
وعن ابن أبي وداعة ، قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياما فلما جئته قال: أين كنت؟ قال: توفيت أهلي فاشتغلت بها ، فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها ، قال: ثم أردت أن أقوم فقال: هل استحدثت امرأة ، فقلت : يرحمك الله ، ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة ، فقال: أنا ، فقلت: أوَتفعل؟ قال : نعم ، ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي - صلى الله عليه وسلم - وزوجني على درهمين أو قال : ثلاثة. قال : فقمت ولا أدري ما أصنع من الفرح ، فصرت إلى منزلي وجعلت أتفكر ممن آخذ وممن أستدين ، فصليت المغرب وانصرفت إلى منزلي واسترحت وكنت وحدي صائماً ، فقدمت عشائي أفطر كان خبزاً وزيتاً ، فإذا بآت يقرع ، فقلت: من هذا؟ قال: سعيد ، قال: فتفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب ، فإنه لم ير أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد ، فقمت فخرجت فإذا سعيد بن المسيب ، فظننت أنه بدا له ، فقلت: يا أبا محمد ألا أرسلت إلي فآتيك ، قال: لأنت أحق أن يؤتى ، قال: قلت: فما تأمر ، قال: إنك كنت رجلاً عزباً فتزوجت ، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك وهذه امرأتك ، فإذا هي قائمة من خلفه في طوله ، ثم أخذها بيدها فدفعها بالباب ورد الباب ، فسقطت المرأة من الحياء ، فاستوثقت من الباب ثم قدمتها إلى القصعة التي فيها الزيت والخبز ، فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه ، ثم صعدت إلى السطح فرميت الجيران ، فجاءوني فقالوا: ما شأنك؟ قلت: ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم ، وقد جاء بها علي غفلة ، فقالوا: سعيد بن المسيب زوجك؟ قلت: نعم ، وها هي في الدار ، قال: فنزلوا هم إليها وبلغ أمي فجاءت ، وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام

قال: فأقمت ثلاثة أيام ثم دخلت بها ، فإذا هي من أجمل الناس ، وإذا هي من أحفظ الناس لكتاب الله وأعلمهم لسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأعرفهم بحق الزوج ، قال: فمكثت شهراً لا يأتيني سعيد ولا آتيه ، فلما كان قرب الشهر أتيت سعيداً وهو في حلقته ، فسلمت عليه فرد علي السلام ، ولم يكلمني حتى تقوض أهل المجلس فلما لم يبق غيري ، قال: ما حال ذلك الإنسان ، قلت: خيراً يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو ، قال: إن رابك شيء فالعصا ، فانصرفت إلى منزلي فوجه إلي بعشرين ألف درهم ، قال عبد الله بن سليمان: وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد بن عبد الملك حين ولاه العهد ، فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف. قال عبد الله: وابن أبي وداعة هذا هو كثير بن المطلب بن أبي وداعة)هـ. وأستاذنا أبو إسحق الحويني زاد الأمر إيضاحاً بقوله في معرض جواب عن سؤال: [ما حكم عرض الرجل ابنته أو أخته على الرجل الصالح] فقال ما نصه: (إن عرض الرجل وليته أو ابنته أو أخته على الرجل الصالح اتباع سنة الأنبياء والصالحين ، من ذلك: الرجل الصالح صاحب مدين الذي ورد ذكره في سورة القصص: {قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ} ، قالوا: إنه شعيب ، والراجح أنه ليس شعيباً النبي ؛ لأن شعيباً النبي قال لقومه: {وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ} ، وقد ثبت أن قوم لوط كانوا في زمان إبراهيم ، وبين إبراهيم وموسى مدةٌ طويلة تزيد عن الأربعمائة سنة ، إنما الراجح أنه رجلٌ صالح من أهل مدين: {قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ} فعرض ابنته على الرجل ، لما رأى فيه من صفات الكمال. وكذلك في صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، قال: (إن عمر حين تأيمت حفصة بنت عمر ، من خنيس بن حذافة السهمي ، وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فتوفي بالمدينة ، فقال عمر: أتيت عثمان فعرضت عليه حفصة ، فقال: سأنظر في أمري فلبثت ليالي ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا ، قال عمر: فلقيت أبا بكر فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر ، فصمت أبو بكر فلم يرجع إليَّ شيئاً وأوجد عليه مني على عثمان ، فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحتها إياه ، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليَّ حين عرضت عليَّ حفصة فلم أرجع إليك شيئاً ، قال عمر: قلت: نعم. قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليَّ إلا أني كنت علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها ، فلم أكن لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلتها). وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث زينب بنت أم سلمة: (أن أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت له: يا رسول الله! انكح أختي ابنة أبي سفيان ـ تريد أن تزوجه أختها شقيقتها ـ قال: تحبين ذلك؟ فقلت: نعم. لست لك بمُخلية ـ أي: لست أنا الوحيدة التي معك ـ وأحب من يشاركني في الخير أختي ، فقال: إن ذلك لا يحل لي ، فقلت: يا رسول الله! فوالله إنا نتحدث أنك تريد أن تنكح درة بنت أبي سلمة ، قال: ابنة أم سلمة؟ فقلت: نعم ، فقال عليه الصلاة والسلام: فوالله لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلّت لي إنها ابنة أخي من الرضاعة ، أرضعتني وأبا سلمة ثويبة فلا تعرضن عليَّ بناتكن ولا أخواتكن). أي: هي مُحرّمةٌ لسببين ، السبب الأول: أنها ربيبة في حجري ، والربيبة هي ابنة المرأة من الزوج الآخر. بمعنى أن رجلاً تزوج امرأة ، أنجب منها بنتاً ، ثم طلقها أو مات عنها ، فالمرأة تتزوج ، وإذا تزوجت المرأة رجلاً ، تصير البنت من الزوج الذي طلق أو مات ربيبة ، والربيبة تحرم إذا دخل الزوج بالأم ، أما إذا لم يدخل بها ، فيجوز له أن يتزوجها ، قال الله عز وجل في آية المحرمات: {وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ} ، أي: إذا عقد الرجل على المرأة ولم يدخل بها وطلقها ، جاز له أن يتزوج ابنتها ، بخلاف البنت ، فإنه إذا عقد الرجل على البنت ولم يدخل

بها ، حرمت الأم إلى يوم القيامة ، لقول الله عز وجل في آية المحرمات: {وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ} ، فبمجرد العقد صارت البنت زوجة ، وصارت أمها محرمة إلى يوم القيامة ، فقال: (فوالله لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي) ، والسبب الثاني: لأن ثويبة أرضعته وأبا سلمة ، فهو أخوه من الرضاعة، فلا يحل أن ينكح الرجل ابنة أخيه من الرضاعة. وروى أبو يعلى في مسنده بسندٍ قواه الحافظ ابن حجر رحمه الله: (أن امرأةً قابلت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحج تعرض نفسها عليه ، فجعل الفضل بن العباس ينظر إليها ويلوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجه الفضل). كل هذا فيه دليل على أنه يجوز للمرأة أن تعرض نفسها ، ويجوز للولي أن يعرض بنته ، وهي سنة الصالحين).هـ.ولقد عجبت لابن المسيب يدفع بابنته لابن أبي وداعة زوجة ويهديه عشرين ألف دينار ، ولم يمن عليه يوماً! والتعيس السفيه موضوع قصيدتنا ذلك النسيب الغريب والصهر العجيب لم يغرم ديناراً واحداً ثم هو يمُنّ!)

جَلـــبَ الهـــوانَ تزيـــدُ الأصْـــهارِ ... ويَحيـــقُ مَكـــرُ الســـوء بالمكّـــارِ

الصـــدقُ أولـــى مِـــن تخـــرّص مُبطـــل ... يُزجـــي الفِـــرى تكـــوي كجمـــر النـــار

ويســـوقُ للســـفهاء مـــا يروونـــه ... مـــن كـــاذب الأنبـــاء والأخبـــار

ويُصَـــدّرُ البهتـــانَ مُفتخـــراً بـــه ... أيبـــوءُ بُهتـــان بـــأي فخـــار؟

أيُشـــرّفُ الكـــذبُ الصـــراحُ مَـــن افتـــرى؟! ... أيُصـــدّقُ العقـــلاءُ أي مُمـــار؟!

أرأيـــت تضـــليلاً يَـــروجُ شـــيوعُهُ ... مِـــن دون أن يُبلـــى بـــأي خســـار؟!

أرأيـــت إفكـــاً يُستســـاغ بريقـــه؟! ... هـــذا وربـــي عـــينُ الاســـتهتار!

أرأيـــت كـــذاباً يُبجّلـــه الـــورى ... دَهـــراً ، ويَسْـــلمُ مِـــن لظـــى الأخبـــار؟!

أرأيـــت مُحتـــالاً أحاجيـــه انطلـــتْ ... يومـــاً علـــى أهـــل الحِجـــا الأخيـــار؟!

أحرجْتنـــي يـــا صِـــهرُ دون جريـــرةٍ ... أوَهكـــذا وهنـــتْ عُـــرى الأصـــهار؟!

مازلـــت تهـــذي بالمَخـــارف عابثـــاً ... حتـــى بُليـــتُ بنكبـــةٍ وضِـــرار

وتؤلـــفُ القصـــصَ المليئـــة بـــالهُرا ... وتُـــذيعُ يـــا مُتخرصـــاً أســـراري

وتحيـــك تلفيقـــاً يُشـــوّه سُـــمعتي ... وتُـــزيحُ – تُرضـــي مُغرضـــاً - أســـتاري

ورفعـــت نفســـك عـــن حقيقتهـــا التـــي ... علـــمَ الجميـــعُ بقبحهـــا المتـــواري

ونفحـــت ذاتـــك نفحـــة تُـــزري بهـــا ... وشـــرعت فـــي الإطـــراء والإشـــهار

قلـــدتها الأمـــداحَ وهْـــي ذميمـــة ... أمـــداحَ أهـــل العـــزة الأبـــرار

ورأيت نفسك كالصقور على الذرى ... وهي التي في جُحرها كالفار

وبرزت من بين الأنام غضنفراً ... أبدى شجاعته على الأعيار

وقهرت لم ترحمْ كرامة غائب ... وغدرت ، واأسفى على الغدّار!

وزعمت أنك مُحسناً زوجتني ... وبذلت معروفاً لأفقر جار

أوهمت نفسَك والجميعَ بنِحلةٍ ... طاشتْ بعِرض مُبَرءٍ مِغوار

واللهِ ما كانت ، وما حَصّلتُها ... وهل الجَميلُ يُرد بالإنكار؟!

وأرى ادّعاءك باطلاً ، فاظفرْ به ... لتبوءَ مِن إعلانه بالعار

أجعلت نفسَك فاضِلاً مُتفضلاً ... وأخذت بالألباب والأنظار؟

أنسيت أن الخير يحبط أجره ... إمّا مَننت على ذوي الإعسار؟!

ما بالنا إن كانتِ الدعوى مُجـ ... ـردَ فِريةٍ قد ضُمّختْ بشنار؟!

ورُئيت تُحمدُ بالذي لم تأتهِ ... مِن طيّب التفضيل والإيثار

وصنعت يا دُهقانُ مَجداً زائفاً ... ليَخصّك الآنامُ بالإكبار

ولبست ثوباً ليس قط مُناسباً ... إذ أنت عن بذل المنافع عاري

لا صدقَ يُسعفُ ما حُبيت من الصُوى ... كلا ، فما قد قِيل مَحضُ شِعار

عجباً كذبت ، وبعدُ صدّقت الفِرى ... مثلَ انتحال الجَوقة الأشرار

وأنا الذي ما احتجْتُ مالك لحظة ... وارجعْ إلى التاريخ والأجوار

أرضانيَ المولى بما قد خصّني ... فالحمدُ للمتفضل الستار

وأعيشُ في كنف القناعة زاهداً ... مستعففاً ، ورضيتُ بالأقدار

وعلمتُ أن الشيء لي سيُصيبني ... وبرغم أنف أصاغر وكِبار

ما كان قط ليُخطِئنْ دربا إلـ ... ـيَّ ، فتلك قِسمة ربنا الجبّار!

والشيء إن يكُ ليس لي سيفوتني ... وبرغم ما أسديتُ من إصرار

فرأيتُ نفسي والغنى في خندق ... وقلتْ فؤاديَ سطوة الدينار

لمّا أغلبْ في الحياة متاعَها ... هذا المتاعُ أحيط بالأكدار

وأنا الذي ما احتجتُ جاهك قاصداً ... رفعَ الذي واجهتُ مِن أضرار

فلقد كفاني اللهُ سُؤلي خلقه ... جاهاً لتُقضى بينهم أوطاري

وأنا أسائلُ يا شديداً في الجفا ... وجوابُ سُؤلي تاقَ لاستحضار

هل كنت ذا جاه ، وكنتُ مُريدَه ... لأقِيل - بالشرف الرفيع - عَثاري؟!

هل كنت ذا مال ، وكنتُ احتجتُه ... لأسُدّ دَيناً مُؤذناً ببَوار؟!

ما كنت ذا جاهٍ ولا مال ، ولي ... بعضُ القرائن دونما إضمار

أنا لا أعيّبُ ، بل أوَصّف صادقاً ... والصدقُ - في التوصيف - خيرُ مَنار

كنا جميعاً مِن عشير واحدٍ ... ولِمَا أقولُ شواهدُ الآثار

هل مثلُ هاتيك الصفات خفية؟! ... أو يا ترى كانت من الأسرار؟

هي للجميع حقائقٌ معلومة ... عُلِمتْ لكل الغيّب الحُضّار

فلم المغالطة التي تُزري بنا ... وبها تُلاكُ كرامة الأقدار؟!

ويتوه عبدٌ عن حقيقة حاله ... شتان بين تبجّح وعِذار!

ويَضيعُ فضلٌ في دروب مطاعن ... ويَعيشُ كالأغراب أهلُ الدار

حَجّلت يا هذا المُراوغ واسعاً ... ولقيت شِرذمة من الأنصار

جارتْك فيما تدّعيه جهالة ... وتقاسمتْ ما كان من أدوار

وهتكتمُ عِرضي ، فسِيئتْ سُمعتي ... وبدون إيعاز ولا إنذار

ووجأتمُ عُنقي ، ولكْتُم سُؤدَدِي ... وطعنتمُ الأخلاقَ كالفجّار

وكبيرُكم منحَ الفتيل شرارة ... ليزيد فتنته بوهْج النار

ليُرَوّج الكذبَ الصراحَ بلا حيا ... ويُضاعفَ الفوضى بالاستهتار

كذبَ الكُذيبة ، ثم صَدّق نصّها ... فليَجرَعنّ مَرارة الأوزار

هـــو أقنـــعَ الهمـــجَ الرعـــاعَ بزيفـــه ... فغـــدتْ طعـــونُهمُ كمـــا الأحجـــار

وضـــحية الأوغـــاد خاتلـــه الأســـى ... مُتـــدثراً فـــي دمعـــه المِـــدرار

لـــولا فضـــائحُهم ومُنكـــرُ قـــولهم ... مـــا ســـالَ دمـــعُ الشـــهم كالأنهـــار

ولمَـــا تنقصـــه سَـــفيهٌ حاقـــدٌ ... يُلقـــي عزيـــفَ القـــول كالخمّـــار

أنـــا يـــا حُثالـــة صـــاحبُ الحـــق الـــذي ... أهـــدرتموه بـــأتعس الأمصـــار

وجعلتمـــوه ضـــحية لنِصـــالكم ... واهـــاً لحـــق ضـــائع مُنهـــار!

تـــالله مـــا ضـــاعت حقـــوق مُطالـــب ... برجوعهـــا مِـــن قبضـــة الـــديّار

ســـأظلُ أدفـــعُ مـــا جلبـــتُم مـــن أذىً ... ولـــئنْ لعِقـــتُ مـــرارة الصـــبّار

ســـأظلُ أكشـــفُ مـــا حَبكـــتُم مـــن فِـــرىً ... وأزيـــحُ عنهـــا الآن شـــرَّ سِـــتار

ســـيظلُ تبيـــينُ الحقيقـــة مَطمحـــي ... فـــالحق مُحتـــاجٌ إلـــى الإظهـــار

سأســـوقُ للـــدنيا دليـــلَ براءتـــي ... فـــي قصـــةٍ تـــأوي إلـــى الســـمّار

ولســـوف أثـــأرُ غاضـــباً لكرامتـــي ... تلـــك التـــي دِيســـتْ ، وكنـــتُ أداري

يـــا صَـــهرُ أنـــت اخترتنـــي لتـــديّني ... زوجـــاً لأختـــك ، وانتظـــرت قـــراري

هـــذا كلامـــك! قلـــت عنـــي: دَيّـــنٌ ... وخصصـــت هـــذا القـــولَ بـــالتكرار

وذكـــرت لـــي سُـــنناً أحـــب جلائـــلاً ... كقـــراءة القـــرآن باســـتظهار

وصـــيامِ نفـــل ، واتبـــاع شـــريعةٍ ... ودوامِ الاســـتغفار فـــي الأســـحار

فبـــه نحَصّـــلُ كـــل خيـــر يُبتغـــى ... ولكـــم يَـــزولُ الـــذنبُ باســـتغفار!

وشـــكرتُ وصـــفك ، واســـتعنتُ بربنـــا ... حتـــى أقـــررَ دونمـــا اســـتنثار!

وأتـــى قـــراري بعـــد طـــول دراســـةٍ ... ثـــم اســـتخارة ربنـــا الغفـــار

لـــم أشـــترط شَـــرطاً يُكلفـــك العنـــا ... وأبـــى اشـــتراط المُعضـــلات وقـــاري

بـــل كنـــتُ أوقـــنُ أن ربـــي ناصـــري ... والعســـرُ يَعقبُـــه جَزيـــلُ يَســـار

وعلمـــتُ أن البنـــت لـــم تُبـــدِ الرضـــا ... وأردت أنـــــت الأمـــــرَ بالإجبـــــار

ورفعـــت كفـــك مُكرهـــاً مَـــن قـــد أبـــتْ ... أوَلـــيس مـــا قارفتـــه بشـــنار؟!

أيـــن التفـــاهمُ والتـــدارسُ والِجـــا؟ ... أتُعامـــلُ الأخـــواتِ مثـــلَ جـــواري؟!

فشـــرعتُ أقنـــعُ مَـــن حَظيـــتُ برفضـــهم ... ولـــذا رُئيـــتُ كتائـــهٍ محتـــار

حتـــى لمســـتُ توافقـــاً مُتكلفـــاً ... فرأيتُنـــي فـــي ذِروة استبشـــاري

والأمـــرُ تـــم لأن ربـــي شـــاءهُ ... والقـــومُ كـــم ضـــاقوا بكـــل حـــوار

فـــإذا بمَـــن صـــاهرتُ يُشـــهرُ ســـيفه ... وكأنـــه فـــي ســـاحة الإشـــهار

وتعمّـــدَ التشـــهيرَ لا جَـــدوى لـــه ... ضـــحّى بعرضـــي فـــي مَريـــع سُـــعار

مُتناســـياً مـــا بيننـــا مـــن ألفـــةٍ ... وأخـــوةٍ وتصـــاهُر وجِـــوار

وإذا بألفـــاظٍ أبـــي تـــدوينها ... قلـــمٌ يُبجّـــل طيـــبَ الأشـــعار

وإذا بأفعـــال تُثيـــرُ عـــداوة ... وتُـــذيقُ شـــهماً قســـوة الأغيـــار

مـــاذا جنيـــتُ لتســـتطيل وتعتـــدي ... وتلـــوك عِرضـــي فـــي قـــرى الأمصـــار؟!

فوّضـــتُ أمـــري للمهـــيمن مُوقنـــاً ... بـــالحق يـــأتيني مِـــن القهـــار!

اذكُرْ دراجَتك وقفاصَتها!

(صديقان كانا من وسط واحد ، فلم يكن يتميز أحدهما عن الآخر بغنىً ولا بجاهٍ ولا بمال ولا بحسب ولا بنسب! اللهم إن تفوق وامتاز أحدهما عن الآخر بكثير في العلم الشرعي واللغات الثلاث: العربية نحوها وصرفها وبلاغتها وشعرها ، والإنجليزية ، والفرنسية! بينما تفوق الأول في الفارق العمري بينهما ، حيث كان الأول في مقام أبي الثاني! ولكن هذا التفوق والشهادة الجامعية لم تُغيِّر قلبَه تُجاه صديقه! ذلك أن علاقتهما قامت يوم قامت في الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والإسلام! هذا فيما يبدو للناس من ظاهر أمرهما! وشاء الله تعالى أن يُغنيهما معاً من فضله العظيم! وإن كان أحدهما صاحب العلم سبباً مباشراً في غنى صديقه وانتشاله من وهدة الفقر والعوز والحاجة ، إلى الغنى الذي جعله يتمرد على صديقه وينسى الصداقة ويعير صديقه بالفقر الذي كان عليه بالأمس القريب! ذلك الصاحب الغريب والصديق العجيب الذي انقلبَ بعد الغنى إلى عدو حقودٍ شامت خذول! والذي بلغ من وقاحته ورذالته ووبشنته أن يقول لصديقه: (اذكرْ دراجتك وقفاصتها!) وطبعاً حولنا مَقولته الشنيعة إلى لغةٍ عربية ، حتى لا نلوث مقدمة قصيدتنا بعاميته الدارجة الركيكة الغثة! مُعَرِّضاً بهذه الكلمة بدراجة الثاني ، والتي كان قد وضع على حاملها الخلفي قفاصة من جريد النخل ، ليضع عليها البضاعة التي اجتلبها من السوق! ولما أغناه الله تعالى من فضله اشترى سيارة مرسيدس بديلة عنها! فأسفَ الصديقُ المطعون من صديقه الأشيب الذي لم يحترم شيبه ولم يزجره جميلُ صديقه عليه ، ولم يُحرجه أنه كان سبباً مباشراً في تبديد الكثير من مال صديقه البائس ، بدلاً من تنميته واستثماره! غير أن الجدير بالذكر أنه استجمع قواه وقال له بكل صرامة وصراحة: (دراجتي ما نسيتها ، بالعكس ذكرتُها في قصائدي ومذكراتي وتركتها عندك أمانة لم تصنها ، وأنت نسيت الحمار الذي يَجُر العربة!) فاعتبرَها البادي بالظلم إهانة ومُعايَرة! فماذا نسمي قولك: (اذكر دراجتك وقفاصتها)؟ هل نسميه مجاملة رقيقة؟! إن العوام يقولونها صريحة: (من كان بيته من زجاج ، فلا يرمي الناس بالحجارة!) وكذلك قولهم: (لا تعايرني ولا أعايرك ، نحن في الهم سواء!) فكانت هذه القصيدة العتابية تلخيص ما دار بينهما في ذلك السجال السيء المسيء!)

عَيَّرْتنـــــي بـــــالفقر ، قلـــــتُ: كَفاكـــــا ... قلبـــــي قـــــلا المُتزيِّـــــدَ الأفاكـــــا!

وأنـــــا تحمَّلـــــتُ الكثيـــــرَ تكلفـــــاً ... وأنـــــا - مِـــــن التعييـــــر - لا أتشـــــاكى

لكـــــنْ غِنـــــاك أنـــــا الفقيـــــرُ وراءهُ ... سَـــــببٌ إلـــــيكم ســـــاقه مولاكـــــا

صَـــــدَّقتني ، كـــــذبتني ، سِـــــيان يـــــا ... لُكَعـــــاً تملـــــقَ ، ثـــــم عِرضـــــيَ لاكـــــا

لـــــم أنـــــسَ يـــــا مُتخرصـــــاً دَراجتـــــي ... فيهـــــا نظِمـــــتُ الشـــــعرَ يُخـــــرسُ فاكـــــا

والـــــنصُّ فـــــي القِرطـــــاس يَغمـــــرُ مُهجتـــــي ... طربـــــاً ويُطـــــري الطِـــــرسَ والمِحراكـــــا

دراجتـــــي تركـــــتْ لـــــديك أمانـــــة ... هـــــل صُـــــنتها مُســـــتعففاً؟! حاشـــــاكا!

كانـــــت مُعَـــــزززة لـــــديك مُصـــــانة ... ولـــــديك أدمـــــت بأســـــها قـــــدماكا

مـــا كنـــتُ أعـــرفُ عنـــك مـــا مارســـته ... مِـــن خِسَّـــةٍ ، يـــا جَعظـــريُّ كفاكـــا!

وظننـــــتُ بالنصـــــاب ظنـــــاً خيِّـــــراً ... وزعمـــــتُ أنْ أرتـــــاح حـــــين أراكـــــا!

وأنـــــا رددتُ علـــــى الصـــــحاب طعـــــونَهم ... وكـــــأن عينـــــي مـــــا رأتْ إلاكـــــا!

كـــــم حـــــذروني منـــــك يـــــا مُتطـــــاولاً! ... وأنـــــا أجَلـــــي الســـــوءَ عـــــن ذِكراكـــــا

كـــــم فصـــــلوا عنـــــك الحقـــــائقَ مُـــــرَّة ... تُنبـــــي وتُخبـــــرُ عـــــن شـــــديد جَفاكـــــا!

كـــــم بيَّتـــــوا أعتـــــى المواقـــــف ذِكرُهـــــا ... يُـــــزري ، ولـــــيس يُشَـــــرِّفُ النســـــاكا!

أنـــــا مـــــا نســـــيتُ الفقـــــرَ يَـــــدفعُ عَزمتـــــي ... وببحـــــره كـــــم ذا طرحـــــتُ شِـــــباكا!

أصـــــطادُ مـــــن مَرجانـــــه ولآلئـــــاً ... وتركـــــتُ غيـــــري يَحصـــــدُ الأســـــماكا!

أنـــــا مـــــا نســـــيتُ الفقـــــرَ يَصـــــقلُ همتـــــي ... لأعـــــيش بـــــين العـــــالمين ملاكـــــا!

ورثيـــــتُ أيـــــام الخصاصـــــة أشـــــرقتْ ... شمســـــاً تُـــــداعبُ ـ فـــــي الســـــما ـ الأفلاكـــــا

أنـــــت الـــــذي أنسِـــــيت ماضـــــيَك الـــــذي ... كـــــم كنـــــت مِـــــن أحوالـــــه تتبـــــاكى!

وغفلـــــت عـــــن أشـــــقى الحـــــوادث جَنـــــدلتْ ... رَهطـــــاً تعـــــول ، وســـــببتْ بُؤســـــاكا

وطمســـــت إملاقـــــاً شـــــربتَ كؤوسَـــــه ... حتـــــى اشـــــتكيتَ إلـــــى الـــــورى شـــــجواكا

ومـــــن الـــــذي يُصـــــغِي لشـــــكوى شـــــامتٍ؟ ... وظللـــــت وحـــــدك باكيـــــاً تتشـــــاكى!

اذكُـــــرْ صـــــديقاً كـــــان يَقسِـــــمُ رَاتِبـــــاً ... ليُقِيـــــلَ عنـــــك بمـــــا يجُـــــودُ ضـــــناكا

ليُغِيـــــثَ أســـــرة عائـــــل عـــــانى الأذى ... ويقـــــول: مـــــالي يـــــا صـــــديقُ فِـــــداكا!

واذكُـــــرَ صَـــــديقاً كـــــان يُعطـــــي درســـــه ... متطوعـــــاً ، وقـــــد اكتفـــــى بـــــدُعاكا

واليـــــوم تجهـــــرُ بالمُعـــــايرة ، احتـــــرمْ ... نفســـــاً يُجنـــــدِلها حقيـــــرُ هواكـــــا

أنســـــيت برذونـــــاً لـــــه (عَربانـــــة) ... خشـــــبية ، بهمـــــا تجُـــــوبُ قراكـــــا؟!

أنســـــيت زرعَ الأرز حولـــــك يانعـــــاً ... والـــــزرعَ زرعَـــــك مُجهـــــداً ناداكـــــا؟!

يشـــــكو (الدِّنيبـــــة) خلفتْـــــه مُفرَّغـــــاً ... يرنـــــو إليـــــك ، فهـــــل غفـــــتْ عيناكـــــا؟!

يَحتـــــاجُ للتغليـــــت حتـــــى ينتشـــــي ... ويكـــــونَ إنتـــــاجٌ يَحـــــوزُ رضـــــاكا!

لكـــــنْ ، وأنـــــى تســـــتجيبُ لمـــــا دَهـــــى ... زرعـــــاً ، وربـــــي بالغبـــــاء دهاكـــــا؟!

أنســـــيت ماشـــــية شـــــرقت برَعيهـــــا؟ ... لـــــو خيِّـــــرتْ لـــــرأتْ بـــــأن ترعاكـــــا!

فـــــار الحليـــــبُ ، ولـــــم تُحصِّـــــلْ حالبـــــاً ... فعـــــلا الثغـــــاءُ تلوكُـــــهُ أذناكـــــا!

وضُـــــروعُها يبسَـــــتْ ، فهـــــل أنقـــــذتها ... لتحـــــوز مِـــــن إنقاذهـــــا نُعماكـــــا؟!

أنســـــيت دارَك والشـــــروخُ تؤزهـــــا ... وتقـــــول: بـــــي – يـــــا غـــــافلاً – رُحماكـــــا؟!

وعجـــــزت عـــــن ترميمهـــــا حتـــــى اشـــــتكتْ ... وقـــــلا الجـــــدارُ الســـــاقط الشـــــبَّاكا

والسُّـــــلمُ المســـــكينُ هـــــدَّده الفنـــــا ... ولفقـــــر جيبـــــك مـــــا اســـــتطعت حِراكـــــا

والســـــقفُ أزتْـــــه الشـــــقوقُ فصُـــــدَّعتْ ... عِمدانُـــــه ، ونعَـــــتْ إليـــــك هلاكـــــا!

أنـــــا لا أعـــــايرُ ، إنمـــــا التـــــاريخ فـــــي ... ســـــرد الحقـــــائق بالســـــياط علاكـــــا!

ارجـــــعْ إلـــــى التـــــاريخ ، وافـــــتحْ سِـــــفرَه ... تلقـــــاه مُرتصـــــداً يقـــــودُ خطاكـــــا!

أم كنـــــت وحـــــدك لا تُعـــــاينُ مـــــا نـــــرى ... وتقـــــولُ لـــــم تنصِـــــتْ لغيـــــر صَـــــداكا؟!

أم عِشـــــت فـــــي دنيـــــا جهلنـــــا شـــــأنها؟! ... فـــــأبنْ لنـــــا يـــــا مُفتـــــر دُنياكـــــا!

مـــــادام بيتُـــــك مـــــن زجـــــاج ، فامتثـــــلْ ... أدبَ الحِـــــوار ، وخـــــل عنـــــك حَصـــــاكا

فالنـــــاسُ عنـــــدهمُ الحَصـــــى مُتكدســـــاً ... والبـــــدءُ منـــــك بمـــــا جنتْـــــه يـــــداكا

يرمـــــون بيتـــــك بالحجـــــارة جهـــــرة ... ويُحطمـــــون بمـــــا افتريـــــت حِماكـــــا

أنـــــت الـــــذي أدليـــــت دَلـــــوَك ســـــاخراً ... منـــــي ، ونِلـــــت كرامتـــــي بعصـــــاكا

ولقاؤنـــــا عنـــــد المهـــــيمن ، فـــــانتظِرْ ... لتنـــــالَ فـــــي يـــــوم القضـــــاء جَزاكـــــا

يَقـــــتصُّ ربـــــي منـــــك كـــــل مَظـــــالمي ... وهنـــــاك تلقـــــى عنـــــده عُقباكـــــا

الأمانة بين الصيانة والخيانة!

(كان هذا العريس قد ابتُليَ بخيارين أحلاهما مُر! فإما أن يستأجر بيتاً ليُقيم فيه هو وعروسه وإما أن يبني بيتاً في أرض أصهاره الذين أبدَوا محبته ، وأظهروا مَوَدَّته! وعرضَ على صهره أبي العروس وصاحب الأرض أن يشتريها منه ، ويكون السداد على الأيام حسب الوسع! فأبى الصهرُ وقال: هذه القطعة من الأرض هدية لابنتي! فبنى العريسُ البيت ، وكان سقفه ألواحاً من الخشب عليها الحطب والقش ، وطبيعي جداً أنه إن كان يقي من الحر صيفاً فلا يمنع من المطر شتاءً! وسافر العريس ، واستباح الأصهارُ البيت ، وحولوه إلى حظيرة للدواجن! وخان الأصهارُ الأمانة ، فما صانوها بالصيانة ولا حفظوها ولا رَعَوها حق رعايتها ، وذلك بتركها على عِلتها ، وهذا أضعف الإيمان! وكان ذلك منهم على سبيل التمهيد لهدم ذلك البيت ، ولنا الظاهر ، والله تعالى يتولى السرائر! والأصل أنهم جيرانٌ وأصهارٌ في الوقت ذاته! وكانت إحداهما تغني عن الأخرى ، وتكفي للمحافظة على البيت من التلف والهدم! وليس ما يتطلبه البيت أمراً مُستحيلاً مُكلفاً! إنها بضعة أمتار من المُشمع البلاستيكي أو المَطاطي السَّمِيك تُفرش فوق سطحه ، لتحُول بين مياه الأمطار وبين البيت ، فلا يلحقه التلفُ والعطب! ولكن البيت أهملَ تمامَ الإهمال! فهل هذه مراعاة حقوق الجار؟ وهل هذه صِيانة الأمانة وحفظها؟ وهل هذه وشيجة مُصاهرة وقرابة؟! والعريس في غربته ألحق به زوجه ، واتخذ لها بيتاً في الغربة من أول عهده بالغربية ، في غضون أشهر ثلاثة! وكان سبباً مباشراً في كسر فقر أسرته وأسرتها! فهل يكون ردُّ الجميل إهمال بيته ومتاعه والإجهاز عليه تمهيداً لهدِّه! والهدُّ كان متوقعاً! لماذا؟ لأن الاهتمام بالبيت وإجراء الصيانة له وفرش المشمع السميك على سطحه يُطيلُ عمره ولا شك! ريثما يعود صاحبه ويُقررُ فيه قراره! واليوم تم هدمُ البيت بالفعل ، وعاد أرضاً تزرَعُ بعد أن كان بالأمس أرضاً بُوراً لا زرع فيها! وكان قد تبرَّأ بحكم محكمة! فكيف يعود لا بوراً كما كان ، بل يُزرع! البيت الذي طرق بابه بشدة ذات يوم الصهرُ الأكبرُ في ظهيرة رابع أيام العرس فقال العريس من وراء الباب: من؟ فقال: فلان بن فلان بصوت أجش! فقال العريس وقد استهجن الطرق والصوت والمجيئ: (وإن قيل لكمُ ارجعوا)! فأكمل الصهر الآية وفضح العريس فيما بعد! وانتصرَ العريسُ ، فلقد أوتيتُ في الكتاب والسنة جَدَلاً! واليوم وقد استُبيح البيتُ فكأن لسان حال الصهر هو لسان حال يهود عندما زاروا قبر صلاح الدين وقالوا: (ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين)! الدنيا - يا عِرة الأصهار وحُثالة المَعارف - ليست نهاية المطاف ، وعند الله تعالى تجتمعُ الخصوم! والله أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً! والله حَكَمٌ عدلٌ ، هلك المُرتابون! فأنشدتُ حكاية عن هذا العريس المسكين هذه القصيدة الانتصارية ، باعتباري أحطتُ بالقصة كلها!)

أمانـــة كـــان هـــذا البيـــت يـــا غَجَـــرُ! يَصـــونها مَـــن لـــه فـــي الـــذكر مُزدَجَـــرُ!

ويـــحَ الأمانـــة مـــا صِـــينتْ ولا حُفظـــتْ وكَسْـــرُها بعـــد لأي لـــيس يَنجبـــر

ويـــحَ الأمانـــة أهلوهـــا لقـــد رحلـــوا وكـــم ســـألنا فـــلا حِـــسٌ ولا أثـــر!

ويـــحَ الأمانـــة لمَّـــا غـــابَ حافظهـــا بَكَتْـــه دَهـــراً ، ودمـــعُ العـــين ينحـــدر

حتـــى إذا يَبِسَـــتْ غصـــونُها هلكـــتْ مِـــن بعـــد أن أصـــبحتْ تـــزوَى وتحتضـــر

وطِئـــتُ دِيـــرتَكم شـــهماً لـــه شـــرفٌ ... وكـــم يُعِـــز الحِمـــى الأكيـــاسُ والبُـــدُر!

ولـــيس مـــن بـــاب مـــدح الـــنفس أعلِنهـــا! ... لكـــنْ بنعمـــة ربـــي القـــولُ والخبـــر

أحـــدِّثُ النـــاسَ عـــن نُعمَـــى خُصِصْـــتُ بهـــا ... علـــيَّ أنعُمَهـــا يـــا قـــوم مُقتـــدر

فعِشـــتُ بـــين جميـــع النـــاس مُحترمـــاً ... وسُـــمعتي بخِـــلال الخيـــر تشـــتهر

ومـــا بَخِلـــتُ علـــى قـــومي بعارفـــةٍ ... إذ كنـــتُ دومـــاً مـــع الـــرحمن أتَّجِـــر

ومـــا جعلـــتُ بَنـــاتِ النـــاس تســـلية ... إذ لـــم أكـــنْ بفتـــون الحُســـن أنبهـــر

مـــا كنـــتُ (قيســـاً) ولا (ليلـــى) سَـــبَتْ رَشَـــدِي ... والقلـــبُ مـــا كـــان لِلّـــذات ينحـــدر

وكنـــتُ مـــن فتنـــة النســـا علـــى حـــذر ... وكـــم يُفيـــدُ الحـــريصَ الـــوعيُ والحَـــذر!

وجئـــــتُ (كليـــــة الآداب) مُلتمســـــاً ... آدابهـــا ، حيـــث لـــي فـــي درسِـــها وَطـــر

وإنَّ (منصـــورة) التعلـــيم تشـــهدُ لـــي! ... لهـــا علـــيَّ جميـــلٌ لـــيس يســـتتر!

بهـــا أتِيـــهُ وقـــد دَفـــتْ مناقِبهـــا ... أرقـــى دِيـــار بهـــا الفـــؤادُ يفتخـــر

ولـــم أغـــازلْ بهـــا حاشـــايَ غانيـــة ... إذ كنـــتُ بـــالعِلم والإيمـــان أتَّـــزر

فـــررتُ مِـــن شِـــقوة الفوضـــى إلـــى كُتبـــي ... وعِشـــتُ عَفـــاً علـــى التعلـــيم أقتصـــر

لـــم تُلهنـــي فتنـــة البنـــات عـــن هـــدفي ... شـــأنَ التقـــاة الألـــى نفوسَـــهم قهـــروا

أصَـــمُّ أعمـــى عـــن الغـــادات عـــن رغـــب ... كأنمـــا لـــيس لـــي سَـــمعٌ ولا بَصـــر

حتـــى إذا اكتملـــتْ أعـــوام أربعـــة ... بهـــن فـــاخرَ بـــي ، وطـــابَ لـــي العُمُـــر

أضـــفتُ للضـــاد – إنْ حَـــدَّثتُ - ضُـــرَّتَها ... همـــا لِمَـــا أنتويـــه الشـــمسُ والقمـــر

واختـــرتُ (سُـــوهاجَ) أحيـــا فـــي مَرابعهـــا ... فالأهـــلُ فيهـــا عِـــزازٌ ســـادةٌ غُـــرر

فيهـــا ســـأكْمِلُ مِشـــواري وتجربتـــي ... وأطلـــبُ العِلـــمَ مِقـــداماً ، وأصـــطبر

وأصـــطفي مِـــن بنـــات الحَـــيِّ مُؤمنـــة ... تكـــونُ زوجـــاً بهـــا الحيـــاة تزدهـــر!

فقلـــتَ يـــا صـــاحبي: لمَـــن ســـتترُكُنا ... إذا رَحلـــتَ قلـــوبُ النـــاس تنفطـــر!

إنـــا نحبُّـــك حبـــاً لا مثيـــلَ لـــه ... فـــادرسْ قـــرارَك تُرضـــينا وتبتشـــر!

كنـــا نردِّدُهـــا إشـــاعة صَـــدَمَتْ ... أرواحَ قـــومٍ بمحبـــوبٍ لهـــم ظفِـــروا

أصـــابنا الحـــزنُ لمَّـــا قلتهـــا عَلنـــاً ... وانظـــرْ دموعـــاً مـــن العيـــون تنهمـــر

فقلـــتُ: رفقـــاً ، ألا تـــرى الـــبلاءَ طغـــى ... إنـــي إلـــى عـــودةٍ للأهـــل أفتقـــر

وأسْـــرتي اليـــومَ لا يَخفـــى تنكُرُهـــا ... وكـــم تُـــدَمِّرُ أفـــذاذاً بهـــا أسَـــر!

وكنـــتُ حاولـــتُ إصـــلاحاً فمـــا قبلـــوا ... بـــل جُنـــدِلوا عِشـــرتي وهـــدَّني الكـــدر!

فقلـــتُ: أهجـــرُهم هجـــراً يُطمئـــنُهم ... أنـــي أنفـــذ – رغـــم الأنـــف – مـــا أمـــروا

فقلـــتُ: يـــا صـــاح بنتـــي لا أضِـــنُّ بهـــا ... عليـــك زوجـــاً ، بهـــا تزفـــك البُشُـــر!

فقلـــت: دعنـــي يكـــادُ الفِكـــر يقتلنـــي! ... وكـــم تُعـــذبُ عقـــلاً تائهـــاً فِكَـــر!

درسْـــتُ مـــا قلـــتُ درســـاً غيـــرَ مُرتجـــل ... ثـــم استشـــرتُ الألـــى بحـــالتي خبـــروا

ثـــم اســـتخرتُ لكـــي تنـــزاحُ وسوســـة ... فارتـــاح قلبـــي ، وحَـــلَّ الســـعدُ والســـمر

واختـــرتُ سُـــكنايَ بالإيجـــار مبتعـــدا ... عـــن داركـــم ، وأنـــا عـــن ذاك أعتـــذر

فقلـــتَ: فـــي بيتنـــا الـــزواجُ يـــا رجُـــلاً! ... فقلـــتُ: كـــلا ، ففـــي مـــا قلتـــه خطـــر!

فقلـــتَ: تبنـــي بُييتـــاً فـــي مَحلتنـــا ... فقلـــتُ: شـــارٍ أنـــا ، والـــدَّينُ منتظـــر!

فقلـــتَ: بنتـــي لهـــا حـــقٌ أســـجِّله ... هـــذا اعتـــرافٌ إذا حققـــت معتبـــر

فقلـــتُ: أبنـــي ومـــا شـــككتُ خردلـــة ... فيمـــا ذكـــرتَ ، فـــلا غمْـــط ولا بطـــر

بَيَّـــتُّ حُسْـــنَ النوايـــا فـــي معـــاملتي ... وإذ تزوَّجـــتُ بـــانَ اللـــؤمُ والـــدبر

فـــي عِيشـــةٍ فقـــدتْ عمـــداً ســـعادتها ... وجيـــرة لـــم يَصُـــنْ حقوقهـــا الغجَـــر

وبـــين مَـــدٍ وجَـــزر غـــالَ عِشـــرتنا ... قـــومٌ مِـــن الكيـــد والتغريـــر مـــا طهُـــروا!

حتـــى أتـــتْ فرصـــة بالكـــاد ســـانحة ... فيهـــا الرحيـــلُ أتـــى يســـوقه الســـفر

وإذ رحلـــتُ فقـــد بانـــتْ مقاصِـــدُكم ... وأحـــرَقَ الـــودَّ والقرابـــة السُّـــعُر

وكـــان رَهـــط مِـــن الأصـــحاب أنـــذرني ... فهـــل تُفيـــدُ قليـــلَ الخبـــرة النـــذر؟!

لـــم أوتَ عِلمـــاً عـــن المكـــر المُبيـــر أنـــا! كـــي أســـتعينَ بـــه علـــى الألـــى مَكـــروا

ولـــم تكـــنْ خبـــرة عنـــدي ، فتعصـــمُني مِـــن الـــذين إذا تكلمـــوا ســـحروا

تخِـــذتُمُ البيـــت لمَّـــا غِبـــتُ توســـعة مثـــلَ القراصـــن مِـــن أعـــدائهم ثـــأروا

وعنـــه رُدَّ بـــنص الـــذكر أكبـــرُكم قيـــلَ: ارجعـــوا! فاشـــتكى وذلـــك الشـــرر!

لـــذا اســـتُبيحَ ، وقـــد قـــلاه صـــاحبُه كـــأن قومـــاً علـــى غـــازي الحِمـــى قـــدَروا

بـــئسَ الجـــوارُ غـــدا ظلمـــاً ومَخبثـــة! لـــم يـــأتِ ذلـــك أعـــرابٌ ولا مَجَـــر!

كيـــف اســـتبحتُم دخـــولَ البيـــت ، حُرمتُـــه فـــي الـــذكر خطـــتْ ، ومنهـــا العَـــفُّ يَـــذَّكِر

أمانـــــة ينبغـــــي قطعـــــاً صـــــيانتُها والاهتمـــامُ بهـــا جـــاءتْ بـــذا سِـــيَر

ومَـــن يخونـــوا بـــلا حـــق أمـــانتهم فجُلهـــم نعمـــة الـــدارين قـــد خســـروا

حظيـــرة يُصـــبحُ البيـــت الكـــريم ضُـــحَىً والجـــارُ صِـــهرٌ رجـــوعَ الجـــار ينتظـــر!

واللهِ مـــا قبلـــتْ نفســـي تطـــاولكم ولـــيس يقبلـــه الأحـــرارُ يـــا نَـــوَر!

مـــاءُ الشـــتاء بَـــرئٌ مِـــن تخرُّصِّـــكم ولـــيس يُســـعِفكم جـــدٌّ ولا هـــزر!

هـــو (المُشـــمَّع) يُقصِـــيهِ بـــلا نصـــب فأفصِـــحُوا عـــن نوايـــا الســـوء يـــا تتـــر!

وعَـــزلُ مـــاء الشـــتا مـــا كـــان مُعضـــلة لكنـــه الغـــدرُ مَخبـــوءٌ ومُـــدَّخر

هـــل الشـــتاءُ لـــدى الفـــلّاح مُشـــكلة؟! إن الخيـــورَ لـــه يســـوقها المطـــر

لكـــنْ طمِعـــتُم ، وزكَّـــى حِقـــدَكم حَسَـــدٌ مـــا حِيلـــة المَـــرء فـــي قـــوم إذا فجـــروا

هـــل الـــذي جئـــتُمُ رّدُّ الجميـــل لنـــا لـــم يشـــكر اللهَ مَـــن للنـــاس مـــا شـــكروا!

لِقاؤنـــا عنـــد رب النـــاس خالقِنـــا نـــتقصُّ مـــنكم ، فقـــد أودى بنـــا الضـــرر

قضـــاءُ رب الـــورى عـــدلٌ ، ألا انتبهـــوا إن المهـــيمن جبَّـــارٌ ومقتـــدر!

عُقبى حُب الظهور!

(اعتاد ذلك الأشيبُ على حُب الظهور بين الناس! وهو مرضٌ نفسيٌ يجعلُ صاحبَه يحب التميز والظهور على أكتاف الآخرين! كما يجعله يتصدرُ المجالس بحق أو بباطل! ولأن أشيب قصيدتنا لم يأخذ قسطاً من العِلم لا في المدارس والمعاهد والجامعات ، ولا على أيدي العلماء وطلبة العلم ، ولا من الكتب قراءة وبحثاً ودراسة على نسق التعليم الذاتي! فساعده جهله على حب الظهور! فكان يتصيد من كلام من يجالس من العلماء وطلبة العلم أية نادرةٍ في الحديث أو التفسير أو اللغة أو الإعراب ، ليقوم بامتحان من يجالس ، بهدف أن يُثبت للمحاور دونيته في العلم ، وأنه أعلم منه! ولما علم الناسُ عنه ذلك كانوا ثلاثة فرقاء: فريق يأخذه بظاهر أمره ، وفريق يصدقه بظاهر الكلام ، وفريق يتساهل ويسكت احتراماً للسن والعلم معاً ، وفريق يجادل ولكنه ينهزم في النهاية لغلبة الطيش والنزق والجهل! إلى أن أتى اليوم الذي لم يتوقعه الأشيب. ولم أتوقعه أنا كصاحب له! فكنتُ معه عند صديق هو إمام وخطيب تخرج في جامعة الأزهر ، وطبيعي أن يكون على درجة من العلم الشرعي بحكم التخصص على الأقل! ولكن هذا الصديق امتاز عن غيره من أصدقائي بالجُرأة في الحق! وبينما جلسنا ثلاثتنا نشرب الشاي في بيته ، فطرح الأشيب المريض بالعُجب وحُب الظهور سؤالاً على صديقي متحدياً إياه قائلاً: عندي سؤال أتحداك إن عرفت جوابه! فقال صديقي: ولماذا التحدي ، اسأل سؤالك فإن عرفت أجبتك ، وإن لم أعرف أجبته وعلمتني ، وكفى الله المؤمنين القتال! فقال الأشيب: (ما نوع اللام في قوله تعالى: (فالتقطه آلُ فرعون ليكون لهم عَدُواً وحزناً)؟! فقال صديقي بلا روية: (لام التعليل)! فقال الأشيب المتعالم: كيف تكون لام التعليل يا جاهل؟ هل يلتقط آل فرعون موسى من البحر لتكون العلة أن يكون عدوهم؟ ألا تفهم؟ ألا تتبصر؟ هنا شعر صديقي بالإهانة والتعيير والتحقير والتشفي من ذلك الجاهل الأحمق! فنظر إليَّ عاتباً ، فتغاضيتُ عن نظرته ، وتركتُه للأشيب قائلاً: سؤالٌ وجوابٌ بين اثنين ، ما علاقتي بهما؟ فقال صديقي للأشيب: منكم نتعلم يا سيدي ، قالها بعد أن كظم غيظه! فقال الأشيب: لام العاقبة! ماذا تعلمت في جامعة الأزهر طيلة هذه السنين؟ أأدركت الآن أنك جاهل لا تفقه التفسير ولا الإعراب؟! فنظر إليَّ صديقي وقال: لقد أهانني الأشيب وهو صاحبك فماذا تنتظر؟ فقلت له: أنت رجل ، وهو رجل ، انتصر لنفسك منه! وأخرجاني من هذا السجال بينكما رَجاءً! فقال الصديق: أإذا انتصرتُ لنفسي لا يكون في نفسك شيءٌ مني؟! فقلتُ: لا وربي! فقال صديقي للأشيب: لي عندك جواب ولك عندي تعقيب على الجواب؟ فقال الأشيب: علمت الجواب ، فما التعقيب؟! فقال صديقي: شكراً على المعلومة! وتعقيبي سؤال لك! أما أنا فإمامٌ وخطيبٌ تخرج في جامعة الأزهر ويحمل شهادة جامعية في قسم التفسير والعقيدة ، فمن أنت؟ فقال الأشيب: رجلٌ مسلم! فقال صديقي: أنا أحسب على علماء المسلمين ، وأنت تُحسب على عوامهم ، فتعلم أدب التعامل مع العلماء ومجادلتهم ثم اختبرهم! وعندما وجدت النفوس قد أسفرتْ عما بداخلها من شر ، طرحتُ سؤالاً للاثنين قائلاً: اللام في اللغة العربية لها خمسة وعشرون استخداماً ، من منكما يذكرها؟ ولستُ أتحدى ، ولكن أفيد وأستفيد! فقال صديقي: فليجب الأشيب أبو العريف قاضي القضاة وعالم العلماء! وهنا أدرك أبو الشياب أن بينه وبين العلم أمداً بعيداً! فقلت: هذه الأنواع هي: (لام التعليل – لام القسم – لام التوكيد بنوعيها – لا الأمر – لام الناهية – لام النافية – اللام المزحلقة – لام الملك – لام الاختصاص – لام شبه الملك – لام التبيين – لام التقوية – لام انتهاء الغاية – لام الاستغاثة – لام التعجب – لام الصيرورة – لام الاستعلاء – لام الوقت – لام معنى مع – لام

معنى في – لام الجر – لام الجحود – لام البعد – لام جواب لو ولولا). وتحت عنوان: (حب الظهور والاستعراض). تقول الدكتورة عائشة عبد العزيز الشيخ ما نصه بتصرف: (يعتقد البعض أن حب الظهور والاستعراض من السمات العادية التي يصطنعها الأفراد دون وجود لجذور حقيقية تربطها بشخصياتهم. في حين أنها تصنف ضمن العقد النفسية والسلوكية الاجتماعية ، وهي ظاهرة تتأصل جذورها في التكوين الفردي للشخص وبالتربية والمحيط الاجتماعي. فالحياة اليومية مليئة بالكثير من الأشخاص المتعطشين للفت الانتباه وبعقدة حب الظهور ، سواء من خلال شكلهم الخارجي كلبسهم ما هو مميز أو الغريب ، أو تعمدهم الظهور بقصات شعر غير مألوفة ، أو باختيارهم لبعض الألوان الصارخة أو اقتنائهم لكماليات باهظة الثمن رغم تواضع جيوبهم. وقد تبرز عقدة حب الظهور واضحة في الطريقة التي يتحدثون أو يفكرون بها ، كالتحدث بطريقة مختلفة عن الآخرين أو برفع الصوت عند التحدث لجذب الانتباه مع مراقبة ردود فعل الناس المحيطة بهم للتأكد من انجذابهم بالفعل. كأن يتحدث هذا الشخص مع مرافقه في مكان عام وبصوت مرتفع جداً ليسمع الآخرين عن صفقاته التجارية الناجحة أو عن ما يملك من مزايا أو عن البلدان التي زارها أو عن الممتلكات التي باعها أو عن غير عادي أو مهمة (VIP) الاجتماعات التي حضرها حتى يعرف المحيطين به أنه شخص جداً. فيما قد يختار هذا الشخص المصاب بداء حب الظهور ، التحدث بأسلوب مليء بالترفع والتميع بالنسبة للنساء والتعالي في الكلام مع التركيز على سرد المواقف الشخصية الذاتية على سبيل الفخر والخيلاء مع تضخم واضح وكبير في الأنا كسيادة الثلاثي القاتل «أنا» ، «لي» ، «عندي». ويؤكد علم النفس أن سمة حب الظهور ولفت النظر هي حاجة نفسية غريزية لا تختلف كثيراً عن غيرها من الحاجات البيولوجية الجسدية كالحاجة للطعام والهواء والشراب والحاجات العاطفية والاجتماعية الأخرى كالحب والعطف وكسب الاحترام. فالرضيع يبكي لكي يلفت انتباه أمه والمحيطين به ، وقد يكسر الطفل الصغير حاجيات المنزل بهدف لفت انتباه أهله إليه. وبنفس الطريقة قد يكتسب الإنسان في حياته المبكرة الكثير من السلوكيات الجيد منها والسيئ لتحقيق نفس الغرض وهو حب الظهور والتميز ولفت الانتباه. فقد يتعلم طفل ما الاجتهاد أو الترتيب ليكسب اهتمام ذويه وقد يتعلم العكس عندما لا يثاب على السلوكيات الجيدة ، في حين يحصل على الاهتمام عند تكسيره للأشياء أو عند إتلافها مما يحقق لديه الحاجة للفت النظر وتحقق له السلوكيات الخاطئة الإثابة المرجوة. عندها فقط يتعلم الطفل السلوك المزعج لكسب الانتباه. وقد تتميز مرحلة عمرية ما بسلوكياتٍ معينةٍ تندرج ضمن سمة حب الظهور والاستعراض كمرحلة المراهقة والشباب مثلاً والتي يعتمد أفرادها السلوكيات المتهورة كاستعراض القوة والشجاعة بالتشخيط والتخميس من قبل الفتيان ، وكاستعراض مفاتن الجسد والجمال بالمكياج الصارخ والتعري السافر لدى شريحة الفتيات ، فيما قد تتراجع ثورة لفت الانتباه والظهورية تدريجياً لدى تلك الفئة الشابة بتقدم العمر ، وبمجرد أن يستقر نظام القيم الاجتماعية لديها بعد أن تجد عوامل استقرارها في دروب الحياة. ولكن ما يميز بعض الشخصيات المريضة بحب الظهور هو استمرار تلك الرغبة الجامحة في لفت انتباه الغير لدرجة يصاب صاحبها بحالة من الهوس بإظهار الكبر والاستعلاء وحب التسلط والإعجاب بالنفس والافتخار بها وحب الجاه والشهرة وحب المدح والرياء. ويذهب هذا الفرد المريض لأبعد من ذلك بحيث يتعمد إلى تتبع وتصيد السقطات والزلات لغيره من المنافسين أو الآخرين بهدف التقليل من شأنهم كما يشعر بالغيرة الشديدة والتضايق عند ذكر منجزاتهم

وإبداعاتهم. فلا يرضى هذا الشخص الأناني لغيره بالبروز والتميز حتى لا يخفت بريقه ويأفل نجمة وتتلاشى نظرات المعجبين من حوله. ما يميز هذه الشخصية المصابة بداء حب الاستعراض هو عدم صبر صاحبها على الاستماع لمقترحات الآخرين وعدم تقديره لما يطرحونه من حلول مع رفض واضح ودائم للثناء على الآراء الجديدة والمبدعة حتى لو كانت تلك الآراء سديدة ومفيدة له ولعمله. يتميز هذا المتملق أيضاً بعدم التراجع عن الخطأ وعدم الاعتراف به. كما يتوق دائماً لتسلق أكتاف الآخرين واستقلال منجزاتهم ولا يتوانى في نسبها إليه. يتميز هذا الشخص أيضا باللسان اللاذع وانتقاد المجتهدين دون حرج من كشف حسده لما وصلوا إليه. تحقق عزيزي القارئ ان كنت من الذين يتميزون بمعظم تلك السمات سالفة الذكر واحمد الله أن لم تكن كذلك. أما عن كيفية التخلص من هذه السمة المذمومة فتؤكد الدارسات العلمية أن صاحبها بحاجةٍ لإعادة تأهيل نفسي وسلوكي وروحي ، حيث يحتاج هذا المنحوس للتدرب على استراتيجية السلوك المضاد ، بمعنى أن يدرب الشخص نفسه على سياسة ضبط النفس ولها أسلوب نفسي معين لا يسعنا المجال لمناقشته بحيث يدرب المريض نفسه على قمع رغبته في إلحاق الأذى النفسي بالآخرين ليكسب ودهم بدل حقدهم. وأن يدرب نفسه أيضاً على تقبل الرأي الاخر وعلى حسن الاستماع وعلى محاولة إعادة بناء الذات وتهذيبها ومقاومة جموحها. ولا ننسى هنا دور وأهمية العبادات الروحية والعودة إلى القيم الدينية والاجتماعية حيث تمثل تلك القيم المخرج الأكيد لمثل تلك السمات المزعجة للآخرين فالعودة إلى الله ومحاولة تهذيب النفس بالعبادة والدعاء والصبر حتى بالنسبة للأشخاص الأسوياء تعتبر من العوامل الوقائية التي تحول دون وقوع الإنسان فريسة الأمراض النفسية والسلوكية ، فالصلاة والدعاء هما من الوسائل التي تبعث الأمل في النفس المريضة وتوفر دعماً معنوياً).هـ. والأمر عند أشيب قصيدتنا كان واحداً من الأنواع التي ذكرت – بارك الله فيها -! أحس الأشيب أن من حوله من الأساتذة والدكاترة الذين هم في مثل سنه أو في مثل سن أبنائه كانوا قد سبقوه بمراحل ، فارتأى أن يتنقصهم بطريقةٍ مستفزة ، ألا وهي سؤالهم أسئلة منتقاة كان قد استمع إليها من أساتذة آخرين ، وراح يطرحها عليهم لا من باب الإضافة إلى علمهم ، ولكن من باب أن يقنع نفسه أنه أستاذ مثلهم أو دكتور مثلهم! ذلك أن شعوره بالنقص كان قد دفعه إلى الوصول على أكتاف الآخرين من حوله! وختمتُ الموقف بين صديقي والأشيب قائلاً: يا أيها الأشيب ، يا أيها الصديق: (وفوق كل ذي علم عليم) وكانت هذه القصيدة في علاج مرضي: حب الظهور والعُجْب بالنفس! فكتبتُ في هذا على قافية الراء المفتوحة والبحر السريع أقول:)

مـــــا رَدَّ شـــــيبٌ مُغرضـــــاً أشِـــــرا ... بالســـــوء فـــــي أقوالـــــه جَهـــــرا

حُـــــبُّ الظهـــــور الـــــدَّهرَ قاتلـــــهُ ... يَختـــــالُ زهـــــواً مُعجَبـــــاً بطِـــــرا

لـــم يَـــدر حجـــمَ الـــنفس عـــن كَثـــبٍ ... للشـــــر عمـــــداً نفسَـــــه نـــــذرا

والجهـــــلُ نصـــــبَ العـــــين منتصـــــبٌ ... والحقـــــدُ فـــــي ألفاظـــــه اســـــتعرا

والطـــــيشُ يُهـــــدي قلبَـــــه نزقـــــاً ... والغِـــــلُّ يُزجـــــي اللـــــؤمَ والـــــدبَرا

فـــــي العِلـــــم لاحـــــظ ، ولا نظـــــرٌ ... بـــــل خـــــبط عَشـــــواءٍ وكَيـــــلُ هُـــــرا

يَصـــطادُ مِـــن طـــرح الألـــى اجتهـــدوا ... لكـــنْ بجهـــل يُشـــبهُ الغجـــرا

إحساسُـــــه بـــــالنقص يقتلـــــه ... حتـــى يُـــرَى للـــنفس مُنتصـــرا

يَلقـــى ذوي الإرشـــاد مُحتقِنـــاً ... والقلـــبُ ممـــا عـــاينَ انفطـــرا

تســـفيهُ مـــن يلقـــاهُ مَطمحُـــه ... حتـــى إذا مـــا سُـــفهَ ابتشـــرا

واعتـــادَ أن يَطغـــى بغِلظتـــه ... مستســـخِراً يَســـتغفلُ البشـــرا

والنـــاسُ - فـــي هـــذا الســـجال - غـــدَوا ... ممـــا يُـــداجي - فـــي المِـــرا - زمَـــرا

فـــالبعضُ يَســـتحْيِي فيأسِـــرُه ... شـــيبٌ غـــزا لـــم يَتـــركِ العُشُـــرا

والـــبعضُ يُرضـــيه تفضـــله ... بالشـــيء مـــا - فـــي بالـــه - خطـــرا

والـــبعضُ عـــن جهـــل يُشـــجِّعه ... فـــاغترَّ بالتشـــجيع ، وافتخـــرا

والـــبعضُ يُبـــدِيها مُجاملـــه ... تســـبي النهـــى والســـمعَ والبصـــرا

حتـــى أتـــتْ مِـــن ربـــه عِظـــة ... تنســـيقها يَســـتلفتُ النظـــرا

والسُّـــوْلُ عـــن لام لعاقبـــةٍ ... منهـــا المـــزاجُ الهـــادئُ اعتكـــرا

إذ بـــاءَ باســـتفزازه أشِـــرٌ ... والشـــيخ لمَّـــا يُمهـــل الأشِـــرا

إذ عـــاب مُســـتلاً مُهنـــدَهُ ... أعطـــاه دَرســـاً بالغـــاً نضِـــرا

إذ قـــال: هـــل غِـــرٌ يُعَلمنـــي؟! ... والغِـــرُّ – فـــي إفلاســـه - انصـــهرا

شـــيخٌ أنـــا ، فـــي العِلـــم جُبـــتُ مَـــدىً ... والعـــزمُ – فـــي التحصـــيل – مـــا قصـــرا

فـــي (الأزهـــر) الوضـــاء خنـــدمتي ... فيـــه اســـتقيتُ العِلـــمَ والـــدُّررا

مَـــن أنـــت يـــا مُتعالمـــاً جهـــلاً ... فـــي غيِّـــهِ مُســـتطرداً سَـــدَرا

كفكِـــفْ غـــروراً لســـت تُحســـنُه ... واصـــمُتْ ، وأقصـــرْ قـــد كفـــاك مِـــرا

ليتني أطعتُ صِحابي!

(عندما ينصحُ الأصدقاءُ الأوفياءُ أحدَ أصدقائهم نصيحة مخلصة وفية مدروسة موزونة ، ثم لا يستجيبُ لهم فلا يلومن إلا نفسه! وخاصة عندما يكونون أخبرَ منه بالحياة ووزن الأمور والرجال! لقد كان هذا الصديق يعيشُ وسط مجموعةٍ من الصحاب يندرُ أن يوجد مثلهم في عبادتهم وتقواهم وفطنتهم وخبرتهم بالحياة ووزن الرجال! ولا نزكي على الله ربنا أحداً! نعم! لقد تمتعوا بين الناس بصفاتٍ عظيمة ، منها البراءة وحسن النية والقصد ، والجود والكرم والعطاء والسخاء رغم الحاجة والعوز والخصاصة! كما تمتعوا ببذل النصيحة في كل وقتٍ وحين! ولأنه لم يكن يختلف عنهم في هذه المناقب وتلك الخِلال ، ذابَ في صحبتهم كما ذابوا في صحبته! وذات يوم دخل - على هذه الباقة الوفية المخلصة والمجموعة النبيلة الجليلة من الصحب - رجل دخيل أوتيَ في الكلام جدلاً ، وكانت له أخذة بالألباب إذا تكلم! فلكلماته سحرٌ بالقلوب ، وله طريقة في سرد القصص والروايات والأمثال والحكم والحكايات بأسلوب يجعل السطحيين ينخدعون فيه بسرعة! فانخدعتْ فيه شلة الأصدقاء الأوفياء للوهلة الأولى! وأراد أحدهم وقد كشف حقيقة الرجل ، وتجلى له أمره بما لا يدع مجالاً للشك ، وعلم من كُنه الرجل ما لم يعلموا ، فأراد أن ينصح لهم ويبين حقيقة ذلك الخب المخادع المراوغ ، ولكنه لم يُعط الفرصة ولم يفسح له في المجال! ولأن الخِداع لا عُمْر له ، سرعان ما انكشف أمرُ هذا الدعي للصحاب جميعهم إلا واحداً منهم! أما هم فانفضوا عنه جميعاً ، وراحوا ينصحون لصديقهم المخدوع فيه ، ولكنه أعرض ونأى بجانبه! فعاود الصحبُ للمرة الثانية في النصيحة لصديقهم فلم يستجب لهم! وفي المرة الثالثة قرروا تركه للأيام فهي خير معلم! فذاق الأمرّين ، ونِيلَ من عِرضه ، وليكتْ سُمعتُه ، وباء بالهُزء والسخرية والانتقاص ، وضحك عليه ذلك المراوغ ، وخدعه الخدعة الكبرى في النهاية! وكان لسان حاله كما يقول الشيطان: (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين)! عن تميم الداري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الدين النصيحة) قلنا: لمن؟ قال: لله ، ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم). [أخرجه مسلم]. ومن النصيحة التي أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم النصيحة لعامة المسلمين قال الإمام الخطابي رحمه الله: وأما نصيحة عامة المسلمين...فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم وكف الأذى عنهم وستر عوراتهم وسد خلاتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص والشفقة عليهم وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم وتخولهم بالموعظة الحسنة وترك غشهم وحسدهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه والذب عن أموالهم وأعراضهم وعير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل. قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: النصيحة لعامة المسلمين الشفقة عليهم والسعي فيما يعود نفعه عليهم وتعليمهم ما ينفعهم وكف وجوه الأذى عنهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه. وعن جرير رضي الله عنه قال: بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم. متفق عليه. لقد كان السلف يخرصون على النصيحة قال الإمام النووي رحمه الله: وقد كان في السلف رضي الله عنهم من تبلغ به النصيحة إلى الإضرار بدنياه. هذا ، وللسلف أقوال في النصيحة جمعت بفضل الله وكرمه بعضاً منها أسأل الله أن ينفع بها. وعودٌ إلى الصديق البائس الذي لم ينتصح ولم يقبل نصيحة أصحابه الأوفياء المخلصين! إنه بعد كل هذه المآسي والمهازل ندم ذلك الرجلُ المخدوع المخذول ندماً شديداً ، إذ

اكتشف لأول مرةٍ أنه ضحى بلا حق بأصدقائه من أجل رجل مراوغ مغالط كذاب مُبير مخادع! فبكي كثيراً ، وبكى أكثر ، وعض أصابع الندم أكثر وأكثر! وقال بأعلى صوته: (ليتني أطعتُ صحابي!) فجعلتُها عنواناً لقصيدةٍ مأساويةٍ أكتبها عنه ، أشخص فيها حاله وأحذر الآخرين أن يصنعوا صنيعه!)

أنـــــتمُ الصـــــحبُ أيهـــــا الرفقـــــاءُ! والكـــــرامُ الأشـــــاوسُ النصـــــحاءُ!

كـــم نصـــحتُم حتـــى تُقِيلـــوا عَثـــاري واحتملـــتُم يـــا أيهـــا الحُلمـــاء!

كـــم وَعظـــتُم ، ولـــم تبـــالوا بحِنقـــي! والتحـــدّي كـــم صَـــدّني والجَفـــاء!

كـــم بـــذلتُم إرشـــادَكم والوَصـــايا زخرفتْهـــا الرمـــوز والإيمـــاءُ!

كـــم تفضـــلتُم بالعطـــاء احتســـاباً! كـــم منحـــتُم شُـــورى بهـــا يُستضـــاء!

كـــم أبنـــتُم مَـــذاهباً ودُروســـاً كـــان لـــي فيهـــا تبصّـــرٌ واهتـــداء!

كـــم فتحـــتُم بُيـــوتكم دون مَـــنٍّ واحتفلـــتُم بـــي ، ثـــم طـــابَ اللقـــاء!

كـــم تفطنـــتُم للمَخـــاطر حلـــتْ بـــي ، وحـــارتْ فـــي دَفعهـــا الآراء!

كـــم قبلـــتُم تأسّـــفي واعتـــذاري عنـــدما قـــادتْ همتـــي الأهـــواء!

كـــم سُـــررتُم إذ داعـــبَ الســـعدُ قلبـــي وابتشـــرتم إذ حلـــتِ الســـراء!

كـــم حـــزنتُم إذ داهمتْنـــي كروبـــي واحتفـــى بـــي إذ جئتُمـــوني العـــزاء!

كـــم ذكـــرتُم مـــن المحـــاذير تتـــرى عنـــدما عمّـــتْ ســـاحتي الضـــراء!

كـــم رضـــيتُم منـــي بمـــا لا يُسَـــلي عنـــدما مَسّـــتْ عِزتـــي البأســـاء!

كـــم صَـــبرتُم علـــى الحماقـــات طالـــتْ كـــل خِـــل إذ ســـادتِ الشـــحناء!

كـــم صَـــمدتُم فـــي وجـــه كـــل عـــدو نـــالني مِـــن تشـــويههِ الافتـــراء!

كـــم أضـــأتُم دَربـــي بنـــور التصـــافي عنـــدما نـــدّتْ عـــن ســـاحهِ الأضـــواء!

قلـــتمُ احـــذرْ مِـــن مُبْطِـــل لا يُراعـــي أي حـــق ، ومنـــه ضَـــجّ الإخـــاء

وانتفـــاعيٌ مـــا لـــه مِـــن مَثيـــل! مثـــلُ هـــذا يَملـــه العقـــلاء

فابتعـــدْ عنـــه ، لا تُصـــاحبْه يومـــاً! صُـــحبة عَجفـــا مـــا بهـــا نُعمـــاء!

واعتبـــرْ بالأصـــحاب منـــه اســـتجاروا ... بعـــــدما عَمّـــــتهمُ بـــــه الأرزاء!

أخطـــأوا إذ أوْلـــوْهُ كـــل اهتمـــام ... هـــل يتـــيمٌ عليـــه هـــم أوصـــياء؟!

وعليـــه الآمـــالُ هـــم عَقـــدوها ... غلبـــوا الطبـــعَ ، إنهـــم صُـــلحاء

أحســـنوا الظـــن ، والســـفيهُ تمـــادى ... وإذا العُقبـــى خيبـــة وشـــقاء

لـــم يـــزل بالإيقـــاع يختـــالُ زهـــواً ... كـــم تُدسّـــي الخلائـــقَ الخُـــيَلاء!

لـــم يـــزلْ بالإفســـاد سِـــراً وجَهـــراً ... ولـــه فـــي سَـــرد الحَكايـــا دهـــاء!

والأســـافينُ هولهـــا لا يُبـــارى ... كـــل إســـفين والجحـــيمُ ســـواء

والمِـــزاحُ المُسِـــفّ أصـــبحَ سَـــمْتاً ... تعتريـــهِ الفوضـــى والاســـتهزاء

والتجنـــي علـــى العِبـــاد افتـــراءً ... دون حـــق يحيـــا بـــه الصـــلحاء

وادّعـــاءُ العِلـــم الـــذي لا يُبـــارى ... كالـــدعاوى يعنـــو لهـــا الجهـــلاء

ليـــت شِـــعري كيـــف ادّعـــى مَكْرُمـــاتٍ؟! ... كـــم يســـيرٌ - علـــى الـــورى - الادّعـــاء!

ليتنـــي مُختـــاراً أطعـــتُ صِـــحابي ... فبعصـــيان الصـــحب حَـــلّ الـــبلاء

مثـــلُ هـــذي البلـــوى تُحَـــتم شُـــورى ... بعـــدها تُجـــدي الطاعـــة العميـــاء

إن صـــحبي مِـــن خِيـــرة النـــاس قطعـــاً ... إي وربـــي رئبالـــة شُـــرفاء

لا أزكـــي خِـــلاً علـــى الله ربـــي ... لهـــمُ منـــي مَـــدحُهم والـــدعاء!

متعنت!

(اختلفا في قضيةٍ ما. فاحتكما إلى الكتاب والسنة. فلما أتاه بالدليل ظل على موقفه المعاند بعد وضوح الدليل. وأخذ يكيل السباب واتهامات النوايا. وراح يُوغِل في اللجاج والطعن دون فائدة. فكان تعنتاً لا مُبرر له. إذ لا اجتهاد مع النص. يقول الدكتور سلمان العودة في محاضرةٍ له بعنوان: (أدب الحوار) ما نصه: (فالحربُ الضروس تكون – أحيانًا - وسيلة لحل الخلاف ، وإنهاء الخصومات ، وإثبات الحجة ، إلا أنها لا تصلح أن تكون الحل الأول في ذلك ؛ إذ إننا نجد أن كثيرًا من المبادئ والنظريات التي قامت على القوة ، وعلى الحديد والنار - كما يقال - ، سرعان ما تهاوت وسقطت).هـ. فتخيلتُ نفسي في مكان الخصم لذلك المجادل المتعنت الفظ ، وطفقتُ أوسِعه ذماً عندما وضح الدليل أمامه فلم ينصع ويذعن للحق ، بل أعرض ونأى بجانبه! وآثرَ الباطل رغم كلاحة منظره ، وأبى الانصاع للحق رغم وضوحه وجماله فأنشدت:)

تعنـــتْ كيـــف شـــئتَ ، فلـــن أداجـــي ... وأمعِـــنْ فـــي التخـــرّص والهيـــاجِ

ورُدّ أدلتـــــي ، وادحـــــضْ جـــــوابي ... وأوغـــلْ فـــي التنكّـــر والأحـــاجي

وغـــالط كيفمـــا تهـــوى ، وعانـــدْ ... ولا تعبـــأ بمـــا يُزجـــي احتجـــاجي

وأوقـــدْ - فـــي التعنـــت - شـــرّ نـــار ... وربـــي لـــن أجامـــل ، أو أداجـــي

فلـــيس العبـــدُ يَقبـــلُ حُكـــمَ ربـــي ... كمثـــل العبـــد يَعمَـــد للّجـــاج!

ولـــيس المـــاءُ طعمتُـــه فـــراتٌ ... كمثـــل المـــاء كـــالملح الأجـــاج

فعـــارضْ بالجهالـــة كـــل حـــق ... وشـــاتِمْ ، أنـــت شـــتام وهـــاجي

ولـــن تلقـــى ســـوى الإيضـــاح رَداً ... بلفـــظٍ - مِـــن سَـــنا التوحيـــد - ســـاج

فمـــا لـــي فـــي اللعـــائن والتـــدني ... لأنـــي عفـــوَ رب النـــاس راجـــي

ومـــا لـــي فـــي التطـــاول والتـــردي ... ومـــا لـــي فـــي المَعـــامع والعَجـــاج

ومـــا لـــي فـــي التنطـــع دون جـــدوى ... وليـــلُ تنطـــع الضُـــلال داج

وإنْ غيـــري اســـتبدَّ بكـــل رأي ... ونـــال هُـــراؤه كـــل الـــرواج

وإنْ أودى - بأفكـــاري - ظـــلامٌ ... فســـوف أبيـــدُهُ بسَـــنا سِـــراجي

وســـوف أعِـــيشُ أنصَـــحُ دون كَـــلٍّ ... عَلانيـــة ، وأحيانـــاً أنـــاجي!

أصهارٌ خارج نطاق الخدمة!

(زوّجوا ابنتهم لرجل لا يقِل عنهم نسَباً ولا حسباً ولا جاهاً ولا مالاً ، هذا إن لم يَزد! وأظهروا المودة والولاء في بداية الزواج! وطمعوا في أن يخلعوه من أهله كما يفعل كثير من الأصهار الوضعاء. ودبّروا من المكائد والدسائس والحِيل والأحاجي والمقالب ما يُفسد ذات البين ويُوجد الشقاق والخلاف. وافتعلوا من الأقاويل والأضاليل والأباطيل ما يُعكّر صفو ماء البحر المحيط. ولكنْ باءت كل محاولاتهم وجميعُ مكائدهم بالفشل الذريع ، لأنهم وجدوا زوج ابنتهم جواداً شهماً عاقلاً حصيفاً رزيناً يزن الأمور بميزان الشرع ويضع الأمور في نصابها ، فيبذل لكل ذي حق حقه مُبتدئاً بنفسه وزوجه وأهله وجيرانه ، ومُنتهياً بأصهاره ومن يُمِتّ لهم بصِلة. فلما وجدوا منه ذلك عمدوا إلى الخلاص منه بحمله على الطلاق والفراق! وكانت محاولاتٌ للإصلاح متعددة ، ولكنها كانت دون جدوى بسبب صلف وعناد الأصهار الذين حملهمُ الجهل والغشم على أن يكون حُلمهمُ الأعظم هو أن تُطلق ابنتهم من زوجها متعامين عن قول النبي – صلى الله عليه وسلم -: (من خبّب امرأة على زوجها فليس منا). فهل يضمنون زوجاً غيره يكون في نفس اعتداله وذات عدله؟ فاعتبرتُهم أصهاراً يعيشون على هامش الحياة ولا يواكبون الزمن ولا يسايرون عجلة الحياة! فكانوا أشبه بالهاتف الذي يُعتبر خارج نطاق الخدمة ، فلا يرسل ولا يستقبل! فله شكل الهاتف وانتفت عنه حقيقته! فلهم شكلُ الأصهار والأقارب ، ولكنهم لا يُدركون معنى الكلمة اللغوي ، فضلاً عن معناها الحَيَاتي! ففضحتْهم هذه القصيدة!)

لـــم يَخنـــي تأويـــلُ هـــذا التجـــافي ... لـــيس طبعـــاً فـــي الســـادة الأشـــرافِ

أن قومـــــاً يَحْيَـــــون دون التـــــزام ... واقتـــــداءٍ بالصـــــفوة الأســـــلاف

تَخِـــذوا الأهـــواءَ المَقيتـــة نهجـــاً ... مُشْـــهرين إعراضَـــهم والتجـــافي

فلهـــم عـــاداتٌ تُخـــالفُ شـــرعاً ... وعلـــى التحـــريم الـــدليلُ الـــوافي

قـــانعين بالســـوء سَـــمْتاً وهَـــدياً ... فـــي تلاحـــي عِـــز وفـــي استشـــراف

راغبـــين عـــن هـــذْي رب البرايـــا ... والهُـــدى حقـــاً فيـــه الـــدواء الشـــافي

زاعمـــين أنْ فـــي التـــدني سُـــمُواً ... والتـــدني دربُ الحِمـــام الـــذعاف

جـــاعلين الضـــلالَ نـــوراً مبينـــاً ... والضـــلالُ يُفضـــي إلـــى الإســـداف

كيـــف سَـــوّوا بـــين النقـــا والتدسّـــي ... بـــين كـــلٍّ لـــيس اســـتِوا ، أو تكـــافي

كيـــف زلـــوا وعَربـــدوا واســـتخفوا؟! ... هـــل تُنـــالُ التقـــوى بالاســـتخفاف؟!

زوّجـــوا بنتـــاً ، ثـــم صـــاغوا شـــروطاً ... لـــم تكـــنْ فـــي شـــرع المليـــك الكـــافي

ثـــم راحـــوا يَســـتهدفون حِماهـــا ... ليـــت شـــعري مـــا قصـــد الاســـتهداف!

ثـــم بـــاتوا يَســـتكثرون صِـــباها ... بـــازدراءٍ علـــى العـــريس الغـــافي

وارتأوهـــا أعلـــى مـــن الـــزوج شـــأناً ... تعِســـوا! هـــل هـــذا مـــن الإنصـــاف؟!

إن يكُـــنْ هـــذا مَـــذهباً مُستســـاغاً ... لـــم قلـــتم نصْـــبوا إلـــى اســـتعفاف؟!

أيهـــا الأصـــهارُ الصـــراحة أولـــى ... والوضـــوحُ يُـــردِي رَويّ القـــافي

والتجنـــي لا ، لـــيس يَبنـــي بيوتـــاً ... بـــل يُصـــيبُ البيـــوتَ بـــالإتلاف

كـــم مَكـــرتُم ، والمكـــرُ يُشـــقي ويُخـــزي ... عنـــدما يُقصَـــى وازعُ الإيـــلاف!

كـــم حبكـــتُم أخـــزى المَكائـــدِ عمـــداً ... آخـــذين الشـــورى مِـــن الأحـــلاف!

ثـــم كـــان التخبيـــبُ دون احتـــرام ... فيـــه غـــالى مُوافـــقٌ ومُنـــافي

ورَحـــى الإفســـاد المُـــدمّر دارتْ ... وسْـــط باحـــات الروضـــة المِئنـــاف

ودعـــاوى التطليـــق دَفـــتْ ورَفـــتْ ... دون نقـــض يُرجـــى أو اســـتئناف

والأســـافينُ تســـتبيحُ التـــآخي ... تجتنـــي جبـــراً أعـــذبَ الأطيـــاف

والأباطيـــلُ تَلـــبسُ الصـــدقَ ثوبـــاً ... ثـــم تُخفـــي مـــرارة الإعتســـاف

والأقاويـــلُ ســـاقها كـــل خِـــب ... يشـــتهي مَحـــوَ سُـــؤددٍ وطِـــراف

والأضـــاليلُ أجّجَـــتْ نـــارَ خُلـــفٍ ... رغـــم أنْ لـــم ينشـــبْ ســـعيرُ خِـــلاف

والأحـــاجي تُحـــاكُ ســـراً وجهـــراً ... والـــذي يبـــدو فـــائحُ الإســـفاف

يَمكـــرون ، والله أخيـــرُ مَكـــراً ... إن ربـــي نصـــيرُ كـــل الضِـــعاف

يَحلمـــون بعـــودة البنـــت حَيـــرى ... بـــين عـــدل ثـــوى وظلـــم مُجـــافي

ســـربلوها بـــالوهم يَفـــري حَلاهـــا ... لـــم يقـــلْ دُهقـــانٌ لهـــا: لا تخـــافي

بـــل جَفوْهـــا ، وأمعنـــوا فـــي التشـــفي ... وأجـــادوا زرعَ الجفـــا بـــاحتراف

هـــل حـــلالٌ أن يـــذهبوا بصِـــباها ... غضـــة كانـــت عذبـــة الأعطـــاف

جمعـــتْ آيـــاتِ الجمـــال ، فصـــادت ... أعـــينَ القـــوم والقلـــوبَ الهـــوافي

ثـــم ضـــمّتْ للحُســـن أنـــدى الســـجايا ... حيـــث باتـــت فـــي أكمـــل الأوصـــاف

فـــإذا بـــالأهلين نـــارٌ عليهـــا ... عنـــدما ثـــاروا ثـــورة الأجـــلاف!

جَرّعوهـــــا الزقـــــومَ دون احتـــــراز ... وأذاقوهـــــا لوعـــــة الإجحـــــاف

هـــل يُـــداوَى الخِـــلافُ بالكيـــد طِبـــاً؟! ... هـــل يُـــداوَى الخِصـــامُ بالإرجـــاف؟!

أيـــن ودٌ فـــي خِطبـــةٍ واحتفـــال؟! ... أيـــن ولـــتْ نســـائمُ الألطـــاف؟!

أيـــن ولـــتْ مُجـــاملاتٌ وعطـــفٌ ... وتحايـــا زينـــتْ بالاســـتظراف؟!

كيـــف بـــتم أعـــداءَ فـــي ســـاح هيجـــا ... تَشـــرعون فـــي حـــرب الاســـتنزاف؟!

هـــل أمِنـــتم بعـــد الطـــلاق - المَنايـــا ... إن دَهـــتْكم فـــي صَـــولة الإســـراف؟!

هـــل ضـــمِنتم زوجـــاً بـــديلاً مُطيعـــاً ... يَقبـــلُ الضـــيمَ سَـــيداً غيـــرَ هـــافِ؟!

أيهـــا القـــومُ أقصِـــروا ، واســـتفيقوا ... واقبلـــوا النصـــحَ مِـــن فـــؤادٍ صـــاف

صُـــغتُه نصـــاً ســـامياً مســـتنيفاً ... مُفعمـــاً بالحُســـنى وعَـــذب القـــوافي

لـــم أجامـــلْ فـــي الـــنظم طرفـــة عـــين ... نَـــدّ عـــن إكفـــاءٍ وعـــن إصـــراف

واجتهـــدتُ فـــي أن يكـــون رَصـــيناً ... عـــاطرَ الـــذكرى طيّـــبَ الألاف

كـــلُ مـــا جئـــتُم هـــادمٌ لـــيس يبنـــي ... والعَـــوارُ - فـــي الأمـــر - لـــيس بخـــاف

لا يُقِـــر القـــرآنُ هـــذي الخطايـــا ... فـــاقرأوه ، ودارســـوا بـــائتلاف

والتقاليـــدُ لا تُقِـــر التعـــدّي ... حيـــثُ تـــأبى تجـــاوز الأعـــراف

صـــدقوني التخبيـــبُ عـــارٌ علـــيكم ... والبـــديلُ عنـــه الرضـــا والتصـــافي

عـــالجوا الإشـــكالاتِ بالشـــرع تُخمـــدْ ... هـــل بـــديلٌ عـــن شـــرع ذي الألطـــاف؟!

بنـــتُكم تـــأوي لرُشـــدٍ يُواســـي ... لا لأهـــل بُهـــتٍ غِـــلاظٍ خِفـــاف

لا أراكـــم حربـــاً ضروســـاً وجيشـــاً ... فيـــه غـــارت قـــوادمٌ وخـــوافي!

أيقِنـــوا عهـــدُ العنتريـــات ولـــى ... والضـــحايا فـــي الكُتْـــب بـــالآلاف

لـــم يعُـــدْ للإجبـــار والقهـــر جيـــلٌ ... يرتضـــي القهـــرَ لـــو حَيَـــا فـــي الفيـــافي!

رب إنـــي بلغـــتُ قـــوميَ ، فاشـــهدْ ... واكفنـــي شـــرَّ المعتـــدي يـــا كـــافي!

تُعَيِّرني بضِيق العيش!

(ذات مساء أخذتني قُشعريرة الشعر وانفعالة الغضب ، ورحتُ أطالع بعض الكتب ، فوقعتُ على دُرر من السيرة والأدب أسطرها هنا كما عثرت عليها ، وكان الباعث عليها اختلافي وأهلي ككل خلافٍ بين زوجين مُتحابين في الله ، والخلاف سُنة! فعدت إلى الوراء ، حيث الوحي ينزل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ويروي لنا البخاري موقفَ أمنا أم المؤمنين خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها – وهي تُطمئنُ زوجها النبي الرسول – صلى الله عليه وسلم - بأن قالت: (أبشرْ يا محمد ، والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لعلى خلق عظيم: إنك لتكرم الضيف ، وتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل عن الضعيف ، وتعطف على المسكين ، وتعين على نوائب الحق! فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة). ولقد عاشت ابنتها الزهراء فاطمة بنتُ محمد – رضي الله عنها – وصلى الله وسلم و بارك على أبيها – عاشت لزوجها علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - كما كانت أمها لرسول الله – صلى الله عليه وسلم -. روي أبو داود في سننه: (أن علياً ابن أبى طالب صهر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حدث عن نفسه وعن زوجه فاطمة بنت محمد في آخر حياته فقال: يا ابن أم معبد ، ألا أخبرك عني وعن فاطمة؟ كانت بنت رسول الله وأكرم أهله عليه ، وكانت زوجتي ، فجرّتْ بالرحى ، حتى أثرتِ الرَّحى في يدها ، واستقت بالقِربة حتى أثرت القربة في نحرها ، وقمَّت بالبيت ، حتى اغبرتْ ثيابها وأصابها من ذلك ضر). فتعجبتُ وقلتُ في نفسي: إنه الجيل القرآني الفريد. وماذا عن الفتن في آخر الزمان؟ أخرج الحافظ الدمياطي في مصنفه: (المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح) حديثاً للنبي – صلى الله عليه وسلم -: (يأتي على الناس زمان لا يَسلمُ لذي دين دينه ، إلا من هرب بدينه من شاهق إلى شاهق ومن جحر إلى جحر ، فإذا كان ذلك لم تنل المعيشة إلا بسَخط الله ، فإذا كان ذلك كذلك ، كان هلاكُ الرجل على يد زوجته وولده ، فإن لم يكن له زوجة ولا ولد كان هلاكه على يد أبويه ، فإن لم يكن له أبوان كان هلاكه على يد قرابته أو الجيران قالوا: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: يُعَيرونه بضيق المعيشة ، فعند ذلك يوردُ نفسه المَوارد التى يُهلك بها نفسه). وإني لأدعو الله تعالى أن لا يجعل أزواجنا ولا أولادنا ولا آباءنا ولا قرابتنا كذلك ، وأن يُغنينا بحلاله عن حرامه ، ويَكفينا بحلاله عن حرامه! وسبحان من إذا بسط لعبد في الرزق فلحكمة ، وإذا ضيق على آخر في الرزق فلحكمة ، ولذا أمرنا الله أن لا نتمنى ما فضل الله به بعضنا على بعض فقال: (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) ، وأقول لكل حليلة تَعيّر حَليلها بضيق العيش: اصبري صبر فاطمة بنت محمد ، فلست بأفضل منها ، وليصبر زوجك صبر عليٍّ زوجها ، فليس بأفضل منه.)

تُعَيّرنـــي بضِـــيق العـــيش ، مـــا ذنبِـــي؟ وتكـــوي بـــالتجني - فـــي الـــدجي - قلبِـــي

وتُشـــهِر ســـيفَها فـــي وجـــه مُلتـــاع وتُمعِـــن فـــي دروب النّيـــل والحـــرب

وتجـــرحُ بالعتـــاب المُـــر تصـــبيري وتنســـي ودنـــا فـــي ســـالف الحـــب

وتنبش في رُفات الفقر لم ترحم ... وتجري خلف ظل الوزر والذنب

وتتركُني - وحيداً - في براكيني ... أعاني من أسي إحساسيَ العَطَب

وتنسجُ مِن لهيب اللوم آفاقاً ... وتصنعُ مِن مَعاول هدمها كربي

تُعيرني بأني قد رضختُ هنا ... وأني قد محا عزمي لظي الرَّهْب

وأني خِفت من قومي ومن ظلي ... وأني تُهتُ عن خِلي ، وعن دَربي

ألا رفقاً بقلبٍ في الأسى يرسو ... وليس بخاطري المَكلوم مِن عَيب

فضِيقُ العيش ، يا محبوبتي رزقي ... فلا تسَلِي علي ما كان في الغَيْب

ولا تستكثري البلوى ، لنا ربٌ! ... ولا تستمطري ، يا فِتنتي نَدبِي

يَمِينَ الله رغم الأنف ما يجري ... رضيتُ بما قضي من فتنةٍ رَبِّي

جلاوذة تلوكُ العِرض ، ما استحيَتْ ... ونفسٌ تشتكي مطعونة الصحب

وسمَّاع لما حاكوا ، ولا يدِري ... ويسقط في أتون الموقف الصعب

وبين يديه أشعاري وأشواقي ... بخلتُ بها علي هَتَّافة الرَّكْب

وجَوقةَ الارتزاقِ اليوم في فرح ... بما فعل الهُمام اليوم من لِعْب

يُكشّر كلُّ رعديد عن الفَتيا ... ويصطنع التباكيَ في جَوَي النّحْب

ويَحطم كلُّ خوان رحَي عِزي ... ويطعن رُمحه بالعَمْدِ في جنبي

أنا المسكين لا حول ، ولا طول ... ولا أدري بما يجري ، وما حَوْبي

طَعِنتُ اليوم في خلي وفي صحبي ... ومقتولٌ بأيديهم بلا ريب

وطـــابورُ الخزايـــا لـــم يقـــل حرفـــاً ... ولـــم يُبْصـــر كبيـــرُ القـــوم مـــن أوب

وصـــفق للجنـــاة الآن عمـــداً مَـــن ... أجـــادوا السَّـــبكَ والتضـــليل فـــي الخَطـــب

تُعَيّرنُـــي بمـــا ربـــي بـــه يقضـــي ... وقـــد نصَـــبَتْ هُنـــا مِـــن عَيْشـــنا الجَـــدْب

ألا يـــا مَعقـــدَ الآمـــال ، يـــا زوجـــي ... كفـــاني اليـــوم مـــا ألقـــاهُ مِـــنْ صَـــحْبي!

سيمضـــي المـــالُ والـــدنيا ، فـــلا تبكـــي ... يُقـــاسُ المـــرءُ بالإيمـــان ، لا الجَيـــب

لـــذا فاستمســـكي بـــالحق ، يـــا زادي ... فأنـــتِ الصـــاحبُ المحبـــوبُ ذو اللـــب

وأنـــتِ اليـــومَ أصـــحابي وأحبـــابي ... فرّقـــي وانظـــري الأحـــوالَ عَـــن قَـــرب

ورزقُ الله لا يُرجـــــي بـــــأوزار ... ألا فاســـتكثري (يـــا عَـــزَّ) مـــن (حَسْـــبي)

ألا واستنشـــقي التوحيـــدَ ، واحتـــاطي ... وخلّـــي عنـــكِ ســـيفَ اللـــومِ والسَّـــب

وربُّ النـــاس لا ينســـاكِ ، حاشـــاهُ ... تعـــالَي الله يـــا محبوبـــة القَلـــب

العاصفة

(تزوجَها يحسبها صالحة ، فإذا بها غير ذلك. فكانت حياته معها كالبحر مداً وجزراً ، في أول الطريق. ثم تحولتِ إلى عاصفةٍ لا تهدأ ، ومَداً لا يتحول. ولله دَرّ من وصف الدنيا قائلاً: (الدنيا دار ابتلاء ، فهي بمثابة المكان الذي يجري فيه الاختبار ، وهي أيضاً الزمن المُقرر لهذا الاختبار! أما مجالات هذا الاختبار ، ومواد ذلك الامتحان ، فتتلخصُ فيما على هذه الأرض من ثرواتٍ ومنتجاتٍ وزينة ، وما يجري فوقها من عمران ، يقول تعالى: {إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَها لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}. والابتلاء يكون أيضاً في الأنفس من نحو الصحة والسقم ، والقوة والضعف ، والسعادة والشقاوة ، كما يكونُ في الأموال من نحو الفقر والغنى ، والعوز والرفاهية). فتخيلتُ نفسي أحكي عن ذلك الزوج هذه القصة على الخفيف.)

لستُ أدري كيف ابتداءُ الحكاية ... كم دَهتْني – والله - تلك البداية!

وحياتى كالبحر مَداً وجَزراً ... ثم ذقتُ من الزواج النكاية

إي وربي ، كان ابتلاءً شديداً ... لا يُبارى – صِدقاً - بأعتى جناية

غرّني ما قد أظهرتْ مِن سَجايا ... والتلاواتُ آية تلو آية

والحجابُ إذ أسدلتْه يُغطي ... كل حُسن ، إن الحجاب وقاية

وقيامٌ لليل دون انقطاع ... زانه البُعدُ عن دُروب الغواية

واستماعٌ لكل درس تحلى ... بالبيان في عَرضه والهداية

غرّني النصحُ دون خوف البرايا ... باجتهادٍ يَهدي الورى ، وعناية

ما ظننت أني خدعتُ ، وربي ... ثم كان الزواجُ أشقى نهاية

حيث بات العيشُ المَرير عِقابي ... ثم هذي مِن مُفردات الرواية

ما لزوجي بالدين أدنى انتساب ... ما لديها بالشرع أي دراية

بالخيار إنْ شئتُ طلقتُ زهداً ... أو تحملتُ كُربتي والإذاية

كم شكوتُ منها إليها رَضِياً ... بالقرار تقضيه بعد الشكاية!

كيف يحيا على العواصفِ زوجٌ ... زوجُه لا تُوليه بعضَ الرعاية؟

اتركوني مع من أحببتُ في الله!

(لبعض الخلافات البسيطة يُصِر أهل تلك الزوجة على أن يُطلِقوها من زوجها. وكأنهم يوم قبلوه لها زوجاً كانوا قد استكثروها عليه. وكأنهم يضمنون لها زواجاً مباركاً ميموناً عند غيره إذا هي طلقت من الأول! وتعددتْ محاولاتهم الخبيثة الماكرة في محاولة اقتناص الفرص والإيقاع بين الرجل وأهله والتخبيب الرخيص المكشوف الدنئ. وأعدوا للأمر عُدته ، وراحوا يَمكرون ، ويُشْهرون سيوفهم ، وكأنها الهيجاء التي يُحرزون فيها النصر على الأعداء. وكلٌ يُدلي فيها بدلوه. إلى أن حسمت أمرها بنفسها هذه الزوجة الحكيمة المشترية لزوجها ولبيتها ولنفسها ولأولادها ولكرامتها وأنسها وراحتها. وأيقنتْ أنها المؤامرة والمساومة على العقيدة ، والرهان على هدم هذه الأسرة المنكوبة بلا مُبرر! فقالت واثقة من نصر الله سبحانه وتعالى - لها ، ثقة هاجر زوج الخليل إبراهيم – عليه السلام – يوم تركها وولدها الرضيع إسماعيل – عليه وعلى أبيه الصلاة والسلام – في وادٍ غير ذي زرع عند بيته المحرم ، فقالت هاجر – رضي الله عنها -: لمن تتركُنا يا إبراهيم؟ آالله أمرك بهذا؟ فقال: نعم. فردتْ: إذن اذهب فلن يُضيّعنا الله. وثقة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها – عندما نزل الوحي على النبي – صلى الله عليه وسلم – فأقسمتْ بالله تُهدئ من رَوْعه تقول: (والله لا يُخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتكسب الكل وتعين على نوائب الدهر!) وثقة امرأة جليبيب الصحابي الجليل عندما جَلت عن أبويها وهي الفتاة الأنصارية ذات الحسب والنسب والجاه والغنى ، يوم رفضه زوجاً لها أبواها لأنه كان عَبداً وقصيراً ودَميماً وفقيراً! فقالت في ثقة المؤمنة وإيمان الواثقة: ما هذا يا أبتاه؟ ما هذا يا أماه؟ أوتردان على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أمره؟ لقد قبلتُ زواجه امتثالاً لأمر نبي الله – صلى الله عليه وسلم -! فحييتُ تلك الزوجة التي خطط أهلها لتطليقها من زوجها لخلافاتٍ بينهما! وبدلاً من أن يسعوا للصلح والوفاق سَعوا للشقاق والطلاق! فأبت تلك الزوجة وفوَّتت عليهمُ الفرصة ، وأفشلتْ كل محاولاتهمُ الدنيئة ، مؤثرة رضاه كزوج على رضا أهلها ، آمرة بالحق وصادعة به ، قائلة لهم: اتركوني مع رجل أحببته وتزوجته وارتبطتْ به في الله ورسوله! واعتزتْ بتقواها زاهدة في الدنيا وزخرفها متمسكة بزوجها! قال الشافعي: من لم تُعِزُّهُ التقوى فلا عِز له. وقال المُناوي في كتابه فيض القدير ج4/ص290: "ينبغي للعالم أن لا يشين علمه وتعليمه بالطمع ولو ممن يعلمه بنحو مال أو خدمة وإن قل ولو على صورة الهدية التي لولا اشتغاله عليه لم يهدها وقد حث الأئمة على أن لا يدنس العلم بالأطماع ولا يذل بالذهاب إلى غير أهله من أبناء الدنيا بلا ضرورةٍ ولا إلى من يتعلمه منه وإن عظم شأنه وكبر قدره وسلطانه. فعلى العالم تناول ما يحتاجه من الدنيا على الوجه المعتدل ، ولا يبالي بفوتها ، فإنه أعلم الناس بخِستها وقِلة غنائها).هـ. فتخيلتُ الزوجة العاقلة الحكيمة تُخاطِبُ أهله بكل حزم وقطع في الأمر:-)

اتركـــــوني ومَـــــن أحـــــب فـــــؤادي ... لســـــتُ مـــــنكم يـــــا جَوقـــــة الأوغـــــادِ

كـــــم قتلـــــتُم - بالتُرَّهـــــات – وصـــــالاً! ... وسَـــــــفكتُم دمـــــــاء كـــــــل وداد

وقهـــــــرتُم بالشـــــــائعات إبـــــــاءً ... ورميـــــــتُم بـــــــالغيّ كـــــــل رشـــــــاد

وافتـــريتُم - علـــى البـــرئ - كثيـــراً ... بعـــد أن أرســـى أعـــذبَ الأمجـــاد

ونـــويتُم تشـــتيت زوج وبيـــتٍ ... بعـــد هـــدم الأركـــان والأولاد

لـــم تُضـــحّوا مـــن أجـــل إحقـــاق حـــق ... لـــم تقومـــوا بواجـــب الإرشـــاد

لـــم تكونـــوا ردءًا ودِرعـــاً ونـــوراً ... فـــي ديـــاجير العائـــدات الشـــداد

حصـــحصَ الحـــقُ ، فـــاتركوني وشـــأني ... ورجـــوعي عـــن بـــاطلي خيـــرُ زاد

كـــم خســـرتُ بهـــزلكم كـــل خيـــر! ... وفضِـــحتُ بالكيـــد فـــي كـــل نـــاد!

وتخلفـــتُ عـــن بلـــوغ الأمـــاني ... وطعِنـــتُ فـــي كـــل شِـــعب وواد

وافتـــرى عنـــي الوالغـــون بعِرضـــي ... كـــل زيـــفٍ أصـــابني بالسُـــهاد

وجُعلـــتُ – للحاقـــدين - مَتاعـــاً ... وعلـــيّ الأنـــذال بالمِرصـــاد

فـــارحموني يـــا أهـــلُ ممـــا فعلـــتُم ... وذرونـــي لمَـــن عليـــه اعتمـــادي

حســـبيَ الله ، لا أقـــول سِـــواها ... ورضـــا ربـــي مَطمحـــي ومُـــرادي

وهْـــو بينـــي وبـــين مَـــن ظلمـــوني ... لـــيس يُجـــدي تلـــوّمي وعِنـــادي

واجتـــرأتُم علـــى تحـــدي شـــريفٍ ... هـــو ســـلوى مشـــاعري وفـــؤادي

وكـــذبتم لتكســـبوا كـــل وُدٍ ... واســـتبحتُم يـــا أهـــلُ خيـــر العِبـــاد

وهتكـــتُم – بـــالظن - عِرضـــاً عفيفـــاً ... بيننـــا يحيـــا طيّـــب الإعتقـــاد

والتقيـــتُم علـــى التشـــفي جهـــاراً ... دون حـــق ، كـــلٌ بحربـــة عـــاد!

أنســـيتُم تحـــذيرَ خيـــر البرايـــا ... مِـــن وَبـــال التخبيـــب والإفســـاد؟

صـــارحوني ، مـــاذا أردتُـــم بهـــذا؟ ... إنمـــا الأشـــقى والأضـــل البـــادي!

كـــان أولـــى أن تنصـــحوا وتُـــداووا ... وتـــردوا مَـــن بـــالطلاق يُنـــادي!

وتُراعـــوا الجَبـــار فـــي كـــل أمـــر ... وتخـــافوا مِـــن هـــول يـــوم التنـــاد!

على اختـــلاف

(كانت تظن أن إدخال أهلها - غير الحكماء بينها وبين زوجها ، لإزالة خلاف بينهما ، همُ الذين أوجدوه ومهدوا له – أنها بذلك ستجد الحل ، فإذا بالمشاكل تزدادُ هُوتها وتتسعُ للحد الذي يستحيل معه إيجادُ حل. لتودي بها إلى الهاوية بعد ذلك. وليُصبح أهلها أثراً بعد عين ، يتندرُ عنهمُ التاريخ وتُحاكُ عنهم القصص! والأصل الحكمة والرشد في حل المشكلات. أما التهورُ والتشفي والعنجهية ، فكلها أدواتٌ تسْرعُ في الإجهاز على البيوت العامرة ، لتُدمرها وتقضي على أهلها لا لشيءٍ إلا للأهواء والعجرفة. وعموماً كرام الناس يتنازلون كثيراً لضمان استمرار الحياة الزوجية. وأيما حل نأى عن كتاب الله وسنة رسوله فثق أنه لا رُشد فيه ولا حِكمة ، وليست هناك ثمرة تُرجى مِن ورائه أبداً. وعلى كل زوجةٍ أن تُحاول حل المشكلات في بيتها ابتداء ، فإن هي عجزتْ فلتُعاودِ الكَرّة لعلها تُفلح. ذلك أن زوجها على أي حال بشرٌ مخلوقٌ من طين مِثلها ، وله أحاسيسُ ومشاعرُ وعواطفُ وخواطرُ وقلبٌ وروح. فلتحاولْ معه مراتٍ ومرات. فإن هي عجزتْ ، ووَصلتْ معه إلى طريق مسدودٍ ، فلتعمَدْ إلى حُكماء الناس من أهله وأهلها ، أو من الأصدقاء أو الجيران أو الرفقاء.)

غفـــــرَ الإلـــــهُ لزوجـــــةٍ مُتدَينـــــة ... كانـــــت تعـــــيشُ رَضِـــــيّة مُســـــتيقنة

وتُقيـــــيمُ ديـــــن الله فـــــي دار لهـــــا ... ولكـــــل - أمـــــر للمهـــــيمن - مُذعنـــــة

وتُعلـــــمُ الأبنـــــاءَ شِـــــرعة ربهـــــم ... ولكـــــل - حُكـــــم فـــــي الشـــــريعة - بيّنـــــة

وتحضّـــــهم دومـــــاً علـــــى حُـــــب الهُـــــدى ... بطريقـــــةٍ تســـــبي الخـــــواطرَ ليّنـــــة

وتُناصـــــــح الجـــــــارات دون تميُّـــــــع ... وتحـــــــث ثـــــــائرة ، وحينـــــــاً هيّنـــــــة

حتـــــى أتـــــتْ ريـــــحُ الخـــــلاف عَتيـــــة ... كـــــالموج ، تغتـــــال الخَـــــرودَ الديّنـــــة

فترنحـــــتْ تحـــــت المَطـــــارق تشـــــتكي ... وتســـــيرُ مَيْســـــرة ، وحِينـــــاً مَيْمنـــــة

وتمثلـــــتْ مـــــا أهلهـــــا قـــــد شـــــرّعوا ... فلهـــــم - علـــــى هـــــذي الضـــــحية - هيمنـــــة

وإذا بنيـــــــران الخـــــــلاف توقّـــــــدتْ ... والكـــــل مـــــارسَ - فـــــي الخـــــلاف - الفرعنـــــة

وكـــــأن هـــــذا الـــــزوجَ لـــــيس بمُسْـــــلم ... وإذا الشـــــعارات الخفيـــــة مُعلنـــــة

وعلـــــى اخـــــتلافٍ بيـــــنهم لـــــم يصـــــبروا! ... بـــــل أتقنـــــوا كيـــــداً فنـــــون الشـــــيطنة

والكـــــل يُغـــــرقُ - بـــــالخلاف - ســـــفينة ... ويُجيـــــدُ - فـــــي التـــــدمير - أعتـــــى القرصـــــنة

فـــــازدادتِ البلـــــوى بفتنـــــة أهلهـــــا ... إذ كـــــل يـــــوم نســـــتظلُ بعيّنـــــة

والحكمـــــة العصـــــماءُ مِفتـــــاحُ الـــــوَرى ... لحلـــــول مشـــــكلةٍ ، وإنْ تـــــكُ مُزمِنـــــة

همسة عتاب باكية !

(صدق علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - عندما قال: عاتبْ أخاك بالإحسان إليه ، واردُد شره بالإنعام عليه). ودائماً يتعزى المعاتب الذي لا يجد من ينصت له بقول ابن الوردي:

وليس عتابُ الناس للمرء نافعاً **** إذا لم يكن - للمرء - لبٌّ يعاتبُ

وصدق الشاعر ابن هانيء الأندلسي في بيته المشهور الذي هو في أغلب التصانيف الشعرية:-

أقلل عتاب من استربت بوده **** ليست تنال مودة بعتاب

وإنني في هذه القصيدة أعزي رجلاً كان إذا عاتب لا يُسمع له قط. وذلك عندما اجتمعتِ الآراءُ من حوله على تطليق زوجته وخراب بيته وإغراق سفينته ، فاستشار واستخار ، وهداه الله ربه إلى الإقلاع عن فكرة الطلاق. وكان لزاماً عليه أن يدفعَ الثمنَ من دمه ودموعه وعزته ، حتى يحافظ على نفسه وزوجه وولده. ووصل الحالُ إلى تقبيل قدم زوجه بدون إكراه إبقاءً للمودة والعشرة وترغيماً للشيطان واحتساباً للأجرعند الله الذي لا يضيع أجر كل محسن موحد مؤمن. ونكاية في المُخبيين ومحبي الفتنة من الذين يُفرّقون بين المرء وزوجه. فاحترمتُ ذلك الزوج المخلص القانت ، وأنشدت فيه هذي القصيدة المعلقة. ووجهت العتاب في جُل أبياتها للدار بأطلالها. إذ قلوب من نتكلم عنهم ولهم قد أعماها الهوى عن الحق ، فأمست لا ترى ولا تسمع ولا تعي قط. وأخذتُ أحكي على لسان هذا الزوج الضحية تلك الخواطرَ التي قد يتطرقُ إليها خياله. وكنتُ في كل مرةٍ أضربُ على أوتار الذكريات الحانية الوادعة التي كانت تربط ذلك الزوج بتلك الزوجة التي تلعب اليوم بالنار ، والله أعلم هل ستحترقُ أم لا؟ وعلى كل حال إن هو العتاب الطويل العريض الذي قد لا يثمرُ شيئاً. المهم أنني في هذه المرة وأنا أتكلمُ عن هذا الزوج أقدّمُ بالشعر أنموذجاً حياً للعتاب بين المحبين ، الذين يمكن أن يكون بينهم سبيل لمراجعة النفس والعودة إلى حظيرة الانضباط وأداء الحقوق إلى أصحابها دون جور ولا حيف وظلم. وكم من عتاب أثمر عندما وجد الآذان الصاغية والعقول التي تعي حجم المسؤولية وتدرك دورها في الحياة. وطوبي لِعبادٍ من خلق الله جعلهم الله مفاتيحَ للخير مغاليقَ للشر. وإن نصيحتى لكل زوجين متحابين في الله أن لا يُغلّبا جانبَ السماع والإنصات للمُغرضين الذين يُفسدون فى الأرض ولا يُصلحون ، كما أهيبُ وأحذرُ من الانفراد بالرأي دون مشورة أهل الحب فى الله تعالى والموالاة على دينه وأهل العلم ، الذين هم خلصاء الناس وصفوتُهم. إن الحياة لا يُصلحُها أبداً حفنة المُخبّبين المفرّقين بين كل زوجين نشبَ بينهما خلاف. إن أي خلافٍ مهما عظم له في ديننا حلٌ وثان وثالثٌ ورابع. ومن هنا فلنفِق جميعاً لندرك مسؤولياتنا ودَورنا في الحياة. وأكتفي بهذا التقديم الطويل الذي قد يكون مملاً في نظر البعض.)

يـــا دارَ (لبنـــى) بـــالمُخيّم سَـــلّمي! واســتبعدي غــرقَ الســفينة ، واسْــلمي!

وتـــذكّري (شـــربينَ) أيـــامَ الهنـــا و(الألــفَ) تســطعُ فــي بريــق الأنجــم

وبكفـــر ســـعدٍ ذِكريـــاتٌ تشـــتهى وخـــواطرٌ بالحـــب كانـــت تســـتمي

وعلـــى ضـــفاف النيـــل كـــم سِـــرنا معـــاً! وحُبورُنـــا - فـــوق المَـــزارع - يَرتمـــي

والمـــــاءُ فيـــــاضٌ علـــــى شُـــــطآنه ... والخضـــــرة النشـــــوى تُثيـــــرُ تبسّـــــمي

والطيـــــرُ تشـــــدو فـــــي الفضـــــاء مَشُـــــوقة ... وتُطيـــــلُ شقشـــــقة المُحِـــــب المُغـــــرم

وجـــــداولُ المـــــاء الضـــــحوك عطيـــــرة ... وحـــــلاوة القطـــــرات منـــــه كزمـــــزم

وحمـــــائمُ الـــــدوح المُنغمـــــة الصـــــدى ... أمســـــتْ تُغنـــــي مثـــــلَ كـــــل مُتَـــــيم

أمـــــا الســـــواقي والفحـــــولُ تُـــــديرُها ... فرجيـــــعُ صـــــوت غِنائهـــــا كـــــالمُلهم

تـــــروي الحقـــــولَ بَعيـــــدَها وقَريبَهـــــا ... وتعمّهـــــا بالمـــــاء خيـــــر المَغـــــنم

والنحـــــلُ يَمـــــتصُ الرحيـــــقَ مُســـــبّحاً ... ومعظمـــــاً وممجـــــداً للمُـــــنعم

وشـــــذى الـــــورود بكـــــل أنـــــفٍ فـــــائحٌ ... يُزجـــــي الشِـــــفا ، ويَفـــــوقُ أنفـــــعَ بلســـــم

يـــــا دار (لبنـــــى) إن حكمـــــتِ فأسْـــــجحي ... وتـــــذكّري العهـــــدَ الـــــذي لـــــكِ ينتمـــــي

فلقـــــد خططـــــتِ شـــــروطه وبنـــــودَه ... حبـــــاً ، ومـــــا أهملـــــتِ مِـــــن متـــــردَّم

لـــــمَ تغـــــدرين؟ وأنـــــت أجـــــدرُ بالوفـــــا ... صـــــدقاً أقـــــول ، ولســـــتُ بـــــالمتوهم

لـــــمَ تُخلفِـــــين الوعـــــدَ أنـــــتِ قطعتِـــــه؟ ... أم تجهلـــــين بمـــــا لـــــه مـــــن مـــــأثم؟

لـــــمَ تكـــــذبين ، وكنـــــتِ أولَ صـــــادق؟ ... والصـــــدقُ يزْكِـــــي عـــــزة المـــــتكلم

ولـــــمَ الخصـــــامُ يُزيـــــلُ صـــــفوَ ودادنـــــا ... ويُحيـــــلُ طعـــــمَ العـــــيش مثـــــلَ العلقـــــم؟

ولـــــمَ الخيانـــــة للأمانـــــة بيننـــــا؟ ... والظلـــــمُ يُـــــزري بـــــالتقيّ المســـــلم

يـــــا دارُ مـــــا قصّـــــرتُ فـــــي حـــــق الـــــورى ... فلـــــم التـــــذرعُ بالنفـــــاق المبـــــرم؟

يـــــا دارُ أكبـــــرتُ الجميـــــعَ ، فلامَنـــــي ... رَهْـــــط عـــــن الأخـــــلاق والتقـــــوى عمـــــي

وبـــــذلتُ خيـــــراً لا حُـــــدودَ لوصـــــفه ... ونـــــدمتُ ، هـــــل تُجـــــدي سُـــــويعة مَنـــــدم؟

وتحمّـــــلَ القلـــــبُ الكثيـــــرَ مـــــن الأســـــي ... والعـــــيشُ أضـــــحى مثـــــلَ لغـــــز مُـــــبهم

وطفقـــــتُ أجتـــــرّ المَـــــرارَ تكلفـــــاً ... وألـــــوكُ كيـــــدَ الشـــــامتين اللـــــوّم

وأرَجّـــــع التفعيـــــل مكـــــروبَ الـــــروْى ... ومَـــــن الـــــذي يُصـــــغي لـــــدمع تحمحُمـــــي

وســـــلي إذا شـــــئتِ انكســـــارَ مشـــــاعري ... وعواطفـــــاً فـــــي وخزهـــــا لـــــم تـــــرحم

وسَـــلي الأحاســـيسَ التـــي قـــد جنـــدلتْ ... حزنـــاً علـــى هـــذا المُصـــاب المُـــؤلم

وسَـــلي ضـــميرَ الحـــب خمّشـــه الجـــوى ... فشـــكا الحبيـــبَ بلوعـــةٍ وتلـــوم

وسَـــلي دروبَ الحـــب تَعتـــبُ فـــي شـــجىً ... وتعففـــي فـــي المَوقـــف المُتـــأزم

يـــا دارَ (لبنـــى) واســـالي مَـــن أحرقـــوا ... قلبـــين بالـــدّسّ البغـــيض المُجـــرم

مَـــن حطمـــوا حبـــاً تعـــاظمَ شـــأنه ... ولـــه بـــدنيا النـــاس لـــم يـــكُ مِـــن سَـــمي!

مَـــن أوجـــدوا شـــبحَ الطـــلاق ليغنمـــوا ... ولكـــي يعـــيشَ الـــزوجُ عـــيشَ المُعْـــدِم

مَـــن أفســـدوا بـــين الحليـــل وزوجـــه ... والأمـــرُ أدركـــه الـــذي لـــم يفهـــم

مَـــن أوقـــدوا نـــاراً لبيـــتٍ وادع ... حتـــى غـــدا كـــالمنزل المـــتفحم

مَـــن أيقظـــوا ظلمـــاً دواعـــيَ فتنـــةٍ ... طعنـــوا بهـــا أرجَ الـــوداد بمِخـــذم

مَـــن جرّعـــوا الأبـــرار سُـــم نفـــاقهم ... مَـــن شـــوّهوا بـــالجَور أجمـــل بُـــرعم

مَـــن خـــالفوا دينـــاً إليـــه تحـــاكموا ... وتنكّبـــوا آيَ الكتـــاب المُحكـــم

مَـــن عنـــدما قـــد جُودلـــوا طرحـــوا الحيـــا ... واستســـخروا بتخـــرص وتهكـــم

مَـــن يحملـــون لكـــل شَـــهم حَربـــة ... وإذا اســـتطاعوا جـــاهروا بالصمصـــم

مَـــن يجعلـــون جَـــزا الجميـــل تنكـــراً ... مَـــن دَورُهـــم فـــي النـــاس كـــابن العلقمـــي

مَـــن ظـــنهم بـــالخلق ظـــنٌ سَـــيءٌ ... شـــتان بـــين تحقـــق وتـــوهم!

مَـــن سَـــعيُهم مِـــن أجـــل دنيـــا زيّنـــتْ ... مَـــن كـــدُّهم مِـــن أجـــل نيـــل الـــدرهم

مَـــن غـــدرُهم فـــوق الـــرؤوس إشـــارة ... والغـــدرُ أقـــبحُ مـــا يُـــرى مِـــن دَيلـــم

مـــن قـــد سَـــبرتُ غـــرورهم وزيـــوفهم ... مَـــن بُغضُـــهم مَـــلءُ الســـرائر والـــدم

مـــن يَنصِـــبون لـــيَ الشـــباكَ تشـــفياً ... مَـــن كممـــوا بلظـــى تعنـــتهم فمـــي

مـــن أشـــمتوا فـــيَّ الأعـــادي غِيلـــة ... حتـــى غـــدوتُ فريســـة للـــوم

بينـــي وبيـــنهمُ المليـــكُ مُحاسِـــباً ... كُـــلاً ، وفـــي يـــوم عَســـير أيـــوم

يـــا دارَ (لبنـــى) قـــد عَتبـــتُ ، فأنصـــتي ... وعـــن البـــريء فـــدافعي ، وتكلمـــي

أنـــا ثابـــتٌ رغـــم الخطـــوب ومـــن طغـــى ... وإلـــى الـــرحيم شـــكوتُ مُـــرّ تـــألمي

والخيـــرُ أبقـــى عنـــد ربـــك دائمـــاً ... شـــتان بـــين مُـــؤخر خيـــراً وبـــين مُقـــدم!

لـــم أنســـحبْ مـــن حـــربهم مُـــتململاً ... أنـــا لســـتُ بـــالمُتحرج المُتلعـــثم

بـــل قـــد جهـــرتُ بحُجتـــي وقضـــيتي ... واجتـــزتُ بحـــراً مـــن جحـــيم مُضـــرم

دافعـــتُ عـــن نفســـي ، ولـــم أكُ كاذبـــاً ... وبـــرغم كـــل مُخـــادع مُـــتجهم

ولفظـــتُ مـــن قلبـــي الجـــريح أدلـــة ... لتكـــون فـــي ســـاح القضـــا كـــالمَعلم

وحـــدي انطلقـــتُ ، ولـــم أكـــنْ متخوفـــاً ... وبـــرغم ليـــل فـــي الكريهـــة حُلكُـــم

وحـــدي تحـــديتُ الألـــى لـــم يُـــذعنوا ... للحـــق ، والإقنـــاعَ لـــم أتوسّـــم

وحـــدي فجَـــرتُ دغـــاولاً كـــم أزمنـــتْ! ... والأمـــرُ أكبـــرُ مـــن مجـــرّد مَـــرهم

سَـــرطانُها أضـــحى يُكـــدِّر صـــفونا ... وبقاؤهـــا يُفضِـــي لجســـر جهـــنم

وحـــدي تحمّلـــتُ العـــذابَ منافحـــاً ... عمـــا أديـــنُ بـــه كمثـــل الضـــيغم

لـــم أرضَ فـــي دينـــي الدنيـــة لحظـــة ... وبـــرغم لســـع الأرقـــم

وحـــدي قهـــرتُ جمـــوعَهم وفلـــولَهم ... وبـــرغم غـــل مُكفهـــر مُعـــتم

هـــي صـــورة للختـــل لـــم أر مثلهـــا ... وإن ارتقيـــت إلـــى الســـماء بسُـــلم

رجـــلٌ أحـــبَ ، فعـــفَ لـــم يـــكُ هـــازلاً ... يومـــاً ، ولـــم يَعمَـــدْ لأي مُحَـــرم

خبَـــرَ الحيـــاة ، وكـــان مِـــن صُـــناعها ... ولـــه اجتهـــادٌ بالكِتـــاب القـــيم

شـــهدَ الجميـــعُ بعدلـــه وجهـــاده ... وبأنـــه فـــي الحـــق لـــيس بـــأبكم

بـــل ينصـــرُ الـــدينَ الحنيـــفَ بخطبـــةٍ ... شـــرعيةٍ تُلقـــى بلهجـــة خـــثعم

والضـــادُ مَركبـــة تبلّغـــه المُنـــى ... ولـــه لســـانٌ فـــوق ذلـــك أعجمـــي

فـــإذا بـــه يُصـــلى بلعنـــة جهلكـــم ... هـــذا ابـــتلاءٌ فـــوق طاقـــة مرقمـــي

والشِـــعرُ يَعجـــز أن يُصـــورَ كيـــدَكم ... لـــولا مصـــارعة الأســـى لـــم أنظـــم

فلقـــد سَـــخِرتُم مـــن قريضـــي ســـخطة والشِـــعرُ يـــا جُهـــال لـــيس بطِلســـم

هـــو عُـــدتي فـــي حـــربكم ونـــزالكم مهمـــا تعاضـــدتُم بكـــل تشـــرذم

هـــو ســـيفُ عبـــدٍ لـــيس يملـــكُ غيـــرَه بعـــد الـــدعاء علـــيكمُ بـــتحلم

وعلـــى مرورالـــدهر شِـــعري شـــاهدي بلســـان عـــدنان ولهجـــة جُـــرهم

هـــو داحـــضُ الشـــبهاتِ قـــد عَلِقـــتْ بنـــا مِـــن حِفنـــة المُتزيّـــدين الهُـــوم

هـــو غـــيظ أعـــداءٍ علينـــا كـــم بغـــوا! والنـــارُ صُـــبتْ فـــوق حِقـــد الســـوم

هـــو مَـــن ســـيروي قصـــة مكلومـــة لـــولا مواجهـــة العِـــدا لـــم تكْلـــم

هـــو مـــن سيصـــفح عـــن رُمـــوز أشـــكلتْ هـــو مـــن سيكشـــفُ كـــل لغـــز مُعْجـــم

هـــو مـــن ســـيُعطي للعتـــاب طيوفـــه كـــيلا يـــراه القـــومُ غيـــرَ مُلـــوم

يـــا دارَ (لبنـــى) بُحـــتُ بالســـر الـــذي منـــذ افترقنـــا لـــم أقلـــه لتعلمـــي

واللهَ اســـــألُ أن يُقيـــــلَ عَثارنـــــا فمَـــن الـــذي أدعـــوه غيـــرَ المُـــنعم؟!

إدانة وإهانة وإبانة!

(تأصلتْ عادة ذميمة في هذه الزوجة ـ موضوع قصيدتنا – حتى أدمنتها ، ألا وهي إدانة زوجها في كل قول أو فعل أو عمل! وتطور الأمرُ ، فتحولتِ الإدانة إلى إهانة ، وساعدَها على ذلك حِلمُ زوجها ومعاملتُها بالمعروف والصبرُ عليها! وزادتِ المبلة طيناً بإدخال أهلها الذين ليس عند أحدهم حِكمة ولا رُشد! وفي نهاية المطاف كانت ثافية الأثافي ألا وهي الإبانة عن زوجةٍ ناشز لا حل لنشوزها ولا علاج له ولا حِيلة تُجدي معها! فكتبتُ عنها هذه القصيدة منددا بأخلاقها المنحطة السافلة ، وداعياً الله العلي القدير أن يهديها ، وطلبتُ من الزوج المسكين المبتلى أن يصبر ويحتسب ، لعل الله يهديها ويصلحها! ولا يطلقها لئلا يُبتلى بها أخ مسلم! تقول معلمتنا الفاضلة والمستشارة التربوية الشرعية أم عبد الرحمن محمد يوسف تحت عنوان: (العناد في الحياة الزوجية) ما نصه بتصرف يسير: (إن الخلافات والفشل في المواجهة ووجود بعض الصراعات أمر لا مفر منه في الحياة الزوجية ، فكلنا يميل لأن يرى الأمور بصورة مختلفة نوعًا ما ، على الأقل بعض الوقت. ونحن شديدو الاقتناع بأننا على حق ، وهذا مرده في المقام الأول إلى أننا مقتنعون بأننا ننظر بصورةٍ صحيحةٍ للأمور ، وحتى عندما لا نكون على حق "فمن السهل أن باللائمة على شريك حياتنا ، أو على موضوع ما ، أو نقاش ما ، أو خلاف ما أو حتى عدم اتفاق كمبرر لعدم سعادتنا ، إلا أن الواقع يشهد أن الجاني الحقيقي في أغلب الأوقات هو عنادنا الشخصي ، وعدم رغبتنا في التنازل عن حاجتنا أن نكون على صواب دائمًا. ولو استطعنا أن نتخلى عن دافعنا الذاتي ونروض غرورنا وأن نتخلى عن ضرورة أن نكون شديدي العناد ، فمن المدهش تلك السرعة التي تحل بها المشاكل بدون إحداث أي ألم" (لا تهتم بصغائر الأمورفي العلاقات الزوجية – د.ريتشارد كارلسون ، وكريستين كارلسون ـ 368 ، 369 بتصرف). إن السر يكمن في الإيمان الراسخ بأن النجاح لا يعني أن نظل دائمًا على صواب ، وأن النجاح يتحقق بالتواضع ، وأن عدونا هو العناد وليس شريك حياتنا. في حديقة الحيوان: في حديقة الحيوان ، نظر الزوج إلى طائر صغير ، وأخذ يتأمله مع زوجته مع زوجته ثم قال: "ما أجمل هذا العصفور". فأجابت الزوجة: "عفوًا إنها عصفورة". فقال الزوج: "عصفور". فقالت الزوجة: "عصفورة". وتشبث كل منهما برأيه ، واحتدم الجدال ، وتحول إلى مناقشة ، فمشاجرة لم تهدأ نارها إلا بعد وقت طويل. وبعد مضي سنة تذكر الزوج هذه الحادثة ، فقال لزوجته ضاحكًا: "أتذكرين تلك المشاجرة البلهاء بخصوص العصفور؟". فقالت: "نعم أذكر ، كادت أن تحدث بيننا أزمة كبيرة بسبب عصفورة". فقال الزوج: "عصفورة! ولكنها لم تكن عصفورة بل عصفور". قالت: "كلا ، بل عصفورة". واحتدم القتال من جديد. هذه قصة رمزية ، فكم هناك من عصفور وعصفورة وراء المشاجرات بين الأزواج؟ مشكلة العناد: إن من أكبر المشاكل التي تعترض الحياة الزوجية مشكلة العناد ، فالعناد والتصلب في الرأي والجمود وعدم المرونة تضفي على الأسرة جوًا خانقًا ، وتنشر في البيت ظلالًا قاتمة ، وتهيئ المناخ لنفثات الشيطان وهمزاته ، مما ينذر بالاقتراب من الخطر ، ولذلك فإن مراعاة كلا الزوجين لطباع الآخر ، ومحاولة التكيف والتفاعل مع ما يصعب تغييره أمرٌ يحتمه الوعي والذكاء الزوجي. إن الزوج الذي يتفرد برأيه مخطئ ، والذي يتخذ القرار غير الصائب لمجرد مخالفة رأي زوجته ، وقد تبين له صوابها ، هو رجل لا يقدر المصلحة ، ويضع كبرياءه في موضعه ، ويحقق انتصارات زائفة لا مكان لها إلا في عقله هو دون أحد سواه ، كما أنه يفقد مكانته لدى زوجته. من يبدأ أولًا: إن من الملاحظ دائمًا أن عناد الزوج يسبق عناد الزوجة! فالأخير يأتي غالبًا كرد فعل لعناد الزوج ، وتعليل ذلك أمر سهل ، فالزوج يبذل ما يستطيع من جهد لإثبات سيطرته وهيمنته ، بإلغاء ومحو أي رأي خلاف رأيه ، وهو حين يفعل ذلك يضع

الزوجة في موقف يحتم عليها أن تتخذ لنفسها موقفًا من ثلاث: - إما التصادم معه. - أو مهادنة هذا الموقف المستفز والسكوت والهدوء. - أو دفع الزوج لفتح باب الحوار معها. فتأخذ شكل العناد السلبي ؛ لكسر صراحة رأي الزوج وتمييع قراراته ، كي تفتح ثغرة للحوار والمناقشة بأقل قدر ممكن من الخسائر. موقف عناد: وقف أحد الأزواج يرن جرس الباب وزوجته بالداخل نائمة لا تفتح وحجتها في ذلك أن معه مفتاحًا للباب ، فلماذا يرن الجرس ويزعجها بالنهوض لفتح الباب له واستقباله؟ وتعتبر ذلك نوعًا من الاستعباد لمجرد السيد الرجل وسيطرته ، وظلت تهذي بهذه الأفكار المنكرة على الرغم من أنها رأته حاملًا في كلتا يديه بعض طلبات البيت من خبز وفاكهة وخلافه ، وأنه كان يستعين ببعض ما تبقى له من أجزاء يده في رن الجرس ، وظلت تبادله الحجة بالحجة وتجادله وترد عليه كلمة بكلمة ، وأنه كان بإمكانه وضع ما معه على الأرض ، حتى يفتح الباب بالمفتاح ثم يحمل هذه الأشياء مرة أخرى ، فهل هذه الزوجة تنشد الاستمرار والنجاح مهما كان زوجها صبورًا واسع الصدر؟ إن عناد الزوجة تدفع الزواج على طريق شائك. من أسباب العناد: - قد يكون السبب في عناد الزوجة راجع الى الزوج ، فإن تسلط الزوج وعدم استشارته للزوجة وتحقير رأيها والاستهزاء به يدفع الزوجة الى العناد. - عدم تكيف الزوجة مع الزوج والشعور باختلاف الطباع ، فيكون العناد هو صورة التعبير عن رفض الزوجة سلوك زوجها. -عدم الانسجام بين الزوجين في حياتهما الزوجية. - قد ترجع أسبابه الى أسباب في النشئة والتربية. - للعناد أسباب نفسية وتربوية مختلفة، تختلف باختلاف التربية الأسرية ، والعلاقات الوالدية ، وأسلوب الثواب والعقاب ، ومستوى الوعي الثقافي والفكري ، ودرجة النضج والإدراك ، إلى غير ذلك من أسباب. والعناد نوعان: إيجابي وسلبي. العناد الإيجابي ويتمثل في عناد الإرادة والتصميم! وهو إذا أصر الطفل على محاولة إصلاح لعبة أو غيرها محاولات عديدة حتى يصل إلى إصلاحها تمامًا ، وهذا النوع من العناد نشجعه وندعمه حتى تقوى إرادة الإنسان في الوصول للنجاح. أما العناد السلبي فيأخذ صورًا مختلفة نتيجة أسلوب وطريقة التربية الأسرية ، فهناك عناد مفتقد للوعي والإدراك والنضج ، مثال إذا أصرت الزوجة على شراء أشياء كمالية لا داعي لها ، وظروف زوجها المالية لا تسمح ويحاول إقناعها بشتى الطرق ولكنها تصر على طلباتها دون وعي وإدراك بظروف زوجها ، فتتسبب له في مشكلاتٍ عديدة ، ويحدث بينهما فجوة. كما أن هناك من الزوجات من تعتقد أن إصرارها على مواقفها يدل على قوة شخصيتها ويزيد من قيمتها ومكانتها عند زوجها فيحقق لها ما تريد. علاج العناد بين الأزواج: - معرفة أسباب العناد. - معرفة ما يغضب كل طرف لمراعاة مشاعر الطرف الآخر وفي حالة الخطأ يعترف بالخطأ ويعتذر. - قليلًا من العناد وكثيرًا من الحب والود واللين والمرونة. - تجنب موطن النزاع والبحث عن النقاط المشتركة ، فمن المعروف أن العلاقة الزوجية القائمة على التفاهم والوضوح والتضحية والتسامح والتجاوز عن الهفوات ، والتغاضي عن الزلات تساهم في استمرار الحياة الزوجية وقوتها بحب ومودة واحترام ، أما إن قامت العلاقة بين الزوجين على الأنانية والعناد وتصيد الأخطاء والمشاجرات المستمرة على كل صغيرة وكبيرة ، فإن ذلك يسرع بتصدع الأسرة وتنكلها ، ويشتت شمل أفرادها ، وقد يقضي على كيانها. - المرأة المسلمة تراعى زوجها لأنه أمانة في يدها ، فهي منبع الإحساس والرحمة والمشاعر وتدفق الحنان ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك: «ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة: الودود الولود الغيور على زوجها التي إذا آذت أو أوذيت جاءت حتى تأخذ بيد زوجها ثم تقول: "والله لا أذوق غمضًا حتى ترضى عني" هي في الجنة هي في الجنة» (رواه الطبراني). - دخول طرف ثالث: من أحد الأسرتين أو كليهما ، استشارة زواجية ثم علاج زواجي أو عائلي. ودخول الطرف الثالث يصبح ضروريًا فى حالة إصرار أو عناد أحد الطرفين أو كليهما ، وفي حالة تفاقم المشكلة بما يستدعى جهودًا خارجية لاستعادة التناغم في

الحياة الزوجية بعد إحداث تغييرات في مواقف الطرفين من خلال إقناع أو ضغط أو ضمانات خارجية تضمن عدم انتهاك طرف لحقوق الآخر).هـ. ألا إن انتقاد الزوج في كل أمر سواءً كان على حق أم كان على غير الحق ، أمرٌ يزهقُ رُوحَ العشرة الزوجية! وزوج قصيدتنا صبرَ طويلاً ، ودعا الله تعالى وألح في دعائه أن يهدي الله تعالى هذه الزوجة ، وانتظر أن تُقلع عن هذه العادة السيئة المُسيئة التي تحرقُ الأعصاب وتوترُ النفس وتُحزنُ القلب وتقلقُ الوجدان وتُعذبُ الروح وتكسرُ الخاطر! كما اعتاد الزوج أن يُبرر ويُبين وجهة نظره ويسوق دليل براءته ، ولمَّا لم يجد تحسناً أو تغييراً اكتفى بالصمت والتجاهل والتغافل! فاتخذتِ الزوجة الراعنة من سلوكه هذا ذريعة للنيل منه وسُلماً لإهانته في المنشط والمَكره ، في السر والعلن! وتدخلَ أهلها الحمقى بناءً عن طلبها ، وأفشتْ أسرار زوجها لهم ، فوسَّعتْ الهوة ، وبين الإدانة والإهانة كانت هناك حياة زوجية مُرة وبات العدمُ خيرٌ منها! وازدادتْ رُعونتُها للحد الذي جعلها تتأففُ من كل شيئ يتعلقُ بزوجها: كلامه وسلامه ، لِباسه ومِشيته ، مَظهره ومَخبره ، سِره وظاهره ، رائحته وتسريحة شعره ، قراراته وآراؤه وأفكاره! وراحتْ تُفشي من أسرار الرجل ما يُشينه أمام أولاده وأمام أهلها وأمام الضيوف والجيرانه! واستغلتْ شيخوخة الرجل وضعفه وهوانه وقِلة حِيلته وفقره الذي كان سبباً مباشراً فيها نظامُها المالي وتدخلُ أهلها وإعطاؤها الضوءَ الأخضرَ لهم ليتصرفوا في ماله كيف شاؤوا إلى أن أصبح فقيراً بينه وبين مَدِّ كَفه للناس ليأكل قليلُ مسافة ، لولا سترُ الله تعالى! فبانتْ حقيقتها أن بها رعونة تتوزعُ على قارة أفريقيا! فلم يعد لها في قلبه مكان ، ولم يعد لها في نفسه احترام ، فكرهها بقدر ما كان يحبها وربما أكثر! وكانت قد رحبتْ ببُعده عنها وافتراقه ، ورأتْ في ذلك فرحة تُسليها ، وكنتُ قريباً منهما ، وأعرف كثيراً عن حياتهما ، فكتبتُ هذه القصيدة بهذا العنوان القاسي نذيراً لها ، ولكل زوجةٍ راعنةٍ ناشر! عسى الله أن يأتي بالفتح أو بأمر من عنده!)

غمَـــــزتُ لِحَبكـــــة الشِّـــــعر اليَراعـــــا ... فنـــــاولني – مـــــن التبيـــــان - باعـــــا

ولقننـــــي مـــــن التحـــــذير درســـــاً ... يُجَنبنـــــي المَذلـــــة والضَّـــــياعا

وناصَـــــحَني بـــــأن أحيـــــا طليقـــــاً ... وإنْ عانيـــــتُ فـــــي العـــــيش الصِّـــــراعا

يَمـــــينَ الله لا يَرضـــــى بـــــذل ... أبـــــيٌ نفسَـــــه لله باعـــــا!

وكيـــــف يعـــــيشُ مبتئســـــاً حزينـــــاً ... يُكابـــــدُ الانكســـــارَ والاختضـــــاعا؟!

وهـــــذا العـــــيشُ مَـــــدٌ بعـــــد جَـــــزر ... كمثـــــل البحـــــر يَمـــــتحِنُ الشـــــراعا

وكـــــل النـــــاس يَلحقهـــــم بـــــلاءٌ ... تُقسَّـــــمُ بيـــــنهم صـــــاعاً فصـــــاعا

فعبـــــدٌ صـــــاعُه فـــــي كسْـــــب قـــــوتٍ ... فمـــــدُّ الكـــــف يَختـــــرمُ الـــــذراعا

وعبـــــدٌ صـــــاعُه فـــــي ابـــــن غضـــــوب ... يُناولـــــه التـــــذمُّرُ الانـــــدفاعا

ويَســـــقيه العقـــــوقُ كـــــؤوسَ قهـــــر ... ويُفلـــــحُ لـــــو تعقـــــلَ أو أطاعـــــا

وعبـــــدٌ صـــــاعُه فـــــي البنـــــت تعصـــــي ... وتكـــــرَهُ الاجتهـــــادَ والاطلاعـــــا

وتتخـــــذ الســـــفورَ لهـــــا ســـــبيلاً ... كـــأن الســـترَ مـــا اشـــتُرعَ اشـــتراعا

ولا ترعَـــــى أوامـــــرَ مَـــــن يُرَبـــــي ... وخطـــــبُ عُقوقهـــــا العـــــاتي تـــــداعى

وعبـــــدٌ صـــــاعُه نسَـــــبٌ وَضِـــــيعٌ ... فأصـــــــهارٌعليه غـــــدَوا سِـــــباعا

بـــــه انتفعـــــوا ، ومـــــا شـــــكروا جمـــــيلاً ... ويُزْكـــــي الشـــــكرُ بَـــــذلاً وانتفاعـــــا!

وعبـــــدٌ صـــــاعُه جيـــــرانُ سُـــــوءٍ ... غـــدَوا فـــي سُـــوء جيـــرتهم ضِـــباعا

فمـــــا حفظـــــوا الجـــــوار ولا التـــــآخي! ... علـــــى كيـــــل الأذى اجتمعـــــوا اجتماعـــــا

وعبـــــدٌ صـــــاعُه مُـــــدَراءُ كـــــادوا ... وإنْ أمَـــــروا غـــــدا أمـــــراً مُطاعـــــا

كـــــأنَّ موظفـــــاً ورثـــــوه عبـــــداً ... يُطـــــيعُهمُ ، ويُبـــــدِي الاقتناعـــــا

وعبـــــدٌ صـــــاعُه زوجٌ تأبَّـــــتْ ... عليـــــهِ ، وصَـــــمتُه أمســـــى دِفاعـــــا

تعِيـــــبُ عليـــــه فـــــي سِـــــر وجهـــــر ... وباتـــــتْ فـــــي النســـــا الأخـــــزى طِباعـــــا

وكيـــــف تعِيـــــبُ زوجـــــاً دون حـــــق ... وتختـــــرعُ الفِـــــرى عنـــــه اختراعـــــا؟!

وكيـــــف تُدينُـــــه فـــــي كـــــل شـــــأن ... وتلقـــــى مـــــن أقاربهـــــا اســـــتماعا؟!

وكيـــــف تنـــــالُ منـــــه وتزدريـــــهِ ... ومِـــــن ألفاظهـــــا التـــــاعَ التياعـــــا؟!

وكيـــــف تُـــــذيعُ أســـــراراً وتُفشـــــي؟ ... فـــــأين الرُّشـــــدُ إمَّـــــا السِّـــــرُّ ذاعـــــا؟!

وإنْ يغضـــــبْ فنِقمتُهـــــا عِـــــلاجٌ ... ويُمســـــي الكـــــلُّ إنْ كـــــادتْ جياعـــــا

وكيـــــف تُهـــــينُ زوجـــــاً ذاب فيهـــــا ... غرامـــــاً ، واســـــألوا عنـــــه اليراعـــــا!

لـــــه فيهـــــا القصـــــائدُ لا تُبـــــارَى ... وديوانـــــاً لهـــــا مُلكـــــاً مُشـــــاعا!

تســـــمَّى باســـــمها حبـــــاً ووداً ... وأحـــــرى أن يُســـــمِّيَها لكاعـــــا!

وأدخلهـــــا بـــــه التـــــاريخ فضـــــلى ... قصـــــائدُها تجـــــاوزتِ الرِّباعـــــا!

يُغنيهـــــا الأنـــــامُ بكـــــل صُـــــقع ... قريضـــــاً شمسُـــــه تُزجـــــي الشـــــعاعا

يُحـــــاكي شِـــــعرُه مـــــا صـــــاغ (قـــــيسٌ)! ... وشِـــــعرُ (القـــــيس) عـــــن (لـــــيلاه) شـــــاعا!

يُحـــاكي (عنتـــراً) ، والشـــعر يســـمو ... بـــ (ـــعبلة) ، والقـــريضُ غـــزا الســـماعا

فكيـــف تُحَـــوِّلُ المـــدحَ انتقاصـــاً ... بتعييـــر قـــد اجتلـــبَ الوجاعـــا؟!

وتجعـــلُ منـــه (بُهلـــولاً) تـــدنى ... فـــإنْ يـــكُ مولـــدٌ حمـــلَ القِصـــاعا!

غـــدا أضـــحوكة بجِمـــى ذويهـــا ... وهـــم قـــومٌ يُجيـــدون الخـــداعا

إدانتُهـــا لـــه أمســـتْ ســـلاحاً ... بكـــل يـــدٍ تُـــؤجِّجُ الاصـــطراعا!

فمـــا احترمـــوهُ ، بـــل عـــابوهُ جهـــراً! ... وأســـقط بالمُواجهـــة القِناعـــا

فعَـــرَّى الكـــل ، لـــم يســـتر علـــيهم ... يزيـــدُ الســـترُ مـــن هبطـــوا ارتفاعـــا!

ولـــم يـــكُ ظالمـــاً إذ قـــال فـــيهم ... مقـــالاً بُعـــدُه اتســـع اتســـاعا

فخـــصَّ بكـــل مُجتـــرم قصـــيداً ... يُناولـــه إذا قـــرأ الصُّـــداعا

وردَّ علـــى إهانتهـــا بعـــدل ... فصـــاعُ المَكـــرَ كـــالَ لـــه صُـــواعا!

فلـــيس يُحـــبُّ ربُّ النـــاس جهـــراً ... بســـوءٍ مَـــجَّ صـــاحبُه النزاعـــا

فـــإن ظلِـــمَ البـــريءُ ، وضـــاع حـــقٌ ... ليَجهـــرْ ناشـــراً بالصـــاع صـــاعا

وأســـفرتِ الإبانـــة عـــن لئـــام ... قـــد احتاجـــتْ مكائـــدُهم شُـــجاعا

يـــردُّ علـــى الأراذل ، لا يُبـــالي ... سُـــفوحَ البَنـــد جـــاز أم الطِلاعـــا!

وينتـــزعُ الحقـــوقَ مـــن الخزايـــا ... فـــإن الحـــق يُنتـــزعُ انتزاعـــا!

ولا يحتـــاجُ أمـــرُهُمُ التـــرَوِّي ... فمـــا الأمـــرُ اســـتوى كـــالأمر ماعـــا!

لـــه حِيَـــلٌ ثـــلاثٌ فـــي التلاحـــي ... قـــد اتبـــعَ الهُـــدى فيهـــا اتباعـــا

فأولاهـــا القـــريضُ لـــه شُـــواظ ... لعـــل الهُـــزء يُقتلـــعُ اقتلاعـــا

وثانيهـــا الـــدعاء علـــى غِـــلاظٍ ... غـــدا حـــلاً جميـــلاً مســـتطاعا

وثالثهـــا انتظـــارُ لقـــاء رَبٍّ ... يُعيـــدُ الحـــق مُـــذ ولـــى وضـــاعا!

خياران أحلاهما مُر 2!

(تزوجها على كتاب الله تعالى وسُنة رسوله – صلى الله عليه وسلم - ، ليس يَطمحُ إلى شيءٍ سوى مرضاة ربه ، بينما كانت لها ولأهلها مطامحُ أخرى ومطامعُ مختلفة ! ولما تحققتْ هذه المطامحُ وتلك المطامعُ ، وأدركتْ أن الرجل كان قد طعنَ في السن ، تمردتْ عليه ، واتخذتْ من أهلها حِصناً ودِرعاً ، وبات الرجلُ بين خِيارين أحلاهما مُرٌ للغاية: إما أن يستمر معها ريثما ينصلحُ الحال ، وإما أن يتزوجَ من أخرى مُضحِّياً بكل ما يملك! وفي هذه الحالة يكونُ قد ضَيَّع على أولاده أموالاً وعقاراتٍ شتى يملكها! وبعد دراسةٍ واستخارةٍ تصبرَ الرجل ، وارتأى أن يترك أولاده أغنياء! فإن ذلك أولى! وضحَّى بنفسه في سبيل تلك الغاية! وكما عنوَنا للقصيدة بأن هذا الخيارَ خِيارٌ مُر! وأمَرُّ منه أن يتزوج من أخرى صالحةٍ يستعيد على يديها ما افتقده من الشباب! وهذه مغامرة ، فإنه لا يضمن الثانية!)

حـــارَ فِكـــري مـــا بـــين ضِـــدٍ وضِـــدِّ ... والمـــوازينُ أشـــكلتْ بعـــدُ عِنـــدي

وابتأسْـــتُ إذ ضِـــعتُ كمًّـــا وكيفـــاً ... كيـــف آلـــتْ حـــالي لهـــذا التـــردي؟!

كيـــف هُنـــتُ حتـــى طـــوتْني خطـــوبي؟! ... وعلـــى ماضـــي العمـــر كـــم طـــال وجـــدي!

كـــم بـــذلتُ الخيـــورَ عـــن طِيـــب نفـــس ... رغـــم أحـــوال بـــين جَـــزْر ومَـــد!

كـــم تحمَّلـــتُ أنفســـاً لا تُبـــالي ... سَـــربلتْ عَيشـــي بـــين بَـــرق ورَعـــد!

كـــم تغاضـــيتُ عـــن بلايـــا عِظـــام ... صـــانعوها كـــم أمعنـــوا فـــي التحـــدي!

كـــم تكلفـــتُ كـــي أبَلـــغ غيـــري ... مـــا تمنـــى مـــن كـــل خيـــر وسَـــعد!

كـــم تنازلـــتُ عـــن حقـــوقي لغيـــري ... عَلنـــي أحظـــى ذات يـــوم بـــرَدّ!

كـــم نصـــحتُ مَـــن عـــاقبوني لنصـــحي ... ثـــم كـــادوا ، وبـــالغوا فـــي التعـــدي!

كـــم وعظـــتُ قومـــاً أبـــوا كـــل وعـــظٍ! ... ليتنـــي كنـــتُ صُـــنتُ بـــذلي وجُهـــدي!

مِثـــلَ كـــل زوج تزوجْـــتُ فضـــلى ... أظهـــرتْ لـــي طوعـــاً صُـــنوفَ الـــود

فـــاخرتْ بـــي أهـــلاً وصَـــحباً وقربـــى ... وحبتْنـــي الألقـــابَ فـــوق الحـــد

نـــاولتْني تشـــجيعَها عـــن يَقِـــين ... فانطلقـــتُ أســـعى لنيـــل المجـــد!

دون شـــرطٍ أعطـــتْ لينـــزاح همـــي ... واســـتزادتْ فـــي جُودهـــا دون قيـــد

وقضـــينا عقـــدين فـــي خيـــر حـــال ... والوفـــاقُ للخيـــر والبـــر يَهـــدي

ودوامُ الأحـــوال شـــيءٌ مُحـــالٌ ... حيـــث عِشـــتُ انقـــلابَ ضِـــدٍّ لِضِـــد

عَضَـــلتْ بـــي الحيـــاة لمَّـــا اســـتبدتْ ... زوجـــة غالـــتْ عِشـــرتي بالحِقـــد

وهـــنَ العظـــمُ ، والمَشِـــيبُ اعترانـــي ... والقـــوى هِيضـــتْ عنـــدما التـــاعَ كَبْـــدي

وارتضـــتْ زوجـــي ذِلتـــي وانكســـاري ... ولـــذا خانـــت فـــي الكُهولـــة عَهـــدي

قلبـــتْ لـــي ظهـــرَ المِجَـــنِّ اعتباطـــاً ... والـــدموعُ ســـالتْ علـــى كـــل خـــد

تخِـــذتْ ردْءاً أهلهـــا ، فتقـــوَّتْ ... والجميـــعُ فـــي الظلـــم أشـــرسُ جُنـــد!

لـــم يَعُـــدْ لـــي إلا خيـــاران قطعـــاً ... لـــم يعُـــدْ وقـــتٌ بـــين أخـــذٍ ورَد

إنَّ فصـــلَ الخطـــاب أدلـــى بـــدَلو ... وإذا بـــي لا أســـتطيعُ التصـــدي

هـــل زواجـــي يَحُـــل أعتـــى القضـــايا؟ ... هـــل يُعِيـــدُ الصـــبا زواجـــي بخَـــود؟!

هـــل يَسُـــرُّ الـــنفسَ ارتبـــاطي بـــأخرى ... ذاتِ ديـــن حـــق ، وحُسْـــن ، وزُهـــد؟!

تحتفـــي بـــي مـــن بعـــد لأي وضـــنكِ ... إن تبـــدتْ تغتـــالُ ضِـــيقي وسُـــهدي

إن هـــذا – واللهِ – أشـــقى اختيـــار ... قـــد يَزيـــدُ حِنقـــي وحُزنـــي وحَـــردي

والمصـــيرُ المعهـــودُ مكـــرٌ وكيـــدٌ ... هـــل يفـــوقُ كيـــدَ الحليلـــة كيـــدي؟!

ربمـــا تُـــؤذيني بشـــتى الأواذي ... أو حظِيـــتُ منهـــا بلعـــن وطـــرد

أو أعـــيشُ بالصـــبر حتـــى ألاقـــي ... خـــالقي المَـــولى ، ثـــم أســـكنُ لحـــدي!

إن هـــذا الخيـــارَ أهـــدى ســـبيلاً ... رغـــم إخـــلال يَعتريـــه ونقـــد

قـــد يكـــونُ فـــي الصـــبر أرجـــى عِـــلاج ... ســـاقه لـــي بعـــد الـــدعا بعـــضُ رُشـــد

كـــم بلايـــا بالصـــبر والرُّشـــد تُـــزوَى ... عنـــدما تُمســـي زوجـــة شـــرَّ نِـــد!

قـــد يَزيـــدُ الـــزواجُ حـــالي اكتئابـــاً ... وانفعـــالاتٍ مـــا لهـــا مِـــن خَمـــد

بينمـــا بالصـــبر العـــذاباتُ تخبـــو ... ثـــم فـــي يـــوم الحشـــر جنـــاتُ خلـــد

قِصَّـــتي فيهـــا الصـــبرُ سَـــمتٌ وهَـــديٌ ... صُـــغتُها بالأشـــعار بعـــد الســـرد

ولربـــي الـــرحمن أكبـــرُ فضـــل ... ولـــه شُـــكري بعـــد ذِكـــري وحمـــدي!

دفاعُكِ عن نفسك أولى!

(عندما يكون الإنسان في موضع شبهة ، فإنه ينبغي عليه أن يدافع عن نفسه ، ليظهر الحق وليتبين للناس من حوله الحقيقة كاملة غير منقوصة. وهذه امرأة مازال الوشاة بزوجها حتى قلبوا له ظهر المِجَن عنها ، وصارت هناك فتنة لا يعلم إلا الله مداها ، وأوقدتِ النار لتحرق بريئين ، وليصطلي فيها من لم يرتكب إثما ولا خطيئة. وذلك أن الزوج ذهب ليتبين فكانت أولى كلماته: اذهبي من هذا المكان ريثما يهدأ الجو فنناقش ماذا لنا وماذا علينا! فلم تستجب! فقال: أليست طاعتي واجبة؟ اذهبي ولنا كلام آخر. فلم تستجب ، كما أنها لم تدافع عن نفسها فيما نسبه الوشاة إليها ، فزادت بذلك حبات الطين بلة ، وأضافت إلى النار الوقود ، وأججت الفتنة بصمتها ، فلم يتمالك الزوج نفسه فليس ملاكاً ، كما أن الفرص التي أعطاها لها قد نفدت ، فراح يرد عليها وينتصر لما قالته على ألسنة الوشاة. ذلك أنها لم تدافع عن نفسها ببنت شفة ، فأخذ على عاتقه أن يحملها على الاعتراف أو الرحيل ، فلم يكن شئ من ذلك إطلاقاً. وبعد أن وضعت الحرب أوزارها ، راحت تلوم الزوج وتطلق لسانها في عرضه بدون وجه حق لها في ذلك. الأمر الذي جعله يأخذ موقفا منها ريثما ترجع. قال محمد المنجد في وجوب إصلاح ذات البين والتحذير من الإيقاع والإفساد بين الناس ما نصه: (إن الشريعة قد رغبت في جمع القلوب والإصلاح بين الناس وأن يكون أمر المسلمين مجتمعاً ، ولذلك جعلت الأخوة أمراً مرغوباً فيه ، مثاباً عليه لمن قام بحقه ، وكذلك دعت إلى رفع ضده ومقاومة كل ما يشينه ، ولذلك ترى الشريعة قد أمرت بإفشاء السلام ، وإجابة الدعوة ، وعيادة المريض ، وكل ما من شأنه أن يقرب بين المسلمين ، ونهت عن الكذب والنميمة والغيبة ، وعن الهمز واللمز والسخرية ، وعن كل ما من شأنه أن يسيء العلاقة ويقطع المودة بين المسلمين ، ومن الإجراءات التي جاءت الشريعة بها لأجل الحفاظ على العلاقات بين المسلمين إصلاح ذات البين. ونحن في مجتمعٍ مادي تغلب عليه المادة ، وتكثر فيه المعاصي ، ولذلك فإن الخلافات لا بد أن تكثر تبعاً لذلك ، والدعاة إلى الله عز وجل - بل وجميع المسلمين - عليهم واجب إصلاح ذات البين ، ومحاولة إزالة ما في النفوس ، وهذا من العبادات العظيمة ولا شك. أما الإصلاح بين الناس فإنه واجب ، قال الله تعالى: (وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ). والصلح يكون بين متغاضبين كالزوجين ، ويكون في الجراحات كالعفو على مال ، ويكون لقطع الخصومة ، كما إذا وقعت المزاحمة في الأملاك أو المشتركات).هـ. جزا الله خيراً الأستاذ المنجّد على ما قال!)

كُفي عن الشكوى ، وعودي القهقرى ... وتريثي في وصف نيّات الورى

أعطِيتِ فرصتكِ التي استكثرتُها ... وأنا الذي ما كنت أعلم ما جرى

في فتنةٍ عصفتْ بقلبي والنهى ... في معشر أضحى يلوكُ المُنكرا

أعطيتِهم فرصاً تُعضدها المُدى ... أما أنا ، فلقد تجرّعتُ الثرى

لم تسبُري أغوارهم إذ أوقعوا! ... إن الذي حاكوه إفكٌ مفترى

فيكِ استطالوا جهرة ، وتخرّصوا ... وكبيرُهم – فيما ادعاه – قد امترى

لمّا يُراعوا حُرمة في خوضهم ... ومتى استبان الدربَ أصحاب الفِرى؟

وأنا ضحية مكرهم وخِداعهم ... إذ لم أقابلْ طيباً أو خيّرا

نسبوا إليكِ مَخارفاً تُزري بنا ... والعقلُ فيما لفقوا ما فكّرا

وأنـــــا أتيتُـــــكِ حـــــائراً متحققـــــاً ... أرجـــو التمـــاس الحـــق فيمـــا دُبّـــرا

ســـحْرُ الكـــلام ســـبا جميـــع مـــداركي ... فرأيتُنـــي – فـــي النـــاس – أجتـــرّ المِـــرا

ورأيتُنـــــي – فـــــيهم – ضـــــحية كيـــــدهم ... والكيـــد – عـــن ثِقـــل الدســـائس - أســـفرا

والمســـــــرحية فصّـــــــلتْ ألغازهـــــــا ... والمعتـــدي - عـــن ســـاق غـــدر - شـــمّرا

والكـــل أعـــرض عـــن نصـــيحة ثـــائر ... أمســـى – علـــى هـــذي الضـــعيفة قيصـــرا

كـــال المطـــاعنَ – فـــي الجـــدال - معرّضـــاً ... بمواقـــفٍ ســـبقتْ ، ولـــتّ وكـــرّرا!

وتكلـــف الألفـــاظ ، لـــم يـــكُ منصـــفاً ... فـــي مشـــهدٍ فيـــه اللهيـــبُ تســـعّرا

لـــم يـــألُ جهـــداً فـــي المعائـــب ســـاقها ... حتـــى يحسّـــن – فـــي الســـجال - المنظـــرا

والشـــــامتون تفكّهـــــوا واســـــتهزأوا ... وكبيـــــرُ فتنـــــتهم شـــــدا وتنـــــدّرا

والعـــــاذلون توقعـــــوا أن يشـــــهدوا ... حربـــاً تُصـــارعُ مَـــن بغـــى وتهـــوّرا

وصَـــمَتِّ ، والأحـــرى بـــأن تتكلمـــي ... كـــيلا ألاقـــيَ – فـــي الصـــراع - مُبـــررا

حتـــى تـــردي شـــبهة فتكـــتْ بنـــا ... وتُحطمـــي ســـيفاً مبيـــراً مُشـــهَرا

أنـــا مـــا عهـــدتكِ – فـــي الشـــجار - غبيـــة ... خرقـــاء تجتـــرّ الشـــتائم والمِـــرا

أوَمـــا نظـــرتِ العـــينَ تقـــدحُ شـــرّها ... كشـــواظ نـــار ، مـــا استســـاغ المِجْمـــرا

أوَمـــا ســـمعتِ زئيـــرَ ليـــثٍ حـــارب ... فمـــن اســـتفز الليـــث حتـــى يـــزأرا؟

تعســـاً لمـــن - بـــالمكر - فـــرّق بيننـــا ... وأراد تمزيـــق الأواصـــر والعُـــرَى

للهـــمّ دمّـــرهُ ، وأبطـــلْ سِـــحرهُ ... كـــيلا يعـــاود كيـــده ، أو يســـحرا

واثـــأر لنـــا منـــهُ ومـــن أعوانـــه ... واجعلـــه عِبـــرة مـــن تطـــاول وافتـــرى

(تزوجا على حُب في الله كبير. وكانا سبباً في إسعاد العائلتين. وكان جزاء معروفهما الإساءة من كلا الطرفين. فطالبتها بأن لا تبالي بهم ، إذ إنها وزوجها قد قدما الخير للكل ابتغاء وجه الله – تعالى -. فإذا كان الأهلون ليسوا بأهل للمعروف والخير ، فإن الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة. وإذا لم يشكر الناس معروف زيد فإن الله يجزي على الإحسان إحساناً ، ويشكر لمن فعل الخير ابتغاء مرضاته. فطفقتْ هذه الزوجة المسكينة تسأل زوجها وتجادله وتشتكي إلى الله – عز وجل - وتقول: لماذا هذه الروح المنكِرة للمعروف؟ ولماذا هذه الطبيعة التنكرية للإحسان؟ فقلت: المرء يعمل مع الله ويبتغي ما عنده ، فلا ينبغي له أبداً أن يحزن أو يقول: لم يعترف الناس بجميلي عليهم وإحساني إليهم. أقول: إن هم أخطأوا بعدم اعترافهم بالجميل ، فإن هذا لا يعني إحباط العمل عند الله بالمن على الناس! يقول الأستاذ بسّام عودة عن نكران الجميل والمعروف ما نصه بتصرف: (إن الإنسان سيؤدي إلى الآخرين بعض ما يحتاجون إليه ، كما إنه سيأخذ منهم بعض ما يحتاج إليه. وقد وجه النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى الاعتراف بالجميل ، وعدم نكرانه. فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أُعطيَ عطاءً فوجد فليجْز به ، ومن لم يجد فليثن ، فإن مَن أثنى فقد شكر ، ومن كتم فقد كفر ، ومن تحلَّى بما لم يُعْطَهْ كان كلابس ثوبَي زور". أما أن يحسن الآخرون إلى أحدنا فلا يجدون إلا نكرانًا ، فهذا دليل على خِسَّة النفس وحقارتها. إذ النفوس الكريمة لا تعرف الجحود ولا النكران! بل إنها على الدوام وفيّة معترفة لذوي الفضل بالفضل. فحين لا يقر الإنسان بلسانه بما يقر به قلبه من المعروف والصنائع الجميلة التي أسديت إليه ، سواء من الله أو من المخلوقين فهو منكر للجميل جاحد للنعمة. عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل معروف صدقة ، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق ، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك). [رواه الترمذي]. ومن ثمرات صناعة المعروف:- 1- صرف البلاء وسوء القضاء في الدنيا والآخرة. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من يسّر على مُعسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة). [رواه ابن ماجه]. وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه أبو أمامة: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب). [رواه الطبراني] 2- دخول الجنة. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن أول أهل الجنة دخولاً أهل المعروف). [رواه الطبراني] 3- مغفرة الذنوب والنجاة من عذاب وأهوال الآخرة. عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا: أعملت من الخير شيئاً؟ قال: لا. قالوا: تذكّر ، قال: كنت أداين الناس فآمر فتياني أن يُنظروا المعسر ويتجوزوا عن الموسر ، قال: قال الله: عز وجل تجوزوا عنه). وفي رواية عند مسلم (فقال الله أنا أحق بذا منك ، تجاوزوا عن عبدي). هذا ، ومن ثمرات نكران المعروف:- 1- نكران الجميل سببٌ لدخول النار. – فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أُريت النارَ فإذا أكثر أهلها النساء ، يكفرن". قيل: أيكفرن بالله؟ قال: "يكفرن العشير ويكفرن الإحسان! لو أحسنتْ إلى إحداهنَّ الدهر ، ثم رأتْ منك شيئًا قالت: ما رأيتُ منك خيرًا قط". 2- نكران الجميل سبب العقوبة وزوال النعم. قال الأصمعي رحمه الله: سمعت أعرابيًا يقول: أسرع الذنوب عقوبة كفر المعروف. 3- نكران الجميل سبب لهجر أحبائك لك بل والناس تنفر منك. 4- نكران الجميل سبب لمرض القلب الحسي والمعنوي . ومن آداب صناعة المعروف:- 1- شكر الله عز وجل أولاً ، إذ هو المنعم الحقيقي. قال الله تعالى: {يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون}. 2- شكر صاحب المعروف. فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله). [رواه الترمذي] 2- أن يقبل المعروف الذي

أسدي إليه. فعن خالد بن عدي الجهني قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من بلغه معروف عن أخيه من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله ولا يرده ، فإنما هو رزق ساقه الله عز وجل إليه)هـ . ثم إني أزيد الأمر وضوحاً فأقول: (إذا كان هذا سمت كثير من الناس مع ربهم تبارك وتعالى ، فلم التعجب من حاله مع بعضهم البعض؟) ألم نطالع: (كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغني) ، (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه) (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً ، فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون)؟ وإذن فلا عجب ولا غرابة!)

الـدمعُ يحكـي الـذي فـي القلـب مـن شـجنِ ... ويسـتجيش الـذي فـي الـروح مـن مِحـنِ

لا تنبشـي الـدمع ، هـزّ الـدمعُ عـاطفتي ... وأز لفـحَ الجـوى فـي السـر والعلـن

كَفـي بكـاءً علـى الأطـلال ، واصـطبري ... حتـى نواجـه مـا نلقـاه مـن فـتن

دعِـي الفـريقين كُـلاً فـي مَزاعمـه ... فمـا لأيِّهمـا - والله - مِـن مِـنن

وفنِّـدي للـورى مـا حِيـكَ مـن شُـبَهٍ ... وقشقشـي مـا افتـرى اللـوامُ مـن دَخـن

لا تجعلـي اليـأس يسـري فـي عزائمنـا ... واليـأسُ يُزكـي الـذي فـي الـنفس مـن إحَـن

لنبـدإ اليـومَ ، فالتسـويف قاتلنـا ... ولـيس أسـرعَ مـن تعاقـب الـزمن

هـم أحـدثوا فجـوة كبـرى تهـددنا ... وعللونـا بقيـل طيِّـب مَـرن

فهـل نفيـق مـن التضـييع جنـدلنا ... حتـى غـدونا بثـوب منـه مُمْـتهن؟

إن الفـريقين كُـلاً صـاغ مأزقنـا ... فكـل حـزب لـه بـاعٌ مـن الغـبَن

تقاسـموا الـدَّور كـلٌّ شـدّ مِئـزرَه ... بنِيـةٍ خبثـتْ ومَقصـدٍ عَفـن

كنـا ضـحية مـا شـادوه مـن نقـم ... وكـل ريـح تخـط السـير للسـفن

حتـى غـدونا لكـل النـاس موعظـة ... خضـنا الغِمـار بـلا مـال ولا وطـن

ولا اعتـذارَ يُـواري قـبح مَـن خـذلوا ... ولا نكـوصَ عـن الإجحـاف والـوهن

فحَسـبُنا الله يـا أختـاهُ مـا طلعـتْ ... شـمسٌ ، وشقشـق عصـفورٌ علـى فـنن!

مزايـــــدة!

(الأصل في الأسَرية والعائلية الناجحة أن يعمل الزوجان في بناء الأسرة ، ليلاً ونهاراً ، سراً وجهراً! بدون كَل ولا مَلل ، وبدون تعارض في الاختصاصات ، وبدون تزاحم في المهمات. ولكن عندما تتبنى الزوجة مبدأ النيل من الزوج أمام الأبناء ، وجعله مَدعاة للسخرية ومَجلبة للاستهزاء وهدفاً للتنقص والتندر ، وعندما تُنازعُ الزوجة زوجها مَهامَه ووظائفه ، وتُزايد على دوره ، وتتقمص شخصيته ، وتقفز على مساره ، وتُصدّق فيه الوشاة المغرضين ، وتتصيد مزالقه وهناته وعثراته ، وتُضخم أخطاءه ، وتُكثر اللوم والشكوى ، متجاهلة مشوار الحياة الذي قطعاه معاً ، ومُتناسية عِشرة كانت لبناتُها المودة والرحمة وأساسها الحب الوثيق والميثاق الغليظ ، ومتغافلة عن الأبناء الذين هم ثمرة هذا الزواج وأيقونة هذه الزيجة المباركة فإنها بذلك تدقُ مئات المسامير في نعش تدمير نفسها وزوجها وأبنائها وبيتها! وكبّر على الأسرة أربع تكبيرات ، وصلّ عليها وعلى القائمين عليها صلاة لا سجود ولا ركوع لها! فليسعد الوشاةُ والمخبون ، وليفرح شياطينُ الإنس والجن ، فقد تم لهم المراد! إن الزوجة الواعية التي تعيشُ على منهاج ربها وسنة نبيها – صلى الله عليه وسلم – لا تسمحُ لنفسها طرفة عين ولا أقل من ذلك ، أن تقع في شئ من الذي ذكرت. في رسالته الرائعة: (تعلمي فن الإتيكيت مع زوجك) للأستاذ رمضان حافظ قال ما نصه: (ما أجمل النظام وما أروعه في داخل الأسرة ، والمدرسة والمصنع ، والمسجد والشارع! وما أقبح الفوضى وما أفظعها في البيت والمدرسة والنادي والميادين! ومن مهام الأنبياء العظيمة التي خصّهم الله تعالى بها: تعليم الناس مكارم الأخلاق. ويُطلق بعض الناس على الفضائل ومحاسن الأخلاق لفظ الإتيكيت. ومن يطبق هذه القواعد فإنه رجل عالم بالإتيكيت وأصوله. ومن يخالف هذه اللوائح يسمى رجلاً جاهلاً بالإتيكيت وفنونه. وكثيراً ما يراعي كل إنسان مشاعر الطرف الآخر الغريب عنه ، حتى يكتسب ثقته واحترامه وتقديره. ونحن غالباً لا نلقي بالاً لطريقة تعاملنا مع إنسان عزيز علينا ، يعيش بيننا ـ مثل شريك الحياة ـ وقد نجرح مشاعره دون قصد غالباً (أو بقصد أحياناً) لأننا نعتقد أن أصول الإتيكيت تطبق فقط حين نتعامل مع الغرباء. أما الجفاء والغلظة وقلة الذوق تستعمل مع الأقرباء. ومن هنا وجب على كل عروسين جديدين أن يتفقا سوياً على قواعد ، تكتب في شكل وثيقة أو اتفاق ، تشمل كل ما تثرى به الحياة ، ويوفر المتعة فيها من أنشطة وهوايات مختلفة وقراءات وزيارات وتأملات ورحلات. إلخ. وذلك ليحترم كل شريك شريكه ويشعره بقيمته ويقلل مخالفاته وسوء معاملاته. وليكن هناك نوع من الجزاء أو التأديب المناسب للمخالفة مثل خصام يوم أو يومين فقط ، والاعتذار لمن أخطأنا في حقه ، أو دفعُ مبلغ من المال للإرضاء ، أو شراء هدية معقولة. إلخ. ليظل النظام قائماً والاحترام متواصلاً).هـ. وقد أورد الأستاذ رمضان حافظ في رسالته 27 فناً إتيكيتياً نعتذر عن إيرادها هنا. ومن هذا المنطلق أنشدتُ من شعري هذي القصيدة من الطويل لتكون ناقوساً يدق في عالم النسيان والغفلة الذي نعيش ، لتنبه كل زوج ينزلق أو تنزلق إلى هذه الوهدة السحيقة. وليتذكر الجميع أن هذه الدنيا دار ممر وليست دار مقر! وأنها لعب ولهو وزينة وتفاخر بين الناس وتكاثر في الأموال والأولاد ، وأنها متاع الغرور ، وأنها دار ابتلاء واختبار ، وأنها هينة على من خلقها – تبارك وتعالى – فهي لا تساوي عنده جناح بعوضة! ولو كانت تساوي عنده جناح بعوضة ما سقى كافراً به منها شربة ماء! والعمر فيها محدود ، والرزق فيها مفصل على قدر العمر ، فهو محدود أيضا. وكلما ناقشنا هذه القضية التي هي تنازع حدود التربية بين الأم والأب ، قِيل لنا العُرف والتقليدُ

والعادة! والأصل أن العُرف الذي يجعل القوامة في يد الزوجة عرفٌ ملعونٌ لا قيمة له! وتحت عنوان: (طاغوت العرف) يقول الأستاذ عبد الرحيم الطحان في محاضرة طويلة عريضة ما نصه: (إن أصناف المعارضين لدعوة الأنبياء والرسل وقد عارضها أربعة أصناف من الخلق حالوا بينها بين وصولها إلى المخلوقين ، من العلماء الفاجرين ، والحكام الظالمين الجائرين ، والعُباد الجاهلين ، والمتفلسفة المخرفين ، لقد وقف كل واحد من هؤلاء حجر عثرة في طريق هذه النعمة ، ووصولها إلى العباد الذين أرسل الله إليهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب ليهتدوا بهذه النعمة فوقف هؤلاء الأصناف أمام هذه النعمة ، وحالوا بينهم وبين هذه النعمة الجليلة الكريمة. نتج عن هؤلاء الأصناف الأربعة بعد ذلك شريعة بين الناس تسمى بالعرف والعادة ، فعكف الناس عليها من دون شريعة رب العالمين ، واحتكموا إليها في جميع شئون حياتهم. شريعة العُرف والعادة: أن يسيروا على ما سلكه آباؤهم وأجدادهم وما عليه أعراف قومهم ، نتج عن هؤلاء الأصناف الأربعة هذا العرف العام ، وهذه العادة التي يسير الناس عليها. والعرف يصيغه ويصنعه ويحدده ويوجده علية القوم وخاصتهم ، وهم هؤلاء الأصناف الأربعة ففي كل يوم يحدث الناس شيئاً من الأهواء والعادات والضلالات والبدع ، فيأخذ الناس بها ويهملون شيئاً من الهدى والسنن. ثبت في معجم الطبراني الكبير بسند رجاله موثقون - كما قال الإمام الهيثمي في المجمع - عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ما أتى على الناس عام إلا وأحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة ، حتى تحيا البدع وتموت السنن. فنور الله جل وعلا يصبح غير ظاهر بين الناس ، والبدع هي الشريعة التي يحتكم إليها الناس ، حتى تحيا البدع وتموت السنن وهذه البدع يعكف الناس عليها على أنها أعراف عامة ، وتقاليد لازمة لا يجوز الخروج عنها ، فإذا تعارف الناس على هذه البدع وتتابعوا عليها لا ينكر بعضهم على بعض إذا فعلوا شيئاً مُنكراً خلاف شريعة الله المطهرة. روى الإمام أحمد في المسند ، وابن ماجه في السنن ، وأبو يعلى في مسنده ، عن أنس رضي الله عنه: أن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم قالوا للنبي عليه الصلاة والسلام: متى نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ أي: في أي حالة من الانحطاط نصل إليها ، فإذا وصلنا إليها فإننا قد تركنا قطب الإسلام وأعظم دعامة فيه ، ألا وهو: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقال عليه الصلاة والسلام: (إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم ، إذا كان العلم في رذالتكم - في الفساق - والملك في صغاركم ، والفاحشة في كباركم) ، أي: إذا وجد هذا فيكم فإنكم تتركون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والحديث صحيح ، ورواه الطبراني أيضاً في الأوسط من رواية حذيفة بن اليمان رضي الله عن الصحابة الكرام أجمعين. فنتج عن الأصناف الأربعة عُرفٌ جاهليٌ احتكم الناس إليه دون شرع الله المحكم ، دون شرع الله العلي ، فاحتكموا إلى هذا العرف ، فإذا تعارفوا على المنكرات لن ينكر بعضهم على بعض ، وشيخ الإسلام الشيخ: مصطفى صبري عندما كان ينشد قول الشاعر: (وتعارف القوم الذين عرفتهم بالمنكرات فعطل الإنكارُ) أي: عطل الإنكار على من يفعلون المنكر! وذلك لتعارف الناس على فعل المنكر ، فصار المنكر معروفاً ، ولو أدرك الشيخ مصطفى صبري زماننا لقال: (وتعارف القوم الذين عرفتهم بالمنكرات فأنكر الإنكارُ) ليس عطل ، إنما إذا أنكرت في زماننا هذا على من يفعل المنكر فإنه ينكر عليك ، كأن المنكر صار شريعة محكمة يتعامل الناس على حسبها فلا يجوز الإنكار عليها. إن هذا العرف الجاهلي الذي وجد هو من أثر هؤلاء الأصناف الأربعة ، هذا العرف الجاهلي هو أول طاغوت عودي به رسل الله الكرام عليهم الصلاة والسلام ، وهو أعظم شيء يرد به هدى الله ويدفع به نوره ، هذا هو

طاغوت العرف والعادة ، وهذا الطاغوت هو العصا الذي كان يلوح بها الجاهليون في وجوه رسل الحي القيوم عليهم صلوات الله وسلامه ، ويلوح بها كل جاهلي في كل عصر في دفع نور الله وهداه. وكانت حجة فرعون - وهي الحجة الفرعونية - وهي قوله: (قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى) ، والحجة القرشية هي قولهم: (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلاقٌ). إن طاغوت العرف والعادة ضل الضالون بسببه ، وقد أخبرنا الله جل وعلا عن ضلال الأمم وضلال المشركين في كل وقت بتقليدهم لآبائهم واتباعهم لأعراف قومهم ، يقول الله جل وعلا: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) ، سبحان الله! فهذا رب ، وهذه عادات وأعراف وتقاليد ، اتبعوا ما أنزل الله ربكم وسيدكم ومولاكم فإنه يعلم ما ينفعكم مما يضركم ، وهداكم للتي هي أقوم ؛ لتسعدوا في هذه الحياة وبعد الممات: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ) ، فما لهم حجة في دفع هذا الهدى ، إلا أن قالوا: (بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ * وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ) ، أي: حالنا مع الكفار عندما ندعوهم إلى دين العزيز الغفار سبحانه وتعالى كحال من يدعو بهيمة وينابيها ، فالبهيمة لا تسمع من ندائه إلا أصواتاً وصياحاً ، لكن لا تفقه ما يريد بتلك الأصوات ، وماذا يعني بها: (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ) ، أي: يصيح ويصرخ: (كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً) ، فلو صحت ببهيمة أو ناديت حيواناً ممن يمشي على أربع فماذا يسمع منك؟ يسمع الصراخ والصياح وهكذا حالهم ، لا يسمعون من نوره وهداه عندما يعرض عليهم إلا ألفاظاً لا تؤثر معانيها في قلوبهم. إذاً: هذه حجة المشركين: (بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا). وهكذا ذكر الله هذا المعنى في سورة لقمان ، يقول الله جل وعلا: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا).هـ. وأعتذر عن هذه المقدمة ولكن كان لا بد من بيان شناعة العرف الجاهلي الذي يجامل المرأة على حساب الرجل!)

إلام التعـــــدي والتغـــــوّلُ والصـــــدُّ ... وتغليـــبُ أهـــواءٍ يُزاحمُهـــا العِنـــدُ؟!

إلام التجنـــــي دون أدنـــــى مُبـــــرر ... وطـــرحُ نقـــاش يَســـتطيلُ ، ويَمتـــد؟

إلام التشـــفي ، والجميـــعُ ضـــحيّة: ... حليـــلٌ ، ودارٌ ، والحليلـــة ، والوُلـــد؟!

عـــلام الجفـــا والنيـــلُ منـــي صـــراحة ... ومِـــن كـــل مـــا ألقـــاه يـــا نـــاس مـــا القصـــد؟!

لمـــاذا زكَـــتْ نـــارُ الخلافـــات بيننـــا ... ويُصْـــلي فـــؤادي مِـــن ضَـــراوتها الوَقـــد؟

ويُشـــوى بـــلا ذنـــب جنـــى أو جريـــرةٍ ... ويغـــدو كمثـــل الفحـــم يحرقـــه الصـــهد!

لمـــاذا تخِـــذتِ الهُـــزءَ نهجـــاً ومـــذهباً؟ ... ألســـتِ تـــرين العـــيش بالمَقـــتِ يسْـــوَد؟!

لمـــاذا ذرفنـــا آهـــة تلـــو آهـــةٍ ... إلـــى أن مضـــى الإينـــاسُ والقـــربُ والـــود؟

لمـــاذا تصـــيّدتِ المَزالـــق والخطـــا؟ ... فـــلا حبـــذا المنهـــاجُ ، والســـمْتُ ، والصـــيد!

فـــأين هـــو الحـــبُ الـــذي صـــاغ أنســـنا؟ وأيـــن الهنـــا فـــي البيـــت؟ أودى بـــه الصـــد!

وأيـــن رغيـــدُ العـــيش دَفـــتْ طيوفـــه ببيـــــتٍ تـــــداعى إذ تعقبـــــه المَيـــــد؟

ألـــم نتفـــقْ أن نطـــرحَ الخلـــف جانبـــاً ويُصـــبحَ ســـراً بيننـــا اللـــومُ والنقـــد؟

ألـــم نقهـــر العُـــذال بالصـــبر دائمـــاً لتنـــدحر الأحقـــادُ والعَـــذلُ والكيـــد؟

أمـــا أثـــرتْ فينـــا عُقـــودٌ ثلاثـــة مضـــتْ كالنســـيم العـــذب أنـــى لهـــا العَـــوْد؟

أمـــا اشـــتقتِ للأفـــراح تغمـــرُ دارنـــا بـــدنيا كبحـــر ، طبعُـــه الجـــزْر والمـــد؟

ثمانيـــــة الأولاد هـــــانوا جمـــــيعُهم لأهـــواءَ مـــا انفكـــتْ تُغـــالي وتشـــتد!

وهانـــت بمـــا تـــأتين أنـــدى علاقـــةٍ بهـــا - بـــين أهلينـــا - نتيـــهُ ونعتـــد!

هـــو الحـــب يُشـــجي كـــل مَـــن يَحتفـــي بـــه وإن يَـــكُ فـــي أفلاكـــه الضـــنك والســـهد

ولـــيس يحـــب الحـــبُ مَـــن لا يرومُـــه ولا مَـــن علـــى أنـــات مَـــن عشِـــقوا يشـــدو!

ومَـــن يجعـــل الحـــب العفيـــف رســـوله يمينـــاً رأيـــتُ الحـــب مِـــن خلفـــه يعـــدو!

ومـــا الحـــب إلا تضـــحياتٌ يســـوقها محـــبٌ كـــريمٌ مـــا لـــه - فـــي الـــورى - نـــد

يســـوقُ مـــن الأفضـــال مـــا لا يطيقـــه مِـــن النـــاس غطريـــفٌ يجـــود ولا فـــرد!

وبالحـــب يُبنـــى كـــل بيـــتٍ وأســـرةٍ ودارٌ تربّـــى - فـــي مرابعهـــا - الأسْـــد

وإنـــي وإن بادلتُـــكِ الحـــب صـــافياً وأخلصـــتُ فـــي حبـــي ، ولـــم أكُ أحتـــد

فمـــا ضـــجري أنـــي أعـــاني تعنتـــاً علـــى مَـــن يُعـــاديني يعـــودُ ويرتـــد؟

ألا إنمـــا البـــادي تجـــاوز ، واعتـــدى وبـــالغ عـــن قصـــدٍ ، فســـربلني الـــرد

ألا أنـــتِ منـــي الـــروحُ والصـــوتُ والصـــدى وأنـــتِ الحِمـــى والـــنفسُ والعِـــرضُ والمجـــد

أرى فيـــكِ ذاتـــي واعتـــزازي وسُـــؤددي وإن يـــكُ تفريـــقٌ يســـرّكِ أو بُعـــد

متـــى كانـــت الـــزلاتُ تطـــوي ودادَنـــا؟ وهـــل ألفـــة المَـــولى يُفرّقهـــا (زيـــد)؟

ألا ليـــت شـــعري ، أيـــن رُشـــدٌ وحِكمـــة يكـــونُ بكـــلٍّ للـــذي غالنـــا حـــد؟!

أعيـــدي مـــن الماضـــي التجاريـــبَ تجتنـــي عـــذاباتِ عـــيش لـــيس مِـــن طرحهـــا بُـــد

ولا تنكئـــــي جرحـــــاً يعكّـــــرُ صـــــفونا ... وهـــل ضِـــد مـــا ألقـــى يُعالجُـــه الضـــد؟!

ومـــا اســـتويا جُـــرحٌ تســـيلُ دمـــاؤه ... فقـــد شُـــق عنـــه اللحـــم ، وامتُشـــقَ الجلـــد!

وجـــــرحٌ شـــــفاه الله ممـــــا أصـــــابه! ... تبـــارك ربـــي الخـــالقُ البـــارئُ الفـــرد

ومـــا اســـتويا الحُـــرُ المُعظـــمُ قـــدرُه ... وآخـــرُ فـــي أفعالـــه آبـــقٌ عبـــد!

حنانيـــكِ هـــذا الحـــبُ أمســـى أمانـــة ... لـــديكِ ، فجـــدّي ســـوف ينفعُـــكِ الجـــد

وصُـــوني ببـــذل الوصـــل حبـــي وعِشـــرتي ... ليرحـــل دمـــعٌ لـــيس يعشـــقه الخـــد

وخلـــي عـــن الـــنفس الضـــغينة والهـــوى ... لقـــد تُوجـــعُ الـــنفسَ الهـــواجسُ والحِقـــد

ولا تُنصـــــتي للشـــــك ، أنـــــتِ رَزينـــــة ... أراكِ علـــــى خيـــــر إذا قـــــادك الرُشْـــــد

ألـــم تعِـــدي بـــالأمس أن تحفظـــي الإخـــا؟ ... لمـــاذا بـــلا نفـــع يُـــرى أخلِـــفَ الوعـــد؟!

هـــداديكِ هـــل أنسِـــيتِ ميثـــاقَ صُـــلحنا؟ ... وأعطيـــتِ عهـــداً ، فـــأين هـــو العهـــد؟

وفـــاؤكِ بالميثـــاق يصـــفو بنـــوره ... لنـــا صَـــدَرُ العـــيشُ المُظفّـــر والـــوِرد

فهيـــا معـــي نبنـــي ونرعـــى ذمارنـــا ... ونســـمُرُ ، عـــلّ الشـــعرَ فـــي ســـاحنا يحـــدو

تـــروحُ بنـــا الأشـــعارُ مُشْـــرقة الســـنا ... وبالبشـــر والخيـــرات ـ فـــي دارنـــا ـ تغـــدو

سَـــلِمتِ لنـــا ذخـــراً ، وعونـــاً ، ونجـــدة ... وزينـــكِ الإخـــلاصُ ، والحِلـــمُ ، والزهـــد

ولقـــاكِ ربُ النـــاس أحلـــى مَســـرةٍ ... وأســـكنكِ الجنـــاتِ يَعمُرُهـــا الســـعد

الخديعة الكبرى!

(أصعبُ شيءٍ على النفس أنْ تُخدعَ في زيدٍ أو عَمْر من الناس ، ممن كانت النفسُ تظنُ بهم خيراً ، وتُبيّت حُسنَ النية في التعامل معهم! ويكون الأمرُ أشدَ وأشقَ وأخزى عندما يحدثُ مع زوجةٍ ، أحبها زوجُها في الله تعالى ، وعلى هُدى منه ، وبينةٍ من دِينه سبحانه! وتبدأ هذه الخديعة الكبرى عندما تزوجَ زيدٌ من زبيدة ، على كتاب الله – سبحانه وتعالى - وسُنة رسوله – صلى الله عليه وسلم -! وكان ذلك منه على رغبةٍ منه أضمرَها في نفسه إلى حين ، وتزامنتْ مع طلب أبيها ذات الطلب من زيد! فلقد كان زيدٌ يُدَرسها مع إخوتها وصويحباتها في دارها! ولم يشترط زيدٌ عليها كزوجة ، سوى الحجاب الشرعي ولزوم بيتها والاكتفاء بالعلم الشرعي (الكتاب والسنة واللغة العربية) بديلاً عن علم المدارس والجامعات! فأظهرتْ (زبيدة) القبولَ ظاهرياً لكل ما طلب (زيد)! وأراد الرجلُ استئجارَ بيتٍ في قريةٍ مجاورةٍ ويأتي فيه بما يستطيعه من جهاز البيت ، ولا يُلزم أهلها بمِلعقة شاي ، وذلك لسببين: الأول موافقة الشريعة ، والثاني علمه بحاله الذي لا يختلفُ كثيراً عن حال أهلها! فقال أهلها: ولكننا نريدُ إهداءَ ابنتنا صالوناً وستائرَ ومراتبَ وطاقماً صينياً (أطباق وصحون وفناجين) فهل عندك مانع؟! فقال زيدٌ لهم: لا مانع عندي إن كان على سبيل الهدية لا الإلزام! ونقفل هذه الصفحة (صفحة الاتفاق المبدئي) لنفتح صفحة العقد الشرعي! ففي مجلس العقد عليها جيءَ بما يُسمى بالمأذون الذي اشترط رؤيتها (رؤية العروس)! وكانت هذه أولى المفارقات العجيبة التي يواجهها زيد! ولأن زيداً كان قد درس فقه الزواج على الشريعة الإسلامية من ألفه ليائه ، وكذلك درس فقه الزواج على الشريعة الجاهلية في الشرق والغرب ، فلم يكن من السهل إقناعه بشيئ لا دليل عله ولا ثبوت له! فقال زيد للمأذون المماحك: يا هذا ما دليلك على ما تطلبه من كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم -؟ فقال الرجل: لا دليل عندي على ذلك! وإذا كنت تريد إكمال العقد بدون رؤية العروس ، فلتدفع (عشرة جنيهات) زيادة على ما اتفقنا عليه وهو (أربعون جنيهاً)! فوافق زيد ، وأعطاها للمأذون والناس ينظرون ويشهدون ، بأنه اشترى نظرته إليها بعشرة جنيهات! فقام أحد أخوالها من مكانه ، وهاج وماج ، وأرغى وأزبد ، كأنما لسعته حية من الحيايا الجبلية المؤذية ، أو عضته أفعى من الأفاعي السامة! وقال الخال الثائر: أجمل مِن مَن هذه العروس؟ لو طلب المأذون رؤية زوجتي ما امتنعت! فقال له العريس وقد غضب هو الآخر غضباً شديداً من هذا التصرف وتلك الكلمات والحماقات من الخال الجاهلي الديوث: وهل أنا جعلتُك وكيلاً لنكاحها ، فأنت ولي أمرها المتصرف الآمر الناهي؟ قال الخال: لا! فقال العريس: إذن اجلس مكانك وأد واجبك واشرب شايك وشرباتك ، واذهب إلى حال سبيلك ، ولا شأن لك بالعريس ولا العروس ولا العقد! فجلس غيرَ راض ولا مُقتنِع! وعندما جاء أبوها بصينية الشربات للضيوف ، سأله الخال مستنكراً: هل يُرضِيك أن يقول زيدٌ لي كذا وكذا؟ فقال الرجل: لقد أصاب زيد! ولقد زوجت ثلاث بناتٍ على يد المأذون ذاته ، فليخبرْنا مَن رأى منهن؟! وهدأت الأمور ، وجاء المأذون بالمنديل ، فرفعه ورماه بعيداً ، وقال: بدعة هذا يا زيد ، أليس كذلك؟ فقال زيد: بلى! وبدأ المأذون يقول ترويسته بمقدمتها الشرعية ، إلى أن وصل قوله: (وعلى مذهب أبي حنيفة النعمان) ، فاستوقفه زيد وقال: وعلى مذهب من تزوج أبو حنيفة النعمان يا هذا؟ فقال المأذون: على كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم -! فقال زيد: وأنا أتزوج اليوم ، كما تزوج أبو حنيفة بالأمس ، على كتاب الله وسنة رسوله! لماذا نذكر هذه التفاصيل الشرعية؟ والجواب: لنثبت أن زيداً لم يكن يسمح بأي بدعة في مشوار زواجه من (زبيدة) ابتداءً من الاتفاق المبدئي السابق ذكره ، ومروراً بالعقد الشرعي ومراسيم الزواج وبروتوكولاته ، وانتهاءً بمشوار الحياة الزوجية بعد ذلك! لا بد من هيمنة المنهج الرباني عل كل كبيرةٍ وصغيرةٍ في حياتنا! وجاء المأذون إلى (تسمية المهر) ، وسأل أبا العروس عن قيمة الصداق! فأجاب الرجل: نحن نزوّجُ ابنتنا لرجل معه القرآن ، وهذا يكفي! وزاد قوله: اكتب يا أستاذ (المسمى بيننا)! فقال العريس: سَمّ المهرَ يا عمي ، ولو كان قليلاً ، فهو رمز ، ولو

خمسة جنيهات! فقال: لا. مكرراً ذات الكلمات! فقال العريس: ليس معي القرآنُ كله! معي نصف القرآن ، وأحتاج فيه إلى مراجعةٍ شديدةٍ ليُعاد استظهارُه من الذاكرة ، فهل توافق على هذا؟ فقال الرجل: أوافق! وهنا احتج بعض الضيوف ، فبين لهمُ العريس أن النبي – صلى الله عليه وسلم – زوّج أحد أصحابه بما معه من القرآن ، وكان الذي مع ذلك الصحابي من القرآن المعوذاتُ الثلاثة! فلم نرتكبْ جُرماً ، اذهبوا واقرأوا السنة ، وتعلموا دينكم يا قوم! فقال العريس للمأذون: تمت تسمية المهر (نصف القرآن)! استمر في عقدك يا أستاذ! وتم العقد ، ولله الحمد ومنه التوفيق والسداد! واقترحَ الصهرُ أن يتم الزواج في بيته الواسع! فقال العريس: كلا ، لن يكون ذلك أبداً! فعاد فاقترح أن يَبني العريسُ بيتاً في أرضه! فأبى زيد ، وقال: كيف أبني في أرض لستُ أملكها؟ إنْ شئت بعتها لي ، وأدفعُ ثمنها على الأيام! فقال الصهر المُراوغ: هذه القطعة من الأرض هدية لابنتي! فقال زيد: إن كان الأمر كذلك نبني بيتاً صغيراً مؤلفاً من: (غرفتين وصالة ومطبخاً وحماماً)! وتورط العريس فيما يقارب الآلاف الثلاثة من الجنيهات ليُقيم بيتاً متواضعاً ، فاقترض من رفاقه وأحبابه ، وأكمل بما كان يملكه من المال! وتنكر له معظم من كان يعرف ، ولليوم ليس يعرف السبب! واكتفى قومٌ بالنصيحة عن العدول عن هذا الزواج ، وساقوا المُبررات والأسباب! ولكن لنفاذ مشيئة الله تم الأمر! وجاء يوم العرس المشؤوم! أقصد يوم البناء! وذهب زيدٌ إلى صُويحبات (زبيدة) وجيء بهن صائمات ، ومعهن دفوفهن لينشدن للعروس! بينما ذهب العريس للرجال في المسجد ، واتفق مع القائمين على الحفل الذي جمع بين عقيقةٍ وبناء ، أن يذهب إلى عروسه قبيل صلاة العشاء ليُصلى معها صلاة العشاء ، تيمُناً ببركة بداية مشوار الحياة الزوجية! فإذا به يجد عَنتاً من القائمين ، فذكّرهم بوعده ووعدهم! فلما لم يجد استجابة ، خرج ليُحقق مرادَه من صلاة العشاء في جماعة مع عروسه! وتبعه صديقٌ يحاولُ أثناءه عن قراره فلم يُفلح! والصهر العجيب بدلاً من أن يدين القائمين على الحفل ويُحقق مراد زوج ابنته ، جاملهم على حسابه وساعد الشيطان على أخيه العريس! ومضى العريس وحده إلى بيت العروس! وأسأل: فيم اجتماعكم يا قوم حول العريس والعروس في يوم عُرسهما؟ ما مشروعية ذلك في الإسلام أيها الجهلاء؟ إنها باختصار إدخالُ السرور والبهجة عليهما ، وإشهارُ الأمر ليعلم الناسُ جميعاً أن زيداً بن فلان تزوج من زبيدة بنت علان! وتم ذلك للزوجة ، لكن الزوج ابتُلي ابتلاءً شديداً بحفنة من السفهاء المجادلين! والله لقد جاءه شيطانه على حد علمي ، وقال له: أعطهم جميعاً مقلباً لا ينسونه في حياتهم! ما المقلبُ يا إبليس؟ قال: خذ القطار ، واذهب إلى ديار شاطنة لا يعلم بك أحد أين ذهبت! فقال العريس في نفسه: وما ذنبُ زبيدة التي أحببتها في الله ورسوله والإسلام؟! وذهب إلى دار العروس ، وما يكون له أن يقتحم على النساء مجلس بحجة أن يأخذ عروسه ، إنما نادى على العروس من بعد قائلاً يا أم عبد الرحمن يُكنيها ، قالت النسوة له: لا بد من تقبيل يد أمها! فقال العريس: لا أفعل ، وليس لي أمٌ في الأرض إلا التي حملتْ وولدتْ ورضعتْ ، وربتْ إنها فلانة بنت فلان ، وذكر اسم أمه وكانت حاضرة! وسأل أمه بينهن إن كانت ترغب في أن يقبل يدها فأبت! وهذا والله موقف تتحدث عنه كتب الأدب والشعر ، موقف يثمن بالإبريز والعقيق! ولكن للأسف لم يثمن لا عند هذه العائلة ولا تلك! لماذا؟ والجواب: لأن قاسماً مشتركاً بين العائلتين هو التنكر المطلق لإيجابيات زيد! وأضاف الرجل لاسترضاء حماته فلقد كان يُحبها ويُقدرها ويَحترمها: أما حماتي فخالتي فقط ، وما ناديتُها بغير (خالة) في حياتي: سواء قبْل زواجي من ابنتها أم بعده! وإذا بالصهر قد جاء مع رفقة له بعد أن صلوا العشاء ، وبدا له أن يقهرَ العريس قهراً ثالثاً ، وذلك بوجوب تقبيل يده واسترضائه هو الآخر! فقال العريس: لا أفعل إن شاء الله! لقد قهرتُ الليلة أربع مرات: الأولى: عندما قال عم المولودة التي أقيمت عقيقتها ، والتحقنا بهم في المسجد ببنائنا: (إن زيداً يُقيم فُرَحَه سفلقة)! عانياً بذلك أن زيداً يتطفل على عقيقة ابنت أخيه! وهي كلمة تعكر ماء المحيط! ووالله لم تكن عند زيدٍ أدنى رغبة في ذلك ، وإنما إلى جوار مجلس العروس يكون مجلس العريس ، كما جرت العادة! بشرط أن يكونا مجلسين منفصلين تماماً! والثانية: عندما خرجتُ وحيداً ولم يتبعني أحد إلا

الشيطان ، قاطعاً المشوار الطويل من المسجد إلى بيت العروس! والثالثة: عندما قيل لي قبّل يد أمك (حماتك)! وإنما هي خالة ، وإن كانت الشريعة تجعلها بمثابة الأم ، ولكن الأم تظل أماً والخالة تظل خالة! والرابعة أن تطلبوا مني أن أقبل يد رجل قهرني قهراً وأسترضيه! بل أنا الذي ينبغي استرضائي يا قوم ، أفلا تزنون الأمور؟! أليس منكم رجلٌ رشيد؟! وأخذ زيدٌ بيد زبيدة ، وأدخلها الدار التي بناها ، وقد ملئتْ بالضيوف الذين كان ينبغي عليهم أن يكونوا في المسجد! وقضى زيدٌ مع عروسه ليلة من أشد الليالي في حياتهما ، تلك التي لم يكن من حسنة أحلى ولا أجمل من صلاة العشاء في جماعة! وبدأت الأمور تتكشف ، وظهر الحق من أن الصهر يريدُها بجوار أمها لتخدم إخوتها! والدليل أنه وفي اليوم الرابع من الزواج دُعِيا (العريس وعروسه) إلى شرب الشاي في بيت أبيها! وهناك طلب أبوها منها أن تعد الشاي كالعادة! فاعترض العريس ، وقال: نحن ضيوفٌ ، ينبغي أن يأتي شاينا جاهزاً لا نعِده! فقال الصهر متعجباً: هل تعصي ابنتي أمري؟ فقال العريس: ليس ذلك! وإنما إنْ أردتَ منها طلباً فليمر بي ، فإن أذنتُ وإلا فلا! يا هذا طاعتي الآن واجبة ، وطاعتك انتقلت من واجبة لما كانت في دارك ، إلى مستحبة لما أصبحت في داري! نعم يمكن لها أن تعصيك إنْ أنت أمرتها ولا تأثم عند الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم -! فقال وقد وعى مراد العريس: إذنْ اطلب منها أن تعد لنا الشاي يا سي فلان ، قالها متهكماً كعادته! حيث إن ثلاثة أرباع حديثه مزيجٌ من السخرية والاستهزاء وتنقص الآخرين! فقال العريسُ لعروسه: لا تعدي الشاي! فقامت حماتُه – وكانت امرأة لماحة حساسة – وأعدت الشاي بنفسها! فاسترضاها العريس قائلاً لها وحدها على هامش اللقاء المزري هذا: تعلمين يا خالتي محبتك واحترامك وقدرك عندي ، ولكنني أردت وضع حد لهذا المحو لشخصيتي كزوج ، أردتُ التأصيل لمنهج تبدلت مساراته! وموقف آخر عندما طرق الصهر الباب في اليوم الخامس من الزواج بابنته ، وكان طرقاً غاية في الإزعاج والضجر! فما يكون لرجل لا يُحسن الكلام أن يُحسن طرقَ الأبواب! فجُل كلامه أشبه بالصخور والأحجار! فقال العريس: مَن بالباب؟! فذكر الرجل اسمه واسم أبيه! فقال العريس: (وإن قيلَ لكمُ ارجعوا) أكملْ يا هذا! فقال الصهر الجلف: (فارجعوا هو أزكى لكم)! وعاد ، ثم اشتكى العريس للناس بعد ذلك ، وراح الناس يلومونه ، فقاطعهم قائلاً: يا قوم ، لقد فعلتُ الذي لم يستطع أن يفعله حبرُ الأمة وترجمانها عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – عندما قال: ما من آيةٍ في كتاب الله إن كانت أمراً إلا ائتمرت بما أمرت ، أو كانت نهياً إلا انتهيت عما نهت ، إلا آية! قيل: ما هي؟ قال: قول الله تعالى: (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا) ، ما أتاني آتٍ وقلتُ له: (ارجعوا)! وجاء الصهرُ بعد شهور ليطلب إلى ابنته بأن تعد الطعام مع أمها لأنفار الأرض الذين يشبهون إلى حدٍ بعيدٍ (مقاطيع الحسين أو السيدة)! فقالت: اتفقتُ مع زوجي على أن أستشيره ، فأعطني الفرصة لأسأله! فوافقَ على مضض! لماذا؟ والجواب: لأنه لا يعترف بخصوصيات الآخرين! لا يريد بأن يُسَلم بأن لها زوجاً ينبغي عليها الائتمار بأمره والانتهاء بنهيه إلا في معصية الله (إنما الطاعة في المعروف)! ولست أدري لماذا لا يفهم هذا الأب الجاهل هذا الفهم؟ أليست هذه هي السنة؟! ولما جاء زوجها في المساء ، وطلبتْ إليه ذلك قال غاضباً: لا وربي! لا يكون له ذلك ، ولا تُبتذلُ امرأتي كما كانت من قبل! وعنده بنتان أخريان في نفس المكان ، فليذهب إليهما إن شاء! وبعد أسبوع الزواج قررَ العريس أن يأخذ عروسه في أول خروجةٍ لهما ، إلى دار أبيه لشرب الشاي فقط! ففوجيء بالصهر والحماة معاً يقولان له: لا! لن تذهب ابنتنا إلى دار أبيك! اذهبْ وحدك! فقال العريس: كنا ننوي شرب الشاي ، والله لنبيتن هناك ، وليكن ما يكون! هل زواجي من ابنتكم يعني طلاق أهلي؟ ونفذ العريس ما يريد! وإذن فكانت كل الدلائل والإشارات تقول بأن هذا العريس سوف يُعطي كل ذي حق حقه بما استطاع ، وبما يغلب عليه الظن ، حسب الاجتهاد أنه يرضي الله سبحانه وتعالى! ومرت الأيام كالحقب مع قوم كلما واجهناهم بسُنة من سننه صلى الله عليه وسلم استهجنوها! وثافية الأثافي أن ملأ الصهر الأحمق الأخرق الدنيا بالإفك والبهتان من أنه زوّج فلاناً ومنّ عليه ، برغم أنه لم يتكلف له شيئاً يُذكر ، كما جرتِ العادة والعرفُ والتقليد والنظام الاجتماعي المتبع! فهل كان

التماسُه زوجاً صالحاً لابنته مِنة عليه أو عليها؟! أم أنه واجب شرعي أمرتْ به الشريعة؟ وكان الزوج قد حمل على عاتقه كل ما يستطيعه وزيادة في هذا الزواج الذي لم يُرد به وجه الله تعالى إلا من طرفٍ واحدٍ هو الزوج المبتلى! هل نسي هذا الصهر المعتوه والنسيبُ الأبله أن (زوج ابنته) أخ له في الله والإسلام ، حرُم ماله وعرضه بنص الحديث: (كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه)؟ ومادام لم يتكلف ولم يغرم ، فلماذا الكذب والمبالغة في البهتان والإسراف في الإفك؟ فيقال: ولماذا يتكلف؟ هل صار زوجُ ابنته بمثابة الابن؟ والجواب: لا يجب عليه ذلك ، بل يُستحب فإنه من فضائل الأعمال على أي حال! وإذن فلماذا الادّعاءُ الكاذبُ الأجوفُ من أنه زوّج فلاناً؟! إنه لا مِنة له مُطلقاً لا على زوج ابنته ولا على ابنته! إنه واجبٌ شرعيٌ تكليفيٌ محض! وقد عرض شعيب ابنته على موسى – صلى الله عليه وسلم - ، وعرض عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - ابنته حفصة على أبي بكر – رضي الله عنه - ثم على عثمان – رضي الله عنه - ، ثم تزوجها النبي – صلى الله عليه وسلم -! وعرض سعيد بن المسيب ابنته على عبد الله بن أبي وداعة ، وزوجه إياها لما ماتت زوجته ، وأعطاه عشرين ألف دينار أو أربعين على رواية أخرى! فهل منّ ابن المسيب يوماً على ابن أبي وداعة البنت والمال؟! بالطبع لا! إن الذي يعطي لله ينتظر الأجر منه وحده ، لا من سواه! هل منّ شعيب على موسى عليه السلام يوماً؟! هل منّ ابن الخطاب – رضي الله عنه - على رسول الله صلى الله عليه وسلم تزويجه ابنته حفصة – رضي الله عنها – يوماً؟! والمثل المصري الجميل يقول: (اخطِب لابنتك ، ولا تخطِب لابنك!) ، ونحن نوافقه في نصفه الأول: (اخطب لابنتك) ، والمعنى: (انتق زوجاً صالحاً لابنتك)! وفي هذا الانتقاء بالطبع عرضُ البنت على الصالحين ، وهو باب من أبواب الفقه الإسلامي في القديم والحديث! (باب: عرض الرجل مَوليته على الصالحين)! وكان هذا دأب الصحابة والتابعين وتابعيهم ، يعرض الرجل ابنته أو أخته أو أمه أو ابنت أخيه أو ابنة أخته على الصالحين! لقد شَهّر الصهر الكذاب المراوغ بزوج ابنته في كل مكان! وملأ كل ناس الدنيا ممن يعلم ، بما في الناس أسرته المغالطة التي لم يوجد فيها رجلٌ يقول له: الزم حدك ، وكُف عن المغالطة والبهتان والكذب! لقد نسي هذا الصهرُ المعتوهُ والنسيبُ الأبلهُ المغرضُ المغالط أن زوج ابنته أخوه في الإسلام قد حرم الله تعالى دمه فلا يُراق ، وماله فلا يؤخذ ، وعِرضه فلا ينتهك إلا بالحق! فأين الحق فيما فعل؟! وسوف نثبتُ أنه مارس اثنتين من المحذورات بموجب هذا الحديث مع زوج ابنته: (المال والعرض)! ناهيك عن النتائج الوخيمة التي أعقبت اعتقاد العائلة المنحطة الوضيعة ، من أن لأبيهم الفضل والمنة على زيدٍ (زوج ابنتهم)! حيث تبجحَ الواحد منهم غيرَ مَرة تستدعيه فيها دواعي الخلاف بين زيدٍ وزبيدةٍ للإصلاح بينهما ، فبدلاً من أن يُصلح يقول: (لقد تزوجها ببلاش ، لو كان دفع فيها ، لو كان وقع عل شيكٍ مؤجل الصداق ، لما أغضبها)! وقبل أن نتجاوز هذه النقطة المُغالطة ، نقول بأن العريس عندما قررَ السفرَ لبناء مستقبل أفضل ، جاءه الصهرُ المغالط يقول: نريد تأمين مستقبل ابنتنا ، حيث إن بنات الخارج حلوات ، ويمكن أن تتزوجَ على ابنتنا! فقال العريس: أولاً أنت سميت مهرها أمام الناس (نصف القرآن) ، فلا حق لك في هذا الكلام! وثانياً زواجي من غيرها بشروط الشريعة من العدل والقدرة مكفولٌ ومتوقعٌ ، فلقد أحل الله لي أن أجمع في عصمة ابنتكم الزوجة بثلاث زوجاتٍ أخريات! وهذا ليس تفكيري لا بالأمس ولا اليوم ولقد يكون غداً! وأنت يا صهري وكذلك أبي تزوج كل منكما اثنتين ، وكان له من كل زوجةٍ أولاد! فمازال الصهرُ بمغالطته وعجرفته وعنجهيته وجعظريته ، حتى أنزله زوجُ ابنته على مذهب مالك: (والمرأة يُدخل بها ولم يُسَم مهرُها فلها مهرُ المثل)! فوجدها الصهرُ الأفاك فرصة سانحة ، واحتج بمهر ابنة أخيه سلوى (12000 جنيه) ، فقال العريس: إن سلوى هذه التي استشهدت بها أتاني أبوها الذي هو عم زبيدة ، وطلب إلي أن أعدل عن زواجي من ابنتك لأتزوج من ابنته ، رغم أن البنتين كلٌ منهما ابنة عم الأخرى! والله إن زيداً ابتُلى بأب غريب الأطوار ، وأنساب أغرب منه أطواراً! وراحت زبيدة إلى أختٍ لها في الإسلام بناء عن طلب زوجها ، وسألتها عن مهرها فقالت: مهري (5000 جنيه)! فنزل الرجل على ما أتت به زبيدة

من الخبر ، وكانت المسألة مسألة كيفٍ لا كم! على أنه لم يكن مبلغاً يسيراً في ذلك الزمان الذي يقارب قبل ثلاثة عقودٍ ونصف قبل اليوم! وايم الله لو جاءت زبيدة بعشرين ألف لما غيّر الرجل النسبة مطلقاً! وأصبح لهذه الزوجة مهران وصداقان: إسلامي (نصف القرآن) ، وجاهلي (5000 جنيه) كتب زيدٌ هذه الورقة مزايدة على السنة! ولكنه فقط أراد الخروج من الموقف ولو على حسابه في أن يكون غارماً لرفيقين وخال وزوجة قبل سفره! وعندما سافر الرجل ، وألحقها به في غربته ، واشترى لها ذهباً بقيمة (5125 جنيه) ، وأعطاه إياها في صورة مشغولاتٍ ذهبيةٍ ، وأعلمها أن صداقك الثاني وصلك ، ويلزمُك تقطيعُ الورقة المُحررة عند أبيك! فقالَت: كلُ زوج يُهادي زوجته! فقال زوجها: ولكنني مَدين لك ، والدَين يا زوجتاه مُقدم على الهدية! وقام النسيب المُغرض وعائلته باستحلال بيت زيد ، ذلك البيت الذي لا يحل دخوله والاطلاع على خصوصياته إلا بإذن صاحبه! أصبح مستباحاً ، واستغلت العائلة عدمَ رضا أهل العريس عن هذه الزيجة ولا هذا النسب لابنهم! ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تحول البيت بيت الزوجية إلى حظيرة للدواجن ، ثم تم هدمه ليعود أرضاً زراعية ، رغم تبرئتها بالقانون بحكم محكمة ، دفع العريس رسوم القضية وأتعاب المحاماة! واعتادتِ زبيدة على تعظيم جانب أهلها وتحقير جانب أهل زوجها! وكأني بها تعتبر أهلها صحابة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم - ، وفي الوقت ذاته تعتبر أهل زوجها شياطين الجن! وتمت إهانة زوجها مرات ومرات ، وبُددتْ أمواله ، وانتُهكتْ حُرمة بيته ، على عينها! ولكن لأن الذين فعلوا ذلك كله من أهلها فلا حرج! واعتادت زبيدة أن تُمارس دورَ أهلها في التصرف في أموال الرجل العينية والنقدية بدون مراعاة المصلحة! إنما كانت تراعي الحق الشخصي فقط! وتضم أمواله إلى أموالها بغير الحق! وبعد أن بذل زيدٌ أضعافَ ما يستطيعه لخدمة عائلته وعائلة زبيدة الوضيعتين الظالمتين إذا بالكل يتخذون زيداً عدواً! لكن الطامة الكبرى أننا أمام شخصيتين الأولى (زيد) رجلٌ يزن الأمور بميزان الشريعة ، ومن هنا كانت التصرفات معتدلة لا يلحقها تناقض ولا مزايدة! وأما (زبيدة) فلا تفعل الشيء ذاته ، ومن هنا جاءت التناقضات والمغالطات والمزايدات! رغم ظلم أبيها وحرمانها وأختها الشقيقة وباقي إخوتها من الأب من إرثهم جميعاً في بيت المدينة ، وإنما خصّ به أولاداً دون أولاد! تتبجحت زبيدة وهي تصف أباها قائلة: (أقام أبي العدل بين أولاده ولذلك يحبونه جميعاً!) ووالله إنها لمقولة ظالمة ، لا يشهد لها الواقع بمثقال حبة خردل من الحق! والدليل أنه عندما سؤال من أغدق عليه الأب أنه أعدل العادلين! وعند سؤال من حرمهم من الأبناء أنه أظلم الظالمين! لقد أمرنا الله ببر الوالدين والإحسان إليهما ، لا بعبادتهما معه أو من دونه ، لأن هذا الأخير شرك بالله رب العالمين! وكان أبوها يقول عن نفسه يخادع نفسه ومن يسمع بالطبع: كلما ذكرتْ سيرة عمر بن الخطاب دمعتْ عيناي! ونرد عليه بقولنا: إن المطلوب أن تقيم العدل بين أبنائك وبناتك والناس من حولك فيما لك بإقامته قدرة ، لا أن تدمع عيناك وأنت ظالم تأكل الحقوق وتحرم أبناء لك وبنات من إرثهم! إن النبي – صلى الله عليه وسلم – أمرنا بقوله: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ)! ولم يقل: (ابكوا عليها بالنواجذ)! كان ينبغي على زبيدة أن تشهد شهادة الحق على أهلها ، لا أن تتابعهم في ظلمهم وتجاوزهم واعتدائهم وإهدارهم حقوق زوجها المادية والمعنوية! وكان زيدٌ يُحسن الظن بها ، فإذا بها مع أهلها قلباً وقالباً للأسف الشديد! ولما أخذت زيداً الحمية ، وصرح لزبيدة بأنه لا يقبل هذه التجاوزات من أهلها ، وعلى رأسها (تبديد المال على يد أبيها وانتهاك حرمة البيت بما حوى من متاع وأثاث وكتب ومقتنيات وعدد ، وإهانة الرجل على يد أبيها وعلى أيدي إخوتها غير مرة بدون وجه حق ، واعتقاد كل كبير وصغير في عائلتها بأن زوجها لاجئ كان أبوها قد لمّه من الشوارع ، وأقام له شأن حياته ، مع أن الثابت عكس ذلك! وهذه نقطة عجيبة في أبي زيد وصهره! كل منهما يتهمه بالفشل في تخطيط مستقبل أولاده! مع أن ذلك تم له على يدي كل منهما وعلى أيدي أبناء كل منهما! حيث ابتُلي كل منهما بكثرة الأبناء مع كفاف العيش لا نريد أن نقول مع الفقر لأنها كلمة تزعجهم! فلما سخر الله زيداً لهما وأقام الله تعالى على يديه شأن كل ابن من أبنائهما ، لم يشكروا نعمة

الله عليهم في أن سخر لهم رجلاً نفعهما الله به! وجعلوا مقابل الإحسان الإساءة! الإساءة والتشهير والتعيير لمن؟ لرجل كان سبباً والله مباشراً في سعادتهما وسعادة أولادهما ، على حين كانوا وأولادهم سبباً مباشراً والله العظيم في شقائه! والله لقد ابتُلي زيدٌ بهذين الشيبتين: (الأب والصهر) الأول خذله وتركه لصهره ، والثاني وجدها فرصة فتشفى كيف شاء! ومن عقدٍ قرر زيدٌ طلاق زبيدةٍ والخلاص من هذا القهر والتعيير! والزواج من أخرى تكون على المنهج الرباني! ولئن كانت خبرته مع الناس يوم تزوج زبيدة قليلة ومُزجاة ، فلقد خبرَ الناسَ والنساءَ اليوم ، وهو اليوم أقدر على ألا يقع وقوعه الأول ، ويخيب خيبته الأولى تلك! فنصحه عقلاءُ الناس وحكماؤهم بأن يستعين بالله ولا يعجر ، وأن يعدل تماماً عن فكرة الطلاق ، وأن يعدل تماماً عن فكرة الزواج الآن على الأقل! حتى أن أحد موجهي اللغة العربية قالها له بالرمز بعد أن سأله: كم لك منها من الولد؟ فقال زيدٌ: سبعة أولاد! فقال الموجه: (يا بني إذا استبعرتٍ امرأتك فاستنوق لها!) ، فراجع زيدٌ صديقه فقال مستدركاً على عبارته الأولى الرامزة: (يا بني لأجل عين (أبناؤك السبعة) تُكرَم ألف عين (زوجتك)! ، فقال زيد له: أظنك تُبالغ يا أستاذي ، فقاطع الموجه قائلاً: (يا بُني حياة مُهرجلة خيرٌ من طلاق وفشل ، ولا أزيد)! وبعدها حاول زيدٌ مجادلته بعد قوله (ولا أزيد) ، فقال الموجه مغلقاً الموقف التعليمي التربوي ، وقافلاً المشهد: (قضِيَ الأمر الذي فيه تستفان)! والعجيب في أمر (زبيدة) الماكرة المخادعة أنها مارست خديعة كبرى مع زوجها (زيد) المسكين الطيب ، استمرت ثلاثة عقود! وفي كل مرة يصبر زيد نفسه بأن يصلح الله الأحوال! ولكن للأسف كانت الأحوال تزداد سوءًا! فهل كان طبعاً فيها غلب تطبعها يوم جاء يخطبها؟! الله أعلى وأعلم! ووصل بزبيدة الحد لأن تعاير زيداً بالأحوال المادية السيئة التي مَهدتْ لها بالاشتراك مع أهلها مستغلة ظروف الرجل وثقته الزائدة عن الحد فيها! وزادت حبات الطين بلة أنها عَيّرته بأمراضه التي صحبت شيبه! ويصدق فيها قول الشاعر:

فـــإن تســـألوني بالنســـاء ، فـــإنني بصـــيرٌ بـــأدواء النســـاء طبيـــبُ

إذا شـــاب رأسُ المـــرء أو قـــل مالـــه فلـــيس لـــه مـــن ودهـــن نصـــيب

يُـــردْن ثـــراء المـــال حيـــثُ علمْنـــهُ وشـــرخ الشـــباب عنـــدهن عجيـــب

لقد أهدرتْ ما لزوجها من بقايا تعبير واحترام! حيث أدركتْه شيبة ، ضعفتْ قواه وقل ماله! إلا من دار تحت الإنشاء بهزلها وغباء أبيها يأتيه منها إيجاراتٌ يتقوتُ منها وعياله! فأصبحت تخرج من البيت بلا استئذان! وتأذن في بيتها لمن تريد من أهلها ومن سواهم ، ولو كان زوجها لا يرغب في دخولهم بيته ، وراحت من جرأتها في الباطل تتصرفُ في المال وتُعطي الرجل مصروفه من ماله! وباتت تترهلُ في حجابها الذي لم يكن يُظهر منها سوى عينين ترى بهما الطريق إلى كشف الكفين ، والقدمين ، ومحاجر العينين ، والحاجبين ، ولبس العباءات المزركشة التي تستلفت نظر الرجال! الأمر الذي لم تكن عليه في سِنيها الأولى من الزواج ، فبعد أن كانت تُحسَب على المحجبات الحشيمات ، أصبحت تُحسب على المتبرجات المترهلات المتساهلات الخارجات على نصوص الكتاب والسنة في باب الحجاب والاحتشام! وانتهت تماماً من انتقاص الجاهلية وأهلها ، ورأت كل الناس خيراً وبركة! وامتد الأمر إلى كبريات مسائل الاعتقاد التي كانت في مستهل زواجها إذا بها اليوم تتنازل عنها ، فتشهد للطواغيت بالإسلام ، وتعذر المجاهرين بالمعاصي والمستحلين لها بالجهل ، مع قدرتهم على إزالة جهلهم! ولم تعد تدرك من شروط (لا إله إلا الله) شرطاً واحداً ، فضلاً عن أن تُدلل عليه من الكتاب والسنة! وراحت تتهمُ زوجها بالتشدد والتعصب! زوجها زيد الذي هو مثالٌ للوسطية بعينها ، أصبحت تراه متعصباً متشدداً! نسأل الله ألا يُزيغ قلوبنا عن الحق حتى نلقاه! وكان ينبغي عليها أن تدعو أهلاً بعيدين عن الكتاب والسنة إلى الحق والخير ، فإن استجابوا فهي منهم وهم منها ، وإن

أعرضوا فلتفاصلهم على العقيدة والتوحيد! الأمر الذي كانت تصنعه من ثلاثة عقود! وإلا فهو الانتكاس في التصرف والسلوك والفهم والتصور! لقد أصبحتْ أذن شر لأهلها ، وكان ينبغي عليها أن تكون أذن خير لهم! صارت أذن شر لهم ، حيث يُمْلون عليها ما يرون من الخطط لإفساد حياتها التي بدأتْ على الكتاب والسنة! وحاول زيد إقناعها ، لكن الموج كان أكبر منه وأعتى! وراحت – بعد أن زين لها سوء عملها فرأته حسناً – تسخر من زوجها وتستهزئ به في كل كبيرةٍ وصغيرة! وما لبثت كما قلنا من قبلُ أن غيّرتْ هوية البيت المسلم الذي كان يوماً على الكتاب والسنة ، بات اليوم تُذاع فيه المسلسلات الساقطة وغير الساقطة وتبث فيه الأفلام! وبعد أن لم يكن فيه التلفاز ثم جاءه التلفاز بثلاثين قناة لا تزيد ، أصبح في بيتها تلفازان ، وكل منهما مزود بألف قناة مما لذ وطاب من مواد السقوط والانحطاط والإباحية والجاهلية! مما دعا زيدٌ إلى أخذ موقفٍ في الله ، يُشهده سبحانه ويشهد ملائكته ، أنه لم يعد منها في شيء ، وأنها لم تعد منه في شيءٍ ، حتى تنتهي عن كل هذه الممارسات الجاهلية جميعاً بدون استثناء! وراح زيدٌ يحذر أولاده منها مبيناً عيوب زيجته وزوجته معاً ، ويقول لهم: (أي أبنائي الأحبة ، لا يتزوجن أحدكم امرأة فيها هذه الصفات أو إحداها: 1 – أن يكون لها عليه غرماء ، لأن كل غريم سيكيد له ، ولن تسلم حياته من كيدهم! 2 – أن يوجد خلافٌ بين العائلتين عائلته وعائلتها ، فليدرسه إن كان معتبراً أو غير معتبر! ذلك أنه سوف يتفاقم على الأيام! 3 – أن تكون العروس وأهلها جاهليين لا يرفعون رؤوسهم بالالتزام الحقيقي بالقرآن والسنة! لأن علمها وعلمهم بالكتاب والسنة سينفعه في مشوار حياته ، حيث تكون هناك مرجعية للاتفاق والخلاف! 4 – أن يراها أهلها في نظرهم أفضل منه! ذلك أن هذه النظرة في التمييز تكبر على الأيام وتبيت معول هدم للحياة الزوجية!) والله إنني لأتعجب من أهل زيدٍ وأصهاره! أما الأهل فخذلانهم غير مُبرر بالمرة ، فلقد أعطاهمُ الرجلُ وأغدق عليهم بغير حساب! ولو كانوا ناصحين لأنفسهم ولابنهم ، لما خذلوه وأسلوه لأصهار يستنزفونه للحد الذي يتكفف فيه اللقمة بعد ثلاثين سفر غربةٍ ، وأين؟ في أغنى دولةٍ في العالم! كما أتعجب من أصهار زيدٍ الذين رشحوا ابنتهم عروساً له ، كما رشحوا زيداً عريساً لها! فلما نزل الرجل على ترشيحهم واختيارهم مثمناً إياه ، وحافظ عليها وعليهم وبذل الغالي والنفيس من أجل الجميع ، فإذا بهم بعد أن وصلوا إلى ما وصلوا إليه ، يتنكرون لزيدٍ ويخفرون جواره ويُهدرون معروفه ويخذلونه خذلاناً لا مثيل له! والله إن دورهم ليُشبه دور الشيطان كما تصفه الآية: (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين)! وكان على زبيدة أن تكتشف ذلك وحدها ، لأنه واضحٌ كل الوضوح ، ولا سبيل إلى إنكاره طرفة عين ولا أقل من ذلك! أما وقد استمرت في خديعتها الكبرى ، وظهرت حقيقتها بعد ثلاثة عقود ، فلتتحمل النتائج الوخيمة للعبها بالنار! وقد تجاوزتِ الخمسين ، فلا يليقُ بها إلا إكمالُ مسيرتها حتى تلقى الله سبحانه! والآن فلندع زيداً يحكي لنا خديعة زبيدة الكبرى في معلقةٍ طويلة!)

ألا يـــا ديـــاجيري ، لقـــد طلعَـــتْ شمســـي وأوغـــلَ نـــورُ الشـــمس فـــي دُلجـــة الطـــنسِ!

ولمَـــا أعُـــدْ أهفـــو لماضـــي سَـــذاجتي وهـــل عاقـــلٌ يهفـــو لداعيـــة البُـــؤس؟!

حَللـــتُ دِيـــارَ القـــوم ضَـــيفاً وصـــاحباً ودَرّســـتُ أقوامـــاً ، ولمّـــا يُفِـــدْ درســـي

وعلمـــــتُ جُهـــــالاً تأصّـــــلَ جهلهـــــم كـــأن عقـــولَ القـــوم صِـــيغتْ مِـــن الجـــبس

وزللـــــتُ ألغـــــازاً علـــــيهم تعسّـــــرتْ وسَـــطرتُ توضـــيحَ المســـائل فـــي الطِـــرس

وكنـــتُ اصـــطفيتُ الشـــرحَ سَـــهلاً مُفصـــلاً وأسْـــديتُه همســـاً ، ولـــم أعْـــلِ مِـــن حِســـي

وكنـــتُ صـــديقَ الكـــل ، نفـــعٌ صَـــداقتي وكِلـــتُ لصـــحبي مـــا تطيـــبُ بـــه نفســـي

وناولـــتُ ترحيبـــي لكـــل مَـــن ادّعـــى ودادي ، وإنْ عاينتُـــه أبغـــضَ الإنـــس

وأجهـــدتُ نفســـي كـــي أريـــحَ جُمـــوعهم وجُسْـــتُ ديـــارَ القـــوم حتـــى اشـــتكى جَوســـي

وناصـــحتُ لـــم أبخـــلْ بنصـــح وَعيتُـــهُ بقـــول نـــديِّ الوَقـــع أحلـــى مِـــن الـــدِبس

وجاهـــدتُ أهـــواءً مريـــراً جهادُهـــا لأن قلـــوب الـــبعض عانـــت مـــن الـــرجس

ومَـــرّتْ سِـــنيُّ العُمـــر تلهـــو بتائـــهٍ فأهدتْـــه مِـــن زلاتهـــا محنـــة الـــتعس

ولمّـــا عـــدِمتُ الأهـــلَ أحيـــا بأنســـهم توَهمـــتُ أنْ ألقـــى لـــدى صُـــحبتي أنســـي

فخابـــت ظنـــوني ، وانتهـــى بـــي تـــوهُمي إلـــى ضـــيعة التصـــميم والعـــزم والبـــأس

فـــألفيتُني خلـــفَ الســـراب مُحطمـــاً أعـــاني مِـــن التشـــريد والفقـــد والعَمـــس

فقـــررتُ أن أنـــأى لحِفـــظ عَقيـــدتي فـــإن مُصـــاب الـــدين مِـــن أشـــرس الـــنكس!

ففاجـــأني بـــالعزف عـــن ذا كبيـــرُهم فقلـــت: يـــا عمـــي لقـــد شـــط بـــي يأســـي!

ألا إننـــي آثـــرتُ داراً بعيـــدة كمـــا خـــزرج تحيـــا القبيلـــة والأوس!

فـــدعني وشـــأني ، فـــالخطوبُ عســـيرة وقلبـــي يُقاســـي مِـــن مُداهمـــة الـــوَجس

أخـــافُ مـــن الإفشـــال يجتـــاحُ هِمتـــي ومـــا كنـــتُ ذا ســـيفٍ يُـــدافعُ أو تُـــرس

وأحيـــا غريبـــاً بـــين أهـــل تنكـــروا وأبٍّ وأم ، بـــل وإخـــوَتيَ الخمـــس

قلـــوْني جميعـــاً ، واســـتباحوا كرامتـــي ولمّـــا أعُـــدْ مـــنهم ، ويَصـــدُقني حَدســـي

يَقينـــاً تباعـــدْنا ، وصِـــرتُ لـــديهمُ كفـــوراً كمـــا الكـــذاب والأســـود العنســـي

فقـــاطعني بـــالأمر كنـــتُ انتويتُـــه وكـــم يشـــتهي الإنســـان عـــن رغبـــة الـــنفس!

فقـــال: ابنتـــي أهـــديك يـــا خِـــل زوجـــة وقـــال: اســـتخرْ ، أرجـــي القـــرارَ مِـــن الـــرأس

فقلـــتُ: اصـــطبرْ ، وامـــنح صـــديقك فرصـــة فـــأمرٌ كهـــذا لا يكـــونُ بـــلا درس!

وعـــدتُ لنفســـي مَـــرة بعـــد مَـــرةٍ فقلـــتُ: لقـــد كـــان الـــذي قـــال فـــي الـــنفس!

وعُـــدتُ بـــذي الـــدعوى لبنـــتٍ وأمهـــا وقلـــتُ: أنـــا أنهـــي الـــذي قِيـــلَ بـــالأمس

إذا لـــم يكـــنْ أرجـــى قبـــول وراحـــةٍ فـــلا خيـــرَ فـــي أمْـــر يُنفـــذ بالـــدس

ألا صـــارحيني ، بـــل وكـــوني شُـــجاعة ألا إن صـــدقَ القـــول مِـــن أقـــوم الأس

فقالـــت: أريـــدُ الأمـــرَ ، هـــذي قنـــاعتي بصـــدع جَلِـــي الصـــوت لـــيس بـــالهمس!

فقلـــتُ: اذكـــري كـــل الشـــروط بـــلا حيـــا بكـــل وضـــوح ، لا أميـــلُ إلـــى اللـــبس

فســـاقت شـــروطاً مـــا أبيـــتُ أداءهـــا وتحقيقهـــا بالجُهـــد والبَـــذل والـــبَس

وأعلمتُهـــا شـــرطي بـــدون تحفـــظٍ فأبـــدتْ قبـــولاً مـــا احتـــوى غـــامضَ الحَـــيس

وتـــم زواجٌ تمقـــتُ الـــنفسُ ذِكـــره أقـــيمَ علـــى الشـــجوى ، وأفضـــى إلـــى الـــبَكس

وســـادتْ بـــلاءاتٌ طـــوتْني غمومُهـــا ولـــم تكـــن الرعنـــاءُ طيِّبـــة الغـــرس

قلتُـــي عَـــروسٌ غلبـــتْ طـــيشَ أهلهـــا وباعـــت ودادَ الـــزوج بـــالثمن الـــبخس

وأبـــدتْ مـــن العِنـــد المُوَشـــح بالغبـــا نصـــيباً يُصِـــيبُ القلـــبَ بـــالكرب والـــركس

ولـــم تســـتقمْ يومـــاً لتُـــدرك خيرَهـــا ودَكـــتْ عَمـــودَ البيـــت بـــالمَكر والـــدهس

وأفشـــتْ مـــن الأســـرار مـــا يُســـعدُ العـــدا إلـــى أن تســـاوى العـــيشُ فـــي البيـــت بـــالحبس

وآلمنـــــي جـــــداً تـــــدخلُ قومهـــــا وداري بهـــــم أمســـــتْ تُشَـــــبّهُ بـــــالرَمس

خُـــدعتُ وربـــي فـــي الحليلـــة مـــا ارتقـــتْ بـــدين نبـــي جـــاء للجـــن والإنـــس

تبيـــتُ وتُمســـي فـــي دُجـــى جاهليـــةٍ بـــألف قنـــاةٍ فـــي مضـــاربها تُمســـي

هُويـــة بيـــتٍ تلـــك بالكـــاد غيّـــرتْ وإلـــفُ المعاصـــي كـــلَ منقبـــةٍ يُنســـي

ثلاثـــين عامـــاً مـــا تـــدنتْ هُـــويتي وقـــد عشـــتُ دهـــراً أسَّ بيضـــتِها أرســـي

وأمســـى حِجـــابُ الســـتِّ أخـــزى تبـــرُّج فهـــل تقتـــدي فـــي الســـتر بالرومـــان والفـــرس

فكفـــان مكشـــوفان عمـــداً لنـــاظر فهـــل أمَـــة ذي أصـــبحت مـــن بنـــي (عـــبس)؟!

وزادت علـــى الكفـــين رِجْلـــي أثيمـــةٍ وقـــد زينتـــا للأعـــين الجُـــردِ بـــالوَرس!

وبـــات نقـــاب الوجـــه أعظـــمَ فتنـــةٍ كـــأني بهـــا (ليلـــى) تهـــادتْ لـــدي (قـــيس)!

وزينـــــتْ عبـــــاءاتٌ تُخاتـــــلُ مـــــن رأى وسِـت الهـوى والحسـن تختـال فـي المـيس

وتخـــــرجُ مـــــن بيـــت بـــــلا إذن زوجهـــا فهـــل عقلهـــا هـــذا أصـــيبَ بـــالهوس

أم الجـــن أعطاهـــا مـــن المـــس جرعـــة فباتـــت تُقاســـي شـــدة الصـــرع والمـــس؟!

ألا إننـــي فيهـــا خـــدعتُ ، ولـــم أكـــنْ أبيِّـــتُ سُـــوءَ الظـــن ، ذا لـــيس مـــن حَســـي

خـــــدِعتُ بـــــأقوال تســـــامتْ حُروفهـــــا يُرددُهـــــا عبـــــدٌ بسَـــــهْوَكة القِـــــس!

وبالغـــتُ فـــي التجميـــل أرضِـــي بـــه العِـــدا وسَـــوّيتُ بـــين الطهـــر فـــي الـــوزن والـــرجس

وأســـرفتُ فـــي الإطـــراء ، لـــم أكُ حـــاذراً ومـــا صـــحَّ ممـــا قلـــتُ جُـــزءٌ مـــن الســـدس

وغالطـــــتُ إذ خِلـــــتُ الحُثالـــــة صَـــــفوة وهـــــل يُشـــــترَى أهـــــلُ النجابـــــة بـــــالفلس؟!

ويومـــــاً نُلاقـــــي فـــــي القيامـــــة ربنـــــا ويَقـــــتصّ ربـــــي مِـــــن دَهاقنـــــة الإنـــــس!

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

دياجيري: ظلماتي. دلجة: ظلمة. الطنس: شدة الظلام. أهفو: أميل. سذاجتي: طيبتي الزائدة عن الحد. البؤس: شدة الحزن. زللتُ: سهلتُ. تعسرت: صارت صعبة. الطِرس: الصحيفة. اصطفيت: اخترت. حِسي: صوتي. حَسي: إحساسي. الجوس: التجوال. وعيته: عرفته. الدبس: عسل التمر. سني العمر: سنواته. زلاتها: هفواتها وسقطاتها. التعس: التعاسة. العمس: الاضطراب واختلاط الأمور. أنأى: أبتعد. النكس: هو الانتكاس. العزف: الانتهاء. شط: ازداد. الخطوب: المحن والشدائد. عسيرة: صعبة وعاتية. الوجس: الحذر والخوف والتوجس. تُرس: دِرع. حدسي: تخميني وظني. الكذاب: مسيلمة الكذاب. الأسود العنسي: مدعي النبوة الكفور. الدس: الإخفاء. الأس: الأساس. اللبس: الغموض. البس: شدة المجهود والعناء. الحَيس: الارتباك عند اختلاط الأمور. تمقت: تكره بشدة. الشجوى: شدة الحزن. البكس: القهر. الرعناء: قليلة الحكمة والرشد. الثمن البخس: أي المزهود فيه. الركس: قلب الأمر أو الشيء رأساً على عقب. الدَهس: هرس الشيء ليختلط بعضه ببعض. الرمس: القبر. الحليلة: الزوجة. ألف قناة: قنوات التلفاز. أرسي: أؤسس وأقيم. بني عبس: قبيلة في الجاهلية اعتادت الإماء فيها كغيرها من قبائل الجاهلية على كشف الوجوه والكفوف والأقدام! الأعين الجُرد: أي المجردة التي تبصر الأشياء بشدة! الورس: نبات شديد الحمرة للطلاء به. قيس وليلى: عشيق وعشيقته من بني عامر. الميس: التبختر والخيلاء. الهوس: الجنون. المس: مس الجن وصرعه. سهوكة: عامية دخيلة معناها التزلف الرخيص. القس: القسيس. يقتص: يعيد الحقوق من غاصبيها. دهاقنة: عتاة الظالمين.

قبيلة خلعتْ بُرقعَ الحياء!

(في الجاهلية الغابرة كانت الجاهلية الأولى تخلعُ من الرجال من يُخالفُ عن عُرفها وتقاليدها وعاداتها وسلومها ، فتكون منه الأفعالُ والأقوالُ والأعمالُ التي تُشينُ القبيلة أو تحِط من شأنها ، أو يرتكبُ جريمة في حق قبيلة أخرى فيها ديات وحقوق للآخرين! ويسمى الرجل (خليع القبيلة) ، فلا يتعامل معه أحد ، ولا يعترف به أحد! وذلك ليذوق وبال أمره من مخافة القبيلة وإتيان ما يشينها ويُزري بها بين القبائل! ولكن في الجالية الحاضرة يختلف الحال تماماً! حيث تخلعُ القبيلة الرجل المحترم الشهم الفذ العفيف الشريف صاحب المروءة والنجدة! ونسأل: لماذا؟ فيكون الجواب: لأنه إنسان ذو خلق ودين وعفةٍ وشرف! أن شعار القبيلة أصبح شعار قوم نبي الله لوط – صلى الله عليه وسلم -: (أخرجوا آل لوطٍ من قريتكم)! وإذا بحيثيات الحكم بعد ذلك تجيء لتبين السبب وتفصّل العلة: (إنهم أناس يتطهرون)! وكأن القبيلة بذلك قد خلعتْ بُرقع لحياء ، وأصبحت بقايا حيائها بقايا عهر! وغدا الانتساب إليها عاراً أي عار! وعندما حكى لي أحد الرجال قصته مع قبيلته آليتُ على نفسي أن أصوغ مأساته في قبيلته شعراً! منددا بقبيلةٍ هي أسوأ وأضل في جاهليتها الحاضرة من شتى القبائل في الجاهلية الغابرة! حيث إن هذا الرجل كان قد بذل الغالي والنفيس ، نعم بذل ما يملك وما لا يملك مضحياً بنفسه وزوجه وولده وبيته في سبيل رفعة وعلو وسمو وسعادة قبيلته! في الوقت الذي جعلت القبيلة رد الجميل النكران وخلع الرجل منها وعدم توقيره فضلاً عن الاعتراف به بين الناس والعوائل! ويتضح لأمر أكثر إذا عقدنا مقارنة بين الجاهلية الغابرة والجاهلية المعاصرة في مبدأ خلع الرجل في كل منهما! يقول الدكتور شوقي ضيف في مصنفه الرائع: (تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي) المجلد: 1 الصفحة: 67 ما نصه: (كانت القبيلة في العصر الجاهلي تتألف من ثلاث طبقات: أبناؤها: وهم الذين يربط بينهم الدم والنسب وهم عمادها وقوامها ، والعبيد: وهم رقيقها المجلوب من البلاد الأجنبية المجاورة وخاصة الحبشة ، والموالي: وهم عتقاؤها ، ويدخل فيهم الخلعاء الذين خلعتهم قبائلهم ونفتهم عنها ؛ لكثرة جرائرهم وجناياتهم. وكانوا يعلنون هذا الخلع على رؤوس الأشهاد في أسواقهم ومجامعهم ، وقد يستجير الخليع بقبيلة أخرى فتجيره ، وبذلك يصبح له حق التوطن في القبيلة الجديدة ، كما يصبح من واجبه الوفاء بجميع حقوقها مثله مثل أبنائها. ومن هؤلاء الخلعاء طائفة الصعاليك المشهورة ، وكانوا يمضون على وجوههم في الصحراء ، يتخذون النهب وقطع الطريق سيرتهم ودأبهم ، على نحو ما نعرف عن تأبط شرًّا والسليك بن السلكة والشَّنْفَرى. على أن منهم من كان يظل في قبيلته لفضل فيه مثل عروة بن الورد ، وكان كريمًا فياضًا ، وأثر عنه أنه كان يجمع إلى خيمته فقراء قبيلته عبس ومعوزيها ومرضاها ، متخذًا لهم حظائر يأوون فيها ، قاسمًا بينه وبينهم مغانمه. وهذا الخلع إنما كان يحدث في حالات شاذة ، أما بعد ذلك فإن أفراد القبيلة كانوا متضامنين أشد ما يكون التضامن وأوثقه ، وهو تضامن أحكم عراه حرصهم على الشرف وقد تكونت حوله مجموعة من الخلال الكريمة لعل خير كلمة تجمعها هي كلمة المروءة التي تضم مناقبهم، من مثل الحلم والكرم والوفاء وحماية الجار وسعة الصدر والإعراض عن شتم اللئيم والغض عن العوراء).هـ. وإذن فخلع القبيلة لأحد أفرادها أمر ضارب بجذوره في عمق التاريخ الإنساني ، وربما كانت له مبرراته وحيثياته في القديم ، وقد عُرفَ وساد ثم باد ، فلقد أزالها النبي – صلى الله عليه وسلم – ، بل أزال الجاهلية برُمتها ، وأحل محلها الإسلام ذلك الدين العظيم! فما باله اليوم قد عاد ، وفي صورةٍ هي الأسوأ مما كانت عليه في الجاهلية الغابرة؟!

يقول الأستاذ محمد شعبان ما نصه: (لكل مجتمع مفرداته الخاصة التي تقسمه طبقات وفئات وفقاً لمعطيات الثروة والسلطة. واستتبع التفاوت في الملكية وفي المعيشة عند العرب قبل الإسلام تمايزاً اجتماعياً بين أفراد القبيلة الواحدة ـ خاصة في الحضر ـ ما أدى إلى انقسام أبنائها الأحرار إلى أغنياء وفقراء ، إضافة إلى الانقسام الذي كان قائماً بين الأحرار و"العبيد". انقسم المجتمع العربي في الجاهلية ثلاث طبقات نتيجة الوضع الاقتصادي والمكانة الاجتماعية ، وكانت كل طبقة تتكون من طبقات أخرى داخلية. الطبقة العليا: يدخل فيها أبناء القبيلة الأحرار الذين يرتبطون في ما بينهم برابطة الدم والنسب والجد المشترك ، وهم عمادها وقوامها. قال الدكتور محمد سهيل قطوش في كتابه "تاريخ العرب قبل الإسلام" ما نصه: (إن أبناء هذه الطبقة كانوا يهبّون لتلبية نداء القبيلة والتضامن معها ظالمة أو مظلومة ، وفي المقابل تعمد القبيلة إلى حمايتهم وتمنحهم حق التصرف في واحد من أهم مظاهر الشرف والرفعة في هذا المجتمع وهو الإجارة ، فكان المجير يدخل في حماية من أجاره من أفراد القبيلة فيدافع عنه ويقاصص من يتعرض له بالأذى ، ويلزم بذلك قبيلته ، مما عرّض القبائل لكثير من المشكلات ، وفرض مسؤوليات وتضحيات عديدة عليها ، وكان المجير يعلن الإجارة على الملأ صراحة بقوله: "قد لزمني ذمامك وأنا مانعك مما أمنع نفسي وأهلي وولدي منه).هـ. وتشكلت الأرستقراطية العربية من رؤساء القبائل وأعيانها وأقاربهم ، فمنهم التجار وأصحاب الإقطاعات الكبيرة في الحواضر والمناطق الزراعية والرعوية ، وقد تركزت الثروات في أيديهم. وتمايز أعضاء هذه الطبقة عن فقراء القبيلة ومعدميها في مظاهر عديدة أبرزها تملكهم أعداداً كثيرة من أصناف الماشية لا سيما الإبل ، فضلاً عن مساحات واسعة من مناطق الرعي. وذكر طقوش إن هذا التغلغل المادي أثر في نفوس أصحاب هذه الطبقة ، وظهرت آثاره في الديات ، ففي حين كانت دية الحر الشريف تصل إلى الألف من الإبل ، كانت دية غيره من الأفراد الفقراء أو المعدمين لا تكاد تصل إلى النصف من هذه القيمة. كما تميز الأعيان بنصب خيامهم في الروابي المشرفة على سائر أبناء القبيلة ، واقتناء السجاد النفيس والأواني المعدنية والزجاجية المرتفعة الثمن ، وأجود أنواع الأسلحة ، وأجمل أسرجة الخيل والإبل. وقال الدكتور جواد علي في كتابه: "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" إن رجال الدين كانوا ضلعاً أساسياً في هذه الطبقة فكان لهم امتيازات خاصة، لأنها ألسنة الآلهة الناطقة على هذه الأرض ، والآمرة والناهية ، وهم من يحللون ويحرمون، لذا كان لهم أموال وأملاك ، ولهم على الناس حقوق يأخذونها منهم، وارتبطت مصالحهم بمصالح الحكام. الطبقة الوسطى: حيث يشكل الموالي عماد هذه الطبقة. قالت الدكتورة ديزيرة سقال في كتابها: "العرب في العصر الجاهلي" ما نصه: (إن الموالي هم الذين تعتقهم القبيلة بعد أن كانوا رقيقاً فارتقوا من الطبقة الدنيا إلى الطبقة المتوسطة. الخلعاء أيضاً جزء أساسي من تكوين هذه الطبقة ، وهم أفراد تخلعهم القبيلة لسوء سيرتهم ، ويكون هذا الخلع علناً أمام الناس وفي الأسواق والمجامع. ومعنى الخلع هو التبرؤ من الفرد ، فلا تدافع عنه قبيلته ، ولا تجيره ، ولا تقع عليها تبعات أعماله. والخلع أقصى عقوبة يمكن أن تلجأ إليها القبيلة ، لأن المخلوع عندئذ يشبه في أيامنا الفرد الذي نفته الحكومة من وطنه ، وقد يستجير الخليع بقبيلة أخرى ، فيوفيها جميع حقوقها كما ذكرت سقال. وينتمي الصعاليك إلى الطبقة الوسطى. قال طقوش: إنهم فئة من الفقراء أفرزهم توزيع الثروة والتمايز الاجتماعي ، فانسلخوا عن قبائلهم تعبيراً عن تململهم من الفقر والجوع والحرمان والشقاء والازدراء الذي كانوا يعانونه ، واحترفوا اللصوصية ليغنموا عنوة

ما حُرموا منه. الأعيان ، الموالي ، الخلعاء ، الصعاليك... تعرفوا على التراتبية الاجتماعية لدى العرب قبل الإسلام! والأغربة أيضاً ينتمون إلى هذه الطبقة. وهم أصحاب البشرة السوداء الذين ورثوا سواد البشرة من أمهاتهم الإماء ، فلم يعترف بهم آباؤهم العرب ولم ينسبوهم إليهم لأن دماءهم ليست عربية خالصة ، حسبما ذكر طقوش. الطبقة الدنيا: وتشكل هذه الطبقة شريحة كبيرة في المجتمع القبلي في العصر الجاهلي ، وتضم العبيد أصحاب البشرة السوداء والرقيق الأبيض والأسود. ذكر جواد علي أن العبيد هم حاصل الحروب ، فإذا وقع إنسان أسيراً في غزو أو حرب صار ملكاً لآسره ، إن شاء مَنّ عليه ففك رقبته ، وإن شاء ملكه فصار عبداً له يحتفظ به إن أراد ، أو يهديه لغيره فيصير في ملك من أهُدي له ، أو أن يبيعه ، فيقبض ثمنه ، فتنتقل ملكية العبد إلى شاريه. التجارة مورد آخر أمد الجاهليين بالعبيد ، واختص بها قوم عرفوا بالنخاسين ، كانوا يأتون بالرقيق من مختلف الأماكن ويبيعونه وكانت تجارة رابحة. ومن العبيد قوم كانوا مدينين فلم يتمكنوا من سداد ديونهم فبيعوا رقيقاً ، ومنهم من صار رقيقاً لعدم تمكنه من دفع مال يجب عليه تأديته ، كالذي روى من تقامر أبي لهب والعاص بن هشام على أن من قُمر صار عبداً لصاحبه ، فقمره أبو لهب فاسترقاه واسترعاه إبله. وذكر علي أن كثيراً من ملاك الرقيق كانوا ذوي قلوب غلاظ لا يرحمون عبيدهم ولا يرفقون بهم ، وإذا شهد العبد غزواً أو حرباً وغنم فلا يعطى حقه له ، وكان يؤخذ سهمه ويعطى إلى سيده ، ولم يكونوا يثقون بأمانة رقيقهم ، لذلك حقد الرقيق على سادتهم ، وانضموا إلى أعدائهم إن وجدوا فرصة مؤاتية لهم أملاً بإصلاح الحال. ولما حاصر الرسول الطائف نادى مناديه "أيما عبد نزل فهو حر وولاؤه له ورسوله" فنزل جمع منهم وأسلموا وصاروا أحراراً. ويقول طقوش في كتابه عنهم: إن العبيد سكنوا أكواخاً حقيرة وعاشوا بضنك ، نتيجة الحرمان والجوع ، وجُردوا من جميع الحقوق ، وفُرضت عليهم واجبات مرهقة سلبتهم إنسانيتهم وباعدت بينهم وبين الحد الأدنى من الحياة الكريمة ، فليس للعبد أن يتزوج إلا بإذن سيده على أن يتزوج عبدة (أمَة) مثله. والتقسيمات الطبقية التي عرفها المجتمع الحضري لم يعرفها المجتمع البدوي ، أي: مجتمع الأعراب. قال علي إن هذا المجتمع كان ساذجاً وليس في تكوينه تعقيد ولا تعدد طبقات ، إذ صقلت البادية أهلها وبسطت لهم أسلوب الحياة ، وقلصت من الفوارق الطبقية ، ومن ثم لم تشهد بلاد البدو اختلافاً كبيراً في منازل الناس ، وتركزت الطبقات في سادات القبائل وهم رؤساء القبيلة وأشرافها وأحدهم سيد القبيلة أو رئيسها ، ثم أشراف العشائر ولهم أموال ورقيق يخدمونهم. أما سواد القبيلة ، فهم منتشرون في أرض القبيلة على هيئة مجتمعات صغيرة متفرقة مبعثرة نظراً لضيق العيش الذي لا يساعد على تجمع أفراد القبيلة تجمعاً كبيراً في محل واحد ، تظهر فيه الحرف وتتنوع الأعمال التي تكون في مجتمع الحضر. ولسادات القبائل المال وهي الإبل يشربون من ألبانها ، ويأكلون لحومها ، وهم الذين باستطاعتهم الذهاب إلى القرى والمدن ومواطن الحضارة للعيش فيها زمناً ، ولشراء ما يجدون في أسواقها من سلع ثم يعودون إلى وطنهم ليرعوا مالهم وينظرون في شؤون قبيلتهم. وقد استخدم الأعراب العبيد أيضاً ، ولكنهم لم يكثروا من استخدامهم مثل أهل الحضر ، لعدم وجود حاجة كبيرة عندهم إليهم. وأشار علي إلى أن عبيد الأعراب كانوا أكثر حرية وأحسن حالاً من عبيد أهل الحضر ، ذلك لأن البادية لم تكن تعرف الأعمال المرهقة ولا الحرف الكثيرة مثل الحضر ، لذلك صارت الأعمال التي يقوم بها عبيد الأعراب أقل بكثير من الأعمال التي يقوم بها أهل القرى ، وصار العبد في البادية ألصق بصاحبه من مثيله في القرية ، حتى صار وكأنه جزء من

أهل البيت الذي اشتراه أو ورثه).هـ. وإذن فالجاهلية الأولى الغابرة إن قامت بهذا كله في حق الإنسان ، فلقد فعلت ذلك في ظل غياب الدين الحق دين إبراهيم – صلى الله عليه وسلم – وغياب القيم والأخلاق والأسس والمعايير الحقة التي ترقى بالإنسان وترفع من شأنه وتحترم إنسانيته وآدميته! أما في الجاهلية الثانية المعاصرة فما هو المبرر وأغلب أهلها ينتسبون إلى الإسلام والنبي محمد والقرآن؟! وفي كتاب الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي يقول مؤلفه الدكتور [يوسف خليف] وتحت عنوان: (التفسير الاجتماعي لظاهرة الصعلكة): (إنه إيمان القبيلة بوحدتها ، لقد ألف قيس بعد خلعه عصابة من صعاليك العرب جمع فيها "شذاذا من العرب وفتاكا من قومه" ، ويغلب عليَّ الظن أن هؤلاء الفتاك هم أولئك الذين اشتركوا معه في حادثة القتل التي كانت سببا في خلعه. وكان أول ما فعلته هذه العصابة أن حاولوا الانتقام لأنفسهم من أولئك الذين كانوا سبباً في خلعهم ، فأغاروا عليهم وقتلوا منهم رجلا واستاقوا أموالهم ، وهكذا أثبت لقومه الذين خلعوه أنه قادر على أن يقف في وجههم برغم أنه "خليع مطرود" ، على حد تعبيره في بعض أبياته ، وأنه لا يتورع عن قتل أي فرد من قومه وقف في طريقه ، وأنه قادر على أن يسلبهم تلك الأموال التي كان حرمانه منها سبباً في عجزه عن دفع الدية ثم في خلعه نتيجة لذلك. ومع ذلك فقد كان قيس نبيلاً في موقفه من أولئك الذين لم يكن لهم ضلع في خلعه ، فقد لحقه بعد هذه الغارة "رجل من قومه كان سيداً ، وكان ضلعه مع قيس فيما جرى عليه من الخلع يقال له ابن محرق ، فأقسم عليه أي يرد ما استاقه ، فقال: أما ما كان لي ولقومي فقد أبررت قسمك فيه ، وأما ما اعتورته أيدي هذه الصعاليك فلا حيلة لي فيه ، فرد سهمه وسهم عشيرته". وهكذا كان قيس الصعلوك "سيداً" في موقفه ، فرق بين أولئك الذين كانوا سبباً في خلعه وبين سائر عشيرته ممن لم يكن لهم يد في هذا الخلع ، وفرق بين مركزه زعيما لعصابة لأفرادها حق في الغنيمة لا يجوز حرمانهم منه ، وبين مركزه طالبا الانتقام من جماعة معينة. وظل هذا الصعلوك المتمرد يجمع الخلعاء والشذاذ ويغير بهم، حتى قتل).هـ. هذا ، ويطلق على مرحلة ما قبل الإسلام في جزيرة العرب العصر الجاهلي ، وتقدّر المدّة الزمنية لهذا العصر بقرن ونصف قبل الإسلام ، وقد أطلق هذا المسمّى في العهد الإسلامي وتختلف الروايات حول سبب التسمية حيث عزى بعض المؤرخين ذلك إلى انتشار الأمّية في ذلك العصر وذهب بعضهم إلى عبادة الأصنام والتقرّب إلى الله من خلالها ، وقد انتهى هذا العصر ببعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم واعتناق العرب للدين الإسلامي. ولقد اتسمت الملامح الاجتماعية للعرب بالقبلية والتعصب للجماعة والتمسك بالعادات والتقاليد المتوارثة ، وبالرغم من ظاهر الاسم إلا أنّ ذلك العصر تميّز بتمسّك العرب بالأخلاق الحميدة والتفاخر فيها من خلال الحس الأدبي والشعري العائد إلى فصاحتهم الكبيرة وقدرتهم على الحفظ ، كما كان المجتمع آنذاك مقسّم تقسيم طبقي حيث ظهر السادة والعبيد والرقّ. وكان النمط المعيشي السائد للقبائل العربية هو النمط البدوي البسيط حيث عاشوا في داخل الصحراء خلف مصادر المياه والعشب للرعي ، واتخذوا من الخيام مساكنًا لهم ، وغالب أكلهم من التمر واللبن وكانوا يتميزون بالفصاحة اللغوية ، أمّا في المدن الحضرية كمكّة المكرمة ويثرب والطائف ومدن اليمن والحيرة فقد كان نمط حياتهم أكثر ترفًا من ناحية الطعام المتنوّع والملابس الفاخرة وآنية الذهب والفضة ، وكان غالب عملهم في التجارة ويسكنون بيوتاً حجرية. وشهد هذا العصر تمسّك العرب بالنظم الاجتماعية والعادات والتقاليد المتوارثة ، وقد انتشرت الأخلاق والعادات الحميدة عند العرب آنذاك ، ومن أبرز هذه العادات الحميدة هي إكرام

الضيف حتى يصل بالشخص إلى حرمان نفسه وعائلته ليطعم ضيفه ، وكان الصدق والوفاء بالعهود والالتزامات محمودًا عندهم ، وكانوا يحسنون الجوار ويحمون المستجير ويذودون عنه بالسيف والدم إن استدعى الأمر. وكانت الكرامة وعزّة النفس عندهم تاجًا يفتخرون فيه بالصبر والتحمل لضنك الحياة ، وكانت الشجاعة في ميادين الحرب ونجدة المظلوم من الخصال التي امتازوا بها وألفوا بها الأشعار والأغاني ، وكانوا يحترمون الأشهر الحرم والبلد الحرام ولا يسفكون فيها الدماء ومن مظاهر ذلك إمساك قبيلة هوازن عن قتال قبيلة كنانة عند دخولهم الحرم في حرب الفجّار. وفي الجهة الأخرى كانت التقاليد المذمومة عند العرب في العصر الجاهلي مُنتشرة جهلًا وتوارثاً ، فانتشر القمار والميسر وخاصةً في المدن الحضرية وعرفوا التطيُّر في الاختيار من خلال ترك الطير فإذا ذهب يُمنةً استبشروا وإذا طار يُسرةً تشاءموا ورجعوا عن أمرهم. والتنظيم القبلي المبني على العشائرية هو النظام السائد عند العرب في الجاهلية وينتسب الفرد إلى قبيلته التي ينتمي إليها ، وكانت القبائل وحدات منفصلة مبنية على الدم والنسب دون حدود جغرافية أو سياسية واضحة ، وقُسّم النسب عند العرب إلى مراتب أولها الشُعب وهي أعلى مراتب النسب كعدنان وقحطان تلاها القبيلة كمضر وربيعة ، ثمّ تنقسم القبيلة إلى العمارة كقريش وكنانة ، يليها البطن كبني عبد المناف وبني مخزوم ، ثم تنقسم إلى الفخذ كبني أمّية وآخرها ، والفصيلة التي تنقسم عن الفخذ كبني العبّاس ، وكان نظام القبيلة الاجتماعي ينقسم بشكل طبقي إلى ثلاثة أقسام رئيسية ، نستعرضها فيما يأتي: الصرحاء (الأحرار): وهم أبناء القبيلة وجمهورها وأعلى مراتبها يرتبطون بالدمّ فيما بينهم وخالص النسب ، وكانوا دعامة القبيلة في الحروب ينتصرون لها ظالمة كانت أو مظلومة ، وإذا خرج الحُرّ عن قبيلته أو سلك طريقًا يجلب العار نبذته القبيلة ويسمّى خليع القبيلة ، وقد يلجأ إلى الصحراء ويسمّى حينها صعلوك. الموالي: وهم الطبقة الثانية في القبيلة وعليهم نفس واجبات الطبقة الأولى ولكن لا يتمتعون بسائر الحقوق ، ويتألفون من الحلفاء الذين لجأوا لهذه القبيلة بعد أن خلعتهم قبيلتهم أو العتقاء وهم العبيد الذين عُتقت رقابهم. والعبيد (الرقيق): وهم الطبقة الأدنى في المجتمع ، تلك الطبقة المحرومة من الحقوق بالرغم من ثقل الواجبات عليها تجاه الأحرار والسادة).هـ. عموماً لنطالع القصيدة فلربما أدركنا الفرق الكبير في قيم وموازين الجاهليتين: الأولى الغابرة والثانية المعاصرة! ويا له من انتكاس يُزري بالإنسان كل الإنسان!)

وَهَنَ الإيمانُ ، وانفلّ النسَبْ! وخبا السُؤدَدُ ، والتاعَ العصَبْ!

كيف زالتْ يا تُرى أقوى العُرَى والموازينُ أراها تضطرب؟!

كيف صُد القومُ عن درب الهُدى كيف زال العِلمُ عنهم والأدب؟

كيف ساروا في دهاليز الهوى؟! كل دهليز بَلاهم بالتبب!

والمعاييرُ بهم لا ترتقي حيث باتوا في متاهات العِيَب

وغدا الحقُ لديهم باطلاً ولِمَا يَهوون قد كان الغلب

واستوى خيرٌ وشرٌ عندهم وسَنا المعروف عنهم مُحتجب

تغـــدُ مـــنهم إن تُوافـــقْ نهجَهـــم ... وتُؤيّـــدْ ، ثـــم عـــن عَمـــدٍ تُحَـــب

وتُجنـــــدَلْ إن تُخـــــالفْ عُـــــرفهم ... وتُكافـــــأ بالبلايـــــا والنـــــوب

أي جُـــــرم يـــــا أهيلـــــي جئتُـــــهُ ... صَـــــدني إتيانُـــــه عمـــــا يجـــــب؟!

أي تقصـــــير أنـــــا مارســـــتُهُ ... أحـــــدثَ الصَـــــدْعَ الـــــذي لا يَرتئِـــــب

كلكـــم يـــا أهـــلُ عـــن حقـــي عشـــى ... والســـؤالُ المُـــر قولـــوا: مـــا الســـبب؟!

ألأنـــــي مـــــؤمنٌ مستمسِـــــكٌ ... بهُـــدى الإســـلام فـــيكم عـــن رَغـــب؟!

أعبُـــدُ المَـــولى ، ولـــم أعـــدلْ بـــه ... أفعـــلُ الخيـــرَ ، ودومـــاً أحتســـب؟

مـــؤثراً تقـــوى إلهـــي والهُـــدى ... راضـــياً بـــالأمر مولانـــا كتـــب

مســـتجيباً للرســـول المصـــطفى ... خيـــرِ مبعـــوثٍ لعُجْـــم والعَـــرَب

أجعـــلُ القـــرآنَ نهجـــي مُخلصـــاً ... صـــادقاً فـــي العـــزم ، لا أرضـــى الكـــذب

تابعـــاً أســـلافنا فيمـــا أتـــوا ... إنّ فـــي منهـــاجهم أســـمى القـــرَب

خلفهـــم أســـعى ، فهـــم خيـــرٌ صُـــوىً ... جـــيلهم ولـــى ، وللآتـــي الكُتُـــب

قـــد رفعـــتُ شـــأنَ قـــومي عاليـــاً ... ولربـــي الشـــكرُ دومـــاً إذ وهـــب

لـــم أكـــنْ عـــاراً علـــى قـــومي الألـــى ... أهـــدروا حقـــي ، وأزرَوْا بالنســـب

ســـلبوا الأســـفارَ ، واحتلـــوا الحِمـــى ... وإذا مـــا ذكّـــروا ســـاقوا الغضـــب

واســـتهانوا بالســـجايا ، ويحهـــم! ... واكتفـــوا بالإســـم يُـــزري باللقـــب

صَـــنعوا منـــي مَتاعـــاً زائـــداً ... مـــا لـــه فـــي قلـــب عبـــدٍ مـــن إرَب

جعلـــوني مثـــلَ كَـــم مُهمـــل ... مـــا لـــه فـــي أي ســـوق مِـــن طلـــب

خلعـــوني بعـــدما ذاقـــوا الغنـــى ... لـــم يعـــدْ منـــي رذيـــلٌ يقتـــرب

مثـــل طـــاعون ، ألا فليحـــذروا ... مَـــنْ يُؤَمِّـــلْ سِـــلمَه فليجتنـــب

وارتـــأوا هجـــري نعيمـــاً يُبتغـــى ... كبَعيـــر حَـــن مِـــن وخـــز الجـــرب

أيكـــم أبلـــى بلائـــي يـــا غثـــا؟! إن قـــول الحـــق أمـــرٌ يُطلـــب!

أيكـــم عـــانى ليرقـــى أهلـــهُ؟! أيكـــم شـــرّفَ قومـــاً والحَسَـــب؟!

أيكـــم أعطـــى كـــريح أرســـلتْ؟! أيكـــم أعطـــى كمـــا تُعطـــي الســـحب؟!

لـــيس بـــالأموال حـــبٌ يُشـــترى إنمـــا القلـــبُ بـــلا مـــال يُحِـــب!

كلكـــم يأخـــذ منـــي مَوقفـــاً كنـــتُ رأســـاً ، ثـــم أمســـيتُ الـــذنب!

وتخلـــى الكـــل عنـــي ، وارتضـــوا بُعـــدهم ، والأمـــرُ يـــدعو للعجـــب

مَـــن رآهـــم قـــال: ذا مِـــن حقهـــم وإذا مـــا عُوتِبـــوا كـــالوا الخُطـــب

أيهـــا الجُهـــالُ فـــرقٌ شاســـعٌ بـــين جـــدّ المـــرء طبعـــاً واللعـــب!

وحيـــاتي أرخِصـــتْ أثمانهـــا لا تُســـاوي عنـــدكم صـــاعَ الرطـــب

فـــإذا مـــا مِـــت جئـــتُم للعَـــزا اذهبـــوا لا خيـــرَ فـــيكم يُرتغـــب

اغرُبـــوا عـــن أوجـــهٍ تشـــقى بكـــم مـــا علـــيكم مِـــن مَـــلام ، أو عَتـــب

وإذا جئنـــاكمُ نرجـــو العطـــا أغمِضـــوا الأعـــيُنَ ، لـــوذوا بـــالهرب

لـــم يعـــدْ فـــي أي وجـــهٍ مِـــن حَيـــا طـــابَعُ الخـــذلان بالحُســـنى ذهـــب

والحيـــا ولـــى ، وولـــى بُرقـــعٌ وقلـــوبُ القـــوم مـــا فيهـــا حَـــدَب

عَيشُـــنا يـــا نـــاسُ أخـــذ وعطـــا فـــارفعوا عـــنكم أضـــاليلَ الرِّيَـــب

واســـتقيموا تُـــدركوا مـــا أدّعـــي وأنيبُـــوا قبـــل دَفـــن فـــي التُـــرَب

كـــم نصـــحنا! كـــم وعظنـــا جَهـــرة! لكـــن الجَمْـــعُ لنـــا لـــم يســـتجب

رُبّ نصـــح لـــم يُصـــادفْ مُنصـــتاً فاشـــتكى النصـــحُ البرايـــا ، وانتحـــب

رَبّ قـــد بلغـــتُ ، فاشـــهدْ أننـــي سُـــقتُ تطبيبـــي لمـــن لا يســـتطب

وبـــذلتُ الخيـــرَ أرجـــو أجـــره وعلـــى الـــرحمن أجـــري والحِسَـــب!

الظلمُ ظلمات يوم القيامة

(إن الحديث عن الظلم لا ينتهِيَ أبداً ، أما الظالمون فقد باعوا دينهم بدنيا غيرهم ، وغرتهم الحياة الدنيا. وأنا هنا أرسل رسالة شعرية لمظلوم ، بلغ الظالمون به مدىً ليس يعلم – إلا الله – حقيقته. وعلى الله جزاء الظالمين. وأما المظلومون فلهم الله ، الذي وعدهم بنصرة دعائهم. فماذا عليهم لو جدّوا في التصبر والاحتساب والدعاء؟ فإلى المظلوم سبب القصيدة ، وإلى كل مظلوم مؤمن موحدٍ أهدي قصيدتي هذي ، آملاً أن تُبصره بالطريق ، وتعطيه الأمل! والسبب في ذلك أن المظلوم يطول به الأمد ، فيظن من اليأس أن الظالم قد أفلتْ من عقاب الله الجبار! والأصل ليس كذلك ، بل الظالم يعيش فترة الإملاء والإمهال التي أعطاه الله إياها رجاء أن يتوب ويُنيب إليه.)

عَينـــانِ باكيـــةً ، وأخـــرى ترقَـــبُ وحُقـــوقُ مَظلـــوم تُبـــادُ وتُغصَـــبُ

ويـــدان: واحـــدة تُكفكِـــفُ عَبـــرة ويـــدٌ بأســـياف الأقـــارب تُضـــرب

والوَجنتـــان: فوَجنـــةٌ تشـــكو اللظـــى والوَجنـــة الأخـــرى تُشـــجُّ وتُســـلب

حتـــى الجبـــينُ عليـــه مِـــن فـــرط الأســـى غَصَـــصٌ تمـــوجُ ، وحَيـــرةٌ تتقلـــب

وفـــؤادُ مُبتـــئس يُغالبـــه الجـــوى ومشـــاعرٌ بـــدموعها تتخضَّـــب

وعواطـــفٌ تبكـــي رجـــوعَ حقوقهـــا ومَطـــامِحٌ آمالهـــا تترقـــب

حتـــى الأحاســـيسُ اســـتكانتْ للعنـــا وتجمّـــدَ الـــدمُ فـــي عُـــروق تنـــدب

والقلـــبُ دَفـــتْ بالشـــقا نبضـــاتُه فغـــدا - علـــى أشـــواقه - يتلهـــب

والأمســـياتُ تمُـــرّ عاصـــفة الضـــنا حتـــى الليـــالي أزهـــنّ الغَيهـــب

والـــنفسُ دامعـــةٌ تُرجّـــع نـــدْبها وتصـــوغه شـــعراً جَناهـــا يَخطـــب

وضـــميرُ مَظلـــوم يُصـــارعُ مَـــن طغـــى والشـــمسُ - مـــن كبـــدِ - الفجيعـــة تَغـــرب

والحـــق يخنقـــه التجنـــي عامـــداً وحقيقـــة المظلـــوم - جَهـــراً - تُســـكب

ونحيـــبُ أســـئلةٍ يُصـــارعُ لُبـــه ولـــهُ بمحنتـــه زئيـــرٌ يُرعـــب

ونشـــيج أحـــوال تُبـــارز عَزمَـــه فيـــئنّ - تحـــت حُســـامِها - يتعـــذب

والفجـــرُ مبتئســـاً يمُـــج بزوغـــه والحـــزنُ - خلـــف الليـــل - داجٍ يَرقـــب

والنـــورُ تحـــت الكـــرب يذبحُـــه الـــدجى ويســـوقُ مُديتـــه الفنـــاءُ ، ويشـــرب

وأســـــيرُ أهـــــواءٍ تـــــذرّع بالحيـــــا ويُشـــــعُّ مـــــن عينيـــــه بَـــــرقٌ خُلـــــب

ومُغلـــــبٌ مـــــا يفتريـــــه تشـــــفياً وتـــــراه - إن عجـــــز الـــــورى - يســـــتكلب

عـــــارٌ عليـــــه الصـــــدقُ عنـــــد شـــــهادةٍ وهـــــو الـــــذي فـــــي كـــــل أمـــــر يَكـــــذب

ويـــــرى حرامـــــاً أن يُـــــرى متعففـــــاً وتـــــراه - دون هـــــوادةٍ - يتـــــذأب

أواه مـــــن هـــــذا المصـــــير وهولـــــه! والظلـــــمُ يخفـــــضُ مَـــــن عَـــــلا ويُخيـــــب

والقهـــــرُ يســـــحقُ بالســـــنابك بأســـــه وجـــــراحُ هـــــذا البـــــأس ليســـــت تُشـــــعب

وتُـــــديلُ دولتهـــــا عليـــــه معيشـــــةً يســـــخو - بمـــــا تحويـــــه - دَهـــــرٌ صَـــــيب

وتمُـــــر فـــــي صَـــــلفٍ مَتاهـــــاتُ الأذى وعشـــــيرُ صـــــاحبنا يتيـــــهُ ويلعـــــب

يـــــا أيهـــــا المظلـــــوم ، هـــــذي جولـــــةً ولهـــــا أوانٌ للرحيـــــل ، ومَـــــذهب

يومـــــاً ســـــتنتحرُ الـــــدغاولُ كلهـــــا ويعـــــودُ حـــــقٌ كـــــان - قســـــراً - يُنهـــــب

يومـــــاً ســـــيُنحر كـــــلَ فرعـــــون طغـــــى وبغـــــى حســـــامٌ فـــــي النـــــزال مُـــــذرب

وتُـــــرى دمـــــاءُ المجـــــرمين علـــــى الثـــــرى مِـــــن كـــــل فـــــجٍّ دَفقُهـــــا يتحلـــــب

فكمـــــا لبـــــاطلهم رجـــــالٌ فـــــي الـــــوغى فلِحَقنـــــا صِـــــيدٌ رُبـــــوضٌ وُثـــــبُ

وكمـــــا لبـــــاطلهم جميـــــعٌ فـــــي المضـــــا فجنودُنـــــا - فـــــي الملتقـــــى - تتكوكـــــب

وإذا لظلمهـــــــمُ تجبـــــــرُ أخـــــــذةٍ فلَأخـــــــذ فيلقِنـــــــا أشـــــــدّ وأصـــــــلب

وإذا تفـــــــاخرَ ظـــــــالمٌ بعتـــــــاده ومضـــــــى يُرجّـــــــعُ بـــــــالكلام ، ويَخطَـــــــب

واغتـــــرَّ بالـــــدنيا وبـــــأسِ عشـــــيره أو غـــــرّه - بـــــين الأنـــــام - المَنصـــــب

وتحققـــــتْ للغِـــــر كـــــل مُيولـــــه وأتـــــاه طوعـــــاً كـــــلُّ شـــــئ يَرغـــــب

ولـــــه الفـــــوارسُ - خـــــابَ - طـــــوعُ بنانـــــه ولـــــه حســـــامٌ فـــــي اللقـــــاء مُشـــــطب

واســـــتعذبَ المطعـــــوم مـــــن مغصـــــوبه فرحـــــاً ، وطـــــابَ لناظريـــــه المَشـــــرب

فلـــــه - وربِّ النـــــاس - يـــــومٌ فاصـــــلٌ يـــــومٌ لمـــــا اقتـــــرفَ الظلـــــومُ عَصبصـــــب

وعليـــه ســـوف تضـــيقُ أرضُ مليكنـــا ويُعَـــز فيهـــا المُتلقـــى والمَقـــرب

ويـــذوقُ ممـــا كـــال منـــه لغيـــره فالســـوط مُرتصِـــدٌ ، وبعـــدُ المِشـــجب

وتُشـــقّ حفرتـــه التـــي يُرمـــى بهـــا وبكـــل بارقـــةِ القضـــيض سيُحصـــب

وســـيُحرمُ الخيـــراتِ ، كـــم حِيـــزتْ لـــه كـــي لا يكـــونَ لـــه بخيـــر مـــأرب!

ويُـــدكُ صـــرحُ غـــرورهِ وشـــرورهِ ويُنـــالُ قصـــرُ عُلـــوه ، ويُخـــرّب

وتـــزولُ حاشـــيةَ تزخـــرفُ ظلمـــهُ هـــو أفعـــوانٌ ، والبطانـــة أذوَب

يـــا أيهـــا المظلـــوم: هـــذي سُـــنة! مَـــن كـــان يطغـــى - فـــي الـــورى - فسيُغلـــب!

وكـــلامُ ربـــك - فـــي القـــران - مفصـــلٌ وكـــلامُ (أحمـــدَ)- فـــي الـــدياجي - كوكـــب

مـــن أن عُقبـــى الظـــالمين مريـــرةٌ ولهـــم - بـــرغم الأنـــف - يـــومٌ أشـــهب

ونهايـــةَ المُتجبـــرين وَشـــيكةٌ فـــي غمضـــةٍ للعـــين ، أو هـــي أقـــرب

يـــا أيهـــا المظلـــومُ: أبشـــرْ واصـــطبرْ فالنصـــرُ قـــد يحنـــو عليـــك ويحـــدب

لا تبتـــئسْ أن الفـــراعنَ أمهلـــوا فلســـوف ينـــدحرُ العتـــو ويـــذهب

وتـــرى بريـــقَ النـــور يختـــرقُ الـــدجى ويعـــودُ صـــحبٌ بانتصـــارك غَيـــب

ويعـــمُ نصـــرُ الله كـــل مُضـــيّق وتـــرى الطـــواغي فـــي الجنـــادل كُبكبـــوا

ويُنـــوّرُ الأصـــقاعَ نـــورُ عدالـــةٍ حقـــاً كمـــا ضـــاءتْ بأحمـــدَ يَثـــرب

فـــادعُ المليـــكَ بدمعـــةٍ مُلتاعـــةٍ إن الـــدعاء - مـــع البُكـــاء - ليَعْـــذب

وتمَـــنّ نصـــراً للحنيفـــة عـــاجلاً وارجُ الهدايـــة للـــذي يتنكـــب

واجـــأرْ لربـــك ، والـــتمسْ عِـــز الهُـــدى فـــالعِز للإســـلام ، نعـــمَ المَكســـب!

واعـــزمْ ، ولا تـــكُ فـــي المعـــالي واهنـــاً لا يرتقـــي بـــالحق مَـــن يتذبـــذب

وامخـــرْ عُبـــابَ المـــوج فـــي بحـــر الـــدجى واصـــمدْ ، فلـــيس يفـــوز مَـــن يتهيـــب

واحـــذرْ تملـــقَ صـــاحب مُتميِّـــع يُبـــدِي الأســـى ، وفـــؤادُه يتلهـــب

يلقـــاك يبســـمُ ثغـــرُه مُتظـــاهراً بالحـــب ، هـــذا جـــدُّ أفعـــى تلسُـــب

لا تُعـــطِ سِـــرك مـــن يُـــذيع علـــى المَـــلا مـــا قـــد بـــدا منـــه ، ومـــا هـــو يَعـــزب

والـــــزمْ مغـــاوير الرجـــال ، ولا تحِـــدْ واهجـــــرْ مَليـــــاً تافهـــــاً يتثعلـــــب

واتـــــركْ صـــــعاليك الـــــورى وفعـــــالهم عـــــارٌ عليـــــك إذا إلـــــيهم تُنســـــب

وابخـــــلْ بوقتـــــك أن تُضـــــيّعه سُـــــدىً تشـــــقى إذن ، وجميـــــعُ أمْـــــركَ يُعطـــــب

واربـــــأ بنفســـــك أن يُمـــــسّ عَرينهـــــا كيـــــف الغضـــــنفرُ يزدريـــــه الأرنـــــب؟

واحمـــــلْ حســـــامَ المـــــوت إنْ رُمـــــت العـــــلا مِـــــن غيـــــر ســـــيفك إنّ عيشـــــك مُجـــــدب

مَـــن يحمـــل الزيتـــون فـــي دنيـــا الضـــوا ري عـــاجزٌ ، لـــو خـــاض حربـــاً يَهـــرب

لا عـــــيشَ كـــــلا للحَمـــــام لحيظـــــة مـــــع مـــــا لـــــه نـــــابٌ يُهـــــاب ومِخلـــــب

والـــــدارُ زاحمهـــــا الفســـــادُ وأهلهـــــا ويُـــــلام مَـــــن مِمـــــا يُشـــــاهد يَغضـــــب

والظلـــــمُ أودى بالمَعاقـــــل والقـــــوى وســـــطا علـــــى أسْـــــد الإبـــــاء الجُنـــــدب

والعيـــــرُ تطـــــربُ إذ تـــــرى قَطعانهـــــا تشـــــقى ، ويُفقـــــدُها الكرامـــــة ثعلـــــب

والنـــــاسُ هـــــذا يســـــتبدُ برأيـــــه وأخـــــوه - مِـــــن بـــــين الـــــورى - يتمـــــذهب

يضـــــعون آلاف الحلـــــول ، وعنـــــدما صـــــرخ الطـــــواغي فـــــالجميعُ تخشـــــبوا

خـــــابَ الطغـــــاة ، فهـــــم أضـــــلُّ خليقـــــةٍ إن الـــــدعاء علـــــيهمُ لمّحبـــــب

المـــــوتُ أفضـــــلُ مِـــــن حيـــــاة مَذلـــــةٍ والعـــــيش - بـــــين الظـــــالمين - الأصـــــعب

تعـــسَ الطغـــاة ومـــن يُحـــب حيـــاتهم ومـــن اســـتباحوا ظلمهـــم ، وتعصـــبوا!

أولـــيس يســـرقُ نـــومَهم أخـــذ المليـــك جُمـــــوعَهم ، وقيامـــــةً تترقـــــب؟

أوَلـــيس يـــردعُهم ســـعيرُ جهـــنم ووجـــوههم فـــي النـــار ، يـــومَ تُقلـــب؟

أوَلـــيس يَزجـــرُهم دعـــاءُ ضـــحيّةٍ دومـــاً علـــيهم؟ والـــدعاءُ مُصـــوّب

أوَلـــيس يمنـــعُ ظلمهـــم سُـــننٌ خلـــتْ فـــي الغـــابرين ، ووعظهـــا يتصـــبب؟

أوَلـــيس يُـــرهبُهم لقـــاءُ ملـــيكهم؟ لا يســـتوي البطـــاش والمُتقـــرب!

هـــل مـــن رجـــوع للإلـــه وتوبـــةٍ؟ أولا يحـــبُ التـــوبَ مَـــن هـــو يُـــذنب؟

هـــل مِـــن حســـاب للنفـــوس ومـــا أتـــت؟ إنـــي أناصـــحُ مَـــن طغـــوْا: أن جرّبـــوا

ذكـــرُ القبـــور يقـــضُ مضـــجعَ تائـــب فيعـــدُ مـــا اقترفـــتْ يـــداه ويحســـب

وســـؤاله فـــي القبـــر يَحرمُـــه الكـــرى وبكـــل ســـعدٍ أو حبـــور يـــذهب

والصـــحبُ أيـــن؟ وأيـــن خُلـــة مجـــرم؟ والأم أيـــن؟ وأيـــن مِـــن ذاك الأب؟

والقصـــرُ أيـــن؟ وأيـــن أنـــدى جوقـــةٍ؟ كيـــف النعـــيمُ اليـــومَ أمســـى يُحجـــب؟

والخادمـــاتُ اليـــوم أيـــن ورفقـــة؟ وبخـــورُ قصـــر بـــالورود مُطيّـــب؟

أيـــن الطعـــامُ علـــى الخِـــوَان مُقـــدّماً؟ و(الجـــيمسُ) أيـــن؟ اليـــوم مـــاذا يركـــب؟

وسيُنشـــرُ الـــديوانُ فـــي ســـمع الـــورى وكـــذلك الميـــزانُ فـــيهم يُنصـــب

وتفـــوحُ رائحـــة المظـــالم بيـــنهم وكـــأن طاغيـــة الأنـــام العقـــرب

ويعـــيشُ دهـــراً فـــي الفضـــائح مُكْمَـــداً وجـــراحُ مَـــن ظلمـــوا الـــورى لا تُشـــعب

والنـــارُ - ويـــحَ النـــار - تقـــدحُ بـــاللظى أضـــحتْ تُطالـــبُ بالطغـــاة ، وترقـــب

وتقـــولُ للـــرحمن: زدنـــي مـــنهمُ ومِـــن الحجـــارة ، إننـــي أتلهـــب

يـــا أيهـــا المظلـــوم: إنَّ عزاءنـــا أنْ كـــل شـــيئ - فـــي الصـــحيفة - يُكتـــب

لا يظلـــمُ الـــرحمنُ - حاشـــا - خلقـــه بـــل يغفـــرُ الـــزلاتِ إن هـــم أذنبـــوا

إنْ شـــاءَ يمحـــو ســـيئاتِ عبـــاده أو شـــاءَ يُوبـــقُ مَـــن طغـــى ويُعـــذب!

•• بعض معانى المفردات غير المطروقة ••

• تُبـاد: تـذهب سـدى بـدون فائـدة. • عبـرة: دمعـة. • الجـوى: هـو أنـين القلـب وحزنـه.
• الغيهـب : الظـلام. • التجنـي: الادعـاء بغيـر الحـق. • اللـب: العقـل.
• الزئيـر: صـوت الأسـد. • داجـي: شـديد السـواد والحلكـة. • الحسـام: السـيف.
• مُديتـه : سِكينه. • تـذرع : تسلح. • بَرْقٌ خلب : أي برق خـادع خـاطف لنـاظري من يـراه ،

ويضرب مثلا للشئ أو الشخص الخادع . • يستكلب: يأتي صنيع الكلب. • يتذأب: يأتي ما يأتيه الذئب.• أواه : لفظ توجع. • صلف: غرور. • يتيه: يفخر. • الدغاول: المصائب والمحن. • الحسام المذرب: أي السيف المسنون الحاد. • يتحلب: يسيل مسيل كل حليب. • فرسان ربوض وُثب: أي لهم بأس في الحرب لا مثيل له. • تتكوكب: تتجمع. • طوع بنانه: رهن إشارته. • حسام مشطب: أي مسنون حاد. • ناظريه: عينيه اللتان بهما ينظر. • يوم عصبصب: يوم شديد عصيب. • المَقرَب: الطريق. • المشجب: ما يصلب عليه الضحية للتنكيل به. • مأرب: حاجة وإربة. • أذؤب: ذئاب. • الديباجي: جمع دجىً ، وهو الظلام الحالك. • عقبى: نهاية. • يُعرب: يفصح و يفسر ويوضح. • وشيكة: قريبة. • يحدب: يعطف ويرفق. • الفراعن: هم العتاة الفراعنة. • غيب: غائبون عن الحدث يجري. • ملتاعة: حزينة. • المعالي: عظائم الأمور. • يتهيب: يخاف. • أفعى تلسب: أي تلسع وتلدغ أشد ما يكون اللسع. • يعزب: يخفي فلا يظهر. • يتثعلب: يأتي صنيع الثعالب وفعالهم. • العرين: هو بيت الأسد. • مجدب: مُمْحل. • يزدريه: يحتقره. • الجندب: الفراش. • العير: الحمير. • يتمذهب: يدعي المذهبية واتباع مذهب بعينه ، وهو ليس على شئ منه. • الديوان: أي ديوان الأعمال التي قد سطرت فيه. • جوقة: الجماعة من الناس اجتمعت على رأي أو أمر معين. • مُطيّب: معطر بالطيب أي العطر الفواح. • تقدح: تستعر وتلتهب. • تفوح: تنتشر منه الرائحة في أرجاء المكان. • ماثلا: شاخصا. • الجيمس: نوع من السيارات التي تصنع في أمريكا (إشارة إلى رغد العيش ورفاهيته). • لا يشعب الجرح: أي لا يلتئم. • رفقة: صحبة (مجموعة الرفاق). • يوبق: يعاقب ويحاسب. • الزلات: الخطايا.

شتان بين الظل والحرور!

(إن الصديق الوفي عُملة نادرة. فهو الظل الظليل على صديقه في هجير العمالة والخذلان والنفاق. وشتان بين الوفاء والخيانة! وأنا في هذه القصيدة أتساءل: إلى متى الخذلان يرفع رايته في الناس؟ ألم يبدُ عَوارُه ويُدرَكْ قبحُه؟ أم أنه صار بديلاً مُرَحَّباً به عن الوفاء والبذل؟ ولا يُلام الصديق الذي أخلص على إخلاصه ، بل يُلام الذي لاقى إخلاصَ صديقه بالنكران والخذلان!)

متى يَهجُرُ الوجدانُ مَن هتكوا السترا ... ويبرأ ممن شادها فتنة كبرى؟

متى يُوأدُ الخذلانُ وأداً يُريحُنا؟ ... متى يبرحُ البُهتانُ سانحة الذكرى؟

ألا ليت شعري كم حُرقنا بناره ... ولمّا يَذرْ قلباً ، ولمّا يُرحْ فِكرا!

نفاقُ الأصيحاب استباحَ مشاعري ... وأورثَ إحساسي جَوىً ينشدُ الصبرا

أعاني ، وفي قلبي من الصحب حسرة ... وأعتِبُ ، لكنْ ألتقي سامعي صخرا

وأعذرُهم ، لكنهم قد تنصَّلوا ... فأرجعُ مُهتاجَ النهى أحملُ العُذرا

فيعمَدُ أوفاهم لهجري تشفياً ... فيهجرُني الأصحابُ رغم الوفا دهرا

ويخذلني الخلانُ في وقت حاجتي ... إليهم ، وأضحى أمرُ خُذلانهم نُكرا

وإن ظلال الصدق أجدى لأهلها ... وإن حَرورَ الكِذب يستجلبُ الشرا

عَييتُ من الخذلان يُزجيه أهله ... بديلاً عن الإسعاف يُهدي لنا الخيرا

وقاسيتُ من أهل التخاذل أمعنوا ... مدى الدهر في قمعي وأشهروا الهجرا

وأهلُ النفاق المُر شادوا بلِيتي ... وهم بالبلا يجتاحُني في الورى أدرى!

أراني غريبَ الشِعر في بلدةٍ نأت ... وإني غريبُ الأهل في بلدةٍ أخرى

دموعي لدى شِعري الكئيب سَواجمٌ ... وليلي مع الأشجان يرقبُ الفجرا

متى يا قريضي العذبَ تصفو صَحابتي ... وأنسجُ - في معسول أخلاقهم – شِعرا؟

اختـــــلاف

(فريقان راحا يُقيِّمان أحد المسلمين. كلٌّ منهما يراه بتصوره. فأهل الدنيا يقولون: سفيهٌ لم يُبق من ماله لولده شيئاً. وأهل الدين يقولون: حكيمُ زمانه ، وادّخرَ لمن يعول طاعة ربه وتديُنه وعمل الصالحات. فكان اختلافاً كبيراً بينهما. والحقيقة الناصعة التي ينبغي الإيمان بها أن أي جدال يجب أن ينطلق من منطلقاتٍ وأساسياتٍ وقواعد وأسس ، أما أن يتهم كل إنسان الآخرين بدون دليل وبلا حجة وبلا برهان ، فإن هذه مزايدة ممقوتة مكشوفة ليس إلا. ثم إنني أسأل: لماذا لم ينشغل كل من الفريقين بعيوب أفراده وكم هي كثيرة؟! طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الآخرين. في محاضرة عنوانها: (أدب الاختلاف) يقول الشيخ /عبد الله بن بيه ما نصه: (قال عليه الصلاة والسلام: {وإنه مَن يعشْ منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً}. وهو اختلاف انتشر في الأمة أفقياً وعمودياً في كل الفئات وعلى مختلف المستويات. تعددت أسبابه وتنوعت ألوانه واستعلمت فيه كل الوسائل من تكفير وتفسيق وتبديع وتشويه وتسفيه وما شئت من مصدر على وزن تفعيل. واستعمل فيه الخصوم كل أدوات الدفاع والهجوم وضاقت بالحياد فيه الأرض بما رحبت فالكل متهم والكل براء وأعجز داء الأمة الدواء فحضر الشهود إلا شاهد العقل واستحضرت الحجج إلا حجة الإنصاف (وما أبرئ نفسي). يقول العلامة ابن القيم: (فإذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى الالتباس والتحري وكل من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله لم يضر ذلك الاختلاف فإنه أمر لا بد منه في النشأة الإنسانية لأنه إذا كان الأصل واحداً والغاية المطلوبة واحدة والطريقة المسلوكة واحدة لم يكد يقع اختلاف وإن وقع كان اختلافاً لا يضر كما تقدم من اختلاف الصحابة) (الصواعق المرسلة). كيف نجعل اختلافنا من هذا النوع الذي أشار إليه ابن القيم؟ الاختلاف هو التباين في الرأي والمغايرة في الطرح وقد ورد فعل الاختلاف كثيراً في القرآن الكريم قال تعالى:{فاختلف الأحزاب من بينهم} ، وقال تعالى: {يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون} ، وقال تعالى: {وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات} وقال تعالى:{وما اختلفتم فيه من شيء...}. والاختلاف قد يوحي بشيء من التكامل والتناغم كما في قوله تعالى: {فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها}. وأما الخلاف فإنه لا يوحي بذلك ، وينصب الاختلاف غالباً على الرأي ، اختلف فلان مع فلان في كذا ، والخلاف ينصب على الشخص. ثم إن الاختلاف لا يدل على القطيعة بل قد يدل على بداية الحوار. فإن ابن مسعود اختلف مع أمير المؤمنين عثمان في مسألة إتمام الصلاة في سفر الحج ولكنه لم يخالف بل أتم معه وقال: الخلاف شر. قد يدل الخلاف على القطيعة. وهناك كلمات قوية في دلالتها على اشتداد الخلاف كالنزاع والشقاق وهو الوقوف في شق أي في جانب يقابل ويضاد الجانب الآخر. والاختلاف ظاهرة لا يمكن تحاشيها باعتبارها مظهراً من مظاهر الإرادة التي ركبت في الإنسان إذ الإرادة بالضرورة يؤديان إلى وقوع الاختلاف والتفاوت في الرأي. وقد انتبه لذلك العلامة ابن القيم عندما يقول: "وقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لا بد منه لتفاوت أغراضهم وأفهامهم وقوى إدراكهم ولكن المذموم بغي بغضهم على بغض وعدوانه" (إعلام الموقعين). فإن الشقاق يمكن تفاديه بالحوار الذي من شأنه أن يقدم البدائل العديدة لتجنب مأزق الاصطدام في زاوية الشقاق).هـ. وإذا كان بيت امريء من زجاج ، فلماذا يتحمق ويتهور ويرجم بيوت الآخرين بالحجارة؟ إن كل إنسان لو تتبع عيوب نفسه التي هو بلا شك يعرف بعضها ، فحاول إصلاح ذاته بتقويم الاعوجاج المتمثل في تلك العيوب لكان خيراً له. وعموماً أهل الدنيا وعبيدها فريق سفيه ينظر أصحابه تحت أقدامهم: (يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون ، إنه لذو حظ عظيم). وأهل الآخرة حكماء أذكياء ينظرون في المآلات والعواقب: (ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً). وينبغي تمحيص وتدقيق الأخبار قبل

تصديقها وإشاعتها بين الناس! وذلك كي لا يسود الاختلاف بينهم ، وكي لا تدب روح الفرقة بينهم. إن مما أمرنا به رب البرية أن لا نتعجل في قبول كل خبر يُنقل! بل لا بد علينا أن نتبين و نتثبت ونتحلى بالرويَّة! خاصة فيما ينقله من هو على غير استقامة!ولا طريقة مرضية! لما قد يترتب على قبول ونقل ما سمعناه منه! من مفاسد عظيمة وأخطار جسيمة ، قال سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين). يقول الشيخ السعدي – رحمه الله -: "من الآداب التي على أولي الألباب ، التأدب بها واستعمالها ، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يتثبتوا في خبره ، ولا يأخذوه مجردًا ، فإن في ذلك خطرًا كبيرًا ، ووقوعًا في الإثم ، فإن خبره إذا جُعل بمنزلة خبر الصادق العدل حكم بموجب ذلك ومقتضاه فحصل من تلف النفوس والأموال بغير حق بسبب ذلك الخبر ما يكون سببًا للندامة". ولا يمكن للفريقين هذين أن يلتقيا! وتلك سُنة الله في خلقه. كتبتُ في هذا التباين والاختلاف بينهما أقول:-)

فريقـــــان: هـــــذا يَكيـــــل الأذي ... وهـــــذا يُمَجِّـــــد ذا الجهبـــــذا

فقـــــومٌ يَلوكـــــون أهـــــواءَهم ... ويُلقـــــون أقـــــوالهم هكـــــذا

وقـــــومٌ أهـــــازيجُهم اصـــــبحتْ ... كمثـــــل الـــــورود تـــــذرّ الشـــــذى

وبينهمـــــا الاخـــــتلافُ اســـــتمى ... وكـــــلٌّ غـــــدا مَـــــثلاً يُحتـــــذى

تـــــولى فريـــــقٌ ، فلـــــم يمتثـــــلْ ... نـــــداءَ المعـــــالي ، لـــــذا قـــــد هـــــذى

وأمســـــى يُقِـــــيِّم مُســـــتهجناً ... عطـــــاءَ الكـــــريم ، فكـــــالَ الأذى

وسَـــــعَّر نـــــارَ التشـــــفي ضُـــــحَىً ... ولمَّـــــا يَـــــدَعْ للنجـــــا مَنفـــــذا

وســـــاقَ المآخـــــذ يلغـــــو بهـــــا ... وعـــــدّدها مَأخـــــذاً مَأخـــــذا

وشـــــاد فريـــــقٌ بأفكـــــاره ... فكـــــان لعِـــــرض الفتـــــى مُنقِـــــذا

فأحســـــنَ ظنـــــاً ، ولـــــم يرتجـــــلْ ... وأخـــــرجَ مِـــــن مُقلتيـــــه القـــــذى

وبَـــــرّأه مِـــــن تجنـــــي الـــــورى ... ودافـــــعَ عنـــــه ، فيـــــا حبـــــذا

ولـــــم يفتـــــرضْ مثلمـــــا صَـــــرّحوا ... فمـــــا قـــــال: لـــــو – يـــــا فتـــــى - أو إذا

ولكـــــنْ تســـــامى بأخلاقـــــه ... فهـــــذا - بتقـــــوى المليـــــك - اغتـــــذى

فكـــــان اختلافـــــاً غريـــــبَ الصُّـــــوى ... فلـــــم يـــــكُ مثـــــل كـــــذا أو كـــــذا

الجميل الكئيب

(عندما لا يُقابل المعروف بالمعروف. ولا يُقابل الجميل بالإحسان ، يكتئبُ الجميل ويحزن المعروف. عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال: (اشفعوا تؤجروا ، ويقضي الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ما شاء). رواه البخاري ومسلم. وعن معاوية بن أبي سفيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الرجل ليسألني الشيء ، فأمنعه حتى تشفعوا فيه فتؤجروا). وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اشفعوا تؤجروا) النسائي وأبو داود. وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبة في جداره). قال أبو هريرة: (ما لي أراكم عنها معرضين ، والله لأرمين بها بين أكتافكم). الشيخان. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها: قول: لا إله إلا الله ، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان). مسلم. ومن هنا جعلت من الإيمان! والأصل أن يرد المعروفُ والجميلُ بأحسن منه ، أو بالمثل!)

ضَـــاقَ الْجَمِيـــلُ بِمَـــا الأَنْـــذَالُ قَـــدْ فَعَلُـــوا ... وَضَـــجَّ مِمَّـــا أَتَـــى الحُثَالَـــةَ السَّـــفَلُ

إِنِّـــي أُسَـــائِلُ مَـــنْ حَـــادُوا وَمَـــن جَحَـــدُوا ... فَضـــلَ الكِـــرَامِ الأُلَـــى لِلْخَيـــرِ قَـــدْ عَمِلُـــوا

يـــا جَاحِـــدُونَ أَجِيبُـــوا عَـــنْ مُسَـــاءَلَتِي ... فِـــيمَ الْجُحُـــودُ ، وَهُـــم لِـــنَفْعِكُمْ بَـــذَلُوا؟

هُـــمُ الكِـــرَامُ ، وَأَنْـــتُم رَهـــنُ خِسَّـــتِكُم ... لأَنَّهُـــمْ بِشَـــذَى المَعْـــرُوفِ مَـــا بَخِلُـــوا

كَـــمْ أَغْـــدَقُوا الخَيـــرَ فَـــوْقَ العِيـــرِ مُبْتَشِـــرًا ... وَذِي جَمَـــــائِلُهُم تَشْـــــكُو وَتَبتَهِـــــلُ!

إِذْ قَوبِلَـــتْ بِلَظَـــى النّكْـــرَانِ يَحرقهـــا ... وَمُنْكِـــرُ الفَضْـــلِ مِـــنْ بَـــينِ الغُثَـــا رَجُـــلُ

طَاشَـــتْ مَـــوَازِينُ أَقْـــوَامٍ بِمَـــا كَسَـــبُوا ... فَلَـــمْ يعُـــدْ فِـــي الـــوَرَى يوْمًـــا لَهَـــا ثِقَـــلُ

حَتَّـــى رَأَيـــتُ الْجَمِيـــلَ العَـــذْبَ مُكْتَئِبًـــا ... وَكَـــانَ بِـــالأَمْسِ يَشْـــدُو عِنْـــدَهُ الغَـــزَلُ

أَسْـــدَيتُهُ أَبْتَغِـــي وَجْـــهَ المَلِيـــكِ ، وَلَـــمْ ... أُرِدْ سِـــوَاهُ ، لِـــذَا سَـــمَا بِـــيَ الأَمَـــلُ

فَمَـــا نَـــدِمْتُ ، وَلا وَبَّخْـــتُ مَـــنْ عَقَـــرُوا ... رُوْحَ الـــوِدَادِ ، ولا قَرَّعْـــتُ مَـــنْ خَـــذَلُوا

وَلا أَلُـــومُ الأُلَـــى بَـــاعُوا عَلاقَتَنَـــا ... فَـــاللّومُ يُطْغِـــي الأُلَـــى فِـــي جَـــدِّهِمْ هَزَلُـــوا

أَنَـــا المَلُـــومُ ، وَأَسْـــتَحِقُّ مَـــا ارْتَكَبُـــوا ... وَيُضْـــرَبُ الآنَ بِـــي فِـــي الخَيبَـــةِ المَثَـــلُ

كَيـــفَ انْخَـــدَعْتُ بِأَلْفَـــاظٍ مُنَمَّقَـــةٍ ... فِيهَـــا النِّفَـــاقُ غَـــدَا تَـــذْرُّهُ الجُمَـــلُ؟

أَحْسَـــنْتُ ظَنِّـــي بِهِـــمْ ، وَهُـــمْ دَهَاقِنَـــةٌ ... يشْـــقَى الفُـــؤَادُ بِهِـــم ، وَتَكْثُـــرُ العِلَـــلُ

رَبَّـــاهُ عَـــوِّضْ طَعِينًـــا فِـــي صَـــحَابَتِهِ ... يـــا مَـــنْ عَلَيـــهِ - بِكُـــلِّ العَـــزْمِ - أَتَّكِـــلُ

تذكّروا الجميـــل 1!

(عندما يُضحّي إنسانٌ ما بجزء كبير من حياته ووقته وبيته وماله وسعادته لأوباش سفلةٍ أوغاد أراذل لا يراعون جميلاً ولا يعرفون معروفاً ولا يجزون الإحسان إحسانًا ، تكون حقاً كارثة كبرى وأزمة نفسية لا يعلم إلا الله مداها. وهذا الإنسان ضحّى بالكثير وبذل الكثير ، وسخره الله تبارك وتعالى لأناس فعَلا بُنيانهم في الأرض وأصبح لهم به بين الناس شأن ومكانة ما كانوا ليحلموا بها لولا أنْ منّ الله عليهم به. فإذا بهم يقابلون معروفه بالتنكر التام وبالإساءة البينة الدالة حقاً على فساد التصورات فضلاً عن فساد الضمائر. وكلما واجههم قالوا له: الفضل والمنة لله وحده. فيعقب قائلاً: نعم الفضل لله والمنة له وحده ومنه العون والسداد والتوفيق ، ولكنه سبحانه سخرني لكم أيها الأراذل الأوباش ، وجعلني في يوم من الأيام سبباً في الذي أنتم فيه من النعيم. فكان من وقاحتهم ردٌ هو أقبح من التعقيب الأول: نحن أصحاب مِنة وجميل عليك! وهنا انقلب الحياء بقايا عُهر وأصبح الحق باطلاً ، وانقلب ظهر المِجَنّ. فرحتُ أعيش في أعماق داخل هذا الإنسان وأتألم وأرثي لحاله. فكانت قصيدة (تذكروا الجميل) ترجمة لهذا الإحساس! وأجعلها ناقوساً يدق في عالم قلب الحقائق وإنكار الفضل والتنكر لأهل الإحسان والجمائل. إنه لا يشكر لله من ليس يشكر للناس. والله تعالى يقول في كتابه: (ولا تنسوُا الفضل بينكم) ، وفي الأثر: (أحب العباد إلى الله عبدٌ قضيتْ على يديه حوائج الناس) ، ومما يؤثر أيضاً: (لقد خلق الله للخير خلقاً ، وخلق للشر آخرين! ففريق هم مفاتيح للخير مغاليق للشر نسأل الله أن نكون منهم ، وفريق هم مفاتيح للشر مغاليق للخير والعياذ بالله!) والله تعالى يقول: (ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليتخذ بعضكم بعضاً سخرياً). والنبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: (من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه). وفي الصحيح من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (من نفس عن مؤمن كُربة من كُرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسّر على مُعْسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله به طريقاً إلى الجنة). إنني أعزي بهذه القصيدة كل صاحب معروف من أهل المروءات والفضل والإحسان ، من الذين يبذلون الجميل تلو الجميل ويصنعون المعروف تلو المعروف ، من الذين هم أصحاب الشهامة والنجابة والبذل والجود والعطاء والتصدق ، فأقول لهم جميعاً: احتسبوا عند الله كل معروف ، فإن الله تعالى هو أهل التقوى وأهل المغفرة. وإن كان الناس يقولون: (اصنع المعروف وارمه في البحر!) ، فنحن نقول: (اصنع المعروف وأسد الجميل وافعل الخير واحتسب كل ذلك عند الله تعالى!) وإذن فأهل المروءة والجود ينبغي أن يترفعوا عن انتظار رد الجميل من الخلق ، بل عليهم أن يحتسبوا الأجر عند الله عز وجل. وأما الأوباش والأراذل والسفلة ورذالة الناس وحثالتهم فإنني أذكّرهم بأن نعم الله تدوم بالشكر والاعتراف لأصحابها بالفضل والجميل والمعروف. يقول الله تعالى: (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابي لشديد). روى الإمام ابن عساكر في تاريخه ص52ج269 ما نصه: (روى عبد الرحمن بن حاطب قال: كنت مع عمر بن الخطاب بضجنان ، وهو جبل على مسيرة بريد من مكة وقيل على مسافة 25كم منها بلغتنا المعاصرة ، فقال عمر: كنت أرعى أحياناً وأحتطب أحياناً. وعن سعيد بن المسيب قال: حج عمر بن الخطاب ، فلما كان بضجنان قال: لا إله إلا الله العلي العظيم المعطي ما شاء لمن شاء ، كنت أرعى إبل الخطاب بهذا الوادي في مدرعة صوف ، وكان أبي فظاً يُتعبني إذا عملت ، وكذا

يضربني إذا قصرت ، وقد أمسيت ليس بيني وبين الله أحد ، ثم تمثل عمر – رضي الله عنه – قول أحد الشعراء يصف حال زوال الملك عن الملوك وتغيّر الدنيا وتقلبها بأهلها فيقول:-

لا شـــئ ممـــا تـــرى تبقـــى بشاشـــته يبقـــى الإلـــهُ ، ويُـــردَى المـــالُ والولـــدُ

لـــم تغـــن عـــن (هرمـــز) يومـــاً خزائنـــه والخلـــدَ - قـــد حاولـــت عـــادٌ - فمـــا خلـــدوا

ولا (ســـليمان) إذ تجـــري الريـــاح لـــه والإنـــس والجـــن فيمـــا بينهـــا بـــرد

أيـــن الملـــوكُ التـــي كانـــت نواهلهـــا مـــن كـــل أوب إليهـــا راكـــبٌ يفِـــد؟

حوضـــاً هنالـــك مـــوردٌ بـــلا كـــذب لا بـــد مـــن ورده يومـــاً كمـــا وردوا

فلله دَرّ عمر! لقد كان واعياً فطناً لصنيع الدنيا بأهلها).هـ. وأما ابن سعد في الطبقات ج3ص293 فيقول ما نصه: (يحدثنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – عن نفسه ، وقد أصبح أميراً للمؤمنين عندما حدثته نفسه يوماً ، فلكي يعرّفها قدرها وقف بين المسلمين يعلن أنه لم يكن إلا راعي غنم ، يرعى الغنم لخالات له من بني مخزوم ، يقول محمد بن عمر المخزومي عن أبيه: نادى عمر بن الخطاب بالصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس وكبّروا ، صعد المنبر فحمد الله بما هو أهله ، وصلى على نبيه – صلى الله عليه وسلم – ثم قال: (أيها الناس ، لقد رأيتني وأنا أرعى على خالات لي من بني مخزوم فيُقبض لي قبضة من التمر أو الزبيب ، فأظل يومي وأي يوم) ، ثم نزل! فقال له عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين ما زدت على أن قمّأت نفسك أي عِبتها! فقال عمر: ويحك يا ابن عوف ، لقد خلوت فحدثتني نفسي فقالت: أنت أمير المؤمنين ، فمن ذا أفضل منك؟ فأردت أن أعرفها من هي!).هـ. والإمام الدارمي في كتابه (الرد على الجهمية) ص45 يقول ما نصه: (خرج عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – من المسجد ومعه الجارود العبدي ، فإذا امرأة برزت على الطريق ، فسلم عليها عمر بن الخطاب ، فردّتْ عليه السلام وقالت: يا عمر لقد عهدتك وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ تذعر الصبيان بعصاك! فلم تذهب الأيام حتى سُميت عمراً ، ولم تذهب الأيام حتى سميت أميراً للمؤمنين ، فاتق الله في الرعية ، واعلم أنه من خاف يوم الوعيد قرب عليه البعيد ، ومن خاف الموت خشي الفوت. فقال الجارود لها: أكثرتِ أيتها المرأة على أمير المؤمنين! فقال عمر له: دعها ، أما تعرف هذه؟ هذه خولة بنت ثعلبة التي سمع الله قولها من فوق سبع سماوات ، فعمر أحق أن يسمع لها. وجاء في رواية أخرى: فوالله لو أنها وقفت إلى الليل ما فارقتها إلا إلى الصلاة ثم أرجع إليها. وجاء في رواية ثالثة أن عمر قال: هذه خولة بنت ثعلبة التي أنزل الله فيها قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ، فحريٌ بعمر أن يستمع لها وينصت!).هـ. وأما الدمشقي في مصنفه البديع (محض الصواب في فضائل عمر بن الخطاب) ص590ج2 فيقول ما نصه: (لما قدم عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – الشام راكباً على حماره ورجلاه من جانب قال له أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين الآن يتلقاك عظماء الناس. فقال عمر: نحن قوم كنا أذل الناس فأعزنا الله بالإسلام ، فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله).هـ. هكذا ضرب لنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أحلى وأروع الأمثلة على عدم نسيان الماضي ، وأن الحمد والشكر يزيدان النعم ، واعترف عمر على جلاله وهيبته بالفضل لأهله. هذا ويروي البخاري ومسلم – رحمهما الله تعالى – من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى

الله عليه وسلم – قال: "إن ثلاثة في بني إسرائيل ، أبرص وأقرع وأعمى. فأراد الله أن يبتليهم. فبعث إليهم ملكاً. فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس. قال فمسحه فذهب عنه قذره. وأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل (أو قال البقر. شك إسحاق) - إلا أن الأبرص أو الأقرع قال أحدهما: الإبل. وقال الآخر البقر - قال فأعطى ناقة عشراء. فقال: بارك الله لك فيها. قال فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس. قال فمسحه فذهب عنه. وأعطي شعراً حسناً. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر. فأعطي بقرة حاملاً. فقال: بارك الله لك فيها. قال فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس. قال فمسحه فرد الله إليه بصره. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم. فأعطي شاة والداً. فأنتج هذان وولد هذا. قال: فكان لهذا واد من الإبل. ولهذا واد من البقر. ولهذا واد من الغنم. قال ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين. قد انقطعت بي الحِبال في سفري. فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك ، بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال ، بعيراً أتبلغ عليه في سفري. فقال: الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك. ألم تكن أبرص يقذرك الناس؟ فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر. فقال: إن كنت كاذباً ، فصيرك الله إلى ما كنت. قال وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا. ورد عليه مثل ما رد على هذا. فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت. قال وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل. انقطعت بي الحبال في سفري. فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك ، بالذي رد عليك بصرك ، شاة أتبلغ بها في سفري. فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري. فخذ ما شئت. ودع ما شئت. فوالله! لا أجهدك اليوم شيئاً أخذته لله. فقال: أمسك مالك. فإنما ابتليتم. فقد رضي عنك وسخط على صاحبيك"). وفي هذا الحديث دلالة على أن تذكر الماضي نصب الأعين جديرٌ بأن يجعل المرء لا ينسى فضل الله عليه! وأخيراً ذكر المحب الطبري (وهذا الأثر في فقه السنة باب الحج والعمرة) أن وكيعاً قال: قال لي أبو حنيفة النعمان – رحمه الله -: (أخطأتُ في خمسة أبواب من المناسك فعلمنيها حجّام! وذلك أني حين أردتُ أن أحلق رأسي وقفتُ على حجّام ، فقلتُ له: بكم تحلق رأسي؟ فقال: أعِراقيٌ أنت؟ قلت: نعم. قال: النسكُ لا يُشارط عليه. اجلسْ! فجلستُ مُنحرفاً عن القِبلة. فقال الحجام لي: حرّك وجهك إلى القِبلة. وأردتُ أن يحلق رأسي من الجانب الأيسر. فقال: أدر الشق الأيمن من رأسك! فأدرته ، وجعل يحلق ، وأنا ساكت. فقال لي: كبّرْ. فجعلتُ أكبّر حتى قمتُ لأذهب. فقال لي: أين تريد؟ فقلت: رَحلي. قال: صل ركعتين ، ثم امض! فقلت: ما ينبغي أن يكون ما رأيت من عقل هذا الحجام. فقلت له: من أين لك ما أمرتني به؟ قال: رأيتُ عطاء بن أبي رباح – رضي الله عنه – يفعله).هـ. والشاهد من هذه القصة الطريفة هو اعتراف أبي حنيفة – على علمه وفضله – للحجّام بما كان عنده من العلم والفقه! وأكتفي بهذا لأدلل على أن الطغام الأراذل الأوباش الذين ينسَوْن فضل من تفضل عليهم كما ينسون ماضيهم لا يمكن أن يبلغوا الفهم الذي أريد! ألا إن نسيان الماضي وجحود نعمة الله تعالى صِنوان لعملة واحدة! وأذكر أن رجلاً قال لي ذات يوم متهكماً ساخراً: لا تنس أنه كانت عندك درّاجة هوائية وقد اتخذت لها قفص دجاج من جريد لتضع فيه ما تشتريه وتحمله على دراجتك الهوائية! فقلت له: والله الذي بعث محمداً – صلى الله عليه وسلم – بالحق ما نسيتها ولا نسيت أيامها! وكيف لي أن أفعل وقد كتبت في هذه الدرّاجة من الشعر ما الله به عليم؟ أمّا أنت يا فلان فقد نسيت عربتك

التي كانت يجرها الحمار إلى حيث تريد! وأصبحت تتكلم بلغة الدولارات والبيوتات والمدينة الفاضلة وتناسيت أو نسيت حياة الفلاحة والأرض والطين التي كنتُ أتمنى لي ولك أن تظل هذه الحياة البسيطة الطيبة المتواضعة المباركة! وأعلم أن عندي اليوم سيارة متطورة حديثة وهي من نعمة الله علي! وأضع أمام عيني الدراجة الهوائية والسيارة معاً! وفي هذه كتبتُ شِعري وفي تلك كتبتُ شِعري! وأحمد الله وأشكره على ما خصّني به من نعم! وعجباً للغربيين النصارى كيف يقدّرون الجميل؟! يقول أيسوب: (عِرفان الجميل شِيمة الأرواح النبيلة). ويقول أنطون دو سانت: (لا تقلل الحسنة من شأن من يستفيد منها ، ولا تلزمه بروابط الشكر والامتنان بما أنها ليست مدفوعة من أجله ، وإنما من أجل الله للتقرب منه). ويقول بريان تريسي: (طوّرْ سلوك العرفان وقدّم الشكر عن كل شيء يحدث لك ، علماً أن كل خطوة إلى الأمام تشكل خطوة باتجاه تحقيق شيء أكبر وأفضل مما أنت عليه حالياً). ويقول سوفو كليس: (عرفانُ الجميل دائما ما ينتج عنه عرفانُ الجميل). ويقول ويليام آرثر وارد: (الشعورُ بالعِرفان وعدم التعبير عنه كتغليف هدية وعدم تقديمها). وتقول كارمين سيلفا: (الصداقة المبنية على العِرفان بالجميل فحسب كالصورة الفوتوغرافية التي تضمحل مع الزمن). ويقول فرانسوا دو لا رشفوكو: (عرفان الكثيرين من الرجال ليس إلا رغبة سريّة بتلقي المزيد من اللطف القيم فيما بعد). ويقول لقمان الحكيم: (اشكر لمن أنعم عليك ، وأنعم على من شكرك ، فإنه لا بقاء للنعمة إذا كفرتْ ، ولا زوال لها إذا شكرتْ). ويقول نيتشه: (العرفان جوهر كل فن رائع وعظيم). ويقول آر ثي بينيدكت: (مديونية الإنسان ليست فضيلة ، وإنما السداد فضيلة. وتبدأ الفضيلة عندما يكرس نفسه بنشاط للعرفان بالجميل). ويقول شكسبير: (قد تنسي من شاركك الضحك ، لكن لا تنسي من شاركك البكاء). ويقول جون كينيدي: (بينما نعبّر عن عِرفاننا ، علينا أن لا ننسى أن أقصى درجات التقدير لا تتمثل بنطق الكلام وإنما بتطبيقه). ولله در من قال: (إن الاعتراف بالفضل خلقٌ رفيعٌ تعرفه النفوس الكريمة ، وتنكره الطبائع المتمردة اللئيمة ، فهو لونٌ بهيٌ من ألوان الحياة الهانئة المستقرة ، من دونه ستظل أيامنا ولياليا كلها سوداء قاتمة مكفهرة ، فلا مكان فيه للأخضر والأزرق والأحمر ، فالكل فيها شيء واحد ، لونه واحد ، وشكله واحد ، وطعمه واحد ، يتساوى فيه الأبيض بالأسود ، والشجاع بالجبان ، والجواد بالبخيل ، وبناء عليه فلا قيمة إذن للجمال ، ولا معنى حينئذ للجلال ، ولا فائدة في معرفة معادن الرجال! وهنا يحق لنا أن نتساءل: ما هو الاعتراف بالفضل وما هي منزلته؟! وكيف نرسّخه في سلوكياتنا اليومية؟ إن الاعتراف بالفضل هو الإقرار بفضل من يصدر منه الفضل دون جحود أو نسيان ، جحود يغمط الحق ، أو نسيان يستر الإحسان ، ويكون الاعتراف بالفضل قلبًا وقالبًا ، فهو أشبه بوردة سُقيت بماء العيون ، وتفنن خادمها في العناية بها ، ثم أهداها لحبيب له ، فازدانت الوردة وتعطرت وتجملت أملًا في شكر جميل صاحب الصنائع! أيها الموفقون في الدنيا والآخرة كونوا ورودًا ورياحيًنا لمن ملأ قلوبكم وعقولكم ، ووقف معكم وأخذ بأيدكم زمن الأزمات والملمات التي كادت تعصف بكم وتقصم ظهوركم! كيف ننسى فضل من أحسن إلينا يومًا؟ إن الاعتراف يكون ثناء عاطرًا باللسان ، وعرفانًا للجهود المبذولة بالجنان ، وحفظًا للجميل بالأركان على مدى الدهور والأزمان. الاعتراف بالفضل هو معرفة صاحب الفضل في الأولى والآخرة ، وهو المولى- تبارك وتعالى- فهو الممتن على الجميع ، مسلمهم وكافرهم بما أسدى من نعم ، وأولى من كرم ، فنعمه لا تعد ولا تحصى ، وكرمه لا يجحد ولا ينسى ، قال سبحانه وتعالى: (وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ). والله- سبحانه

وتعالى- يُدخل عباده الصالحين دار المُقامة ، ويسبغ عليهم من الخلد والكرامة ، وهذا تفضل منه وكرم ، فهو ذو الآلاء والنعم! والدليل ما قاله صاحب الفضل الجزيل: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ). والاعتراف بالفضل هو سمة رجال الآخرة ممن يرجون اليوم الموعود ، فهم – حقيقة - أهل المروءة والجود ، بخلاف ما يقوم به أضدادهم من الأعراض والصدود ، وهم دعاة النكران والجحود ، من إنكار للنعمة ، وتناسٍ للفضل ، ألم يقل الله تعالى عنهم: (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا). وليس أبشع من أن يتنكر الإنسان لعطاء خالق الأكوان! ومن هنا ينبغي الاعتراف بفضل الآخر ، فبهذه السجية الكريمة عُرف الفضل بالمكانة الشامخة ونفاسة القيمة ، وفُهمت العلائق التي تجمع المتفضل والمتفضل عليه بالنوايا السليمة. مجتمع يترابط أفراده بالتعارف والتآخي والتعاون ، والتناصر في غير تباهٍ ولا تهاون ، مجتمع يعترف كل فرد فيه بقيمة الآخر ، وينزله منزلته ، فهو مجتمع مؤمن ، تعيش بين أحضانه العفة وتتربى فيه الفضيلة ، وتهرب منه الفحشاء وتموت عنده الرذيلة. فكيف لو اعترف بعضنا بفضل البعض الآخر ، ماذا يحدث؟! إنه سؤال وجيه ، ولا يطرحه إلا لبيبٌ نبيه! فبالاعتراف بالفضل نقوم ونرتقي ، ومن دونه نقعد وننحني. بالاعتراف بالفضل يزيد العطاء ويكثر البذل ، وبالنكران تنكمش الأيادي ويسود الجفاء والعذل. بالاعتراف بالفضل للآخرين يسمو الإنسان إلى درجات الإحسان ، وكتوضيح مهم ، لأجل الفهم الملم ، فإن الاعتراف بالفضل يبدأ من شهود النعمة وذكرها ، ورؤية التقصير في حق شكرها فيستحي الانسان من نفسه ويخجل ، فيعترف – أولا - بنعم الله - عز وجل - التي لا حد لها ولا مد ، قال عز من قائل: (وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ). ثم يتجه العبد بعدها إلى شكر ربه - سبحانه وتعالى - بقلبه ولسانه وجوارحه ، ولا ريب فالرب هو المنعم الأول ، ثم يشكر بعد ذلك من يستحق الشكر من البشر ، إذ المؤمن الحقيقي لا تبطره النعمة ولا تطغيه ، بل هو عبد شكر من الطراز الأول ، ويهش ويبش لمن أسدوا له معروفاً ، ويحمد صنيعهم ما عاش في الدنيا ولهذا قال الله تبارك وتعالى: (ولا تنسوا الفضل بينكم) ، وقال النبي – صلى الله عليه وسلم-: ‹من لا يشكر الناس لا يشكر الله›. بالاعتراف بالفضل يتشجع كل ذي فضل ، فيستمر عطاؤه ، ويزداد نماؤه وتتواصل بذلك حركة المتطوعين والمبدعين والمنتجين في حياتنا ، فالشكر لهم أعظم محرك ودافع ، وغمطهم حقهم قد يكون أكبر مثبط ومانع! وفي الآونة الأخيرة ظهر على الساحة أقوامٌ سذج في فكرهم وسوقة في تعاملهم ورعاع في منهجهم ، قد تنكروا لأولي الفضل الكرام وجحدوا مكانة السابقين الأعلام ، فناصبوا هؤلاء النخبة- جهلاً وغيرة وحقداً – العداء ، ورمَوْهم بمنجنيق الغدر ، فضاع بذلك عقد الوفاء ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، وإلى الله المشتكى! فلنتأمل هذا الإرشاد النبوي إذ فيه مكافأة لأصحاب الصنائع على ما تقدم من إحسانهم فلقد روى النسائي وأبو داوود عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: ‹من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سأل بالله أعطوه ، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به ، فادعوا له حتى ترَوْا أنكم كافأتموه›. وللاعتراف بالفضل أقسام: منها ما كان من العبد لربه ، وهذا أعظم الاعتراف بالفضل ، قال الله تعالى: (ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين). وعلى العبد أن يملأ قلبه بشعور

الشكر والامتنان ، ويكثر من الاعتراف بالفضل لصاحب الإحسان ، وذلك بالقلب والجوارح واللسان ، لما رواه مسلم عن عبد الله بن الزبير – رضي الله عنه - أنه كان يقول في دبر كل صلاة حين يُسَلم: ‹لا إله إلا الله له الملك والحمد وهو على كل شيء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة ، وله الفضل ، وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون› وقال: ‹كان يهلل بها رسول الله دبر كل صلاة ›. ومنها ما كان من العبد للعبد ، وهو على درجات بحسب درجة المتفضل عليك ، وقربه منك ، من ذلك فضل الوالدين على الولد عموما ، وفضل الأم الرؤوم ، والقلب الحنون بصفة خاصة ، ولما كان النبي – صلى الله عليه وسلم – الأسوة في الأقوال والأفعال والأحوال ، فله مواقف تدلل على الاعتراف بالفضل ، وتحث الناس عليه ، نذكر منها – على سبيل المثال لا الحصر – ما كان في حق الزوجة ، ومنها ما كان في مقابلة الأصحاب ، بل وصل الأمر حتى مع الأعداء من الكفار. فقد اعترف النبي – بفضل زوجه خديجة بنت خويلد في حياتها ، وحتى بعد مماتها ، فكان يكثر من ذكرها وشكرها والاستغفار لها ، ويقول: إنها كانت وكانت ، وربما ذبح الشاة فقطعها ثم أرسلها في صدائق خديجة. ومن الأحاديث التي تدل على فضل خديجة بنت خويلد المثير ما رواه الطبراني في المعجم الكبير عن عائشة – رضي الله عنها - قالت: ‹استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله فعرف استئذان خديجة ، فارتاع لذلك وقال: اللهم هالة ، قالت: فغِرتُ ، وقلتُ ما تذكر من عجوز من عجائز قريش ، حمراء الشدقين ، قد هلكت في الدهر ، قد أبدلك الله خيرا منها ، فتمعر وجهه ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي أو عند المخيلة فقال: ما أبدلني الله – عز وجل - خيرا منها ، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء › فقالت عائشة: ‹والذي بعثك بالحق لا أذكرها إلا بخير›. وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يحفظ الجميل لأصحابه ، ويعترف بالفضل لأهله ، إذ ثمّن النبي – صلى الله عليه وسلم – جهد جميع أصحابه المهاجرين منهم والأنصار ، فقد روى أبو داوود والنسائي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا تسبوا أصحابي ، لا تسبوا أصحابي ، فو الذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحُد ذهباً ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نصيفه). وبين أيدينا وثيقة حب نادرة فيها اعتراف نبوي بالفضل الكبير لأحد المهاجرين الكرام ، وشيخ الصحابة العظام أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – البطل الهمام! فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي الدرداء – رضي الله عنه - أنه قال: كنت جالساً عند النبي – صلى الله عليه وسلم – إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته ، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم -: ‹أما صاحبكم فقد غامر› فسلم وقال يا رسول الله: إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت ، فسألته أن يغفر لي ، فأبى علي ، فأقبلت إليك ، فقال رسول الله: يغفر الله لك يا أبا بكر (ثلاثاً) ، ثم إن عمر ندم ، فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا فأتى إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فجعل وجه النبي يتمعر ، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه ، فقال يا رسول الله: إني كنت أظلم (مرتين) ، فقال رسول الله: إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر صدق ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركون لي صاحبي؟ قالها (مرتين) فما أوذي بعدها. ومما يدل على اعترافه - صلى الله عليه وسلم – بفضل الأنصار ما قد رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن زيد بن عاصم المازني – رضي الله عنه - أنه لما أفاء الله على رسوله يوم حنين ، قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم في المؤلفة قلوبهم ، ولم يعط

للأنصار شيئاً! فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس ، فخطبهم فقال: يا معشر الانصار أم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ، عالة فأغناكم الله بي ، كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمن ، قال: ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله! ثم قال: ‹ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي – صلى الله عليه وسلم – في رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلك وادي الأنصار وشعبها ، الأنصار شعار ، والناس دثار ، إنكم ستلقون بعدي أثرة ، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض›. فيا له من كرم نبوي! ويا له من خطاب عاطفي! رسم فيه الرسول النبي – صلى الله عليه وسلم - معالم المنهج في الاعتراف بأصحاب الفضل والكرم الجليّ. ومما يدل على حفظه الجميل للكفار ما رواه البخاري عن جبير بن مطعم بن عدي – رضي الله عنه - أنه قال: إن النبي – صلى الله عليه وسلم - قال في أسارى بدر: ‹ لو كان المُطعِم بن عدي حياً ، ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له›. وهذا الحديث يشير إلى اعتراف النبي – صلى الله عليه وسلم - بجميله لمَّا أدخله في جواره بعد أن ردّه أهل الطائف).هـ. أعود لقوم يجعلون جزاء الإحسان الإساءة فأقول:)

إن الجميـــلَ – لـــدى الأوبـــاش – مُنـــدحِرُ! لأنهـــم – لمَـــدى المَعـــروفِ – مـــا قـــدروا!

أعمـــاهمُ الطمـــعُ المقبـــوحُ ، فانتكســـوا وبـــــالتنكر – للمناقـــــب - افتخـــــروا

فمـــا لهـــم هِمـــمٌ تســـعى لمَكرُمـــةٍ ومـــا لســـعيهمُ – إن هـــم سَـــعَوْا - ثمـــر

ولا تـــــراهم إذا عنـــــتْ مواجهـــــة! هـــمُ التخـــاذلُ ، إن غـــابوا وإن حضـــروا

يســـــتمتعون إذا ســـــادتْ بُلهنيـــــة دومـــاً ، وإن عاهـــدوا فـــي جهـــرهم غـــدروا

والخلـــفُ ديـــدنهم – عمـــداً – إذا وعـــدوا وإن تعـــــددتِ الآيـــــاتُ والنـــــذر

والكِـــذبُ طـــابَعُهم – صِـــدقاً – وإنْ نطقـــوا لفظـــاً ، وإنْ خاصـــموا مُوحّـــداً فجـــروا

والغِـــش دربٌ لهـــم يُفـــدون تربتـــه وبالمعاصـــي – أمـــام الخلـــق – قـــد جهـــروا

أمّـــا إذا اؤتمنـــوا خـــانوا أمـــانتهم وللعواقـــب – فـــي الأمـــور – مـــا نظـــروا

إنْ اســـتعانَ بهـــم مُضَـــيّقٌ ظلمـــوا وبالـــذي يرتجـــي جـــوارَهم مَكـــروا

هـــمُ الغفـــاة ، وتغشـــى الأرضَ غفلـــتهم وفـــي الوجـــوه الأســـى والجهـــلُ والقتـــر

هـــمُ العُتـــاة ، وقـــد شـــط العُتـــو بهـــم والظلـــمُ طـــفّ ، وغمـــط النـــاس والبطـــر

هـــمُ القســـاة ، وخلـــقَ الله مـــا رحمـــوا والـــدارُ - مِـــن جـــورهم - تشـــقى وتســـتعِر

هـــمُ الجُفـــاة ، فـــلا عطـــفٌ بـــه عُرفـــوا والقلـــبُ - مـــن قســـوة الأوبـــاش - ينفطِـــر

هـــمُ العُـــراة ، وإنْ أثـــوابُهم برجـــتْ ... فـــوق الجســـوم ، فبـــئس الحجـــبُ والسُـــتُر!

هـــمُ الحُفـــاة ، وإنْ نعـــالهم لبســـتْ ... بـــئسَ الجلـــودُ! وبـــئس الشَـــعرُ والـــوبر!

هـــمُ التبَـــذلُ ، إنْ صَـــلوا وإنْ بـــذلوا ... مـــالَ الزكـــاة ، وإن حجّـــوا أو اعتمـــروا

هـــمُ الأراذلُ ، لا يعلـــو بهـــم أحـــدٌ! ... وكـــلُ مُنتســـبٍ للعِيـــر مُحتقـــر

هـــمُ الســـفولُ ، فـــلا شـــأنٌ ولا شـــرفٌ ... هـــمُ الســـقوط بـــدا ، واللـــؤمُ والـــدَبر

هـــمُ الضـــياعُ تمَطـــى فـــي مَهالكـــه ... وســـالكٌ دربَهـــم يُـــودي بـــه الغـــرَر

هـــمُ الوضِـــيعون بـــين النـــاس أجمعهـــم ... ومـــا لهـــم مبتـــدا – كـــلا – ولا خبَـــر!

هـــمُ الأذلـــة إن فقـــرٌ تعقـــبّهم ... أمـــا إذا شـــبعوا مِـــن الغنـــى بَطِـــروا

هـــمُ الأخِسّـــة – بالإيقـــاع – قـــد عُرفـــوا ... لأنهـــم لكِتـــاب الله قـــد هجـــروا

لا يَفقهـــون – مـــن الآيـــات - موعظـــة ... وإنْ تلوْهـــا فمـــا انصـــاعوا ولا اعتبـــروا

المُعرضـــون إذا صـــاحَ النـــذيرُ بهـــم ... فهـــل تُحَـــرّكهم – فـــي الغفلـــة - البُشُـــر؟!

المُفتـــرون إذا قـــالوا ، وإنْ صـــمتوا ... غـــالوا ، وإنْ غلطـــوا واللهِ مـــا اعتـــذروا!

المُمتـــرون وإنّ الشـــك قـــاتِلهم ... ومـــا لهـــم مِـــن لظـــى التشـــكيك مُزدجَـــر

المُعتـــدون بـــلا حـــق يُبَـــرّئهم ... والســـافكون دمـــاءَ الصِـــيدِ إنْ نفـــروا

المُهـــدِرون دمـــاً حَقـــتْ حَصـــانته ... والهـــادمون لِمَـــا أســـيادُهم عمَـــروا

المُســـقِطون حُقـــوقَ الغيـــر دون حيـــا ... وطالـــبُ الحـــق مـــنهم ســـوف ينتحـــر

لا يرعَـــوون لـــدِين – عَـــز – أو خلـــق ... وجمعُهـــم – لِسَـــنا الأخـــلاق - مُفتقِـــر

لـــم يعلمـــوا لنقـــولَ القـــومُ قـــد علمـــوا ... وحشـــدُهم – بســـواد الجهـــل - مُشـــتهِر

لا يحملـــون بشـــاراتٍ ، فنغـــبطهم ... وكيـــف يُســـدي الهنـــا مَـــن لـــيس يبتشِـــر؟!

لا يرفعـــون لـــواءَ الســـلم إنْ رتعـــوا ... لـــذا دواؤهُـــمُ الهنديـــة البُتُـــر

منحـــتُهم ثقتـــي ، وجُـــلَّ تجربتـــي ... وكـــلَّ وقتـــي وأمـــوالي ، ومـــا شـــكروا

وجُـــدتُ لـــم أدَّخـــرْ شـــيئاً لنائبـــةٍ ... وكنـــتُ أحتقـــرُ الإنســـانَ يَـــدَّخر!

أعطيتُ ما خصّني رب الأنام به ... وكنتُ بالخير – للأوباش - أبتدر

رغم الخصاصة كم آثرتُ ، ما بَخلتْ ... نفسي لأجبُر كسراً ليس ينجبر

رغم افتقاري إلى الأموال جُدتُ بها! ... والبَر يُنفقُ ما إليه يفتقر

ضحّيتُ بالكل كي يرضى حُثالتهم ... بئسَ المعارفُ والأهلون والزمر!

فتحتُ قلبي وبيتي كي أقرّبهم ... وكم تحمّلتُ ، والكريمُ يَصطبر!

قرّبتُهم أبتغي أهلاً أسُود بهم ... فخابَ ظني ، وما قد كنتُ أفتكر

أدخلتُهم في شِغاف القلب مُغتبطاً ... وفي الشغاف لهم كم حِيزتِ الدُرَر!

وفي السُويداء كم وَقرتُ أكبَرَهم! ... هو الأمانيْ زهتْ ، والسمعُ والبَصر

ولامني الناسُ أنْ هذي مُبالغة ... وذات يوم – مِن العلياء - تنحدر

وأشهرَ القومُ - في وجهي - نصائحهم ... كي لا يُزيلَ صِياني الخسرُ والضرر

وأعلموني بعُقبى ما أمارسُه ... مِن المَخاطر لو قد حَل بي الخطر

لكنني كنتُ مأخوذاً بمَن نبذوا ... نورَ المليك ، وبالإفلاس قد ظفروا

أوليتُهم خاطري المُلتاعَ ، أحسَبُهم ... نِعمَ الرفاقُ ، وهم كرامتي نحروا

أحببتُهم حبَّ مَن يرجو مَودتهم ... وفي البرايا بهم كم كنتُ أفتخر!

وكنتُ أنشُرُ في فخر مَناقبهم ... وهم لخيري ورب الناس ما نشروا

بل شوّهوا صورتي في كل حاضرةٍ ... وفي البوادي ، وزيفٌ كلُّ ما ذكروا

وأفهموا الناسَ أني مِن قبيلتهم ... بئس القبيلة والأحلافُ والنفر!

وقد أعانهُمُ ما عِشتُ مِن مِحَن ... مِن هولهن شِغافُ القلب تعتصر

لم يبذلوا جهدهم في حَل مُعضلةٍ ... مِن بأسها عَزمتي الشهباءُ تُحتضر

ما خصَّني نصفُ ما أسديتُ مِن كرم ... كلا ، وما نالني منهم ولا العُشُر

تذكّروا حقيَ المغصوبَ مِن زمن ... وغصبُ حقيَ أمرٌ باسلٌ عَسِر

تـــذكّروا جـــود مَـــن فـــي الله أكـــرمكم ... إن اعتـــــرافكمُ بـــــالجُود مُعتبَـــــر

تـــذكّروا – إنْ جهلـــتم – بعـــضَ مَنقبتـــي ... فإنمـــا الـــنفسُ – بالتـــذكير - تزدجـــر

عُـــودوا إلـــى صـــفحاتٍ حِبرُهـــا ألمـــي ... والعاقـــلُ الفـــذ – بالتـــاريخ - يَـــدّكِر

عانيـــتُ وحـــدي ، وأنـــتم فـــي تـــرفعِكم ... عـــن العطـــاء ، ألا غـــالتْكمُ الغِيَـــر

هيـــا اقـــرأوا مـــا مضـــى مِـــن عطـــب ســـيرتنا ... لـــو كـــان تـــنفعُكم – فـــي الغفلـــة - السِـــيَر

أشـــقيتُ نفســـي ، وأنـــتم فـــي تـــنعّمكم ... مستأنســـين ، ولـــي – بـــين الـــورى - سَـــقر

لمّـــا تـــزرْ مُقلتـــي – فـــي ليلـــة - سِـــنة ... والـــدمعُ يلسَـــعُها ، كأنـــهُ الشـــرر

والعـــينُ تُبصِـــرُ مـــا تـــأتون مـــن كُـــرب ... إذ لـــم يُفـــارقْ حِيـــاضَ المُقلـــة النظـــر

إنـــي تمرَّسْـــتُ - فـــي تـــاريخكم - دَهِشـــاً ... فجُلـــه كَـــدرٌ ، مِـــن فوقـــه كَـــدر

خلائـــقُ الله مـــن تلفـــيقكم برئـــتْ ... والجـــو مِـــن عَفـــن التلفيـــق مُعتكـــر

إنّ الحقيقـــة – بـــين النـــاس - مُعلنـــة ... وإنّ بـــاطلكم – فـــي اللحـــن - يســـتتر

تُبـــدون للنـــاس حقـــاً ناصـــعاً ألِقـــاً ... وفـــي ثنايـــاه وعـــظ بعضُـــه عِبَـــر

وتطرحـــــون عِبـــــاراتٍ مُنمقـــــة ... يحلـــو الحـــديثُ بهـــا ، ويَعـــذبُ السَـــمر

يَحـــار - فـــي قـــولكم - مَـــن كـــان يُشـــبهكم ... مـــاذا يصـــدّق - مِـــن قِيـــل - ومـــا يـــذر

والفـــذ يعـــرفكم فـــي لحـــن نبـــرتكم ... فمـــا لإفكِكُـــمُ – فـــي قلبـــه – أثـــر!

مهمـــا صـــنعتم - مِـــن التزويـــر - ملحمـــة ... فجُلهـــا عُجَـــرٌ تعنـــو لـــه بُجَـــر!

ألا تحسّـــــون بالتـــــدمير يَـــــدهمُكم ... ولـــــيس يَـــــنفعُكم مَهـــــلٌ ولا حَـــــذر

ألا تـــــرون جميـــــعَ النـــــاس تهجـــــرُكم ... وفـــــوق أرؤسِـــــكم تهـــــاوتِ الـــــدِرَر

فكيـــف تحيَـــوْن فـــي ذل وفـــي غصَـــص؟ ... ألســـتمُ بشـــراً يـــأوي لـــه البشـــر؟!

ألا تحسّـــــون – بالـــــدنيا - تبعثـــــرُكم ... علـــى الـــدروب ، فـــلا مـــأوى ولا وَزر؟

ألا تـــرون كِـــرام النـــاس تلفِظكـــم؟ ... أم أن أعيُـــنكم أودى بهـــا العَـــوَر؟

إنـــي لأســـأل ، والأيـــامُ تشـــهدُ لـــي ... والـــدارُ تشـــهدُ ، والأحـــداث والحُجَـــر

وأنسجُ الشِعرَ ، أنوي فضْحَ باطلكم ... وفي قريضيَ صَحّ الخُبْرُ والخَبَر!

نارٌ هو الشِعرُ في دنيا تدسُسِكم ... منها تطايرت الجمْراتُ والسُعُر

أسطرُ – اليوم – ما قاسيتُ مُحتسباً ... عند المليك ثوابُ الشِعر مدخر

جَلّ المهيمنُ مَن آوي لنصرته ... إن المليك – على نصري - لمقتدر

كان ابتلاءٌ مِن الرحمن زِدتُ به ... هدىً ، وإني - بكل الحب - مصطبر

أواجه – اليوم – أوباشاً بُلِيتُ بهم ... ولستُ أعبأ إنْ قلوا ، وإنْ كثروا

إني أذكّرهم أرجو مَثوبتهم ... والمؤمنون إذا ما ذكّروا ذكَروا

أتوْا فِعالاً – من الأخلاق – قد برئتْ ... تعَافُ مِن ذكرها الحميرُ والبقر

وحدي أقرّعُهم – دوماً - وأكبتُهم ... لأنهم كابروا ، وخاطري قهروا

وحدي ألقنهم درساً وموعِظة ... شعراً تبايعُه السيوفُ والسُمُر

شِعراً يُعيدُ حقوقاً طالما غصِبتْ ... والغاصبون ألا خابوا ألا خسروا!

شِعراً يردُ هجومَ العِير مُنتصراً ... وإنْ هُزمتُ ليَ الأشعارُ تنتصر

شِعراً هو البحرُ يُهدي الخيرَ مبتسماً ... وطابَ منه العطا والوِرْدُ والصَدَر

شعراً هو الليثُ لا تُمَسّ لِبدته ... على العَرين يَهيم الوَشْيُ والحِبَر

شعراً هو السيفُ يمحو بأسَ مَن رَفعوا ... يد العداء ، وبالدناوة اشتهروا

شعراً يُنيرُ دروباً طالما حَلكتْ ... كما يُنيرُ الدجى – في ليله - القمر

شعراً يُزيلُ الأسى مِن قلب مُبتئس ... مِن بعد ما هدّه في كربه الضجر

شعراً يُرَجّع لحنَ النصر أغنية ... هي الكرامة والإقدامُ والظفر

شِعراً به تزدهي الورودُ يانعة ... والزرعُ والعشبُ والأشجارُ والزهر

شِعراً به الأرضُ تعطي كل زخرفها ... تحيا به ولهاً ، كأنه المطر

شِعراً يُفصّل ما لاقيتُ مُغترباً ... يُطيلُ نثرَ الجوى ، وليس يَختصر

شِـــعراً يُبـــدد نومـــاً كلـــه شـــجنٌ حتـــى يَطيـــبَ مســـاءُ الفـــرح ، والســـهر

شِـــعراً هـــو الفـــلُّ والريحـــانُ ، فـــاحَ بـــه بـــوحُ القـــوافي ، ولحـــنٌ مُطـــربٌ عَطِـــر

شِـــعراً سَـــفينُ المَضـــا – فـــي البحـــر - مَركبُـــه تســـعى تُعضّـــدها الألـــواحُ والدسُـــر

شِـــعراً طليقـــاً لـــه الآفـــاقُ شاخصـــة ولـــيس - فـــي لجَـــج الأهـــواء - ينحصِـــر

شِـــعراً لـــه فلـــكُ الجـــوزاء مملكـــة تعنـــو البـــروجُ لـــه ، والأنجـــمُ الزهُـــر

شِـــعراً يَفـــيضُ ترانيمـــاً ومَعدلـــة بـــين القـــريض ، كمـــا فـــي شَـــعبه (عُمـــر)!

شـــعراً يُشـــعُ بيانـــاً مِـــن ترائبـــه فيـــهِ تنوعـــتِ الألـــوانُ والصـــور

شـــعراً مَقاطعـــه طابـــتْ لطاعمِهـــا فيـــهِ تعطـــرتِ الأبيـــاتُ والفِقَـــر

شـــعراً هـــو الفصـــلُ ، لا هـــزلٌ يُخالطـــه وذنبُـــه - عنـــد مـــن يتلـــوهُ - مُغتفَـــر

شـــعراً حشـــيمُ الـــرؤى ، لا عُـــرْيَ يَـــدْحَرُه والشـــعرُ بـــالعُرْي مَجنـــوز ومُنـــدحر

شـــعراً عِباءتـــه مِـــن لحـــم كاتبـــه صِـــيغتْ ، وبـــالعَظم شِـــعرُ العـــفّ مُـــؤتزر!

شـــعراً مَثوبتُـــه – عنـــد المليـــك - غـــداً نعـــمَ الثـــوابُ! ونعـــمَ الفضـــلُ والأجَـــر!

شـــعراً يُســـامحُ مَـــن يســـمو اليَســـارُ بـــه ومَـــن يُناوئْـــهُ فهْـــو الســـهمُ والـــوَتَر

شـــعراً يُعـــالجُ كســـرَ الـــود يَجبـــرُهُ والـــود – بالخِســـة الرعنـــاء - مُنكســـر

شِـــعراً يُقِـــيم – علـــى البـــاغين - حُجَّتـــه إن المَحَجـــة – بالتـــدليل - تزدهِـــر

شـــعراً يَجـــودُ بخيـــر فـــي ســـرائره كمـــا يَجـــودُ - بأثمـــار لـــه - الشـــجر

شـــعراً – علـــى خوْخـــة التفهـــيم - مُنفـــتِحٌ ومـــا اســـتبدَ بـــه – فـــي المحنـــة - الخـــدَر

شـــعراً هـــو الحِيلـــة المُثلـــى إذا عجـــزتْ كـــفّ البـــرئ ، وأضـــنى عزمَـــه الصـــبَر

شـــعراً يُبـــيّنُ مـــا الأوبـــاش قـــد فعلـــوا عســـاهُ يومـــاً – علـــى الأصـــقاع – ينتشِـــر!

شـــعراً يَـــردُّ اعتبـــاراً بعـــد غيْبتـــهِ وغاصـــبوهُ – علـــى التـــوهين – قـــد فطِـــروا

شـــعراً أراهُ عزائـــي إصـــرَ نـــائبتي إنْ زارنـــي الشـــيبُ ، أو غـــالى بـــيَ العُمُـــر

شـــعراً هـــو المَرفـــأ الأســـمى لمركبتـــي إن طالـــتِ الرحلـــة العصـــماءُ والســـفر

شـــعراً هـــو الطهـــر إمَّـــا رمْـــتُ مَطهـــرة ... فـــي قـــوم ســـوءٍ عَتـــوْا دَهـــراً ، ومـــا طهُـــروا

شـــعراً مَعـــينُ التقـــى والبـــر دَولتـــهُ ... وأهلـــــه الصِـــيدُ لا عُـــرْبٌ ولا حَضَـــر

شـــعراً أفاقـــتْ – علـــى التوحيـــد - ثورتـــهُ ... مـــا غالـــهُ بَلَـــةٌ يُـــزْري ولا سَـــكَر!

شـــعراً يُحِـــبُ قضـــاءَ الله خالقـــه ... حُبـــاً يَتِيـــه بـــه النصـــيبُ والقـــدر

شـــعراً يَـــردّ جميـــلَ العَـــف تبصِـــرة ... بمـــا جنـــتْ عُصـــبة الأوبـــاش والتتـــر

شـــعراً هـــو الصـــحبُ إنْ ضـــنّتْ معارفنـــا ... عـــن العطـــاء ، فمـــا آوَوْا ومـــا نصـــروا!

شـــعراً شـــمائله تُقـــري مناقِبَـــه ... فحبّـــذا الـــنصُ والموضـــوعُ والفِكَـــر!

وحـــدي أواجـــهُ – بالأشـــعار – مَـــن هزلـــوا ... ومَـــن – علـــى جُثتـــي – للعِـــز قـــد عَبَـــروا

وحـــدي أجـــابهُهم ، والله يلطـــفُ بـــي ... والنصـــرُ أوشـــك ، والأقـــدارُ تختبـــر

عقـــدٌ ونصـــفٌ ، وهـــم نـــارٌ تُحَرّقنـــي ... بـــئس الجُنـــاة طغـــوْا! ونِعـــمَ مُحتضـــر!

مـــا عـــدتُ أحتمِـــلُ الإذلالَ يَســـحقني ... لأننـــي رجـــلٌ قـــد زارنـــي الكِبَـــر

صـــداقة مـــا لهـــا كبيـــرُ فائـــدةٍ ... ورفقـــة مـــا لهـــا – فـــي خـــاطري - أثـــر

وصُـــحبة جَـــدّعتْ أنفـــي وأنـــفَ أبـــي ... ولـــيس – فـــي الصـــحب – لـــي نفـــعٌ ولا وطـــر

تقاسَـــمَ الصـــحبُ مِيراثـــي ، وقـــد علمـــوا ... أنْ لـــيس وازرة وزرَ أُختِهـــا تـــزر!

وقـــد جُعِلـــتُ لهـــم غنْمـــاً ونافلـــة! ... وفـــوق قبـــري تـــرابَ الخـــذل قـــد نثـــروا!

وقـــد أمـــاتوا سَـــنا ذكـــرايَ ، وانتقمـــوا ... مِمّـــن يُعـــدّدُ معروفـــي ويَفتكـــر

وأوســـعوا الاســـمَ تشـــويهاً وتشـــفية ... كـــأنني وقِـــحٌ ، أو أنهـــم غجـــر

وأشـــبعوا الأهـــلَ تحقيـــراً وتصـــفية ... وقبـــرَ تكرمَتِـــي – يـــا ويحَهـــم - حفـــروا

ربـــاهُ أنـــت علـــى مَـــن نـــالني بـــأذى ... ومَـــن علـــى ذِلتـــي – فـــي الخلـــق - يـــأتمر

الله بينـــي إذنْ وبـــين مَـــن ظلمـــوا ... ســـبحان ربـــك – للمظلـــوم - ينتصـــر

وحســـبيَ اللهُ ، إنّ الله مُطلـــعٌ ... مَـــن ذا علـــى نصـــرتي سِـــواه يَقتـــدر؟

ونعـــم ربـــي وكـــيلاً لـــيس يُعجـــزه شـــئٌ ، تبـــارك – فـــوق العـــرش – مُقتـــدر!

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

الأوباش: مفردها وبْش وهم سفلة الناس وأخلاطهم. مندحر: ضائع مهدور غير مدرك. المعروف: كل فعل أو قول حسن. قدروا: علموا قدْره وأدركوا قيمته. عنتْ: ظهرت. بُلهنية: رغد العيش وسعته. ديدنهم: طبيعتهم. النذر: جمع نذير. طف: زاد. فجروا في الخصام: استمروا فيه طويلا. تربته: ترابه. العواقب: مغبّات الأمور ونهاياتها. مضيق: إنسان مظلوم مقهور. جوارهم: الدخول في حمايتهم وجنابهم. غفاة: جمع غافٍ وهو الغافل. القتر: قتام الوجه. العُتاة: جمع عاتٍ وهو الظالم. العُتو: الظلم. غمط الناس: أكل حقوقهم بلا وجه حق للآكل. البطر: التعالي على الخلق أيضا بغير الحق. ينفطر: يتوزعُ أشتاتاً. برجتْ: ظهرت. الجسوم: الأجسام. الأراذل: جمع رذل وهو الخسيس الوضيع الحقير من الناس وهو من لا يتورع عن إتيان النقائص والمعائب. العير: الحمير. اللؤم والدبر: كناية عن الخسة والدناوة. السفول: السفالة. الغرر: التعرض للتهلكة. البُشُر: جمع بشرى أي بُشريات. الممترون: الشاكّون المرتابون. مزدجر: أي رادع أو زاجر. الصِيد: جمع أصيد وهو الشريف الأصيل من الناس. نفروا: فروا للقتال. حصانته: من الدم المحصون أي المصون الذي لا يهدر إلا بحق الله – عز وجل -. عمروا: شادوا. لا يرعوون: لا ينصاعون. مفتقر: أي محتاج. نغبطهم: نحسدهم الحسد المشروع والذي لا يوجد فيه تمني الحاسد لزوال النعمة من المحسود. يُسدي: يعطي. الهندية البُتُر: السيوف الماضية. نائبة: مصيبة. أبتدر: أبادر وأسرع. الخصاصة: الفقر الشديد. آثرتْ: فضلتْ جدا. البر: المحسنُ الخيّر الذي يبذل المعروف. يفتقر: يحتاج. حثالتهم: وُضعاؤهم. الزمر: جمع زمرة وهي الجماعة من الناس. الدُرر: جمع دُرّة وهي الشيء الثمين الغالي النفيس. أسُودُ بِهم: أصير بينهم سيداً كريماً. شغاف القلب: أي سويداء الفؤاد. صِياني: كرامتي. عُقبى: خاتمة وجزاء ونهاية الشيء. الملتاع: المكروب الحزين. سِنة: أول النوم أي إغفاءة سريعة. مناقبهم: مزاياهم. معضلة: مشكلة. تحتضر: تشرف على الموت. غالتهمُ الغِيَر: أي ألمّتْ بهم قوارع الدهر وريب المنون. يستتر: يختبئ ويختفي. الإفك: القول الكذب الصراح. العُجَر: ثنايا الجلد كناية عن التشويه. البُجَر: العيوب أو الأحزان والكروب التي ألمت بصاحبها. الدِرر: جمع دِرة وهي العصا. غصص: جمع غصة وهي المرارة. لا وزر: لا مفر ولا مهرب. مثوبتهم: ثوابهم وأجرهم. تعافُ: تتعاظم وتأنف وتتورع. أقرّعُهم: أعنفهم باللوم عل واحدا منهم يُصيخ لما أقول. السمُر: هي الرماح. الورد والصدر: أما الورد فهو الإشرافُ على الماء ، وأما الصدَر فهو الرجوع عن مورد الماء بعد الشرب والسقيا. الحِبَر: جمع حِبرة وهي العِباءة الجميلة. حلكتْ: أظلمت. الظفر: النصر والفوز. تزدهي: تتجمل وتتزين. الجوى: أنين القلب وحزنه وهي كناية عن شدة الألم والأسى. شجن: حزن. تعضدها: تقويها. الألواح: ألواح الخشب التي في السفينة. الدسُر: جمع دِسار وهو خيط من ليف تشد الألواح به. البروج:

الكواكب. كما في شعبه عمر: أي مثل عمر بن الخطاب في رعيته. الفِقَر: جمع فِقرة وهي أحد فقارات الظهر. مؤتزر: مرتديا الإزار. أجَر: جمع أجر وهو الجزاء. المَحجة: الحُجة. بالتدليل: أي بإقامة الأدلة على قضيةٍ ما. خوخة: هي الكُوة تؤدي الضوء إلى البيت ، أو هي الباب الصغير يكون في آخر أكبر منه. الصبَر: هو الصبر المُر وهو أشد الأنواع لأنه مشتق من الصبّار. الأصقاع: جمع صُقع وهو المكان الصغير من البلد أو المحِلة. التوهين: الإضعاف من قيمة الشيء أو الإضعاف من جدوى المطالبة بشيء ما وهو من أخلاق أكلة حقوق الناس. المرفأ: الميناء الذي يطل على البحر ، وفيه مرسى السفن والعبّارات والبواخر. بَلَهٌ: جنون. يُزري: أي يحقر الإنسان بين الناس. العف: العفيف. التتر: هم التتار. ضنت: بخلتْ. شمائله: محاسنه. الفكر: جمع فكرة. نعم محتضر: أي أنعم بمن أشرف على الموت ، ورغم ذلك يطالب بحقه ويدين الجناة والغاصبون. جدّعت أنفي: أي قطعته مُثلة وهو هنا كناية عن الذل بين الناس. وطر: حاجة ومطلب. تزر: تجزي. نافلة: واحدة الأنفال وهي الزيادة. غجر: هم رذالة الناس وسفهاؤهم ووضعاؤهم. وأعتقد أنني لم أسم أحداً منهم لتستوعب الكل!

تذكروا الإحســـــان 2!

(كلما أحسن إلى هؤلاء الأراذل دفع الثمن خذلاناً وشقاء ، وكأن جزاء الإحسان اليوم عندهم أمسى العقاب الشديد عليه لا المكافأة. فنظر ذلك المحسن الكريم من حوله ، فعلم أن أغلب الناس من حوله قد أصبحوا هكذا. واستنتج ولأول مرة أن المحسنين من أمثاله ، يعضون أصابع الندم على جزاء هذا الإحسان الذي ضاع عند الناس. والحقيقة أن المعروف والجميل والإحسان من أفضل الأعمال التى إن ضاع أجرها عند الناس ، فليس يُتصور أن يضيع عند الله. وذلك لعموم قوله تعالى: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً) ، وقوله: (وما يفعلوا من خير فلن يُكفروه). وقول الشاعر الحطيئة في ذلك: (من يفعل الخير لا يعدمْ جوازيه *** لا يذهب العُرف بين الله والناس). وقول شاعر آخر: (ازرع جميلاً ولو في غير موضعه * فلن يضيع جميل أينما زرعا). وهذا رسول البشرية ، وهادي الإنسانية محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - ؛ فمن ذلك حفظه ورعايته لمعروف نسائه ، فقد حفظ لهن المعروف بعد وفاتهن ؛ فمن ذلك حفظه – صلى الله عليه وسلم - لمعروف زوجته الأولى خديجة بعد وفاتها ؛ فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "ما غرت على أحدٍ من نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - ما غرت على خديجة ، وما رأيتها ، ولكن كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ، ثم يقطعها أعضاء ، ثم يبعثها في صدائق خديجة ، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة! فيقول: (إنها كانت وكانت.. ، وكان لي منها ولد). ومن ذلك حفظه المعروف لأصحابه الكرام ، ومجازاتهم على ما بذلوه في نصرة الإسلام ، والدفاع عن نبيه ؛ فمن ذلك مجازاته لربيعة بن كعب ؛ فعن ربيعة بن كعب - رضي الله عنه - قال: كنت أخدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأقوم له في حوائجه نهاري أجمع ، حتى يصلي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العشاء الآخرة ، فأجلس ببابه إذا دخل بيته ، أقول: لعلها أن تحدث لرسول الله -صلى الله عليه وسلم – حاجة ، فما أزال أسمعه يقول: سبحان الله! سبحان الله! سبحان الله وبحمده! حتى أمل ، فأرجع أو تغلبني عيني فأرقد ، قال: فقال لي يوماً لما يرى من خفتي له وخدمتي إياه: (سلني يا ربيعة أعطك) ، قال فقلت: أنظر في أمري يا رسول الله ، ثم أعلمك ذلك؟ قال: ففكرت في نفسي فعرفت أن الدنيا منقطعة زائلة ، وأن لي فيها رزقاً سيكفيني ويأتيني ، قال فقلت: اسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لآخرتي ، فإنه من الله - عز وجل – بالمنزل الذي هو به. قال: فجئت فقال: (ما فعلت يا ربيعة؟) ، قال: فقلت: نعم يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسألك أن تشفع لي إلى ربك فيُعتقني من النار ، قال فقال: (من أمرك بهذا يا ربيعة؟) ، قال: فقلت: لا والله الذي بعثك بالحق ما أمرني به أحد ولكنك لما قلت: سلني أعطك ، وكنت من الله بالمنزل الذي أنت به ، نظرت في أمري ، وعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة ، وأن لي فيها رزقاً سيأتيني ، فقلت: أسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم – لآخرتي ، قال: فصمت رسول الله- صلى الله عليه وسلم – طويلاً ، ثم قال لي: (إني فاعل ، فأعني على نفسك بكثرة السجود). وإن أردتُ بإيراد بعض هذه المواقف عن النبي – صلى الله عليه وسلم – إلا أن تكون على سبيل المثال ، وإلا فإن مناقبه - في رد الجميل والثناء على أهله وعدم إنكار فضلهم - لا تحصى. فليراجع غير ذلك مما سطرته في كتب الحديث ، في باب حفظه - صلى الله عليه وسلم - للمعروف والجميل. وعن نكران الجميل قال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى - عند تفسير قوله تعالى (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة): كان أصحابها من قرية يقال لها

ضروان على ستة أميال من صنعاء ، وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة ، وكانوا من أهل الكتاب ، وقد كان أبوهم يسير فيها سيرة حسنة ، فكان ما يستغل منها يُرد فيها ما تحتاج إليه ويدخر لعياله قوت سنتهم ويتصدق بالفاضل. فلما مات وورثه بنوه ، قالوا: لقد كان أبونا أحمق إذ كان يصرف من هذه شيئاً للفقراء ، ولو أنا منعناهم لتوفر ذلك علينا ، فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية ، رأس المال ، والربح ، والصدقة ، فلم يبق لهم شيء. قال ابن المبارك ذلك التابعي الثقة – رحمه الله رحمة واسعة -:

(يـــد المعـــروف غنم حيث كانـــت *** تحمّلهـــا شكـــــورٌ ، أو كفـــــــورُ)

(ففـــي شكـــر الشكور لها جـــزاءٌ *** وعنـــد اللـــه مـــا كفـــر الكفـــور)

قال كعب الأحبار رحمه الله تعالى: ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع له بها درجة في الآخرة. وما أنعم الله على عبد نعمة في الدنيا ، فلم يشكرها لله ، ولم يتواضع بها إلا منعه الله نفعها في الدنيا ، وفتح له طبقات من النار يعذبه إن شاء أو يتجاوز عنه. قال ابن الأثير في النهاية: من كان عادته وطبعه كفران نعمة الناس وترك شكره لهم ، كان من عادته كفر نعمة الله - عز وجل - وترك الشكر له. قال المتنبي: (إذا أنت أكرمت الكريم ملكته *** وإن أنت أكرمت اللئيم تمرداً) قال الأصمعي رحمه الله تعالى: سمعت أعرابياً يقول أسرع الذنوب عقوبة كفر المعروف. قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار: (إن الله تعالى بعث محمداً - صلى الله عليه وسلم - رحمة للعالمين ونعمة للناس أجمعين ، فمن قبلها وقام بشكرها دخل الجنة ، ومن ردها وكفرها دخل النار. قال علي رضي الله عنه كنْ من خمسة على حذر: من لئيم إذا أكرمته ، وكريم إذا أهنته ، وعاقل إذا أحرجته ، وأحمق إذا مازجته ، وفاجر إذا مازحته. قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى: ترك المكافأة من التطفيف. كتب ابن السماك إلى محمد بن الحسن رحمهما الله تعالى حين ولي القضاء بالرقة: أما بعد ، فلتكن التقوى من بالك على كل حال ، وخف الله من كل نعمة أنعم بها عليك ، من قلة الشكر عليها مع المعصية بها ، وأما التبعة فيها فقلة الشكر عليها ، فعفا الله عنك كلما ضيعت من شكر ، أو ركبت من ذنب أو قصرت من حق.)هـ. قال بعض الحكماء: لا يزهدنك في المعروف كفر من كفره ، فإنه يشكرك عليه من لا تصنعه إليه. ويقال أيضاً: إعطاء الفاجر يقويه على فجوره ، ومسألة اللئيم إهانة للعرض ، وتعليم الجاهل زيادة في الجهل ، والصنيعة عند الكفور إضاعة للنعمة ، فإذا هممت بشيء فارتد الموضع قبل الإقدام عليه أو على الترك. والعامة تقول عن بيت الإنسان المحسن: (بيت المحسن عمار). ومن الأمثال السائرة قولهم: تاج المروءة التواضع. وترك الذنب أيسر من الاعتذار. وخير الناس للناس خيرهم لنفسه. ومن حسن خُلُقُه استراح وأراح. ومن حسن خُلقُه وجب حقُّه. وخير الناس من فرح للناس بالخير. وخير صِلاتِ الكريم أَعْوَدُها. خيركم خيركم لأهله (حديث). وذكر الفتى عمره الثاني. وساقي القوم آخرهم شراباً. وسر النجاح على الدوام هو أن تسير إلى الأمام. وسيد القوم خادمهم. وعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به. وعصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة. وعندما تكون في روما تصرف كما يتصرف الرومان. فرط الأنس مكسبة لقرناء السوء. وفلان دُرَّةُ التاج وواسطة العقد. وصدق الله: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره). وفي سعة الأخلاق كنوز الأرزاق. وصدق الله: (قُل كُلٌّ يَعمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ). وقلب المؤمن دليله. والشريف إذا تَقَوَّى تواضع والوضيع إذا تَقَوَّى تكبر. الصدق دليل

التقوى. تمام الصدق الإخبار بما تحمله العقول. تناس مساوئ الأحباب يدم لك وُدُّهُمْ. حُسْنُ الخلق خير قرين. وحُسْنُ الخلق يذيب الخطايا ، كما تذيب الشمس الجليد. وحُسْنُ الخلق يوجب المودة. وحق من كتب بمسك أن يختم بعنبر. وصدق الله: (قَولٌ مَّعرُوفٌ وَمَغفِرَةٌ خَيرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتبَعُهَا أَذًى). وكل امرئ بما يحسنه. وكما أن السؤال يُذِلُّ قوماً كذاك يُعز قوم بالعطاء. لا تشن وجه العفو بالتأنيب. لا تكن حلواً فتؤكل ولا مُراً فترمى. لا تمازح الشريف فيحنق عليك ولا الدنيء فيتجرأ عليك. لا تنه عن خلق وتأتيَ مثله. لا خير فيمن لا يَأْلَفُ ولا يؤلف. لكل مقام مقال ولكل زمان رجال. وللشدائد تُدَّخَرُ الرجال. لو كان الكذب ينجي فالصدق أنجى. ما كل من قال قولاً وفي. وصدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (من حسن إسلام المرء تَرْكُهُ ما لا يعنيه). معاتبة الأحباب خير من فقدهم. ومن تواضع لله رفعه. وأي الناس ليس به عيوب. وصدق الله: (وَلَو كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلبِ لاَنفَضُّواْ مِن حَولِكَ). وعموما إن نكران الجميل سبب العقوبة وزوال النعم. قال الأصمعي رحمه الله : سمعت أعرابيًا يقول: "أسرع الذنوب عقوبةً كفر المعروف" ، وقد جاءت السنة بالدلالة على ذلك ، فقد جاء في الحديث عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى ، فأراد الله أن يبتليهم. فبعث إليهم ملكًا. فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لونٌ حسنٌ وجلدٌ حسنٌ ، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس. قال: فمسحه ، فذهب عنه قذره ، وأعطيَ لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل. قال: فأعطيَ ناقة عُشراء ، فقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع ، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعرٌ حسنٌ ، ويذهب عني هذا الذي قد قذرني الناس. قال: فمسحه ، فذهب عنه ، وأعطي شعرًا حسنًا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر. فأعطي بقرة حاملاً. فقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إليَّ بصري ، فأبصر به الناس. قال: فمسحه ، فرد الله إليه بصره. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم. فأعطي شاة والدًا ، فأنتج هذان ، وولد هذا. قال: فكان لهذا وادٍ من الإبل ، ولهذا وادٍ من البقر ، ولهذا وادٍ من الغنم. قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته ، فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ ليَ اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال ، بعيرًا أتبلغ عليه في سفري. فقال: الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك! ألم تكن أبرص يقذرك الناس؟! فقيرًا فأعطاك الله مالاً؟! فقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر. فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا ، ورد عليه مثل ما رد على هذا. فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته ، فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ ليَ اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي رد عليك بصرك ؛ شاة أتبلغ بها في سفري. فقال: قد كنت أعمى فردَّ الله إليَّ بصري ، فخذ ما شئت ودع ما شئت ، فو الله لا أجهدك اليوم شيئًا أخذته لله ، فقال: أمسك مالك ، فإنما ابتليتم ، فقد رضيَ عنك وسخط على صاحبيك). ففي هذا الحديث أنكر كل من الأبرص والأقرع نعمة الله تعالى ، وجحدوا إحسانه عليهم ، وزعموا أنه من كدهم وكد آبائهم ، وهذا من أقبح ما يكون عليه الإنسان كما قال عن قارون: (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي) فعاقبه الله تعالى عقوبة كبيرة ، حيث خسف به وبداره الأرض. والْبِشْرَ دال على الكرم. والتكبر على المتكبر تواضع. والتواضع من مصائد الشرف. والحر تكفيه الإشارة. والحِلْمُ سيد الأخلاق. والدال على الخير كفاعله. وإذا أردت أن

تطاع فأمر بما يستطاع. وإذا حضر الماء بطل التيمم. وإذا لم تستحي فأفعل ما تشاء. وأطهر الناس أعراقاً أحسنهم أخلاقاً. وأعرف الناس بالله أرضاهم بما قسم الله له. والأخلاق أولاً ثم العلم والكفاءة هذا هو مفتاح السعادة للأفراد والحكومات والجماهير. يعنى العقل بالحقيقة ، وتهتم الأخلاق بالواجب ، أما الذوق فإنه يوصلنا إلى الفن والجمال. ومن أخلاق الجاهل الإجابة قبل أن يسمع ، والمعارضة قبل أن يفهم والحكم بما لا يعلم. إن الأخلاق النفعية ليست أخلاقاً حقيقة وأنها تنتمي إلى الدناوة أكثر من انتمائها لعلم الأخلاق. وإن في العزلة راحة من أخلاط السوء. والأخلاق هى الحساسية المرضية للمنحط مع النية الخفية في الانتقام من الحياة. والحرية هي روح الموقف الأخلاقي ، وبدون الحرية لا أخلاق ولا إتقان ولا إبداع ولا واجب. والأخلاق ليست فقط نظاماً للتعامل بين الناس ، ولكنها هي التي تنظم المجتمع وتحميه من الفوضي. إنها قسمة عادلة ، فالثراء للأقوياء والأخلاق للضعفاء. إذا أردت أن تعرف أخلاق رجل فضع السلطة في يده ثم انظر كيف يتصرف. والحضارة ليست أدوات نستعملها ونستهلكها ، وإنما هي أخلاق سامية نوظفها. ونحن لسنا محتاجين إلى كثير من العلم ، ولكننا محتاجون إلى كثير من الأخلاق الفاضلة. ومن هنا ندرك أن من مساوئ الخلال ، وذميم الخصال التي حذرنا منها الإسلام "نكران الجميل". ونكران الجميل يتنافى مع طبائع النفوس السوية ، التي طُبعت على حب مَنْ أحسن إليها ، والتوقف إزاء مَنْ أساء إليها ؛ ولذلك فإنه من الصعوبة بمكان أن يكون ناكر الجميل سوياً في نفسه أو مستقيماً في سلوكه وطبائعه ؛ ما ينعكس بالدرجة الأولى على ذاته وشخصيته وعلاقته مع غيره ، فينفضُّ الناس من خدمته بعد أن يكتشفوا حقيقة مرضه الدفين في نفسه. وقد حثنا ديننا الحنيف على شكر مَنْ يقدم لنا معروفاً حتى تسود العلاقات الطيبة في المجتمع ، فأكد الإسلام بر الوالدين ، وشكرهما جزاء ما قدما لنا ، كما وجه النبي - صلى الله عليه وسلم - أمته إلى الإقرار بالجميل وتوجيه الشكر لمن أسداه إلينا ، بل الدعاء له حتى يعلم أنه قد كافأه ؛ فعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (... ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئوا به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه). وقد وجه النبي - صلى الله عليه وسلم - أيضاً أمته إلى الاعتراف بالجميل وعدم نكرانه ؛ فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من أُعطيَ عطاءً فوجد فليجْز به ، ومن لم يجد فليثن ، فإن مَن أثنى فقد شكر ، ومن كتم فقد كفر ، ومن تحلَّى بما لم يُعْطَهْ كان كلابس ثوبَي زور). أما أن يحسن الآخرون إلى أحدنا فلا يجدون إلا نكرانًا ، فهذا دليل على خِسَّة النفس وحقارتها. إذ النفوس الكريمة لا تعرف الجحود ولا النكران ، بل إنها على الدوام وفية معترفة لذوي الفضل بالفضل. فحين لا يقر الإنسان بلسانه بما يقر به قلبه من المعروف والصنائع الجميلة التي أسديت إليه سواء من الله أو من المخلوقين فهو منكر للجميل جاحد للنعمة. إن نكران الجميل ، وجحد نعمة الآخرين سببٌ من أسباب دخول النار - والعياذ بالله - ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (أُريت النار ، فإذا أكثر أهلها النساء ، يكفرن). قيل: أيكفرن بالله؟ قال: (يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهنَّ الدهر ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيتُ منك خيرًا قط). ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ؛ فقد جاء في الحديث: عن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - أنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المنبر: (من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، والتحدث بنعمة الله شكر ، وتركها كفر ، والجماعة رحمة

والفرقة عذاب). وهكذا يُوجه النبي - صلى الله عليه وسلم - أمته إلى الإقرار بالجميل ، وشكر من أسداه ، بل والدعاء له حتى يعلم أنه قد كافأه ؛ فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سألكم بالله فأعطوه ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن أتى عليكم معروفًا فكافئوه ؛ فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه). أما أن يتنكر الناس للمحسن فيعاقبوه على جميله وإحسانه ومعروفه فهذا أمر مستهجن! وعن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من صُنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء). (الترمذي). وقال المكي بن إبراهيم كنا عند ابن جريج المكي ، فجاء سائل فسأله فقال ابن جريج لخازنه: أعطه ديناراً فقال: ما عندي إلا دينار ، إن أعطيته جُعت وعيالك ، قال: فغضب وقال: أعطه. قال المكي: فنحن عند ابن جريج إذ جاءه رجل بكتاب وصرة ، وقد بعث إليه بعض إخوانه ، وفي الكتاب إني قد بعثت خمسين ديناراً قال: فحلّ ابن جريج الصرة فعدها ، فإذا هي أحد وخمسون ديناراً ، قال: فقال ابن جريج لخازنه: قد أعطيت واحداً فرده الله عليك وزادك خمسين ديناراً [الترمذي]. وعن خالد بن عدي الجهني قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من بلغه معروف عن أخيه من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله ولا يرده ، فإنما هو رزق ساقه الله عز وجل إليه.) [أحمد]. وقال تعالى: {إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً}. وهذا عدي بن حاتم لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المعروف والخير الذي كان يصنعه أبوه في الجاهلية ابتغاء المدح والذكر الحسن فقال صلى الله عليه وسلم (إن أباك أراد شيئاً فأدركه). [أحمد] أي الأجر من الناس بالثناء. وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من شفع لأخيه بشفاعة فأهدى له هدية عليها فقبلها ، فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الربا). [أبو داود]. قال تعالى: {إن تبدوا الصدقات فنعمّا هي ، وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم}. قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء). [الحاكم]. وقال في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله (ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه). [البخاري ، مسلم]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قال رجل لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته ، فوضعها في يد سارق ، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على سارق ، فقال: اللهم لك الحمد ، لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها في يدي زانية ، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية ، فقال: اللهم لك الحمد ، على زانية! لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها في يدي غني فأصبحوا يتحدثون: تصدق على غني ، فقال: اللهم لك الحمد ، على سارق وعلى زانية وعلى غني! فأتي فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها وأما الغني فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله). (الشيخان). وأنا أعتقد أن هذه الممارسات ما سادت اليوم بين الناس إلا بسبب خلل العقيدة والتوحيد من جهة! ومن جهة أخرى الجهل المطبق بحقوق الأخوة التي أوجبها الله ورسوله! تحت عنوان: (الأخوة في الله) يقول الشيخ فريد الأنصاري رحمه الله ما نصه: (حقوق الأخوة العامة ، إذ الحقوق على قسمين: حقوق عامة ، وحقوق خاصة ، فالحقوق العامة هي التي يشترك فيها كل الناس ، أذكرها الآن على سبيل الإيجاز، ثم على سبيل التفصيل ، وهي: إفشاء السلام ، رد السلام ، عيادة المريض ، اتباع الجنائز ، إجابة الدعوة ، تشميت العاطس ، إبرار المقسم ، نصرة المظلوم ، النصيحة ، التنفيس على المكروب ، التيسير على المعسر ، الإغضاء عن العيوب ، الابتعاد عن الأذى كالحسد والتباغض والظلم والتحقير. لقد وضع ديننا الحنيف نظاماً لتعامل أبناء الإسلام فيما بينهم ، بحيث يثمر مزيداً من الترابط والتآلف ،

ويجعل أهل الإسلام نسيجاً واحداً ، ونحن نفتقد في هذه الأيام التطبيق العلمي لهذه الآداب ، الأمر الذي أدى بدوره إلى اضطراب كثير من الأمور في أذهان بعض الناس تجاه بعض القضايا العلمية ، مثل إلقاء السلام على جميع الناس ، ونحن هنا نريد أن نعيد طرح هذه الواجبات والحقوق ، لعلنا نداوي من خلالها ما صار بين المسلمين من شتات وفرقة ، فلربما استعصت علينا الأمور ، والدواء أيسر مما نتصور ، وعلى كل حال يبقى السؤال موجها لكل واحدٍ منا ، ألا وهو: أين نحن من تطبيق هذه الحقوق والآداب؟ ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضيَ الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه مسلم: (خمس تجب للمسلم على أخيه: رد السلام ، وتشميت العاطس ، وإجابة الدعوة ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز) ، وفي رواية: (حق المسلم على المسلم ست ، قيل ما هي يا رسول الله؟ قال إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه. والآن إليكمُ التفصيل: أولاً: إفشاء السلام ورده: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم ، متفق عليه ، وقال صلى الله عليه وسلم في حديث مسلم من حديث أبي هريرة: (حق المسلم على أخيه المسلم ست ، إلى أن قال: وإذا لقيته فسلم عليه ، وقال تعالى: (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) ، ثانياً: عيادة المريض ، قال صلى الله عليه وسلم في معرض بيان حق المسلم على أخيه: (وإذا مرض فعده ، وقال صلى الله عليه وسلم: من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه مناد بأن طبت وطاب ممشاك ، وتبوأت من الجنة منزلاً ، رواه الترمذي ، وقال صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: (وجبت محبتي للمتحابين فيَّ والمتزاورين فيَّ ، رواه مالك في الموطأ ، ثالثاً: اتباع الجنائز ، قال صلى الله عليه وسلم في حديث حقوق المسلم على أخيه: (وإذا مات فاتبعه) ، رواه مسلم ، فمن حق المسلم على أخيه: أن يشيعه إلى مثواه إذا مات ، فإن أواصر الأخوة الإسلامية تبقى حتى ولو بعد موت أحدهما أو كليهما ، فتبقى ملزمة للأبناء والأقرباء ، فعليهم أن يكونوا أوفياء لأصدقاء مَن مات من الأقارب ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي يُكرم أصدقاء خديجة بعد وفاتها ، بل هذه الأخوة تبقى حتى في يوم القيامة ويوم الحساب ، قال تعالى: (الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) ، رابعاً: إجابة الدعوة ، والمقصود بذلك أنه إذا دعاك أخوك المسلم إلى مناسبة فرح كوليمة عرس أو نجاح أو عقيقة أو ما شابه ذلك ، فيجب عليك أن تجيبه لقوله صلى الله عليه وسلم: (وإذا دعاك فأجبه) ، رواه مسلم ، لأن إجابة الدعوة تدل على احترام الأخ لأخيه ومشاركتهِ له في سرائه ومشاعره وأفراحه وأتراحه. خامساً: نصر المظلوم ، لقوله صلى الله عليه وسلم: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً! قيل: أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً؟ فقال صلى الله عليه وسلم: تحجزه ـ أي تمنعه ـ عن ظلمه ، رواه البخاري ، سادساً: النصيحة ، إذا رأى المسلم في أخيه عيباً أو نقصاً ، فلا يفضحه أمام الناس ، بل ينصحه على انفراد ، لأن النصيحة الخالصة والحاصلة في السر تكون الاستجابة من قِبَل المنصوح له متحققة ، وفي الملإ وبين الناس تعتبر توبيخاً وفضيحة ، وقال صلى الله عليه وسلم: (وإذا استنصحك فانصح له) ، رواه مسلم ، وبالمقابل فإن على المنصوح أن لا يضيق بالنصيحة ، فقد كان الفاروق عمر رضي الله عنه يقول: رحم الله امرءاً أهدى إلي عيوبي ، سابعاً: التنفيس عن الكروب ، والتفريج عن المهموم ، والمشاركة في محنته ، لقوله صلى الله عليه وسلم: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه) ، رواه مسلم ، وقال صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثلُ الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحمى ، رواه مسلم ، وهكذا فإن الأخوة في الله تضحية وتفانٍ وتعاون ومحبة ومشاركة ، في

السراء والضراء ، والأفراح والأتراح. وأما الحق الثامن من حقوق المسلم على أخيه العامة: غض الطرف ، والمقصود بهذا أن تغض طرفك عما تجد في أخيك من عيوب إذا كان الفضل أعظم ؛ لأنَّه ما من إنسان إلا وفيه عيب ، والمعصوم هو النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء ، أما بقية البشر فليسوا بمعصومين ، بل لا بد لهم من خطأ وزلل ، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آَدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل ابن آدم خطاء ..) ، ويقول سعيد بن المسيب: (ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب) ، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه ، فمن كان فضله أكثرَ من نقصه وُهِبَ نقصه لفضله ، وهذه من القواعد المهمة التي ينبغي أن نلتزمها ويتربى عليها الأجيال ، فعلى المسلم أن يحفظ أخاه ويسترَه إذا وجد فيه عيباً ، لقوله صلى الله عليه وسلم: (ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، وعليه أن ينصحه ويرشده إلى عيبه دون أن يفضحه بإشهاره ، وإذا تأملنا هذا الكلام وقارناه بواقعنا وجدنا أن هذا الكلام في واد ونحن في واد آخر ، فمن الناس من إذا وجد في أخيه عيباً نشره في كل مكان وقد نهينا عن هذا ، وإليكم قصة حضرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بطلها خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه فكان أبو بكر جالساً وأخذ رجل يسبه ويشتمه وهو يسمع ، وما يزيده جهل هذا الرجل إلا حِلماً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ، فلما زاد الرجل في جهله أراد أبو بكر رضي الله عنه أن يرد على الرجل ، فقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم - ثم أخبره بعد ذلك أن الله بعث ملكاً كلما كان الرجل يسب أبا بكر رضي الله عنه كان يقول الملك: بل أنت ، وكان أبو بكر كلما سبه الرجل يقول له: يغفر الله لك ، فكان الملك يقول لأبى بكر بل أنت وأنت أحق به ، فلما همَّ أبو بكر بالرجل انصرف الملك وحل محله الشيطان) ، عباد الله ، غض الطرف عنه لا يعني عدمَ نصحه ، لأنه لا خير في أخوة لا نصح فيها ، تاسعاً: تشميت العاطس لقوله صلى الله عليه وسلم: (وإذا عطس فحمد الله فشمته). رواه مسلم ، عاشراً: إبرار المقسم ، لقول البراء بن عازب رضي الله عنه: أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وتشميت العاطس ، وإبرار المقسم. حديث متفق عليه ، بمعنى أن المسلم إذا حلف لك على شيء فعليك أن تصدقه ، وهذا هو إبراره ، وهو من حقه عليك).هـ. وطبعاً مسألة التنكر للجميل تدل حقاً على الدناوة والخسة! ومن هنا رحت أناشد المنكرين للجميل بأن يتذكروا الإحسان! وذلك بعدما هالني ما حدث لذلك المحسن الذي غمطه الناس حقه ، فأنشدتُ على لسانه أقول:)

هـــلا أسِـــفتَ لمحســـن مظلـــومِ؟ كـــم ذا يُعـــاني مـــن أسَـــىً وكُلـــومِ!
أســـدى الجميـــل لمـــن يُجرّعـــه اللظـــى حتـــى غـــدا كـــالمُحْبَط المهمـــوم
أتـــراه لـــم يُبصـــرْ بأوبـــاش الـــورى؟ فجـــزوْه بالإحســـان بحـــرَ هُمـــوم
لـــمَ يـــا عُتـــاة تصـــرمتْ أخلاقكـــم؟ والخيـــرُ هـــل يُرجـــى بـــأي صـــريم؟
هـــل أصـــبحَ المعـــروفُ عيبـــاً يُـــزدرى؟ أيُعامـــلُ المِعطـــاء مثـــلَ خصـــوم؟
ومُقـــدّمُ الإحســـان يلقـــى ردَّه خـــذلاً أتـــى مـــن ســـيئات فهـــوم
لـــمَ تغفلـــون عـــن الشـــهادة شـــيدتْ مجـــداً؟ ألـــيس الأمـــرُ بـــالمعلوم؟
لـــمَ يُهـــدرُ الإحســـانُ جهـــراً بيـــنكم ويبـــوءُ بالخـــذلان كـــل كـــريم؟
لـــمَ تُهجَـــرُ القـــيمُ الأصـــيلة فـــي الـــورى حتـــى لتـــذروها الصَـــبا كهشـــيم؟
أخلصـــتُ صُـــحبتكم ، فعـــاتبني الوفـــا وشـــكا إلـــيّ بغضـــبة المكظـــوم

فعلمتُ أنـي في وفائي مخطئٌ ... وعقابُ ما أسديتُ بعضُ غموم
يا ليت شِعري ، كيف ينتحرُ الوفا ... ويضيعُ بين تخرص وزعوم؟
وتُصبُ للإخلاص كأسُ مَعرةٍ ... ليموت مُغتالاً ببعض سُموم؟
ويُجامَلُ الخوانُ دون تحفظٍ ... ويُخَصّ بالتكريم كلُّ لئيم؟
ويُمجّدُ الغدارُ تمجيدَ الذي ... قد صب فوق الخلق كل نعيم؟
ويُصدقُ الكذابُ تصديقَ الذي ... لمّا يكنْ في قوله بذميم؟
والناسُ تأتمنُ الخؤونَ صراحة! ... ليس الذي هم قدّروا بسليم
تصديقُ أهل السوء أصبحَ دَيدناً ... أيصدِقُ الأبرارُ كل رجيم؟
يا قوم ما هذي شريعة ربنا ... ليس الذي يُزجي الأذى بقويم
يا قوم ما هذي التقاليدُ التي ... جئتُم بها من ساقطٍ وزنيم
هجمتْ على الأصقاع تفجعُ أهلها ... أقبحْ بأعرافٍ وشر هجوم!
وقطيعُنا لحقيرها مستسلمٌ ... تعساً لمرتكس النهى مهزوم!
وقد انطلتْ حيلُ السفيه على الورى ... وسَرتْ بليل في الحياة بَهيم
حتى رأينا في المدائن فتنة ... كم حيرتْ في الدار كل حليم!
واستهجنَ المعروفَ كلُّ مُضلل ... واستنكرَ الإحسانَ كلُّ غشيم
والنذلُ أضحى في الأنام مُقدراً ... ولـه - لدى الأقوام - خيرُ قدوم
تعساً لمعيار يُدني مَن عَلا! ... وغدا الرجالُ به كمثل حريم
وقد استوى عبدٌ يُؤمّلُ جنة ... ومُضللاً يهوى دخولَ جحيم
سُحقاً لميزان قضى قِسطاسُه! ... حتى كأن التبرَ مثلُ أديم!
لعبتْ بأقدار الورى أهواؤه ... فتراه أردى قدْر كل عظيمِ
وقد استوي شهمٌ لديه ومُقْرفٌ! ... حتى تساوى وزنُ أي حُجوم!
إني لأعجب من مقاييسَ انزوتْ ... وغدتْ كأطلال قضتْ ورُسوم
لمّا تجدْ فرقاً يُميِّز من علا ... فأتى بخير في الديار عميم
وسواه ينفخ في البرايا سُمّه ... شتان بين مُشوَّهٍ ووسيم!
يا قوم هيا أدركوا أخلاقكم ... كي تضمنوا فوزاً بكل نعيم
لمّا يكنْ هذا الترهلُ سَمتَكم ... وكذاك ليس بطابَع مَقسوم
هذا بما كسبتْ أيادي من طغَوْا ... وتمسّكوا بالمنطق المَحسوم
فلتحذروا مِن بأس شَر مُحْدِق ... ولتُشفقوا مِن أخذه المَحتوم
إني أناصح ، والهداية مَقصدي ... فلترفقوا يا ناس بالمظلوم
لم تُسقِطون حقوقه في خسةٍ؟ ... وأراه ليس بما أتى بمُليم

ويعـــيش يبكـــي ، والـــدموعُ لهـــا أســـىً ... ويبيـــــت مُلتاعـــــاً ككـــــل كلـــــيم

لـــمَ تحكمـــون علـــى النوايـــا؟ حســـبكم! ... أوَ لـــــيس ربـــــي بـــــالورى بعلـــــيم؟

إن كـــان هضـــمُ الحـــق دَيـــدنَ جمعِكـــم ... فأنـــــا لكـــــم والله شـــــرٌّ خصـــــيم

ســـــأظَلُّ أذكـــــرُ للأنـــــام عَـــــوارَكم ... لـــيس الـــذى يعِـــظ الـــورى بســـقيم

كـــم ذا نصـــحتُ لجمعِكـــم وزجرتُـــه! ... إذ إن ذا مِـــــن سُـــــنّة المَعصـــــوم

لكـــــنْ ، وأنـــــى للســـــفيه تـــــذكرُ؟ ... شـــــتانَ بـــــين مُغَفَّـــــلٍ وحَكـــــيم!

جَعلوني مغنمــاً!

(تزوج من ابنتهم ، يحسِبُها صالحة سوف تتقي الله عز وجل فيه. وكان ينوي بزواجه منها إحصان فرجه وإعفاف نفسه وغض بصره وإقامة بيت مؤمن مسلم موحّد على كتاب الله عز وجل – وسُنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ! فإذا بالزواج بعد حين ينقلب إلى صفقة تجارية محددة الأهداف من جهة واحدة ، من جهة الأصهار غير الشرفاء ، فلقد حرصوا على تحقيق كل مآربهم فانتفعوا كل الانتفاع. وظلوا يتصرفون في كل شأن من شؤونه! فقال لهم: لن يكون لكم ذلك بعد اليوم ، وأمرهم بأن يردوا القوس إلى باريها والأمر إلى نصابه والحق إلى صاحبه! وعندئذٍ كشّروا له عن ساق العداوة وناب الكراهية. وأشهروا سيوفهم الغادرة في وجه الرجل وكأنه عدوٌ لهم. ودفع الزوج المسكين البائس الثمن من دمه وأعصابه ودموعه ، بينما راحت الزوجة الحمقاء غير الوفية ولا الصالحة تنضم للفريق الأقوى على حساب بيتها وأولادها وزوجها. فكانت زوجة غاشة خائنة وغادرة مُضيّعة. وقد تناست كل حقوق ذلك الزوج وما يجب في حقه وما ينبغي عمله وتلافي الأزمة الطاحنة التي أودتْ بالجميع. وكانت الأسرة بحاجةٍ إلى حكمين عدلين ، لا إلى سفهاء يُخربون البيت! ولندرسْ مسألة اختيار الحكمين كما يتناولها الأستاذ محمد المنجد: {وَإِنْ خِفْتُمْ} يا أيها الحكام ومنهم القضاة والأولياء أو يا أيها المؤمنون عموماً ، {وَإِنْ خِفْتُمْ} يدخل في ذلك الزوجات: {فابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا} أرسلوا والأمر للوجوب ، لأن مصلحة الأسرة في حكم الشرع مهمة جداً ، {فَابْعَثُوا} شفقة المسلمين لبعضهم البعض ، شفقة الحكام وولاة الأمر ، والقضاة وأهل الحل والعقد ، ووجهاء الناس ، يا أيها المؤمنون عموماً ، يجب أن يقام بهذا الحكم ، ممن يستطيع إقامته ، الخطاب موجه له ، {فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا} المؤمنون أهل الإسلام يدٌ واحدة ، يسعى بعضهم في إصلاح بعض {حَكَماً} رجلاً حراً ثقة عدلاً خبيراً بدقائق الأمور ، بصيراً بطرائق الإصلاح ، عارفاً بالأحكام أميناً يكتم الأسرار. حكماً ينبغي حسن اختياره ليكون قادراً على إنجاح المهمة ، حكماً كلمة كبيرة ، أولاً {مِنْ أَهْلِهِ}: من أقارب الزوج ، {وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا}: من أقارب الزوجة. لماذا؟ قال المفسرون: لأنّ الأقارب أعرف ببواطن الأحوال ، وأطلب للصلاح ، ـ وآمن وأحفظ للأسرار فتحصل بهما طمأنينةٌ أكثر! ونفوس الزوجين تسكن إليهم ، ويبرز إليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض وإرادة الصحبة والفرقة ، وموجبات ذلك ومقتضياته وما يخفيانه عن الأجانب ، ولا يحبان أن يطلعوا عليه. الكشاف (407/1). ومن هنا رحت أكتب على لسانه هذه القصيدة التأبينية من البحر الخفيف. أعزي ذلك البائس المبتلى. وإن هى إلا نفثة واحدة من نفثات محموم ، وإن هي إلا قطرة من بحر ، وإن هي إلا أنة واحدة من أنات جريح. ألا فلتتق الله كل زوجة في زوجها الذي هو جنتها ونارها. والذي لو كان كله ينزف صديداً من أعلى ذؤابة شعره إلى أخمص قدميه ولعقته ما أدت حقه عليها بنص معنى حديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ. وكذا أقول لكل خطيب عليه أنْ لا يفترض في عروسه أنها أم المؤمنين ، بل عليه أن يكون واقعياً.)

دَمّرونـــــــي بالكيـــــــد والخُـــــــذلانِ! واســـــــتطالوا علـــــــيَّ بالطغيـــــــانِ!

واســـــــتبدُّوا فـــــي كـــــل أمـــــر وشـــــان واســـــــتهانوا بحُرمـــــــة الإنســـــــان

واستمرّوا في الجور عقدين حتى ... حَطموني بالصدِّ والهجران

واستحلوا مالي وعِرضي وداري ... ثم حثوا الأعدا على العدوان

واعتلى كلّ صَهوة الغِل يُشفِي ... ما اعتراه مِن صَولة الهيجان

وتشفى كلّ ، وأدلى بدلو ... مُمسكاً في الفتون بالأشطان

وتعدّى كلّ عليَّ جهاراً ... وأذاقوني حسرة الإمتهان

وتمادَوْا في النيْل مني عياناً ... وظلِلتُ مما افترَوْه أعاني

لم يُراعوا دِيناً ولا عُرفَ شَعب ... وابتليتُ منهم بأقسى امتحان

جعلوا مني مَغنماً دون حق ... فشربتُ التشريدَ كأسَ هوان

كالطفيليات التي لا تحابي ... أو كمثل الهوام والذبان

ثم جَدّوا في الانتقام ، وشطوا ... واستطابوا وساوسَ الشيطان

كيف غالوا وشوّشوا ، واستمالوا ... في تحَدّيهم أنبلَ الأقران؟

كم كظمتُ غيظي وسامحتُ خصمي ... فرمَوْني بالخوف والإذعان!

كم بذلتُ المَعروفَ لم آلُ جهداً ... وخصَصْتُ الباغين بالإحسان!

كم شقيتُ كي يستريحوا طويلاً ... واحتسبتُ ، لم أفرِهم بامتنان!

واصطليتُ بالنار كي لا يُلاموا ... أو يُصابوا منها ببعض دخان

واحتملتُ الكثيرَ مِن كل عاتٍ ... ثم بُؤتُ في العيش بالخسران

واصطبرتُ حتى قلاني اصطباري ... وانقهرتُ من هجمة الذؤبان

عَذبوني كلٌ بموقف لوم ... وعِباراتٍ تحتفي بالبيان

نحن أهلٌ لا تبتئسْ بالزرايا ... سوف تحيا في ذِروة التحنان

نحن نفديك بالعزيز لدينا ... أنت غال يا سيدَ الأعيان

فادخِرْنا ليوم بؤس وضنكٍ ... نحن أهلُ الإنقاذ والسلطان

لو أتاك رَيبُ المَنون أتيْنا ... كي نزيلَ مَرثيّة الأشجان

فـــاحتوتْني الألفـــاظ كالســـحر تســـبي ... فـــي دهـــاءٍ مـــا لاح فـــي الأذهـــان

خـــدعوني بـــالقول يَقطـــرُ صِـــدقاً ... وهْـــو لـــونٌ مـــن ســـامر الصـــبيان

خـــدعوني بالوعـــد فـــاض يقينـــاً ... وهْـــو زيـــفٌ عليـــه بعـــضُ الـــدهان

خـــدعوني بالترّهـــات تبـــدّتْ ... فـــي ثيـــاب الأخـــلاق والرجحـــان

خـــدعوني بالطيبـــات ادّعَوْهـــا ... بيننـــا فـــي سِـــر ، وفـــى إعـــلان

خـــدعوني بالصـــالحات أتوْهـــا ... بعـــدما هـــدّوا أعظـــم الأركـــان

خـــدعوني إذ أظهـــروا الـــودّ زوراً ... فاشـــتكى الـــودّ سَـــطوة الخـــذلان

خـــدعوني إذ ردّدوا كـــل ذكـــر ... للمليـــك المهـــيمن الـــديان

أوهمـــونـي أن الحيـــاة كـــلامٌ ... تُســـتطابُ فيـــه الـــرؤى والمَعـــاني

ثـــم زادوا مِـــن فتنتـــي وانبهـــاري ... بالبكـــا فـــي تـــلاوة القـــرآن

ليـــت شِـــعري كيـــف انخـــدعتُ بقـــوم ... هـــم ومَـــن يَســـتعدي المَـــلا سِـــيان؟

والمصـــابُ أنكـــى بـــزوج تناســـتْ ... مـــا تلاشـــى فـــي ســـالف الأزمـــان

لِغبـــاءٍ فـــي عقلهـــا لا يُبـــارى ... أرخصـــتْ وُداً غـــاليَ الأثمـــان

خانـــتِ العهـــدَ ، لـــم تُحكّـــم ضـــميراً ... واســـتهانت بشـــرعة الـــرحمن

وعليهـــا هانـــت يواقيـــتُ عُمْـــر ... أخمـــدتْها بالغِـــل والشـــنآن

أســـهمتْ فـــي تـــدمير زوج تعـــيس ... وتقـــوَّت بـــالحَيف والعِصـــيان

ثـــم أرســـتْ دعـــائمَ الـــبُغض عمـــداً ... بعـــدما شـــادتْ أســـوأ الأضـــغان

واســـتعانتْ بأهلهـــا فـــي التحـــدي ... ثـــم جالـــتْ بالســـيفِ فـــي الميـــدان

مَـــن رآهـــا فـــي كرّهـــا لـــم يُصـــدّق ... فلهـــا طعـــنُ الفـــارس الطعـــان

أشـــهرتْ فـــي اللقـــاء ســـيفَ عَـــدو ... والعـــداءُ أضـــحى مِـــن العرفـــان

حاربـــتْ هـــذا الـــزوجَ حربـــاً ضروســـاً ... واســـتعانتْ بالوُلـــدِ والنســـوان

واســـــــتطابتْ إذلالـــــــه دون ذنـــــب ... واستســـــــاغتْ تعنيفـــــه بتفـــــان

كـــــم تمنّـــــت إخضـــــاعَه لهواهـــــا! ... حسِـــــبتْه عَبـــــداً مِـــــن العُبـــــدان

فـــــارعَوَى دهـــــراً للـــــذي كـــــان منهـــــا ... كالـــــذي فـــــي الأنثـــــى مِـــــن النقصـــــان

قـــــال: علّـــــي أحظـــــى بحـــــب يُـــــدواي ... مـــــا أصـــــاب الـــــودادَ مِـــــن يَرَقـــــان

علّنـــــي أرضِـــــي زوجتـــــي باحتمـــــالي ... وأبـــــاهي بالأمنيـــــات الحَـــــواني

وأزفّ الأشـــــــعارَ بـــــين يـــــديها ... تُفـــــرحُ القلـــــب ، غضـــــة الأوزان

ثـــم أهـــدي الأشـــعارَ مَـــن لا تُســـاوي ... بيـــت شِـــعر قـــد ضَـــمّه دِيـــواني

هـــو عنـــدي أغلـــى مـــن المـــال قطعـــاً ... وأجَـــلّ شَـــأناً مِـــن العقبـــان

فـــاق حســـناً قلائـــدَ المـــاس ضـــاءتْ ... فـــي الـــدياجي أعنـــاقَ أحلـــى الغـــوانى

دونـــه عنـــدي كـــلُ كنـــز ثمـــين ... حـــازه أهـــلُ المُلـــك والصَـــوْلجان

إن شـــعري روحـــي ونفســـي وجـــاهي ... وانطلاقـــي وعزتـــي وصِـــياني

وأرى أبيـــات القـــريض ديـــاري ... والقصـــيدَ فـــي الحُســـن كـــالإيوان

كـــل بيـــتٍ دمـــعٌ وجـــرحٌ وفحـــوى ... وشـــعورٌ يَصـــبو إلـــى الســـلوان

كـــل بيـــتٍ شَـــذىً يفـــوحُ عبيـــراً ... مِـــن عَتيـــق النســـرين والريحـــان

كـــل بيـــتٍ ثغـــرٌ يُرَجِّـــع لحنـــاً ... فـــي حيـــاتي مـــن أعـــذب الألحـــان

كـــل بيـــتٍ دنيـــا تهـــادى صـــباها ... فاســـتحالت رُبـــاً عليهـــا المَغـــاني

كـــل بيـــتٍ أهـــلٌ وقـــومٌ ونـــاسٌ ... إنْ بُلينـــا بقســـوة الخـــلان

كـــل بيـــتٍ جُـــودٌ وبَـــذلٌ وعَطـــفٌ ... إنْ أصِـــبنا بـــالمنع والحرمـــان

كـــل بيـــتٍ سَـــيفٌ يـــدافع عنـــي ... كـــي أعـــيشَ فـــي رفعـــةٍ وأمـــان

كـــل بيـــتٍ طيـــفٌ يـــروحُ ويَغـــدو ... حـــاملاً ذكـــرى مِـــن قـــديم الزمـــان

كـــل بيـــتٍ إرهاصـــة للمَعـــالي ... وانتصـــارٌ للسِـــلم والإيمـــان

كـــل بيـــتٍ مِـــن لؤلـــؤ عســـجدي ... لفظـــه ، والتصـــويرُ مِـــن مَرجـــان

فالمِـــدادُ مِـــن دمعتـــي قبـــل حِبـــري ... واليـــــراعُ جَـــــلاه دُون تـــــوان

وأراهـــــا لا تســـــتحقّ صـــــداهُ ... كيـــف تبكـــي هـــذي علـــى أحزانـــي؟

زوجـــة باعـــت حبنـــا اليـــومَ بخســـاً ... أتُراهـــا ترثـــي لســـوءٍ دهـــاني؟

زوجـــة بَلهـــا ، فرَّطـــتْ فـــي حقـــوقي ... وحقـــــوقِ الأهلـــــين والوُلـــــدان

زوجـــــة خانـــــت أســـــرة وحلـــــيلاً ... ثـــم أزجـــتْ للشـــامتين التهـــاني

واستعاضـــتْ عـــن زوجهـــا بالأعـــادي ... غـــــدرُها لا يحتـــــاجُ للبرهـــــان

حســـبنا الله فـــي المصـــاب ، ويكفـــي ... رَب فـــامننْ بالصـــفح والغفـــران

كـــن نصـــيرَ المظلـــوم ، والطـــفْ ويَسِّـــرْ ... ثـــم حَقـــقْ لنـــا عظـــيم الأمـــاني

يـــا ولـــيَ الألـــى إليـــك اســـتجابوا ... جُـــدْ علينـــا بـــالعفو والرضـــوان

مـــا اســـتطالَ الأنـــذالُ إلا بـــذنبي ... سُـــنة هـــذي فـــي الهُـــدى الربـــاني

تُبـــتُ يـــا ربـــي مـــن ذنـــوب دهتنـــي ... واعترفـــتُ بالـــذنب والكفـــران

والمليـــكُ بـــالعفو والصـــفح أولـــى ... مَـــن لنـــا فـــي البلـــوى ســـوى المنـــان؟

قـــد رَفعـــتُ لله مُـــرَّ اشـــتكائي ... مُوقنـــاً بالنصـــر المُبـــين الـــداني

والإلـــهُ الـــرحمنُ أدرى بحـــالي ... مَـــن علـــيمٌ بالحـــال كـــالرحمن؟

من فات قديمَه تاه!

(إنه مثلٌ رائعٌ جداً! يَصْدُقُ في كثير من الناس ، كانوا يعيشون عيشة الحاجة والعوز ، ولا يُدركون الكفافَ بين الناس. ثم مَنّ الله تعالى عليهم ، فوسّعَ عليهم وأعطاهم من فضله وإحسانه ، فإذا بهم يَنسَون ماضيَهم! ويتنكرون لأصدقاء الماضي وذكرياتِه تماماً! تقول الأديبة سمر عدنان عن ذكريات الماضي واصفة حال إحدى العاشقات الصادقات – ولنا من كلامها العبرة والعظة بقطع النظر عن العشق والعاشقة والعاشق -: (أحياناً تراودنا في الحياة ذكريات رائعة ومؤلمة في نفس الوقت ، وأحياناً نبكي من شدة ألمها أو من فرحها. يا لها مِن ذكريات. ذكريات تأخذنا إلى عالم بعيدٍ تشمله الألغاز. الألغاز التي لا نعرف إلى أين تأخذنا. هل تأخذنا إلى الذكريات المؤلمة؟ أم إلى الذكريات الجميلة والتي تبقى في الذاكرة؟ إنها لا تُنسى ، حتى الذكريات المؤلمة لا تنسى ، لأنها تكون ذكرى حزينة ، تعلق في الأذهان! فعندما نحاول نسيان الماضي يأتي أحدٌ ما ويذكرنا بها. فنقوم بالبكاء. فتقول إحداهن مثلاً: ذكرياتي معك يا فلان مؤلمة! فأنت لم تحافظ عليّ ، ولم تعتن بأشيائي الصغيرة التي أحبها ، ولم تهبني ما أتمنى ، وطريقنا المعهود بات يحمل أسوأ ذكرياتي معك ، ذكريات مميتة وقاسية! ذكريات ليس فيها إحساس أو شيء يُفرح! بل كل ما فيها يؤلم ويوجع ويقتل! سأدوّن ذكرياتي المؤلمة معك في كتب ومجلدات وسأرسلها لك. يؤلمني أن أتذكر ياسمينتي التي أهديتني إياها ، وحين طلبت منك أن تعتني بها لأيام قليلة حتى أعود من سفري ، ولكني عدت ولم أجدها ، وبحثت عنها فوجدت بقاياها منثورة على الطريق ، وقد لفظت أخر أنفاسها ياسمينتي الغاليه ماتت بسببك. كل شيء يذكرني فيها. أطيافها. خيالها. وحتى أرجاء المكان يعم بصوتها. كل ما تبقى منها هو ذكراها. كل شيء اختفى إلا حبها. إلا هواها. كل شيء اختفى. إلا بقاياها. بقايا ألم وجراح فراقها عنا. كم نشتاق للقياها. كم نشتاق لحنانها. لعطفها. لبياض قلبها. كل شيء يتجمد في الشتاء إلا العطر والحَنِين والذكريات وبعض الأمنيات. الذكريات قد تثير فينا الشجن ، قد تثير فينا الحزن ، قد تعود بنا إلى الماضي الذي نرفض نسيانه ، أو الذي نريد نسيانه ، ولكن إلا يكفي تذكرنا لها أنها ما زالت باقية فينا ، وأن أصحابها ما زالوا معنا في قلوبنا وأرواحنا. يؤلمني أن أتذكر دفتر خواطري الذي أهديتك إياه يا فلان لتحفظ ما فيه بين قلبك وروحك ، وحين سألتك عنه قلت لي: ضاع! كيف يضيع يا سيدي وبه كل عمري وسنوات حبي لك وأروع ذكرياتي معك قد سطرتها فيه؟ وبسببك ضاع عمري. في خارطة الحياة سقطت في مدينة العشق. وسكنت مدينة الانتظار وعبرت بحور الحنين. لأصل لهاوية النسيان وما زلت تائه في طرق الذكريات. ذكرياتنا متقلبة. تارةً تُضحكنا وتارةً أخرى تُبكينا. ربي أمطر عليها نسياناً يواسينا. في منتصف اللَيل مِن كُل يَوم يصبَح سقُف غُرفَتِي المَيدان المُناسِب لتَلاطُم الذِكرَيات. رضيت بالغياب ، ولكن الذكرى لمْ ترضَ بالرحيل. وقفت أمام ذلك الطريق وذلك الدرب الذي شهد تاريخ حبنا وذكرياتنا فلم أجد إلا أطلالاً زائلة ومتهالكة ، وبقايا عمر رحلت نحو المجهول ، وذكريات بالية لن تعود وأحلام ضائعة بين الأيام والشهور. ذكريات الأمس مؤلمة بعد حب اندفن بين سراب الخيانة ، ورحل إلى عالم آخر وذكريات تعتصر القلب ويلتهب من جمرها العمر. كم من الصعب أن تكون ذكرى مفرحة لك. كل شيء فيها مفرح عندما تتذكرها تحس بأنك تعيشها من جديد. بكل فرحها ومرها ، ومن ثم تكتشف أن تلك الذكريات كانت مجرد أكاذيب. فعدت إلى حجرتي المظلمة الباردة اقتربت من سرير فاتكئت على وسادتي لعلي أستعيد بعضاً من عافيتي فداهمتني ذكرياتي ، وأرهقتني وألمتني بشدةٍ حتى أبكتني ، ومزقت قلبي فمزقت دفتر ذكرياتي! وتناثرت أوراقه بكل مكان في

غرفتي ، فإذ بي أسمع صوتاً خافتاً ، صوتاً يئن حزيناً صادراً من أوراقي ، خاطبتني متألمة: ما فعلت بي؟ أجبتها: أنت من فعل بي ، أنت من أرهقتني وأتعبتني! أنت من آلمتني ومزقت قلبي. ذكريات محطمة تقف على حدود الماضي لتمنعنا حتى من استرجاع الفرحة التي كانت فيه ، لكي لا نذكر منه إلا حزنه وأحسه ذكرياتٍ تحطمت بعد أن كانت لنا هي كل شيء! كنا نطمح أن تكون هي الحاضر وهي المستقبل ، كنا نطمح أن تبقى مستمرة معنا ، تساعدنا على إكمال رحلتنا ، وتمدنا بالأمل ، وتمنحنا الثقة بأنفسنا وبمن حولنا! ذكريات كانت أشبه بضوء الشمس الذي يجلي ظلمة الليل! كانت هي أجمل أيام عمر عشناها بفرحةٍ ، حتى ولو مضتْ فيها أيامٌ حزينة! لكن طعم الفرح فيها غلب كل شيء لكنه لم يستطع أن يغلب مرارة هذه الأيام! طعم الفرح الذي ذقناه لم يُنسنا شيئاً من طعم الحزن الذي نذوقه بل هذا الفرح! كان هو أساس هذا الحزن لربما لو لم يكن موجوداً في حياتنا ، لما حزنا كل هذا الحزن ، فإن يكن فرح ماضيك هو نفسه حزن حاضرك ومستقبلك ، فلتستق منه العبرات والعظات. وعندما تصبح ذكرياتك محطمة تحتاج إلى إعادة ترميم رغم أنها ستهدم مرة أخرى حينها ستدرك أن الفرح هو أساس الحزن ، وأن كل شيء سعيدٍ لا بد من أن يكون له شيءٌ يَقلب تلك السعادة إلى حزن! فلكل شيء في حياتنا سنته التي قضاها الله تعالى! حتى الحب بل أصبحت أدرك أن الحب بات مُحملاً بالأحزان! أصبح ذكريات محطمة. حتى ذكرياته الفرحة تبكينا تبكينا لأنها رحلت. أو لأنها كانت بالأحرى مجرد أوهام أو أنه كان خداعاً. فأصبحنا حتى نكره أن نتذكرها ، لكن أموراً كثيرة تذكرنا بها. حتى أبسط الأشياء لا تغيب عن بالنا ، ونود لو أنها شيء ملموس نحرقه ونرمي رماده! لكن للأسف ليس كل ما يتمناه المرء يدركه فالذكريات لا يمكن أن تُنسى أو يَمحوها العمر حتى ولو أحرقت قلوبنا. يبقى لها أثر يسكن الألم بالقلوب! نحاول أن نحرقها بذكريات أجمل منها. نبنيها من جديد ، لكن عبثاً فرمادها ما زال له أثر ، ولا يستطيع أحد أن يمحوه! أثر يعيد كل تلك الذكريات التي تسكن قلوبنا. وكأنها لم تحرق. كأنها الآن كانت. حطمت تلك الذكريات. لكن بات هدم أثرها مستحيل ، وإعمارها أيضاً يعتبر مستحيلاً. حتى نسيانها أو تجاهلها أصبح من المستحيلات).هـ. والحقيقة أن محاولة التنكر الكامل للماضي عسيرة جداً على أصحاب الأحاسيس والعواطف والمشاعر! أما غلاظ المشاعر ومتجمدو الأحاسيس وفاقدو العواطف فيتنكرون لماضيهم بسهولةٍ ويُسر! وعندما يحمل الماضي ذكريات وإنجازات وتاريخاً فينبغي ألا يُنسى لا بسهولة ولا بصعوبة! بل تُستلهمُ الدروسُ والعِبر للحاضر وللمستقبل! وحول هذا المفهوم يقول الأستاذ خليل الفزيع تحت عنوان: (الحاضر والماضي.. عرى لا تنفصم) ما نصه بتصرف: (يعيش بعض الناس في الماضي ولا يريدون منه فكاكاً ، ولا يتخلون عنه قيد أنملة بعد أن أسرهم منجزه الفكري والثقافي ، ومع أنه ماض انتهى بخيره وشره ، لكن التشبث به يزداد يوماً بعد يوم لدى أولئك الذين يسدون آذانهم ويغلقون أفواههم عند الحديث عن الحاضر بما حققه من مكتسبات هي بالنتيجة مستمدة من عدة مصادر أحدها ذلك الماضي القريب والبعيد ، ومقابل هؤلاء هناك بعض الناس الذين ينسون ذلك الماضي ويتحاشون الحديث عن منجزه الحضاري ، ويرفضون الانتماء لتاريخ أمتهم القديم ، ويتردد على ألسنتهم ما حمله الماضي من أخطاء دون الالتفات إلى ما حمله ذلك الماضي من منجزات إنسانية وفي مجالات عديدة ، وما استطاع أعلام ذلك الماضي تحقيقه من منجزات كبيرة لا تزال آثارها واضحة على الأجيال التالية! الماضي بكل ملامحه والحاضر بكل معطياته لا يمكن النظر إليهما إلا في سياق تاريخي واحد تعددت حلقاته لكنها لم تنفصم ، وكثرت منجزاته وإن اختلف مستواها ، والتاريخ

نفسه ليس سوى سلسلة من الأحداث ذات الارتباط المباشر الذي تمتد حلقاته متماسكة منذ خلق الله الأرض ومن عليها وإلى أبد الآبدين ، ولأن التاريخ متصل وليس منفصلاً ، فإن الانصراف الكلي للماضي وتجاهل الحاضر بكل ما فيه من منجزات حضارية علمية وأدبية مذهلة إنما هو تغريد خارج الزمن ، ومحاولة مستحيلة النجاح لحفر فجوة بين الحاضر والماضي ، وكذلك هو الانصراف الكلي للحاضر وتجاهل الماضي ، إنما هو ضرب من تجاهل الهوية والتنكر للموروثات الثقافية التي انتقلت وتراكمت عبر الأجيال ، وفي الحالتين فإن كل واحد من هذين الموقفين إنما هو أسوأ من الآخر ، لأن الإنسان الذي يرث مكوناته الجينية من أجداده عبر والديه ، يرث منهم ايضا الثقافة والسلوك وبذلك تتماسك دورة الحياة ويشتد عودها مع مرور الزمن. وحياة الحاضر هي خلاصة تجارب الماضي وإنجازاته ، وهذا ما تؤكده حتمية التطور للإنسان والحياة ، فما بين الماضي والحاضر عُرَى لا تنفصم عبر مراحل التاريخ المختلفة. في الماضي من المنجزات ما يبعث على الإعجاب ، وإليه يكون الانتماء ، وبه يكون الاعتزاز ، ومنه تستمد العبر وتستقى المُثل العليا ، والإنسان لا يعيش في ماض يأسره ، ولا في حاضر يُلهيه ، ولكنه يعيش على تلك الخلطة الناجعة من الوفاق مع النفس والوفاق مع الآخر ، بما في ذلك من مكونات أهمها الماضي والحاضر ، مع الانفتاح على مكونات أخرى تتحقق من خلال ممارسة الإنسان لحريته في اختيار ما يراه مناسبا لظروفه ، ومستجيباً لمتطلبات حياته ، ومنسجماً مع إمكانياته المتاحة! والعيش في الماضي لا يقتصر على أمة دون غيرها أو شعب دون سواه بل هو ظاهرة تعلن عن نفسها حتى في الدول المتقدمة ، وفي بعض الولايات الأمريكية توجد بعض القبائل الوافدة وليست من السكان الأصليين لا تزال تعيش على مخلفات الماضي ، وترفض التعاطي مع منجزات الحاضر ، مكتفية بالعيش البدائي الذي يعتمد على جهد الإنسان نفسه ، دون الاستعانة بمنجزات العصر ، انطلاقاً من معتقدات غريبة على الحياة الحديثة ، ومثل ذلك يوجد لدى بعض القبائل الأصلية في استراليا وأفريقيا ، وغابات الأمازون ، وهي تصر على اختيار هذه العزلة الحياتية رغم الإمكانيات المتاحة للاستفادة من منجزات العصر! إذا كان في الماضي ما لا ينسى أو لا يمكن الاستغناء عنه ، فإن في الحاضر المعيش ما هو أكثر التصاقاً بحياة الإنسان. واستجابة لطموحه ، والمعادلة الصحيحة للحياة هي أن تؤخذ من الماضي إيجابياته ، لتضاف إلى إيجابيات الحاضر ، وبهما معا يمكن رسم خريطة الطريق للمستقبل ، ووضع الأسس القوية لبنائه ، حتى يكون هذا المستقبل أكثر إشراقاً وتقدماً وازدهارا للبشر في كل مكان).هـ. وأما المثل المصري الجميل: (من فات قديمه تاه!) والذي استقيتُ منه عنوان هذه القصيدة فله قصة طريفه لا بأس من إيرادها هنا لتتم بها العِبرة والعِظة! يرجع أصل المثل ، يوم قرر أحد الفلاحين ـ من قديم الزمان ـ أن يبيع بقرته ، التي كان يعتمد عليها في حرث الأرض ، وسقيها ، وذلك ليشتري مكانها آلة تسقي الزرع بطريقة أسرع وأسهل من بقرته هذه! ونظراً لعدم قدرته المالية على شراء تلك الآلة ، اضطر إلى بيع البقرة لأحد جيرانه ، لكنه في نفس الوقت كان حزيناً عليها حزناً شديداً ، لأنها كان يحبها ويُعجبه لينُ طبعها! وتم له ذلك ، وانتظمتْ الآلة شهوراً! وفي يوم من الأيام ، تعطلت الآلة الجديدة ، ولم يكن لديه المال الكافي لتصليحها ، وتمني في هذه اللحظة أن تكون معه بقرته القديمة ، لكنه لم يكن معه المال من أجل استرجاعها! فاضطرت زوجته لبيع ذهبها ، وبالفعل تمكن الفلاح من استرجاع بقرته ، وفرح بعودتها ، وفي تلك اللحظة قالت له زوجته المقولة المشهورة: "من فات قديمه تاه" ، واستمر هذا المثل يُتداول بيننا حتى يومنا هذا ، وقد لا

نعرف قصته! إن قوماً اليوم يصنعون ما صنع الفلاح الطيب! لكن الفرق بينهم وبين الفلاح أن الفلاح فعل هذا ببقرته بحسن نية! لكن القوم يصنعون ما صنعه بسوء نية وقصد والعياذ بالله!)

لـــنْ يَطـــويَ الماضـــيَ التعـــيسَ نســـيانُ ... ولـيس (قـد أصـبحوا) تمحـو (لقـد كـانوا)

ماضـــي الحيـــاة الـــذي وَدّعـــتُمُ شـــبَحٌ ... ولـــيس يَصـــرفهُ يـــا قـــوم نُكـــران

مـــازال يَظهـــرُ فـــي ضُـــحىً ، وفـــي غلـــس ... يُخِيـــفُ كـــل الألـــى فـــي حَقهـــم لانـــوا

مـــازال يَـــدأبُ فـــي فضـــح الألـــى انحرفـــوا ... وإنَّ عُقبـــى انحـــراف القـــوم خُســـران

مـــازال يَفضـــحُكم فـــي كـــل مُصـــطدَم ... ومِثـــلَ سِـــر غـــدا لديـــه إعـــلان

مـــازال يّظهـــرُ مـــا أخفـــى دَهاقنـــة ... وكـــل ذِكـــرى لهـــا طيـــفٌ وحُســـبان

إنـــي أراهُ بـــلا رفـــق يُطـــاردُكم ... مـــدى الزمـــان لـــه بـــأسٌ وعُـــدوان

هـــم لا يُطيقـــون مَـــن دومـــاً يُـــذكّرُهم ... بمـــا مضـــى إنمـــا التـــذكيرُ بُهتـــان

عمـــداً تناســـوا (سَـــواليفاً) تُقمّـــئُهم ... ومـــا تســـاوى تناســـيهم ونســـيان

وكـــل مـــاض يُسَـــلي كـــل ذِي شـــرفٍ ... مـــادام خالطـــهُ سِـــلمٌ وإيمـــان

وكـــم يَتـــوهُ الـــذي يَغتـــالُ ماضـــيَهُ ... فـــلا يكـــونُ لـــهُ للمجـــد عنـــوان!

وحولـــهُ النـــاسُ عـــن ماضـــيه مـــا غفلـــوا ... إنْ خـــانَ عهـــداً مضـــى فـــالقومُ مـــا خـــانوا

مهمـــا تجمّـــلَ بالأوهـــام يَخـــدعُهم ... فـــإن ماضـــيَهُ التليـــدَ بُرهـــان

هـــم كاشِـــفوهُ بـــلا شَـــكٍ ولا رِيَـــب ... وإنْ يكـــنْ فـــرّقَ الجميـــعَ بُنيـــان

فـــاخرْ بماضـــيك يُعليـــك الفخـــارُ بـــهِ ... مَـــن فـــات ماضـــيَهُ فمـــا لـــه شـــان!

شَبعة من بعد جُوعة! (إلى كل أسرة وضيعة)

(كانت أسرة بسيطة تعيشُ على الكَفاف ، ويؤلفُ بين أفرادها الفقرُ والعوَز والحاجة! وتعيش رغم ضيق العيش وشظف الحياة في سعادة غامرة يغبطها عليها كل من حولها من الأسر! فلا أحقاد ولا ضغائن بين الأفراد ، وإنما حبٌ وتعاونٌ وألفة ومودة. وكانت هذه الأسرة ملتقى الأحباب من سائر الأطراف الأخرى من الأخوال والأعمام وعوائلهم ، سواء في الأيام المعتادة أو المناسبات والمواسم. لقد جُمعت هذه الأسرة على حب القرآن الكريم وبرامج الإذاعة الهادفة المفيدة سواءً الثقافية أو الإخبارية! ثم تغير الحال ، وبدأت الأسرة تنزلق شيئاً فشيئاً نحو الهاوية ، وذلك عندما ابتلاها عائلها المفرط الجاهل بالتلفاز في سبعينات القرن المنصرم! وراحت تأخذ أولى خطواتها نحو الضياع! وسنة وراء سنة زهدتْ في القرآن والبرامج الإذاعية الهادفة ، وراحتْ تدلفُ نحو الهاوية! ولم يعد يسيراً طريق العودة ولا سبيل الرجوع ، وذلك لاتساع الهوة السحيقة بين هذه الأسرة المنكوبة وبين القيم! واستمر الحال على هذا التردي وذلك السقوط وذلكم الضياع! وانغمس الأفراد في جُب الجاهلية ، وأيقظ الله تعالى عبداً من عباده من أفراد هذه الأسرة المتردية الضائعة. وبدلاً من الالتفاف حوله واتباع الحق والمعروف ، راحت الأسرة تحاربه وتناوئه. فصاح بهم كأنه منذر جيش: يا قوم اتبعوا المرسلين! فأبوا إلا الجاهلية. واستمر الحال من العداء والكيد ، وعاشت الأسرة في جاهليتها ، وتفيأ ابنها البار ظلال الإسلام الوارفة. فصبر على ما كُذب وأوذي. وزهد فيه الجميع وحجموا علاقتهم به وقزموها وقصروها على التحية العامة! ولم يكفهم هذا ، بل استمروا في الإيذاء والسخرية والتنقص والاستهزاء! بينما هو لم يكُف عن النصح والبيان والبلاغ ، وإن لم يستجيبوا! واستغل أشقى الوضعاء هذه الأحوال وتلك الظروف ، فشيطن أخاه عند أبويه وأخذ حظوته عندهما ، فزوّجاه وتنكرا لابنهما الثاني! وكان ينبغي الإصلاح لا الشيطنة! ولكنها الفرصة سنحت لجاهل مجهال حاقدٍ كاره! حتى منّ الله تعالى عليه بالخلاص من هذه الأسرة الجاهلية الوضيعة المنحطة! وانفصل الرجل قلباً وقالباً ، وتزوّج. واستمر على علاقته من النصح والوعظ بالحسنى والبر والإحسان. ثم منّ الله تعالى عليه بالسفر والعمل خارج بلاده ، ولم يضن على إخوته ولا على أبويه ، بل أحسن إلى الجميع! وأخذ على عاتقه كسر فقر هذه العائلة الفقيرة البائسة! فضمّ إليه في غربته إخوته ، وكان سبباً في سعادتهم وعزهم وغناهم ، حيث انتفعوا بخيره الدنيوي من العمل والمال والثراء ، وزهدوا في خيره الأخروي من اتباع سبيل المؤمنين والتزام الشرع الحنيف! وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، بل راحوا يناصبونه العداء المتنوع الممنهج وكأنه عدو لهم! فأحدهم سرق أرضه بالحِيلة حيث دلس في عقد الشراء ، والثاني سرق متاعه وكتبه ولم يُبق شيئاً! ولم يكتفيا بهذا السطو الإجرامي الفج ، بل سعيا في خراب بيت أخيهم في غربته ، وذلك بالدس والوقيعة عند الظالمين ، ولم يقر لهما قرار إلا بعدما أصبح أخوهما في غربته في الشارع بولديه وزوجه يأكلون من نوال المحسنين! وشوّها سُمعة الرجل وشيطناه مع سبق الإصرار والترصد. ولستُ أدري ماذا أبقيا للأعداء الصرحاء؟ فكان الرجل سبباً كما أسلفنا في سعادتهما وسعادة أسرتهما المنكوبة ، بينما كانا والأسرة سبباً مباشراً في شقائه وتعاسته! وإذ يقول هذا الكلام ويحكي هذه الفاجعة فهو لا يحقد عليهم ، لأنه يرى نفسه بالدين والقيم الأعلى والأفضل! إنما يحكي لتكون عبرة للسامعين من جهة ، ورجاء أن يتوب هؤلاء الأوباش عن ظلمهم وتغييرهم الحقائق من جهة أخرى! إن الله تعالى قد خصهم بالمال والثراء والدنيا ، وهذه الأشياء يعطيها الله لمن يحب ولمن لا يحب!

بينما خصه سبحانه بالدين والخلق والآخرة! وهذه الأشياء لا يعطيها الله تعالى إلا من يحب! وزاد حباتِ الطين بلة أن أختيه الشقيقتين لم تكونا أقل في الكيد والطعن من أخويهما الشقيقين الشقيين! والمعروف أن الأنثى بطبيعتها رحيمة وعطوفة إلا أن هاتين الشقيقتين كانت كل واحدة منهما أقوى من شقيقها الرجل في القسوة والغِلظة والجفوة! والعجيب أن الكل قد أغناه الله تعالى من فضله بالمال والعقار والعز ، فلم تعد حاجة إلى الناس. وتطاولوا في الدور ، وتنافسوا في الثراء ، وتسابقوا في الغِنى ، وصاروا قوارين يُقيمون الناسَ بالمال والعقار! وبدلاً من أن يشكروا نعمة الله تعالى عليهم فيحمدوا الله على ما أعطاهم وملكهم ، ويشكروا لأخيهم بذله وسخاءه وفتْح بيته لهم ، راحوا يصنعون العكس. وإذا كان قارون قد شكر لله يكون هؤلاء قد شكروا! لقد جعلوا التدابر والقطيعة والخذلان والمعايرة والتشمت بديلاً للود والألفة! وعجب العجاب في هؤلاء الوضيعين الأخسة الأباعد أنهم سقوا أبناءهم وبناتهم عداوة وبغض هذا العم المظلوم. وقد يُعذر الأبناء والبنات صغاراً ، ولكن كيف يُعذرون بعد التكليف؟ ينبغي عليهم التثبت والتحقق والسؤال بغية الوصول للحقيقة! لكن شيئاً من ذلك لم يوجد! ولسان حالهم: (إنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يُهرعون)! ولسان مقالهم: (سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين)! لقد ذهب الغنى بكل ألوان الألفة والمودة والمعايشة بالمعروف والمعاملة بالحسنى! وباتوا ينسون أو يتناسون ما كانوا فيه أيام فقرهم وعوزهم وحاجتهم من الحب والتعاطف والتواد قبل الانفتاح على الجاهلية والمال! وحققوا الوصف القائل: (فلان شبعة من بعد جوعة)! وأعادوا لنا النصيحة الذهبية: (اطلب الخير من بطون شبعت ثم جاعت ، فإن الشبع باق فيها! ولا تطلب الخير من بطون جاعت ثم شبعت فإن الجوع باق فيها!) وثافية الأثافي أنهم جميعاً قد قاطعوا أخاهم مقاطعة رهيبة ، وكأن الرجل طاعون الشام! والله الذي بعث محمداً بالحق لو قاطعهم الرجل لجاهليتهم وسخريتهم من الدين واستهزائهم به وتنصلهم من تكاليفه لا سيما التوحيد والعقيدة ، لكان مُحِقاً! أيُقاطعونه لتدينه ويصلهم وهم على جاهليتهم؟! من أولى بالمقاطعة يا وضعاء يا جهلة؟ إن النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: (أوثق عُرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله)! ألا ليت أيام فقركم تعود فلربما يعود معها انكساركم ، ويكون سبباً في دوام المودة والألفة! فلقد أطغاكم الغنى وأذهب عنكم تلك المعاني السامية الجميلة! وللأسف قصتكم الدنيئة مكرورة في عوائل كثيرة! ولا شك أن للمال تأثيراً كبيراً على عبدته من أصحاب النفوس المريضة والقلوب المهيضة! وتحت عنوان: (أهم دليلين على أن "الفلوس" تُغير النفوس) تقول الأستاذة الأديبة ياسمين الناطور ما نصه: (من منا لا يتمنى أن يحصل على الكثير من الأموال؟ إنه بمجرد الحديث عنها يبدأ عقلك في رسم مستقبل جميل ، مثل التخطيط لإنشاء مشاريع تجارية ، ومساعدة الآخرين ، وبناء دور عبادة وغيرها من الآمال التي لا تنتهي ، لكن هل سنفعل كل هذا حقاً؟ هل سنحقق ما تأملنا به؟ أو هل يا ترى ستغيرنا الفلوس ونصبح أشخاصاً آخرين؟ ودائماً ما نسمع أن فلاناً بعد ما أصبح غنياً تغيّر ، أو لم نعد نراه ثانية ، أو حاولنا الاتصال به لكنه لم يجب علينا ، ويتبعها مقولة: "الفلوس تغير النفوس". لكنْ هناك رأيان لهذه المقولة: <u>الرأي الأول</u>: الفلوس تُظهر النفوس ، قد يتغير أحدهم علينا لأنه لم يعد يرى نفسه بمستوى المحيطين به فيبدأ بالتغيّر في حياته ، حتى يمكن أن يتخلى عن أصدقائه وأقاربه أحياناً ، ومن الممكن أيضاً أن يصل معه الأمر أن يغير عنوان بيته ، فتظهر النفسية التي كانت داخله. طبيعته كانت فقط تحتاج إلى المال كي تظهر على حقيقتها. <u>والرأي الثاني</u>: إذا اشتريت ورقة يانصيب وربحتها ، يخيرونك قبل

الإعلان عنها عما إذا كنت تريد الإفصاح عن نفسك بأنك ربحتها أم لا ، ذلك لعدة أسباب منها لحمايتك من السرقة ، ثانياً ستتفاجأ بأصدقاء دخلوا إلى حياتك بعد انقطاع دام أعواماً ، وسيأتي أحدهم لعرض مشروع كبير عليك ويحتاج إلى دعم مادي لأنه لا يملك المال ، كما سيحبك أشخاص كانوا يتجاهلونك دائماً ، وسوف ينظرون إليك بأعينهم كمصنع للنقود! وعبارة "اذا كان لي معزة عندك" أعطني دَيناً ، وغيره من الطلبات التي لن يرحمك بها أحد ، فتضطر أحياناً إلى أن تحافظ على رزقك وملكك والابتعاد. وربما حكمنا المسبق على الأشخاص يكون مبنياً على نيّتنا ، ومن قال إن من يملك نقوداً هو بالتالي سعي بحياته ، ربما أكلته هموم أخرى ففي النهاية: الفلوس لن تجعلك تشتري الصحة إذا كنت مريضاً ، ولن تجعلك تشتري أشخاصاً أو تسترجع أشخاصاً فارقوا الحياة أليس كذلك؟ ليس لديك عند هؤلاء الأغنياء أي شيء إلا إذا كانوا من سارقي أموالك وممتلكاتك ، هذا بالتأكيد شيء لا يمكن السكوت عنه).هـ. ومن هنا فليكن معلوماً أن المال الذي في يدك هو وسيلة إلى الحرية ، وأما المال الذي تسعى إليه فهو طريق العبودية. وأغلى شيء في حياتك ، هو ذلك الذي لا تستطيع شراءه بالمال. وعندما كنتُ صغيراً ، كنتُ أعتقد أن المال هو أهم شيء في الحياة ، وأما الآن و قد كبرت ، فإنني أعلم يقيناً أنه ليس الأهم! لأن الأهم هو الدين والأخلاق والقيم. وأهل الراحة يقولون: لكي تصبح غنياً ، عليك أن تكسب المال وأنت نائم. ويقول العقلاء: إن وضعت المال فوق رأسك خفضك ، وإن وضعته تحت قدميك رفعك. والحقيقة التي يريدها الجميع هي أن يركبوا معك في سيارتك الفخمة ، ولكن ما تريد العثور عليه حقاً هو الشخص الذي يركب معك الحافلة عندما تكون سيارتك معطلة! فهل أدرك ذلك المنتفعون الأخسة الذين يشبهون الطفيليات عندما يحيطون بك غنياً وينفضون عنك فقيراً؟ ألا إن الذين قالوا بأن المال لا يصنع السعادة ، لا بد أنهم لم يكونوا يقصدون أموال الآخرين. والأمر كما أسلفتُ وأكرر: لا يعتبر المال أهم شيء في الحياة ، بل هو العنصر الذي يزيد الحياة بهاءً ورونقاً فقط ، ولحسن الحظ لا يحب المال ويتوله به على حساب الدين والقيم إلا عبيد المال. ولم يجلب المال وحده السعادة لأي رجل ، لن يجلب مستقبلاً سعيداً هانئاً ، فكلما زاد مقداره كلما رغب عبيده بكسب المزيد. فإياك وغشاوة المادة ، فإنها تطمس البصيرة. وليتني كنتُ أستطيع أن أجمع قدراً من المال ، يكفي لعلاج الأمراض التي كادت تصيبني وأنا أنظر إلى عبيد المال وأزدري شرههم وجشعهم وطمعهم. إن المال يا قومنا ضيف يقابل بالترحاب في كل زمان ومكان ، ولكنه ضيف يوشك أن يورث عبيده الهم والغم والذل إن هو فاتهم. والحقيقة المرة هي أن كثيراً من الناس يصرفون نقودهم على أشياء لا يحبونها ، وإنما فعلوا ذلك فقط لإدهاش أناس يكرهونهم. وأثر المال على النساء في زماننا أشد منه على الرجال! وإلا يكن ذلك كذلك لما وجدنا الأعراض المبتذلة الرخيصة يمنة ويسرة! وعموماً المرأةُ التي تبيعُ جسدَها حباً في المال لا تلبث أن تفقدَ المالَ في حب الجسد. ولا تقفُ أطماعُ المرأة التي تعبد المال عند حدّ ولا تقنعُ أبداً ، فلوْ كانت تملكُ خزائنَ الأرضِ كلها لطمعت في خزائن السماء ، وتلك طبيعة النساء اللائي يعبدن المال من دون الله. والقائل بأن المال لا يمكنه شراء السعادة ببساطة لم يعرف إلى أين يذهب للتسوق كما يقول عنه عبيد المال! وذلك لأنهم ينظرون إلى الناس من مشربية الأموال ، ويقيّمون الناس بالأموال! والرجل الناجح في نظر هؤلاء العبيد هو الذي يكسب مالاً أكثر مما تنفقه زوجته ، والمرأة الناجحة في نظرهم هي التي تجد هذا الرجل. وقديماً قال أرسطو: أنا لا أملك أصدقاء أو أعداء ، إنهم فقط المنافسون! وربما كان أرسطو على حق لأنهم هنا يصف الصداقة والعداوة التي يكون المال سبباً رئيساً فيهما!

وأوناسيس رجل الأعمال اليوناني الشهير وأحد أثرى أثرياء العالم على رغم غناه كان يُكثر من قوله: رُب بسمةٍ في وجه السائل أو شدة على يده أحب إليه من المال الذي تضعه في كفه ، لأن المال يحيي جسده وحده ، والمال مع الابتسامة يحيي جسده وروحه. ألسنا أولى بهذا القول في وزن القيم من أوناسيس؟! والمال الحرام ينزع بركة كثير من الأبناء ، فكم من أب أعجبه قوام أبنائه وقد غذاهم الحرام ، وما علم أن هؤلاء الأبناء قد يكونون غداً غُصّة عاتية في حلْقه ، وسبب شقائه في دنياه وأخراه ، وذلك بشؤم المال الحرام! فقد روي عنه صلّى الله عليه وسلّم: (كُلُّ جسم نبت من سُحت فالنّار أولى به). هذا وتختلف الآراء حول الأموال بشكل كبير ، حتى بين الأثرياء الذين يمتلكون الكثير منها ، فالبعض يراها أصل الشر كله ، في حين يرى البعض الآخر أنها لا صلة لها بنجاحهم. ورغم ذلك يقضي معظم الأشخاص الكثير من أوقاتهم في التفكير في الثروة والأموال. وإنك لا تختبر عمق النهر بكلا القدمين ، والمقصود بهذا ألا تضع جميع ما تملك في السوق أو مجال عملك عموماً في البداية ، وإنما اختبر أولاً بجزءٍ منه. وليكن معلوماً أن المليونير البخيل الشحيح هو رجل يساعد موته على حل أزمة الكثير من أقاربه. والادخار صفة نبيلة تكسب المدخر الآمن والطمانينة ، والادخار أمان عند الحاجة ، وقيمتة كبيرة للفرد والمجتمع ، وإنه ليجب على كل فرد أن يمارس الادخار ويستفيد من مزياه! ل، إهدار المال تكون عواقبه وخيمة عند الحاجة إليه. وعلى العاقل ألا يعتمد على وسيلة دخل واحدة ، بل أنصحه قائلاً: استثمر لتخلق مصدراً آخر للدخل. وينبغي النظر إلى مغبات الأمور القادمة! وينبغي كذلك التركيز على المستقبل ، ونحن يمكننا بسهولةٍ إنفاق ما نملك من أموال للحصول على أشياء نحبها ، ولكن في النهاية نجد أننا قمنا بإنفاق كل شيء معنا. والمال في حقيقته يستر رذيلة الأغنياء ، والفقر يغطي فضيلة الفقراء. ومن هنا فعليك عدم شراء أشياء ليست ضرورية لخلق انطباع بأنك شخص سخي لدى الناس وإثارة إعجاب الأخرين ، وعليك وضع الأشياء بالأبيض والأسود بمعنى استثمار أموالك في أشياء تعرف فيها أين ذهبت نقودك وليس مجرد التفكير في أين ستذهب. وإذا كنت تشتري ما لا تحتاجه ، فسيأتي عليك الوقت الذي تضطر فيه لبيع ما تحتاجه. ويعتبر العمل بجديةٍ من أكثر الأشياء التي تعمل على زيادة الدخل ، بالإضافة إلى أنه من الضروري ادخار جزء كبير من هذا الدخل حتى تضمن عدم نفاذ الأموال منك في أي وقت. والمال لن يجلب لك الأصدقاء ، لكنه سيجلب لك الكثير من الأعداء المهذبين كما يقول سبايك ميليغان. وصدق الرجل فيما قال! وذلك لأن القلوب التي هي أوعية الحب لا نشتريها بالمال! والمثل الأوروبي يقول: المال خادم جيد ، لكنه سيد سيء. والمال يفتح أبواب الرذيلة ويغلق أبواب الفضيلة ، عندما يستخدم بمعزل عن الدين والشرع والقيم. والمال يقدم الطعام القاسي لرذائل الرجال. ومن ناحيةٍ أخرى ، فإن أولئك الذين لا يعرفون كيفية جني الأموال من أجل استخدام مناسب بالكاد يستحقون اسم الرجال هذا. ومن الجشع والطمع والشراهة يأتي الحزن ، ومن الجشع يأتي الخوف. واحترام الرجال هو شيء أكثر أماناً من المال. والمال هو وسيلة للتبادل ، وإذا تمت إزالته ، فسيتعين علينا استبداله بطريقةٍ أخرى لإجراء التبادلات. إن الأكثر ثراءً من الناس اليوم هم الذين يفتقدون أكثر. والأغنياء يخافون عندما يحد المال من ذكائهم. وتحت عنوان: (تغير النفوس بالمناصب والفلوس) يقول الشيخ محمد بن صالح المنجد ما نصه: (إن النفوس الكريمة الأصيلة لا تتغير بتغير الأحوال والأزمان من جهة التقوى ، فإذا لم تزد فإنها لا تنقص ، ومن جهة التواضع فإنها تبقى عليه حافظة لوفائها وجودها لمن حولها ، ثابتة على هذه المبادئ الشرعية ، حتى وإن وصلت إلى أعلى

المناصب ، أو بلغت ما بلغت من الأموال ، وأما الزائف من النفوس فما أن يتبوأ صاحبها منصباً ، أو يصبح ذا مال وثروة ، حتى يتعالى على ويتكبر عليهم ، ويتنكر لهم! من حوله ، فينسى ما مضى ، ينسى أصدقاءه وإخوانه ، بل وأقاربه وأهله ، فالأموال تغير النفوس ، وكذلك المناصب ، والشهادات ، ودرجات الدنيا ، وبعض الناس يكون في أمر من التواضع والتواصل مع أهله وإخوانه ، وفجأة إذا حصل له تغير وظيفي ، أو ترقية ، فيتحول إلى شخص آخر مختلف ، يتعالى على من حوله ، لم يعد يستقبل معارفه إلا بطريقةٍ توحي لهم أنه متبرم منهم ، وأنه لا يريدهم! وصدق الله تعالى: {وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ} ، فإذا أنعم الله على العبد بمال ، وعافية ، وفتح ، ورزق ، ونال العبد ما يريد ، ويصبو ، ويؤمل ، فرح بالنعم ، وبطر بها ، وأعرض ونأى بجانبه عن ربه ، لا يشكره ولا يذكره ، ومثل هذا يظن أن ما حصل له من الدنيا تشريف ، ويغفل عن كونه ابتلاء من الله تعالى ، وأنه عبء ثقيل يتطلب أن يقوم بشكر نعمة ربه بما ابتلاه به ، ودخل فيه من أمور الدنيا ونعيمها ، وأنه ينبغي عليه أن يشكر هذه النعمة بالقيام بحقوق العباد بعد حقوق الخالق ، ولو دامت لغيرك يا عبد الله ما وصلت إليك. فلا تغترن بمنصب ، أو ترقية ، أو شهادة ، أو مال وربح صفقة ، فهي مقادير تأتي وتذهب بمشيئة الرحمن ، فإذا كان يشار إليك اليوم بالبنان ، فربما تكون غداً سيرة ذاهبة. كان أحد أولئك القوم ممن له عبادة ، وزهادة ، وعلم ، قبل أن يتولى ما تولى ، فلما أخبر بتوليه هذا المنصب العالي في الدنيا كان في حجره مصحف فأطبقه وقال: هذا آخر العهد بك! فشتان شتان بين من إذا جاءته الدنيا ازداد تواضعاً ، وخدمة لعباد الله ، وبين من يقول للمصحف: هذا فراق بيني وبينك ، ألم يقل الله تعالى: {الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} ، أي: إن ملكناهم الأرض ، وثبتنا لهم الأمر فيها ، أقاموا الصلاة في أوقاتها ، وآتوا الزكاة ، وحق المال ، وانتصروا على شح الأنفس ، وكفلوا الضعاف والمحاويج ، وسدوا خلتهم ، وأمروا بالمعروف مما عرفه الشرع ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور ، وإليه المرجع والمصير. وانظر إلى تواضع نبينا صلى الله عليه وسلم لما فتح الله عليه مكة ، ومكنه من أعدائه ، كيف دخلها مطأطأ الرأس تواضعاً لله ، قال أنس رضي الله عنه: "دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وذقنه على راحلته متخشعاً" ، هذا التواضع من النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموطن مع الجيش العرمرم ، هذا الذي دخل وتكاد لحيته أن تمس واسطة الرحل ، إنها أخلاق الأنبياء ، فأين هذا من سفهاء بني إسرائيل الذين لما أمروا بدخول بيت المقدس وهم سجود ، أي: ركع ، وأن يقولوا حِطة ، أي: حُط عنا خطايانا ، دخلوا يزحفون على أستاههم ، وأعجازهم ، وأدبارهم ، ويقولون تحريفاً: حِنطة في شعرة. ولما دخل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الفتح ، وظن مشركو قريش أنهم أحيط بهم ، وأنه سيبيرهم ، ويهلكهم لا محالة بعدما فعلوا الذي فعلوه به وبأصحابه ، فإذا به يعفو عنهم ، ويعاملهم بالفضل والإحسان بعدما أمكنه الله منهم ، فعن عمرو بن سلمة قال: "كانت العرب تلوَّم بإسلامهم الفتح ، ـ يعني ينتظرون ، فيقولون: اتركوه وقومه ، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق ، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم" [رواه البخاري] ، وذلك لما رأوا من أخلاقه ، وعفوه عليه الصلاة والسلام ، وأخوه من قبل يوسف عليه السلام لما أصابه ما أصابه من مكر إخوته ، وتآمرهم الجاد على قتله ، ورميه في الجُب ، وتعريضه للهلاك ، وإبعاده عن أبيه ، وتسببهم في بيعه عبداً ، وفي فتنته ، ومحنته ، ودخوله السجن ، وتجرعه ألم الفراق ، لما جعله الله

تعالى على خزائن الأرض ، وأظهره على إخوته ، وجاؤوه محتاجين قائلين: تصدق علينا ، ماذا قال؟ {قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} ، فلا لوم ، ولا تعيير ، فعفا عنهم بعدما أساءوا إليه ، وأكرمهم بعد أن أذلوه ، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة ، وهذه غاية الإحسان ، فالذي يقهر نفسه أشجع من الذي يفتح مدينة. ولما جاء الحسن البصري مع أصحابه منزل الحكم بن أيوب أمير البصرة ليلاً ليشفع لهم عنده ليعفو عنهم ، ذكره الحسن بصنيع يوسف عليه السلام ، فقال الحكم رحمه الله: وأنا أقول: لا تثريب عليكم اليوم ، والله لو لم أجد إلا ثوبي هذا لواريتكم تحته. ومما يدل على عدم تغير الصحابة بالمناصب ، هذا الصنيع العظيم ، للصدّيق أفضل الأمة بعد نبيها ، كان يحلب لبعض الناس أغنامهم ، فلما بويع له بالخلافة قالت جارية (فتاة من الحي): الآن لا يُحلب لنا ، لا تحلب لنا منائح دارنا ، فسمعها الصديق فقال: بلى وربي لأحلبنها لكم ، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن شيء كنت أفعله ، فكان يحلب لهم! فربما قال للجارية: يا جارية أتحبين أن أرعى لكِ ، أو أصرح يعني أحلب ، وربما قالت: احلب ، فأي ذلك قالت فعله. قيل للحسن بن علي رضي الله عنهما: ما الإخاء؟ قال: الوفاء في الشدة والرخاء. بعض الناس يكون بعد النعمة أكثر تواضعاً مما كان قبل ذلك ، ومن هؤلاء عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قبل أن يتولى الخلافة من أترف الناس عيشاً ، ومن أكثرهم إنفاقاً على طِيبه ، ولباسه ، وطعامه ، له تلك المِشية العُمرية التي كانت الجواري يتعلمنها ، ويتبخترن فيها لإعجابهن بها ، وحينما تزوج بزوجته فاطمة ، وضعوا زيت السرج مسكاً ، وهذا من الإسراف ، فلما بويع بالخلافة أتي بمراكب الخلافة البراذين ، والخيل ، والبغال ، ولكل دابةٍ سائس فقال: ما هذا؟ قالوا: مركب الخلافة ، فقال: دابتي أوفق لي فركب دابته فصرفت تلك الدواب ، ثم أقبل سائراً ، فقيل: منزل الخلافة ، فقال: في فسطاطي كفاية ، أتته الدنيا فتركها. سُئل المنصور بن عمر بن عبد العزيز: كم كانت غلة أبيك حين أفضت إليه الخلافة؟ قال: خمسون ألف دينار ، قال: كم كانت غلته يوم مات؟ قال: ما زال يردها حتى صارت مائتي دينار ، ولم يزده السلطان إلا ورعاً ، وزهداً ، وعفة ، كما قال رجاء بن حيوة رحمه الله: سمرت ليلة عند عمر بن عبد العزيز فانطفأ السراج ، وإلى جانبه خادم ، فقلت: ألا أنبه الخادم يعني يقوم من النوم ، ويوقد السراج مرة أخرى ، فقال: لا ، قلت: أفلا أقوم؟ فقال: ليس من مروءة الرجل أن يستعمل ضيوفه ، فقام وأصلح السراج ثم رجع ، وقال: قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز. وهكذا ضربت الأمثال للناس بهذا التاريخ العظيم لهذه الشخصيات ، فأين من قادة الشرق والغرب من يباري عمر وسيرته؟ أمّن يحاول للفاروق تشبيها؟ وقد جعل الله المال فتنة للناس ، ومحكاً لتمييز معادنهم ، فكم رأينا ممن كان في عُسر متواضعاً ، متبسطاً لجلسائه ، يواسي ضعيفهم ، ويرحم صغيرهم على قلة حاله ، حتى إذا طلق الفقر ، وأنعم الله عليه بالمال الوفير غير إخوانه ، ونسي أرحامه ، وتكبر على من حوله ، ألم يأتنا نبأ الثلاثة من بني إسرائيل ، الأبرص والأقرع والأعمى ، (بدا لله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً ، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن قد قذرني الناس ، فمسحه فذهب عنه فأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً ، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل ، فأعطي ناقة عشراء ، ـ على وشك أن تلد ـ ، وقال له: يبارك لك فيها ، وأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا، قد قذرني الناس، فمسحه فذهب وأعطي شعراً حسناً ، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر ، فأعطاه بقرة حاملاً ، وقال: يبارك لك فيها ، وأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ فقال: يرد الله إلي بصري ، فمسحه

فرد الله إليه بصره ، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم ، فأعطاه شاة والداً ، فأنتج هذان وولد هذا ، فكان لهذا واد من الإبل ، ولهذا واد من بقر ، ولهذا واد من غنم ، ثم إنه أي الملك الذي جاء على صورة رجل في أول الأمر أتى الأبرص في صورته وهيئته ، أي الأولى حتى يعرفه ، حتى يتذكره ، وتقوم الحجة عليه ، فقال له – أي الملك على صورة رجل - رجل مسكين تقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلغ عليه في سفري ، فقال له: إن الحقوق كثيرة ، فقال له: كأني أعرفك ، ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر ، أي عن أبي وجدي، – هذا الكذاب ، ينكر نعمة الله عليه - ، فقال أي الملك: إن كنت كاذباً فصيرك الله تعالى إلى ما كنت ، وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا ، فرد عليه مثل ما رد عليه هذا ، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت ، وأتى الأعمى في صورته فقال: رجل مسكين وابن سبيل فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري ، فقال: قد كنت أعمى فرد الله بصري وفقيراً فقد أغناني ، فخذ ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله ، فقال: أمسك مالك ، فإنما ابتليتم ، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك)! رواه ومسلم. نجح الأعمى في الابتلاء والامتحان ، ولم يتغير ولم يتنكر ، بينما سقط الآخران. فالشمس اليوم كما كانت بالأمس ، وهكذا لم تتغير ، وأما من نسي حاله في أيام مرضه ؛ لأن بعض الناس يتواضع في المرض ، فإذا رزقه الله تعالى الصحة تكبر وتجبر ، وبعضهم ينسى أيام فقره ، وهذا قلة شكر ، وكان الإنسان كفوراً ، هذا من سجيته ينسى النعمة تماماً ، يجحدها إلا من عصى الله ، فأين شكر النعمة ، والاعتراف بها ونسبتها إلى المنعم ، وحمده عليه ، واستعمالها فيما يرضيه سبحانه ، والرفق بالفقراء. ومنهم من يتغير إلى الغرور ، ونسيان المنعم ، قارون كان من قوم موسى ، آتاه الله مالاً كثيراً ، كان من المستضعفين من قوم موسى فالتحق بفرعون ومن معه ، بغى على قومه بظلم غصبهم ، وأخذ حقوقهم ، وحرمهم ، واستخف بفقرائهم ، ونسي ما آتاه الله من النعمة ، خرج على قومه في زينته ، فلم يذكر يوم خرج من بطن أمه لا يدري ما الدرهم ولا الدينار ، ولم يذكر تلك النعمة التي أنعم الله بها عليه حتى إن مفاتح كنوزه لتنوء بالعصبة أولو القوة ، فعلا في الأرض فنصحه العقلاء ، والعلماء ، وذكروه فأبى ، يقولون: لا تفرح ، {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} ، وأصلح يا عبد الله ولا تفرح ، لكن لا فائدة ، فماذا فعل الله به؟ لقد بطش به ، (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ). إن الله ضرب لنا مثلاً ، وأخبرنا عن أنواع من الشخصيات ، ونماذج من الناس ، {وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ} ، مع أن الله وسع عليه وعاهد ربه لئن آتاه الله من فضله سيصل الرحم ، وينفق في سبيل الله ، ولكن لا فائدة فإن النفوس إذا كان فيها سوء سيظهر ، وإنما تتغير النفوس لعدم أصالتها وخسة معدنها ، أما النفوس العظيمة فتزداد حال الرخاء. قال العز بن عبد السلام رحمه الله: كان صلى الله عليه وسلم قبل الغنى قائماً بوظائف الفقراء ، فلما أغناه الله قام بوظائف الفقراء والأغنياء ، فكان غنياً ، فقيراً ، صبوراً ، شكوراً ، راضياً بعيش الفقراء ، جواداً بأفضل جود الأغنياء. وهل أتاك نبأ الرجلين لما باع أحدهما للآخر عقاراً ، فاكتشف المشتري فيه جرة من ذهب ، فيقول للبائع: خذ ذهبك مني إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع منك الذهب ، فقال البائع: إنما بعتك الأرض وما فيها ، فلم يطغ هذا الذهب ، ولا الآخر ، لقوة الأخوة بينهما ، فأشار عليهما حكيم بأن

يزوج ابنته لابنه فهذا عنده بنت والآخر عنده ابن ، وينفقان على الولدين من هذا الذهب. رواه البخاري ومسلم. فانظروا إلى طيب نفسهما ، وورعهما ، وبعض الناس إذا اكتشف مثل هذا الذهب فماذا سيكون حاله؟ {إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ}. قال ربنا: {لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} ، إن من الوفاء ألا يتغير حال الإنسان في تواضعه مع إخوانه ؛ وإن ارتفع شأنه في الدنيا ، واتسعت ولايته وعظم جاهه ، فإن الترفع على الإخوة بما يتجدد من الأحوال لؤم. فيعطون هذا ، ويصلون هذا ، ويغدقون على هذا ذكراً وعرفاناً ووفاءً للعلاقات القديمة. قال بعض السلف لابنه: يا بني لا تصحب من الناس إلا من إذا افتقرت إليه قرب منك ، وإن استغنيت عنه لم يطمع فيك ، وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك نفوس تتغير بسبب غناها ، يقع في الأزواج والزوجات ، كمن تزوجت وهي صغيرة ، ثم تعلمت بعد زواجها ، وأصبحت ذات شهادة ، فشعرت بنقص زوجها ، وأنه أدنى منها تعليماً ، فطلبت الطلاق ، وزوجة تظهر الود لزوجها ، فإذا ضعف زوجها ، ولم يعد قادراً على الإنفاق عليها ، واستغنت بأبنائها هجرته ، وتركته ، وتظهر بعضهن الوفاء لزوجها ما دام قوياً غنياً صحيحاً ، فإذا شاب شعره ، وكبر سنه ، ورق عظمه ، قلبت له ظهر المجن ، وتطاولت عليه بلسانها ، وآذته بأفعالها ، بل ربما عمدت إلى تسليط أبنائه عليه ، وتحريضهم لإيذائه حتى يعود كقطعة الأثاث المهملة القديمة في ركن من أركان البيت ، أين الوفاء للرابطة الزوجية؟ لأنه في المقابل يوجد من الرجال من هو عديم الوفاء أيضاً ، وفيٌ لزوجته ما دامت محتفظة بجمالها ، تقوم على خدمته ، فإذا ما كبرت ، وذهب جمالها ، أو ابتليت بمرض تنكر لها ، وعاقبها بطلاقها على شيء ليس لها ذنب فيه ، وقد يتركها في البيت مهملة ، ويذهب للبحث عن أخرى رشيقة صغيرة ، ولا يعطي تلك المسكينة حقها ، بل ينساها وأولادها ، وليس العيب أن يتزوج فقد أباح الله له مثنى ، وثلاث ، ورباع ، لكن العيب أن يهمل الأولى ، ويتركها كالمعلقة ، وراعي الغنم الذي فقد بصره في سن الخمسين ، فأصبح قعيد البيت فسهرت عليه زوجته على راحته ، وتولت أعباء إعاشته ، ولما بلغ السبعين ذهب إلى المدينة ، حيث يتقدم الطب فأجرى عملية جراحية فاسترد بصره ، فكان أول ما لفت نظره أن زوجته الوفية قد أصبحت عجوزاً ، فطلقها مباشرة ، أين هؤلاء من وفاء النبي صلى الله عليه وسلم لزوجته خديجة بعد وفاتها بسنوات ، وعنده البكر ، والثيب ، وعنده أصغر منها سناً ، وأكثر عدداً ، ومع ذلك لا زال يذكر زوجته تلك ، وإذا ذبح الشاة أرسل الهدايا في صدائق خديجة ، ودخلت عليه هالة بنت خويلد فارتاع ، وقام بحق أخت زوجته من حسن الإكرام ، والضيافة ، وقال لنا معلماً: (حسن العهد من الإيمان) رواه الحاكم وحسنه الألباني في الجامع الصغير. يتنكر طلاب لمعلميهم ، يتنكر أبناء لآبائهم ، يتنكر بعض الموظفين لمن كان عطف عليه ، وشغله عنده ، ودربه ، واهتم به ، وعلمه. شاب كان جاهلاً ، علمه أبوه ، أنفق عليه ، درسه في أحسن الجامعات ، فلما رجع من السفر بتلك الشهادة ، وجاء أصحابه لتهنئته ، فرأوا والده في حديقة البيت كبيراً في السن فقالوا: من هذا؟ قال: هذا عامل الحديقة. وهكذا يشعر بعض الأبناء بالنقص مع الأسف لا عرفان ، ولا تقدير للآباء ، أين الوفاء في زمن قل فيه الوفاء ، ينتحر الوفاء يومياً بأفعال الشباب ، أنانيون ، ينسون آباءهم وأمهاتهم بمجرد حصولهم على الوظائف ، أو استغنائهم عنهم ، وبنات أحسن إليهن أهلوهن ، فلما تزوجت من رجل من عائلة ثرية مترفة نسيت أهلها ، وهجرتهم ، وترفعت عليهم ، وأصبحت تشعر بالنقص لمجرد انتسابها إليهم ، ألم يقل الله: {هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} ، الوالدان أنفقا حياتهما ،

وما لهما ، وجهدهما لإسعاد أولادهما ، فلما كبر الأولاد ، وكبر الوالدين ، واحتاجا ، واغتنى الأولاد وافتقر الأبوان ، ومرضاً ، صارا بالنسبة للأولاد عبئاً ثقيلاً يحرص كل واحد منهم على أن يتنصل من خدمة أبويه ، ويرميهم على الآخر ، وقد يترك في المستشفى لا يسأل عنه أحد ، أو يودع في دار الرعاية الاجتماعية. ويبقى اللؤم هو اللؤم ، روت كتب التاريخ والسير ، أن رجلاً من أهل مرو معروف باللؤم كان يحج ويتجر ، وينزل في كل مرة على رجل من أهل العراق ، فيكرمه العراقي ، ضيف في الطريق من مكة إلى مرو ، يمر بالعراق ، فيكفيه مؤنته ، ويغدق عليه ، وكان المروزي كثيراً ما يقول للعراقي: ليتني أراك بمرو حتى أكافئك على إحسانك ، فعرضت لذلك العراقي بعد دهر طويل حاجة في مرو ، فكان مما هون عليه مشقة السفر ، ووحشة الاغتراب ، أن المروزي هناك ، فلما أتاه وجده قاعداً في أصحابه ، فأكب عليه وعانقه ، فجعل المروزي يتمعر وجهه ويقول: من أنت؟ فقال العراقي: لعله لم يعرفني لأني ألبس قناعاً ، فرمى بقناعه ، لثامه ، وعرفه بنفسه ، فأنكره المروزي ، قال: لعله لم يعرفني بسبب العمامة ، فنزعها فكان أشد إنكاراً ، فقال: لعله لم يعرفني بسبب القلنسوة ، الطاقية ، فخلعها فقال المروزي: والله لو خرجت من جلدك لم أعرفك. فحين يُسدي لك الآخرون معروفاً ، أو يقدمون لك مساعدة فعليك أن تشكرهم (من صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه). رواه أبو داود وهو حديث صحيح. أما أن يحسن الآخرون إلى الإنسان فلا يجدون منه إلا نكراناً ، {كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى} ، فإذا رأى نفسه استغنى عن الناس بماله ، أو سلطانه طغى ، تجاوز الحدود ، تكبر وظلم. وهذه الممثلة الأمريكية أصبحت الأعلى أجراً في عالم الفن والضياع ، تتقاضى سبعة عشر مليوناً من الدولارات عن الفيلم الواحد ، فطلبت الطلاق من زوجها بسبب الفارق الاقتصادي ، متوقع هذا ، فالكفر لا يولد إلا أشباه هذا. يجب أن نحاسب أنفسنا ، وأن نردعها عن تِيهها وكبرها ، كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْ ، حتى أنت يا من تهتدي إلى الحق ، وتطلب العلم ، وتدعو إلى الله ، لا تتكبر على المدعوين ، {كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ} ، ثم قال عليه الصلاة والسلام: (إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه) رواه البخاري. فلا يوجد أحد مهما بلغ إلا ويرجع وينتكس ، وإذا لم يفتقر فإنه الله يقهره بالموت ، سبحان الذي قهر عباده بالموت ، الغني إذا اتقى آتاه الله أجره مرتين ؛ لأنه امتحنه فوجده صادقاً ، وليس من امتحن كمن لم يمتحن ، {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ} ، {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} ، إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) رواه مسلم. وأما الخيانة والتنكر فعاقبتها سيئة. قال ابن عيينة: لقد عهدت أقواماً فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يخيل إليَّ أن حسرتهم ذهبت من قلبي. وهكذا الإنسان ينبغي عليه أن يذكر أصله ، وقد كان من التراب والطين).هـ. في الحقيقة هناك من يغيِّره المال ، فيفقده توازنه أو صوابه ، ويتصرف وكأنّه امتلك الدنيا وما عليها ، فيتنكر لمعارفه ويتعالى على أصدقائه ، وبالمقابل هناك أناس لا يفلح المال معهم في المساس بثوابتهم وقناعاتهم ، وإن كان ثمة تغيير فلابدّ أن يحصل لهم ، ويكون إلى الأفضل. وهناك العديد من المقولات الشائعة التي يردِّدها الناس منها "الفلوس تغيِّر النفوس" ، "والمال يغيِّر الرجال" ، لكن يصعب أحياناً الجزم بمدى صحتها إلا بعد التجربة. تستهل حنان ماجد (طبيبة أسنان): "لا يمكن الجزم بنعم أو لا ، فكلا الحالين لا يمكن تعميمهما على جميع الرجال ، فهذا يعتمد على نفسيّة الشخص وتربيته والظروف التي كان يعيش بها سابقاً ، فهناك من تغيّره كثرة المال وتنسيه ماضيه ،

وينسى من سانده ووقف إلى جانبه ، وربما يصبح أكثر جحوداً وقسوة ، وهناك من يجعل منه ماضيه إنساناً أكثر إحساساً بهموم الناس وأقرب إليهم، ولا ينسيه الذين وقفوا إلى جانبه".
التغيُّر أمر محتوم: وفي سياق تحليله للأمر يرى عبد الله الحسين (إعلامي) ، أنّ الحال كما اختاره رب الأحوال في كلّ الحالات فلن يتغيّر – ربّما – سوى المظهر الخارجي بطبيعة الحال ، ويبقى التعامل من حولنا كما هو في السابق ، فإنّ تغيّر جزء ما من حياتنا فلربما يكون عكسياً علينا بإرادة المعطي سبحانه ، ومهما تغيرت مفاهيم حياتك فدعها تخطو مسار الإيجابية ، وفق ما أمر به إله الكون ، لاسيّما أنّ أقسى مفاهيم التعامل مع الحياة حين تتغيّر بمجرد علو قوتنا الاقتصادية ، فالرب واحد وأنت كما أنت كذلك ، ولابدّ أن نستثمر تلك الخيرات بما أمرنا به الله سبحانه ، ولا نكون متسلطين على أشباهنا ولا نلقى سوى المذمة منهم ، بموجب تعاملنا السلبي معهم حال امتلاكنا الوقتي لخيرات نعتقد بأنّها جاءت من جهدنا الشخصي ، ونسينا أنّ الله تعالى هو المعطي ، وهو من يسلط كذلك". ملذات الحياة: أما الإعلاميّة سحر عدنان فتقول: "عندما يملك الشخص جميع ملذات الحياة تتغيّر كثير من المفاهيم ، لكن البعض ، لا يتغير فكره ، بل يحاول أن يسعد غيره ، ويساهم في البحث عن أمور من خلالها يثبت كرم إنسانيته. فلا أخفي أنّ هناك من تغير فكره وعقله ، بل وحياته ، وأصبح ينظر للمجتمع الذي تربى فيه بأنّه أقل كثيراً من مستواه الذي وصل إليه ، إلا من رحم ربي". لا يشمل الكلّ: "التغير سيحصل طوعاً أو إجباراً" ، هذه وجهة نظر عبد الله الجعيدي ، (مسؤول علاقات) ، الذي يرى أنّ التغيير سيحصل طوعاً أو بالإجبار ، فلا يشمل الكلّ ، لكن الشخص الذي سيصل لكلّ هذه التغيُّرات سيعيش مراحل صعبة في حياته ؛ لأنّه سيكون عرضة لانهيار في أي وقت ، فالمال وحده لا يصنع حياة متكاملة ، ولو كان كذلك لعاش أصحاب الأموال حياتهم بكرامة متناهية ، لكن كثيرين يعرفون قصص بعض أصحاب الأموال ، وكيف وصل بهم الحال بعد أن تخلوا عن كلّ ما حولهم. والمال ضرورة ، ووجوده مهم لبناء حياة كريمة ، لكنّه مرض إذا أصبح هوساً يعزلنا عن عالمنا". استمرار للنجاح: شمايل العبد الله (وزارة الصحة) "المال نعمة من نعم الحياة ، وهو وسيلة للسعادة ، فحين يرزق الإنسان فجأة بالمال ، وتتغير حياته من فقر إلى غنى قد يؤثر هذا التغير تأثيراً سلبياً على بعض النفوس ؛ فمن الممكن أن يتنكر لحياته السابقة الماضية ولكلّ ما يربطه بها من أهل وأصدقاء ، وكلّ ما يذكره بما مرّ به من ظروف ومآس وفاقه ، فيحاول بذلك أن يهرب من تلك الذكريات المؤلمة ، والبعض الآخر يكون تأثير ذلك التحول عليه إيجابياً ، فكلّ ما مرّ به في حياته السابقة يكون حافزاً لاستمرار النجاح والمحافظة عليه ، العمل على رفع كلّ من حوله". كره الفقر: ناصر الحماد ، (معد برامج في قناة السعوديّة) ، "يعتمد ذلك على شخصية الإنسان وعلى نشأته ، فهناك من يفضل العائلة والأصدقاء على المال ، وهناك من يفضل المال على أي شيء آخر ، وهناك من يفضل المال على أي شيء آخر ، وهناك جانب نفسي ؛ فبعض الفقراء مثلاً إذا اغتنى يكره الفقر ؛ لأنّه عانى منه ، فيتنكر لبيئته الفقيرة والأهل والأصدقاء والحارة الفقيرة". تغير القلوب والعقول: "سمعنا كثيراً مقولة الفلوس تغير النفوس ، وتغير القلوب والعقول". بهذه العبارة بدأت بيان الحربي (22 عاماً – طالبة جامعية) ، تعليقها وأضافت: "كلّ شيء قابل للتغيير ، وحتى فيما بين الزوجين ينقلب الحال من علاقة رومانسيّة إلى علاقة ماديّة همها السفر والتسوق ، ومن الممكن أن تؤثر سطوة المال على بعض الرجال ، ومن الممكن أن يصبحوا أكثر دناءة ؛ لكونهم تغيروا بسبب امتلاكهم للمال واحتقارهم لحياتهم السابقة والأصدقاء القدامى ، ولسكنهم القديم

وصحبتهم لأشخاص بنظرهم لا يليقون بهم ، لكن ما الفائدة عندما يفعل الإنسان كلّ هذا ، فهو لا يزرع ولا يحصد سوى الكره في قلوب الناس له والمقربين خاصة ، وفي غالب الأحيان تختلف ردة الفعل من إنسان إلى إنسان" ، وتضيف: "وهناك من ينقلب حاله رأساً على عقب ؛ فيسبح في بحر الغنى بعدما كان لا يجد إلا قوت يومه ، لكن يحن لماضيه البائس ، ويحاول بشتى الطرق أن يعيده ليذكّره بما كان قبل أن يكون ، وبينما نجده يحاول بشتّى الطرق إسعاد من هم حوله ، خصوصاً ذوي القربى والأصدقاء ، فهناك من يتنكر لماضيه وتُعمي بصيرته نشوة المال وكثرته ؛ حتى لا يكاد يرى أحداً من قريب أو بعيد". تحقيق الأماني: يتفق سلطان العساف ، (23 عاماً – فنان) ، مع جميع التعليقات السابقة بقوله: "نعم التغيُّر لابدّ منه ، لاسيّما أنّ الغرض من التغيّر هو تحقيق الأماني والالتفات إلى بناء المستقبل" ، مشيراً إلى ذاته ، لو حصل له أن اغتنى بقول: "لن تهون عليَّ عشرة الأصدقاء ، ولا أستطيع أن أتخلى عن طيبة الأهل ؛ لأنّهم الحب الصادق والملجأ والأصدقاء ، ولا يوجد شخص كامل في الدنيا ، والأصدقاء هم الذين يكملون جميع النواقص في كلّ شخص". سطوة المال: من ناحية أخرى ترى عائشة عبدالرحمن ، (طالبة ماجستير) ، أنّ سلوك البشر يختلف وفقاً لعوامل كثيرة ، منها اجتماعية ونفسيّة. مؤكدة "أنّ للمال سطوته على الإنسان ، تلك السطوة هي التي تجعل الإنسان يَعتبر إذا اغتنى، بالأخص إذا حدث هذا الأمر فجأة ؛ إذ إنّ أصدقاءه وأهله وأقاربه كانوا يعيشون في محبة ووئام، تحولوا إلى ألد الأعداء عندما علا صوت المال". الرأي النفسي: في تحليل نفسي للتغير الذي يمكن أن يطرأ على الشخص بعد أن امتلك كثيراً من المال يرى الدكتور رجب بن عبد الحكيم بريسالي ، (استشاري الطب النفسي) ، ويؤكد بقوله: "في الحقيقة المال هو عصب الحياة ، إلا أنّ حصول الثروة المفاجئة للشخص يعده علماء النفس المعاصرون عاملاً سلبياً لدى البعض ، خاصة لدى أولئك الأشخاص الذين لديهم قابليّة للإصابة بالاضطرابات النفسية ، فعزا العلماء الحصول على المال والثروة قد يكون له جانب مظلم يؤثر ويؤدي إلى حدوث شرخ مفاجئ في عملية التوازن الدماغي لمادتي السيروتينين والدوبامين بشكل خاص". ويضيف: "لا يستطيع الشخص استيعاب تلك الثروة الهائلة من الأموال ، وبالتالي لا يستطيع دماغه تحمل ذلك من شدة الفرح ، فيكون ذلك المال سطوة ، بل شهوة ، وبدل أن يكون نعمة لذلك الشخص يتحول إلى نقمة وبلاء عليه ، ويمكن أن ينتهي به المطاف إلى إصابته بالعديد من الاضطرابات النفسية والسلوكيّة ؛ فتتغير أنماط شخصيته ، ويصبح متكبراً مغروراً ينظر إلى غيره من البشر بفوقية مقيتة بغيضة ويتعالى عليهم ، وإذا كان متزوجاً فيمكن أن ينعكس ذلك الثراء الفاحش على رفيقة دربه ؛ فيتزوج عليها ويكسر خاطرها لأنّ تلك الثروة أعمته عن رد شيء من الجميل والعرفان لأم عياله ، وقد يطلقها ، كلّ ذلك بسبب سطوة المال الذي له مفعول السحر على النفوس المريضة ، المريضة فقط. وهناك بعض الدراسات الحديثة التي أشارت إلى أنّ المال بسطوته يمكن أن يؤدي إلى الإصابة بالفصام العقلي أو الاضطراب الوجداني ثنائي القطبية ؛ باعتباره من العوامل التي تؤثر بحدّة على النواقل والسيالات العصبية". ومن هنا تصدق بعض الأمثال والحكم التي قيلت في المال وعبيده مثل قولهم: "المال ينفد حله وحرامه يوماً ، ويبقى بعد ذلك إثمه" ، وقولهم: "إنّ الغنى والعز في القناعة ، والذل في الحرص وفي الوضاعة". وقولهم: "غنى النفس خير من غنى المال". وقولهم: "قد يجمع المال غير آكله ، ويأكل المال غير من جمعه". وقولهم: "قليل المال تصلحه فيبقى ولا يبقى كثير مع الفساد". وقولهم: "قد لا يكون الغنى سلبياً باختلاف حالة

الرجال ، فلكلٍّ تصرفاته وردة فعله تجاهه حسب شخصيته". وقولهم: "الفقر جمعنا والغنى فرقنا"! وكانت "م. ع" (36 عاماً) ، معلمة ، تعيش مع زوجها وأبنائها الثلاثة في شقة متواضعة ، زوجها كان يعمل في العديد من الأعمال ، وكان راتبه يكفي العائلة. تتابع قائلة: "زوجي رجل محبٌّ ومتفهِّم ، رقيق النفس ويحب أبناءه ، قانعين بما قسمه الله لنا ، ظللنا على هذه الحال إلى أن توفي والده وورث ثروة طائلة. في البداية تغيّرت حياتنا وانتقلنا إلى فيلا من ثلاثة طوابق ، وأصبح لأبنائي كلّ واحد منهم حجرته الخاصة. تحولت حياتنا إلى الأفضل ، إلى أن أصبح زوجي يفتعل المشاكل معي ، ويشكوني إلى الأقارب بأنّني مهملة ومقصرة في شؤون بيتي ، وكان يقضي أغلب وقته خارج المنزل بحجة العمل ، إلى أن شاهدت بطاقة زفافه من أخرى وعندما واجهته بالأمر ، كان رده بالحرف "ربي رزقني وأنعم عليَّ ، وأبي أعيش حياتي مع عروس صغيرة تعيد لي شبابي وتمتعني". فطلبت الطلاق وكان ذلك". وفاء زوج: تحكي المعلمة "ل. حريري" (45 عاماً) عن قصة أحد أقربائها ويدعى صالح ، توفي والده وكان يعمل في دائرة حكومية بوظيفة محترمة ، لكن دخلها كان محدوداً ، ولديه شقيقات صغيرات في السن بالإضافة إلى والدته المسنّة ، فتحمل مصروفات عائلته وزوجته وبناته ، ولم يكن يرتاح لكي يجني قوتهم اليومي. تستدرك قائلة: "منّ الله عليه ، وانتقل للعمل في مجال أفضل وفتح عليه الله خيراً كثيراً ، فاشترى عمارة وسكن فيها هو ووالدته وأخواته وزوجته وأولاده ، ورزقه الله بولدين ، ثمّ اشترى مزرعة كبيرة وفيها محميات وبقي وفياً لأهله وزوجته شاكراً نعمة الله تعالى عليه. فلما علمتُ بقصة الوضعاء موضوع قصيدتنا المأساوية شمرتُ عن ساعد الجد ، ورحت أوجّه إليهم نصيحة شعرية ، ربما تنفعهم وتكون كالناقوس الذي يدق في عالم النسيان والغفلة لعلهم يتذكرون! وجعلتُ عنوان القصيدة: (شبعة من بعد جوعة) لأعبر عن حقيقتهم الفجـة! إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.)

دواءٌ الفقـــرُ مهمـــا جـــاء بـــالهُونِ ... وجُنـــة مِـــن ضـــياع العِـــرض والـــدينِ

يَـــردّ مـــا تجتبيـــه الـــنفسُ مِـــن بَطـــر ... ومـــا تُصـــارعُ مِـــن حَـــدْس وتـــزكين

ويَـــردعُ الـــنفسَ عـــن كِبْـــر يُســـربلها ... فـــلا يَطيـــبُ لهـــا مِـــن بعـــدِ تـــزيين

ويَحمـــلُ الـــنفسَ فـــي أضـــغاث غفوتهـــا ... علـــى الـــتخلص مِـــن وَهْـــم الأفـــانين

فـــــلا تُهـــــددُها الآمـــــالُ موقـــــدة ... نـــــارَ التعلـــــق بـــــالأموال والطـــــين

ولا تُكبلهـــــــا قيـــــــودُ همتهـــــــا ... قســـــراً ، وتُورثهـــــا أشـــــقى المـــــوازين

ولا يُعرقلهـــــا عـــــن نهْضـــــها نـــــزقٌ ... يَـــــدك عَزمتهـــــا بشـــــرّ تـــــوهين

ولا يَعـــــوقُ خطاهـــــا نحـــــو رفعتهـــــا ... بريـــــقُ مـــــا تشـــــتهي مِـــــن الأظـــــانين

يَصـــونُها الفقـــرُ مِـــن طـــيش ومِـــن سَـــفهٍ ... فـــــلا تُعـــــاني مِـــــن الإذلال والهُـــــون

علـــــى الكَفـــــاف هنـــــا كانـــــت مَعيشـــــتُكم ... والـــــدَينُ سَـــــجّله أهـــــلُ الـــــدكاكين!

ألـــم تعـــضّ ضُـــروسُ الفقـــر عِيشـــتكم ... ولَكـــتمُ القحـــط بـــين الحـــين والحـــين؟

أمـــا جَـــرَعْتم كـــؤوسَ القهـــر مُترعـــة ... جبـــراً ، كـــأني بهـــا كـــؤوس غِســـلين؟

أمـــا اشـــتكيتُم مـــن الإمـــلاق ضـــاق بـــه ... ذرعـــاً كبيـــرُكمُ فـــي العيشـــة الـــدون؟

ألـــم تضِـــقْ دارُكـــم دهـــراً بســـاكنها ... واستســـلمَ الكـــل للتضـــييق والـــرون؟

ألـــم تعيشـــوا علـــى الحِرمـــان صُـــبحَ مســـا ... فـــي ضَـــنكِ عَـــيش بلـــون الـــذل مَـــدهون؟

ولا أعيّـــــــركم إذ كنـــــــتُ أتعسَـــــــكم ... وإنْ فعلـــــتُ فمـــــا قـــــولي بمَـــــوزون

لكـــــنْ أبَـــــيّنُ مـــــا تُخفـــــون أجمعُكـــــم ... مِـــــن الحقـــــائق خُصَّـــــتْ بـــــالبراهين

وأنشـــــرُ الحـــــق فـــــيكم شمسُـــــه غربـــــتْ ... ويَفهـــــمُ الرمـــــز ذو فهـــــم وتفطـــــين

وســـــخر الله مـــــنكم مُحســـــناً ورعـــــاً ... فجـــاد فـــي البـــذل جـــوداً غيـــرَ ممنـــون

أقـــــالَ عَثـــــرتكم بالكـــــاد مُحتســـــباً ... بـــــرغم حـــــال بقيـــــدِ الأســـــر مَقـــــرون

لـــم تُثنـــه عـــن سَـــنا الحُســـنى خصاصـــتُه ... وعامـــلَ الأهـــلَ بالإحســـان واللـــين

فـــي غربـــةٍ عَصَـــفتْ فـــي أوج شِـــدتها ... بطيّـــب رغـــم يُســـر الحـــال مَـــديون

مُحـــــارَبٌ بـــــين أهليـــــهِ ومُضـــــطهدٌ ... وحقـــــه فـــــي الخزايـــــا غيـــــرُ مَصـــــوون

ولـــــم يجـــــدْ بيـــــنهم ردءاً يُصـــــدقه ... ولا صـــــديقاً ســـــليمَ القلـــــب والـــــدين

بـــل جُـــلّ مَـــن حولـــه لا حـــق يُســـعفهم ... بـــل جَوقـــة أتقنـــتْ غـــدرَ الفـــراعين

تقلـــــدوا حِيَـــــلَ الخـــــذلان أقنعـــــة ... ومارســـــوا فـــــي الأذى دَورَ الـــــدهاقين

وأظهـــروا حِقـــدَهم فـــي النـــاس تحسِـــبُهم ... فـــاقوا بحِقـــدِهمُ كيـــدَ الشـــياطين

ورغـــم بطشـــتهم لـــم يَهزمـــوا بطـــلاً ... ولـــم يُجندِلـــه تصـــديرُ الأســـافين

بـــل عـــاشَ للأســـرة الرعنـــاء بـــدرَ دُجـــى ... والكـــف جـــادتْ بـــألوان القـــرابين

أراد يرفعُهـــا مـــن قـــاع مِحنتهـــا ... حتـــى يكـــون لهـــا لـــو بعـــضُ تمكـــين

وحقـــقَ اللهُ مـــا الفِطريـــفُ تـــاقَ لـــه ... والأســـرة ابتشـــرَتْ بخيـــر تـــوطين

وللجميـــــــع غـــــدَتْ دُورٌ وأبنيـــــــة ... تُضـــارعُ اليـــوم أبـــراج الهـــوامين

وفـــي البنـــوك غـــدَتْ للعِيـــر أرصـــدة ... أضـــحَتْ تُقـــاربُ آحـــادَ الملايـــين

ســـل العقـــارات مَـــن فـــي الأرض أنشـــأها ... وشـــادَ مِـــن حولهـــا أحلـــى البســـاتين؟

ســـل الأراضـــيَ مَـــن جهـــراً تملكهـــا ... طـــولاً وعرضـــاً ، وقِيســـتْ بالفـــدادين؟

ومَـــن يَقـــيسُ بهـــا الآنـــامَ مُعتبطـــاً ... بالمـــال يَجعلهـــم فـــي أوج تحصـــين؟

بـــالأمس كـــانوا علـــى التقتيـــر عِيشـــتُهم ... وصـــارعوا فـــي الـــورى عَـــيشَ المســـاكين

واليـــوم باتـــتْ لهـــم حـــالٌ مُغـــايرة ... مِـــن بعـــد أن أصـــبحوا مِثـــلَ القـــوارين

كأنمـــا بطِـــروا عمـــداً معيشـــتهم ... وبعضُـــهم يَقتـــدي بالصِـــل (لينـــين)!

واســـتمرأوا خِـــدعَ التجميـــل تســـترُهم ... مِـــن الفضـــائح تبـــدو رغـــم تحســـين

وجُـــل مَـــن شـــهدوا تـــاريخهم رحلـــوا ... وصُـــغتُ فـــي بعضـــهم شَـــجينَ تـــأبيني

فليكـــذبوا كيفمـــا شـــاءت ضـــمائرُهم ... ومـــا الكـــذوبُ علـــى قـــول بمـــأمون

وليخـــدعوا النـــاسَ بالأخبـــار مـــا صـــدقتْ ... وبالحَكايـــا احتـــوتْ زورَ المَضـــامين

فمـــن تُـــراهُ إذا قـــالوا يُكـــذبُهم ... وأغلـــبُ النـــاس تُطـــريهم بتدشـــين؟

يُـــدَجّلون علـــى قـــوم بلاهـــتُهم ... تفـــيضُ حُمقـــاً كتخريـــف المجـــانين

ســـاقوا الأكاذيـــبَ تُخفـــي ماضـــياً كشـــفتْ ... بعـــضُ القصـــائد فحـــواه بتضـــمين

يـــا مـــن شـــبعتُم ســـيبقى الجـــوعُ يَفضـــحُكم ... والجـــوعُ يُـــزري بمَنهـــوم ومَبطـــون

والـــبطنُ قـــد شـــبعتْ ، والـــروحُ جَائعـــة ... جوعـــاً يَليـــقُ بمَنهـــوم ومِنتـــين!

شـــتانَ بـــين فتـــىً سَـــما بـــه شَـــبَعٌ ... وآخـــر بطعـــام الـــبطن مَفتـــون!

عاشـــرتُ قومـــاً بمـــا أوتـــوه قـــد قنعـــوا ... وآخـــرين لهـــم طبـــعُ التنـــانين

لا يســـتوي القـــومُ رغـــم الضـــيق قـــد شـــبعوا ... والقـــومُ رَغـــم الغِنـــى عاشـــوا علـــى الـــدون

هـــل العَبيـــدُ اســـتووا فـــي جُـــب خِسّـــتهم ... يومـــاً بأهـــل الإبـــا الأسْـــدِ العـــرانين؟

وهـــل تســـاوَى حَـــلا المـــانجو بحنظلـــةٍ؟ ... وهـــل يُقـــارَنُ ذو عقـــل بمجنـــون؟

بطـــونُكم شـــبعتْ مـــن بعـــد جوعتهـــا ... شـــتان شـــتان بـــين الشـــيح والتـــين!

وزدتُـــمُ الأمـــرَ تحقيـــراً ومخبثـــة ... لتقطعـــوا وُدّنـــا قطـــعَ الســـكاكين

لـــم القطيعـــة فـــي ســـر وفـــي علـــن؟ ... أريـــدُ فصـــل خِطـــاب دون تلحـــين

إن قـــاطعَ الشـــهمُ أنـــذالاً بـــه مكـــروا ... ولحمَـــه نهشـــوا نهـــشَ الثعـــابين

ونـــاولوه مِـــن التنكيـــل أشرسَـــه ... ودبّـــروا مَقلبـــاً مِـــن بعـــد إســـفين

وبـــارزوه ضُـــحىً بجـــاهليتهم ... فصَـــدّهم مُظهـــراً شـــتى البـــراهين

فهـــل يُـــلامُ علـــى قطيعـــةٍ وَجبـــتْ ... يـــا شـــرّ أهـــل ، ووصـــفي غيـــرُ مَظنـــون؟

وكـــان يَعـــذرُ أبنـــاءً لكـــم مَـــردوا ... علـــى النفـــاق لهـــم أشـــقى التخـــامين

واليـــوم هـــم كبـــروا ، فلـــيس يَعـــذرُهم ... فلينفضـــوا عـــنهمُ رُكـــامَ تلقـــين

ولينبشـــوا فـــي ثـــرى التـــاريخ عَلهـــمُ ... يُصـــادفوا الحـــق غضـــاً دون تـــأفين

كـــي يُنصـــفوا ذلـــك المظلـــومَ بُغيـــتُهم ... مَرضـــاة مَـــن أمـــرُه بالكـــاف والنـــون

كـــي يُنقـــذوا ذلـــك المهضـــومَ مِـــن غجـــر ... طاشـــت عقـــولهمُ قبـــلَ المـــوازين

ولا يكونـــوا كـــأهليهم جـــلاوذة ... شـــرَ الخصـــوم لهـــم حِقـــدُ الـــدهاقين

وكيـــف يُصـــبحُ خصـــماً يـــا تُـــرى حكمـــاً ... يُـــدلي بحكـــم بليـــد الـــنص مَـــدخون؟

عســـى القصـــيدُ يُفيـــقُ القـــومَ مـــن عمـــهٍ ... فـــلا تُصِـــيبُ الهُـــدى أوهـــامُ تـــزكين

ويَســـتقيمُ الألـــى فـــي غـــيّهم ســـدروا ... ولا تُمَـــيّلهم رُتـــوشُ تحجـــين

والله أســـأل أن يُقيـــلَ عَثـــرتهم ... حتـــى يعيشـــوا بـــلا غـــدر ولا هـــون!

فليُكرمْ ضيفـــــه!

(كلنا يدرك من حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكْرمْ ضيفه) ، أنه يقصد فقط بإكرام الضيف تقديم الطعام والشراب للضيف. وهذا ولا شك من مرامى الحديث. ولكنه وحده ليس كل المرامي! فمن إكرام الضيف الذود عنه إذا أهِين في بيت مُضيفه ، والمحافظة على كرامة ذلك الضيف. إن كان للبيت الذي هو ضيفٌ على أهله - كرامة وحُرمة ، وكان لأهله قدرٌ وشرف! والحقيقة أن رجلاً في أحد الأيام من عام 2006م ، كان ضيفاً على امرأةٍ من بُنيّات الإمارات ومعه أهله وأولاده ، وتعرضَ للإهانة والسباب في هذا البيت من طرفٍ كان ينبغي أنْ لا يتطرق إلى ما فعله من أذى ، ولكنها إرادة الله أن يُبتلى بهذا الابتلاء. فأخذ الرجل يردّ بأدب على من تطاول ، فخرجت صاحبة البيت المضيفة وحسمت الموقف ، وذلك بقول واحد للطرف المتجاوز والمتفحش البذئ: "أنا لم أعزمْك ولا الذين معك ، وأنت ومن معك غير مرحّب بكم في بيتي هذا ، فخذهم وعُد من حيث أتيت ، والرجل لم يجهل عليك ابتداء. ولم يعلُ صوته في بيتي على مدى سنوات عشر إلا بالقرآن والحديث يعلمهما للأولاد فاذهب يا هذا ، فقد أسات وآذيت". ثم أقسمتْ للرجل ولأهله أنْ لا يبرحوا بيتها بل يبقون ، وأنهم إذا خرجوا فليسوا مدى الدهر منها في شيئ. فاحترم الرجل قولها ، وبقي بأهله! فاعتبرتُ ذلك الموقف الجميل إكراماً له كضيف ، نعم احترامٌ يفوق الذبائح والولائم ، بل هو أشهى ضيافة وألذ وليمة وأعظم موقفاً! وصدق الأستاذ سعيد الوشاحي عندما وصف كرم العرب وإكرامهم للضيف بقوله: (الكرمُ سِمة العرب المتوارثة منذ القدم ، وفيه ضربت الأمثلة وقيلت الأشعار ، فالتاريخ حافل بمواقف راسخة ، عكست في مضامينها ارتباط القدامى بهذه الصفة واعتبارها أحد أهم مبادئ الحياة ، ولا يمكن التخلي عنها حتى وإن كلفهم ذلك نفيس أموالهم وأملاكهم ، فاستقبال الضيف وإكرامه بسخاء ، فطرة جُبل عليها العرب عموماً والبدو على وجه الخصوص).هـ. وأما الضيف إذا أهين وردّ الإهانة فله ذلك! وإن تولى المضيف الردّ فله ذلك! والشيخ الفوزان علق على الآية: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا} بقوله: (هذا معناه القصاص في المظالم وأنه يجوز للمظلوم أن يقتص من الظالم بمثل ظلامته ، مع أن الله سبحانه رغب في العفو فقال: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} ، فأباح القصاص ، ورغب في العفو، ومقابلة الإساءة بالإحسان. أما قضية أنه يحكم لنفسه بالقصاص ، ويأخذ حقه بنفسه ، فهذا لا يجوز لأن هذا معناه إشاعة الفوضى ، ذلك لأن القصاص له شروط وجوب وشروط استيفاء ، فلا بد من توفر شروط ثبوت القصاص وشروط الاستيفاء).هـ.)

أعملـــتِ ســـيفَ النصـــر والإفحـــامِ ... فـــي نحـــر نـــذل ظـــالم الإجـــرامِ

ووأدتِ فتنـــــة جاحـــــدٍ مُتطـــــاول ... يَختـــــالُ فـــــي منظومـــــة الأوهـــــام

لفـــظ الحيـــاءَ ، فقـــال شـــر مقالـــةٍ ... وإذا الشـــــتائمُ توّجـــــتْ بســـــهام

وغـــذا التجنـــي - فـــي الكـــلام - جهالـــة ... والجهـــلُ - فـــي الأقـــوال - شـــرّ كـــلام

وغـــدا التخـــرّصُ والجفـــاءُ تشـــفياً ... فـــيمن يُـــدافعُ تـــارة ويُحـــامي

وإذا الرعونـــة تجتنـــي مـــا بيننـــا ... مِـــــن عِشـــــرةٍ وقرابـــــةٍ ووئـــــام

وإذا التحامـــــــلُ دون أي مُبـــــــرِّر ... وإذا الســـــــبابُ بلفظـــــه الهـــــدام

وإذا التعنـــتُ لا تســـلْ عـــن وصـــفه ... لنبـــوء - مِـــن بلوائـــه - بخِصـــام

وأمـــام أهـــل لـــم يَـــدينوا فعلـــه ... إذ قـــامَ بالتنكيـــل شـــرّ قيـــام

وكأنهـــا - للعـــين - تمثيليـــة ... أو أنهـــا فـــيلمٌ مِـــن الأفـــلام

وأتـــى بـــكِ الجُعـــرُ الـــذي طبقاتـــه ... شـــذتْ ، فمـــا اتســـقتْ بـــأي مَقـــام!

وهتفـــتِ: كيـــف يُسَـــبُ ضـــيفي جهـــرة ... وتُصِـــيبُه ألفـــاظ الاســـتذمام؟!

ضـــيفي الـــذي أحببـــتُ دون تـــردّدٍ ... أحببتُـــه فـــي الله والإســـلام!

أخـــرجْ مِـــن البيـــت الـــذي لـــم تحتـــرمْ ... أصـــحابه ، لا تفتكـــرْ بمُقـــام

أنـــا مـــا استضـــفتُك كـــي تقـــولَ مَعيبـــة ... وعلـــيّ مَـــن يُلقـــي بـــأي مَـــلام؟

هـــا قـــد أســـأتُ ، وللإســـاءة وَقعُهـــا ... فـــي عِـــرض قـــوم طيبيـــين كِـــرام

واحمـــلْ أبـــاك ومِـــن تعـــولُ ، وخلنـــا ... حتـــى تُجنبنـــا الشـــجارَ الـــدامي!

فمضـــى ، وخلفنـــا نـــداعبُ فرْحنـــا ... بمَـــودةٍ مِـــن عـــاطر الأنغـــام

ولنـــا اعتـــذرتِ بنبـــرةٍ مُلتاعـــةٍ ... مُزجَـــتْ بطيـــفِ الحُـــزن والإيـــلام

ونصـــرتِ ضَـــيفكِ عنـــدما عصـــفتْ بـــه ... أقـــوالُ فـــظٍ حاقـــدٍ شـــتام

وخصصـــتِنا بـــالجود يُتحِـــفُ زائـــراً ... وأقمـــتِ حـــق الضـــيف خيـــرَ قيـــام

هـــو موقـــفٌ لـــكِ لا يُبـــارى مُطلقـــاً ... جعـــل العِـــدا فـــي حَمـــأة الإفحـــام

لـــكِ - مِـــن فـــؤادى - البشْـــرُ جمّـــاً وافـــراً ... وسَـــلمتِ يـــا فضـــلى مَـــدى الأيـــام

وحَمـــاكِ ربـــكِ مِـــن تطـــاول ســـاقطٍ ... يَلقـــى لـــه دعمـــاً مِـــن الأقـــوام!

حسابي مع حاقـــــد!

(أحد المعارف هو بحق سفيهٌ حاقدٌ نذلٌ جبانٌ حقير ، تعجز الكلمات عن وصف ما بلغ من الحقد والنذالة والحقارة والخِسة. ذلك أنه بلغ في هذه الصفات مبلغاً عظيماً للغاية ولا أزيد. سولتْ له نفسه الحقيرة أن يتطاول على من سخره الله له فعلمه بعد جهل: فأصبح بذلك أعق تلميذ لأكرم معلم. (ولا أزكّي هذا المعلم على الله بل أحسبه هكذا). لقد أعطاه ذلك المعلم ما تعجز الكلمات عن وصفه من الرعاية ومن الجود والأخلاق الكريمة ، ومن العلم النافع والأدب الجم والأهل. فأخذ ذلك السفيه الوغد يسب معلمه ويرفع يده عليه يريد نهره ولكزه وضربه (معاذ الله أن ينال من المعلم إلى هذه الدرجة وإلى هذا الحد). وأخذ ذلك المعتوه الحاقد يزيد حبات الطين بلة برفع يده عالياً يلوح بها لمعلمه. ألا شلت الأيدي التي ترد الجميل بالإساءة. أخذ يلوّح بيده لمن يده قد سخرها الله له فأغنته بعد فقر. ولرجل مكّن له في الأرض بعد شتات وأعزه بعد مذلة وآواه بعد أن كان مأواه كل رصيف وشارع ، وجاد عليه بكل ما يملك. ووهم الحاقد العربيد الجبان أن الحقيقة يمكن أن تموت. وكم قدّم المعلمُ السماحَ من قبل مراتٍ مماثلة رجاء أن يمنّ الله عليه بالهداية. ولكن دون جدوى ازداد المجرم إجراماً. وإذا بالقشة التي قصمتْ بظهر بعير العلاقة والتي ناء بها التعارف ، وقيل: يا أيتها العلاقة ابلعي مودتك ، ويا قرابة انتحري وقضي الأمر وانتهت المشادة السبابية التطاولية الملعونة بالفراق الذي ليس بعده وصل وبالاختلاف الذي ليس وراءه اتفاق ، واستوت سفينة هذه المعرفة على جبل البغض في الله حتى يموت هذا المعلم المظلوم المهضوم الحقوق (إلا أن يشاء الله ويهدي ذلك الجافي المتجاوز لحدود الله تعالى). وقيل بُعداً لأقارب لم يراعوا حق القرابة ، ولمعارف لم يعرفوا حق التعارف ، ولرعاديد أوباش أراذل أخسة أنذال جبناء دخلوا حياة المعلم البائس المسكين ، فجنى بمعرفتهم الحنظل ، وتجرع المصائب والمحن والإحن والآلام. والخطأ خطؤه إذ افترض الخير فيهم وهم من غير أهله. (وهنا الطامة الكبرى أن يفترض زيدٌ ما من الناس من عمرو منهم ما ليس فيه. ترى يخدع من؟ إنه لا يخدع إلا نفسه!) فقرّبهم المسكينُ من نفسه ، وجعلهم صفوة من يعرف في هذه الدنيا ، وهم ذئاب بشرية في جثامين الإنس يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ويتكلمون بألسنتنا وهم من جلدتنا ، فلهم أسماء المسلمين وشعارات المؤمنين الموحدين. ولمّا كانوا على قلب رجل واحدٍ في العداوة والشر والبغضاء قام ذلك دليلاً عنده على هزال الصلة التي كان في حقيقتها مخدوعاً فيهم. ولن تموت الحقيقة أبداً. وسيعيش ذلك المعلم المخلص يحَفظ تلاميذه وأبناءه ومن يمت له بأي صلة نشيداً هو (وكن للناس ما كانوا لخالقهم) ويحذرهم من أن يفترضوا واقعاً وصفات حميدة جليلة في أنذال أراذل هم عارون تماماً عن شيء من القيم. ولقد صبر ذلك المعلم المبتلى جداً على الدغاول والمصائب التي أنزلها به هؤلاء الجبناء. وعزاء هذا البائس: أن الله يسمع ويرى ، وأن الله يستجيب دعاء المظلوم ويقسم بذاته العظيمة بأن ينصرها ولو بعد حين. وعلى الله جزاء المفترين الحاسدين الحاقدين. ويخاطب هذا المغرور (الطاووس) فيسأل: إلى متى الغرور واستعباد الناس؟ وإلى متى النفخة الإبليسية الملعونة الكاذبة؟ وإلى متى المعيشة في البرج العاجي والركون إلى الأوهام والآمال والأماني؟ وإلى متى إجبار عِباد الله على السير بالمنطق المتسافل عبر المنظومة الدجلية الممقوتة التي تفضي بهم جميعاً إلى جهنم والعياذ بالله. ويذكر ذلك المظلوم من تطاول عليه بالباطل فيقول: ألا تذكر أيها الحاقد الجبان جميل معلمك عليك يوم لم تكن شيئاً مذكوراً في المجتمع المريض الذي نعيش فيه؟ إن هذه القصيدة من قصائدي التي أفتخر بها ، إذ هي تمثل مرحلة تقييم جديدة وتخط

دراً هي الجديدة من نوعها للتعامل مع ثعابين الإنس وذئابهم. (وما اعتدينا إنا إذن لظالمون) ، (ذلك ومن عوقب بمثل ما عوقب به ثم بغيَ عليه لينصرنه الله. إن الله لعفو غفور). ولئن كنا في زمان العيال وموت الرجال ، فلقد يأتي زمان يُطالع فيه الأحفادُ فضلاً عن الأبناء ما صاغ الأجداد. فلا يسيرون على نفس الطريق الذي نزف الأجداد عليه الدماء وتمزقوا إلى أشلاء. بل يدركون الدرس العظيم ويستلهمون العبرة الثمينة. يقول الله تعالى: (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون). ومن هنا ينتصر هذا المعلم المظلوم عبر قصيدتي ، وقد جندتُ قلمي للدفاع عن قضيته. وأذكر معه وصية أبي جعفر الخطمي التي ينقلها عن جده عمير بن حبيب وكان بايع النبي - صلى الله عليه وسلم ، أوصى بنيه فقال لهم: (يا بني إياكم ومخالطة السفهاء فإن مخالطتهم داء ، وإنه من يحلم عن السفيه يسر بحمله ، ومن يحبه يندم ، ومن لا يقر بقليل ما يأتي به السفيه يقر بالكثير ، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر فليوطن نفسه قبل ذلك على الأذى وليوقن بالثواب من الله عز وجل ، إنه من يوقن بالثواب من الله عز وجل لا يجد مس الأذى). هذا ، وقد كان أحد الأعراب قد ذم حماره فقال: (الحمار بئس المطية . إن أوقفته أدلى ، وإن تركته ولى ، كثير الروث ، قليل الغوث سريع الفرارة بطيء في الغارة لا توقى به الدماء ، ولا تمهر به النساء ولا يحلب في الإناء). والشاهد من هذا كله أن هذا المعلم المفترى عليه يريد أن يقول لأبنائه ولأحفاده ولكل من يُطالع وصيته وهو يدخل من بوابة أبي جعفر الخطمي ومن بوابة الأعرابي ذام حماره ليقول للكل: (السفاء كالحمير إن وقفتم معهم كانوا وبالاً عليكم وأخروكم عن بلوغ الذرى والمُنى ، وإن تركتموهم ولوْا عنكم مدبرين وقد نقلوا عنكم للناس ما أنتم عنه عارون ، وقالوا لهم ما ليس فيكم وكتموا بذلك عن الناس خير سجاياكم. والسفهاء قليلو المروءة ، عديمو الوفاء. يتدينون بالسفه في القول والفعل والكلام. ليس عندهم شهامة ولا نخوة ولا مروءة ، لا يتورعون عن الكذب والنفاق والرياء والخداع ، ولا يغيثون ملهوفاً مستغيثاً ، ولا يَخفون إلى نجدة أو مروءة)! ونعوذ بالله من الجبن والرذالة والغش والنفاق والحقد والبخل والحسد والخسة. آمين)

حتـــى متـــى النـــذلُ بالأحقـــاد مشـــغولُ؟! إن الســـفيه - عـــن الأضـــغان - مســـؤولُ!

حتـــى متـــى شـــبحٌ يُغريـــه مـــا كســـبتْ يـــدُ الجبـــان ، فتغويـــه التماهيـــل؟

حتـــى متـــى شُـــبَهٌ تشـــوي جوانحَـــه والحِقـــدُ – مِـــن ثقـــلُ البلـــواء - مفتـــول؟

حتـــى متـــى تمحَـــقُ الظنـــونُ نيتـــه وتســـتبدُ برؤيـــاه الأضـــاليل؟

حتـــى متـــى يكتـــوي بنـــار حُرقتـــه هـــذا الحقيـــرُ ، وتعـــرُوه الأباطيـــل؟

حتـــى متـــى الغِـــل يســـري فـــي جوارحـــه والقلـــبُ بالغِـــل مَقبـــوحٌ ومـــرذول؟

حتـــى متـــى الظلـــمُ ترجيعـــاً يُـــردده؟ والظـــالمُ - الـــدهرَ - مَهـــدُورٌ ومَختـــول

حتـــى متـــى الـــبطشُ بالإنســـان دَيدنُـــه؟ والخَـــذلُ عـــارٌ ، ومَـــن يَخـــذلْ فمَخـــذول

ضـــاعتْ حقـــوقٌ ، ســـعيرُ الحيـــف بـــدّدها ... والقـــومُ - عـــن نصـــرة تُرْجـــى - مناكيـــل

وقطـــع البغـــيُ - بـــين النـــاس - آصـــرة ... فـــي ظلهـــا الحـــقُ للمظلـــوم مَكفـــول

وذبّـــحَ الجَـــوْرُ أعنـــاق الكِـــرام بـــلا ... حـــق ، كـــأنهمُ عِيـــرٌ مَهازيـــل

والحمـــقُ أودى بمـــا شـــاءتْ ضـــمائرُهم ... مِـــن الكرامـــة ، نِعـــمَ القـــومُ والجيـــل!

والمُوبقـــاتُ غـــدتْ دِرعـــاً يتيـــه بـــه ... مَـــن زادُ عيشـــته فينـــا الأقاويـــل

ولـــم تعـــدْ تُثقِـــل الإنســـانَ شِـــرعته ... والـــوزنُ ألـــبسَ ، والتقييـــمُ مَشـــكول

يـــا حاقـــداً غـــرّه فينـــا تســـامحُنا ... والجـــودُ إنْ دَعـــتِ الحاجـــاتُ مبـــذول

يـــا مُجرمـــاً قلبُـــه فـــي الجُـــرم مُـــرتكسٌ ... وفوقـــه خنجـــرُ الإجـــرام مَســـدول

شُـــلتْ يَمينـــك إذ تهـــوي علـــى رجـــل ... بـــالجود بـــالنفس والأمـــوال مشـــغول

كُـــف اللســـانَ إذ امتـــدت خنـــاجره ... إلـــى العفيـــف ، لســـانُ الغـــدر ضِـــليل!

هـــذي الحَقـــارة مَـــن يرضـــى فظاعتهـــا؟ ... إن الأصـــيل لمَـــا تأتيـــه مَغلـــول

هـــذا التطـــاولُ مَـــن يرضـــى بباطلـــه؟ ... لا يســـتوي عـــاطرُ الروْيـــا ومَـــدخول!

هـــذي الـــدناءة فـــي أخـــزى مَعالمهـــا ... وفـــي مَـــداخلها الرعنـــاءِ تفصـــيل

هـــذا الســـفولُ ، وأنـــت - اليـــوم - رائـــدهُ ... ومـــا لـــه سَـــببٌ يُرضـــي ، ومَـــدلول

هـــذا الســـقوط ، ولا شـــيءٌ يُبَـــرّره ... كـــلا ، ولا مَنطـــقٌ فـــي الحـــق معـــدول

هـــذا النضـــالُ لـــدحض النـــور مَهزلـــة ... لا حبـــذا ناضـــلٌ يُخـــزي ، ومنضـــول!

هـــذا التراشـــقُ بالألفـــاظ جارحـــة ... كأنهـــا أبـــيضٌ فـــي الحـــرب مَســـلول

هـــذا الـــتلاعنُ للأجـــداد قـــد رحلـــوا ... هـــل جـــاء بـــاللعن قـــرآنٌ وتنزيـــل؟

هـــذا التـــردي ، وقـــد طابـــتْ مَرارتـــه ... لمَيّـــتِ القلـــب ، مَـــن بـــالهزل موصـــول

هـــذه المَســـبة مَـــن فـــي الأرض شَـــرّعها؟ ... هـــل جـــاء بالســـب تـــوراة وإنجيـــل؟

هـــذي الرعونـــة للأرحـــام مَذبحـــة ... قضـــى ضَـــحِيتها بـــالبغي بُهلـــول

هـــذي الجهـــالات ، مَـــن يـــأوي لحَمأتِهـــا؟ ... وفـــي التلافيـــف للرائـــي تفاصـــيل

هـــذي الـــدغاولُ أجّجـــت الأوار بهـــا ... وفـــي الســـراديب تهتـــاجُ الأفاعيـــل

وأنـــت بالنفخـــة الكـــأداء مُـــدّرعٌ ... كـــأن (أبرهـــة) ، وتحتـــه الفيـــل

والأشـــرمُ الصِـــلُ يَجتـــاحُ الـــوغى حَرِبـــاً ... وفـــوق مَوكبـــه الطيـــرُ الأبابيـــل

ترمـــي الحجـــارة فـــي فخـــر وفـــي صـــلف ... مِـــن بعـــد مـــا ضَـــمّها للكيـــدِ سِـــجيل

تغشـــى النـــزالَ ، تخـــالُ الخصـــمَ مُرتجفـــاً ... وفـــي النـــزال أراجيـــفٌ وتزميـــل

جعلتْنـــي هـــدفاً فـــي كـــل خندمـــة ... وبعـــدُ أغـــراك تقســـيمٌ وتنفيـــل

مـــا ردك الســـن ، يـــا صـــعلوكُ عـــن سَـــفهٍ ... ومـــا اعتـــراك عـــن التقبـــيح تخجيـــل

وفـــرْقُ مـــا بيننـــا عقـــدٌ يُباعِـــدُنا ... ومـــا عـــداهُ فتـــوقيرٌ وتزييـــل

ومـــا اســـتحيت ، فللأســـتاذ هيبتُـــه ... وخـــاطرُ الشـــهم مَرهـــوبٌ ومَـــأمول

ومـــا احترمـــت مشـــيباً زارَنـــي عَجـــلاً ... ومـــا سَـــبا العقـــلَ تـــرجيحٌ وتفضـــيل

ومـــا اشـــتريت كرامـــاتٍ عبثـــت بهـــا ... كـــأن عقلـــك – يـــا معتـــوه - مخبـــول

أشـــهرت ســـيفَ اعتـــداءٍ لـــيس يُشـــهرُه ... إلا الرعاديـــدُ ، والعُـــدوانُ مَهـــزول

أتعلـــنُ الحـــربَ يـــا غـــدَّارُ فـــي وَضَـــح؟ ... وســـيفُ غـــدرك فـــي الهيجـــاء مَصـــقول

نـــارٌ علينـــا ، وللأعـــداء قِطـــتهم ... تُـــذيبُ قلبَـــك فـــي البلـــوى التهاويـــل

غضـــنفرٌ أنـــت - إنْ حاربتنـــا - شـــرسٌ ... وأنـــت مِـــن صَـــولة الأعـــداء مَكبـــول

لـــن نشـــحذَ الرفـــقَ مِـــن قـــاس يُحاربُنـــا ... إنَّ الـــذليل - علـــى الهَـــوان - مَجبـــول

لـــن نركـــعَ اليـــوم إمـــا رُمـــتَ ذِلتنـــا ... ولا يُهـــددُنا يـــا وغـــدُ تـــذليل

نحـــن الكرامـــة فـــي أســـمى مَـــدارجها ... ودارُنـــا - رغـــم أنـــفِ المُعتـــدي - الغِيـــل

نحـــن الرشـــادُ ، فـــرَبُ النـــاس أرشـــدنا ... وتلـــك نِعمتُـــه ، والخيـــرُ مفضـــول

نحـــن الشـــجاعة جلـــتْ عـــن تســـامقها ... ونحـــن بـــالحق - فـــي الـــدنيا - بهاليـــل

لـــن نكـــتمَ الحـــقَّ مهمـــا طـــفّ بـــاطلكم ... نحـــن الأصـــولُ ، فهـــل تُـــزوى التآصـــيل؟

مهمـــا انحـــدرت إلـــى قعـــر الحضـــيض فمـــا ... مثلـــــي يُجرجـــــرُه للقـــــاع توحيـــــل

الوحـــلُ أنـــت ، ولـــي الجـــوزاءُ مَركبـــة ... وإننـــــي عَلـــــمٌ ، وأنـــــت مجهـــــول

لا أمـــــدحُ الـــــنفسَ ، إن الله أعلـــم بـــــي ... وذِكـــــرُ نِعمـــــة رب النـــــاس مَقبـــــول

لكـــــنْ أعـــــدّد فضـــــل الله محتســـــباً ... وذاك للآيـــــــة الزهـــــــراء تأويـــــــل

إنـــــي أحـــــدّث بـــــالتكريم جمّلنـــــي ... وللمليـــــك بشـــــعري العـــــفِ تبجيـــــل

فهـــــل رُئيـــــتَ شـــــريفاً طـــــابَ مَحْتِـــــدُه ... بـــــل كـــــل مـــــا تـــــدعي يـــــا نـــــذل تضـــــليل!

وهـــــل نثـــــرت علـــــى الأصـــــهار مـــــا نثـــــرتْ ... يـــــدُ الجـــــواد؟ ونكـــــرُ الخيـــــر تبطيـــــل!

وهـــــل خصصـــــتَ بشـــــيء فيـــــه مَنقبـــــة؟ ... أم عالـــــة أنـــــت مَمجـــــوجٌ ومَملـــــول؟

وحامـــــلٌ هَـــــمَّ خلـــــق اللهِ مُحتـــــرمٌ! ... لكـــــنّ مثلـــــك يـــــا دُهقـــــانُ مَحمـــــول

وإن قصِـــــدت لأمـــــر فيـــــه بـــــذلُ عطـــــا ... فـــــإن جُـــــودَك تســـــبيط وتكســـــيل

وإن أتـــــاك مَعُـــــوز كـــــي تُبلغـــــه ... حـــــارَ المعـــــوز ، وأزتْـــــه العقابيـــــل

فـــــي نفســـــك الشـــــحُ ، والتقتيـــــرُ مَـــــدخرٌ ... والاعتـــــذارُ بمـــــلء الفـــــمّ مَعســـــول

دنـــاوة مـــا لهـــا فـــي النـــاس مِـــن شـــبهٍ ... والفهـــــمُ مُنعـــــدمٌ ، والفكـــــرُ مَتبـــــول

وخِســـة مـــا لهـــا فـــي الأرض مِـــن مَثـــل ... ونيـــــة خبثـــــتْ ، والعـــــزمُ مبتـــــول

ونفخـــــة تعتـــــري شخصـــــية حُبســـــتْ ... فـــــي غيّهـــــا ، وبهـــــا الإحســـــاسُ مقتـــــول

وســـــافل دَنـــــسَ الشـــــيطانُ عالمـــــه ... أواه ، كـــــم يَـــــذبحُ الإنســـــانَ تســـــويل!

وراغـــبٌ عـــن هُـــدى الـــرحمن مُـــرتكسٌ ... فـــي حَمـــأة المـــال مَغمـــوسٌ ومَمقـــول

والعنجهيـــــة فـــــي دنيـــــاك أغنيـــــة ... تشـــــدو بهـــــا غـــــرداً ، والقلـــــبُ مجـــــذول

والحمـــقُ طبعُـــك يـــا بـــؤسَ الألـــى صـــحبوا ... نـــــذلاً بضـــــاعتُه كِبْـــــرٌ وترهيـــــل!

والجهـــلُ أنـــت ، فـــلا عِلـــمٌ تتيـــهُ بـــه ... بـــين الخلائـــق ، بـــل جهـــلٌ وتجهيـــل

لـــولا ســـفولك لـــم ترفـــع يـــداً قطعـــتْ ... علـــى المعلـــم ، بـــئس الفعـــلُ والقِيـــل!

لـــولا تردّيـــك لـــم تنطِـــق بنابيـــةٍ ... تُشـــينك الـــدهر ، إنّ العقـــل معلـــول

أتنكـــرُ الفضـــلَ قـــد جـــادَ الأصـــيلُ بـــه؟ نـــــورُ الحقيقـــــة لا يُخفيـــــه تخييـــــل

شـــتان بـــين عطيـــب القـــول مجتـــرئ وبـــين مَـــن قولـــه فصـــلٌ ومعقـــول!

تريـــدُني تبعـــا فـــي كـــل مَهزلـــةٍ بضـــاعتي إذ دعـــاني الحـــق تطبيـــل!

تمـــد كـــف الأذى بالشـــر مُشـــرعة وكـــل دَوري لهـــذي الكـــف تقبيـــل

منظومـــة لعنـــتْ يـــا غِـــر فـــي زمـــن قلـــتْ مَرابـــعَ صَـــرعاهُ المَكاييـــل

انـــزلْ مـــن البـــرج ، إن البـــرج مِـــن صَـــلفٍ حتـــى متـــى أنـــت مَخـــدوعٌ ومَعـــزول؟

النـــاسُ صـــنفان: مِطيـــاعٌ ومُبتـــدعٌ ولـــن يُفيـــدَك ترقيـــعٌ وتجميـــل

حـــدّد هويتـــك الرعنـــاءَ ، يـــا فسَـــقٌ ولا يَغـــرك تميـــعٌ وتمييـــل

إمـــا عبـــادة رب واحـــدٍ أحـــدٍ هـــو المُشَـــرّعُ ، مـــا للشـــرع تعـــديل

إنْ حَـــرّم الله شـــيئاً لا نقارفـــة ومـــا أحـــل لنـــا فـــنِعمَ تحليـــل!

يـــا مُســـتريبُ ، وإمـــا شـــرعُ مَـــن كفـــروا هـــل ذاك عنـــه ولـــيُّ الله مَغفـــول؟

واعـــرفْ مصـــيرَك: إمـــا النـــارُ مُوصـــدة أو جنـــة بحُلاهـــا البَـــر مَشـــغول

كـــم قـــد دعونـــاك للتقـــوى ، فمـــا نفعـــتْ! إذ لـــيس يعبـــأ بالتوحيـــد ضِـــليل

لمّـــا نباغثْـــك بالعـــدوان يـــا قـــذراً ولـــيس فـــي ســـيف شـــعري - الآن - تفليـــل

لـــئن بســـطت يـــداً بالغـــدر قـــد ملئـــتْ فبُـــؤ بـــإثمي كمـــا قـــد بـــاء (قابيـــل)

حتـــى تكـــون بنـــار الله مُصـــطلياً وقـــدوتي اليـــوم يـــا غـــدارُ (هابيـــل)

أجـــرى المليـــكُ علـــى يـــديّ مـــا كســـبتْ يـــداك يـــا غِـــر: هـــذا الطـــوْل والطـــول

كنـــتُ الســـراجَ ، أضـــاءَ الـــدربَ إذ حَلكـــتْ مِـــن بعـــد مـــا أخمـــدتْ فيهـــا القناديـــل

واليـــوم ترفـــع كـــف البغـــي كالحـــة! أمـــا الســـبابُ فمَقبـــوحٌ ومَســـمول!

الهِـــرُّ أنـــت إذا كانـــت مُواجهـــة مـــع العـــدو ، ففـــي الإرجـــاف مَحبـــول

وســـاعدُ النـــذل مَرفـــوعٌ يهـــددُنا وفـــي مُنازلـــة الأعـــداء مَشـــلول

شـــاب العيـــالُ بـــلا علـــم ولا أدب ... إذا رأيـــتهمُ قلـــت: الرآبيـــل

وهـــم صِـــغارُ عقـــول ، خـــاب مـــادحُهم! ... وهـــم إذا صـــحّت الرؤيـــا عطابيـــل

إذا أصـــابوا رأيـــت الكيـــدَ دَيـــدنهم ... وإنْ أصِـــيبوا فهـــم ـ صـــدقاً ـ مثاكيـــل

إن حـــدّثوا كـــذبوا ، أو عاهـــدوا غـــدروا ... والـــدَّيْنُ فـــي ذمـــة التســـديد ممطـــول

والخلـــفُ للوعـــد تـــاجٌ فـــوق أرؤســـهم ... ودربُهـــم هربـــتْ منـــه المناويـــل

أمـــا الخيانـــة: حَـــدِّثْ ، ثـــم لا حَـــرجٌ! ... عـــن الأمانـــة هـــم ـ صِـــدقاً ـ مَشـــاغيل

لـــم ألـــق مـــن بيـــنهم شـــهماً يُـــوقرني ... لأنّ أعيـــنهم عـــن حقنـــا حُـــول

هـــمُ الحثالـــة ، إن غـــابوا وإن حضـــروا ... هـــمُ النســـاء ، وفـــي الســـوق الخلاخيـــل

هـــمُ الأخســـة مهمـــا عَـــز بـــاطلهم ... لأنـــه عنـــد صَـــدع الحـــق مثلـــول

إن النفـــاق لكـــم دِيـــن يميّـــزكم ... وعنـــدكم يســـتوي جبـــتٌ (وجبريـــل)

وإنْ بـــدا لكـــمُ نفـــعٌ ومصـــلحة ... تـــأتون صـــاحبها ، والأمـــرَ تعجيـــل

حتـــى إذا مـــا انتهـــى شـــأنٌ ومَنفعـــة ... وتـــم للعِيـــر تمليـــكٌ وتحصـــيل

عِيـــبَ الـــذي كنـــتمُ ترجـــون نفحتـــه ... مِـــن بعـــدما شـــملَ الأوغـــادَ تخويـــل

خـــدعتُ فـــيكم ، ولـــم أنظـــر لعـــاقبتي ... حتـــى احترقـــتُ ، وأردتْنـــي الأباطيـــل

كـــم اخترعـــتَ حكايـــاتٍ مُلفقـــة! ... وأنـــتمُ فـــي افتـــراء الســـوآى مَقاويـــل

فـــي الافتـــراء أفقـــتم كـــل مُجتـــرئ ... وقـــد تَضـــيقُ بمـــا يَحكـــي التماثيـــل

ويَحفـــظ اللهُ مَـــن يغـــدو لكـــم هـــدفاً ... إنْ لـــم يُجـــرْه فـــذا بالكيـــد مَشـــمول

هـــو النفـــاقُ ـ مِـــن الأعمـــاق ـ أمقتُـــه ... ومـــا لـــه ـ عنـــدنا ـ إنْ عشـــتُ تأجيـــل

عهـــدٌ علـــيّ أعَرّيـــهِ وأفضـــحُهُ ... لأننـــي ـ مِـــن لظـــى أهليـــهِ ـ مَثكـــول

و(ابـــنُ الســـلول) فمَقتـــولٌ بمِقصـــلتي ... نهايـــة الـــدس والتغريـــر تقتيـــل

هـــذا العقـــابُ يُكـــافي مـــا جَنـــتْ يـــدُه ... والشـــعرُ سَـــيفٌ علـــى الأوغـــاد مَصـــقول

إن المنـــافق ـ مهمـــا عـــاشَ ـ مُفتضـــحٌ ... ولغـــز وَجهيْـــه ـ بـــين النـــاس ـ مَحلـــول

وســـــيفُ باطلـــــه لا بـــــد مُنـــــثلمٌ ... ويُـــــدْحرُ الكيـــــدُ فـــــوراً والتحاويـــــل

والشـــعرُ أنجـــعُ فـــي فضـــح الســـفيه ، لـــذا ... آثـــــرتُ سَـــــيفاً لـــــه بالشـــــعر تهليـــــل

أسَـــطرُ اليـــوم شِـــعراً مـــا أمـــرّ بـــه ... مِـــن الهـــوان ، وفـــي الأبيـــات تظليـــل

هـــذي الحقـــائق مِـــن قلبـــي أدونهـــا ... لكـــــي تُصـــــفيَها بعـــــدُ الغرابيـــــل

كـــي لا أرى الابـــنَ ينســـى سَـــبّ والـــدِه ... ولكـــــزهُ ، ومُهـــــينُ الشـــــهم مَـــــرذول

كـــي لا أرى الـــزوجَ تنســـى مـــا ابتليـــتُ بـــه ... مـــــن الإهانـــــة ، والتهديـــــدُ تنكيـــــل

كـــي لا أســـامحَ مَـــن حَثـــا التـــرابَ علـــى ... قـــومي ، فبعثرنـــي - فـــي الـــدرب - تطفيـــل

كـــــي لا أعـــــودَ لطعّـــــان يُجرّحنـــــي ... وكـــان لـــي فـــي الـــورى عِـــزٌ وتجليـــل

كـــــي لا أعـــــودَ للعّـــــان عـــــديم حيـــــا ... يَفـــري الفـــؤادَ علـــى التقبـــيح مَجبـــول

كـــــي لا أعـــــودَ لغـــــدار يُجرعنـــــي ... كـــــأسَ المذلـــــة ، إن الـــــذل منكـــــول

كـــي يقـــرأ الأهـــلُ والأحفـــادُ تجربتـــي ... مـــــع الأراذل ، حيـــــث القـــــالُ والقيـــــل

حيـــث الكرامـــة تبكـــي ذل صـــاحبها! ... أروي الحقيقـــة ، مـــا عنـــدي أقاويـــل

كـــي يعـــرفَ النـــاسُ أوباشـــاً وَثِقـــتُ بهـــم ... وهـــم - ورب الـــورى - بُهْـــمٌ مَناكيـــل

كـــي يعـــرفَ الخلـــقُ مـــا عانيـــتُ مِـــن غجـــر ... فِعـــالهم سَـــفلتْ ، والقـــولُ مَنحـــول

نـــزفُ الجـــراح غـــدا فـــي الشـــعر مُنتحبـــاً ... أمـــــا القـــــوافي ، فأضـــــنثْها الثآليـــــل

والحـــزنُ فـــي القلـــب ، والشـــكوى مُحَيّـــرة ... ولـــيس يُرجـــعُ مـــا قـــد ضـــاعَ تأميـــل

والعـــينُ دامعـــة تبكـــي مُصـــيبتنا ... ولـــــن يُطيِّبهـــــا - والله - تكحيـــــل

أمـــا الضـــميرُ فقـــد غاضـــتْ نضـــارته ... وقـــضّ مَضـــجعَها - فـــي الكـــرب - ترجيـــل

هـــذي المواقـــفُ خطـــتْ دربَ صُـــحبتنا ... والأمـــرُ فيهـــا - إلـــى الجبـــار - مَوكـــول

هـــذي البلايـــا علـــى أعصـــابنا ثقلـــتْ ... وكـــم تنـــوءُ بنـــا هـــذي المَثاقِيـــل!

هـــذي الـــدغاولُ فتـــتْ فـــي عَلاقتنـــا ... ولـــيس يُجـــدي - مـــع التـــدمير - تبتيـــل

أدمـــتْ خطانـــا ، ولـــم تـــرحمْ تغرّبنـــا وأعجلتْنـــا فمـــا فـــي الأمـــر تمهيـــل

وكللـــتْ بـــالأذى سَـــعياً يُجَمّعنـــا فبـــئسَ مـــا اقترفـــتْ ، وبـــئسَ تكليـــل!

وعطلتْنـــا عـــن الإســـلام نحرسُـــه فبـــئسَ مـــا صَـــنعتْ! وبـــئسَ تعطيـــل!

وكبلتْنـــا بقيـــدٍ مـــا لـــه شَـــبهٌ كـــلا ، ولـــيس لـــه فـــي الخلـــق تمثيـــل

ولا أقلـــل مِـــن وصـــفٍ يُحَـــدّدها إذ يقتـــلُ الوصـــفَ تهـــوينٌ وتقليـــل

وســـوف أقـــرأ هـــذا الشـــعرَ مُعتبـــراً والشـــعرُ يُتحِـــفُ إذ يَحـــدُوهُ ترســـيل!

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

الأضغان: أوساخ القلب. التماهيل: ج تمهيل وهو الإمهال والإملاء. الأضاليل: جمع ضلال. تعروه: تغره. مختول: مخدوع. الحيْف: الظلم . مناكيل: متقاعسون. أصرة: رابطة أو صلة. مكفول: مضمون. الجور: الظلم. عيرٌ مهازيل: أي حمير هزيلة. الأقاويل: سفاسف الأقوال. مشكول: مخلوط. ضليل: أي ضال. مدخول: معيب. السفول: السفالة. مدلول: مبرّر ومسوّغ. الأبيض: السيف. التراشق: المبارزة (والبادي أظلم ولا شك). المسبة: العار. الرعونة: القبح. بهلول: العظيم في عشيرته. الدغاول: المصائب. أبرهة: هو أبرهة الأشرم صاحب جيش هدم الكعبة. الصل: الثعبان. الوغى: الحرب. الطير الأبابيل: أي طيور متتابعة في صور جماعات عظام بعضها في أثر بعض من كل ناحية ، وأبابيل: إسم جمع لا واحد له من لفظه ، وقيل: واحدة إبالة وهي حزمة الحطب الكبيرة شبهت بها جماعات الطير في تضامّها. سجيل: السجيل هو الديوان المدوّن فيه عذاب الكفار ، واشتقاقه من الإسجال أي الإرسال. النزال: الحرب. تزميل: إخفاء ولف. خندمة: أي معركة. تنفيل: تقسيم الغنائم. تخجيل: حياء وخجل ولوم. عقد: عشر سنوات. توقير: احترام. مخبول: فيه الجنون والعته. الرعاديد: أراذل القوم. الهيجاء: الحرب. غضنفر: أسد. مكبول: مكبل مقيد. مجبول: مفطور. مدارجها أي درجاتها. الغيل: الأجمة تأوي الأسود. تسامق: علو وسمو. بهاليل: سادة شرفاء. طفّ: زاد وفاض. التآصيل: الأصول والدعائم. توحل: وحل الطين. تأويل: يتأول الآية أي أنه كان يفسرها. مَحْتده: أصله وشرفه. مَنقبة: شرف وسؤدد ومكانة. مملول: يمله الناس. تثبيط: حمْل الناس على التقاعس. العقابيل: الموانع. الشح: البخل. متبول: سقيم. مبتول: مقطوع حسير. تسويل: أي وسوسة الشيطان. ممقول: معمّى عليه مغموس مطموس البصيرة. العنجهية: العجرفة والقبح. مجزول:

فرحان. ترهيل: كسل عن معالي الأمور. القيل: أي الكلام والقول. المكاييل: أي المعايير والموازين. صلف: غرور. مِطياع: كثير الطاعة وهي صيغة مبالغة من طائع. فسق: فاسق. تمييل: ميل عن الحق وحمل الناس على ذلك. لا نقارفه: لا نقربه. مستريب: شاك. مغفول: مصروف حيل بينه وبين الحق. ضِليل: ضال. نباغتك: نفاجئك. تفليل: من فلل السيف أي ثلمه. قابيل: ابن آدم القاتل. هابيل: ابن آدم المقتول. الطوْل والطول: كناية عن العز والرغد في المعيشة والترف فيها. حلكت الدرب: أظلمت. مسمول: الكلمة مأخوذة من قول العرب عين مسمولة أي مفقوءة. محبول: وقع في الحبالة (الشرَك). الرآبيل: الأسود. عطابيل: النساء الجميلات فائقات كل حسن. مثاكيل: ج ثكلى ، وهي المرأة الكسيرة قد كسر فؤادها حزناً على ميت لها. ممطول: فيه مطل. المناويل: جمع منوال وهو ما نعني به معالم الدرب وعلامات الطريق. مشاغيل: مشغولون. أعين خُول: أي فيها حوَل بيّن يمنع هذه العيون من رؤية الحق وإدراك الصواب. السوق: السيقان. الخلاخيل: ج خلخال وهو ما تزين به المرأة ساقيها. مثمول: مهدم. الجبت: السحر أو الصنم. العير: الحمير. تخويل: أي تمليك. الأباطيل: الضلالات. السوأى: الباطل والسوء. مقاويل: ج مقول وهو من يجيد الكلام. التماثيل: ج تمثال. أمقته: أحتقره. مثكول: مجروح. ابن السلول: المقصود به هنا عبد الله بن أبي بن سلول شيخ المنافقين وصاحب الإفك لعنة الله تعالى عليه. مِقصلة: حَربة. الدس: هو افتراء القول. التغرير: الخِداع. مصقول: مشحوذ مسلول. التحاويل: محاولات وألاعيب الخداع. تطفيل: التلوث بوجه التراب كناية عن الذل والهوان. تجليل: احترام. مَنكول: بئيس. بُهْم: أي بهائم. الثآليل: جمع ثؤلول وهو الدمّل.

لا صُلـــــحَ على دخـــــن!

(صدق الله تعالى إذ يقول وقوله الحق: (والصلح خير). ولكنْ عندما يرى الناس أنه بالصلح تضيع الحقوق ، وتهدَر الكرامات ، وتتعرض الدماء للسفك بغير الحق ، وتهتك الأعراض ، ويتهم البرآء بدون جريرة أو أثارةٍ من دليل ، وتبرّأ ساحة المجرمين ، ثم يَعُد الناس هذا صلحاً على منهج: (من اليوم تعارفنا وننسى ما جرى منا * ولا كانا ولا صارا ولا كنتم ولا كنا)! فإنّ هذا ليس بالصلح ، بل هو تهور وفتنة. إذ العقلاء لا يُقرون بمثل هذا أبداً. ولقد صدق الدكتور منقذ بن محمود السقار عندما تناول المعروف وأهله في محاضرة له منها قوله بتصرف: (والأنبياء والرسل هم أسرع الناس إلى طاعة الله والعمل بما أمر واجتناب ما نهى عنه ، فهم الذين قضوا حياتهم في دعوة الناس وهدايتهم إلى خيرهم ، إذ حياتهم كلها بذل وتضحية ومعروف. فهذا إبراهيم الخليل ، بلغ هذه المنزلة بصِناعته للمعروف ، فقد روى البيهقي في الشعب بسنده إلى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يا جبريل لِم اتخذ الله إبراهيم خليلاً؟ قال لإطعامه الطعام يا محمد). وهذا موسى عليه السلام {ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير}. وقال الله على لسان عيسى {وجعلني مباركاً أينما كنت}. روى أبو نعيم وغيره بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في تفسيره للآية: (اجعلني نفاعاً للناس أين اتجهت. وكذا كان نبينا صلى الله عليه وسلم ، قيل لعائشة هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وهو قاعد؟ قالت: (نعم بعد ما حطمه الناس) أي بكثرة حوائجهم [مسلم]. ومن صور صناعته للمعروف صلى الله عليه وسلم ما جاء عن عبد الله بن جعفر قال: فدخل صلى الله عليه وسلم حائطاً لرجل من الأنصار فإذا جمل ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حنّ وذرفت عيناه ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه فسكت فقال: (من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتىً من الأنصار فقال: لي يا رسول الله فقال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه شكا إليّ أنك تُجيعه وتُدئبه) [أبو داود]. وكان السلف رحمهم الله أسرع الناس في صناعة المعروف وبذله: ومن ذلك ما ذكر من إنفاق الصديق وعثمان والزبير وأمهات المؤمنين وعبد الرحمن بن عوف ، وغيرهم ، وهذا يطول ذكره. ولما ولي عمر الخلافة خرج يتحسس أخبار المسلمين. ونعود من هذه التقدمة التفصيلية إلى الغر الخب الوبش الجبان الذي يطمح إلى الصلح المدخون الذي ليس فيه تفصيل ولا تحقيق ولا شروط! وإذن فعندما يتحقق الصلح بشروطه المعقولة من إعادة الحقوق إلى أصحابها ، وردع المعتدي المفتري المتجاوز لحدود الله ، وتحقيق مبدأ احترام الآخرين من ذوي الفضل والإحسان والحقوق ، هنا بل وهنا فقط يكون الصلح خيراً. أما الدخن والدغل في القلوب ، فإن هذا كله طريق للإفساد في الأرض بغير الحق كما أنه طريق إلى تعريض الدماء للسفك والأعراض للهتك والنوايا للاتهامات البغيضة المَهيضة المَريضة. أرسل هذه القصيدة لأحد السفهاء عندما تجاوز في حق رجل أحسن إليه ، وقسم داره وماله ووقته بينه وبين ذلك السفيه يوماً ، صابراً على أذاه ، محتسباً عند الله الأجر! وبعد تجاوز الثاني السفيه في حق الأول المُحْسن ، أراد الصلح بدون تفصيل ولا بيان ، فأبى الأول ذلك الصلح المَدخون المُغرض! وهنا أردتُ أن أبين لأحبتي القراء أن أي صلح بين اثنين أو جماعتين بدون تحقيق منصف عادل تطرح فيه كل الآراء ، ويظهر الجاني من المجني عليه يُعد صلحاً مدخوناً لا فائدة ترجى

من ورائه ولا خير يتوقع من حدوثه! وكل إنسان يصالح بهذا الأسلوب يكون أشبه بالطبيب الذي يضع المراهم والعطور على جرح قد ملئ بالصديد زاعماً أنه بذلك يعالج! لا ، بل الطبيب الحاذق هو الذي يخمش الجرح ويخرج الصديد أولاً ، ثم يضع المراهم والعطور ، بعد أن يكون الجرح قد انقشع عنه صديده! فأنشدتُ من شعري ، أحكي على لسان البريء هذه الأبيات!)

إن بينـــــي وبينـــــكَ التنـــــزيلا ... لستُ أرضى - عن هَدي ربي – بديلا

كـــم مللـــتُ الحيـــاة وفـــق هـــواكم! ... إنّ مِثلـــي ، لا ، لـــنْ يعـــيش ذلـــيلا

كـــم كرهـــتُ المُقـــامَ بـــين ذئـــاب ... تخِـــذتْ - مـــن ظلـــم الأنـــام - ســـبيلا!

كـــم لفظـــتُ الأرحـــامَ تغـــدو سُـــيوفاً ... وشـــــقاءً مُســـــتقبحاً مَـــــرذولا!

كـــم شـــجبتُ التجـــريحَ مـــنكم مِـــراراً ... وقشـــــعتُ سِـــــتارَه المَســـــدولا!

كـــم سَـــترتُ خِزيـــاً يُشـــينُ كِرامـــاً ... واحتملـــــتُ عذابَـــــه المَخبـــــولا!

كـــم رأيـــتُ الحقـــوقَ تُـــذبَحُ جَهـــراً! ... وذووهـــــا لا يُمْهَلـــــون قلـــــيلا!

كـــم رأيـــتُ الأخـــلاقَ تُـــوأدُ فـــيكم ... ورأيـــــتُ مَـــــن يُطفـــــئ القِنـــــديلا!

كـــــم رأيـــــتُ مبادئـــــاً تتـــــردى ... وعيونـــــاً عـــــن كـــــل خيـــــر حُـــــولى!

كـــم رأيـــتُ – بـــين الأنـــام - صـــريعاً ... مـــــن لظـــــاكم مستصـــــرخاً مغلـــــولا

كـــم رأيـــتُ – علـــى البســـيطة - طفـــلاً ... مســـــتغيثاً مشـــــرّداً مخـــــذولا!

كـــم أثـــرتُم – بـــين الخلائـــق - حربـــاً ... كـــان فيهـــا جُـــرمُ المُصـــاب وَبـــيلا!

كـــم ســـفكتُم دمـــاءَ كـــل بـــرئ ... مِـــن دمـــاه أمســـى الثـــرى مَبلـــولا!

كـــم رميـــتُم – بالمُوبقـــات – حَصـــاناً! ... كـــــم أهنـــــتُم مُكرّمـــــاً بُهلـــــولا!

كـــم هتكـــتُم عِرضـــاً عـــن الكيـــد أغضـــى ... ثـــم أضـــحى – مِـــن مَكـــركم - مَثكـــولا

كـــم فقـــأتُم عينـــاً بســـكّين حقـــدٍ ... ثـــم أمســـى إنســـانها مَســـمولا!

كـــم جَـــدعتُم أنفـــاً بـــدون احتـــرام ... وجعلـــــتُم تقطيعهـــــا تنفـــــيلا!

كـــم لعنـــتُم مِـــن مُـــؤمن دون حـــق ... وأحلـــــتُم معلومَـــــه مَجهـــــولا!

ليـــت شـــعري ، كيـــف افتـــريتم علينـــا ... وخـــــدعتُم – بالترّهـــــات – الجـــــيلا؟

ليت شعري ، كيف اجترأتُم ، ففقتُم ... أيها الحمقى – في الأذى – قابيلا؟!

آه من كيدٍ للصعاليكِ عاتٍ ... قد تمادى في غيّه مَمقولا!

آه مما قد يفتريه لئامٌ! ... أصبح المَكرُ جامحاً ضِلّيلا

أعلينا تحدّث الناس زوراً ... وتُحلّي خِداعكَ المَتبولا؟

أعلينا تشنُ حرباً ضروساً ... وتُناغِي حُسامكَ المسلولا؟

هل رخصُنا ، حتى تبيعَ وتشري ... وتُمنّي غرورَك المَختولا؟

خفِفِ الكيدَ ، نحنُ بالنذل أدرى ... ليس ما يأتي المُفتري مَغفولا

نحن أدرى بالأفعوان ، فأقصِرْ ... والتجني ، لا ، لن يدومَ طويلا

لا تُؤملْ صُلحاً يُشوّه حقاً ... ليس هذا – عند الورى - مقبولا

يُثمرُ الصلحُ ، إنْ نبشت جراحاً ... وكسحْت صَديدَها المَطفولا

ذاك شَرْطي ، وما اشترطتُ هُراءً ... وأراه يُوافقُ التنزيلا

إنَّ صُلحاً يَستهدفُ الحق صِدقاً ... لا كصُلح يَستنوقُ التمثيلا

حبذا الصُلحُ إنْ أعادَ حقوقاً ... كُبلتْ – عند المُعتدي – تكبيلا!

حبذا الصلحُ إنْ رأى العدلَ دربا ... ورأى إرجاعَ الحقوق رسولا!

حبذا الصلحُ إنْ أطل علينا ... بالتراضي مُفصّلاً تفصيلا!

حبذا الصلحُ منهجاً وطريقاً ... وانفتاحاً – بين الورى – مأمولا!

لكنِ الصلحُ دون كشف الخبايا ... يُفعمُ النفسَ حَسرة وخمولا

فتعلّمْ أنْ لا تُصالح عبداً ... قلبُه أمسى – بالجَوى - مَدخولا

لستُ أدعو إلى الخلاف ، كفاكم ... عن حياتي تخرّصاً ومَقِيلا

كم بذلتُ الخيرَ الذي لا يُبارى! ... وعطائي الفيّاضُ كان دليلا

لم أوَخرْ نصحاً يُقيمُ اعوجاجاً ... وعَجلتُ ، لم أصطنعْ تمهيلا

وأرادوا زعامـــــة ، قلـــت: مرحـــى ... وأرانـــــي فضـــــلتُهم تفضـــــيلا

فـــإذا بـــالمعروفِ يُهـــدَر عمـــداً ... ويُـــوارَى – تحـــت الثـــرى - متبـــولا

ويكـــــون رَدّ الجميـــــل هوانـــــاً ... وسِـــــباباً مُســـــتقذراً مَنحـــــولا

ويُجـــازى الإحســـانُ شـــراً وهضـــماً ... ويُقاسِـــــي أربابُـــــه التنكـــــيلا

لســـتُ أدري ، فـــيم التجنـــي علينـــا ... فنعـــاني الإجحـــافَ والتـــزميلا؟

ولمـــــاذا نكـــــرانُ كـــــل جميـــــل؟ ... هـــل غـــدا نكـــرانُ الجميـــل جميـــلا؟!

كـــل فضـــل يُجـــزى بسَـــب ولعْـــن! ... وعـــديمُ التقـــوى غـــدا مَفضـــولا

كـــل هـــذا – صِـــدقاً – كثيـــرٌ علينـــا ... عِـــوَجٌ هـــذا ينشـــدُ التعـــديلا

وانحـــرافٌ عـــن الصـــراط وربـــي! ... كـــم تحَـــدّانا أنفســـاً وعقـــولا

واســـتباحَ الأخـــلاقَ فـــي كـــل درب ... وتمـــادى – فـــي التُرّهـــات - طـــويلا

خانـــه تقـــديرُ الأمـــور ، فغـــالى ... ثـــم جـــافى ، إذ أخطـــأ التـــأويلا

ويريـــدُ صُـــلحاً بـــدون شـــروطٍ ... كفـــه مُـــدّتْ تشـــتهي التقبـــيلا

أيهـــا المَخـــدوعُ المُفـــتنُ ، فكّـــرْ ... واهجُـــر النجـــوى ، واطـــرح الإكلـــيلا

وتمعّـــنْ فيمـــا اجترحـــتَ ، وزنـــهُ ... لا تؤمِّـــلْ - عـــن فعـــل ذاك - بـــديلا

عُلّقـــتْ أحـــداث التعـــدي بصـــلح ... وارتجـــى الصـــلحُ مَنطقـــاً مَعـــدولا

إنـــه الحـــق بيننـــا ، لـــيس إلا ... ورَحـــى العـــدل تطحـــنُ التخيـــيلا

لا أريـــدُ صُـــلحاً بـــدون التصـــافي ... أو لقـــاءً بشـــبهةٍ مَوصـــولا

يـــزعمُ النـــاسُ أننـــا جـــدّ أهـــلٍ ... فلمـــاذا أضـــحى الربـــاط هـــزيلا؟

ولمـــاذا هـــذي الوشـــيجة زالـــت ... ثـــم أمســـى ضـــميرُها مَعـــزولا؟

فلـــئنْ كنـــا جَـــد أهـــل ، فأنصِـــتْ ... لكلامـــي ، واســـتبعِدِ التســـويلا

إن قـــولي فصـــلٌ ، ولـــيس بهـــزل ... بـــات ممـــا لاقيتـــه مَجـــزولا

وأراكَ الكـــــذابَ تطفـــــحُ زوراً ... أنـــت أخـــزى فِعـــلاً ، وأكـــذبُ قِـــيلا

لِـــمَ تخشـــى مِـــن اللقـــاء؟ أجبنـــي! بـــات لغـــز مـــا تـــدّعي مَحلـــولا!

أنـــت تســـعى لكـــي تكـــونَ مُطاعـــاً ومُهابـــاً نهـــدِي لـــك التبجـــيلا

وتـــرى مَـــن أنجبـــتَ بعـــضَ مُلـــوكً وتـــرى الـــزوجَ بيننـــا العَطبـــولا!

أيهـــا الغِـــر زايـــل الكِبْـــرَ هـــذا وتحلـــلْ مِـــن رجســـه تحلـــيلا

واقـــرأ التـــاريخ المَريـــرَ جليـــاً وترسّـــلْ - فـــي دَرسـه - ترســـيلا

إن بســـطت كفـــاً تريـــدُ انتقامـــاً وســـللت لســـانك المصـــقولا

فأنـــا (هابيـــلُ) البـــريءُ ، فغـــامرْ مَـــن يُبـــاري – فـــي خُلْقـــه – (هـــابيلا)؟!

ثـــم كـــن مـــن أصـــحاب نـــار تلظـــى وتبيـــت - فـــي دَرْكهـــا - مَمقـــولا

حســـبنا الله المُســـتعان ، ويكفـــي ربنـــا خيـــرٌ كـــافلاً ووكـــيلا

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

التنزيل: القرآن الذي أنزله الله تعالى. المقام: المعيشة والإقامة. شجبت: أنكرت. توأد: تقتل. عيون حُولى: فيها حَوَل. البسيطة: الأرض. حَصان: هي المرأة المحصنة الشريفة العفيفة. بُهلول: هو السيد العظيم في قومه. عين مسمولة: مفقوءة. جدعتم: قطعتم للتشويه والتمثيل. تنفيل: مأخوذ من الأنفال ، ومعناه الإعطاء من الغنائم. قابيل: ابن آدم القاتل. هابيل: ابن آدم المقتول. ممقول: مغموس. ضِلّيل: ضال مضل. متبول: سقيم. مختول: مخدوع. مطفول: ملوّث بالتراب. الخبايا: جمع خبئ وهو الشئ المستور في أعماق النفس البشرية ليس يدركه الناس. الجوى: أنين القلب. مقيل: قول. تمهيل: إملاء وإمهال. منحول: مأخوذ من الغير بغير حق. التزميل: الإخفاء واللف. مدخول: معيب. التجني: هو التطاول. الجميل: المعروف. الترهات: الأباطيل. الإكليل: إناء توضع فيه الزهور والورود. تمعّن: تفرس وحاول جاهدا أن تدرك المعنى وحدك. اجترحت: جنيت. ارتجى: تطلب. رحى: طاحونة. جد: حقيقة. الوشيجة: الرابطة. التسويل: وسوسة الشيطان بالباطل. مجزول: قوي الحجة والبرهان في ذاته. لغز محلول: مكشوف معروف الحل. التبجيل: الاحترام والتقدير. من أنجبت: أي أولادك. العطبول: هي المرأة الجميلة المحترمة. تحلل: أي تحرر. ترسيل: هو القراءة بترسل وتأن وتمهل وتمعن. مصقول: من صقل سيفه إذا شحذه وأعده. خلقه: أخلاقه. يباري: يحاول التظاهر. غامر: أي خاطر. سللت لسانك: أي أطلقت له العنان ليشتم ويسب ويفحش ويلغو كما يهوى دونما حياء.

فإذا أمن بعضكم بعضاً!

(عجيبٌ أمر أغلب قراء زماننا! إن هذا الأغلب يعكس صورة مغايرة تماماً لما ينبغي أن يكون عليه صاحب القرآن! وأصبحت قصصهم ومثالبهم لا تُعد ولا تُحصى! وعلى النقيض من ذلك هناك قراء أثبتت أفعالهم وأقوالهم بأنهم كالصحابة يعيشون في غير زمانهم! أما مرتزق قصيدتنا فهو أحد المتكسّبين المرائين بالقرآن ، كان قد استأجر داراً عند أحد طلبة العلم. وتعلل في نهاية كل شهر بأنه غير قادر على سداد الإيجار ، فأمهله الرجل لثلاثة أشهر! وطبيعي أن يعجز عن أدائها مجتمعة! ذلك أنه إن كان يعجز عن سداد كل شهر منفرد ، فكيف إذا اجتمعت الشهور؟! فجاءه صاحب الدار بورقة وقلم ليكتب الدين ويثبته ، امتثالاً للآية الكريمة التي هي أطول آية في القرآن (آية المداينة) ، فاكتبوه! فقال المستأجر: فإذا أمن بعضُكم بعضاً! وأراد بذلك تحويل الدين إلى أمانة بينه وبين صاحب الدار! فاحترم الرجل النص القرآني وقبلَ بالتحويل ، ولم يكن يدري بأن المتكسب المرتزق أراد فقط إهدارَ الدَين وإضاعة الأمانة وأكْلَ المال! حيث أثبتت الأيام أنه أنكرَ الإيجارَ والدَين معاً! فتعجبَ الرجل من هذا القارئ للقرآن ، والقرآن لا يُجاوز ترقوته! نعم لا يُجاوز ترقوته ، فلا ينزل ذلك القرآن إلى القلب ، كما لا يصعد إلى العقل ، ولا يستقر في الضمير ، ولا يعمل في الوجدان ، ولا يؤثر بتاتاً في السلوك ، ولا يهيمن أبداً على التصرف ، ولا يسيطر ولو يسيراً على العاطفة ، ولا يضبط الإحساس! فأسفَ الرجلُ على حال هذا القارئ المرتزق الذي كان ينبغي عليه أن يلتزم بالنص الذي ساقه في مداينته ليكون حُجة له لا عليه يوماً ما! وأسأل: لماذا أخذ فعلَ الشرط ، وغض الطرف عن جواب ذلك الشرط في الآية؟ (فإذا أمِن بعضُكم بعضاً فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه)! ربما يكون جواباً له أن يتعلل بأن (إذا) أداة شرط غيرُ جازمة! ونحترم اجتهاد العلامة ابن عثيمين تاج رؤوسنا ودُرة علمائنا وبقية سلفنا حيث اعتبر أن هذه الآية ناسخة لآية المداينة قبلها ، متابعاً في ذلك سلفه العلامة الحافظ ابن كثير – رحمه الله -! وزاد المبلة طيناً بأن أتى المرتزق بشفيعين ليُثبت لصاحب الدار أنه على شفا الإفلاس ولا يستطيع السداد ، وإنما أراد بذلك أن يُحرج الرجل أمام الضيفين ، واختار أن يكون اللقاء في داره. والمرء في داره لا بد من أن يلين ويتنازل كثيراً! فقال لهم: أترك هذا الدين لله تعالى وأتنازل عنه في حالةٍ واحدة هي عجزه التام عن السداد. وأما إن تمكن وأصبح مستطيعاً فالدينُ لي! ففرح ثلاثتهم واعتبروا المهمة قد نجحت. وذكر الضيفان الشرط واحترماه! ولكن المرتزق نسي أو تناسى الشرط الذي قطعه الرجل! وهذا أيضاً طبيعي! لماذا؟ لأنه تناسى شرط الخالق عز وجل: (فليؤد الذي اؤتمن أمانته) فهل يفي بشرط المخلوق: (إن تيسر حاله فالدين لي)؟! ومرّت الأيام ، وتمكن المدين من العمل وامتلك المال ، ولكنه بخل عن أداء الدين ، لأنه من البداية كان مُتلاعباً مُحتالاً ليس إلا! والتقى الدائن بأحد الضيفين قدَراً بعد سنة ، وسأله قائلاً: لقد تيسرت حال مدينك فهل وفى دَينه وأدى أمانته؟ فقال الرجل: لا وربي! فعرض عليه الجلوس ثانية فقال: لا فلقد رفعتُ الأمر وقدمتُ الشكوى لله رب العالمين ، وأرجأتُها إلى يوم القيامة! فختم الرجلُ الكلام بالثناء على الله تعالى قائلاً: ونعم بالله! والحقيقة أن مرتزق قصيدتنا قد قرأ نصاً من القرآن ألزم به نفسه ظاهرياً وهو في الحقيقة لا يعرف عنه شيئاً! قال ابن عثيمين تعليقاً على الآية: (فإذا أمن بعضكم بعضاً) ما نصه: (ومن فوائد الآية الكريمة: أنه إذا حصل الائتمان من بعضنا لبعض لم يجب رهن ولا إشهاد ولا كتاب ؛ لقوله: فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ؛ ولهذا قال كثير من العلماء: إن هذه ناسخة لما سبق من قوله: (إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ) وقوله:

(وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ) ، وقوله هنا: (وإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ) (فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ) ، وأنه عند الائتمان لا يجب شيء من ذلك! ولكن القول بأنها ناسخة على سبيل العموم فيه نظر ، ولو قيل: إنها ناسخة فيما ليس فيه الخطر لكان له وجه ، يعني: فيما جرت العادة بالتبادل فيه بدون إشهاد ولا كتابة لكان قولًا لا بأس به ، أما أن نجعله في الأمور التي فيها الخطر ، عقارات أو ديون كثيرة عظيمة تحتاج إلى كتابة أو إشهاد ، فالقول بأن هذه الآية ناسخة ، في النفس منه شيء ؛ ولهذا اعترض بعض العلماء على القول بأنها ناسخة وقال: كيف يكون ناسخة في سياق واحد أول الآية ثم يجيء آخرها ينسخ؟! ولكن هذا الاعتراض عليه اعتراض ، فها هو الصيام في آيتين ؛ الآية الأولى منهما تخيير ، والثانية إلزام ، يعني: فلا مانع من أن يكون النسخ في آيتين متجاورتين كما في هذه الآية. لكننا نقول: إنه إذا كان الشيء هامًا وله خطر ، فإن الكتابة قد تكون واجبة ، لا سيما إذا كان الإنسان يتصرف لغيره * ومن فوائد الآية الكريمة: وجوب أداء الأمانة على من ائتمن. ويتفرع من ذلك: تحريم الخيانة ؛ لقوله: (فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ) ، فإذا وجب أداء الأمانة حرُمت الخيانة ، كذا؟ * ومن فوائد الآية الكريمة: أنه لو تلفت العين بيد الأمين ، فإنه لا ضمان عليه ما لم يتعدَّ أو يُفرط ؛ لقوله: (فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ) ، فسماها الله أمانة ، والأمين يده غير متعدية ، فلا يضمن إلا إذا حصل تعدٍّ أو تفريط ومن التعدي: إذا أُعطي الإنسان أمانة للحفظ تصرّف فيها كما يفعل بعض الناس ، يُعطى أمانة للحفظ ثم يتصرف فيها ببيع أو شراء أو غير ذلك ، ويقول: إذا جاء صاحبها فأنا مستعد أن أعطيه ، نقول: هذا حرام لا يجوز ، لا يجوز لك أن تفعل هذا ، إذا أردت أن تفعل فاستأذن من صاحبها ، فإذا أذن لك صارت عندك قرضًا).هـ. ومقتضى كلام ابن عثيمين يورّط المرتزق ويجعل منه مَديناً مُؤتمناً وليس مَديناً فقط! وإذا كان هذا هو سلوك رجل قد استظهر القرآن فماذا يفعل العامي الذي لا يعرف كم سور القرآن؟! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أكثر منافقي أمتي قراؤها "ورواية أخرى" (أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها) رواه أحمد والبيهقي والطبراني وقال الأرناؤوط صحيح وهذا إسناد حسن. وقال الألباني في "السلسلة الصحيحة" 2 / 386 : ورد من حديث عبد الله بن عمرو وعقبة بن عامر ، وعبد الله بن عباس ، وعصمة بن مالك. قال البيقهي شارحاً: القراء: حفظة القرآن ومن يجيدون قراءته. وفي فيض القدير: أي الذين يتأولونه على غير وجهه ويضعونه في غير مواضعه ، أو يحفظون القرآن تقية للتهمة عن أنفسهم وهم معتقدون خلافه ، فكان المنافقون في عصر النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة ، ذكره ابن الأثير. وقال الزمخشري: أراد بالنفاق الرياء لأن كلا منهما إراد ما في الظاهر. وقال صاحب معاني الأخيار في مقارنة بين حال المنافق والقارئ المرائي: والله أعلم هذا نفاق العمل لا نفاق الاعتقاد ، وذلك أن المنافق هو الذي أظهر شيئاً وأضمر خلافه ، أظهر الإيمان بالله لله ، وأضمر عصمة ماله ودمه ، والمرائي بعمله الدار الآخرة ، وأضمر ثناء الناس وعرض الدنيا ، والقارئ أظهر أنه يريد الله بعمله ووجهه لا غير ، وأضمر حظ نفسه وهو الثواب ، ويرى نفسه أهلاً لذلك ، وينظر لعمله بعين الإجلال ، فلئن كان باطنه خلاف ظاهره صار منافقاً ، إذ المنافق بإيمانه قصد حظ نفسه ، والقارئ بعمله قصد حظ نفسه فاستويا في القصد ، ومخالفة الباطن والظاهر ، فاستويا في الإثم لاستوائهما في القصد والصفة ، فالمنافق راءى الإمام والسلطان وعوام المسلمين ، والمرائي راءى الزهاد والعباد ، وأرباب الدين ، والقارئ راءى الله عز وجل فصال بعمله ، وأعجب بنفسه ، وتمنى على ربه. وقال شارح كتاب الاستذكار لابن عبد البر: (إن القرآن قد يقرؤه من لا دين له ولا خير فيه ولا يجاوز

لسانه ، وقد مضى هذا المعنى عند قول ابن مسعود. وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير قراؤه تحفظ فيه حروف القرآن وتضيع حدوده. وذكرنا هناك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر منافقي أمتي قراؤها وحسبك بما ترى من تضييع حدود القرآن وكثرة تلاوته في زماننا هذا بالأمصار وغيرها مع فسق أهلها والله أسأله العصمة والتوفيق والرحمة فذلك منه لا شريك له).هـ. وبغض النظر عن الاختلاف حول إن كان نفاق اعتقاد أو عمل وما إلى ذلك. فالحديث مخيف .. مخيف جداً .. حتى بأخف معانيه. فيا قارئ القرآن احذر ، ولا تغفل غفلة تُفقدك العمل بالقرآن الكريم ، ومن فعل ذلك فقد فعل ما لا يجوز، ولم يأخذ بالقرآن ؛ لأن القرآن هو الذي أمر بالعمل بمقتضى نصوصه ؛ فقد قال الله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا). وقال تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا). وقال تعالى: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ). وقال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ). ولذلك فالعمل بالنصوص إعظامٌ للقرآن الكريم ، وترك العمل به ترك للإيمان به ، ومخالفة لأوامر لا ينبغي أن تُخالف طرفة عين. سَلِّم أمرك لله وتذكر أنه أخفى من دبيب النمل. فعليك بما وُصِيَ بِه صِدِّيق هذه الأمة. والقول بأن الحامل على ترك العمل بالأحاديث هو الحرص على ضمان المصداقية ، والخوف من الكذب أو النسيان. قول باطل ، وحجة داحضة ، وشبهة واهية يتذرع بها أهل الأهواء والجهالة ؛ فكل ما روي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مدوّن في المراجع مع رواته ، وقد نخله الجهابذة من علماء المسلمين ، وميزوا صحيحه عن ضعيفه ، وبينوا حال رواته ، ومن يصلح أن تأخذ روايته ومن لا يصلح ، فلا حجة فيما يتذرع به من يقول بهذا القول ، فالحديث محفوظ بحفظ القرآن ؛ لأنه المبين والشارح له ؛ فحفظ المبيّن ـ القرآن الكريم الذي تكفل الله بحفظه ـ يقتضي حفظ المبيِّن ، الذي هو الحديث النبوي ، ولذلك هيأ الله سبحانه وتعالى له من أفذاذ الأمة من وهبوه أعمارهم فقاموا بالواجب ، تنقيحاً وصحيحاً ، وكشفاً للكذب حتى أصبح مهيأ بين يدي الجميع. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: الذي يداوم على ذلك يذل له لسانه، ويسهل عليه قراءته ، فإذا هجره ثقلت عليه القراءة ، وشقَّتْ عليه. قال قوام السُّنَّة الأصفهاني رحمه الله: من إعجاز القرآن صنيعة بالقلوب ، وتأثيره في النفوس ، فإنك لا تسمع كلامًا غير القرآن منظومًا ولا منثورًا ، إذا قرع السمع خلص له القلب من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه تستبشر به النفوس ، وتنشرح له الصدور ، حتى إذا أخذت حظَّها منه عادت مرتاعةً قد عراها الوجيب والقَلَق ، وتغشَّاها الخوف والفرق ، تقشعرُّ منه الجلود ، وتنزعج له القلوب ، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها إعجاز القرآن. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: إنه لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله ، ولا بعشر سور ، ولا بسورة من مثله ؛ لأنه بفصاحته وبلاغته ووجازته وحلاوته ، واشتماله على المعاني الغزيرة النافعة في الدنيا والآخرة ، لا يكون إلا من عند الله الذي لا يشبهه شيء في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، وأقواله ، فكلامُه لا يُشبه كلامَ المخلوقين. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: القرآن فجميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة، عند من يعرف ذلك تفصيلًا، وإجمالًا ممن فهم كلام العرب ، وتصاريف التعبير ، فإنه إن تأملت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة ، سواء كانت مبسوطة ، أو وجيزة ، وسواء تكررت أم لا ، وكلما تكرر حلا وعلا ، لا يخلق من كثرة الردِّ، ولا يملُّ منه العلماء ، وإن أخذ في الوعيد والتهديد جاء منه ما تقشعرُّ منه الجبال الصُّمُّ

الراسيات ، فما ظنُّك بالقلوب الفاهمات ، وإن وعد أتى بما يفتح القلوب والآذان ، ويشوق إلى دار السلام ، ومجاورة عرش الرحمن ، كما قال في الترغيب: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ، وقال في الترهيب: (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ) ، وقال في الزجر: (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ) ، وقال في الوعظ: (أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ) ، إلى غير ذلك من أنواع الفصاحة والبلاغة والحلاوة ، وإن جاءت الآيات في الأحكام والأوامر والنواهي اشتملت على الأمر بكل معروف حسن نافع طيب محبوب ، والنهي عن كل قبيح رذيل دنيء...وإن جاءت الآيات في وصف المعاد وما فيه من الأهوال وفي وصف الجنة والنار ، وما أعدَّ الله لأوليائه وأعدائه من النعيم ، والجحيم والملاذ والعذاب الأليم ، بشرت به ، وحذرت وأنذرت ، ودعت إلى فعل الخيرات ، واجتناب المنكرات ، وزهدت في الدنيا ، ورغبت في الأخرى ، وثبتت على الطريقة المثلى ، وهدت إلى الصراط المستقيم ، وشرعه القويم ، ونفت عن القلوب رجس الشيطان. قال عبد الملك بن عمير رحمه الله: كان يقال: إن أبقى الناس عقولًا قَرَأَةُ القرآن. قال عكرمة رحمه الله: من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر ، ثم تلا: (لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا) الحافظ ابن رجب رحمه الله: قال بعضهم: مَنْ جَمَع القرآن مُتِّع بعقله. قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ، ولا تشغلوها بغيره. قال الإمام المقدسي رحمه الله: إن لم يحصل التدبُّر إلا بترداد الآية ، فليُردِّدها. قال محمد بن كعب رحمه الله: لأن أقرأ:(إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا) و(الْقَارِعَةُ) أردِّدهما ، وأتفكَّر فيهما ، أَحَبُّ من أن أبيت أَهُذُّ القرآن. قال الإمام النووي رحمه الله: وقد بات جماعات من السلف يتلون آية واحدة يتدبَّرونها ويُردِّدونها إلى الصباح. ردَّد الحسن البصري رحمه الله ليلة قوله تعالى: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) حتى أصبح ، فقيل له في ذلك ، فقال: إن فيها معتبرًا ، ما نرفع طرفًا ولا نردُّه إلا وقع على نعمة ، وما لا نعلمه من نِعَم الله أكثر. قال رجل لابن المبارك رحمه الله: قرأت البارحة القرآن في ركعة ، فقال: لكني أعرف رجلًا لم يزل البارحة يقرأ (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ) إلى الصبح ، ما قدر أن يجاوزها. يعني: نفسه رحمه الله. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لأن أقرأ البقرة في ليلة وأتفكَّر فيها أحبُّ إليَّ من أن أقرأ القرآن هَذْرمة. قال الحسن رحمه الله: نزل القرآن ليُتدبَّر ويُعمَل به ، فاتخذوا تلاوته عملًا. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: المطلوب من القرآن هو فهم معانيه ، والعمل به ، فإن لم تكن هذه هِمَّةَ حافظه لم يكن من أهل العلم والدين ، والله سبحانه أعلم. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: المقصود من تلاوة القرآن العمل بما دلَّ عليه. وقال رحمه الله: القراءةُ بالتدبُّر أعظم أجرًا ، ومن ثمار قراءة القرآن بفهم وتدبُّر يكون الأجر عند الله. قال وهيب بن الورد رحمه الله: لم نجد شيئًا أرقَّ لهذه القلوب ولا أشد استجلابًا للحق من قراءة القرآن لمن تدبَّره. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الإنسان إذا قرأ القرآن وتدبَّره كان ذلك من أقوى الأسباب المانعة له من المعاصي أو بعضها...وقال رحمه الله: مَنْ تدبَّر القرآن طالبًا منه الهدى تبيَّن له طريق الحق. قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: ومن أعظم ما يحصل به محبة الله تعالى من النوافل: تلاوة القرآن ، وخصوصًا مع التدبُّر. قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: لو أن قلوبنا طهرت ما شبعت من كلام الله. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قال الغزالي: يُستحبُّ البكاء مع القراءة وعندها ، وطريقة تحصيله أن يحضر قلبه الحزن والخوف بتأمُّل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد والوثائق والعهود ، ثم

ينظر في تقصيره في ذلك ، فإن لم يحضره حزن فَلْيَبْكِ على فقد ذلك ، وأنه من أعظم المصائب. قال إبراهيم بن يزيد النخعي رحمه الله: كانوا يكرهون أن يُصَغِّرُوا المصحف ، وكان يقال: عَظِّموا كتاب الله. قال سعيد بن المسيب رحمه الله: لا تقولوا مُصيحِف ، ولا مُسيجِد ، ما كان لله فهو عظيم حسن جميل. قال قوام السُّنَّة الأصفهاني: كم من عدوٍّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم من رجال العرب وفُتَّاكها أقبلوا إليه يريدون اغتياله ، وقتله ، فسمعوا آياتٍ من القرآن ، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول ، وأن يركنوا إلى مسالمته ، ويدخلوا في دينه ، وصارت عداوتهم موالاةً ، وكفرُهم إيمانًا. قال إبراهيم المقدسي (ت614) رحمه الله لرجل: أكثر من قراءة القرآن ولا تتركه ؛ فإنه يتيسَّر لك الذي تطلبه على قدر ما تقرأ قال الرجل: فرأيتُ ذلك وجرَّبْتُه كثيرًا ، فكُنْتُ إذا قرأتُ كثيرًا تيسَّر لي من سماع الحديث وكتابته الكثير ، وإذا لم أقرأ لم يتيسَّر لي. قال ابن مسعود رضي الله عنه: العسل شفاء من كل داء ، والقرآن شفاء لما في الصدور. قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: تلاوة القرآن تعمل في أمراض الفؤاد ما يعمله العسل في عِلَل الأجساد. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد ،... شفاء ورحمة للمؤمنين ؛ أي: يذهب ما في القلوب من أمراض ؛ من شكٍّ ، ونِفاق ، وشِرْك ، وزيغ ، وميل ، فالقرآن يشفي من ذلك كله ، وهو أيضًا رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة ، وطلب الخير والرغبة فيه ، وليس هذا إلا لمن آمن به ، وصدَّقه واتَّبَعه ، فإنه يكون شفاءً في حقِّه ورحمةً. قال ابن مسعود رضي الله عنه: لا ينبغي أن يسأل أحدكم عن نفسه إلا في القرآن ، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل. قال سفيان بن عيينة رحمه الله: مَنْ أَحَبَّ القرآن فقد أحبَّ الله. قال سهل التستري رحمه الله: علامةُ حبِّ الله ، حُبُّ القرآن. قال أبو سعيد الخراز رحمه الله: مَنْ أَحَبَّ اللهَ أَحَبَّ كلامَ الله ، ولم يشبع من تلاوته. أنزل القرآن بأشرف اللُّغات على أشرف الرسل في أشرف البقاع. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أنزل أشرف الكتب بأشرف اللُّغات على أشرف الرسل بسفارة أشرف الملائكة ، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض وابتدأ إنزاله في أشرف شهور السنة ؛ وهو رمضان ، فكمل من كل الوجوه. قال رجل لعبد الله بن المبارك: يا أبا عبد الرحمن في أي شيء أجعل فضل يومي؟ في تعلُّم القرآن ، أو في طلب العلم؟ قال الإمام الغزالي رحمه الله، آداب التلاوة: الأول: التعظيم للمتكلم ، فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة المتكلم ، ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر. الثاني: حضور القلب ، وترك حديث النفس ، وكان بعض السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية. الثالث: التدبُّر ، فالمقصود من القراءة التدبُّر ،...وإذا لم يتمكَّن من التدبُّر إلا بترديد فليُردِّد. الرابع: التخلِّي عن موانع الفهم ، فإن أكثر الناس مُنِعوا مِن تفهُّم معاني القرآن لأسباب وحُجُب أسدَلها الشيطان على قلوبهم...منها: أن يكون مُصِرًّا على ذنب ، أو مُتَّصِفًا بكِبْر ، أو مُبْتَلًى في الجملة بهوى الدنيا مطاع ، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه....وهو أعظم حجاب للقلب ، وبه حجب الأكثرون. الخامس: أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن ، فإن سمع أمرًا أو نهيًا ، قدَّر أنه المنهي والمأمور ، وإن سمع وَعْدًا أو وعيدًا فكمثل ذلك. السادس: أن يتأثَّر قلبُه ، قال وهيب بن الورد: نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ، فلم نجد شيئًا أرقَّ للقلوب...من قراءة القرآن وتفهُّمِه وتدبُّرِه. قال الحافظ البغدادي رحمه الله: قال ابن مسلم: كنا إذا جالسنا الأوزاعي فرأى فينًا حدثًا ، قال: يا غلام ، قرأت القرآن؟ فإن قال: نعم ، قال: اقرأ (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ) ، وإن قال: لا ، قال: اذهب تعلَّم القرآن قبل أن تطلب العلم. قال الحافظ البغدادي رحمه

الله: ينبغي للطالب أن يبدأ بحفظ كتاب الله عز وجل ؛ إذ كان أجلَّ العلوم ، وأولاها بالسبق والتقديم... فإذا رزقه الله تعالى حفظ كتابه ، فليحذر أن يشتغل عنه بالحديث. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: طلب حفظ القرآن...مُقدَّم في التعلُّم في حق مَنْ يريد أن يتعلَّم علم الدين من الأصول والفروع ، فإن المشروع في حق مثل هذا...أن يبدأ بحفظ القرآن ؛ فإنه أصل علوم الدين. قال الحسن بن عبدالعزيز بن ضابئ: من لم يردعه القرآن والموت ، ثم تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع. قال الإمام الذهبي رحمه الله: أبو بكر بن عياش ، روي من غير وجه عنه أنه مكث أربعين سنة أو نحوها ، يختم القرآن في كل يوم وليلة. قلت [القائل الإمام الذهبي]: إذا سمعت مثل هذا عن الرجل يعظم في عيني وأغبطه ؛ ولكن متابعة السُّنَّة أرفع ، فقد نهى صلى الله عليه وسلم أن يُقْرأ القرآن في أقل من ثلاث ، وقال: (لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث) صدق نبيُّنا صلى الله عليه وسلم ، فلعل هؤلاء ما بلغهم النهي عن ذلك ، والله أعلم. قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: وقد لبس على قوم بكثرة التلاوة ، فهم يهذُّون هَذًّا من غير ترتيل ولا تثبُّت ، وهذه حالة غير محمودة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم يَفْقَهْ مَنْ قَرأ القُرآنَ في أقَلِّ مِنْ ثلاثٍ. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: المستمع أقوى على التدبُّر، ونفسه أخلى وأنشط لذلك من القارئ ؛ لاشتغاله بالقراءة وأحكامها. قال الحافظ الذهبي رحمه الله: قال رجل لأبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه: أوصني يا أبا سعيد ، قال: عليك بذكر الله ، وتلاوة القرآن ، فإنها روحك في السماء ، وذكرك في أهل الأرض. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: الإفراط في سرعة التلاوة....يُنافي المطلوب من التدبُّر والتفكُّر في معاني القرآن. قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: مواعظ القرآن لأمراض القلوب شافية ، وأدلة القرآن لطلب الهدى كافية ، أين السالكون طريق السلامة والعافية...إن مواعظ القرآن تُذيب الحديد ، إن في القرآن ما يلين الجلاميد ، لو فهمه الصخر كان به يميد، إنه للقلوب النيرة كل يوم به عيد ، غير أن الغافل يتلوه ولا يستفيد. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: رفع الصوت بالقرآن بالليل مستحسن ؛ لكن محله إذا لم يُؤذِ أحدًا ، وأمِنَ من الرياء. قال ابن عباس رضي الله عنهما: من قرأ القرآن واتَّبَع ما فيه هداه الله من الضلالة ، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب. قال الحسن البصري رحمه الله: والله يا بن آدم ، لئن قرأت القرآن ثم آمنت به ، ليطولنَّ في الدنيا حزنك ، وليشتدن في الدنيا خوفك ، وليكثرن في الدنيا بكاؤك. قال الضَّحَّاك رحمه الله: أي مصيبة أعظم من نسيان القرآن. قال الإمام البغوي رحمه الله: سُمِّي القرآن قرانًا ؛ لأنه يجمع السور والآي والحروف. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن ، فإنه مناجاة له وهداية ، ولا هداية فيما سواه. قال الإمام الزركشي رحمه الله: اعلم أن سور القرآن العظيم مائة وأربع عشرة سورة ، وفيها يلغز ، فيُقال: أي شيء إذا عددته زاد على المائة ، وإذا عددت نصفه كان دون العشرين. روى البخاري – رحمه الله تعالى - عن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (مثلُ المؤمنِ الَّذي يقرأُ القرآنَ كالأُتْرُجَّةِ طعمُها طيِّبٌ وريحُها طيِّبٌ والَّذي لا يقرأُ كالتَّمرةِ طعمُها طيِّبٌ ولا ريحَ لها ومثلُ الفاجرِ الَّذي يقرأُ القرآنَ كالرَّيْحانةِ ريحُها طيِّبٌ وطعمُها مُرٌّ ومثلُ الفاجرِ الَّذي لا يقرأُ القرآنَ كمثلِ الحنظلةِ طعمُها مرٌّ وريحُها مرٌّ). جاء في الدرر السنية ما نصه: (كلامُ اللهِ المجيدُ له تأثيرٌ في باطِنِ العَبدِ وظاهِرِه ، وإنَّ العِبادَ مُتفاوِتون في ذلك ؛ فمنهم مَن له النصيبُ الأوفَرُ من ذلك التأثيرِ ، وهو المؤمِنُ القارئُ ، ومنهم مَن لا نصيبَ له ألبتَّةَ ، وهو المنافِقُ الحقيقيُّ ، ومنهم مَن تأثَّر ظاهِرُه دون باطِنِه ، وهو المرائي ، أو بالعَكسِ ، وهو المؤمِنُ الذي لا يَقرُؤه. وفي هذا الحديثِ دَعوةٌ

مِن رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لقراءةِ القرآنِ ، وحثٍّ على الانتفاعِ به ظاهِرًا وباطِنًا ، ونفعِ النَّاسِ به ، وقد ضرَبَ فيه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مَثَلًا يُقسِّمُ فيه الناسَ وعَلاقتَهم بالقرآنِ إلى أربعةِ أقسامٍ: القسمُ الأولُ: هو المُؤمنُ الذي يَقرَأُ القرآنَ ويَنتفِعُ به ، فيَعمَلُ بما يَقرَأُ ، ويَنفَعُ عِبادَ اللهِ ، وهذا شبَّهه رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بثَمَرةِ الأُتْرُجَّةِ ، وهو ثَمَرٌ جامِعٌ لِطِيبِ الطَّعْمِ والرَّائحةِ وحُسْنِ اللَّونِ ، ومَنافِعُه كَثيرةٌ. ويُسَمَّى في بَعضِ البُلدانِ بالأُترُجِّ ، وهو مِنَ الحِمْضيَّاتِ يُشبِهُ اللَّيمونَ ، وحَجمُه أكبَرُ من البُرتقالِ ، وقِشرتُه مُتعَرِّجةٌ. وأما القسمُ الثاني: فهو المؤمنُ الذي طاب باطِنُه لثَباتِ الإيمانِ فيه ، وقيامِه بالواجباتِ ، غيرَ أنَّه لا يَقرَأُ القرآنَ ، باستثناءِ الواجبِ منه كالفاتحةِ ، فشَبَّهُه رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بالتَّمْرةِ ؛ طَعْمُها حُلْوٌ ، ولا رِيحَ لها ؛ فاشتِمالُه على الإيمانِ كاشتِمالِ التَّمرةِ على الحلاوةِ ، بجامعِ أنَّ كِلَيهما أمرٌ باطنيٌّ ، وعدمُ ظُهورِ رِيحٍ لها يَستريحُ الناسُ لشَمِّه ؛ لعَدَمِ ظُهورِ قِراءةٍ منه يَستريحُ النَّاسُ بسَماعِها. وأما القسمُ الثالثُ: فهو المُنافقُ الذي يَقرَأُ القرآنَ ، ولا يُصلِحُ قلْبَه بالإيمانِ ، ولا يَعمَلُ به ، ويَتظاهَرُ أمامَ الناسِ أنَّه مُؤمنٌ ، فهو من حيثُ تَعطُّلُ باطنِه عنِ الإيمانِ واستراحةُ الناسِ بقراءتِه ، مِثْلُ الرَّيحانةِ لها رائحةٌ طيِّبةٌ وطعْمُها مُرٌّ ؛ فريحُها الطيِّبُ يُشبِهُ قِراءتَه ، وطعْمُها المرُّ يُشبِهُ كُفرَه. وأمَّا القسمُ الرابعُ: فهو المُنافقُ الذي لا يَقرَأُ القُرآنَ ، شبَّهه النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم من حيثُ تَعطُّلُ باطنِه عنِ الإيمانِ ، وظاهِرِه عن سائرِ المنافعِ ، وتلبُّسُه بالمضارِّ ؛ بالحنظلةِ ، حيثُ إنَّها لا رائحةَ لها ، وفيها ما فيها منَ المَذاقِ المُرِّ ؛ فانعِدامُ رِيحِها أشبهُ بانعدامِ رِيحِه لعدمِ قِراءتِه ، ومَرارةُ طعْمِها شَبيهٌ بمَرارةِ كُفرِه. وهذه التشبيهاتُ واردةٌ على التقسيمِ الحاصِرِ للنَّاسِ ؛ لأنَّ النَّاسَ إمَّا مؤمِنٌ أو غيرُ مؤمِنٍ ، والثَّاني إمَّا منافِقٌ صِرفٌ أو مُلحَقٌ به، والأوَّلُ المؤمِنُ إمَّا مواظِبٌ على القراءةِ أو غيرُ مواظِبٍ عليها. وقَولُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «يقرأُ القُرآنَ» على صيغةِ المضارعِ ونَفْيِه في قَولِه: «لا يقرَأُ» ليس المرادُ منهما حصولَها مرَّةً ونَفْيَها بالكُليَّةِ ، بل المرادُ منهما الاستمرارُ والدَّوامُ عليهما، وأنَّ القِراءةَ دأبُه وعادتُه ، أو ليست عادةً له. وفي الحَديثِ: فَضيلةُ حامِلِ القُرآنِ ، وفَضْلُ القُرآنِ على غيرِه من الكلامِ. وفيه: أنَّ المقصودَ مِن تلاوةِ القُرآنِ العَمَلُ ، كما دَلَّ عليه قَولُه (ويَعمَل به). فهل وعى هذه المعاني وتلك الأوصاف المرتزقة المتكسبون بالقرآن اليوم؟! من يقرؤون القرآن وقلوبهم في غفلة عن قيمه وأخلاقياته وشرائعه! وإنني لأعتذر عن طولين: طول مقدمتي وطول قصيدتي! كتبتُ فوصفتُ شعراً حال الدائن الضحية (موضوع قصيدتنا) وشكواه أمره إلى الله عز وجل! وأما الجزء الذي ساقه المرتزق ليخدع به صاحب الدار (فإذا أمن بعضكم بعضاً) ، فقد جعلتُه عنواناً لهذه القصيدة الانتصارية من كل مرتزق ، يتخذ آيات الله هزواً ولعباً ، ليخدع الناس ، ويُغيب معالمَ الحق! ويأكل أمـوال الناس بالباطل! إن له مع الموت موعداً لن يُخلفه!)

سَـــر قلبـــي قـــولُ المليـــك الكـــافي ... واطمأنـــتْ نفســـي بـــلا تِرجـــافِ

وابتشـــرتُ بـــالحق مـــا ضـــاعَ منـــي ... مـــا خسِـــرتُ (تحويشـــة) المُســـتاف

إن تعظيمـــــي الآيَ تُمْليـــــه تقـــــوى ... فـــي فـــؤادٍ يقفـــو خُطـــى الأســـلاف

كـــم لأجـــل الآيـــاتِ يَطـــرَبُ ســـمعي! ... كـــل نـــص لـــه جَـــلالٌ ضـــافي!

كـــم تَزيـــدُ الآيـــاتُ قلبـــي ثباتـــاً ... فيُـــرى فـــي عِـــز وفـــي استشـــراف!

كـــم تُسَـــلي الآيـــاتُ عبـــداً يُعـــاني ... فـــي الحيـــاة ظلمـــاً وســـوءَ اعتســـاف!

كـــم تُقـــوّي الآيـــاتُ هِمـــة عبـــدٍ ... كـــان يحيـــا مُشـــتت الأهـــداف!

كـــم تُعَـــزي الآيـــاتُ روحـــاً دَهاهـــا ... مـــا تُلاقـــي مِـــن جَـــور الاستضـــعاف!

كـــم تشُـــدُ الآيـــات أزرَ ضـــعيفٍ ... تـــاقَ دَهـــراً للعـــدل والإنصـــاف!

كـــم تـــرُدُ الآيـــاتُ شـــر سُـــلوكٍ ... لـــو تمـــادى وافـــى بمـــوتٍ ذعـــاف!

كـــم تُفيـــدُ الآيـــاتُ مَـــن يَجتبيهـــا ... ثـــم يتلـــو بالمَـــدمع الـــذرّاف!

كـــم عجبـــتُ مِـــن مَعشـــر لـــم يُبـــالوا ... عنـــدما ســـاقوا الآيَ باســـتظراف!

جعلوهـــا عنـــد التلاحـــي سِـــتاراً ... هـــل يُـــداري الخِـــداعَ أيَ سِـــجاف؟!

جئتنـــي يـــا هـــذا تُـــؤجّرُ بيتـــاً ... مُســـتفيداً مِـــن جيـــرة المِضـــياف

قلـــتُ: مَرحَـــى ، وانصَـــعتُ أبـــذلُ خيـــري ... وابتـــذالي كـــان الـــدليلَ الـــوافي

وانطلقـــتُ أحْـــذِيك عاجـــلَ جُـــودي ... مُـــؤْثراً مـــا قـــدّمتُ مِـــن إســـعاف

باســـطاً كفـــي كـــي أراك سَـــعيداً ... ثـــم تحيـــا فـــي سُـــؤدَدٍ وطِـــراف

لـــك زللـــتُ الصـــعبَ سِـــراً وجَهـــراً ... حِســـبة للمَـــولى الجليـــل الكـــافي!

لـــك قـــدمتُ الخيـــرَ ، واذكـــرْ كلامـــي ... لـــم أعاملـــك مثلمـــا الأضـــياف

كنـــتُ أرجـــو بـــأن تكـــون صـــدِيقاً ... يُســـعدُ الـــنفسَ فـــي جميـــل ائـــتلاف

كـــم تعشـــمتُ أن تُقيـــلَ عَثـــاري ... وسْـــط جمْـــع لـــم يَـــدر مَعنـــى التصـــافي!

كـــم توسَـــمتُ أن تكـــون ظهيـــري ... فـــي اغتـــراب مـــا ذقـــتُ فيـــه انتصـــافي!

فـــإذا بـــي ألقـــاك أخـــذلَ خِـــب ... والـــدليلُ إنْ شـــئت لـــيس بخـــافي

لـــك بـــات الغـــدرُ المُبيّـــتُ سَـــمتاً ... وارتأيـــتَ وَهمـــاً لـــزومَ العفـــاف

ثـــم صـــار المَكـــرُ المُقـــزز طبعـــاً ... وانحـــدرتَ يـــا ســـيئ الأوصـــاف!

لـــم أقصّـــرْ وارجـــعْ ، وراجـــعْ ، ورجّـــعْ! ... بـــل قسَـــمتُ داري بـــلا إرجـــاف

زاعمـــاً أنـــي قـــد أتيـــتُ صَـــواباً ... بيـــد أنـــي بالغـــتُ فـــي الإجحـــاف

فعلـــى أهلـــي ضـــاقت الـــدارُ قطعـــاً ... كنـــتُ بـــين مُوافـــق ومُنـــافي

وســـعيرُ التـــوبيخ أدمـــى فـــؤادي ... بعِظـــاتٍ فاقـــت رَويَ القـــافي!

واصـــطليتُ بالنـــار تُصـــلِي إبـــائي ... وأشـــادَ الأهلـــون باســـتخفافي!

بينمـــا أنـــت تســـتطيلُ التجنـــي ... عنـــدما قـــد أوغلـــت فـــي اســـتنزافي

هـــل جـــزاءُ الإحســـان بـــات التشـــفي ... بهُـــراءٍ مـــاض كمـــا الأســـياف؟!

كيـــف شـــوّهت سُـــمعتي بـــين أهلـــي ... بـــافتراءٍ عـــاتٍ وزيـــفِ جـــافي؟!

بعـــدها قـــررتَ الرحيـــلَ ، وحقـــي ... مُهـــدَرٌ لمّـــا بـــاء بـــالإتلاف

لـــم تُصـــرّحْ بمـــا انتويـــتَ ، فكانـــت ... فتنـــة شـــبّتْ ، ثـــم حـــلّ التجـــافي

قلـــتُ: سَـــدّدْ إيجـــار بيـــتٍ ، وأحســـنْ! ... وكفـــى مـــا بـــددت مـــن آلاف!

قلـــتَ: مـــا عنـــدي ، والتريـــثَ أولـــى ... ريثمـــا أحظـــى بالرصـــيد الكـــافي

قلـــتُ: فاكتـــبْ دَيْنـــاً لـــه مِيعـــادٌ ... قلـــتَ: هـــذا أمانـــة بـــاعترافي!

واتفقنـــا ، والليـــلُ أرخـــى سُـــدولاً ... والشـــهيدُ الـــرحمنُ ذو الألطـــاف!

ثـــم مَـــرّتْ أيامُنـــا والليـــالي ... مِثـــلَ مَـــرّ الربـــاب بالإيجـــاف

لـــم تُسَـــدِّدْ ، ولـــم تُحَـــددْ مصـــيراً ... بـــل عَزمـــت علـــى الأذى بـــاحتراف

وأتـــى الضَـــيْفانُ كـــي يُحرجـــاني ... وافتتحْنـــا مَرثيـــة اســـتئناف

وادّعيـــت الإفـــلاسَ يُفقِـــرُ شـــهماً ... بـــات يحيـــا فـــي النـــاس دون الكفـــاف

وإذا بالضـــيفين شـــادا بشِـــعري ... ومَواضـــيعي ، والصـــدى ، والقـــوافي

يـــا تُـــرى مَـــن أهـــداهما بعـــضَ شِـــعري ... كـــي يقـــولا: يخلـــو مـــن الإســـفاف؟!

كـــي يقـــولا: مـــا فيـــه أخـــزى انحطـــاطٍ ... مـــا احتـــوى مـــن إكفـــا ولا إصـــراف!

إن هـــذا التنســـيق لا لـــيس يخفـــى ... ذات يـــوم علـــى الســـفيه الغـــافي

كيف تخفى عليّ تلك الأحاجي ... غصْتُ فيها حتى خِتام المَطاف!

إنما هذي المسرحية حِيكتْ ... عَبْر ليل مُستغلق الإسداف

باسطواناتٍ شرخُها لا يُوارَى ... وهْي تُزري بالسادة الأشراف

حِيَلٌ بَلهاء قد كشفتُ غِطاها ... ربما غيري يَحتفي بالهتاف

يُرفعُ المَدحُ في الحِوار شِعاراً ... ثم يأتي تحبيرُ الاستعطاف

فتناولتُ الأمرَ كان بليل ... يوم قلتَ: صدقْ صريحَ اعترافي

ليت شِعري ألم تُطالع جواباً ... فليؤدِ المَدينُ دون اعتساف

وليَخَفْ مِن رب الأنام احتساباً! ... مَن يُعيدُ الحقوق مِثلُ الكافي؟!

فإذا بالضيفين ذمّا كذوباً ... دَلسَ القولَ في بغيض اقتراف

عَزياني كلاهما في خِطابي ... ثم ساقا مِن سِيرة الأسلاف

قلتُ: كلا ، الأحوالُ يومٌ ويومٌ! ... ربما فاضَ المالُ بالأضعاف!

إنْ يعِشْ هذا العبدُ دَهراً فقيراً ... أسْقِط الدَينَ رحمة بالضعاف

هو في حِل إنْ دهتْه المَنايا! ... والأداءُ بَذلُ الرضا والتصافي

لكنِ الدَينُ إنْ تيسَّرَ حالٌ ... ثابتٌ لا يَعرُوه أيُ اختلاف!

إنه الشرط واضِحٌ ليس يَخفى ... والنصوصُ تأوي إلى الوقاف!

فلماذا بالذكر تلعبُ جهراً ... وتُماري كمُثبتٍ أو نافي؟!

لمَ هذا الجدالُ يُذهبُ وُداً ... وبه لا يسمو الإخاءُ الصافي؟!

مثلما تتلو الذكرَ حَكّمْه دوماً ... إنَّ في القرآن الدواءَ الشافي

اقرأ (الشورى) تغدُ فينا فقيهاً ... وتأمّلْ في سورة (الأعراف)!

آية الدَين فيصلٌ في القضايا ... والبقايا في سُورة (الأحقاف)

واحذر العُقبى ، تلك أغلى الوصايا ... واتلُ ذكرى في سورة (الإيلاف)!

لا تُردِدْ آياً بدون اعتبار ... مثلَ ترديدِ الجُعظري الهافي

كـــن قرانـــاً يمشـــي علـــى الأرض هونـــاً ... يُتحِـــفُ الـــدنيا غايـــة الإتحـــاف

لا تُخـــادعْ بـــالآي ترجـــو ارتزاقـــاً ... قـــد يَبـــوءُ ختـــلُ الـــورى بانكشـــاف!

هـــل خِـــداعُ الآنـــام يبقـــى طـــويلاً؟ ... كـــم يُقاســـي الخَـــدّاعُ بـــأسَ انجـــراف!

أدّ دَينـــاً أمســـى عليـــك لِزامـــاً ... دَعـــك مِـــن شُـــورى الصـــحب والأضـــياف!

صِـــرت فـــوراً علـــى الســـداد قـــديراً ... لا تُسَـــعّرْ نـــارَ الهـــوى والخِـــلاف!

وامتثـــلْ مـــا قـــال المُهـــيمنُ ، واعقِـــلْ ... سُـــقتُ نصـــحي بـــدون أدنـــى ازدلاف

أو نكـــونُ يـــوم الحســـاب خُصـــوماً ... إنَّ بَـــدءَ الرُجعـــى بمـــوتٍ ذعـــاف!

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

المليك الكافي: الله رب العالمين. ترجاف: رعشة وارتباك. ابتشرتُ: سعدت وتباشرت. تحويشة: من العامية المصرية ومعناها المال المدخر. المستاف: الرجل ذهب عنه كل ماله. الآي: الآيات القرآنية. تُمليه: تؤكده وتوجبُه. الأسلاف: سلف الأمة المسلمة المباركة. أجِلّ: أعظم وأوقر. جلال ضافي: احترام وتوقير شديدان. استشراف: شرافة وكرامة وعزة. اعتساف: ظلم. جَور: ظلم. تاق: تطلع. موت ذعاف: أي عاجل. يجتبيها: يفضلها ويختارها. المدمع الذراف: العين الكثيرة البكاء. لم يُبالوا: لم يهتموا. التلاحي: شدة الجدال. سِجاف: ستار. المِضياف: كثير استضافة الناس. مرحى: مرحباً. ابتذالي: تفانيّ في خدمة فلان. سؤدد وطراف: شرف وعزة وكرامة. زللتُ: سهلت. حِسبة: احتساباً للأجر عند الله تعالى. الجليل الكافي: الله رب العالمين. تُقيل عَثاري: تعينني في الصعاب. خِب: مخادع مخاتل. المقزز: أي الذي تشمئز منه النفس. إرجاف: تردد في اتخاذ القرار. الإجحاف: الظلم. التوبيخ: اللوم الشديد. روي القافي: هو الكلام لا تُفهم معانيه. اصطليت: احترقت. التجني: الادعاء الذي لا دليل عليه. عاتي: شديد. التريث: التمهل ، والمعنى المراد هنا هو إنظار المعسر. مر الرباب: مر السحاب ، والرباب هو السحاب السريع المرور في السماء. السفيه العافي: أي الأحمق الذي لا يُعتد به ولا يُؤخذ برأيه. حِيكت: دُبرت. مستغلق الإسداف: شديد الظلام. اسطوانات: من دارجة أهل مصر ، والمعنى هي الكلمات يُستهل بها حوار ما من أجل تسهيل المرور والتوضيح. دلسَ القول: خلطه بالكذب والتلفيق. عزياني في الخطاب: أحرجاني فيه لحملي على النزول على رغبتهما والقول بقولهما. دهته المنايا: ابتلاه الله تعالى من عنده بالمصائب والمحن التي لا طاقة له بها. الوقاف: الذي يقف نفسه عند نصوص القرآن والسنة فيُحِل ما أحلت ويُحرم ما حرمتْ. الشورى والأعراف والأحقاف والإيلاف: أسماء بعض سور القرآن الكريم. الجعظري الهافي: الرجل غليظ الطباع خشن التعامل لا خير يُرتجى من ورائه. ختْل: خِداع. ازدلاف: هو التزلف والتقرب والملاينة لتهوين أمر ما وخاصة عند الصلح والإصلاح. الرجعى: الرجوع إلى الله (إن إلى ربك الرجعى).

من خدعنا بالله انخدعنا له!

(كانت هذه كُليمات قالهن الفاروقُ الملهمُ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وذلك في خطبة الخلافة واستهل الفاروق فقال: (أيها الناس كنا نأخذكم بالوحي على زمان النبي – صلى الله عليه وسلم -. وقد مات رسول الله – صلى الله عليه وسلم - ، فلنا أيها الناس ظاهركم والله يتولى سرائركم ، ألا من خدعنا بالله انخدعنا له). ولو عُدنا لأبينا آدم وأمنا حواء ، سندرك أن إبليس لم يستطع أن يسيطر عليهما ويقنعهما بفكرته من الأكل من الشجرة ، التي حرمها الله عليهما للبلاء والاختبار ، إلا بعد أن خدعهما بالحلف بالله كاذباً! (وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين) ، فإذا بالتعقيب: (فدلاهما بغرور). وأما قبل الحلف بالله فإنهما لم يطيعاه. وكان من دفاع أبينا آدم عن نفسه: (ما كنتُ أظن أن يحلف خلقٌ من خلق الله يعني إبليس كاذباً! وعن أبي المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيت إن لقيتُ رجلاً من الكفار فاقتتلنا ، فضرب إحدى يدى بالسيف فقطعها ، ثم لاذ منى بشجرة فقال: أسلمت لله ، أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال: "لا تقتله ، فإن قتلته ، فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله ، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال". (متفق عليه). وجاء في الدُرر السنية: (لقد كان صلى الله عليه وسلم يعامل المنافقين على ظواهرهم ، مع علمه بنفاق كثير منهم ليقرر هذا الأصل العظيم! (فهم في الظاهر مؤمنون يصلون مع الناس ويصومون ويحجون ويغزون ، والمسلمون يناكحونهم ويوارثونهم. ولم يحكم النبي صلى الله عليه وسلم في المنافقين بحكم الكفار المظهرين للكفر ، لا في مناكحتهم ولا موارثتهم ولا نحو ذلك بل لما مات عبد الله بن أبي بن سلول وهو من أشهر الناس بالنفاق ورثه ابنه عبد الله وهو من خيار المؤمنين ، وكذلك سائر من كان يموت منهم يرثه ورثته المؤمنون ، (وهكذا كان حكمه صلى الله عليه وسلم في دمائهم وأموالهم كحكمه في دماء غيرهم لا يستحل منها شيئاً إلا بأمر ظاهر ، مع أنه كان يعلم نفاق كثير منهم) ، ومع ذلك (يجب أن يفرق بين أحكام المؤمنين الظاهرة التي يحكم فيها الناس في الدنيا ، وبين حكمهم في الآخرة بالثواب والعقاب ، فالمؤمن المستحق للجنة لابد أن يكون مؤمناً في الباطن باتفاق جميع أهل القبلة).هـ. والحقيقة أنني كان لي عند أحد الناس - الذين يخدعون المؤمنين بالله رب العالمين على منهج إبليس اللعين – كان لي عنده مبلغ من المال. ولسابق معاملته السيئة معي ومع غيري ، أحضرتُ الورقة والقلم ، وقلتُ له: مادمت معترفاً بالدَيْن فسجّله بنفسك ووقعْ عليه إلى أجله الذي تضربه أنت. وذلك عملاً بالآية الكريمة أطول آية في كتاب الله تعالى آية الدين: (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمىً فاكتبوه). فإذا به يخدعُني بالله ويُحوّلها من باب المُداينة إلى باب الأمانة ، فيتلو قول الله تعالى: (فإذا أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً). وكنتُ كتبتُ فيه من قبل قصيدة عنوانها: (فإذا أمن بعضكم بعضاً)! وهنا تكمن المشكلة وينعقد مربط الفرس! أن يستظهر القرآن وقد أسقط العمل به! ولكنني انخدعتُ بالله كما انخدع أبي آدم. فطالبته بالأمانة فأعطاني وعوداً كثيرة الهدفُ منها المُراوغة وعدمُ الوفاء. فأنشدتُ أندّد بهذا السلوك الذي يُجرّئ الناس على مُخالفة القرآن والسنة!)

أراك جئـــــت - بمـــــا أعلنتـــــه - زورا وبـــــت بـــــالغشّ والخِـــــداع مشـــــهورا

وعنـــــك حاججـــــتُ كـــــل النـــــاس مُجتهـــــداً وسُـــــقتُ عُـــــذراً ، وإيضـــــاحاً ، وتفســـــيرا

وعنـــك جادلـــتُ مَـــن خلـــتْ أدلـــتهم مِـــن المطـــاعن ، تُخفـــي الحـــق والنـــورا

وفيـــك خاصـــمتُ مَـــن بـــاعوا مَودّتنـــا ومـــا استشـــرتُ كـــأني أمقـــتُ الشـــورى

وفيـــك قاطعـــتُ مَـــن هانـــت مَحبـــتُهم لمّـــا قصصـــتُ عـــن القـــوم الأســـاطيرا

أتخـــدعُ النـــاسَ باســـم الله مُتخـــذاً نـــصّ الكتـــاب تُمـــاري فيـــه تنظيـــرا؟

وتســـتعينُ بمـــا أوتيـــت مِـــن جَـــدل بـــه تُغيّـــرُ وجـــهَ الحـــق تغييـــرا؟

وتســـتهينُ بـــآي الـــذكر ، تحســـبُها قـــد تحتـــوي ـ للـــذي تأتيـــه ـ تبريـــرا؟

أتجعـــلُ الـــذكر ـ للتـــدليس ـ قنطـــرة؟ أســـأت يـــا صـــاح تصـــريفاً وتقـــديرا!

وكنـــتُ آمـــلُ أن تنـــداحَ غائلـــة أو أنْ أمَـــرّر مـــا دَلســـتَ تمريـــرا

تعـــي (الكتـــابَ) ، وبـــين النـــاس تقـــرأهُ وفيـــه أوتيـــت يـــا هـــذا مزاميـــرا

ترجّـــع الآيَ تلـــو الآي مُحترفـــاً وكـــم تزيـــدُ رؤوسَ الآي تحبيـــرا!

وللمقامـــات فـــي التجويـــد حِصـــتها ولـــلأداء صُـــوىً يعـــرو التباشـــيرا

وللتنـــاغم أصـــداءٌ ودندنـــة وإنّ رجْـــع الصـــدى يُشـــجي الأســـاريرا

وللتغنـــي بنطـــق الآي رقتـــه تثيـــرُ مِـــن حُســـنها الفيّـــاض جُمهـــورا

فهـــل عقلـــت الـــذي تتلـــوه فـــي مـــلأ؟ أم كـــان ذلـــك فـــي دنيـــا الـــورى زورا؟

ألـــم يُجـــاوز ـ إلـــى التطبيـــق ـ ترقـــوة حتـــى تعـــيش ـ بمـــا تتلـــوه ـ مســـرورا؟

كفـــاك هـــزلاً وتمثـــيلاً وسفســـطة كفـــاك ـ بالنـــاس والأهلـــين ـ تغريـــرا

إن كنـــت تخـــدعُنا بمـــا تقـــول بـــه فلـــم يعـــدْ غِشـــك المفضـــوحُ مســـتورا

لا يفلـــحُ الغِـــش مهمـــا احتـــالَ صـــاحبُه حتمـــاً يُتبّـــرُه الجبّـــارُ تتبيـــرا

للبيت حُرمتُه ، ولصاحبه قدرُه

(إنه ليُفترضُ في أخوين جاءا إلى بيت أختٍ لهما اختلفتْ مع زوجها ، وكان هناك تراشق بالألفاظ وإشارات بالأيدي ، وباتت هنالك مشكلة تحتاج إلى حل ، يُفترض في حال كهذا أن أخويْها هذين - الذين أتيا إلى بيتها – أن يتحَليا بالحكمة والمروءة وتقدير العواقب ، والتزام الأدب والحيطة والخلق الحسن. وعليهما كذلك اختيار الوقت المناسب واللفظ المناسب والمكان المناسب والطريقة المناسبة. وعليهما أن يُحَققا في الأمر ولا يُغلبا جانب أختهما حتى لو كان الحق لها! ريثما تضع الحرب أوزارها ، ويهدأ الجميع ويوافى كل ذي حق بحقه! فلا يجب أن يتجردا من الإخلاص والقيم والأدب بداعي أنهما يصلحان وينتصران لأختهما. أما أن يكون الأمر على خلاف ما ذكرت ، فإن النتائج لا بد من أن تكون وخيمة ، والعواقب ستكون أليمة ، والدروس ستكون قاسية. وتنقطع العلاقات والعُرى من جرّاء الطيش والنزق والتهور. والحقيقة أنه يكون زوجاً تعيساً كل زوج مُبتلىً بزوجته المتسرعة الطائشة ، التي لطالما حذرها أن لا تلعب بالنار. حتى كانت مشادة بينها وبين زوجها ، فاستعانت بأخوين فأخذا يسبان زوج أختهما المحترمة بأحقر السباب ، ويشتمانه بأخزى الشتائم ، ويكيلان له اللعنات له ولأهله كبيرهم وصغيرهم ، حيهم وميتهم جميعاً بلا استثناء. ناهيك عن الاستفزاز المَقيت ليجهل عليهما. لكنه راعى حُرمة بيته الذي هو صاحبه وقدْر نفسه ، إذ ليس بوبش ولا سافل ولا حقير ولا سفيه ، ولا هو بوغد ليس يرعى الذمار مثلهما. وراح الرجل يقابل هذا كله بالابتسامة والاسترجاع والهدوء. إذ لا طاقة له بالألفاظ السوقية التى إن دلت على شئ ، فإنما تدل على سفالة ورذالة صاحبيْها ، عليهما من الله ما يستحقان. وزوجُ أختهما قد بنى لهما ولغيرهما من سائر إخوتها المجد ، وإن هم جميعاً أنكروا. فجاع الرجل ليشبعوا ، وعطش ليرتووا وشقي ليسعدوا ، وسَخر بيته وماله وأصدقاءه لهم ليلبي طلباتهم. وعندما تمكنوا جعلوا جزاء الإحسان الشتائم واللعائن والسباب. فهل بهذا حُلت المشكلة؟ أم تفاقمت وازدادت واتسعت؟ إنني أناشد كل أختٍ مسلمةٍ مؤمنةٍ موحدةٍ عند خلافها مع زوجها أن لا تستعين بالحثالة ولا بالأراذل من معارفها أو من أقربائها. لأن هؤلاء لا حكمة عندهم ولا قيم ولا أدب ولا أخلاق. إنما خراب البيوت وسفك الدماء وهتك الأعراض وطلاق الزوجات ديدنهم ، لا كثرهم الله في العالمين ، ولا بارك فيهم أبداً ، وسلط الله عليهم سيف انتقامه ، وعذبهم في الدنيا وفضحهم على رؤوس الأشهاد وشرّدهم ومزقهم كل ممزق ليكونوا عِبرة لكل الناس. عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة»؟ قالوا: بلى يا رسول الله ، قال: «إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هي الحالقة». (صحيح الترغيب). قال الله تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا}. وقال تعالى: {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ}. ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلح بنفسه بين المتخاصمين ، عن سهل بن سعد – رضي الله عنه - أن أهل قباءٍ اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقال: «اذهبوا بنا نصلح بينهم». (البخاري). وعن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: سمعت عائشة تقول: "سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت خصوم بالباب ، عالية أصوتهما ، وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه في شيء ، وهو يقول: والله لا أفعل ، فخرج عليهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «أين المُتألي على الله ، لا يفعل

المعروف؟» فقال: أنا يا رسول الله ، فله أيّ ذلك أحب". (متفق عليه). عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل سُلامى من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس ، يعدل بين الاثنين صدقة ، ويعين الرجل على دابته ، فيحمل عليها ، أو يرفع عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة ، ويميط الأذى عن الطريق صدقة». (متفق عليه). وتخيلتُ نفسي في مكان الزوج المبتلى وهو يدافع عن نفسه ، وقد أوشكت السفينة على الغرق في خضمّ الهجوم المُخزي لهذين السفيهين! في هذا الموقف الذي زوال الدنيا بأسرها أهون منه. ورحتُ أنشد هذه القصيدة التي أوصي بها كل موحّد عندما يُستفز ويُجهل عليه من أراذل وضعاء ، فعليه بالصبر والحِلم والأناة!)

تشـــبثا بحِبـــال الكيـــد ، وانـــدحرا ... وفـــي الجحـــيم - الـــذي أوقـــدتُما – اســـتعِرا

واستبســـلا فـــي نِـــزال مـــا أريـــدَ بـــه ... وجـــهُ المليـــك ، وللضـــغائن انتصـــرا

واســـتعذِبا الســـبّ ، إن الســـبّ دَيـــدنُكم ... مـــن بعـــد مـــا صِـــرتُمُ فـــي ذي الـــدنا غجـــرا

واستصـــحِبا الشـــتمَ ، إن الشـــتمَ طـــابعُكم ... واستحضـــرا اللـــؤمَ والأحقـــادَ والـــدَبرا

واســـتجمعا للـــذي قصـــدتُماه قـــوىً ... وخليـــا عنكمـــا الإرجـــافَ والحَـــذرا

وأظهـــرا الغِـــل - فـــي الهيجـــاء - يُشـــعلها! ... وذرِّيـــا حُممـــاً - فـــي ذي الـــوغى - أخـــرا

وسَـــعَّرا فتنـــة شـــبتْ ضـــراوتها ... وأجَّجـــا - فـــي الـــذي انتويتُمـــا - سُـــعُرا

ثـم البسـا - فـي البِـراز - السـابغات ضـحىً ... إذ لا مَفـــرَ مـــن اللقيـــا ، ولا وزرا

ثـــم انـــزلا ســـاحة تـــأوي لخندمـــةٍ ... إن المَـدى بيننـا - فـي المِحنـة - اختصِـرا

إنـــي بصُـــرتُ بمـــا أضـــمرتما حســـداً ... وحقـــدُ قلبيكمـــا مـــا عـــاد مُســـتترا

وقـــد فطنـــتُ لمـــا بيَّتُمـــاه معـــاً ... مِـــن مصـــدر لـــم يَفـــهْ يومـــاً بـــأي فِـــرى

فـــيم التـــوجسُ مِـــن وَبشـــيْن ، مـــا احترمـــا ... دِينـــاً ولا خُلقـــاً ، كـــلا ، ولا عُمُـــرا؟

فـــيم التراشـــقُ بالألفـــاظ جارحـــةً ... بـــلا اكتـــراثٍ لفعـــل يُعقِـــبُ الضـــررا؟

فـــيم اقتحـــامُ بيـــوت النـــاس يَســـبقُه ... سَـيلٌ مـن السـب - فـي أركانهـا - انتشـرا؟

فـــيم اغتصـــابُ حقـــوق دونمـــا ســـبب ... إذ فقتُمـــا - فـــي الـــذي أتيتُمـــا - التتـــرا؟

فـــيم التعـــدّي علـــى مَـــن شـــادَ مَجـــدَكما؟ ... هـــل بـــات رَدّ الجميـــل الغـــدرَ والضـــررا؟

فـــيم التجنـــي علـــى مـــن صـــاغ عِزكمـــا ... بـــين الأنـــام؟ أيُمسِـــي شـــكرُه كـــدرا؟

فـــيم التطـــاولُ فـــي سِـــر وفـــي عَلـــن ... مـــن بعـــد مـــا نلتُمـــا - مـــن جـــوده - الـــوطرا؟

فـــيم التعـــامي عـــن العطـــاء شـــاد بـــه ... خلـــقٌ كلامُهُـــمُ – بـــالواقع - ائتـــزرا؟

لـــن أرفـــعَ الصـــوت ، إذ للبيـــت حُرمتُـــه ... رأيـــتُ مَـــن رفعـــوا أصـــواتهم حُمُـــرا

لـــن أجعـــلَ الخصـــمَ يُغرينـــي بباطلـــه ... إنَّ الـــذي قالـــه الخصـــمان مَحـــضُ هُـــرا

لـــن أهـــدرَ الحـــق ، مهمـــا كـــالَ شـــانئه ... مِـــن الشـــتائم لمّـــا زايـــلَ النـــذرا

لـــن أرخِـــصَ الخيـــرَ ، مهمـــا كـــادَ مُرخِصُـــه ... لعلنـــــي أدركُ التمكـــــينَ والظفـــــرا

لـــن أحنـــيَ الـــرأسَ للوبشـــين مُلتحِفـــاً ... ثـــوبَ المَذلـــة ، والتحقيـــرَ والقتـــرا

لـــن أقبـــلَ الضـــيمَ يُـــؤذيني ويَقهرُنـــي ... وســـوف ألقِـــمُ رأسَ المُعتـــدي حَجـــرا

لـــن أظهـــرَ العجـــز يســـقي الأرذلـــيْن هـــوىً ... وكيـــف أبـــدي لمـــن قـــد أجرمـــا الخـــوَرا؟

لـــن أستســـيغ الـــذي ســـاقاه مِـــن شُـــبَه ... همـــا الكَـــذوبان ، لمّـــا يَصـــدُقا خبـــرا

لـــن أقضـــيَ الليـــلَ مشـــغولاً بمـــا اقترفـــا ... كـــي لا يكـــونَ مســـاءً داكنـــاً وعِـــرا

لـــن أســـتفز ، ولـــن تثـــورَ ثـــائرتي ... فالنصـــرُ عُقبـــى الـــذي - فـــي بأســـه - صَـــبرا

لـــن أســـتعيرَ - مِـــن النـــذلين - طبعهمـــا ... لأن لـــي - فـــي الـــذي احتـــدّا لـــه - عِبـــرا

وكيـــف أخـــربُ بيتـــاً عـــامراً بيـــدي ... حتـــى أردّ علـــى ذِئبـــين ، مـــا اعتـــذرا؟

وكيـــف أبـــذلُ نفســـي فـــي شِـــجارهما؟ ... هـــل بـــين ذئبـــين يُلقِـــي عاقـــلٌ دُررا؟

وكيـــف أجنـــي علـــى أهلـــي ، وأكبـــتُهم ... مـــن أجـــل وَغـــدين ، كـــلٌ أيقـــظ الغِيَـــرا؟

وأســـأل الآن مـــا ذنـــبُ الصـــغار بكَـــوْا ... لمّـــا أهـــينَ أبٌ والخـــاطرُ انكســـرا؟

مـــا ذنـــبُ (رَاويـــةٍ) فـــي المهـــد ثاويـــة ... يَرثـــي لحالتهـــا كـــلُ الـــذي نظـــرا؟

مـــا ذنـــبُ (أمجـــدَ) والأحـــزانُ تُلجمـــه ... حتـــى يُشـــاطرَ فـــي آلامـــه (عُمـــرا)؟

لتخرُجـــا - مِـــن حيـــاة الأهـــل - أجمعِهـــم ... حتـــى نـــداعبَ - بعـــد الأزمـــة - السَـــمرا

ولتُعلنـــا أنَّ هـــذي الـــدارَ قـــد برئـــتْ ... مـــنكم جميعـــاً ، وممـــن غـــابَ أو حضـــرا

لـــن تـــدخلوها ، فقـــد بانـــت عـــداوتُكم ... وبالسِـــباب قطعـــتُم حبـــلَ كـــل عُـــرَى

لا تســـتحقون كـــأسَ المـــاء نســـكبُه ... علـــى الأديـــم ، فـــلا نلقـــى بـــه خُفـــرا

ولا يليـــقُ بنـــا أن نســـتكينَ لكـــم ... إذ الإخـــاءُ ثـــوى ، مـــن بعـــد مـــا انتحـــرا

بكـــم جنينـــا الشـــقا ، والبـــؤسُ سَـــربلنا ... حتـــى المـــزاجُ - مـــن الـــدغاول - اعتكـــرا

بكـــم طوانـــا الأذى ، والكـــربُ داهمَنـــا ... فـــي ظلمـــةٍ ليلهـــا لـــم يَشـــهدِ القمـــرا

وكـــم حَسِـــبناكمُ البـــانين وَحـــدَتنا ... والحَـــسّ والنـــبضَ بـــل والســـمعَ والبصـــرا!

وكـــم ظننـــا بكـــم خيـــراً ومَرحمـــة! ... فخـــابَ ظـــن الألـــى لـــم يعرفـــوا البشـــرا

وكـــم ســـهرنا لترتـــاحوا ، وتبتشـــروا! ... ثـــم احتســـبنا الضـــنا والجهـــدَ والســـهرا

وكـــم بـــذلنا الـــذي لا تحلمـــون بـــه ... حتـــى ابتُلينـــا بمـــا يَســـتلفِتُ النظـــرا!

وكـــم طرقنـــا علـــى الأبـــواب فـــي شَـــغفٍ! ... وكـــم رَحلنـــا ، ولـــم نســـتهجن الســـفرا!

وكـــم لبســـنا - مـــن الأثـــواب - أردأهـــا ... لتلبســـوا الوَشـــيَ والـــدِّيباجَ والحِبـــرا!

وكـــم ظمِئنـــا بـــلا جَبـــر لنـــرويَكم! ... واليـــومَ نحـــرَمُ حتـــى الطـــل والمطـــرا

إنـــا نســـيناكمُ ، فانســـوا وشـــائجَنا ... إذ لـــيس يُثقـــل - فـــي الميـــزان بعـــض ثـــرى!

لا تنكـــأوا الجُـــرح ، إنـــا لـــن نصـــالحَكم ... والجـــرحُ بـــات - إلـــى التضـــميد - مُفتقـــرا

ليـــرحم الله دربـــاً كـــان يجمعُنـــا ... إنـــا لنـــدعو لـــرأب الصـــدع مُقتـــدرا

هـــو ابتلانـــا بكـــم ، واليـــوم نســـأله ... أنْ لا يُجَمّعنـــا يومـــاً بـــأي قَـــرى

مراعاة شعور الآخرين مروءة!

(إنا لله وإنا إليه راجعون! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم! ببالغ الحزن والأسى أنعي وأبكي المروءة والشهامة التي انمحت معالمهما من القلوب والضمائر! عليه العوض ومنه العوض! ماتت في قلوب كثير من الناس اليوم معاني النجدة والمروءة والنخوة والأريحية والشهامة! لم يعد هناك خلق اسمه مراعاة مشاعر الآخرين! نجاحُ ابنتك يا هذا ونجاح ابنك يا هذه ، لا يعني التشمت فيمن رسبت ابنتها أو رسب ولده! لا يعني الزغاريد من الشرفات ووضع الزينات وكتابة التبريكات ، والمبالغة فيها على صفحات الجرائد والمجلات والفيس بك والتويتر وغيرها من وسائل التواصل الاجتماعي! لا يعني توزيع الحلوى والبارد والعصير على القاصي والداني! لماذا تتعمدون يا هؤلاء كسرَ شعور الآخرين من حولكم؟! إن مراعاة مشاعر الناس وأحاسيسهم مما يزيد في الود والمحبة ، ويؤلف بين قلوب أفراد المجتمع ، وقد علمنا نبينا صلى الله عليه وسلم الكثير من المبادئ والآداب التي نُرَاعِي من خلالها صيانة مشاعر الناس ومراعاة أحاسيسهم ، وذلك لأن جرح الجسد يظهر أثره فوراً وبشكل واضح على الإنسان ، لكنّ جرح المشاعر يكون في النفس بعيداً عن المشاهدة والعيان ، وهو أشد إيلاماً وأقسى وقعاً! إن ديننا الإسلامي الحنيف دين قامت دعائمه الأولى على أساس أخلاقي قويم ؛ بل إن الهدف الأول والأسمى من دعوة محمدٍ – صلى الله عليه وسلم - هو تتميم ذلك البنيان ، وترسيخ ذلك الأساس والسمو به إلى ذروة تمامه وكماله ، قال – صلى الله عليه وسلم -: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". ووصف الله نبيه الكريم بالخلق العظيم فقال: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}. ولقد جاء الإسلام لإسعاد الناس وصلاحهم ، وليس لقهرهم وإكراههم ، والمسلم إنسان حساس يراعي مشاعر وأحاسيس جميع الناس ، فهو يتمتع بدرجة عالية من الإحساس والتأثر وهو صاحب قلبٍ حيّ نابض ، وينعكس ذلك كله على سلوكه وتصرفاته. دعا الإسلام إلى تحسين الأخلاق وتطييب الكلام للناس ؛ فقال سيدنا رسول الله ﷺ: «وخَالقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ» "أخرجه الترمذي" ، وقال ﷺ: «والكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ». متفق عليه. بل حرم ديننا الحنيف في المقابل الإيذاء والاعتداء ولو بكلمةٍ أو نظرةٍ ، فقال تعالى: "وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ". ومن ثم فاحترام مشاعر الآخرين خلقٌ عظيم ، يجب على كل مسلم أن يتمسك به كي يسود الحب دنيا الناس ، والمتتبع لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أن كلام المرء من عمله وأنه محسوبٌ عليه أو له ، والمؤمن الحق هو الذي يحرص على تهذيب نفسه وعمل ما ينفعه ويصلح أحواله ، ولا يجب علي المسلم في هذا السياق الخوض فيما لا يعنيه ، ولا يبحث عن عيوب غيره ، ولا يتكلم إلا بخير ، ولا يشارك أهل الغفلة في لغو الكلام وساقطه من همز ولمز وعيب الناس ، الأمر الذي يُحرج مشاعرهم ويُعكر صفوَ العلاقات الإنسانية! وإذا كان أمر مراعاة المشاعر مؤكداً في حق الأغراب الأباعد ، فما بالنا بالعائلة؟! وعلمنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم كيف نوفي حق الجار فقال: "أتدرون ما حق الجار؟ 1- إن استعانك أعنته. 2- وإن استنصرك نصرته. 3- وإن استقرضك أقرضته. 4- وإن أصابه خير هنأته. 5- وإن أصابته مصيبة عزيته. 6- ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عن الريح إلا بإذنه. 7- وإذا اشتريت فاكهةً فأهد له منها ، فإن لم تفعل فأدخلها سراً ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ ولده. 8- ولا تؤذه بقتار قدرك (رائحة طعامك) إلا أن تغرف له منها. كما أوصانا النبي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله في أكثر من حديثٍ شريف بحسن الجوار والعشرة الطيبة ، فقال: "من

كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره" ، فربط النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين الإيمان بالله واليوم الآخر وبين إكرام الجار ، يدل على أنه من لوازم الذي يؤمن بالله واليوم الآخر أن يكرم جاره ، وأن يوده وأن يتفقد أحواله ويمد له يد العون ، ويُواسيه في مصائبه ويُهنئه في أفراحه ، فالذي لا يكرم جاره يكون في إيمانه نقص وخلل ، في الحديث الشريف الذي رواه ابن ماجة: "أحسن إلى جارك تكن مسلماً". ومعنا حديث: "لا يدخل الجنة من بات شبعان وجاره جائع"! إن هذا الحديث رواه الطبراني في الكبير عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به". ورواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه". وصححه الذهبي في التلخيص، والألباني في صحيح الأدب المفرد. وعلى ذلك فالحديث صحيح. ومعناه كما قال العلماء: ليس المؤمن الكامل الإيمان بالذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم ، لإخلاله بما توجب عليه في الشريعة من حق الجوار ، والمراد نفي كمال الإيمان وذلك ، لأنه يدل على قسوة قلبه وكثرة شحه وسقوط مروءته ودناءة طبعه ، وللمزيد انظر الفتوى: 109784 ، وما أحيل عليه فيها. لقد كان الناس من ذوي المروءة والشهامة يُراعون مشاعر الناس ، فلو تحدد موعد عرس ابنهم وطرأ عزاء ومأتم تأجل العرس! لأن المروءة تقتضي هذا! وكذلك إذا نجحت بنت فلان أو ابن علان فلا يبارك الناس ويعلنون ذلك ، لأن في نفس العائلة أو الحي أو الشارع ابنة فلان رسبت أو ابن علان رسب! فتكون المباركات على استحياءٍ ، وربما في السر لئلا يُكسر خاطرُ من رسب أبناؤهم وبناتهم! هكذا تفعل العوائل المحترمة! والأصل الاعتدال فلنبارك ولكن بطرق غير معلنة! ولنواس ولكن بطرق غير معلنة إمعاناً منا في جبر الخواطر! وهذي من حقوق المسلم التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم: (إن أصابه خيرٌ هنأته ، وإن أصابه شرٌ عزيته)! أما المباركات المعلنة لمن نجح ، وفي الوقت ذاته لا توجد مواساة واحدة معلنة لمن رسب ولده أو ابنته ، فهل له معنى سوى الشماتة والخذلان في ظاهر الأمر ، ولو بغير قصدٍ ولا نية؟! وهل ذهبتْ ريحُنا ووجاهتنا إلا بعد انفلات الأواصر وانتحار الفضائل وانحراف الموازين والكيل بمكيالين؟ ثم نرجو من الله النصر والمطر؟! نعوذ بالله من موت الضمائر وانحدار القيم وخراب القلوب! وتحت عنوان: (الرسول صلى الله عليه وسلم ومراعاة مشاعر الناس) يقول الأستاذ محمود أحمد عبد القادر علي ما نصه بتصرفٍ يسير: (يهدف الإسلام إلى إسعاد الناس وصلاحهم ؛ لذا وضع كثيرًا من المبادئ والأسس لصون المشاعر ومراعاة الأحاسيس ؛ لأن هذا يزيد الوُدَّ بين الناس. رأيت مُعلِّمًا ينادي أحدَ طلابه قائلاً: "أَقبِل يا أعمى" ، ويجرح مشاعرَه بذلك ، وشخصًا يرى مريضًا فيقول: "الحمد لله الذي عافاني من هذا البلاء" ، ولا يراعي أن يقولها في سرِّه كي لا يجرح مشاعرَ المريض ، وقد دعا الإسلام إلى الكلمة الطيبة ؛ فيقول تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم في حواره مع الكفار: (قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ) ؛ فلم يقل: لا تُسألون عما عمِلنا ، ولا نسأل عما تُجرِمون ، ويقول ـ جل شأنه ـ: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) ، ويقول أيضًا: (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ). لقد راعى الإسلامُ عدم جَرْح مشاعر المخطئ ؛ فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "بال أعرابيٌّ في المسجد ، فقام الناس إليه ليَقَعوا فيه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (دعوه ، وأريقوا على بوله سَجلاً من ماء) ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بترك هذا الأعرابي الجاهل حتى ينتهي من بوله ، فلما انتهى أمَر أن يُراق على بوله

سَجلٌ من ماء ، فزالت المفسدة ، ثم دعا الرسول صلى الله عليه وسلم الأعرابيَّ ، فقال: (إن هذه المساجد لا يَصلُح فيها شيء من الأذى أو القَذَر ، إنما هي للصلاة وقراءة القرآن) ، وروى معاوية بن الحَكَم السلمي: "بَيْنا أنا أُصلِّي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطَس رجل من القوم ، فقلت: يرحمك الله ، فرماني القومُ بأبصارهم ، فقلتُ: واثكل أمِّياه ، ما شأنُكم تَنظُرون إليَّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يُصمِّتونني لكنِّي سكتُّ ، فلما صلى عليه الصلاة والسلام فبأبي هو وأمي! ما رأيتُ مُعلِّمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه! فوالله ما كَهَرني ولا ضربني ولا شتمني ، وإنما قال: (إن هذه الصلاة لا يَصِح فيهما شيء من كلام الناس ، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن) ؛ رواه مسلم. وألزمنا الإسلامُ بالاستئذان قبل دخول الأماكن الخاصة ؛ فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا استأذن أحدكم ثلاثًا ، فلم يُؤذَن له ، فليرجِع) ؛ متفق عليه ، فمَن استأذن على الناس ثلاثًا ، ولم يؤذن له فليرجع ولا يُصِر على الدخول ؛ كي لا يؤذي مشاعرَ الناس ، وإذا كان الباب مفتوحًا ، فليقفِ الضيف على أحد جانبي الباب ويستأذن ؛ فقد كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إذا أتى بابَ قومٍ لم يستقبل البابَ من تلقاءِ وجهِه ، ولكن من ركنِه الأيمنِ أو الأيسرِ ، ويقول: (السلامُ عليكم السلام عليكم) ، وذلك أن الدُّورَ لم يكن عليها يومئذٍ ستور ؛ "صحيح أبي داود" ، وعندما يفتح باب البيت يجب ألا ينظر الضيف إلى ما داخل البيت ، وإنما ينظر إلى مَن فتَح له الباب ؛ فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (إذا دخل البصر فلا إذْن) ؛ صحيح ، مسند أحمد. ونهى الإسلامُ عن سبِّ الأموات ؛ لأن في سِبابهم إيذاءً لمشاعر الأحياء ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تَسُبوا الأموات ؛ فإنهم قد أفضوا إلى ما قدَّموا) ؛ رواه البخاري. وراعى الرسول صلى الله عليه وسلم شعورَ الناس في الصلاة ؛ فعن عثمانَ بن أبي العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أُمَّ قومَك ، ومَن أَمَّ قومًا فليُخفِّف ؛ فإن فيهم الكبير ، وإن فيهم المريض ، وإن فيهم الضعيف ، وإن فيهم ذا الحاجة ، فإذا صلَّى أحدُكمْ وحده فليُصلِّ كيف شاء) ؛ "صحيح الجامع". وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُراعي شعورَ مَن أصيب بمصيبة ، ويَجبُر خاطرَه ما لم يكن ذلك مُحرَّمًا ؛ فعن ابن عمر قال: "لما تُوفِّي عبدالله بن أُبَي ابن سلولَ جاء ابنه عبدالله بن عبدالله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يُعطيه قميصَه يُكفِّن فيه أباه ، فأعطاه ، ثم سأله أن يصلي عليه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُصلِّي عليه ، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: يا رسول الله ، أتُصلي عليه وقد نهاك الله أن تُصلِّي عليه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما خيَّرني الله فقال: (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً) ، وسأزيده على السبعين) ، قال: إنه منافق ، فصلَّى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل: (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) ، فترك الصلاةَ عليهم". رواه البخاري. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُراعي السائلين ولا يُجرحهم ، وإن كان السائل لا يَستحِق المال ردَّه النبي صلى الله عليه وسلم ردًّا جميلاً بكلمة طيبة ولم يَجرحه ؛ فعن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال: أخبرني رجلان أنهما أتيا النبيَّ صلى الله عليه وسلم في حَجَّة الوداع وهو يقسم الصدقة ، فسألاه منها ، فرفع فينا البصرَ وخفضه ، فرآنا جَلْدين ، فقال: (إن شئتما أعطيتُكما ، ولا حظَّ فيها لغني ، ولا لقوي مُكتَسِب) ؛ صحيح.

مسند أحمد. فإذا أتاك شخص لمقابلتك وأنت مشغول أو لا تريد مقابلته ، فرُدَّه بقول جميل ولا تُعنِّفه ؛ فقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يدخل الجنةَ من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب) ، قالوا: ومَن هم يا رسول الله؟ قال: (هم الذين لا يَكتوون ، ولا يَستَرْقون، وعلى ربهم يتوكَّلون) ، فقام عكَّاشة فقال: ادعُ الله أن يجعلَني منهم ، قال: (أنتَ منهم) ، قال: فقام رجلٌ فقال: يا نبي الله ، ادعُ اللهَ أن يجعلني منهم ، قال: (سبَقك بها عكاشة) ؛ صحيح مسلم. وورد في كتاب "شرح النووي على صحيح مسلم" أنه قيل: إن الرجلَ الثاني لم يكن ممن يَستحِقون تلك المنزلة ـ بخلاف عكَّاشة ـ فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم بكلام مُحتَمل ، ولم يُصرِّح له بأنه ليس منهم. إنني أرى شخصًا يقرأ القرآن بصوت عالٍ في المسجد فيؤذي المصلين ، وآخر يرفع صوتَ التلفاز في بيته فيؤذي جيرانه ، وآخر يترك أطفاله يبكون ويُحدِثون ضوضاء فيؤذي جيرانه ، وآخر يصلى في المسجد فيؤذي المصلين برائحة عرقه ورائحة الثوم الذي أكله ، وآخر يُدخِّن في وسائل المواصلات فيؤذي الرُّكاب ، وآخر يجلس بسعةٍ ويُضيِّق على مجاوريه في المسجد ووسائل المواصلات دون مراعاة شعور الآخرين ، ويقول صلى الله عليه وسلم: (ألا إن كلكم مُناجٍ ربه ، فلا يؤذينَّ بعضكم بعضًا ، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة) ؛ "صحيح الجامع" ، وقد يُبرِّر هؤلاء فِعْلهم بأن ما يفعلونه شيءٌ بسيطٌ ، لكنا نَرُد عليه بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (مَن اقتطع حقَّ امرئ مسلم بيمينه ، فقد أوجب الله له النارَ وحرَّم عليه الجنةَ) ، فقال له رجل: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله ، قال: (وإنْ قضيبًا من أراكٍ) ؛ صحيح مسلم. وأرى شخصًا يَصطحِب أطفاله ويتركهم يعبثون فترات طويلة في منزل مَن يزوره ، فيؤذيه ويكون ضيفًا ثقيلاً ، ويقول تعالى: (فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ). وأرى شخصًا يمزح مُزاحًا ثقيلاً مع غيره بأن يُخيفه أو يخبئ متاعه مثلاً فيؤذيه بذلك ، ويقول صلى الله عليه وسلم: (لا يأخذن أحدُكم متاعَ أخيه لاعبًا ولا جادًّا) ؛ حسن ، صحيح أبي داود ، ويقول أيضًا: (لا تروعوا المسلمَ ؛ فإن روعة المسلم ظلم عظيم. ضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع. ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحديث بين اثنين إذا كان الحاضرون ثلاثة ؛ مراعاة لشعور الثالث ؛ فقال: (إذا كانوا ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون الثالث) ؛ صحيح البخاري. وأرى أبًا يُردِّد على ولده أنه يَكُد ويشقى كثيرًا للإنفاق عليه ، وأُمًّا تُردِّد على ولدها أنها تتعب كثيرًا في خدمته ، فيتأذَّى الولد ويشعر بأنه ثقيل ، وشخصًا يُردِّد على مَن ساعدهم فضلَه ، وقد نهانا الإسلام عن المنِّ ؛ فروي عن أبي ذَرٍّ أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاثة لا يُكلِّمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يُزكِّيهم ، ولهم عذاب أليم) ، قال: فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مِرارٍ ، قال أبو ذر: خابوا وخسِروا! مَن هم يا رسول الله؟ قال: (المُسبِل والمنَّان والمُنفِّق سلعتَه بالحَلِف الكاذب) ؛ رواه مسلم. وأنت حين تجد شخصًا يحتاج شيئًا لكنه لا يستطيع أن يَطلبه ، فراعِ شعورَه وأدِّ حاجتَه ؛ يقول تعالى: (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) ، وروى أبو سعيد الخدري أنه بينما نحن في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ جاء رجلٌ على راحلةٍ له ، قال: فجعل يَصرِف بصره يمينًا وشِمالاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَن كان معه فضل ظَهْر ، فليَعُد به على مَن لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد ، فليَعُد به على مَن لا زاد له) ، قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر ، حتى رأينا أنه لا حقَّ لأحد منا في فضل ؛ صحيح مسلم. وإذا قدَّم لك شخصٌ هدية فرفضتها لسبب شرعي ، فبيِّن له سببَ الرفض بلطف ؛ فقد أهدى أبو جهم للنبي صلى الله عليه وسلم خميصةً لها أعلام (ثوب به زينة) ، فلما صلى فيها

عليه الصلاة والسلام ، نظر إلى أعلامها نظرةً ، فلما انصرف قال: (اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم ، وأتوني بأنبِجانيَّة أبي جَهْم ؛ فإنها ألهتني آنفًا عن صلاتي) ؛ صحيح البخاري ، فبيَّن عليه الصلاة والسلام سبب الردِّ! وقد يُبرِّر البعض كلمته الجارحة وفِعْله المؤذي بأنه لم يكن يعرف أن كلمته أو فِعْله هذا يجرح المشاعر ، ولكن تبريره مردود ؛ لأنه كي يكون الجهل سببًا للعفو لا بد ألا يكون هناك تقصير في التعلم ؛ لأن الإسلام فرَض علينا التعلم للتمكن من عمارة الأرض فقال تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (القضاة ثلاثة: واحدٌ في الجنة ، واثنان في النار ، فأما الذي في الجنة فرجل عرَف الحقَّ فقضى به ، ورجل عرف الحق فَجَار في الحُكْم ؛ فهو في النار ، ورجل قضى للناس على جهلٍ ؛ فهو في النار) ؛ صحيح الترمذي.).هـ. وتحت عنوان: (مشاعر الآخرين في ميزان الإسلام) يقول الأستاذ حسان أحمد العماري ما نصه بتصرفٍ زهيد: (لقد جاء الإسلام ليهذب السلوك والأخلاق ، ويدعو المسلم إلى حسن التعامل مع من حولة بطريقةٍ حسنةٍ وراقيةٍ وحضارية ، وجعل ذلك التعامل الحسن من العبادات العظيمة ، ورتب عليها - سبحانه وتعالى - عظيم الأجر وأجزل الثواب ، ومما أمر الإسلام بمراعاته وحث المسلم عليه مراعاة شعور وأحاسيس من حوله ؛ فلا يؤذيهم بقول أو فعل أو إشارةٍ أو حتى غمز ولمز ، وكان الهدف من هذه التوجيهات بناء مجتمع مسلم متحاب ومترابط يسوده الود ، وتنتشر بين أفراده الألفة ، وتتعمق فيه أواصر الترابط والتعاون والتكافل ، ويسود الخير ويعم الصلاح ، ومراعاة الشعور هو إدراك الفرد أن لمن حوله أحاسيس ومشاعر يجب أن لا تكسر ولا تجرح ولا ينال منها بأي شيء من الأذى ؛ انطلاقاً من أحكام الشرع وتوجيهاته وأخلاقه التي أمر بها جميع المسلمين. وينطلق المسلم بهذا الخلق ابتداءً من البيت ومع الوالدين ومراعاة شعورهما قول الله – تعالى -: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا). قالَ ابنُ عباسٍ: "لا تَنْفُضْ ثَوْبَكَ فَيُصيبَهُما الغُبارُ". وقدْ نهَى اللهُ –تعالى - في هذِهِ الآيةِ عنْ قولِ (أُفٍّ) للوالِدَيْنِ ، وهوَ صوتٌ يدُلُّ على التَّضَجُّرِ ، وهي كلمة تقتل المشاعر وتمزق الاحاسيس ؛ فالعبْدُ مأمورٌ بأنْ يستعمِلَ معهُمَا لِينَ الخُلقِ حتَّى لا يقولَ لهما إذا أضجرَهُ شيء منهُمَا كلمة "أُفٍ". فكيف هو العقوق اليوم؟ وكيف ضاع هذا الخلق مع الوالدين؟ وكم من قصص يَندى لها الجبين ، وقد تعدى الأمر كلمة "أف" إلى الضرب والسب والشتم والإهانة والقطيعة! ومن ذلك: أن الإسلام يرشدنا ، ويعلِّمنا عدم المساس بمشاعر الجار حتَّى برائحة الأكل ، فربما يكون مسكينًا ، فإذا شم أطفاله رائحة الأكل اشتاقت نفوسهم إليه ، وأحبوا تذوقه منه ، ولا يجدونه ، فيكون ذلك مؤلمًا لنفوسهم ، وجارحًا لمشاعرهم ، فأرشدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى صفة تُعدُّ في القمة من الأخلاق ، وفي الذروة في مراعاة مشاعر الآخرين، وهي إذا أدخلنا السرور على أهلنا وبيوتنا، فينبغي ألا ننسى أولاد الجيران ، فقد ثبت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "إذا طبخت قدرًا فكثِّر مرقتها ، فإنَّه أوسع للأهل والجيران"، وفي رواية أخرى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لأبي ذر الغفاري: "إذا طبخت قدرًا ، فأكثر المرق ، وتعاهد جيرانك ، أو اقسم لجيرانك". وشعور البنت التي تقدم على الزواج وليس لها سابق عهد يجب مراعاته قال - صلى الله عليه وسلم -: "لا تنكح الأيم حتى تستأمر - يعني الثيب - ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن" ، قالوا: يا رسول الله كيف إذنها؟ قال: "أن تسكت"! (رواه البخاري ، ومسلم) ، وإذن فسكوتها كافٍ لماذا؟ مراعاة للحياء! ومن

مراعاة المشاعر في الإسلام: مراعاة أحاسيس ومشاعر المرضى والضعفاء وذوي الأعذار والحاجات ، روى جابرٍ - رضي الله عنه - قال: كانَ معاذٌ يصلي مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم يأتي فيؤمُ قومَه ، فصلّى ليلةً معَ النبي - صلى الله عليه وسلم - العشاءَ ثم أتى قومَه فأمَّهم ، فافْتَتَحَ بسورةِ البقرةِ ، فانْحَرَفَ رجلٌ مسلمٌ ثم صلّى وحدَه وانصَرَفَ ، فقالوا له: أنافَقْتَ يا فلانُ؟ قال: لا واللهِ ، ولآتِيَنَّ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فلأُخْبِرَنَّه ، فأتى رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسولَ الله ، إنا أصحابُ نواضحَ نعملُ بالنهارِ ، وإنَّ معاذاً صلى معكَ العشاءَ ثم أتى فافتَتَح بسورةِ البقرةِ ، فأقبَلَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: "يا معاذُ أفتّانٌ أنتَ؟ اقرأ بكذا واقرأ بكذا". (رواه مسلم). وعن عثمانَ بنِ أبي العاصِ أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " أُمَّ قومَكَ ، فمنْ أمَّ قومَه فليُخَفِّفْ ، فإن فيهم الكبيرَ وإن فيهم المريضَ وإن فيهم الضعيفَ وإن فيهم ذا الحاجة ، وإذا صلى أحدُكم وحدَه فليُصَلِّ كيفَ شاءَ "(رواه مسلم). وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها ، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي ، مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه"(رواه البخاري).. مراعاة لمشاعر الأم وهي في الصلاة! وهذا عبد الله بنُ شدَّاد بن الهادِ - رضي الله عنه - لم يملك إلَّا أن يحكيَ لنا هذا المشهد العجيب الغريبَ الذي رواه عن أبيه ، يبين فيه حرص النبي - صلى الله عليه وسلم - على مراعاة مشاعر الانسان من حوله حتى وإن كان طفلاً فقال: خرج علينا رسولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - في إحدى صلاتي العشاء وهو حاملٌ حَسَنًا أو حُسينًا ، فتقدَّم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوضعه ، ثم كبَّر للصلاة ، فصلَّى ، فسجد بين ظهراني صلاته سجدةً أطالها ، قال أبي: فرفعتُ رأسي ، وإذا الصبيُّ على ظهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ساجدٌ ، فرجعت إلى سجودي ، فلما قضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الصلاةَ قال الناس: يا رسولَ الله ، إنَّك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدةً أطلْتَها حتى ظننَّا أنَّه قد حدث أمر ، أو أنَّه يُوحى إليك؟! قال: "كلُّ ذلك لم يكن ، ولكنَّ ابني ارتحلَني ؛ فكرهتُ أنْ أُعجلَه حتى يقضي حاجته". (أخرجه أحمد ، والنسائي ، وصححه الألباني). إن مراعاة مشاعر الناس وأحاسيسهم مما يزيد في الود ويؤلف بين القلوب ؛ فقد لا ينسى أحدنا موقفاً لشخص ما راعى فيه مشاعره وشاركه أحاسيسه ، فحينما تخلف كعب بن مالك عن غزوة تبوك ثم تاب الله عليه ، وآذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بتوبة الله عليه وعلى من معه حين صلى الفجر ، يقول كعب: "فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئونني بالتوبة ، يقولون لتهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد ، فإذا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - حوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني ، والله ما قام رجل إلي من المهاجرين غيره ، لا أنساها لطلحة! بل قد يرتقي الإنسان بمراعاته لمشاعر الآخرين إلى مراتب عالية من الكمال والسمو والرفعة ؛ فهذا يوسف - عليه السلام - قال: (هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ)! لم يقل: أخرجني من الجُبّ ؛ لا يريد جرح مشاعر إخوته وهم الذين رموه في البئر! قال عطاء بن رباح - رحمه الله -: "إنّ الرجل ليُحدّثني بالحديثِ فأُنصِت له كأن لم أسمعه قطّ ، وقد سمعتُه قبل أن يولد". كل ذلك مراعاة للمشاعر. ومن مراعاة المشاعر التي حثنا عليها الإسلام: عدم التحدث بين اثنين سرًّا بصوت منخفض وغير مسموع ؛ فقد نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن التناجي بين اثنين إذا كان الحاضرون ثلاثة ؛ مراعاة لشعور الثالث ، ويدخل في النهي - أيضاً - من جهة المعنى أن يتكلم اثنان بلغة أجنبية

لا يفهمها الثالث ؛ فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "إذا كنتم ثلاثةً فلا يتناجَ اثنانِ دون الثالث". (رواه البخاري) ، وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجَ اثنان دون صاحبهما فإنَّ ذلك يُحزنُه"! (رواه مسلم). قال الخطابي: "وإنما قال ليحزنه ؛ لأنه قد يتوهم أن نجواهما إنما هي سوء رأيهما فيه ، أو لدسيسة غائلة له! ومما حثنا عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - أن نشعر بحاجة الآخرين ، وأن نسارع في قضائها لهم ومساعدتهم فيها دون أن نُعَرِّضهم إلى المسألة التي تجرح مشاعرهم ؛ فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: بينما نحن في سفرٍ مع النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ جاء رجلٌ على راحلة له ، قال: فجعل يصرف بصرَه يميناً وشمالاً ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "من كان معه فضل ظهرٍ فليَعُدْ به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضلٌ من زادٍ فليَعُدْ به على من لا زاد له" (الظهر) الدابة يركب عليها. قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر ، حتى رأينا أنه لا حقَّ لأحدٍ منَّا في فضل (رواه مسلم). ومن ذلك: مراعاة شعور الانسان المقصر عندما تقدم له النصيحة فلتكن نصيحتك لأخيك تلميحاً لا تصريحاً وتصحيحاً لا تجريحاً. وقال الإمام الشافعي: "من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ، وعظه علانية فقد فضحه وشانه ومن ذلك: النهي عن سب الأموات: قد يكون الميت يستحق السب لكن له أقارب يتأذون بسَبِّه ، ولذلك نهانا النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك ؛ مراعاة لمشاعر الأحياء من أقارب هذا الميت ؛ فعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "لا تسبوا الأموات ، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا". (رواه البخاري) ، قال ابن عثيمين: "الأموات يعني: الأموات من المسلمين ، أما الكافر فلا حرمة له إلا إذا كان في سبه إيذاء للأحياء من أقاربه فلا يُسب ، وأما إذا لم يكن هناك ضرر فإنه لا حرمة له. قال صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء". (رواه الترمذي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع). ومن ذلك: مراعاة شعور أصحاب العاهات والأمراض قال - صلى الله عليه وسلم -: "لا تديموا النظر إلى المجذومين" (رواه ابن ماجه) ؛ فمن به عاهة لا يحد النظر إليه هذا من الأدب ؛ لئلا يحرج ، ولذلك الذكر الوارد في رؤية المبتلى: "الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به ، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً"(رواه الترمذي ، وصححه الألباني) لا يقال جهراً ؛ لئلا يحرج صاحب العاهة ، بل يسر في نفسه. ومراعاة مشاعر الكبير والصغير: بالعودة لهدي النبي - صلى الله عليه وسلم - تستقيم الحياة وتصفو النفوس ، ويُعْطَي كل ذي حق حقه ، فالصغير يجب مراعاة مشاعره ، وذلك برحمته وإشعاره بحبه والشفقة عليه ، والكبير ينبغي الاهتمام به وتوقيره وإشعاره بالتوقير لِكَبَرِ سِنِّه ؛ فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: جاء شيخ يريد النبي - صلى الله عليه وسلم - فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا"(رواه الترمذي). ومن ذلك: مراعاة المرء لمشاعر السائل الفقير ولا يجرحه ، فإن كان السائل لا يَستحِق المال ردَّه ردًّا جميلاً بكلمة طيبة ؛ فعن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال: أخبرني رجلان أنهما أتيا النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - في حَجَّة الوداع ، وهو يقسم الصدقة ، فسألاه منها ، فرفع فينا البصرَ وخفضه ، فرآنا جَلْدين ، فقال: "إن شئتما أعطيتُكما ، ولا حظَّ فيها لغني ، ولا لقوي مُكتَسِب"(رواه أحمد وصححه الألباني). ومن الخطأ الذي يقع فيه البعض تعنيف السائل وتغليظ القول له عندما يظن كذبه ؛ فصِدْق السائل وكذبه علمه عند الله - عز وجل - ، فيُعطى أو يُمنع من غير إهانة ، بل يُمنع

إذلاله أو المنّ عليه حتى مع العطاء ؛ فعن أبي ذَرٍّ - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "ثلاثة لا يُكَلّمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يُزَكِّيهم ، ولهم عذاب أليم" قال: فقرأها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاث مِرارٍ ، قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: "الْمُسْبِلُ والمَنَّانُ والمُنْفِقُ سلعته بالحلف الكاذب"(رواه مسلم). قال ابن عثيمين: "المنان: الذي يَمن بما أعطى ، إذا أحسن إلى أحد بشيء جعل يمن عليه: فعلتُ بك كذا ، وفعلت بك كذا ، و(المنّ) من كبائر الذنوب ؛ لأن عليه هذا الوعيد ، وهو مبطل للأجر لقوله - تعالى -: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى). هذا غيض من فيض من توجيهات الإسلام لمراعاة مشاعر الآخرين من حولنا ، والتعامل مع من حولنا برفق ورقي وإنسانية وهكذا في كل مجلات الحياة ، بل تعدى الإسلام بتوجيهاته إلى مراعاة مشاعر الحيوان والطير والبهيمة وغير ذلك من مخلوقات الله ؛ فعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سفر فانطلق لحاجته ، فرأينا حُمرَة (طائر صغير) معها فرخان ، فأخذنا فرخيها ، فجاءت الحمرة فجعلت تُعَرِّشُ (ترفرف بجناحيها) ، فجاء النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: "من فجع هذه بولدها؟ ، ردوا ولدها إليها". (أبو داود). ومن صور رحمته - صلى الله عليه وسلم - بالحيوان ومراعاته لمشاعره وأحاسيسه: نهيه عن المُثْلة بالحيوان ، وهو قطع قطعة من أطرافه وهو حي ، ولعَن من فعل ذلك ؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لعن من مَثَّل بالحيوان. (البخاري). وعن جابر - رضي الله عنه -: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - مر عليه حمار قد وُسِمَ (كوي) في وجهه ، فقال: "لعن الله الذي وسمه". (مسلم). وكذلك الذبيحة لا تُذبح أمام أختها ، لا تُحد السّكين أمام ناظرها ، وتُذبح بإحسان. إنّه دين الرّحمة ومراعاة المشاعر! ارفقوا يا قومنا بمن حولكم ؛ فدِيننا عظيم ، أيقظوا الأحاسيس والمشاعر في نفوسكم ، انشروا المحبة والألفة في مجتمعاتكم وأوطانكم ، خاصة ونحن في زمن طغت فيه المادة واستشرى الفساد وقست القلوب وحلت القطيعة والهجران وجفت المشاعر بين الناس مما أدى إلى تفشي الغلظة والشدة في تعامل الناس مع بعضهم ، وساءت الأخلاق ، وعلى المسلم أن يكون معول بناء لا معول هدم ، وأن يحسن إلى من حوله ، وأن يراعي مشاعر الآخرين ، وأن يتميز بسلوكه وأخلاقه ؛ التزاماً بدينه وطاعة لخالقه - سبحانه - ، واتباعاً لرسوله - صلى الله عليه وسلم).هـ. فإلى جلف الصحراء وأعرابي البادية الجاهل المجهال الجهول الجهل أهدي قصيدتي له ، وكانت مناسبة كتابتها أنه ملأ الفيس بك بنجاح ولده غير آبه برسوب ابن أخته! فكان أحقرَ خال لا يُراعي مشاعر الآخرين من حوله! والعجيب أن العائلة بأسرها والأصحابُ والأصدقاء قاموا أغلبهم بالتعليقات المبالغة في التعبير عن الفرحة والمباركة من القلوب! مع علم الجميع بما فيهم (الخال الشاذ) برسوب ابن أخته! وكان ينبغي التحفظ في الثناء والإطراء والمبالغة في المباركة! وكان ينبغي كذلك زجرُ الخال الأناني الجلف وطلب حذف المنشور لمراعاة مشاعر أسرة بأكملها مجروحة! وكان بإمكانهم الإطراء والثناء والمباركة على الخاص! ولكننا لا نستهجن ذلك من أجلاف جهلاء درجوا على الأنانية والجلافة وعدم الشعور! ألا إن مراعاة شعور الآخرين من حولنا فطرة مركوزة في النفس قبل أن تكون شعيرة من شعائر الإسلام! وكم عانت البشرية من هذا الصنف الحقير من الناس ، أعني الصنف الذي لا يُراعي مشاعر الآخرين ولا يأبهُ بجراحهم ولا يعتني بمصائبهم! الأمر الذي جعلني أحشد كل هذه الأدلة من الشريعة الربانية في مقدمة قصيدتي هذي! وذلك في محاولة مني لإثبات أن

مراعاة شعور الآخرين من حولنا أقرتْها الفطر الإنسانية السليمة ، وجاء الإسلام فأقر ما هو مركوز وثابت في الفطرة الإنسانية السوية! نقول للأنانيين الجهلاء افرحوا وعبّروا عن مشاعركم ، ولكن باحترام شعور الآخرين من حولكم! وإلا تفعلوا فلا خير فيكم!)

افـــرحْ ، وراع شـــعورَ قـــوم جُنـــدلوا ... وبكـــل ألـــوان المُكابـــدة ابتُلـــوا!

والوجْـــدُ حطـــمَ بأسَـــهم بضـــراوةٍ ... وطغـــى علـــيهم حُـــزنُهم ، فترهلـــوا

والكـــربُ غـــالبَهم ، فـــأوهى عَـــزمَهم! ... ومُصـــابُهم غـــالى ، فلـــم يتحمّلـــوا

وطـــوتْهمُ الآلامُ هـــم شُـــغِلوا بهـــا ... أبـــئسْ بعبـــدٍ – بالـــدغاول - يُشـــغل

وأتـــتْهمُ المِحـــنُ العتيـــة تجتنـــي ... أفـــراحَهم ، يـــا ليتهـــا تتحـــول!

عـــدِموا الـــذي يأســـى علـــى أحـــوالهم ... مِـــن أجـــل ذلـــك فـــي المصـــيبة جُنـــدلوا

مـــاذا عليـــك إذا حَزنـــت لحُـــزنهم؟ ... وأراك هـــذا النقـــدَ لا تتقبّـــل!

أوَلســـت (خـــالاً)؟ أمْ أنـــا مُتخـــرِّصٌ؟ ... الخـــالُ يـــأتي مـــا يَعيـــبُ ويُثقـــل؟!

الخـــالُ لا يأســـى علـــى ابـــن أخيّـــةٍ؟! ... هـــل مِثْـــلُ هـــذا – يـــا أماجـــدُ – يُعقـــل؟!

الخـــالُ يَفـــرحُ بابنـــه مُتبختـــراً ... وابـــنُ الأخيّـــة فـــي الحُـــزون مُكبـــل؟!

هـــذي مفارقـــة عَجيـــبٌ وصـــفها ... فيهـــا يَحـــارُ المَـــرءُ مـــاذا يفعـــل؟

هـــل هـــذه حقـــاً تقاليـــدُ الألـــى ... بـــدأوا المســـارَ ، وحَسّـــنوهُ وأكملـــوا؟

حاشـــاهمُ ، الأخـــلاقُ كانـــت سَـــمتَهم ... هـــم – واســـعاً – فـــي كـــل حُسْـــنى حَجّلـــوا

راعَـــوْا شـــعورَ الآخـــرين ، وأحســـنوا ... ولـــذِروة القِـــيَم العِظـــام توصّـــلوا

أهـــلُ المـــروءة لا تسَـــلْ عـــن دَأبهـــم ... والنـــذلُ – عـــن إســـفافه – لا يُســـأل

فالبـــذلُ طبْـــعٌ ، والشـــعورُ سَـــجيّة ... والنـــذلُ مهمـــا حـــاز لا ، لا يَبـــذل!

نِعمتِ الأخت ، وبئس الإخوة!

(كانت أسرة سعيدة هانئة ، يُضرب بها المثل بين الأسر في الصفاء والنقاء! وعندما مات الأب خلف تركة هي عقارات وأراضي! فإذا بالأبناء الذكور يساومون أختهم ويُخيرونها بين أخوّتهم أو إرثها في أبيها! فحاولت إثناءهم عن هذا المبدأ الخبيث الملعون الذي يغير معالم الحق والحقيقة. وقالتها لهم بكل صراحة: هل كان هذا الأب أباكم وحدكم ، ولم يكن لي بأب؟! كيف لا أرثُ فيه وآخذ حقي في تركته؟! إنني قادرة على مقاضاتكم وتوكيل أحد المحامين ، وسوف يأتيني حقي كاملاً مكملاً! ورغم ذلك كله لم يرتدع هؤلاء الإخوة! فلا وازع من دين وتقوى ، ولا خوف من الله تعالى! ولمّا لم تجد جدوى معهم ، سلمتْ أمرها لله تعالى وقالت: أختار إخوتي في الدنيا جمعاً للشمل فقط ، وحسابنا عند الله يوم القيامة! فلم تهزهم هذه الكلمات التي تهز الجبال الرواسي! فكانت بذلك عندي نعمتِ الأخت ، وكانوا بذلك عندي بئس الإخوة! إن المبدأ لا يتجزأ! وكون الأخ أو الأخت ينصاعُ لقرار إخوته الجائر في حقه بهدف الإبقاء على الأخوة والمودة لا يغير من كونهم ظالمين ومتجاوزين لحدود الله! ونسأل الله العافية والسلامة! فلقد عشنا في زمان يعمَد بعض الإخوة فيه إلى العودة للجاهلية الأولى وعاداتها وتقاليدها وسلومها وقوانينها! فلقد كانوا لا يورثون البنات! فها نحن أولاء نجد من يفعل ذلك اليوم! يقول الشيخ المنجد – في معرض رده عن سؤال بهذا الصدد - ما نصه: (أولاً: لا يجوز حرمان البنات من الميراث ، وهو من كبائر الذنوب. قال صاحب كتاب: "الزواجر عن اقتراف الكبائر" (106/2): "الكبيرة السابعة والثمانون بعد المائة: أكل المال بالبيوعات الفاسدة وسائر وجوه الأكساب المحرمة ، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ)... ثم ذكر الأدلة على ذلك ...ثم قال تنبيه: عُدَّ هذا كبيرة هو صريح ما في هذه الأحاديث ، وهو ظاهر" انتهى. وسئل الشيخ عبد العزيز رحمه الله: عن التحيّل على إسقاط حق المرأة من الميراث: فأجاب: "لا يجوز لأحد من الناس أن يحرم المرأة من ميراثها أو يتحيل في ذلك ؛ لأن الله سبحانه قد أوجب لها الميراث في كتابه الكريم ، وفي سنة رسوله الأمين عليه الصلاة والسلام ، وجميع علماء المسلمين على ذلك ، قال الله تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ) ، وقال في آخر السورة: (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)! فالواجب على جميع المسلمين العمل بشرع الله في المواريث وغيرها والحذر مما يخالف ذلك ، والإنكار على من أنكر شرع الله ، أو تحيّل في مخالفته في حرمان النساء من الميراث أو غير ذلك مما يخالف الشرع المطهر. وهؤلاء الذين يحرمون النساء من الميراث أو يتحيلون في ذلك مع كونهم خالفوا الشرع المطهر وخالفوا إجماع علماء المسلمين قد تأسوا بأعمال الجاهلية من الكفار في حرمان المرأة من الميراث" انتهى من "مجموع الفتاوى" (221/20). وسئل الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: ما الحكم الشرعي فيمن يحرمون الزوجات من الإرث بعد أزواجهن وكذلك البنات بعد أبيهن؟ فأجاب: "حرمان الزوجات من ميراث أزواجهن وكذلك حرمان البنات من ميراث آبائهن من فعل الجاهلية ؛ لأن أهل الجاهلية هم الذين يحرمون الإناث من الميراث ، والله جل وعلا جعل

للزوجات ميراثًا لقوله تعالى: (وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ). كذلك جعل للبنات نصيبًا من ميراث آبائهن قال تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ). هذا هو دين الإسلام الذي أنصف المرأة وأعطاها نصيبها قال تعالى: (لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا). ثانياً: يقسم الميراث بين الذكور والإناث ، للذكر مثل حظ الأنثيين ؛ لقوله تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ) ، بمعنى أن للذكر ضعف ما للأنثى ، فلو أن الذكر يأخذ ألفاً ، فالأنثى خمسمائة ، وهكذا.).هـ. فهل علم ذلك المتنطعون الظالمون الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويحرمون البنات من ميراثهن؟! إن الأمر أوضح من الشمس في رابعة النهار! هؤلاء قوم قد غرتهمُ الحياة الدنيا واستزلهمُ الشيطان ولعب بعقولهم! ونسأل الله العافية والسلامة! إننا إذ نكثر من الاستشهادات الشرعية من الكتاب والسنة واجتهاد العلماء فإننا نريد بذلك دعم حجتنا فيما كتبناه في قصيدتنا! كما أننا نريد إيضاح الأمر أمام القراء الأعزاء لئلا يقعوا فيما وقع فيه ظالمو قصيدتنا! وتحت عنوان: (حرمان البنات من الميراث) يقول الباحث الأستاذ محمد شحتة ما نصه: (هناك بعض من عادات المجتمع الجاهلي مازالت قائمة حتى الآن ، ومنها منع البنات من الإرث فهي عادة جاهلية حاربها الإسلام ، وقال قتادة: «كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان». ألا إن هذا الفعل لا يجوز مطلقاً ، وذلك لما فيه من الظلم وتعدي حدود الله تعالى ومشابهة أهل الجاهلية الذين يمنعون الإناث من الميراث ويؤثرون به الذكور ، فقال الله تعالى -: «لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا». وعدم توزيع التركة سبب من أسباب دخول النار والعياذ بالله! قال تعالى عقب بيان المواريث: «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ». وعادة منع البنات من الميراث ، بحجة أنه سيذهب المال إلى أزواجهن ونحو ذلك من الحجج التي يبطلون بها حقوق العباد ، فليس هذا مسوغًا لها ؛ لأنه عرف فاسد يتصادم مع نصوص الشرع. وحرمان البنات من حقوقهن ، يُعد غصبًا ، وحجر الغصب في الدار رهن بخرابها ، منوهًا بأنه لا أحد يأكل أموال الناس إلا ابتلاه الله سبحانه وتعالى بضياع كل المال ، المغتصب وغيره. والله تعالى لم يجعل توزيع التركة مفوضاً إلى أحد ، بل تولى سبحانه وتعالى بيان تقسيم التركة في كتابه الكريم حتى لا يقع خلاف! ومن هنا فلا يجوز شرعًا للأخ منعُ إخوته البنات من الميراث طالما ثَبت لهن حق في التركة. وسَبَقَ الإسلامُ الشرائعَ والقوانين الوضعية إلى إنصاف المرأة ، وكفالة حقوقها ، وحقَّق لها ذلك من خلال الآتي: أولًا أبطل الإسلام جميع المُمارسات الظالمة ضد المرأة لا سيما ما يخصّ الميراث ، والتي ذُكر طرف منها ، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ..»).هـ. وأشكر للأستاذ شحتة غيرته على القرآن والسنة وبيانه للحق في هذه الفتوى القصيرة اليسيرة المعبرة! فكم أبانت من غامض! وكم أرشدت إلى الحق! والشيخ ابن باز يقول في هذه المسألة ما نصه: (إن عدم إعطاء البنات حصتهن من الإرث ، أمر جاهلي من أمر الجاهلية ، فلقد كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الصغار ، ويقولون: إنما يأخذ المال من يحمل السلاح ويقاتل الرجال ، وهذا غلط كبير جداً ، وقد أنزل الله القرآن العظيم ، وقد بعث رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام

بشرائع محكمة ، وجعل من ذلك أن المال بين الذكور والإناث ، (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ) من الأولاد والإخوة للأبوين أو للأب ، وجعل للإخوة من الأم فرضًا خاصًا. فالواجب على المسلمين أن يسيروا على نهج الشريعة ، وأن يلتزموا بما حكم الله به فيعطوا البنات حقهن والذكور حقهم ، وعليهم أن يؤدوا للبنات ما سبق أن أخذوه من حقهن إلا إذا سمحن وتنازلن عن حقهن السابق أو اللاحق ، وهن مرشدات بالغات لا بأس بذلك ، وعليهم أن تراجعوا المحكمة الشرعية في كل ما أشكل عليهم ، مما يتعلق بالماضي والحاضر حتى تسير على أمر بين في جميع أمور التركة ، لا في الحاضر ولا في المستقبل ولا في الماضي ، ومن سمح من البنات المتزوجات أو غير المتزوجات وهن مرشدات مكلفات عن بعض حقهن أو عن حقهن بمحض إرادتهم بدون تحيّل أو إكراه فلا حرج في ذلك).هـ. والحقيقة أن الشيخ ابن باز قد أبدأ الأمر وأعاده في هذه الفتوى! فلقد قرأت له كلاماً كثيراً واستمعت منه الكثير والكثير حول هذا الموضوع الذي وقع فيه ظالمو قصيدتنا من منعهم إعطاء أختهم حقها في تركة أبيهم! وأما دار الإفتاء المصرية فكان من فتاويها في هذه المسألة: (إن حرمان الأنثى من ميراثها حرام في الشريعة الإسلامية ، (وهو أكل للأموال بالباطل ، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} ، ولم يوكل الشارع سبحانه هذه القسمة لا إلى نبي أو رسول ، وإنما أنزلها سبحانه وتعالى قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة ، ورتب على مخالفتها الوعيد الشديد ؛ بل إن الله تعالى ذكر المواريث ثم قال سبحانه: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ} ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم محذراً من أكل الأموال بالباطل: (مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ) رواه مسلم. وعليه ؛ فلا يجوز لأحد الورثة أن يمنع أحداً من حقه في نصيبه الشرعي ، وخاصة البنات من الورثة ، فلا يجوز منعهن من حقوقهن ولا إحراجهن للتنازل عن التركة ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ). أخرجه البيهقي في السنن الكبرى. ونوصي بتقوى الله تعالى ، فإن الحرام لا يبارك فيه ، قال عليه الصلاة والسلام: (إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ ، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى). رواه البخاري. والله تعالى أعلم).هـ. وإذن فالأمر واضح جداً لكل ذي عينين وعقل! أما المغالطة التي يتعلل بها هؤلاء فهي مكشوفة للجميع! وقال الدكتور نهار بن عبد الرحمن العتيبي تحت عنوان: (حكم حرمان البنات من الإرث) ما نصه: (اتقوا الله في الإناث وفي حدود الله إن كنتم تؤمنون بالله. هناك أناس يمنعون النساء من الميراث ، وهذا من دين الجاهلية ، ومن أخلاق الكفرة ، فلقد كان الكفار لا يورثون النساء ، وهذا باطل ، والواجب توريثهن ما أعطاهن الله ، ولا يجوز لأحد الاعتراض على ذلك ، وهذا نوع من الجاهلية ، ومن استحل هذا كفر ، نسأل الله العافية ، لا بد أن يعطوا ما شرع الله لهن ، فالذي يعاند في هذا عمله من سنة الجاهلية ، وأخلاق الجاهلية ، وإذا جحد ما شرعه الله كفر ، نسأل الله العافية).هـ. وفي فتاوى (نور على الدرب) سائلة تقول: لقد جرت العادة في قريتنا بأن البنات لا يرثن ، وإنما يعطين من بعض المال مقابل أن تتنازل هذه البنات لإخوتهن عن حصتهن في الميراث ، ويقولون بأنه بيع وشراء ، وأنا أحرص على إرضاء والدي ، وقد عرض علينا والدي نحن البنات مبلغًا من المال مقابل التنازل لإخواني عن نصيبنا نحن البنات ، علمًا بأن المال من

والدي وليس من إخوتي ، وقد قلت لوالدي بأن هذا لا يجوز ، وبأن ذلك يعرضه للعذاب ، ولكن إخوتي يقولون لأبي بأنهم لن يعملوا بالأرض ولا بالشجر إلا إذا سجل بأسمائهم ، وأبي مُصِر على الموافقة ، فنرجو من سماحة الشيخ الإجابة! وكان جواب الشيخ: لا يجوز للأب أن يخص البنين بالإرث ، ولا أن يلزم البنات بأن يأخذن العوض ، هذا منكر ، هذا من عمل الجاهلية ولا يجوز ، بل يجب أن يساعد على الأمر الشرعي ، وأن تكون التركة للجميع ، للبنين والبنات ، للذكر مثل حظ الأنثيين كما قال الله سبحانه: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ). وهكذا الإخوة الأشقاء ، والإخوة لأب ، يرثون للذكر مثل حظ الأنثيين كما قل جل وعلا: (وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ). يعني الإخوة الأشقاء والإخوة لأب ، هذا واجب ، ولا يجوز لأب ولا للأخ أن يحيد عن هذا الأمر ، هذا حرام منكر من سُنة الجاهلية ، كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والصبيان ، يورثون الذكور الكبار ، وهذا غلط كبير ، لا يجوز للمسلم أن يتشبه بالكفار ، بل التركة للصغار والكبار ، والذكور والإناث على قسمة الله ، وليس للأب أن يلزم البنات أو يعطيهن شيئًا من غير رضاهن لأجل أن يسمحن ، لا ، بل يجب أن يمكن من التركة. وسائلة أخرى تقول: لدينا عادات وتقاليد تحرم المرأة من الميراث بعد الزواج ، علمًا بأنها لا تطالب هي بحقها ، فما حكم الشرع في نظركم يا سماحة الشيخ! فأجاب: الزواج ما يحرم من الميراث ، هذه التقاليد باطلة ، كونها تزوجت وهي أخت الميت ، أو بنت الميت ، أو زوجة الميت ، ولها حق تأخذه ، فإذا مات إنسان عن خمس بنات ، أو عشر بنات ، بعضهن متزوج ، وبعضهن لم يتزوج ، فالجميع شركاء في الإرث ، أو مات عن أخوات ، أو مات عن أمه وهي متزوجة ، كل يعطى حقه ، الزواج ما يمنع ، فالتساهل بهذا منكر ، إلا إذا كانت المرأة رشيدة وسمحت لمن لم يتزوج ، قالت: أنا مستغنية بالزواج والحمد لله ، وحقي لكم ، إذا سمحت وهي رشيدة عاقلة ، وقالت: لأخواتها حقي لكم ، فلا بأس ، أما أنها تحرم من أجل الزواج فلا يجوز).هـ. فتاوى نور على الدرب! ويزيد الأمر تفصيلاً ووضوحاً ابن باز تحت عنوان: (حرمان النساء من الميراث) بقوله: (إن من المواضيع الهامة التي يشتكي منها بعض النساء ويتألم من وقعها على النفوس كل قريبة حرمها قريبها هو حرمان بعض النساء من ميراثهن الذي قسمه الله تعالى لهن بنفسه ولم يقسمه غيره ، فتجد المرأة أو الفتاة المحرومة واقعة بين نارين: نار عداوة إخوانها أو أعمامها إن هي طالبت بميراثها ونار أخرى هي فقد لمالها الذي استحقته بورثها له ممن استحقت منه الميراث ، فأصبحت تقاسي الظلم والحسرة ولا حيلة لها إلا بالدعاء لله عز وجل. لقد حدد الله تعالى ميراث النساء في كتابه الكريم وتولى القسمة سبحانه بنفسه مما لا يجعل لأحد عذراً بعدم العدل فالله تعالى هو أعدل العادلين وأحكم الحاكمين فجعل للأم السدس إن كان لابنها الميت أولاد ، والثلث إن لم يكن له أولاد فقال سبحانه: (وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا). وجعل للبنت النصف إن كانت لوحدها، ونصف حظ الولد أو الاشتراك في الثلث إن كنّ اثنتين فأكثر إن كان للميت أبناء ذكور فقال سبحانه: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ). كما حدد الله سبحانه وتعالى نصيب الأخوات والزوجات ، وحدد نصيب الجدة والأخوات لأم وبنات الأخ وغيرهن من النساء الوارثات بأنصبة محددة لا تزيد ولا تنقص ، وهو ملك لهن لا ينازعهن فيه أحد ، لكن وللأسف

الشديد هناك من يأكل ميراث النساء ولا يعطيهن حقوقهن ، والمرأة قد لا تعرف مالها من الميراث فتستغل من بعض الطامعين الذين لا يخافون الله عز وجل ، ويرجع استغلال النساء وأكل ميراثهن للأسباب التالية: أولاً: طمع الأقارب في ميراث المرأة وهذا الطمع إما لعدم علم المرأة بنصيبها ، وإما لضعفها وحاجتها للرجل ، فإذا طالبت بحقها حصل لها من اللوم والتعنيف والمعاملة السيئة ما لا تريده فازداد شقائها شقاء وازداد همها هماً. ولعلاج هذا الظلم الواقع على المرأة لا بد من تضافر الجهود لأن هذه المسؤولية مسؤولية مجتمعية ، وهذا سيستلزم تدخل الوزارات المعنية كوزارة الشؤون الاجتماعية لأنها هي الممثل الأساسي لكل ما يخص المجتمع ، ومن خلالها يتم حصر الأرامل والأيتام ، ويسنّ نظام لمعرفة المتوفين ومن يرثهم وهل استلم الورثة مالهم أم لم يستلموا؟ ويمكن التنسيق والتعاون مع كتابات العدل في هذا والأمر فقط يحتاج لتنظيم ومتابعة. ثانياً: التأخر في تقسيم التركة وهذا يحدث كثيراً ، وقد يكون ذلك التأخير إما بسبب تهاون الورثة ، أو بسبب تشعب تركة الميت وكثرة أملاكه وتفرقها في أماكن مختلفة ، وبالتالي لا تعرف المرأة كم نصيبها وربما تأخر حصولها على نصيبها سنوات عديدة. ويمكن علاج هذا السبب بالمبادرة بتوزيع التركة وعدم التأخر ، وأما التركة المتفرقة فيوزع كل ما يتم معرفته مباشرة ، ثم إذا تم معرفة أموال جديدة توزع مباشرة وهكذا حتى يتم انهاء جميع ما للميت ويحصل كل وريث على ما يستحقه من تركة الميت بما في ذلك النساء. ثالثاً: التقاليد والعادات القبلية الجاهلية، فبعض الناس لديهم عادات قبيحة لا يورثون المرأة ويعتبرون حصولها على ميراثها عيب يقدح في رجولة الرجل وهذا النوع قليل لكنه ظلم للمرأة وأكل لحقها بالباطل، ولعلاج هذا الأمر فيمكن من خلال التناصح وبيان حكم الله تعالى الذي فرض للمرأة ميراثاً وعند عدم تجاوب هؤلاء فتبلغ عنهم الجهات الرسمية حتى تعطى المرأة حقها وتبرأ الذمة بذلك. رابعاً: اعتقاد البعض أن المرأة لا تحسن التصرف في مالها وادعاءه أنه يحافظ على مصلحتها وهنا تكمن مشكلة عدم استفادتها من مالها الذي تكون في أمس الحاجة إليه وربما ضياع ميراثها فيما بعد خاصة عندما لا يهتم الولي على المال بالكتابة وتحديد ما للمرأة من مال وأين يوجد هذا المال. ويمكن علاج هذا السبب بإخبار المرأة الوريثة بمقدار مالها من مال وإعطاءها ما تحتاجه واستئذانها في المتاجرة بما بقي من المال بعد تحديده فإن أذنت ، فيتم إخبارها الأرباح والخسائر وما يشترطه ذلك الولي من أجل المتاجرة لها في هذا المال. خامساً: دعوى ضياع أموال الأسرة إذا كانت الزوجة من خارج تلك الأسرة أو العائلة ،فتحرم مالها من ميراث زوجها بحجة أنها أجنبية من العائلة أو الأسرة ، فتكون الزوجة من دولة أخرى أو قبيلة أو عائلة أخرى. ولعلاج هذه السبب فلا بد من رقابة مجتمعية من وزارة الشؤون الاجتماعية ويمكن أن تلجأ هذه المرأة للقضاء للحصول على حقها لكنها تحتاج إلى من يساعدها لمي تعرف الاجراءات التي يمكن من خلالها معرفة كيفية المطالبة لدى المحاكم. إن الواجب على كل مسلم أن يتقي الله تعالى وأن يعطي المرأة التي لها ميراث عنده ميراثها ، فلا يجوز لأحد كائناً من كان أن يحرم النساء من ميراثهنّ الشرعي الذي حدده الله تعالى ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وقد توعد الله تعالى في كتابه الكريم من لا يلتزم بقسمة الميراث كما بينها بالنار والعذاب الأليم ، فبعدما بين قسمة الميراث وأنه هو العليم بذلك الحكيم بهذه القسمة قال سبحانه: (وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ * تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ). وقال عز وجل في الآية التي قبل

هذه الآيات: (فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا). كما أن الواجب على ذوي الشأن كل في موقعه أن يأخذ للنساء حقوقهنّ ممن ظلمهنّ وحرمهنّ من الميراث ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، والظالم متوعد الله بالانتقام منه لقول النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ: (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ). رواه الإمام البخاري).هـ. ونزيد الأمر إيضاحاً بقولنا: أفلا يراجع هؤلاء الظالمين الذين منوا ق أختهم من الميراث قبل فوات الأوان؟ لا تزال الفرصة أمامهم! ولا يزال القرآن غضاً طرياً ينذرهم ويحذرهم ويرغبهم في الحلال الطيب! فلماذا يؤثرون الحرام الخبيث؟!وتحت عنوان: (حُوباً كَبِيراً) يقول الأستاذ محمد مسعد ياقوت) نقلاً عن: (موقع رسالة الإسلام) ما نصه: (شاعت في بعض المجتمعات ـ لا سيما في القرى والأرياف ـ جريمةُ أكلِ حقوق البناتِ في الميراث ، وكأن آكلي حقوقَ البنات أبوا أن يَخرجوا من عصر أبي جهل وأبي لهب ، حيث كان الجاهليون وعبدةُ الأوثانِ يأكلون حقوق البنات ، أو أن هؤلاء الفاسقون العصريون أبوا على الإسلامِ أن يُعطيَ المرأةَ حقها في الميراثِ ، أو كأنهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه ، فهم يصلّون ويؤمنون بقول الله تعالى في سورة النساء: {إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً} ، ولسان حالهم وفعالهم ، أنهم لا يؤمنون بقول الله تعالى في نفس السورة: {لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ}. ونقولُ لهؤلاء الذين فرقوا دينهم ، وطبقوا آية وعطلوا أخرى ، وصلوا ثم ظلموا ، وزكوا ثم بخلوا ، وصاموا ثم تركوا ، وحجوا ثم ختموا حياتَهم بحجة إلى الشيطان ـ إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: "اللهم إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ". [أخرجه أحمد وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة]. أَي: أُضيّقه وأُحرّمه على مَن ظلمهما. إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرى بنور الله ، أن هذين الضعيفين ؛ يضيعان في العائلات الفاسقة ، ويُأكلُ حقُهما على مائدة اللئام ، في زمن شاعت فيه أخلاق اللئام ، ونامت فيه أخلاق الكرام ، حيث لا ناصحَ ينصحُ ؛ ولا زاجرَ يزجر ، فلا أبٌ صالحٌ ، ولا ابنٌ فالحٌ. الأبُ الظالم يُقْسِمُ قسمةً ضيزى ، والابن يأكلُ ما ليس له ، ثم هو يقول: قد باء والدي بالذنب! وليت شعري! ليته يعلمُ أن الإثم قد تحّملاه معًا ، كالزانيةِ والزاني ، ويموت الأبُ الذي لم يعدلْ ؛ فلا الابنَ يشكرُ ، ولا البنتَ تغفر. . الابن فوق الأرض حيًا يتمرغ في نعمةٍ ليست له ، والأب تحت الأرض ميتًا يُحاسَب عليه ، والبنت المظلومة بين هذا وذاك ، تقول: اللهم العن هذا والعن ذاك ، فلعنة الله على الظالمين ، أَجمعين ، أَكتعين ، أَبصعين ، أَبتعين ، ولو كانوا آباءنا الأولين. وينادى المولى تبارك وتعالى على آكلي حقوق الضعيفين (اليتيم والمرأة): {وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ ، وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ، وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً}. أيها الوصي! أيها الأب! أيها الأخ الأكبر! أيها الورثةُ أجمعون! اعلموا ـ جميعًا ـ أنها أموالهم ، وأن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، "وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ" ، ثم اعلموا يا من أكلتم حق البنات أنكم أكلتم خبيثًا ، وأن آثارَ ما أكلتموه سيظهرُ على أجسامكم بالأمراض العُضال ، وبالأسقام العُجاب ؛ وسيظهر في حياتكم بالسنين العِجاف ، وبالخراب والدمار والمصائب واليباب ، "وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ" ، ومع ذلك لا زال الله تعالى يناديكم: {وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ} ، فهو فليس مالكُم ، {إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً} ، وإثمًا فظيعًا. {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً}. ألا تسمعُ هذا الوعيدَ الشديد ، ألا تعلمُ هذا العقابَ الرهيب ، ألا توَرّقُ مضجعك هذه الآيةُ العظيمةُ يا آكَل مالَ اليتيمِ واليتيمة ، ألا تُفزعك هذه الآيةُ الرعيبةُ يا من أخرت إنفاذَ حقِ أختِك في ميراثها ، وتحايلت على حقوق الضعفاء من إخوانك

وأخواتك ، وإذا نصحك الناصحُ وقال لك اعطِ أختَك حقَها: قلتَ ـ وقولك الزور ـ: (إن البنات لا يرثن أرضًا) ، ألا فتعلمْ أن البنتَ ترثُ مما ورثتَ أنت ، و{لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ}. وإذا قيل لك لماذا منعتَها حقَها ، وقلتَ ـ وقولك الباطل ـ: "لماذا أُعطيها وهي في عنقِ رجلٍ غني" ، ألا فلتعلمَ أنها ترثُ من أبيها ولو كانت متزوجةً من وزيرٍ يَحْثُو الْمَالَ حَثْيًا لا يَعُدُّهُ عَدَدًا! وإذا زجرك الزاجرُ ، وقال: لا تتحايلْ على حقِ أختك ، قلتَ ـ وقولك الفسل ـ: "لا أعطيها شيئًا ، حتى لا يذهبَ المالُ إلى الغريب ، فهي متزوجة من فلان ابن فلان الغريبِ البعيد"! قلنا: وهل المالُ مالك؟ وهل زوجُ أختك غريبٌ؟ وهل ذنبُ أختِك أنها أختُك ، أم أن ذنبَها أنها متزوجةٌ زواجًا شرعيًا من فلان؟ أم هي لن تطالَ منك شيئًا سواء كانتَ أم لم تكن؟ بل هو الطمع ، الذي أعمى القلوب ، والجشع الذي لن يُشبعَ البطونِ ، وحالك معهن حالُ البخيلِ الشحيح ، الذي إذا سَأل أَلْحَف وإذا سُئِل سَوَّف ، إذا سُئِل أَرَز وإذا دُعى انتهز ، انتبه! استفق! لا يدخلُ الطمعُ مدخلاً إلا أعقبه الدمار ، ولا يدخل الشرهُ مدخلاً إلا أعقبه البوار. ألا فلتعلمَ أن ما أكلتَ من حق أختك ؛ من مال وعقار ؛ ستُطوقه يومَ القيامة بإذن الله ، لو ظلمتها جنيهًا سيأتي عليك نارًا ، ولو ظلمتها شبرًا من أرضِ فسيأتي حول عنقك يومَ القيامة نارًا من سبع أرضين ، قال الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى: "مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنْ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ" [أخرجه البخاري ، في كتاب المظالم]. وهذا الحديثُ له قصةٌ عجيبة في صحيح مسلم ؛ وذلك أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ ـ رضي الله عنه ـ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، فَقَالَ سَعِيدٌ ـ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ـ: أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ؟ قَالَ: وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: "مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنْ الأَرْضِ ظُلْمًا طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ". فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا! فَقَالَ سَعِيدُ بْن زَيْدٍ ـ رضي الله عنه ـ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً ؛ فَعَمِّ بَصَرَهَا ، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا! قال بعض الرواة: فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا ، ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ [أخرجه مسلم 3022 ، في كتاب المساقاة]. وقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "خَمْسٌ لَيْسَ لَهُنَّ كَفَّارَةٌ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، أَوْ نَهْبُ مُؤْمِنٍ ، أَوْ الْفِرَارُ يَوْمَ الزَّحْفِ ، أَوْ يَمِينٌ صَابِرَةٌ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالاً بِغَيْرِ حَقٍّ" [أخرجه أحمد ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع]. وأحسب ـ والله ـ أن جريمة أكلِ حقوقِ البنات ـ في الميراث ونحوه ـ من "نَهْب المُؤْمِن" ، بل هي من السبع المهلكات ـ ولا سيما في حال اليتيمات ـ قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ!" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: "الشِّرْكُ بِاللَّهِ ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ، إِلا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاتِ [أخرجه البخاري]. هذا ، ويجب على الآباء أن يعدلوا بين الأبناء في الهبات ، الجميع سواء ، البنت مثل الابن سواء بسواء ؛ ولا يقولن أحدٌ إن للذكر مثل حظ الأنثيين في الهبات قياسًا على الميراث ، فهذا رأيٌ ضعيف لقول النبي ـ صَلَّى الله عَلَيه وسلَّم ـ: "سَوُّوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ ، فَلَوْ كُنْتُ مُفَضِّلاً أَحَدًا لَفَضَّلْتُ النِّسَاءَ" [أخرجه سعيد بن منصور والبيهقي ، وحسنه ابن حجر ، وضعفه الألباني]. ولقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلادِكُمْ" [أخرجه البخاري في كتاب الهبة] ، ولفظ الولد لغةً وشرعًا ينسحب على الذكر والأنثى ، فالابن ولد ، والبنت ولد ، وهما ولدان ، وهم جميعًا ـ ذكورًا وإناثًا ـ أولادٌ. وعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: سَأَلَتْ أُمِّي أَبِي

بَعْضَ الْمَوْهِبَةِ لِي مِنْ مَالِهِ ، ثُمَّ بَدَا لَهُ فَوَهَبَهَا لِي ، فَقَالَتْ: لا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَأَخَذَ بِيَدِي ، وَأَنَا غُلامٌ فَأَتَى بِيَ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَقَالَ: إِنَّ أُمَّهُ بِنْتَ رَوَاحَةَ سَأَلَتْنِي بَعْضَ الْمَوْهِبَةِ ، لِهَذَا قَالَ: "أَلَكَ وَلَدٌ سِوَاهُ؟!" ، قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: لا تُشْهِدْنِي عَلَى جَوْرٍ" [أخرجه البخاري في كِتَاب الشَّهَادَاتِ]. فإذا وهب الأبُ لابن من أبنائه قطعةَ أرضٍ على مساحة فدانٍ ـ على سبيل المثال ـ ؛ فإنه يجب على الأب حينئذٍ أن يُعطي لجميع الأولاد مثل ما أعطى هذا الولد ، ذكورًا وإناثًا ، للذكر فدانٌ وللأنثى فدانٌ أيضًا ، ولا عذر له ولو تعلل بعلل عليلة كأن يقول: إن هذا ولد بار وذاك ولدٌ عاق ، أو إن هذا ذكر يأخذ ، وهذه بنت لا تأخذ ، فكل هذه الأفكار باطلة فاسدة لا تساوي شيئاً! أيسرك أن تأكل ثمرةَ فاكهة مسمومةٍ ، أو أن تطعمها أولادك ، أو أن ترى رجلاً غافلاً يهم بأكلها وتتركه؟ أيسرك ذلك؟ لأكلُك حقًّا ليس لك لهو أخفَ ضرراً من أكلك طعامًا مسمومًا يقتلك ؛ إذ إن أكلَك حقًا ليس لك يؤدي بك إلى نار جهنم التي تشوي لحوم الظالمين. ولئن تتركَ ولدَك يشربُ سمًا ناقعًا زُعافًا ؛ لهو خيرٌ لك وله من أن تتركه يأكل حق أخِته من إرثك الذي خلفت. ولئن تُنقذَ إنسانًا من الوقوع في جريمة أكل حقوق البنات لَذَلك أعظمُ خيرًا وبركةً من إنقاذه من الموت. فالعملَ العمل.).هـ. وأنا هنا في هذه القصيدة أحاول وصف تسامح هذه الأخت الكريمة ووصف هؤلاء الإخوة الطماعين الجشعين!)

يـــا قـــومي مـــا هـــذا الضـــلالُ المُطبـــقُ؟ فـــي أي عهـــدٍ نحـــن؟ قولـــوا واصـــدُقوا!

مـــاذا جـــرى للنـــاس حتـــى أســـرفوا فـــي المُوبقـــات وغـــالطوا وتحـــذلقوا؟!

وسَـــبتْ عقـــولهمُ الغوايـــة والهـــوى فـــإذا بـــأغلبهم بمـــا اقترفـــوا شَـــقوا

وتنكّـــروا للحـــق شـــر تنكـــر ولـــذا المَخـــاطرُ بـــالمَرابع تُحْـــدق!

وتنكّبـــوا سُـــبُلَ الهدايـــة جهـــرة وتقلـــدوا الفتـــوى ، فبـــئس المنطـــق!

أفتـــوا خزعبلـــة بـــدون تثبـــتٍ يـــا ويحهـــم طعنـــوا الـــدليلَ ، ولفقـــوا

وإذا أتـــاهم مَـــن يُـــذكّر أعرضـــوا وبكـــل سُـــوءٍ جـــاهروا ، وتخلقـــوا

وإذا البـــراهين اســـتبانتْ غـــالطوا وتـــذرّعوا بالجهـــل ، ثـــم تفيهقـــوا

وإذا أتـــوا بـــالآي يَســـطعُ نصـــها بـــالطعن فيمـــا قررتْـــه تشـــدّقوا

وإذا أتـــوا بحـــديث (أحمـــد) ضَـــعّفوا أو شَـــككوا ، أو فـــي التحقـــق أخفقـــوا

وإذا أدِينـــوا كـــابروا وتعـــالموا وغـــزا قلـــوبَهمُ الجـــدالُ المُوبـــق

وإذا دُعُـــوا للعلـــم يَضـــبط مـــا ارتـــأوا فـــإذا بهـــم بـــدجى العقـــول تعلقـــوا

ورأيـــتُ أنصـــبة الفـــرائض بُيّتـــتْ ومَنارُهـــا فـــي ديننـــا يتـــألق

أيـــن الغمـــوضُ وكـــل شـــيء مُثَبـــتٌ ... والفقـــهُ مُتضـــحُ الصُـــوى ، ومُوثـــق؟!

فـــــيم التعلـــــلُ بالتقاليـــــد التـــــي ... تئـــدُ النصـــوصَ ، وبالضـــلالة تنطـــق؟

مـــن قـــال: إن البنـــت يَحْـــرُمُ إرثَهـــا؟ ... إنـــي علـــى مَـــن قـــال ذلـــك مُشـــفق!

أرأيـــت نفســـك يـــا جَهـــولُ مُشَـــرّعاً ... وبكـــل نـــص دان جهلـــك تَشْـــرَق؟!

أم قـــد غـــدوت – علـــى الهُـــدى - مُســـتدركاً ... أمســـى يُوسّـــعُ مـــا الســـلام يُضـــيق!

اشـــرَق بفِســـقِك ، أنـــت صـــاحبُ بدعـــةٍ! ... ولكـــم ببدعتـــه غـــويٌ يفسُـــق!

مهمـــا وجـــدت الـــدعمَ مِـــن أهـــل الغبـــا ... ممـــن أراذلهـــم لحمقِـــك صَـــفقوا

مهمـــا احتميـــت بمـــن يؤيـــدُ فِريـــة ... فـــالحقُ دومـــاً للمَخـــارف يَمحـــق

مهمـــا افترضـــت الجَـــورَ فـــي شَـــرع الهُـــدى ... عبثـــاً تُغـــرّبُ فـــي الـــرؤى وتُشـــرّق!

فلســـوف تردعُـــك الأدلـــة ، شمسُـــها ... فـــوق الأحـــاجي ذات يـــوم تُشـــرق

والبنـــتُ وارثـــة بـــنص كتابنـــا ... وبـــنص سُـــنة (أحمـــدٍ) ، فتحققـــوا

إن مـــات عائـــلُ أســـرةٍ عـــن تِركـــةٍ ... ورثتْـــه ، هـــذا شـــرعُ رب يَخلـــق

لكـــنْ لهـــا نصـــفُ الفتـــى فـــي حظـــهِ ... واتلـــوا (النســـاءَ) بدقـــةٍ ، وتعمقـــوا!

لـــمَ الاحتيـــالُ علـــى الشـــريعة يـــا غثـــا؟ ... بـــين الشـــريعة والتخـــبط فرّقـــوا!

أتُحَكمـــــون الجاهليـــــة بيـــــنكم؟ ... بـــل شِـــرعة القـــرآن هيـــا طبقـــوا!

أعطـــوا الأخيّـــة حقهـــا ، واسترشـــدوا ... حتـــى تـــدومَ مَحبـــة وتعلـــق

أتُخيّروهـــــا بـــــين إرثٍ والإخـــــا؟ ... بـــئسَ الخيـــارُ بـــه لغـــا مَـــن يَســـرق!

بـــئس الأخـــوّة ضـــاعَ جوهرُهـــا الـــذي ... فـــي ظِلـــه ينمـــو الـــودادُ المُـــورق!

بـــئس الأشِـــقاءُ الألـــى لـــم يَعـــدِلوا ... وبـــأختهم فـــي الإرث لـــم يترفقـــوا!

أكلـــوا – بـــلا حـــق تـــرَجّح – إرثَهـــا! ... إذ خيّروهـــا حِيلـــة ، وتملقـــوا

هـــو لـــيس تخييـــراً ، ولكـــنْ خُدعـــة ... فيهـــا كـــلامٌ مُـــوهمٌ ومُنمـــق!

هـــذا هـــو الظلـــمُ الغشـــومُ بعينـــه ... والإرثُ مـــن فضـــل المهـــيمن غيـــدق

يكفـــي الجميـــعَ ، يزيـــدُ عـــن حاجـــاتهم ... ويُمكّـــــن الـــــوُرّاثَ أنْ يتصـــــدّقوا!

فلـــمَ المُســـاومة الرخيصـــة ضَـــيّعتْ ... حقـــاً – بوارثـــةٍ هنـــا – يتعلـــق؟!

وهـــي المَعـــوذة ، لـــم تكـــنْ مَيســـورة ... تحتـــاجُ مَـــن خيـــراً عليهـــا يُغـــدق

لا ، أن يُســـــاومَها علـــــى إرثٍ لهـــــا! ... والظلـــمُ أوتـــادَ الأخـــوّة يَحـــرق!

واختـــــارتِ الأخـــــتُ الإخـــــاءَ تجمّـــــلاً ... لمّـــا أعِـــزتْ فـــي الخطـــاب لمَـــن شَـــقوا!

والإرثُ ضـــاعَ ، ونجـــمُ عودتـــه خبـــا! ... وعلـــى مســـاحته أقـــيمَ الفنـــدق!

لـــم تمتلـــكْ لنقـــولَ عنـــه تنازلـــتْ ... بـــل إخـــوة - حـــول الخِـــداع - تحلقـــوا!

وتوهمـــــوا أنْ أقنعوهـــــا بالـــــذي ... ذهبـــوا إليـــهِ ، وزينـــوه وزوّقـــوا

واللهِ مـــا اقتنعـــتْ ، ولا هـــي أذعنـــتْ ... بـــل حاولـــتْ مـــع مَـــن طغـــوا وتشـــدّقوا

واللهِ مـــا رَضـــختْ ، ولكـــنْ أحرجـــتْ ... واستســـلمتْ لمّـــا الجميـــعُ تفيهقـــوا

ولســـوف تجتمـــعُ الخصـــومُ ، وتلتقـــي ... عنـــد الـــذي يُعطـــي الأنـــامَ ويـــرزق!

وهل نحن جئنا لنقرأ؟!

(كانت بين أحد الناس وأحد المرتزقة مداينة ، فحولها المرتزق لتكون عند طرفٍ ثالث! فقال الدائن: لا يجوز هذا إلا باستئذان الدائن ، فإن قبلَ وإلا فلا! فقال المرتزق: لن أكتب شيئاً ، فقال الدائن: لم؟ فقال: ما عندي فلوس. فقال الدائن: لنكتبْ بأن الأداء والسداد يكون بعد سنواتٍ خمس! فقال: لا! فقال الدائن لمّا أحس بتلاعب المدين المرتزق: أمامك مُهلة ثلاثة أيام لتؤدي الدَين ، وإلا لجأتُ للقضاء الشرعي ويلزمني البينة ويلزمك اليمين! فلما أحسّ المرتزق بجدية الرجل ذهب وأحضر المبلغ وشهّر بالرجل وفضحه بين الناس وأخذ موقفاً استمر عقدين من الزمان قطيعة! وهو الذي كان يلود كما تلود النساء لحل مشاكله عند دائنه الذي ينكر دينه اليوم! وكان قد أوهم الجميع بما فيهم الدائن بأن جميع من حوله قد خذلوه! واعتاد أن يختم وأهله وأبناؤه القرآن! فذهب الرجل وأحضر الكتب التي تثبتُ حُجته بالأدلة ، وناوله إياها ليعرف الباطل من الحق في المسألة فقال متجهماً: وهل نحن جئنا لنقرأ؟! فتخيلتُ حوارهما ، وقمتُ بصياغته شعراً فكانت هذه القصيدة!)

وفـــرْ حـــديثك ، واقـــرأ الأســـفارا ... واتـــلُ المســـائلَ ، وادرُسْ الأفكـــارا

واحفـــظ مِـــن الأوراد قِســـطاً كافيـــاً ... واســـتظهر المـــأثورَ والأذكـــارا

واعـــربْ وعَـــرّبْ مـــا تشـــاءُ بدقـــةٍ ... وزنِ الكـــلامَ ونقـــح الأشـــعارا

وانقـــدْ وصَـــحّحْ ، وانتقـــدْ مـــا تشـــتهي ... ممـــا تـــراه ، ودَقـــق الأخبـــارا

واكتُـــبْ ، ودوّنْ فـــالمواقفُ جَمـــة ... واجعـــلْ كتابتـــك القـــريضَ شِـــعارا

وامْهـــدْ لنفســـك ، لا تفـــوّتْ فرصـــة ... إن الأماجـــدَ ولـــوُا الأدبـــارا

وبقيـــت وحـــدك فـــي مُواجهـــة الغثـــا ... ورفـــاقُ دَربـــك يـــا همـــامُ حَيـــارى

وكمـــا تـــراهم عـــن غِياثـــك أعرضـــوا ... أمســـى انتصـــارُهمُ - لمثلـــك - عـــارا

أحضـــرت لـــي كتبـــاً لتُقنعنـــي بمـــا ... حـــوتِ الســـطورُ تزيـــدُني استبصـــارا

وأراك أخطـــأت الطريـــقَ ، فـــإنني ... لســـتُ الـــذي يَستصـــحِبُ الأســـفارا

مـــا لـــي وللكتـــب التـــي أحضـــرتها ... بـــات الـــذي أ حيـــا لـــه الـــدولارا

يـــا صـــاح مـــا جئنـــا لنقـــرأ عِبـــرة ... إن القـــراءة تجلِـــبُ الأخطـــارا

بالجهـــل نبلـــغ مـــا نريـــدُ تحـــايُلاً ... والجهـــلُ خيـــرٌ مَنهجـــاً وسِـــتارا

بالجهـــل أصـــبحْنا أنمـــة قومنـــا ... والمـــالُ أغـــدِقَ فوقنـــا مِـــدرارا

بالجهـــــل لُكْنـــــا الآيَ دون تفقـــــهٍ ... حتـــى غـــدَوْنا – فـــي الـــورى - الأحبـــارا

بالجهـــل أعطِينـــا البيـــوتَ هديـــة! ... واللهِ لـــم نـــدفعْ لهـــا إيجـــارا

وكـــذا مُنِحنـــا المـــاءَ قبـــل الكهربـــا! ... والأكـــلَ لـــم نـــدفعْ لـــه دينـــارا

بعنـــا - لمَـــن دَفعـــوا - الديانـــة جَهـــرة ... والـــبعضُ جـــادَ ، فـــأكرمَ السمســـارا

إنـــا تنازلنـــا عـــن الحـــق الـــذي ... عِشـــنا نُحَـــرّفُ نصـــه اســـتكبارا

مـــا الأمـــرُ يأتيـــه الرجـــالُ نطيقـــه! ... الجَـــدُّ كـــم يَســـتهجنُ الأغـــرارا

لمّـــا يكُـــنْ عَرَضـــاً قريبـــاً هينـــاً ... حتـــى نصِـــرّ - علـــى المَضـــا - إصـــرارا

لمّـــا يكـــنْ سَـــفراً قصـــيراً قاصـــداً ... لنتـــوبَ ، ثـــم نتـــابعَ المختـــارا

نحـــن ارتزقنـــا بالكتـــاب وآيـــهِ ... ولـــذا أمِنـــا القيـــدَ والأشـــرارا

لا لـــن نكـــون المُبعـــدين تشـــفياً ... كـــلا ، وصَـــدّقْ لـــن نكـــونَ أســـارى

ســـنعيشُ أحـــراراً ، ونرتـــعُ فـــي الـــدنا ... مَـــن فـــي الأنـــام يُضـــارعُ الأحـــرارا؟

لـــك قـــد تركنـــا كـــلَ أســـفار الهُـــدى ... كـــي لا نُعامـــلَ غيّبـــاً حُضـــارا

مـــا أجمـــلَ الأمـــوالَ نحصُـــدُها بـــلا ... جهـــدٍ ، ولا نلقـــى الجـــزاءَ خســـارا!

والكـــل يَشـــرُفُ أن نكـــون ضُـــيوفه ... والكـــل يُكْبِـــرُ جَمعَنـــا إكبـــارا

حِيـــزتْ لنـــا الـــدنيا بأجمـــل زخـــرفٍ ... ونـــراك تلعَـــقُ - فـــي الـــدنا - الصـــبارا

وانظـــرْ لواقعـــك البئـــيس مُقارنـــاً ... وتتبـــع الأنبـــاءَ والآثـــارا

مَـــن أنـــت حتـــى تســـتمي لمَقامنـــا؟ ... المَجـــدُ عنـــك وعـــن سَـــماك تـــوارى

الجهـــلُ أغنانـــا ، وأفقـــرك الهُـــدى ... والجـــاهلون غـــدَوْا لنـــا أنصـــارا

وظَلِلـــتُ أنتظـــرُ الســـفيهَ لعلـــه ... يَـــزنُ الكـــلام ، ويَحفـــظ الأقـــدارا

وضـــبطتُ أعصـــابي ، ولـــم أكُ ثـــائراً ... إنّ التهـــورَ يَهـــزمُ الثـــوارا

فـــي بيتنـــا جَهـــرَ الغشـــيمُ بجهلـــه ... وتقيـــأ الأغـــلاط والأوضـــارا

أفتـــى خزعبلـــة ، وجـــاهرَ بـــالأذى ... فليحمـــــل المُســـــتنكفُ الأوزارا

أخطـــاؤه ثقلـــتْ ، ونـــاءَ بحَملهـــا ... كـــم مِـــن شـــقيٍّ يحمـــلُ الأوقـــارا!

أذنبـــتُ يـــومَ جعلـــتُ مثلـــك صـــاحبي ... وقسَـــمتُ بيتـــي ، واتخـــذتُك جـــارا

وبـــذلتُ معروفـــي ، ولـــم أكُ بـــاخلاً ... حتـــى تقـــرّ - ومَـــن تعـــولُ - قـــرارا

هـــذا جزائـــي اليـــومَ منـــك بـــلا حيـــا ... وأراك مُعتـــدياً خفـــرت جـــوارا

وأنـــا الـــذي حاجَجْـــتُ عنـــك مُنافحـــاً ... كـــي لا تعـــانيَ فـــي الحيـــاة عَثـــارا

اليـــومَ تصـــدِمُني بلهجـــة غـــادر! ... واللهُ لـــيس يُوفـــقُ الغـــدارا

أشـــمتّ فـــيّ اليـــوم قومـــاً حـــذروا ... أمســـى علاجُـــك – للأمـــور - شـــنارا

أســـفرت عـــن جهـــل وسُـــوء طويـــةٍ ... وعلـــى علائقنـــا ســـكبت النـــارا

لنســـيرَ فـــوق الجَمْـــر ، تحرقنـــا بـــه ... وأراك أضـــمرت الأذى إضـــمارا

لمّـــا أبيـــت قـــراءة الـــنص الشريـــ ... ـــف تكبـــراً ، ولفظـــت الاســـتذكارا

لمّـــا يكـــنْ خطـــأ تُـــلام لفعلـــه ... فلقـــد وجـــدتُك هـــازلاً ختـــارا

والعيـــبُ عَيبـــي يـــوم خِلتُـــك قارئـــاً ... تهـــوى الـــدليلَ ، وتـــدرُسُ الأفكـــارا

إذ قلـــتَ: هـــل جئنـــا لنقـــرأ فكـــرة! ... وحـــروفُ سُـــؤلِك خِلتُهـــا أحجـــارا

إذ عِشـــتَ تخـــدعُنا بأنـــك قـــارئٌ ... تتلـــو الكتـــابَ ، وتقتنـــي الأســـفارا

فـــإذا بكـــذاب بضـــاعتُه الهـــوى ... فـــي حَبكـــة التمثيـــل لـــيس يُبـــارى

إذ أنـــت مُرتـــزقٌ بَـــدَتْ أوصـــافه ... تتلـــو الكتـــابَ لتجنـــيَ الـــدينارا

لمّـــا تكـــنْ مِـــن أهلـــه ودُعاتـــه ... بـــل صِـــرت مُرتزقـــاً بـــه سَـــحارا

بينـــي وبينـــك موعـــدٌ وقيامـــة ... فيهـــا نُلاقـــي الواحـــدَ القهـــارا

يَقـــتصُ منـــك ، فقـــد وَجَـــأت كرامتـــي ... وأذعـــت - مِـــن بـــين الـــورى - الأســـرارا

تغير الحال أم الخال؟!

(تجشّم المشتاق لزيارة خاله بعد فراق دام عقداً ونصف. وإذا بالخال يعتذر عن اللقاء رغم استطاعته. فراح ابن اخته يذكّره بالماضي ويلومه على هذا السلوك العجيب ، ويعترف له بالفضل والجميل ، ويذكّره سالف عهده من العطاء والتفاني بلا حدود. ويتمنى لو عادت هذه الأيام التي كانا يتبادلان الحب الحقيقي دون أحقاد أو ضغائن أو منغصات ، في كنف عائلة كريمة متحابة متآلفة يعطف كبيرها على صغيرها ويرحمه ، ويحترم صغيرها كبيرها ويوقره. أيام كانت أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع إذا قورنت بأيامنا الحالية. ويعود تاريخ كتابة هذا النص إلى صيف عام 2000 م ، وكان عمري عامها سبعة وثلاثين عاماً ، وكنت قد عانيت في كتابة هذه القصيدة الأمرّين ، وتردّدتُ كثيراً قبل الشروع في كتابتها. وهممت بعد أن جف الحبر عنها ورفع القلم عن تصحيحها واعتبرتها واحدة من قصائدي العتابية ، هممت أن أمزقها وألقي بها بعيداً عن عيني. ولكنني أردت أن أجعلها مثالاً يُحتذى ودربا يُتبع في العتاب الذي يتعين بين ابن الأخت والخال ، خاصة إن كان خالاً يستحق معنى الكلمة الحقيقي عندما يقوم بواجبات الخؤولة كما ينبغي لها أن تكون. الخال الذي يعتبره المصريون والداً له من الوالدية الجزء الكبير! فإذا به ينقلب فيتنكر لما تقتضيه الخؤولة والوالدية والضيفية التي كان ينبغي أن تراعى! إنني أعتب هنا وأسأل: ما الشئ الذي تغير؟ ومن الشخص الذي تغير؟ إننا نظلم الأحوال والأغيار عندما نتهمها بالتغيير! وأجعل عنوان القصيدة هكذا: (تغير الحال أم الخال؟!) وإنني لأسأل الله تعالى أن يزيل الغشاوة التي على عيني ذلك الخال ليُدرك أن ابن أخته لا يزال حافظا للود مراعياً للقرابة معترفاً بالجميل والفضل مبقياً على كل وشائج المودة والقربى حتى آخر رمق في حياته. وما عانيت في حياتي كلها من خلق دني في إنسان ما بعد الكفر والشرك بالله قدر ما عانيت من مسلم يهضم الآخرين حقوقهم ويأخذ ولا يعطي وينتفع بالصحبة والأخوة والقرابة ولا ينفع أهلها إن استطاع. إن الحياة أخذ وعطاء ، ومنفعة وانتفاع. وليست كما يحلو لكثيرين أن يتصوروها أنانية وخذلاناً للآخرين وانتقاصاً لمقاديرهم وهضماً لحقوقهم! ألا إن المروءة والنجدة والجود صفات ثمينة لا يتحلى بها اليوم في الناس إلا القليل! وهذه الخلال لا دين لها ، فلقد يتحلى بها المسلم والكافر على حدٍ سواء. قال معاوية للحسن بن علي: ما المروءة يا أبا محمد؟ قال: فقه الرجل في دينه ، وإصلاحه معيشته. قال: فما النجدة؟ قال: الذَّبُّ عن الجار ، والصبر عن النائبة ، والإقدام على الكراهية. قال: فما الجود؟ قال: التبرع بالموجود ، والإعطاء قبل السؤال. وجرى بين أبي الأسود الدؤلي وبين امرأته كلام في ابن كان لها منه ، وأراد أخذه منها فصار إلى زياد وهو وال بالبصرة ، فسبقته المرأة فقالت: أصلح الله الأمير! هذا ابني كان بطني له وعاء ، وحجري له فناء ، وثديي له سقاء ، أكلؤه إذا نام ، وأحفظه إذا قام ، فلم أزل كذلك سبعة أعوام حتى كملت خصاله ، واستوكفت أوصاله ، فحين أمّلت نفعه ، ورجوت دفعه أراد أن يأخذه مني كرهًا ، أيها الأمير. فقال أبو الأسود: أصلحك الله هذا ابني حملته قبل أن تحمله ، ووضعته قبل أن تضعه ، وأنا أقوم عليه في أدبه ، وأنظر في أوده أمنحه حلمي ، وألهمه علمي ، حتى تحكم عقله واستحكم فتله. فقالت: أصلح الله الأمير – صدق ، حمله خفًا ، وحمله ثقلًا! ووضعه شهوة ، وضعته كرهًا! فقال زياد: اردد على المرأة ولدها فهي أحق به منك ، ودعني من سجعك يا أبا الأسود! وليت الخال إذ تنكر للمروءة اعتبرني ضيفاً عليه لا ابن أخت ، فخلع عليّ وصف الضيفية وأولاني حقوقها! قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) وقال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته ، قالوا: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه ، ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يؤثمه) متفق عليه. ومعنى: (جائزته يومٌ وليلة) أي: يكرمه ويتحفه ويحفظه

يوماً ، وثلاثة أيام ضيافة ، وقال الخطابي معناه: أنه يتكلف له في اليوم الأول ما اتسع له من بر وإلطاف ، وأما في اليوم الثاني والثالث فيقدم له ما كان بحضرته ، الاجتهاد في اليوم الأول هو الجائزة ، والثاني والثالث ما كان بحضرته ولا يزيد على عادته ، وما كان بعد الثلاث فصدقة ومعروف ليس بواجب عليه. وقوله (صلى الله عليه وسلم): (ولا يحل له أن يقيم عنده حتى يؤثمه) معناه: لا يحل للضيف أن يقيم عند المضيف بعد الثلاث من غير استدعاء إلا إذا أصر وألح عليه وطالبه بذلك ، لئلا يقع المضيف في الإثم والحرج. وعن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليلة الضيف حق على كل مسلم ، فمن أصبح بفنائه - أي: الضيف- فهو عليه دين إن شاء اقتضاه وإن شاء تركه) رواه أبو داود. وعن عقبة بن عامر قال: (قلنا: يا رسول الله! إنك تبعثنا فننزل بقومٍ فلا يقروننا فما ترى؟ فقال: إن نزلتم بقومٍ فأمروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا ، فإن لم يفعلوا فأخرجوا منهم حق الضيف الذي ينبغي له) خذوا منهم ، رواه مسلم. أقول: ليت هذا الخال العجيب أمره إذ أسقط حق الخؤولة لأي داع من الدواعي ولأي سبب من الأسباب ، ليته منحني كما أسلفت حق الضيف ، بموجب هذه الأحاديث على قائلها أزكى صلوات الله وأتم تسليماته ووافر بركاته! تلك الأحاديث التي قرنت حقاً كمال الإيمان بإكرام الضيف! وأسأل الله أن يعيّ ذلك الخالُ المبدأ الذي كتب له النص!)

خـــالٌ بـــأي شـــنار بُـــؤتَ يـــا خـــالُ؟ وكيـــف أزتـــك أطـــوارٌ وأحـــوالُ؟

وكيـــف تطعـــن بالبهتـــان سُـــمعتنا؟ والطعـــنُ والكِـــذب والتضـــليلُ أوبـــال

وكيـــف ترمـــي بســـيف الغـــدر عِشـــرتنا؟ فـــأين عُـــرفٌ تلاقـــى عنـــده الآل؟

وكيـــف تقصِـــم بـــالتوهيم مَحْتـــدنا؟ أواه كـــم تـــنقصُ الأقـــولَ أفعـــال!

وكيـــف تنكـــر مُحتـــالاً علاقتنـــا؟ لطالمـــا زيّـــف الصِـــلاتِ محتـــال!

وكيـــف تقطـــع حـــبلاً كـــان يجمعنـــا؟ عليـــه كـــم عُلّقـــتْ رُؤىً وآمـــال!

وكيـــف تهـــدم مـــا شـــادت عزائمُنـــا مـــن الـــوداد ، وفـــي النيّـــات أطـــلال؟

وكيـــف ترفـــع كفـــاً طالمـــا بـــذلت؟ تهـــوى بهـــا مثلمـــا يحـــتج أنـــذال

وكيـــف تُشـــهر ســـيف الكيـــد مُنحـــدراً إلـــى الحضـــيض؟ ألا خانتـــك أصـــلال!

وكيـــف أهـــدرتَ عـــن عمـــدٍ قرابتنـــا؟ أهكـــذا يَـــذبحُ القرابـــة الخـــال؟

كـــم كـــان يحسُـــدنا الأغـــرابُ إن نظـــروا ويكـــذبون إذا عـــن شـــأننا قـــالوا؟

وكـــم رأيتـــك فـــي الجـــوزاء قـــدوتنا! إن قلـــت حقـــاً ســـعتْ بـــالحق أشـــبال

وإن تحـــذرْ مِـــن الأخطـــاء نفعلهـــا فكنـــت تعـــذرنا ، فـــنحن أطفـــال

علمتنـــا الجـــدّ فـــي الأمـــور نركبهـــا وأنـــت للخيـــر مِقـــوالٌ ومِفعـــال

أعنتنـــا يـــوم أحنـــى الضـــعف هامتنـــا ... ويـــــوم آلمنـــــا فـــــي الخلـــــق إذلال

وجُـــدت إذ بخلـــتْ دهـــراً أقاربنـــا ... والجـــودُ يســـلكه فـــي النـــاس أبطـــال

وكنـــتَ شـــجعت مَـــن خـــارت مطامحُـــه ... فـــــنعمَ مَنقبـــــة! ونعـــــمَ أقـــــوال!

وكنـــتَ أعطيـــتَ مَـــن يرجـــو مســـاعدة ... وأنـــت يـــا خـــال - بـــين الأهـــل - مِفضـــال

وكـــــم أعـــــرتَ رداءً كنـــــت تلبسُـــــه! ... والجـــــودُ بـــــالثوب إيثـــــارٌ وإفضـــــال

وكـــم أبنـــت علومـــاً شـــدّما عَجُمـــتْ! ... وحملـــك الغيْـــرَ توفيـــقٌ وإجـــلال

وكـــم سَـــهرتَ تقـــوي أزر هِمّتنـــا! ... فلـــم تعُقنـــا عـــن الأمجـــاد أهـــوال!

وكـــم أعـــرتَ كتابـــاً مَـــن يتـــوق لـــه ... ولـــيس يحيـــا رفيـــع الشـــأن مِجهـــال!

وكـــم تصـــدقتَ بـــالأموال تملكهـــا! ... وحينهـــا لـــم يكـــن - فـــي قلبـــك - المـــال

وكـــم تفضـــلتَ بالنصـــائح اشـــتملتْ! ... علـــى الخيـــور لهـــا فـــي الفكـــر إعمـــال!

وكـــم تجشّـــمت أعبـــاءً مُتلتلـــة! ... وكـــل شـــهم لـــه جـــودٌ وإفضـــال

وكـــم تحمّلـــت فـــي صـــبر وفـــي جَلـــد ... وكـــم تنـــوءُ بأسْـــد الغـــاب أحمـــال!

وقـــلّ مِثلـــك فـــي الأهلـــين أجمعهـــم ... كمـــا تقـــلّ - لأهـــل العـــزم - أمثـــال

واليـــومَ حالـــك لا يُرضـــي وشـــيجتنا ... والهمّـــة انتكســـتْ ، واحلولـــكَ الحـــال

حتـــى رأيتـــك لا تغشـــى مَحلتنـــا ... فكيـــف يلويـــك عنـــا القيـــلُ والقـــال؟

مـــاذا تغيـــر كـــي تبيـــع صُـــحبتنا ... وأنـــت بالأهـــل موفـــورٌ ومِكمـــال؟

أتســـتبيح بـــلا عُـــذر قطيعتنـــا ... مـــن بعـــد أن قطعَـــتْ للوصـــل أحبـــال؟

أتوغـــل - الـــدهر - فـــي آفـــاق فرقتنـــا؟ ... بـــئس الفـــراق طغـــى! وبـــئس إيغـــال!

أترحـــل - العمـــر - فـــي درب الخصـــام بـــلا ... حـــق؟ فبـــئس خطـــىً! وبـــئس تِرحـــال!

تشـــن حربـــاً لهـــا فـــي التيـــه موعـــدة ... تُـــردي ، وملحمـــة تُفنـــي ، و(زلـــزال)

وتـــدَّعي أننـــا بعْنـــا علائقنـــا ... وإن هـــذا - علـــى التحقيـــق - إضـــلال

قـد يَصـدُق القـولُ فـي أهـل بُليـت بهـم ... لكـــنّ غيـــث ودادي اليـــومَ هطـــال!

ألـــومُ إن كـــان لـــومي مُثمِـــراً عَبقـــاً ... وإن صَـــمَتُّ فشـــعري الغـــضُ مِقـــوال

وأزرعُ الشـــعر فـــي أصـــقاع تجربتـــي ... فرُبمـــا فطنـــتْ للشـــعر أجيـــال

فطالعـــتْ صـــرختي ممـــا جنـــتْ رحمـــي ... فصـــرختي اليـــومَ ألـــوانٌ وأشـــكال

طـــوراً أخبـــئ فـــي قلبـــي جَـــوى ألمـــي ... وتـــارة يحتـــوي عينـــيّ شـــلال

وتـــارة أشـــتكي مِـــن هـــول مُعضـــلتي ... حتـــى يُقـــال بـــأني جـــدّ هَـــوال

ويعلـــم الله أنـــي فـــي الأســـى قمِـــنٌ ... أنْ لا أشـــمّت مَـــن عـــن نجـــدتي مـــالوا

لكنـــه الجُـــرحُ مِـــن قرابـــةٍ خـــذلتْ ... والخـــذلُ مـــوتٌ ، وبعـــضُ الخـــذل أغـــلال

مصـــيبة أن تـــرى الأعمـــام قـــد خـــذلوا ... وخلفهـــم قـــد ســـعى بالخـــذل أخـــوال!

وخيبـــة أن تـــرى الأرحـــام مُوقـــدة ... نـــار الصـــراع ، وفيهـــا الجـــورُ يختـــال!

يـــا خـــالُ راجـــع ضـــميراً غـــاب وازعُـــه ... فطالمـــا حطـــم الضـــميرَ إغفـــال!

إنـــي أتيتُـــك أبغـــي الوصـــلَ مُحتســـباً ... وكـــلُ خيـــر لـــه قصـــدٌ وإعمـــال

حتـــى وجـــدتك عـــن لقيـــايَ مُعتـــذراً ... والأمـــرُ مُتضـــحٌ ، مـــا فيـــه إشـــكال

حقـــي لـــديك أســـيرٌ لا يُحـــررُهُ ... إلا اعترافـــك بالتقصـــير (يـــا خـــال)!

وسَقطتْ ورقة التوت!

(ظل ذلك المستشعر يخدعُ نفسه والآخرين من حوله ، ويتجملُ في الأقوال والأفعال والتصرفات. وما فتئ يرقصُ على كل طبلة ، ويأكلُ على كل مائدة ، ويُغير جلده حسب الأحوال والظروف. وما انفك يدهنُ أقواله ويصبغ أفعاله ويَطلي تصرفاتِه بكل جميل الألوان ، ظاناً أنه يستطيع خداع الناس كل الوقت! وراح ينسج ثوباً من الأوهام يلبسه كيفما اتفق. ولقد أوصى حكيم أحد جلسائه فقال: (كذبُ اللسان من فضول كذب القلب ، فلا تأمن الكاذب على ود ، ولا تثق منه بعهد ، واهرب من وجهه الهرب كله ، وأخوفُ ما أخاف عليك من أخلائك وأصدقائك إن كانوا كاذبين!) ولقد عرّف الحكماء الكذب بأنه مخالفة الكلام للواقع. ولعلهم رأوْا في هذا التعريف الحقيقة العُرفية ولو شاؤوا لأضافوا إلى كذب الأقوال كذب الأفعال. إذ لا فرق بين كذب الأقوال وكذب الأفعال في تضليل العقول. والعبث بالعقول خذلان للحق واستعلاء للباطل عليه. وعارٌ أي عار أن يكذب الرجل بلا مبرّر ولا مسوّغ له في الكذب! ويستطيعُ كاذب الأفعال أن يخدعك ألف مرّة قبل أن يخدعك كاذب الأقوال مرة واحدة! لأنه لا يكتفي بقول الزور بلسانه حتى يقيم على قضيته بينة كاذبة من جميع حركاته وسكناته! والحقيقة المُرّة أن الكذب خطير أمره! إذ ليس الكذب شيئاً يستهان به فهو أس الشرور ورذيلة الرذائل! فكأنه أصل ، والرذائل فرع له! بل هو الرذائل نفسها! وإنما يأتي في أشكال مختلفة! ويتمثل في صور متنوعة! منها النفاق والتكبر والفسق والنميمة! والمنافق كاذبٌ لأن لسانه ينطق بغير ما في قلبه! والمتكبر كاذبٌ لأنه يدعي لنفسه منزلة غير منزلته! والفاسق كاذبٌ لأنه كذب في دعوى الإيمان ونقض ما عاهد الله عليه! والنمام كاذبٌ لأنه لم يتق الله في فتنته فيتحرى الصدق في نميمته! والمتملق كاذب لأن ظاهره ينفعك وباطنه يضرك! لقد هان على الناس أمر الكذب حتى أنك لتجد الرجل الصادق فتعرض على الناس أمره وتطرفهم بحديثه كأنك تعرض عجائب المخلوقات وتتحدث بخوارق العادات! فويل للصادق من حياة نكدة لا يجد فيها حقيقة مستقيمة! وويلٌ له من صديق يخون العهد ورفيق يكذب الود ومستشار غير أمين وجاهل يفشي السر وعالم يحرف الكلم عن مواضعه وشيخ يدعي الولاية كذباً وتاجر يغش في سلعته ويحنث في إيمانه وصحفي يتجر بعقول الأحرار كما يتجر النخاس بالعبيد والإماء ويكذب على نفسه وعلى الله وعلى الناس في كل صباح ومساء! وكذبه واضح ظاهر لا خفاء فيه! وصدق إبراهام لنكولن عندما قال: (تستطيع أن تخدع كل الناس بعض الوقت ، أو بعض الناس كل الوقت! ولكنك لا تستطيع أن تخدع كل الناس كل الوقت!) وصدق شيشرون حيث يقول: (الكاذب لا يصدق حتى ولوقال الصدق!) وصدق أرسطو حيث قال: (الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب!) نعم: الموت هنا يكون أفضل. وصدق فيكتور هوجو عندما قال: (يكره الناس من يضطرونهم إلى الكذب عليهم!) وصدق برنارد شو إذ قال: (ليست عقوبة الكذاب أن الناس لا يصدقونه ، بل إنه هو لا يستطيع إن يصدق الناس!) وصدق أندريه روسان إذ قال: (إن هناك لحظة فارقة في الحياة ، نكره فيها الكذب أشد الكره! إنها اللحظة التي يكذب فيها علينا أحدهم!) وصدقت أنجيلا ميركل إذ قالت: (إذا لم يستطع الإنسان أن يخترع كذبة مُقنعة ، فأولى به أن يتمسك بالصدق.) والحقيقة أن الخداع لا يستمر طويلاً! فلقد انكشف الكذاب المخادع المراوغ! وما لبثت ورقة التوت - التي يضعها على عورته يسترها بها - أن بليت وسقطت! وبات مكشوفاً للقاصي والداني! فلا يمكنه أن يستر شيئاً ولا أن يستمر في الخداع والتجمل. ذلك الإنسان الذي كان ينبغي أن يعيش بروح الشاعر. فلقد عمد إليّ ذات يوم وطلب مني أن أعلمه الشعر ، واستمرت

علاقتنا عقداً من الدراسة والمناقشات والمساجلات. ولمّا اكتشفتُ في النهاية حقيقته المرة أسفت على تضييع الجهد والوقت على رجل كنت أظنه شاعراً! أنشدتُ فيه هذه القصيدة!)

هـــداديكَ ، هـــذا الحـــالُ مَهزلـــةٌ عُظمـــى ... وكارثـــــةٌ دَهْيـــــا تُجرّعُنـــــا الهمّـــــا!

خـــدَعتَ جميـــعَ النـــاس تحسَـــبُهم غثـــا ... وبـــــارزت بـــــالغِش الأكـــــابرَ والـــــدَهما

نســـجت - مِـــن الزيـــف المَقيـــت - عِبـــاءة ... وأوســـعت صِـــدقَ القـــول بـــين الـــورى ذمـــا

تجملـــــت حتـــــى قِيـــــل: هـــــذا مُمثـــــلٌ ... ولمّـــــا تكـــــنْ يومـــــاً بمـــــا جئتـــــه شـــــهما!

وأغريتنـــــا - بـــــاللين والرفـــــق - بـــــاذلاً ... جمائـــلَ فيهـــا الجـــودُ والعُـــرفُ والنعمـــى

وحَجّلـــت - فـــي الإكـــرام والبـــذل - واســـعاً ... وأعجزتنـــــا كيفـــــاً ، وأغرقتنـــــا كَمّـــــا

وأبـــــديت للنـــــاس التفضـــــلَ والفِـــــدا ... وسُـــقت لهـــم خيـــراً – بـــلا مِنـــةٍ - جَمّـــا

وكنـــــت أبـــــاً يُعطـــــي وينصَـــــحُ دائمـــــاً ... وكنـــت لمـــن يرجـــو الصـــفا والوفـــا أمّـــا

وأســـــدَيت معروفـــــاً تعـــــاظمَ شـــــأنه ... ولـــم تنتظـــرْ مـــدحاً ، ولـــم ترتقـــبْ غنمـــا!

وأشـــهرت - فـــي لعـــن الطواغيـــت - حَربـــة ... تـــذودُ بهـــا عـــن شِـــرعةٍ حَقـــةٍ عُظمـــى

وشـــاركتني بُغـــضَ الفـــراعين كلهـــم ... فقلـــتُ: أخـــو صِـــدق أتـــى يُبعـــد الأزمـــا

ويُـــدلي بـــدلو لا يُشـــق غبارُهـــا ... تبـــرّأ مِـــن (ليلـــى) وأعـــرضَ عـــن (سـلمى)!

وعـــاش لهـــذا الـــدين يُجْلـــي منـــارَه ... ويَحفظـــه نصـــاً ، ويَنشـــرُه عِلمـــا

ويَبـــذلُ جهـــداً فـــي النهـــوض بشـــأنه ... وإنّ لـــه – فـــي بذلـــه للهُـــدى – عَزمـــا

فكـــم فنّـــدَ التشـــكيكَ قلبـــاً وقالبـــاً! ... وكـــم غربـــلَ الإرجـــافَ والغِـــش والزعمـــا!

وكـــم ســـخرَ الأشـــعارَ فـــي الخيـــر حِســـبة ... يَـــرومُ انتصـــارَ الحـــق ، مـــا أجمـــلَ الرَوْمـــا!

وفاجأنـــــا بالخـــــذل تلفـــــحُ نـــــارُه ... فيـــا ليـــت شِـــعري ، ليتـــه التـــزمَ السِـــلما

تنكّـــرَ للمعـــروف ، لـــم يَعتـــرفْ بـــه ... وأحـــرى بـــه أن يلـــزمَ الصـــمت والبَجْمـــا

وجابـــــه بالجحـــــد الرذيـــــل جمـــــائلي ... وأشـــمت أعـــدائي ، وكـــال لـــي الشـــتما

وأبـــدلني مِـــن طيّـــب القـــول سُـــوءهُ ... ومِـــن عِزتـــي ذلاً ، ومِـــن رفعتـــي ضـــيما

وأتــرعَ كــأس الخــذل ، لــم يَحفــظِ الإخــا ... وخاصــمَ لــم يَخجــلْ ، ونــاولني السُــما

وعــادى فكــان الخصــمَ والســيفَ والــوغى ... وصِــرتُ أنــا – بعــد الــودادِ – لــه خَصــما

ولــم يَحتــرمْ عهــداً ، ولــم يَلتــزمْ هُــدىً ... وخمّــشَ أوجــاعي ، وســاقَ لــيَ الوَهمــا

وخلفنــي وحــدي ألــوكُ فجيعتــي ... وأســتهجنُ الخــذلانَ والغِــشَ والظلمــا

وأنعــي اختيــاري للمُــراوغ صــاحباً ... وعشــتُ لــه شَــهماً ، وكــان لــيَ (الجهمــا)

وعلمتُــه الشِــعرَ الأصــيلَ تقربــاً ... إلــى أن غــدا – فــي نظــم أبياتــه - نجْمــا

وعانيــتُ فــي تثقيفــه دون مِنــة ... ولــم أســتطعْ للعلــم فــي نشــره كتْمــا

وضــاعفتُ جُهــدي كــي أراه مُنظِــراً ... وأهديتُــه الإقــدامَ والجــدّ والحَزمــا

هــو الشــعرُ بَحــرٌ لــيس يُــدرِكُ عُمقــه ... ســوى مَــن يجيــدُ الغطــسَ والصــبرَ والعَوْمــا

وهــذا الــذي صــاحبتُ لــيس بشــاعر ... وإنْ أتقــنَ التقطيــعَ والــوزنَ والنظمــا

فكــان لزامــاً أن أكــون مُصــابراً ... ومَــن يُبتلــى بالخِــب قــد يفقــدُ الحِلمــا!

ودرّسْــتهُ عِقــداً ، فأثقــلَ كــاهلي ... فحــاز تراثــاً صــافياً جامعــاً ضــخماً

ودارتْ رَحَــى التــدريس شــرقاً ، وغرّبــتْ ... ونــال بمــا أســديتُ – فــي قومــه - إســما

فــأودى بقرطاســي ، وأحــرقَ عِشــرتي ... وأودعنــي الإيــلامَ والضــنكَ والغمــا

ســلامٌ علــى الــدنيا إذا الخِــل خــانني ... وبــاعَ قناعــاتي ، ولــم يَكُــن الأسْــمى

نذالـــــة وخِسّـــة

(منذ ثلاثة عقود عُهِد إلى ذلك المعلم أن يقوم بتحفيظ بعض الأبناء ما تيسّر من القرآن الكريم ، بالإضافة إلى تعليمهم بعض الأحاديث النبوية الشريفة ، وتربيتهم على القيم والأخلاق الإسلامية السامية الفاضلة ، وغرس قيم الإسلام والإيمان في نفوسهم! كما طلب منه أن يُفهمهم ما يُشكل عليهم في اللغات العربية والإنجليزية والفرنسية ، فلقد كان يجيد هذه اللغات بالإضافة إلى العلوم الشرعية ، وفي الذؤابة منها القرآن والسنة! فقام المعلم المربي بدوره المنوط به خير قيام ، بشهادة الأبناء وأهليهم والأقربين! وتكلف ذلك منه الجهد الكبير لقاء دريهمات معدودة ، كان أهلوهم يعطونها للمعلم البائس ممتنين عليه بها كأنها الحياة له! على أن نصفها لم يكن يفي برسوم الانتقال من بيته إلى بيوتهم! هذا فضلاً عن الجهد المبذول في التلقين والعبء الثقيل في التكرار والتحسين ، فلقد بدأ معهم في مرحلة ما قبل المدرسة! وكان المعلم يحتسب الأجر عند الله ، بدلاً من أن يضيع ثلاث مرات: مرة عند الله لأنه لم يحتسب ومرة عند الأهل ومرة ثالثة عند الأبناء أنفسهم! وكان لهؤلاء الأبناء كبير العذر في هذه المرحلة لصغر سنهم وقلة تجربتهم وضآلة دُربتهم وضعف إدراكهم. فلم يملك الأستاذ أن يلومهم أو يوبخهم على شيء! فلما كبروا ويفعوا وتوظفوا ، وصار لكل واحد منهم راتبه وخبرته ودربته وإدراكه ، لم يعيشوا كباراً على القيم والأخلاقيات التي غرسها المعلم فيهم صغاراً! ليس هذا فقط ، بل لم يتذكروا ذلك المعلم ولا باتصال ، مع علمهم بمكانه وعمله وهاتفه وعنوانه! ولقد ظل يتردد على بيوت أهليهم استمراراً للمودة! وراح الأولاد يتنكرون لمعلمهم ، ويرون أنهم من طبقة ليس هو منها! وانفتحت عليهمُ الدنيا ، فلم يخصوا الأستاذ المعلم بدرهم ولا بدينار! وهم يعلمون أن أغلب حقوقه المادية والمعنوية قد هضمتها دولتهم ، وبقية الحقوق هضمها أهلوهم! فكانت نذالة وخِسة لا حدود لهما ، ولا يوجد كلمات تصور هذه النذالة وتلك الخسة وذلك الانحطاط القيمي والأخلاقي ، لا في قواميس العرب ولا العجم! فيوم كانوا صغاراً لا يُدركون كانوا معذورين ، فهل صار عدم الإدراك وعدم الإحساس مرضاً ولازمة وديدناً وطبعاً وجبلّة لهم؟ أم طبيعة نمت مع نمو أجسامهم؟ حيث بات كل واحد منهم ينأى عن المعلم بجانبه ، وكأن بالمعلم جرباً أو طاعوناً أو بَرصاً أو جدرياً أو جُزاماَ! وسبحان الله تعالى كلهم هكذا ، لم يخالف أحد منهم عن هذه النذالة ولا تلك الخِسة! أتواصوا به؟ فلقد اتخذوا منهجاً موحداً وسمتاً واحداً لم يتخلف عنه أحدهم! فتخيلتُ المعلم ينشد قصيدته لتلاميذه الذي لم يعد يُشرّفه كثيراً ذكر أسمائهم كاملة فرمز لها فقط: (عمران ع – عزان س – أحمد ج – عبد الرحمن ج – محمد أ – سالم ج – أحمد خ – محمد خ – مصبح ض – محمد س - سلطان س وغيرهم)! والذين كانوا بالأمس أطفالاً أبرياء أطهاراً أبراراً ، لم يجر عليهمُ القلم ، ولم يناهزوا الحلم وإن سعت بأحدهمُ القدم ، لكن كلامنا عن الوصف العام لأغلبهم! واليوم صاروا مكلفين عقلاء يُميزون! لكنهم في موقف لا يُحسدون عليه ، فهم أنذال أخسة أنانيون ، وليت الأمر وقف عند هذا الحد! بل عاد بعضهم بعد دراسته في بلاد الغرب ، حيث الإباحية والتهتك والتحلل ليقول لنا: ليس من العدل أن نقول بأن اليهود أو النصارى أو الهندوس أو السيخ كفار! فسألنا: فماذا نقول؟ فأجاب المهزوم: نقول عن اليهود والنصارى أهل كتاب ، ونقول عن السيخ والهندوس لكم دينكم وليَ دين! ناهيك عن التشرب الكامل لما عليه القوم من الانحطاط الفكري والعقدي ودعوى الإنسانية العامة التي يريد أعداء الإسلام أن يحلوها محل الإسلام! فتحمل المعلم الكثير والكثير من هذه المناقشات البالية ، التي هي إلى عزيف الجان وتخبط السكارى

وهراء المعاتيه وتخاريف المجانين أقرب منها إلى الحوارات الجادة المثمرة! وكأن هذا الابن لم يستمع إلى آية واحدة من القرآن ، فضلاً عن تعلمها وتفسيرها ودراستها! وكأنه ليس له علاقة قط بالإسلام ديناً ولا بالقرآن كتاباً ولا بمحمد نبياً رسولاً! أإلى هذا الحد زال كل الذي تعلمه هؤلاء؟ ويبدو أن تأثير جرعة الغرب كان أقوى من تأثير القرآن! وليس العيب في القرآن ، بل العيب فيمن تلقى القرآن بلا جديةٍ ولا عزم ولا قوةٍ ، في حين تلقى ما علمه النصارى واليهود في الغرب بكل جديةٍ وعزم وقوة! فإلى كل طالب أحسن إليه معلمه ورباه صغيراً ، ثم لما تعين عليه أن يرد جميل المعلم عليه ، تنكر للجميل وأصبح نذلاً وَبشاً حَقيراً أهدي هذه القصيدة!)

لا يَستوي الشحُّ في الميزان والكرَمُ ... إلا إذا عَمّ قبحُ الجهل مَن علِموا!

والنذلُ مهما اغتنى يَعِشْ أسيرَ هوىً ... شأنَ الرعاع لهم – في غيّهم - نهم

لا مَجدَ بين كِرام الناس يُسعفه ... صِنوانِ نذلٌ – قلاه الناسُ – والعدم!

وللنذالة أقوامٌ - بها - عُرفوا ... إنْ قِيلَ مَن لفظوا العطاءَ وانهزموا؟

أو قيلَ مَن بخلوا ، فالبخلُ دَيدَنُهم؟ ... أو قيلَ مَن عن نوال العالمين عموا؟

أو قيلَ مَن عبدوا الدينارَ في وَضَح ... والمالُ - في حَس كل منهمُ - صَنم؟

أو قيلَ مَن عشقوا الدنيا طواعية ... كأنما جُلهم دَوامَها وهموا؟

أو قيلَ مَن فتنوا بالعيش ، طابَ لهم ... فلم تشُبْهُ عَذاباتٌ ولا نِقم؟

أو قيلَ مَن بَرئوا مِن كل عارفةٍ ... فلا يُراودُهم جُودٌ ولا كرم؟

أو قيلَ مَن ألّهوا الطاغوت يَحكمُهم ... بغير شرع مليك الناس فاحتكموا؟

أو قيلَ مَن سَبّحوا بحمد مَن فسقوا ... وأفسدوا ، وحدودَ الله ما احترموا؟

أو قيلَ مَن رَضَخوا للتيه ، فانحدرُوا ... إلى الحضيض ، فما سَمتْ بهم قِيم؟

أو قيلَ مَن جهلوا فحوى عقيدتِهم؟ ... أو قيلَ مَن في الورى أتباعُ مَن ظلموا؟

أو قيلَ مَن ركنوا إلى الألى جحدوا ... دينَ الإله ، لذا عَمّتْهمُ الإزم؟

أو قيلَ مَن عمدوا إلى شقاوتهم ... حتى أحاطت بهم في الفتنة القُحم؟

أو قيلَ مَن لفظوا توحيدَ خالقهم ... وشِرعة الحق والإسلام؟ قِيل: هُم!

يا ليت شعري أمَا بانَ السبيلُ لهم؟ ... إذ إنهم - بالهوى والفتنة - اتهموا!

أيـــن الـــدروسُ التـــي أبنـــتُ زبـــدتها ... لـم أخـشَ بـأسَ أولـي الطغيـان مَـن حكمـوا؟

أيـــن البيـــانُ الـــذي أســـدَيتُ مُرتجيـــاً ... أنْ تفقهـــوه بألبـــاب الألـــى علمـــوا؟

أيـــن الحقيقـــة لـــم أكـــتمْ معالمَهـــا؟ ... فلســـتُ ممـــن إذا قيـــلَ انصـــحوا كتمـــوا

أيـــن العقيـــدة لـــم أغفِـــل أدلتهـــا ... بـــل شـــرحُها - بســـنا التفصـــيل - مُتســـم؟

أيـــن الشـــريعة قـــد سِـــيقتْ بـــلا شُـــبهٍ؟ ... أيـــن الرشـــادُ؟ وأيـــن المَـــنهجُ اللقـــم؟

أيـــن النصـــوصُ وترجيعـــي يُشـــيّعُها ... حتـــى وعاهـــا فتـــىً مُستبصِـــرٌ فهـــم؟

والآي أيـــن وتفســـيري لمِحورهـــا ... وفـــق الـــذي قـــالَ أهـــلُ العلـــم جُلهـــم؟

أيـــن الأحاديـــثُ كـــم حَققـــتُ صِـــحّتها! ... كمـــا تلاهـــا النبـــيُّ المصـــطفى الهشـــم؟

أيـــن القواعـــدُ والأحكـــامُ تُتْحِفهـــا ... كـــي لا أراهـــا - علـــى الأطفـــال - تـــنعجم؟

والفقـــهُ أيـــن مضـــى؟ إنـــي أســـائلكم! ... فـــيم الســـكوتُ؟ لمـــاذا الصـــمتُ والـــبَكم؟

ألـــم أوَدّ أمانـــاتٍ نُـــدبتُ لهـــا؟ ... وكـــم جنـــى نورَهـــا كَهـــلٌ ومُحـــتلم!

ألـــم أوف مكـــاييلي التـــي وُزنـــتْ؟ ... عنهـــا سيســـألني المهـــيمنُ الحكـــم!

علمـــتُ ، لكنمـــا التلميـــذ عـــاقبني ... والظلـــمُ يـــوم الجـــزا - يـــا صـــاحبي - ظلَـــم

بـــذلتُ ، لكنمـــا التلميـــذ شـــحّ بمـــا ... حبـــاه ربـــي ، فأعمَـــتْ عينَـــه الـــنعم

فلـــيس يُبصـــرُ حقـــي كـــل ذي صَـــلفٍ ... مـــن التلاميـــذ ، إذ بالباطـــل اعتصـــموا

أهـــلُ الـــديار هـــمُ ، وهـــم أشاوسُـــها! ... كأنمـــا بهـــمُ الأشـــرافُ قـــد ختِمـــوا!

(مُواطنـــون) بهـــم تزهـــو حواضـــرُهم ... و(الوافـــدون) لهـــم - مهمـــا عَلـــوْا - خـــدم

هـــذي المعـــاييرُ مَـــن فـــي الـــدار أوجـــدَها؟ ... هـــي القـــذارة ، منهـــا يَبـــرأ السَـــلم!

النـــاسُ إمَّـــا تقـــيٌ مُـــؤمِنٌ وَرعٌ ... أو كـــافرٌ بإلـــه النـــاس ، مُجتـــرم!

لا فـــرقَ إلا بتقـــوى بعـــدها عمـــلٌ ... بمـــا تقـــرَّرَ فـــي القـــرآن مُلتـــزم

مـــا الجاهليـــة إلا مَـــنهجٌ عَفـــنٌ ... فيـــه الزبـــالاتُ والأدنـــاسُ والـــرمم

ولا يعاقرُهـــا إلا أســـيرُ هـــوى ... هانـــت عليـــه حـــدودُ الشـــرع والحُـــرُم!

لآدم كلنـــــا مـــــن طينـــــةٍ أسِـــــنتْ ... مهمـــــا تفاضـــــلتِ الآنـــــامُ والنســـــم!

فـــيم التفـــاخرُ بالأنســـاب مـــا اتبعـــتْ ... هَـــديَ النبـــي؟ لـــذا للعُـــرْف تحـــتكم!

عُـــرفٌ تمـــرّقَ مِـــن ديـــن ومِـــن خُلـــق ... فمـــا بـــه رَشَـــدٌ يُعلـــي ولا شَـــمم

حَـــدِّثْ ولا حَـــرجٌ عـــن عُـــرفِ مَـــن سَـــفلوا ... واســـتمرأوا الخـــذلَ ، لمّـــا كلـــتِ الهمـــم

إنَّ المـــــروءة بَـــــذلٌ ، ثـــــم تضـــــحية ... فهـــل - مـــع التضـــحيات - النـــذلُ ينســـجم؟

والخـــذلُ والبـــذلُ وايـــمُ الله مـــا اجتمعـــا ... وفيهمـــــا كلنـــــا نعفـــــو ونختصـــــم

والنـــــذلُ يأخـــــذ بالخُـــــذلان منفعـــــة! ... والشـــــهمُ دَيدنُـــــه العطـــــاءُ والكـــــرم!

ألـــــم أعلمْكُـــــمُ العطـــــاءَ يَـــــرفعُكم ... بـــين الأنـــام ، فـــنِعمَ الموئـــلُ الســـنم؟!

ألـــم أنـــاولكُمُ الجـــودَ الرفيـــعَ صُـــوىً؟ ... وعِقـــدُه لـــيس - بالعطـــاء - ينفصـــم!

ألـــمْ أقـــلْ يتعـــدّى الخيـــرُ غيـــرَكمُ ... فبيـــنكم خيـــرُكم والنـــاس يُقتسَـــم؟

إن النذالـــــة عـــــارٌ لـــــيس يُذهبُـــــه ... كَـــرّ الســـنين ، فـــذي سِـــنيّه دُهُـــم

يبقـــى لِمَـــا خلّـــفَ الأنـــذالُ مـــن ولـــدٍ ... ينـــالُ مـــنهم بـــه الأعـــرابُ والعجـــم

أغنـــانيَ الله بالإســـلام يـــا همَـــجٌ ... والشِـــعرُ - مِـــن نِعـــم المَنـــان - والحِكـــم

بـــئس الـــدنانيرُ فـــي أيـــدي الألـــى بخلـــوا ... مِـــن كـــل نـــذل - هنـــا - دِينـــارُه صَـــنم!

إنـــــي لأعـــــذرُ أســـــتاذي وأكرمُـــــه ... حيـــاً ومَيْتـــاً ، ومـــا أولاه يُحتـــرم!

ولســـتُ أبخـــلُ إنْ أودى بـــه عَـــوزٌ ... فِـــداه مـــالٌ - إذا مـــا احتاجـــه – ودم!

جميلـــه نُصـــبَ عينـــي لا يُفـــارقني ... ولاهـــجٌ بالـــدعا للعبقـــريّ فمـــي

فكـــم تفضـــلَ بـــالعلوم ينشـــرُها ... مـــن كـــل عِلـــم غزانـــا نـــورُه الـــتمم!

وكـــم ألانَ لنـــا عَـــويصَ مســـألة ... بـــلا انفعـــال علينـــا ، بلـــهُ يبتســـم!

ولـــم يَضـــقْ بفتـــىً يومـــاً ليُحرجـــه ... ولـــم يُصِـــبْه – علـــى عطائـــه – نـــدم!

واليـــوم صِـــرتُ مكـــان الفـــذ مُحـــتملاً ... عـــبءَ الرســـالة ، مهمـــا هـــدّني الهـــرم!

أعطِـــي وأبـــذلُ هـــذا العلـــمَ مُحتســـباً ... فكـــم أفســـرُ مـــا يَخفـــى ويَنـــبهم!

وكـــم أعـــالجُ جهـــلاً لا حـــدودَ لـــه! ... وكـــــم تُـــــداهمُني الآلامُ والغمـــــم!

وكـــــم أنقـــــحُ أبوابـــــاً بكامِلهـــــا ... كانـــت - بكـــل الغمـــوض الفـــجِّ - تتســـم!

وكـــم أقـــدّمُ مـــا حُمّلـــتُ مِـــن رَشـــدٍ! ... طـــابَ الرشـــادُ! وطـــابَ العَـــرضُ والكلـــم!

وكـــم أجاهـــدُ - بـــالعلوم - مَـــن جَهلـــوا ... وعُـــدَّتي أدبـــي ، والعلـــم ، والشـــيم!

وكـــم أبصّـــرُ بـــالطريق مَـــن صُـــرفوا! ... فالنـــاسُ - دون هُـــدى رب الـــورى - غـــنم

وكـــم أناصـــحُ طلابـــي بـــلا ضَـــجَر ... لا يســـتوي اللـــينُ عنـــد النصـــح والـــرغم!

وكـــم أقِـــيمُ دَلـــيلاً فـــي مُنـــاظرتي ... منـــه الخصـــومُ - لـــدى التنظيـــر - تـــنفحم!

وكـــم بقلبـــي مـــن الأســـرار أحفظهـــا ... عـــنهم ، وحـــافظ سِـــرِّ النـــاس يُحتـــرم!

فهـــل وعـــتْ زمـــرة الأنـــذال مَـــوعظتي؟ ... أم أن جـــرحَ حِجاهـــا لـــيس يلتـــئم؟

ويـــحَ الأخِسّـــاء قـــد عاشُـــوا لأنفســـهم! ... ونـــارُ خِسَّـــتِهم - فـــي الخلـــق - تحتـــدم!

يحيـــا الخســـيسُ وَضـــيعاً فـــي مَرابعـــه ... وإنْ يكُـــنْ للخســـيس المـــالُ والحَشَـــم!

مهمـــا تجمّـــلَ ذي طِباعُـــه أسَـــنتْ ... بـــئس الطبـــاعُ! وبـــئس الســـمتُ والســـيَم!

أجارنـــا الله مِـــن أنـــذال ضَـــيعتنا ... مَـــن داؤهـــم فـــي الحيـــاة الشـــح والغشـــم

يـــا رب فلتغننـــا عـــنهم ومـــا ملكـــوا ... فـــلا يكـــون - لنـــا حِيـــالهم - خِـــدم

لـــبعض خلقِـــك زدت الـــرزق مُختبـــراً ... والـــبعضُ بالكـــاد مَـــرزوقٌ ، فـــذي قِسَـــم!

لحِكْمـــــةٍ كـــــلٌّ هـــــذا ، لا نعاينُهـــــا ... تبـــارك الخـــالقُ المُصـــوّرُ الحَكَـــم!

لا يُســـألُ الله عـــن قـــول ، ولا عمـــل! ... ويُســـألُ النـــاسُ عـــن فعـــل ومـــا علمـــوا؟

عليه العِوَض ، ومنه العِوَض!

(قضى ذلك المعلمُ عقداً من السنوات يُدرسُ اللغة الإنجليزية لبُنيّاتٍ في عُمر الزهور! واعتادَ أن يبذر بين أيديهن بذورَ التوحيد والعقيدة ، ويُركز على قضايا الحجاب والحِشمة والوقار الذي ينبغي أن تكون عليه المسلمة! واعتدن أن يتقبلن كل شيء من هذا المعلم ، بصدور رحبة ونفوس راضية! واستمر المعلمُ يتدرجُ معهن في سِنِيّ التعليم المختلفة. وكن يُظهرن للمعلم الالتزام والحشمة والحجاب! وذلك لأنه يلتقي بهن في البيت! فلم يكن له علمٌ بخروجهن ولا بمشاركاتهن ولا بحياتهن الخاصة في البيت ولا العامة خارج البيت! ولمّا انتهتْ رسالته معهن ، والتحقتْ أخيرتُهن بالجامعة كما التحقتْ من قبلُ أخواتها ، كانت المفاجأة المضحكة المبكية ، حيث إنه كان يتوقعُ أن تُثمر هذه البذورُ التي كان قد بذرها! ولكن للأسف: عندما التحقن بالجامعة ، وخالطن الجاهلياتِ انبطحْن للجاهلية ، وخضعْن ذليلاتٍ للتبرج والسفور والمكياج والاختلاط المستهتر! وما كان يتوقعُ هذا أبداً! ولو نقله له أحدهم لأنكره جملة وتفصيلاً! ولكنه استوثق من خلال حساب كل واحدةٍ منهن على (الفيس بك) ، فحزن حزناً شديداً ، ودمعتْ عيناه ، وقال في أسف: (عليه العِوَض ، ومنه العَوَض!) تلك العبارة التي جعلتُها عنواناً لقصيدتي ، وأنا أعبّر عنه وعن تجربته ، حاكياً على لسانه ما جرى له! وراح المعلمُ يبتهلُ إلى الله أن لا يُحبط أجره ، وألا يُؤاخذه بما فعلت السفيهاتُ طالباتُه الراعنات! فلقد أدى ما عليه حِيالهن من البيان والبلاغ والدعوة بالمعروف! كما ابتهلَ إلى الله أن يردّهن الله تعالى إلى الحق الذي آمن به ، والتزمنه أمام الأستاذ في البيت من سنين عدداً!)

طغـــى علـــيكُن يُسْـــرُ العـــيش ، والتـــرفُ ... حتـــى قلاكُـــنّ – فـــي المعيشـــة – الهـــدفُ

علمـــــتُكُن أمـــــورَ الشـــــرع مُحتســـــباً ... لأننـــــي – مـــــن كتـــــاب الله - أرتشـــــف

كـــــم انتقيـــــتُ مـــــن الكـــــلام أعذبَـــــه ... حتـــى أوَصّـــل مـــا أنـــوي ، وأنصـــرف!

وكـــــم أجبـــــتُ سُـــــؤالاتٍ شـــــقيتُ بهـــــا! ... مـــا ضِـــقتُ ذرعـــاً بهـــا ولا طغـــى الأفـــف!

وكـــــم نصـــــحتُ بنـــــاتي أســـــتعينُ علـــــى ... إرشـــــادهن ، ولـــــي عَـــــزم وبـــــي شـــــغف!

وكـــم حملـــتُ علـــى الهُـــدى القلـــوبَ ، ولـــي ... فـــي كـــل قـــول دَليـــلٌ خطـــه الســـلف!

وكـــم صَـــدعتُ بحـــق صَـــدعَ ذي حَنَـــفٍ! ... عســـى يُفيـــدُ بنـــاتي الصـــدعُ والحنـــف!

وكـــــم طرقـــــتُ علـــــى الأبـــــواب مرتقبـــــاً ... أن تســـــتجيبَ نفـــــوسٌ غالهـــــا الصـــــلف!

وكـــــم تحمّلـــــتُ مُـــــرّ القـــــول فـــــي جـــــدل ... أشْـــــربْنه مِـــــذقاً مِـــــن الألـــــى انحرفـــــوا!

وكـــــم لقيـــــتُ مـــــن الأب الجهـــــول أذىً ... إذ كـــــان دومـــــاً معـــــي يهـــــذي ويختلـــــف!

وكـــــم وَعَظـــــتُ بـــــلا كَـــــلٍّ ولا مَلـــــل ... وعـــــظ الـــــذي بخِـــــلال الخيـــــر يَتصـــــف!

وكـــم أبنـــتُ عَويصـــاتٍ أنقحُهـــا ... بـــلا امْتعـــاض ، ولـــو أخطـــأتُ أعتـــرف!

وكـــم تكلفـــتُ لِـــينَ القـــول أجعلـــه ... دَربـــاً لجيـــل بفـــظ القـــول يَلتحـــف!

وكـــم رضِـــيتُ بـــأحوال يَضِـــيقُ بهـــا ... مَـــن قلبُـــه مِـــن قضـــاء الله يرتجـــف!

وكـــم تبسّـــمتُ للظـــروف عابســـة! ... وكـــم عَـــدَلتُ إذا أضـــنانيَ الجنـــف!

أردتُكُـــــنّ منـــــاراً يُســـــتنارُ بـــــه ... فـــي دُلجـــة العـــيش إمـــا استأســـدَ الطلـــف!

أردتُكُـــــن سُـــــيوفاً أســـــتعينُ بهـــــا ... علـــى تطـــاول مَـــن عـــابوا ومَـــن ســـخفوا!

أقـــولُ: تربيتـــي هـــذي ، وتجربتـــي ... بـــين الأنـــام ، ولـــي بـــذكرها الشـــرف!

أقـــولُ: صُـــنّ الـــذي غرسْـــتُ مِـــن دُرر ... مـــا ضـــاعَ دُرّي سُـــدى كـــلا ولا الصَـــدَف!

وخـــابَ ظنـــي ، وضـــاعتْ بعـــدُ أمنيتـــي ... والعـــينُ قـــد دمعـــتْ ، وخـــيّم الأســـف!

ودمـــدمتْ حســـرة فـــي القلـــب لاعجـــة ... لمّـــا تســـاوى العقيـــقُ الحُـــر والخـــزف!

طغـــى التبـــرجُ مُختـــالاً بصَـــولته ... والجاهليـــة فـــي الألبـــاب تعتكـــف!

وللبنـــات بهـــا – يـــا للأســـى - وَلـــعٌ ... إذ أصـــبحَ الـــوَعيُ لمّـــا مِلـــن يُختطـــف

تـــبعْن للغـــرب فـــي زلاتـــه سُـــنناً ... وعنـــدهن اســـتوى (الخَـــلاصُ) والحَشَـــف

ولـــو نظـــرت إلـــى (المِكيـــاج) عـــن كثـــب ... لقلـــت: مـــا مَـــرّ بالعقائـــل الحنـــف!

مـــا للوجـــوه علـــى الرجـــال قـــد كُشِـــفتْ ... تـــروي عيـــونَ الألـــى بحُسْـــنها شـــغفوا!

مـــا للشـــعور علـــى الأكتـــاف مُرسَـــلة ... تســـبي عقـــولَ الألـــى أمامهـــا ضـــعُفوا!

مـــا للفســـاتين شـــرعَ الله مـــا احترمـــتْ ... فـــي حفلـــةٍ مُهـــجَ الـــزوار تختطـــف!

مـــا للقـــدود اشـــتكتْ تضـــييقَ أحزمـــةٍ ... كـــأن مـــا تحتهـــا للنـــاس ينكشـــف!

مـــا للعبـــاءات للغـــاوين قـــد فتحـــتْ! ... أواه كـــم يقتـــلُ الفضـــائلَ التـــرف!

كيـــف اســـتجبتُن للأعـــراف مـــا خضـــعتْ ... لـــوازع الـــدين ، بـــل أودى بهـــا التلـــف؟!

كيـــف اتبعـــتُن مَـــن خابـــت طـــرائقهم ... مـــن الغـــواة الألـــى عـــن ديننـــا صَـــدِفوا؟!

كيـــف انجـــرفتُن للحضـــيض فـــي مـــلأ ... عـــن البهـــائم ـ إي والله ـ مـــا اختلفـــوا؟!

أيـــن النصـــائحُ قـــد آنَ القيـــامُ بهـــا؟ ... كأنمـــا اســـتمعتْ – لنصـــحيَ – التحـــف!

هـــل كنـــتُ أبـــذرُ فـــي البيـــداء منتظـــراً ... أن يُثمـــرَ الـــزرعُ خـــابَ الـــوهمُ والخـــرف

أيـــن الكتابـــاتُ مـــا أجـــدتْ صـــحائفها؟ ... اليـــوم تبكـــي علـــى الترهـــل الصـــحف!

أيـــن الـــدواوينُ قـــد أهـــديتُ عـــن رغـــب ... حتـــى يكـــونَ مِـــن الشـــريعة الزلـــف؟!

وضـــعتُموهن فـــوق الـــرفِ ، مـــا قرئـــتْ ... وشَـــمسُ صَـــحوتها بـــالترك تنكســـف!

أقمـــتُ حُجـــة ربـــي ، واللقـــاءُ غـــداً ... فـــي موقـــف الحشـــر ، والأنـــامُ قـــد وقفـــوا

أبلغـــتُكُن بـــلا أدنـــى مُواربـــةٍ ... ولـــم يكُـــنْ بالـــذي أبلغتُـــه كلـــف

ومـــا كتمـــتُ عـــن الحجـــاب خردلـــة ... إلا وبُحـــتُ بهـــا ، إنـــي لمُعتســـف!

أجـــري علـــى الله ، والأيـــامُ دائـــرة ... وكـــم تُفاجئُنـــا الأقـــدارُ لا الصـــدف!

إلـــى الإلـــه أنـــا برئـــتُ مُعتـــذراً ... ممـــا أتيـــتُن! بـــئسَ الوَضـــعُ والحِيَـــف!

عليـــه – رغـــم الـــذي عانيتُـــه ـ عِوَضِـــي ... تهـــونُ فـــي طاعـــة المُهـــيمن الوُظـــف!

ومنـــه – رغـــم بلائـــي بيـــنكم ـ عِوَضِـــي ... وعنـــد هـــذا الـــدعا مُستبشـــراً أقـــف!

المروءة

(إنني أكتب قصيدة المُروءة لأدلل على أن أغلب أهل زماننا بريئون منها ، كما أنها حقيقة بريئة منهم ، براءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب – عليه وعلى أبيه وعلى نبينا صلوات الله وتسليماته. ولننظر ما كتبه أبو حاتم محمد بن حبان البستي في كتابه الرائع: (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء) الباب (41) ، قال أبو حاتم رحمه الله: (صرّح النبي صلى الله عليه وسلم بأن المروءة هي العقل! والعقل اسم يقع على العلم بسلوك الصواب واجتناب الخطأ. فالواجب على العاقل أن يلزم إقامة المروءة ، بقدر عليه من الخصال المحمودة ، وترك الخلال المذمومة. وقد نبغتْ نابغة اتكلوا على آبائهم وأجدادهم ، في الذكر والمروءات ، وبعُدوا عن القيام بإقامتها بأنفسهم. ولقد أنشدني منصور بن محمد في ذمّ مَن هذا نعته فقال لي ذات يوم:

خساسةُ أخلاق الرجال تشينهم وقلّ غناءً عنهمُ النسبُ المَحضُ

يصولون - بالآباء - في كل مشهدٍ وقد غيّبتْ آباءَهم عنهمُ الأرض

طويلٌ تبدّيهم بمَجدِ أبيهمُ وما لهم - في المجد - طولٌ ولا عَرض

قال أبو حاتم رحمه الله: ما رأيتُ أحداً أخسر صفقة ، ولا أظهر حسرة ، ولا أخيب قصداً ، ولا أقل رشداً ، ولا أحمق شعاراً ، ولا أدنس دثاراً ، من المفتخِر بالآباء الكرام وأخلاقهم الجسام ، مع تعرّيه عن سلوك أمثالهم ، وقصد أشباههم ، متوهماً أنهم ارتفعوا بمن قبلهم ، وسادوا بمن تقدّمَهم وهيهات! أنى يسود المرءُ إلا بنفسه؟ وأنى ينبل في الدارين إلا بكدّه؟ وأنشدني الأبرش فقال:

فإن قلتَ: لي آباءُ صدق ومنصبٌ كريمٌ ، وإخوانٌ مضتْ وجدودُ

صدقت ، ولكنْ أنت هدّمت ما بنوْا بكفك عمداً ، والبناءُ جديد

وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي مشيداً بمبدأ المروءة المبنية على أفعال العبد ذاته فقال:

إن لم تكنْ بفعال نفسكَ سامياً لم يُغن عنك سُموُ مَن تسمو بهِ

ليس القديمُ إلى الحديث براجع إن لم تجدْهُ آخذاً بنصيبه

ولربما اقترب البعيد بوُدّه وغدا القريبُ مباعداً لقريبه

وعن الحسن قال: لا دين إلا بمروءة. فمن قائل قال: المروءة ثلاثة: إكرام الرجل إخوان أبيه ، وإصلاحه ماله ، وقعوده على باب داره. ومن قائل قال: المروءة: إتيان الحق ، وتعاهد الضيف. ومن قائل قال: المروءة: تقوى الله ، وإصلاح الضيعة ، والغداء والعشاء في الأفنية. ومن قائل قال: المروءة: إنصاف الرجل من هو دونه ، والسمو إلى من هو فوقه ، والجزاء بها أتى إليه. ومن قائل قال: مروءة الرجل: صدقُ لسانه ، واحتماله عثرات جيرانه ، وبذله المعروف لأهل زمانه ، وكفه الأذى عن أباعده وجيرانه. ومن قائل قال: إن المروءة: التباعد من الخلق الدني فقط.

ومن قائل قال: المروءة: أن يعتزل الرجل الرّيبة: فإنه إذا كان مريباً كان ذليلاً ، وأن يصلح ماله ؛ فإن من أفسد ماله لم يكن له مروءة ، والإبقاء على نفسه في مطعمه ومشربه. ومن قائل قال: المروءة: حسن العشرة ، وحفظ الفرج واللسان ، وترك المرء ما يعاب به. ومن قائل: المروءة: سخاوة النفس ، وحسن الخلق. ومن قائل قال: المروءة العفة والحرفة ، أي يعف عما حرم الله ، ويحترف فيما أحل الله. ومن قائل قال: المروءة كثرة المال والولد. ومن قائل قال: المروءة: إذا أُعطيت شكرت ، وإذا ابتليت صبرت ، وإذا قدرت غفرت ، وإذا وعدت أنجزت. ومن قائل قال: المروءة: حسن الحيلة في المطالبة ، ورقة الظرف في المكاتبة. ومن قائل قال: المروءة: اللطافة في الأمور ، وجودة الفطنة. ومن قائل: المروءة: مجانبة الريبة ؛ فإنه لا يُنبل مريب وإصلاح المال. فإنه لا ينبل فقير ، وقيامه بحوائج أهل بيته ؛ فإنه لا ينبل من احتاج أهل بيته إلى غيره. ومن قائل قال: المروءة: النظافة وطيب الرائحة. ومن قائل قال: المروءة: الفصاحة والسماحة. ومن قائل قال: المروءة: طلب السلامة ، واستعطاف الناس. من قائل قال: المروءة: مراعاة العهود ، والوفاء بالعقود. ومن قائل قال: المروءة: التدلل للأحباب بالتملق ومداراة الأعداء بالترفق. ومن قائل قال: المروءة: ملاحة الحركة ، ورقة الطبع. ومن قائل قال: المروءة: هي المفاكهة والمباسمة. قال ربيعة: المروءة مروءتان: فللسفر مروءة ، وللحضر مروءة: فأما مروءة الحضر: فالإدمان إلى المساجد ، وكثرة الإخوان في الله ، وقراءة القرآن. قال أبو حاتم رضى الله عنه: اختلفت ألفاظهم في كيفية المروءة ، ومعاني ما قالوا قريبة بعضها إلى بعض. والمروءة عندي خصلتان: اجتناب ما يكره الله والمسلمون من الفعال. واستعمال ما يحب الله والمسلمون من الخصال).هـ. لقد كانت هذه الأقوال العظيمة التي أوردها البُستي في كتابه فعلاً دقيقة في تعريف المروءة وأهل المروءة. وإن شئنا أن ننظر إلى نماذج خاطفة من مروءات أغلب أهل زماننا ، فمنها مثلاً: ** مروءة تقوم على مبدأ (عش نذلاً تمت أو تعش مستوراً). **مروءة قوم تقول: (نفسي ومن بعدي الطوفان لكل من حولي). **مروءة أوباش تقول: (إن جاءك الطوفان ضع أولادك تحت قدميك). وهل هناك نذالة وخسة ووضاعة في الدنيا مثل هذا؟ **مروءة قوم تقول: (الجبن سيد الأخلاق). وهم هنا قد قطعوا. وأخيراً مروءة تقول: (وهل أنت الذي ستصلح الكون إذن؟) ولهذا قال معاوية - رضي الله عنه-: "آفة المروءة إخوان السوء". وهذا أمر مشاهد ؛ لأنهم إن رأوا حسنة أخفوها ، وإن رأوا عيباً أذاعوه ، ثم هو يسمع منهم وهو يقوم ويقعد كل قبيح ، يستقبلونه بالشتائم والسباب ويودعونه بمثلها ، وإذا حضر مجلسهم سمع اللغو والباطل والكلام في الدنايا ، ورأى منهم كل مستهجن ، وإذا أراد أن يحلق وأن يرتفع ليسمو بنفسه عابوه وثبطوه ؛ لأنهم يريدون موافقتهم ، وكما قيل:- المرأة الزانية تحب أن جميع النساء زوان من أجل ألا يتميز أحد بالعفاف والشرف. والرجل السارق يري كل الناس لصوصاً! هذا ويقول شيخنا الدكتور خالد بن عثمان السبت عن المروءة ما نصه: (وتكون المروءة أيضاً فيما نتركه بالتنزه عن المطامع الدنية ، نتنزه عن الطمع لأنه ذل ، ونتنزه عن الدناءة لأنها لؤم ، وهما أعدى شيء للمروءة ، وإنما يوقعنا في ذلك الشره وقلة الأنفة ، بأن لا يقنع الإنسان بما أوتي لكثرة شرهه ، ولا يستنكف مما منع ولو كان حقيراً لقلة أنفته ، وهذه حال من لا يرضى لنفسه قدراً ولا مروءة ولا مرتبة ومنزلة ، فهو يرى أن المال هو أعظم مطلوب ، فما عداه فهو دونه ، فيبذل أهون الأمرين وأدون الأمرين وهو معالي الأمور ومكارم الأخلاق من أجل تحصيل مطامعه ، فهذا لا ينفع معه تأنيب ولا

تأديب ، وليس فيه قبول للتأديب).هـ. ولا أظن القارئ إلا أنه قد تبين له الفارق العظيم الآن بين المروءتين. فليختر لنفسه المروءة الحقيقية أو المروءة الزائفة! ولنطالع معا قصيدة المروءة.)

ضــلّ الطريــقَ - إلــى المــروءة – الســفلُ! ومعظــمُ البُلــهِ - بالخــذلان - قــد شُــغِلوا!

دأبُ الرجــال لــه نــاسٌ تتيــهُ بــه وبالأماجــد - دومــاً - يُضــرَب المَثــل

وسَــمتهم شــامخ كــالطود ضــاق بــه وادٍ مــن الرمــل قــد أودى بــه الجبــل

وجُــودُهم - فــي البرايــا - لا حُــدودَ لــه ولــيس نــذلٌ - لهــذا الجُــود - يَحتمــل

أهــلُ المــروءة - بالعطــاء - قــد عُرفــوا والنــاسُ تعــرفُ مــا قــالوا ومــا فعلــوا

فللمــروءة أبطــالٌ تســودُ بهــم هــل يســتوي النــذلُ فــي القيــاس والبطــل؟

جلــتْ عــن الــذكر أوصــافٌ بهــا اتصــفوا لا يعتلــي صــهوة المــروءة الســفل

تُجــلّ قومــاً - عــن الســوآى - مُــروءتُهم وبــالأراذل أودى الشُّــحُ والزلــل

هــي المــروءة تُعلــي شــأن مَــن عصــموا عــن الــدنايا نفوســاً زادُهــا العمــل

لــم يغــدِروا قــط ، إن الغــدرَ مَخبثــةٌ بــل اســتقاموا - علــى الوفــاء - واعتــدلوا

لا يكــذبون ، فبــئسَ الكِــذبُ مَنقصــةٌ! ولــيس يســعى بــه إلا مــن ارتــذلوا

لا يُخلِفــون وُعــوداً فــي اســتطاعتهم لا يُخلــفُ الوعــدَ مَــن بــالخير يشــتغل

لا يقطعــون عُــرى الأرحــام تحسَــبُهم بكــل قُربــى لهــم - رغــم الجفــا - اتصــلوا

لا يبلخــون بــأموال ، ولــو كثــرتْ والبُخــلُ مُهلِــكُ مَــن ضــنوا ومَــن بخلــوا

لا يَخــدعون مَخاليقــاً تُعاملنــا دَمــارٌ الغــشُ والخِــداعُ والختــل

لا يَقبلــون بضَــيم يســتهينُ بهــم إن الــذي يقبــلُ الهــوانَ مُختبــل

لا يرعــوون لبطــاش لســطوته فــالخوفُ طــابعُ مَــن - فــي غــيّهم - هزلــوا

لا يســتغلون مَــن قــد اســتجار بهــم ولا يُــذِلون مَــن - نــوالهم - ســألوا

ولا يُطيعــون فــي عِصــيان خــالقهم فلــيس هــذا الــذي جــاءت بــه الرُّســل

ولا يُطيقــون - للجبــار - معصــيةً وإنْ عصَــوْا رَجعــوا ، والطاعــة امتثلــوا

ولا يُضِـــــلون خلـــــق الله فـــــي شُـــــبَهٍ فهـــــؤلاء بتقـــــوى الله قـــــد عملـــــوا

ولا يُقِـــــرّون - بـــــالأهواء - مبتـــــدعاً بـــــل كـــــل مبتـــــدع - فـــــي التـــــو - يُعتـــــزل

ولا يَمُنـــــــون إن أعطـــــــوْا ذوي عـــــــوز فـــــالمنّ ديـــدنُ مَـــن - عـــن ربهـــم - غفلـــوا

ولا ينـــــالون مِـــــن شَـــــهم يُســـــالمُهم نـــــيلاً لكـــــيلا يُقـــــال: الشـــــمّ قـــــد سَـــــفلوا

ولـــــيس يَفتِـــــك - بالضـــــعاف - ســـــادتهم إن الغطـــــاريف – بـــــالحقوق – مـــــا جهلـــــوا

ولا يُغـــــازلُ شَـــــهمٌ مـــــنهمُ امـــــرأة إن المـــــروءة يُـــــردي عزهـــــا الغـــــزل

وجُلهـــــم آمـــــرٌ بـــــالعُرفِ حارسُـــــه لأن ســـــادتهم - مِـــــن نـــــوره - نهلـــــوا

ويُنكـــــرون الـــــذي يـــــروْن مِـــــن ضَـــــلل والأرضُ تُفســـــدُها الأهـــــواءُ والضـــــلل

أهـــــلُ المـــــروءة لـــــيس المـــــالُ يَشـــــغلهم عـــــن دَوْرهـــــم ، فـــــالغِنى وضـــــده دُول

وفـــــي الحيـــــاة لهـــــم رســـــالة عظَمـــــتْ مهمـــــا تعـــــددتِ الغايـــــاتُ والســـــبل

والنـــــاسُ تعـــــرفُ أقـــــداراً تليـــــقُ بهـــــم إذِ المغـــــاويرُ - مِـــــن بـــــين الـــــورى - مُثـــــل

ولا يقولـــــون: عِـــــشْ نـــــذلاً تمُـــــتْ ملِكـــــا! لأنـــــه قـــــولُ مَـــــن - بـــــدينهم - عـــــدلوا

إذِ النذالـــــة تُـــــردي مَـــــن يعـــــيشُ لهـــــا والنـــــذلُ - بـــــين كِـــــرام النـــــاس - يُبتـــــذل

فـــــي كـــــل موقـــــفِ بَـــــذلٍ يعتريـــــه لظـــــىً وقلبُـــــه بســـــعير الغـــــيظ يَشـــــتعل

وإنْ توسّـــــم خيـــــراً فيـــــه ذو عَـــــوَز وراحَ يســـــأله شـــــيئاً ويبتهـــــل

يَظنـــــه ســـــوف يُعطيـــــه ويشـــــمَله بعطفـــــه ، وبـــــه - فـــــي النـــــاس - يَحتفـــــل

لكنمـــــا النـــــذلُ لـــــم يَفـــــتحْ خزائنـــــه ولـــــم يُعِـــــرْ ســـــمعَه ، بـــــل راحَ ينفعـــــل

وظـــــل يُـــــوردُ مِـــــن سِـــــبابه حُممـــــاً قـــــد كـــــان جهزهـــــا ، فلـــــيس يرتجـــــل

هـــــذي النذالـــــة ، والســـــوآى طبيعتهـــــا وإنْ تُقِـــــمْ حُجـــــةً ، فعنـــــدها الحِيَـــــل

ولا تـــــرى النـــــذلَ - فـــــي أفعالـــــه - رجـــــلاً لا يســـــتوي النـــــذلُ - فـــــي الأفعـــــال - والرجـــــل

أمـــــا المُـــــروءة فالرجـــــالُ ســـــادتُها حـــــازوا الكرامـــــة ، والأمجـــــادَ قـــــد حصـــــلوا

فاســـأل عـــن الفخـــر قـــد نـــالوا ذؤابتـــه وفـــــي مـــــروءتهم يُغـــــرّدُ الأمـــــل

هـــمُ الظـــلالُ لمـــن شـــط الهجيـــرُ بـــه والقـــــيظ تُكبحُـــــه الأنســـــامُ والظّلـــــل

هـــمُ العطـــاءُ لمـــن أزتـــه حاجتـــه ولا تُـــؤخرُهم - عـــن العطـــا - عِلـــل

هـــمُ المرافـــي لمـــن هـــاجَ الخِضَـــمّ بـــه فـــــلا يُهـــــدّدُه بَـــــردٌ ولا بَلـــــل

هـــمُ الضـــياءُ لســـار فـــي غياهبـــه فـــي كـــل كـــفٍ لمـــن يـــأوي لهـــم شُـــعل

هـــمُ الـــدليلُ لمَـــن ضَـــلتْ مَقاصـــدُه صِـــيدٌ إذا ســـكنوا الـــديار ، أو رحلـــوا

هـــمُ غـــوثُ مَـــن فـــي الرزايـــا يســـتغيثُ بهـــم ويُنفقـــون إذا - فـــي شـــدةٍ - سُـــئلوا

هـــمُ المُشـــيرون إنْ ســـاقوا مَشـــورتهم ولـــيس - فـــي قـــولهم - هـــزلٌ ولا دغـــل

والناصـــحون لمـــن يرجـــو نصـــيحتهم والصـــابرون ، فـــلا ضِـــيقٌ ولا مَلـــل

والمخلصـــون ، فمـــا للصـــيتِ قـــد نصـــبوا لكـــنْ لجنـــة ربِّ النـــاس قـــد عملـــوا

والتـــائبون مِـــن الـــذنوب أجمعِهـــا كـــأنهم - مـــن خطايـــا الـــنفس - قـــد غَســـلوا

والمُخبتـــون لـــرب لـــيس يَخـــذلهم لـــو أنهـــم - مِـــن جميـــع الخلـــق - قـــد خُـــذلوا

والعـــالِمون بمـــا - فـــي الشـــرع - مـــن خُلـــق فلـــيس تخـــدعُهم - فـــي العيشـــة - النِحَـــل

والســـاترون عُيـــوبَ الخلـــق فـــي وَرع أراهـــمُ الســـترَ - فـــوق النـــاس - ينســـدل؟

والرافعـــون لـــواءَ الحـــق فـــي شـــرفٍ والـــرزقُ - عنـــد مليـــك النـــاس - والأجـــل

والطيبـــون سَـــرتْ - فـــي النـــاس - طِيبـــتهم وللقلـــوب - بحـــب البـــذل - قـــد وصـــلوا

والســـالكون ســـبيلَ الحـــق مُـــذ خلقـــوا والمُنصـــفون إذا مـــا حُكّمـــوا عـــدلوا

والمهتـــدون بهـــدي الله ، أســـوتهم محمـــدُ الحـــق ، والصـــحابة الأوَل

والكـــافلون يتيمـــاً غـــابَ كافلـــه فبـــارك اللهُ مَســـعاهم ومَـــن كفلـــوا!

والصـــاعِدون إلـــى رضـــوان خـــالقهم وغيـــرُهم - لحضـــيض التيـــه - قـــد نزلـــوا

فبـــالمروءة كـــل النـــاس تغـــبطهم ولـــيس يَمقـــتُهم إلا مَـــن اختبلـــوا

وبـــالمروءة قـــد ســـارت ســـفينتُهم وأمْـــرُهم - مِـــن جميـــع النـــاس - مُمتثـــل

وبـــــالمروءة ســـــادوا النـــــاسَ قاطبـــــةً فخـــالطوهم ، ومـــا عـــابوا ، ولا اعتزلـــوا

وبـــالمروءة - مِـــن أهـــوائهم - خلصـــوا ولـــم يُعِـــقْ سَـــيرهم - إلـــى الهُـــدى - كســـل

أمـــــــا الأراذلُ فالـــــــدنيا قبـــــالتهم وحلْقـــة الوصـــل - للـــدنيا - هـــي المَيَـــل

ففـــــي قلـــــوبهمُ أهـــــواؤهم سَـــــكنتْ لـــــذاك قـــــادَهمُ - للخيبـــــة - الفشـــــل

وفـــي الضـــمائر حُـــبُ الـــذات قـــد زُرعـــتْ جُـــذوره ، وازدهـــى مِـــن حولـــه الخطـــل

ولا حيـــاءَ مِـــن الســـوآى - بهـــا - اتصـــفوا ولـــم يعُـــد - مِـــن أذى - تقتيـــرهم خجـــل

بـــاعوا المـــروءة والإحســـاسَ دون حيـــا ولـــيس يَقبـــلُ مـــا بـــاعوا الألـــى عقلـــوا

وزايلـــــوا عِفـــــة كانـــــت ســـــترفعُهم وبعـــدُ - فـــي طينـــة النذالـــة - انجـــدلوا

ودافعـــوا - ويحهـــم - عـــن كـــل مَنقصـــةٍ والعُـــدة الكِـــذبُ ، والتزويـــرُ ، والجـــدل

واستحســـــنوا بـــــاطلاً لـــــه دَهاقنـــــة وفـــــي صُـــــدورهمُ الضـــــلالُ يَعتمـــــل

دمُ النذالـــــة يجـــــري فـــــي مشـــــاعرهم ومـــا لهـــم - مـــن دُجـــى فِعـــالهم – وجـــل!

إنـــــا لنحمَـــــدُ مولانـــــا وخالقنـــــا أنْ لـــم نكـــنْ - لحظـــة - مِـــن الألـــى ســـفلوا!

عندما يذهب الكُرماء!

(كان ذلك البائس في حال يُرثى لها. إذ وقع في ضائقةٍ ماليةٍ شديدةٍ اضطرتْه للاستدانة من الناس. وإذا به يجد أغلب من كان هو سبباً في غِناهم قد بخلوا عليه بالإقراض ، فضلاً عن العطاء والهبة. فأقرضه بسخاء رجلٌ من غير قومه ومن غير داره وعلى غير مِلته! فأخذ يلوم نفسه ويرى أنه أخطأ الاختيار في الصحبة ، وأنه كان ينبغي أن يكون أكثر ذكاءً وحِنكة! فتخيلتُه يصفُ لنا شعراً هؤلاء الأنذال الأنانيين ، الذين لأنفسهم يعيشون ولغيرهم يتنكرون! وعنونتُ للقصيدة بهذا العنوان الذي يصوّر لنا الحياة عندما يفارقها أهلُ الجود!)

بَخِلـــوا علـــيّ بمـــالِهم ، وتمـــرّدُوا ... وتطـــاولوا جَبـــراً علـــيّ ، وأزبـــدوا

وتعللـــوا بـــالفقر يَـــدمَغ عَيشـــهم ... وجـــوابُ كـــلٍ مُســـتريبٌ أنكَـــد

والعُـــذرُ مَكـــذوبٌ فمَـــن يُصـــغي لـــه ... مهمـــا تـــبجّحَ قـــائلوه ، وأيّـــدوا

اليـــومَ قـــد شَـــحّوا علـــيّ بمـــالهم ... بـــئسَ التعامـــلُ والـــرؤى والمَحْتِـــد!

وأنـــا الـــذي أعطيـــتُ حتـــى لامنـــي ... أنـــي بـــذلتُ الحاقـــدون الحُسّـــد

أنـــأ قـــد بنيـــتُ المجـــدَ مُرتفـــعَ اللـــوا ... لأرذالٍ ، بطِـــروا النعـــيمَ ، وأفســـدوا

وبـــذلتُ مِـــن مـــالي الكثيـــرَ ليهنـــأوا ... واللهُ يشـــهدُ ، والخلائـــقُ تشـــهد!

وصـــدقتُ فـــي وُدّي ولـــم أكُ غـــادراً ... وسِـــوايَ يُبـــرقُ بالإخـــاء ، ويُرعِـــد

ونصـــحتُ أحســـبُ أن غيـــري مُنصِـــتٌ ... والحـــق أن الغيـــرَ صـــخرٌ جَلمـــد

واحتجـــتُ للأمـــوال سُـــنة ربنـــا ... أوَلـــم يمُـــرّ بـــذا النبـــيّ (محمـــد)؟

أوَلـــم تكُـــنْ دِرعٌ لـــهُ مَرهونـــةً ... عنـــد اليهـــودي الـــذي يتزيـــد؟

وطلبـــتُ لمّـــا عَضـــني دَيْـــنُ الـــورى ... فلقيـــتُ خـــذلانا يَصُـــدّ ويَجحـــد

وطبيعـــةَ الكرمـــاء عاجلهـــا الـــردى ... والعبـــدُ يَظهـــرُ إذ يمـــوتُ الســـيد!

فعســـى مليـــكُ النـــاس يُغنـــي عبـــدَهُ ... كـــيلا تُمـــدّ - إلـــى الألـــى بخِلـــوا – يَـــد!

هل جزاءُ الإحسان إلا الإحسان؟

(لم يكن ينوي فاعل الخير هذا ـ من فعله ، وباذل المعروف من بذله ـ سوى الإصلاح بين هذا الزوج وزوجه المسكينة المبتلاة (أم نبيل) وبناته وأبنائه. ولكنّ الزوج العِربيد السِكّير لم يفهم هذا القصد ولم يع ذلك التوجه. فراح يكيل التهم ويشنع على ذلك الرجل الباذل معروفه والفاعل خيره والداعي إلى الحق والعدل والإنصاف قدر الوُسْع والطاقة. وتبدأ القصة باختصار عندما انحرف الزوج بلا عودة ، وانساق لأرباب الفجور والفسق والإفساد في الأرض بغير الحق ، فهان عليه الهوان. ولم يعد يهتم ببيته ولا بزوجته ولا بأبنائه. وفي الماخور يتعرف الزوج ـ ذو البنات الأربع والولدين والزوجة والبيت والوظيفة – على صعلوكة نادلة من بنات الهوى وبغايا الليل. وانزلقتْ ساق هذا الزوج الخائب الفاشل في الرذيلة ، وأصبح يرى الحق باطلاً والباطل حقاً ، وزيّن له الشيطانُ العواهر والمومسات ، فراح يأخذ حظه من الحرام. مثله في هذا مثل كل ضحية من ضحايا الرذيلة التي يغرق فيها المجتمع برُمته. ولا يكون وحده الضحية. بل بيته وأبناؤه وزوجه. وعندما طفح الكيل وكأنه أتى بعشيقته إلى بيته آمراً الكل باحترامها ومعاملتها برفق ، أتتني زوجه بوصفي الجار الأول لهم. ورأيت أنها ـ باستقراء الأحداث والأقوال والشواهد والبراهين والقرائن – مظلومة ممتحنة ممتهنة للغاية. وليس يحس بالمظلومين المهضومين إلا من كان مثلهم يحترق بنيران الظلم. وأخذتُ في موعظة العاشق الفاجر ، ولكنه أعرض ونأى بجانبه وأشاح بوجهه عني. فاستعنتُ بأصحاب التأثير عليه من ذوي قرابته ومعارفه والراسخين في معرفته ، وأقرّ واعترف وأخذنا عشرات الوعود بالتوبة والندم والإصلاح والاستقامة ومراجعة النفس. ولكنْ دون جدوى! فأوصيتُ الزوجة بالصبر والاحتساب عندما قررتْ ترك البيت والأولاد ، والبحث عن حياتها تحت رجل كريم لبدء حياة جديدة واستئناف معيشة طيبة عزيزة نقية طاهرة! وناصحتها بأن تتولى زمام الأمور وتصون بيتها وبُنياتها وولديها وإن الله واجدٌ لها مخرجاً إذا هي صبرت واحتسبت واسترجعت! وأخبرتها بأن الأولاد أمانة تسأل عنها في موقف الخمسين ألفاً بالعدد! وأنه إذا كان الزوج قد تخلى وأعرض ونأى بجانبه ، مستغنياً بحرام الله عن حلاله قانعاً بعيش الفجور والتحلل والسفول والسقوط ، فإنه لا ينبغي معاقبته بترك البيت والأولاد ، فإن هذا ليس حلاً وخاصة إن علمنا أنهم صغار فأعمارهم مابين الثامنة عشرة إلى السبع! وأخذتُ أبحث عن حل لهذه المشكلة العويصة ، وأحاول الوصول فيها لمنظومة ترضي الجميع! فعجزتُ في أول الأمر! ثم اتفقتُ مع الزوج الخائن الغادر هذا وعشيقته على قسمة هذه الشراكة إلى قسمين متساويين! فليتزوجا على كتاب الله ورسوله وليذهبا حيث شاءا ، وليبق للزوجة الأولى وأبنائها ما يقتاتون به (نصف مكافأة نهاية الخدمة والبيت) ووافق الزوج! وتم الزواج ثم أتى يُساومني على تقطيع العقود التي أبرمتْ وأشهد عليها وأنها في طريقها إلى التوثيق في المحكمة الشرعية فقط. فعرض عليّ ما أريد من المال مقابل ذلك! فأبيت وفي اليوم التالي ذهبنا جميعاً إلى المحكمة للتوثيق وانتهى الأمر على ذلك! فعمد ذلك الأفاك الأثيم لطريقة الطواغيت في التشنيع على الخصم والتشهير به زوراً وبهتاناً! وراح يُخبر الناس أن ذلك الوسيط أفسد عليّ زوجي وأولادي وخرب بيتي! وزاد حبات الطين بلة بأن قال لأحد الناس: إن بينه وبين امرأتي وبناتي علاقة مشبوهة! الأمر الذي لم يخطر ببال الوسيط البرئ ولم يدُر بخلده طرفة عين ولا أقل من ذلك. فرُحتُ أذكّر الجميع قائلاً: (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟) ولكن لا طائل من وراء النذير والتذكير ، حيث اشتعلت نار الفتنة وتلظى الجميع بسعيرها وشواظها. ولكن الشئ المهم هو أن الأسرة عاشت في سلام: فبيتٌ لا يدفعون له إيجاراً ولا مصاريف كهرباء ولا ماء ، وراتب شهري من خزينة المحكمة يُصرف تِباعاً من نصف مكافأة نهاية الخدمة! فلا مِنة لمخلوق عليهم بدرهم ولا دينار! أما العاشقان فقد ذهبا إلى جبال القوقاز ، وهناك صُرفتِ الدراهم والدنانير وعاد الزوج المعتوه بخفي حُنين! عاد بعد ضياع المال والكرامة ، عاد يعض أصابع الندم من حيث لا ينفع الندم ، عاد يجر أذيال الخيبة والفشل. فلم يكن من قِبلة إلا بيته وبُنياته

وزوجه والأبناء! تلك الأشياء التي حرصتُ أن أبقيها له ابتغاء وجه الله ، وذلك لعلمي أنه سوف يرجع خائباً خاسراً من بلاد القوقاز! وكنت أوقن أنها نزوة عابرة وشهوة ماضية ، ولقد استغرقت القصة المريرة هذي سنوات ست! ولم أفكر في الكتابة عنها ، لأن الأحداث كانت أكبر من أعبر عنها ، والشاعر عندما تكون الأحداث أكبر من تجربته ومشاعره وأحاسيسه لا يوفق في الكتابة بصورة دقيقة وموفقة! ولكن بعدما دارت رحى التشهير ، ووجدتُ نفسي في خضم الإشاعات والفضائح تكونت في نفسي مجموعة انفعالات كانت هذه القصيدة ترجمة لها! ثبت في الحديث الصحيح في البخاري ومسلم وفي غيرهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم عرفة في حجة الوداع يوم عرفة: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام» إلى آخر الحديث ، فعِرض المسلم على المسلم حرام بعامة ، فكيف إذا كان بين المسلم والمسلم أخوّة عامة وعقد خاص من الجيرة ، كيف لا يحفظ عرضه ، وقد قام بينهم من الأخوة والمحبة الخاصة ما ليس بينه وبين غيره ، إذا كان المسلم مأموراً أن يحفظ عرض أخيه الذي هو بعيد عنه ، أي ليس بينه وبينه صلة ولا محبة ، فكيف بالذي بينه وبينه موادّة ، وتعاون على البر والتقوى ، وسعي في طاعة الله ، وفي العبودية لله ، واكتساب الخيرات ، والبعد عن المآثم؟)

طفــــحَ الكيـــــلُ ، واعتـــــدى الســـــفهاءُ! وعلينـــــــا يَستأسِـــــــدُ البُلهـــــــاءُ!

طـــفَّ صـــاعٌ - مـــن طِينـــة الحِقـــد - أخـــزى وتـــــوارى – خلـــف الســـتور - الـــبلاء

واحتوتْنـــــا قـــــوارعُ الكيـــــد عمـــــداً وتمـــــادتْ – فـــــي أخـــــذها - البُرَحـــــاء

وطفِقنـــــا – ممـــــا نلاقـــــي - نعـــــاني وإلينـــــا يطـــــوي الخطـــــا الجُهَـــــلاء

هكـــــذا الـــــدنيا: تـــــارة نتغنـــــى وصـــــدانا تعنـــــو لـــــه الأجـــــواء

فننـــــــاغي ، وتـــــــارة نتعنـــــــى وتســـــــودُ الآهـــــــاتُ والبأســـــــاء

أيهـــا الكيـــدُ ، قـــد كفـــى مـــا أقاســـي زالَ شـــأني ، واجتـــاحني الأشـــقياء

لـــم أدنـــسْ عِرضـــاً بـــبعض كلامـــي لـــم تشُـــقني – بـــين الـــورى - الخـــيَلاء

لـــم أنـــلْ نفســـاً بالسِـــباب ، لأنـــي مســـلمٌ يحيـــا فـــي مَـــداهُ الحيـــاء

لـــم ألـــوّثْ بـــالطعن مَـــن عـــاملوني ذاك قـــــبحٌ يَعافـــــه الفضـــــلاء

لـــم أحَقـــرْ ســـعيَ الألـــى أكرمـــوني لـــيس مِـــن خلـــق المُتقـــي الازدراء

مـــا افتريـــتُ يومـــاً علـــى مَـــن جَفـــاني لـــيس مِـــن طبـــع المُهتـــدي الافتـــراء

مـــا اجتـــرأتُ علـــى الـــذي بـــاع ودي ذاك طـــيشٌ يرنـــو لـــه الأغبيـــاء

مـــا ادّعيـــتُ الأخـــلاقَ لـــم أدنُ منهـــا لـــيس منـــي الهتافـــة الأدعيـــاء

وجميـــلٌ مِـــن الفتـــى عِـــز نفـــس فـــي قطيـــع أربابـــه لؤمـــاء

عنـــدما تستعصـــي الأمـــور ، وتقســـو ... يأخـــذ العَـــف للرشـــاد الإبـــاء

قـــد خبَـــرتُ أهـــل الزمـــان مِـــراراً ... وبـــدا لـــي الأنـــذالُ والنجَبـــاء

عـــالمُ الأضـــداد التـــي لـــيس تحصـــى ... كـــم يُعـــاني – مـــن هولـــه – الحُكمـــاء!

قيمـــة الإنســـان الشـــريف تـــدَنتْ ... وتـــردى الأشـــرافُ والأكْفـــاء

وعـــلا فـــوق الخلـــق كـــل رَقيـــع ... مَيَّزتْـــه – بـــين الـــورى - الفحشـــاء

كـــل لـــون أجـــادَه فـــي البرايـــا ... لـــيس تـــأتي مـــا قـــد أتـــى الحِربـــاء

وكـــريمُ الأقـــوام - فـــي التيـــه - جـــاثٍ ... كـــم يُعـــاني – فـــي العيشـــة – الكُرَمـــاء!

كـــم يُقاســـي مَـــن للمبـــادئ يحيـــا ... ويَنـــي مَـــن طموحُـــه العليـــاء!

كنـــتُ – فـــي بيتـــي – أســـتعدُّ لنـــومي ... فـــأتتْني مَكروبـــة (حـــوّاء)

تطـــرقُ البـــابَ ، تشـــتكي ظلـــمَ زوج ... ضـــاقَ ذرعـــاً – بظلمـــه - الأبنـــاء

جَرفتْـــه دنيـــا المَلـــذات حتـــى ... نـــالَ منهـــا مـــا يَشـــتهي ويَشـــاء

أفســـدتْه الأهـــواءُ حتـــى قلاهـــم! ... مثـــلَ هـــذا هـــل يفعـــلُ الآبـــاء؟

هجـــرَ الكـــل فـــي مُحابـــاة أفعـــى ... يَشـــهد الله أنهـــا شَـــمطاء

لا تُســـاوي فِلســـاً إذا مـــا اشـــترَوْها ... بَرئـــتْ منهـــا – فـــي القيـــاس – النســـاء!

بِنيـــةٍ أردى الفاســـقون صِـــباها ... وقَـــوامٌ أودى بـــه النـــدماء

وجههـــا تغـــزوه التجاعيـــدُ طـــراً ... وعِظـــامٌ مِـــن رجســـها عَجفـــاء

جيـــدُها مِـــن رشْـــف الخمـــور تلـــوى ... والثنيـــاتُ مـــا لهـــا استقصـــاء

ويـــداها جلـــدٌ – علـــى العظـــم – بـــادٍ! ... وعيـــونٌ – عـــن الهـــدى - عميـــاء

والعراقيـــبُ شَـــوّهتْ قـــدميها ... فهْـــيَ - مِـــن ســـعي للهـــوى – عَرجـــاء!

ورمـــوشٌ – علـــى العيـــون - تـــدلتْ ... مَـــن رآهـــا يغتالـــه الإغمـــاء!

ولســـانٌ – عـــن أي نطـــق - تخلـــى ... لكْنـــة – عـــن أعرابنـــا - عَجمـــاء

وإذا بالأســـــنان بعـــــضُ صـــــخور ... جمعتْهـــا – فـــي جوفهـــا - البيـــداء

وإذا بـــــالأنف المُشـــــوّه وجهـــــاً ... مـــا لـــه – فـــوق الـــوجنتين - اســـتواء

وإذا بالشَـــــعر المُجعّـــــدِ عَشـــــبٌ ... نفشـــتْ – ترعـــى – فـــي ثـــراه الشـــاء

والتقاطيـــبُ – فـــي الجبـــين - اســـتغاثت ... حيـــة تلـــك - بيننـــا - رقطـــاء!

كيـــف يهواهـــا مُعجـــبٌ بالصـــبايا؟ ... إنَّ هـــذي لمـــن يـــرى عَنقـــاء

كيـــف يرضـــاها – للفـــراش – حَليـــلٌ ... والضـــحايا – فـــي وكرهـــا – شـــركاء؟

أضـــــجرَتني أم البنـــــات مليـــــاً ... فـــاحتواني – بالعاشـــقين - لقـــاء

قلـــتُ: أقلِـــعْ ، وادرسْ أمـــورك ، واعقـــلْ! ... قـــال: كـــلا ، روحـــي لتلـــك الفـــداء

قلـــتُ: طـــينٌ: كـــم لاكَـــهُ كـــل نعـــل! ... وحضـــيضٌ كـــم عافـــه الرفقـــاء!

هـــيَ مِرحـــاضٌ ، كـــم تغـــوّط فيـــهِ ... يـــا رفيقـــي الزنـــاة والوُضـــعاء!

قـــال: حـــازتْ قلبـــي ، وبعـــدُ سَـــبتني ... هـــل دَريـــت يـــا عـــاذلي مـــا السِـــباء؟!

قلـــتُ: أيـــن الجمـــالُ فيهـــا؟ أجبنـــي! ... إن هـــــذي مقبوحـــــة رَعْنـــــاء

وعجـــوز أدمـــى المشـــيبُ حَلاهـــا ... وهْـــيَ مـــن آثـــار الخنـــا شـــمطاء

واســـأل المـــاخورَ المـــدنسَ عنهـــا ... وشـــهودٌ – فـــي بهـــوهِ - القرنـــاء

سِـــلعة هـــذي ، كـــم تبـــاعُ وتشـــرى! ... والعبيـــدُ – مثـــل الثـــرى - والإمـــاء

وعلـــى بطحـــاء النخاســـة حطـــتْ ... خِبـــتِ ســـعياً ، وخابـــتِ البطحـــاء!

هاجمونـــا كمثـــل سِـــرب جـــرادٍ ... ثـــم طالثْنـــا فِتنـــة شَـــعواء

أحرقتنـــا نيـــرانُهم ، فاصـــطلينا ... وأقـــول: أمـــا لهـــا إطفـــاء؟

قـــال: مهمـــا أفصَـــحتَ تلـــك نصـــيبي ... إنْ تكـــن داءً عـــز هـــذا الـــداء!

تلـــك حبـــي وقِبلتـــي وشـــبابي ... تلـــك زادٌ لمُهجتـــي وغِـــذاء

تلـــك عِشـــقٌ أحيـــا بـــه وغـــرامٌ ... أنـــا أرضٌ عطشـــى ، وتلـــك المـــاء

تلـــك أكْسِـــيرُ العـــيش ، تلـــك حيـــاتي ... تلـــك نـــورٌ تُجلـــى بـــه الظلمـــاء

بســـمة منهـــا تغمـــرُ القلـــبَ شـــوقاً ... وشـــــــذاها – للهـــــــائمين - دواء

صـــــوتُها أنغـــــامٌ تشقشـــــقُ نشـــــوى ... وصـــــدى الصـــــوت رقـــــة وغِنـــــاء

وفـــــر النصـــــحَ ، لـــــنْ تُغيّـــــرَ شـــــيئاً ... نصـــحُ مثلـــي - يـــا طيبـــون - غبـــاء

قلـــتُ: فـــانكحْ – علـــى الشـــريعة - زوجـــاً ... تُمْـــسِ فـــذاً يســـعى – إليـــه - الهنـــاء

قـــال: فابـــذلْ – مِـــن المعونـــة - قِســـطاً ... ولـــيكُن – فـــي عـــوني هنـــا - الأصـــدقاء

فـــالتمسْ لـــي فـــيمن عَرفـــتَ ظهيـــراً ... إنَّ أمـــــــري مُصـــــــيبة كَـــــأداء

قلـــتُ: كـــلا ، فســـوف أبـــذلُ جُهـــدي ... لـــــــيَعم الحليلتـــــــين رَخـــــاء

واتفقنـــــا ، والعـــــدلُ كـــــان بســـــاطاً ... وكتبنـــــا كـــــيلا يكـــــونَ ادّعـــــاء

والنوايـــــا صَـــــفتْ لـــــرب خبيـــــر ... وجنـــــانُ الـــــرحمن نعـــــم الجـــــزاء!

وتزوجـــــتَ بالشـــــروط ، وقلنـــــا: ... إن يُوفـــوا – صـــدقاً – هـــمُ الســـعداء

وأتيـــــتَ عصـــــراً تســـــاومُ غـــــدراً ... وتَبـــدّى – فـــي ناظريـــك - المِـــراء

قلـــتُ: سُـــحقاً لمَـــن يخـــونُ الأيـــامى ... مَـــن يبيـــعُ الأعـــراضَ كيـــف يشـــاء!

ويريـــــــدُ بناتِـــــــه كالبغايـــــــا ... ومحـــــلَ التقـــــوى يَحِـــــلُ البِغـــــاء

قـــال لـــي: اغضـــضْ مـــن صـــوتك الحُـــر هـــذا! ... وأطِعنـــــي يُصـــــبْكَ منـــــي العطـــــاء

قلـــتُ: كـــلا ، وإنْ تخـــنْهن فـــاعلمْ ... أنَّ قلبـــــي يشِـــــعُ منـــــه الوفـــــاء

فلنوثِـــقْ يـــا غِـــرُّ كـــل عُقـــودٍ ... واحتمـــلْ لا تـــذهبْ بـــك الغلـــواء!

وامـــض - فـــي درب التيـــه - شـــرقاً وغربـــاً ... ســـــتعودُ – إذا جفـــاك – الرخـــاء!

ســـوف تلقـــى زوجـــاً ووُلـــداً وبنتـــاً ... فـــــي نعـــــيم تلفـــــه الســـــرّاء

وســـــتلقى بيتـــــاً تحِـــــنّ إليـــــهِ ... فيـــــه مجـــــدٌ تحيطـــــه النعمـــــاء

يـــوم أن تُرمـــى دون أدنـــى اعتبـــار ... يـــوم تـــأوي لجُحرهـــا النافقـــاء

نـــزوة تمضـــي فـــي خيـــال ســـراب ... ومَـــرارٌ يَفـــري العُـــرَى ودِمـــاء

ومصـــــيرٌ صَـــــنعتَ أنـــــت دُجـــــاهُ ... وشـــقاءٌ – مِـــن خلفـــه - البغضـــاء

وضـــــياعٌ أودى بكـــــل عزيـــــز ... ودَمـــــارٌ شـــــدا بـــــه الأعـــــداء

وانحـــرافٌ عـــن كـــل أمـــر صـــواب ... وانفجـــارٌ ينهـــارُ فيـــه البنـــاء

قـــال: دَعنـــي أحيـــا طليقـــاً وأهلـــي ... قصـــدُك اليـــومَ لـــيس فيـــه خفـــاء

أنـــت ذئـــبٌ تســـعى لصـــيدٍ ســـمين ... والخبايـــا قـــد زال عنهـــا الغطـــاء

إنْ تُزحنـــي فســـوف تخلـــو بـــأهلي ... ويَضـــم المُستأنســـين الخِبـــاء

لهجـــة أتقنـــت التخفـــي وراهـــا ... لـــم يكـــنْ – فـــي ألفاظهـــا - اســـتحياء

نِيـــة مِـــن أعمالـــك الـــدون خاســـتْ ... والرزايـــا تلوكُهـــا الأحشـــاء

خطـــرٌ أنـــت ، فالحليلـــة ثكلـــى ... والغـــرامُ - بمثـــل هـــذي – شِـــفاء!

شَـــبِقٌ أنـــتَ ، والبنـــاتُ عَـــذارى ... والغـــريمُ تحبـــه العـــذراء!

قلـــت: كـــلا ، فقـــد حكمـــتَ بطبـــع ... هـــو فيـــكَ ، والقلـــبُ – منـــهُ - بَـــراء

برئـــتْ – ممـــا قـــد ذكـــرتَ - خِلالـــي ... وشـــهودي الجيـــرانُ والشـــعراء

أهلـــك اليـــومَ يعلمـــون إبـــائي ... أنـــت نـــذلٌ ، لكـــنهم عُقـــلاء

كيـــف ترمـــي العفيـــفَ دون دليـــل؟ ... إنَّ هـــذا تجـــاوزٌ واعتـــداء

أهلـــكَ - الآن - قـــدَّموا لـــي اعتـــذاراً ... أنـــت مَيْـــتٌ ، لكـــنهم أحيـــاء

تعِـــسَ الجهـــلُ ، كـــم أضـــلَ نفوســـاً! ... تعِـــسَ الكِـــذبُ يفتريـــه الغثـــاء!

فالبنـــاتُ والأم فـــي العـــين قطعـــاً ... واســـأل النـــاسَ ، إنهـــم شُـــهداء

إن أتوْنـــا ، فـــنحن – للضـــيف - أهـــلٌ ... أو نزلنـــا ، فإننـــا حُنفـــاء

سَـــنُتِمّ مـــا كنـــتَ قصّـــرتَ فيـــهِ ... وعلـــيهن إننـــا الأوصـــياء

ســـنجيرُ مَـــن يســـتجيرُ ، ونحمـــي ... ونـــذودُ ، كأننـــا كُفـــلاء

نبـــذلُ الخيـــر نرتجـــي عفـــو رب ... إنَّ عفـــوَ المليـــكِ نعـــمَ الرجـــاء

خفـــفِ الطعـــنَ ، أنـــتَ – بالصـــدق - أحـــرى ... وتمثـــلْ مـــا يفعـــلُ الشـــرفاء

وتبـــــينْ قبـــــل التخـــــرص ، وافهـــــمْ فـــــالهوى دَجْـــــوٌ ، والتحَـــــرّي ضِـــــياء

واشـــكر الإحســـانَ الـــذي صـــان عِرضـــاً إنَّ شـــكرَ المعـــروفِ منـــكَ ثنـــاء

مُـــرة كانـــت صِـــيغة العقـــد ، لكـــنْ حققـــتْ قصـــداً خطـــه الفقهـــاء

بـــك ضَـــحّينا كـــي يعـــيشَ أيـــامى مـــا لهـــن ـ فـــي غربـــة ـ أوليـــاء

فـــارضَ واصـــفحْ واقبـــلْ وأجمـــلْ وخفـــفْ وتأمـــلْ يغســـلْ جـــواك الصـــفاء

قـــد فعلـــتُ مـــا لاح لـــي باجتهـــادٍ واجتهـــادي قـــد صَـــاغه العلمـــاء

يُبتـــرُ العضـــوُ دُونَ أدنـــى اكتـــراثٍ لتصِـــحّ – بدونـــه ـ الأعضـــاء

الفيروز المصعوق

(لو كانت الرجولة تشترى بالمال ، لاشتراها عدماؤها من الأسواق ، كما يشترون مَتاعهم بالدرهم والدينار والجنيه والدولار. ولكنها طبيعة وجبلة ، يولد بها الإنسان من رحم أمه. يقول الله ذامّاً المنافقين: (ومن الناس من يقول آمنا بالله ، فإذا أوذي في الله ، جعل فتنة الناس كعذاب الله ، ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم ، أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين؟). ويقول: (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ، ولهم عذاب أليم). إن كثيراً من أهل زماننا ليقولون مثل هذا بألسنتهم ، وبعضهم يقول مثل هذا بأفعاله وأعماله. نعم ، التقيتُ أناساً كثيرين يقطفون ثمرات الأعمال التي عملها سواهم ، ثم ينسبونها لأنفسهم في وضح وسفور وجلاء ، ظانين أن الأمر معمىً على الناس كل الناس. والحقيقة لا ولم ولن! وفريق آخر يحب من أعماق قلبه أن يحمد بين الناس ، ويُشار إليه بالبنان ويُثنى عليه ويُمدح مدحاً لم يمدحه أحد من العالمين ، على أشياء لم يفعلها ، وأقوال لم يقلها. إنه شعور مدمر رهيب ، ذلك الذي يعيشه مخلوق بمشاعر إنسانية ، عندما يزرع المعروف والخير في عالم يعُج بالشر ، ثم يرى غيره ممن لا يستحق النعمة ، يتمتع بثمار كان قد غرس بذورها المخلصة من قلبه ، ولقد تحدثت عن الغدر والنفاق والخيانة والعمالة والارتزاق والرياء كثيراً من قبل ، ولا أريد أن أكرر ، وإن كررت فأراني مرغم على ذلك مضطر إليه! إن هذه الطفرة في شِعري جديدة ، ألا وإنني قد عُرفت بها ، حتى ليشعر القارئ معها أن موضوع قصائدي واحد لا يتغير أبداً! إنه الصدق الفني المخلص. بل إن الشعر من غير الصدق لهو الكذب الموزون المقفي! ولقد تخيلت حَجَراً من الفيروز كان من قدره أن يجد حوله كثبان الرمال ، فهاله الموقف! والفيروز كحجر كريم غير شفاف معروف بلونه الأزرق كلون السماء أو أميَل إلى الخضرة يُتحلى به ، ويقال لون فيروزي أي أزرق إلى الخضرة قليلاً ، عندما وجد ذلك الحجر الفيروزي نفسه محاطاً بالرمال والأتربة من حوله ، شعر بالامتهان الشديد! فطفقت أعزيه وأصبره وأعلله بهذه القصيدة!)

شـــاطيءَ الأحـــزان قـــد أثلجـــتَ صـــدري ... بـــالأريج العـــذب عَطـــرْ كـــل حِبـــري

كـــي يُنـــاغى بالقصـــيد الحُلـــو جرحـــي ... ويُـــوارَى فـــي سُـــويدا القلـــب صـــبري

إنمـــا (الفيـــروزُ) منـــا ، وإلينـــا ... وعلـــى أناتـــه أبـــذلُ فجـــري

أيهـــا الفيـــروز ، هـــل تبكـــي علينـــا؟ ... نحـــن نقضـــي العمـــرَ فـــي عُســـر ويُســـر

وإذا الأصـــحابُ خـــانوا ، واســـتكانوا ... واســـتباحوا العِـــرض فـــي سِـــر وجهـــر

فلجُـــلِّ الصـــحب يـــومٌ لا يُحـــابي ... هكـــذا الـــدنيا ، فكفكـــفْ دمـــعَ شـــعري

وإذا الآلامُ مِـــن حُزنـــك صـــاحتْ ... والفـــؤادُ العـــذبُ يَهـــذي أيـــن نصـــري؟

ولمـــاذا كـــل بـــدر يتغنـــى ... وأنـــا فـــي صَـــعقتي يُـــوأدُ بَـــدري؟

ولمـــــاذا أســـــترُ الآهـــــاتِ حَـــــرى؟ ولمـــاذا فـــي الـــورى يُهتـــكُ ســـتري؟

ولمـــــاذا أزرعُ الآمـــــالَ نشـــــوى ثـــم يَجنـــي خيـــرَ مـــا أزجيـــه غيـــري؟

ولمـــــاذا أكتـــــوي بـــــالروْع وحـــــدي؟ ولمـــــاذا يَخنـــــقُ الصـــــرخة قهـــــري؟

ألأنـــــي فـــــي البرايـــــا أتعنـــــى وأعبـــي الوجـــدَ فـــي أحشـــاء صَـــدري؟

أم لأنـــــي لـــــم أجِـــــدْ للنـــــور خلقـــــاً؟ إننـــــي مُستضـــــعفٌ ، والعجـــــزُ عُـــــذري

وكـــــذا البســـــمة غابـــــت عـــــن شِـــــفاهي والمنايـــــا فـــــي الـــــدجى تحفـــــرُ قبـــــري

أقطـــــعُ الأميـــــال لا ألقـــــى سِـــــواها تـــــزرعُ الأشـــــواكَ فـــــي طيَّـــــات سَـــــيري

وإذا الشـــــوكُ نفـــــاقٌ فـــــي طريقـــــي وإذا الأشـــــعارُ أشـــــعارُ (المَعَـــــري)

بعـــــدما كانـــــت شـــــعاعاً فـــــي الـــــدياجي أصـــــبحتْ فـــــي الشـــــؤم ، كالأنهـــــار تجـــــري

وإذا الفيـــــروز مَصـــــعوقُ الحنايـــــا وإذا الشـــــيطانُ فـــــي الأذهـــــان يَســـــري

ولبـــــابُ الشـــــعر ولـــــى ، والســـــجايا وريـــــاحُ الـــــنحس عمَّـــــتْ كـــــل فكـــــري

دمعتـــــي لهفـــــي ، وقلبـــــي فـــــي البلايـــــا ويُعـــــاني مِـــــن نِفـــــاق الصـــــحب عُمـــــري

لـــــو كتبـــــتُ الشـــــعرَ فـــــي حُســـــن الصـــــبايا أو كتبـــــتُ الشـــــعرَ فـــــي فســـــق وهجـــــر

لاشـــــترى الأقـــــوامُ شِـــــعري بانفعـــــال واســـــتراحَ الشـــــعرُ مِـــــن نَهيـــــي وأمـــــري!

أيهـــــا الأقـــــوامُ مَكبـــــوتٌ يُعـــــاني فـــــيم تحتـــــارون؟ - حقـــــاً - لســـــتُ أدري!

إننـــــي لله أشـــــكو مـــــا أعـــــاني! مـــــؤمنٌ بـــــالله ، هـــــذا كـــــل ذخـــــري

إنْ أكُـــــنْ أذنبـــــتُ ، فـــــالرحمنُ ربـــــي مُخلـــــفٌ يُســـــراً ســـــيأتي بعـــــد عُســـــر

إلى من يهمه الأمر

(دُعِيتُ إلى سلسلة محاضرات تربوية في أم القيوين ، وذلك في دار غربتي ، وكانت هذه المحاضرات عن التربية وكيفية النهوض بها. وكنت سعيداً أيما سعادة. ولكن إرادة الله أن أجد فيها ما يعكّر الصفو نسبياً ، حيث احتوتْ الملتقيات التربوية العلمية أساتذة لنا أفاضل نفتخر بأستاذيتهم! كما احتوتْ أراذل يتطاولون على اللغة العربية وينالون منها بغير الحق ، فحزنتُ على اللغة العربية. وكان من قدر الله تعالى أنني أخذتُ أنافح عنها قدر استطاعتي. وبعد الفراغ من الملتقيات التربوية تلك ، أخذت أنسجُ هذه القصيدة بيتاً بيتاً إلى أن أتمّها الله علي. وأهديتها إلى من يهمه أمر اللغة العربية في الأرض اليوم. وموجهاً إياها إلى هذا المرتزق بها بيننا ، وأهديتها إلى كل متطاول عليها مهما كانت منزلته! قال الأستاذ أنور الجندي في محاضرة له عن المؤامرة على اللغة الفصحى ما نصه: (ما تزال المؤامرة على اللغة العربية الفصحى مستمرة لم تتوقف. لها خيوطها المرتبطة بالاستعمار والاستشراق والتبشير والتغريب. ثم تضاعفت الدعوة إليها وتنوعت مرتبطة بالصهيونية والماركسية. وهي مؤامرة تلبس في بعض حلقاتها ومراحلها ثوب البحث العلمي. وتحاول أن تدّعي أنها تستهدف الخير والتقدم. والصورة المعروضة اليوم تخدع الكثيرين. وربما تجد لها من بعض الشباب الذي لم يلم إلماماً كافيا بخطوات المؤامرة ، استجابة ساذجة. وقد كانت المؤامرة على اللغة العربية أساساً تستهدف الدعوة إلى العامية ، أو كتابة العربية بالحروف اللاتينية ، وأخذت في بعض الأوقات الدعوة إلى معارضة مفاهيم النحو أو نطق الكلمات ، وجرت في خلال السنوات الطويلة الممتدة منذ حمل لواءها المبشر الإنجليزي وليم ويلكوكس في مراحل متعددة ، وانتقلت من مصر إلى المغرب إلى الشام ولبنان ، واستطاعت أن تجد لها دعاة ممن يكتبون بالعربية خلفوا أولئك الأجانب الذين حملوا اللواء أول الأمر. والذين ينظرون اليوم في مشروع العربية الأساسية الذي تقدمت به بعض الهيئات الأجنبية في حزيران- يونيو 1973م في مؤتمر برمانا ، ومنذ أن ارتفعت صيحة الدكتور عمر فروخ بالكشف عنه وإذاعته واهتمام الجهات المختصة به ، حتى أصدرت إحدى الهيئات الإسلامية وهي: مجمع البحوث بالأزهر تحذيرها الخطير بتوقيع الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر! أقول إن الذين ينظرون في هذا المشروع اليوم يجدونه مرتبطاً كل الارتباط بما أعلنه اللورد دوفرين في تقريره الذي وضعه عام 1882م بعد الاحتلال البريطاني لمصر ، حين دعا إلى معارضة اللغة الفصحى ، لغة القرآن ، وتشجيع لهجة مصر العامية ، واعتبارها حجر الزاوية في بناء منهج الثقافة والتعليم والتربية في مصر. وحين قال في تقريره بالحرف الواحد: "إن أمل التقدم ضعيف في مصر طالما أن العامة تتعلم اللغة الفصحى العربية - لغة القرآن - كما هي في الوقت الحاضر". ثم لم يلبث المبشر وليم ويلكوكس الذي كان يعمل مهندساً في الحملة الاستعمارية على مصر أن دعا في خطابه المشهور عام 1883م بنادي الأزبكية إلى نشر اللغة العامية والتأليف بها. وقد أطلق على خطبته اسماً خطيراً هو: "لماذا لا توجد قوة الاختراع عند المصريين؟!" ، وكانت إجابته بالطبع: "إن السر في ذلك هو اللغة العربية الفصحى ، وإن سبيل إيجاد قوة الاختراع هو اتخاذ العامية بديلاً!").هـ. ولئن كان الأستاذ أنور الجندي قد عنى بكلامه هذا المستشرقين الحاقدين والاستعماريين والمستغربين والعلمانيين الذين توحدت جهودهم على اللغة العربية الفصحى ، إلا أن هناك أناساً يدخلون في هذا الفريق يقومون اليوم بدوره وينفذون مخططاته ويشرفون على أوامره ويُبْدعون في ذلك. والضحية هي اللغة العربية الفصحى التي لا تجد اليوم من يحنو

عليها ويشفق! فلكِ الله يا لغتنا الحبيبة! وإنما قمتُ بهذا الدور – رغم تخصصي في اللغة الإنجليزية – لأنني مسلم عربي ، وهذا من فضل الله تعالى عليّ وعلى الناس! وكم قابلتُ مسلمين غير ناطقين باللغة العربية ، وبرغم دراستهم لها عقوداً إلا أنهم إذا تكلموا بها ألحنوا وأخطأوا! فسبحان من جعل لساني عربياً مبيناً! ومن هنا كان لزاماً عليّ أن أدافع عن العربية بكل ما أوتيتُ من بيان وحجة! ووجّهتُ كلامي للموجه الذي اصطحب منديلاً كلما تكلم أربع كلمات بصق في منديله بصقة ، فأصاب مستمعيه ومتابعيه بالقرف المادي! وأخذ يكيل السموم عن اللغة العربية وأنها شاخت وشابت ولم تعد تقوى على مواكبة العصر الذي نعيش ، فأصاب مستمعيه ومتابعيه بالقرف المعنوي! أو قل بالمعنى الأدق ، جعل مستمعيه ومتابعيه يعانون القرف المادي من البصاق ومن القرف المعنوي من التطاول على اللغة العربية! وكانت هذه المحاضرة ثقيلة على قلبي جداً! حتى أنني قاطعته في تعريف: (التخطيط) وهو ينسب إلى ابن منظور ما لم يقله عندما عرف التخطيط بقوله: (وضع الاستراتيجيات والخطط للمستقبل!) فسألته: هل ذكر ابن منظور كلمة (الاستراتيجيات) فقال: نعم! فقلت: سبحانك ربي ، هذا بهتان عظيم! حيث لا يوجد في لسان العرب لابن منظور الأفريقي أي كلمة دخيلة أو مترجمة! فهاجمني هجوماً عنيفاً ، ولم يرد عليّ رداً علمياً بالدليل والحجة والبرهان! وزاد حبات الطين بلة افتخاره أنه كان يعلم تلاميذه العروض على دندنات العود ، وكأن الغاية تبرر الوسيلة!)

دَاوِ – بالمِنديل – آثارَ اللعَمْ! وانطقِ الحقَ ، وإلا فاللسَمْ!

خيّمَ القبحُ على ما تدّعي بات خيراً – من تعاليكَ - البَكَم

وادرأ الجهلَ بعِلم تنتصرْ فاز مَن – بالعلم دوماً - يعتصم

واكظِم الغيظ لتحيا سالماً إنما الغيظ شُواظ مُحْتدِم

واطعنِ الكِبْرَ تنلْ حُب الورى إن عُقباه انحطاط ونَدم

واطرح الحمقَ تعِشْ مُسترشداً بِرَكُ الحمق دَهاليز الهمَم

خانك التقديرُ ، فارجعْ واعتبرْ! إنما التحريفُ سَيفُ المنهزم

غرّك المنصبُ ، فادحضْ نارَه وعلى المَغرور ترتدُ الحُمَم

عُقدة العمر تعالى جُعْرُها لا تقلْ: شمسُ التصابي لم تغِم

قِمة أنت ، ولكنْ في الهُرا ومِن التخريفِ رُوسٌ وقِمم!

خفِفِ التقريعَ ، هذي حِدة وسَقيمُ الفهم يَغتالُ القِيَم

جرّك الحقدُ إلى ساح الوَغى وعلى الحاسدِ كم يَجني الوَغَم!

مـــا احترمـــتَ الشـــيبَ يغـــزو هامـــة شـــابتِ الهامـــة – هـــذي – فـــي الجُـــرُم

تبـــرأ الضـــادُ مـــن الغِـــر ارعـــوى لـــدعاة الزيـــفِ يَقتـــاتُ الـــرّمم

تخِـــذ الغـــربَ دلـــيلا مُرشـــداً وهُـــمُ – واللهِ – ضُـــلالٌ غشُـــم

عَلّـــم الشـــعرَ – علـــى العـــود - شـــدا وعلـــى التضـــليل يَجتـــرّ الـــنغم

درّسَ الهـــزلَ يـــراه حِكمـــة وعليـــلُ القلـــب لا يـــدري الحِكـــم

حُبـــه للطـــيش أعمـــى قلبـــه وعلـــى البـــاغي أتـــتْ – تتـــرى - القحَـــم

لغـــة الغمـــز ســـبَرْنا غوْرهـــا وعلينـــا - اليـــوم - ليســـت تنـــبهم

وســـرابُ اللمـــز عـــاتٍ وقعُـــهُ خـــابَ مَـــن بـــاللمز يومـــاً يُـــتهم

وعقـــابُ الهمـــز يُـــردي أهلـــه رُب همّـــاز تـــردّى فـــي الضـــرم!

أيهـــا اللائـــكُ عِرضـــاً غـــافلاً أخلـــص الـــدينَ ، وأحســـنْ ، واســـتقم

وامتثـــلْ أمـــرَ النبـــي المصـــطفى واســـتمعْ ، لا تـــدّعي – الآن - الصـــمم

حُرمـــة المســـلم حـــقٌ فارعهـــا! عِرضُـــه والمـــالُ - فـــي الـــدنيا - ودَم

عنـــكَ مـــا أخفيـــتُ نصـــحي ســـاعة وانتصـــاحُ المـــرء مِـــن أحلـــى الشـــيم

وطغـــى المـــال علـــى ألبـــابكم وضـــياعُ العلـــم تـــدميرٌ عَمُـــم

رَغـــدُ العـــيش طـــوى أفهـــامَكم بيـــنكم يَشـــقى اللبيـــبُ المُحتـــرم

أحمـــدُ الله علـــى مـــا خصَّـــني بعلـــوم الضـــاد ، ذِي خيـــرُ الـــنعم

لا أزكّـــي الـــنفسَ ، هـــذي نِعمـــة ذِكرُهـــا للنـــاس مِـــن شُـــكر الحَكَـــم

قـــد خبـــرْتُ الشـــعرَ مِـــن أربابـــه ونظمـــتُ الشـــعرَ فـــوّاحَ الـــرنم

بـــات ســـيفاً فـــي يَمينـــي ماضـــياً يَنصـــرُ الحـــق ، ويُـــزري بـــالإزم

لـــم أكـــنْ أبـــدأ غيـــري بالعَـــدا ولنفســـي قـــط لمّـــا أنـــتقم

غضـــبة لله – شِـــعراً – صُـــغتُها! ثـــورة كانـــت علـــى كـــل صَـــنم

ترفـــعُ الحـــقَ شِـــعاراً ومَـــدىً إنمـــا الإســـلامُ مِنهـــاجٌ لقِـــم

تَـــــدحضُ الشـــــر ، تُجلـــــي زيفـــــه وبهـــــا الأبيـــــاتُ أشـــــباهُ الـــــنجُم

تقمـــــعُ الباطـــــلَ ، تُـــــردِي أهلـــــه وبهـــــا الأســـــلوبُ مِفصـــــاحٌ قَصَـــــم

لـــــم أكـــــنْ - بالشـــــعر - أرجـــــو درهمـــــاً فلـــــه عِـــــزٌ يُدانيـــــهِ الشـــــمَم

لـــــو أردتُ المـــــالَ بالشـــــعر لمَـــــا أعجزتْنـــــي حِيلـــــة فيهـــــا عَـــــرَم

لـــــو أردتُ الشـــــعرَ فـــــي حُســـــن النســـــا لاســـــتمَتْ – بـــــالعطر – أزهـــــارٌ فَغـــــم

لـــــو أردتُ الشـــــعرَ فـــــي (ليلـــــى) الهـــــوى لـــــرأى النـــــاسُ يواقيـــــتَ السِّـــــيَم

غيـــــرَ أنـــــي لـــــم أشـــــأ تلويثـــــه ولـــــذا ذقـــــتُ مَـــــرارات الألـــــم

وتلظيـــــــتُ بـــــــألوان الشـــــــقا كـــــــي أرى الشـــــــعرَ أشـــــــمّاً كـــــــالعلم

وتحطمـــــــتُ ليحيـــــــا فـــــــي الـــــــورى شـــــــامخ الهامـــــــة فـــــــوّاحَ الـــــــنغم

والتمســـــــتُ النـــــــورَ فـــــــي آفاقـــــــه طيّـــــــبُ الشِـــــــعر مُبيـــــــدٌ للظلَـــــــم

فـــــــإذا بالشـــــــعر يُزْكِـــــــي خـــــــاطري وهْـــــــو دربٌ – فوقـــــــه – تســـــــعى القـــــــدم

وإذا شِـــــــعري حُســـــــامٌ قاصـــــــلٌ وشُـــــــواظ – فـــــــي البلايـــــــا - مُضـــــــطرم

عـــــفّ ، لـــــم يركـــــعْ لـــــدنيا زخرفـــــتْ لـــــم يكـــــنْ بالفســـــق يومـــــاً يُـــــتهم

لـــــم يكـــــنْ يَمـــــدَحُ طاغوتـــــاً بغـــــى لـــــم تُسَـــــيّرْه الـــــدعاوى والـــــدِّيَم

لـــــم أبـــــعْ شـــــعري لأغنـــــى مُشـــــتر لا يبيـــــعُ الشـــــعرَ إلا المُجتـــــرم

لـــــم أكـــــنْ أســـــرفُ فـــــي ألغـــــازه كـــــي يقـــــولَ النـــــاسُ: شِـــــعرٌ مُنـــــبهم

بـــــل صَـــــدقتُ النـــــاسَ شِـــــعراً صُـــــغته كرطيـــــب الطيـــــف يـــــأتي فـــــي الحُلـــــم

قـــــدوتي (حسّـــــانُ) فـــــي شِـــــعر الهُـــــدى! شِـــــعرُه – فـــــي الحـــــق – صَمصـــــامٌ خـــــذِم

صَـــــفتِ الـــــدربُ لفـــــذٍ يَقتـــــدي ويراهـــــا دَربَـــــه الشـــــهمُ الفقِـــــم

شـــــاعرٌ (جبريـــــلُ) أعطـــــى شِـــــعرَه قـــــوة الإلهـــــام حتـــــى يقـــــتحم

مثلمـــــا دافـــــعَ عـــــن إســـــلامنا أدفـــــعُ اليـــــومَ شَـــــنيعاتِ الـــــتهَم

أوقِفُ الزحفَ يَطالُ دينا وأردّ الكيدَ يُودي بالدعَم

فتنةٌ عمّتْ ، فلو قِيل اسكتوا ذهبتْ بالأرض من بعد النسَم

خيلُ أعداءٍ عتيٌّ ضبحُها وخيولُ الحق أضنتْها الشكُم

وحّدَ الأعداءُ صفاً ضمّهم وصفوفُ الخير لمّا تلتئم

جحفلٌ يَطوى الدنا إن قاتلوا ولهم – في الحرب – مَكرٌ معتلم

ضمنوا – بالزيف – تأييدَ الورى ثم نالوا – بالهوى – دَعمَ الأمم

أيها النائلُ مِنا مُغرضاً كنتَ خصماً لي ، فأصبحتَ الحَكَم!

وأنا أقسمتُ أنْ لاّ مُلتقى بيننا ، صَدّقْ كلامي والقسَم

أنت تقتاتُ بضادٍ حُرّفتْ ثم صارت كرطانات العجَم

وتبيعُ الضادَ بالمال ، كما يفعلُ الأحبارُ – صدقاً - والنهُم

نصّبوك – اليوم – أستاذاً لها فتمثلتَ الأضاليلَ الجُسُم

وابنُ منظور برئٌ عِلمُهُ مِن ضلال قد تسامى في العِظم

والأعاريبُ لسانٌ مُعربٌ لغة طابت لأندى مُلتهم

أيها المُنكِرُ شِعراً خطه قلمٌ يَزخرُ بالحِبر الشبِم

بدمي – قبل مِدادي - صغتُه وجمالُ الشِعر أنْ يُروى بدم

لم يكنْ يَرحمُ شِعري أحدٌ كم قلوبٍ نُزعَتْ منها الرحُم!

فرأيتُ الشِعرَ يسعى وحده تارة يبكي ، وأخرى يبتسم

والدواوينُ تُعاني هِجرة حيث غابَ الوعيُ والفذ الفهِم

عدمتْ – في الناس – أهلاً أخلصوا ثم لم تلقَ المَيامين الحُمُم

وأساطينُ القريض أجحفوا بخِلوا بالنصح يُزجيه العَشَم

نقدُهم لم يَبْنِ بيتاً واحداً آفة النقدِ التجني والهَدَم

كشّروا عن ناب حِقدٍ مُمْحِل يَسحبُ الشِعرَ إلى قعر الرجَم

هـــذه الأشـــعارُ لـــم يرضـــوا بهـــا حيـــث كانـــت كاليواقيـــت العُصُـــم

صُـــغتُها ، لـــم أستشـــرْ مَـــن أعرضـــوا عـــن هُـــدى الله ، وغاصُـــوا فـــي العـــدم

لـــم أكـــنْ أصـــغي إلـــى أحقـــادهم هـــؤلاء القـــوم فـــي دَربـــي قَصَـــم

لكـــنِ (النحـــويّ عـــدنانُ) انبـــرى يُشـــعِلُ القِنـــديلَ كـــي تُجلـــى الظلَـــم

خصـــني بالنصـــح ، هـــذا طبعُـــه فـــاقَ نصـــحُ الفـــذ آفـــاقَ الكَـــرَم

قـــرأ الشِـــعرَ الـــذي أهديتـــه لـــم يَضِـــقْ ذرعـــاً بطـــول أو عُجُـــم

بـــيّنَ الأخطـــاءَ فيمـــا قلتـــه إنمـــا الشـــعرُ شُـــعورٌ ونظـــم

لـــم يكـــنْ يَرفـــعُ مِـــن شـــأن دنـــا إنَّ (عـــدنان) لشـــهمٌ مُعتـــزم

شـــاعرٌ لـــم يَنحـــدِرْ فـــي شِـــعره! فسُـــفولُ الشـــعر يُفضـــي للســـأم

ناقـــدٌ ، والنقـــدُ عِلـــمٌ يُشـــتهى نقـــدُ (عـــدنانَ) دَواءٌ للســـقم

كاتـــبٌ فـــي كـــل فـــن نـــافع عـــالمٌ آراؤه ليســـت تُـــذم

لا أزكّيـــه علـــى الله الـــذي هـــو حســـبُ (العـــدن) قيـــومٌ حَكَـــم!

وكـــذا (النـــوبيّ) أعنـــي (ســـالماً)! مَـــن شـــدا بالشـــعر فـــوّاح الـــرنم

كـــم نهلـــتُ النـــور مِـــن أشـــعاره! إنـــه الـــدُر الرصـــينُ المُنـــتظم

ودَعـــاني الخـــلُّ ، كـــم ، فـــي بيتـــه! وتـــلا مِـــن شِـــعره ، يـــا كـــم وكـــم!

ثـــم وفـــى بوعـــودٍ قالهـــا إنمـــا (النـــوبي) مِـــن قـــوم كُـــرُم

خـــصّ شِـــعري بانتقـــادٍ مُنصـــفٍ فبـــدا مـــا فيـــه مِـــن حُســـن وذم

وتجاذبْنـــا حـــديثاً بعـــدهُ حصـــحصَ الحـــقُ ، وخيـــرُ الشِـــعر عَـــم

ورجعنـــا للقـــواميس التـــي عنـــدها أمـــرُ التـــداعي ينحســـم

فبـــدا شـــعري رَهيفـــاً ضـــوؤهُ ثـــم بالتصـــبير نـــورُ الشـــعر تـــم!

ثـــم تـــأتي أيهـــا اللاغـــي علـــى غِـــرةٍ تحتـــالُ بـــاللفظ الـــوَخِم

آه مـــــن قولـــــك هـــــذا ، رَجّنـــــي وكلامـــــي عنـــــه لا ، لـــــن يَنصـــــرم

ســـــوف أروي للـــــورى مـــــا حِكتـــــه مِـــــن هُـــــراءٍ فـــــي جَحـــــيم المُصـــــطدم

ســـــوف أبـــــدي مـــــا طمســـــتُم نـــــورَه مِـــــن مَعـــــين الحـــــق مِـــــن خلـــــفِ الســـــخم

ســـــوف أحكـــــي بقريضـــــي قصـــــة بَـــــدؤُها خـــــافٍ ، ويَخفـــــى المختـــــتم

ســـــوف أعطـــــي ليراعـــــي فرصـــــة ليُعيـــــدَ الحـــــق ممـــــن قـــــد ظلـــــم

ذهـــــبَ الصـــــبرُ بحِلمـــــي ، فارتقـــــبْ ثـــــورة الشـــــعر ، يُزكّيهـــــا القلـــــم

وعلـــــى الله جـــــزاءُ المُفتـــــري مَـــــن بغـــــى فـــــي الأرض ، أو خـــــانَ الـــــذمم

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

اللعم: اللعاب. التقريع: هو شدة اللوم والعتاب. يغتال: يقتل. الوغى: الحرب. جُرُم: جمع جريمة. غشم: جمع غاشم. لعاب. اللسَم: السكوت إما عن حياء أو عيا. ادرأ: أسقط. شواظ محتدم: هو اللهب لا دخان له ولا لون. الحمق: الغباء. عقدة العمر: هي الكبر الناشئ عن الاعتداد بالسن. جُعرها: الجعر ارتفاع الصوت. لم تغم: لم تغم الشمس أي لم يعلها الغيم فتختفي. عُلّم الشعر على العود: يفتخر الساقط المرتزق المرذول الجاهل أنه تعلم علم العروض على دندنات العود ، وكأن الغاية تبرر الوسيلة! القحَم: هي الشدائد العظيمة. سبرنا غورها: عرفنا حقيقتها. تنبهم: تخفى. حُرمة المسلم: هذا البيت بتمامه وكماله إشارة إلى حديث النبي – صلى الله عليه وسلم : (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه). القريض: الشعر. الألباب: العقول. الرنم: هو الترنم بالغناء أو بالشعر. الإزم: جمع أزمة وهي الداهية العاتية. منهاج لقم: أي مستقيم. عِوَج: اعوجاج وميل. يدحض: يهزم. النجُم: النجوم. مفصاحٌ قصم: يقصم من يجادله. الشمم: الإباء. العرم: الشدة. أزهار فغم: أي فائحة الرائحة ، جمع فغوم ، من فغم الطيبُ فلاناً أي أنه ملأ خياشيمه بالعطر تماماً. السيَم: جمع سِيما وهي العلامة الدالة على شيء ما. العلم: الجبل. الحسام: السيف. الديَم: الأرياح ، جمع ديمة. حسان: هو حسان بن ثابت الأنصاري الصحابي الجليل المعروف – رضي الله عنه -. صمصام: سيف. خذم: ماض شديد الطعن. الفقِم: الذكي العبقري. الدعَم: جمع دعامة وهي أساس الشيء. النسم: بني البشر. الشكُم: جمع شكيمة وهي الحديدة يُلجم بها الجواد من فيه. جحفل: جيش. معتلم: ذو معالم وأبعاد واتجاهات. القسم: اليمين. النهم: رهبان النصارى ، جمع نهام. الجسُم: أي الجسيمة. الأعاريب: الأعراب. معرب: مسفر مبين لا غموض فيه. الحِبر الشبم: كناية عن لطافته وجماله. المداد: الحبر. الرحُم: الرحمات. حُمُم: جمع حميم. الرجم: القبر. العُصُم: المعصومات الحصينات. عُجُم: جمع عُجمة وهي الغموض. السخم: السواد. القواميس: مراجع ومعاجم اللغة العربية. أما كلمة الدواوين الشعرية: أعني بها دواين شعري السبعة إلى يوم كتابة القصيدة.

بقية من القيم

(نصحوه بأن ينافق من حوله ليعيش ، فقال: لأن أموت صادقاً مقبلاً على الله غير مدبر ، خيرٌ لي وأجدر بي من أن أعيش ذا وجهين. إنها بقية القيم التي أعيش من أجلها. وإن كان جُل الناس ، بل السواد الأعظم منهم قد قلاها فإني مستمسك بها ما حييت.)

هـــذي المَقولـــة فـــي اعتقـــادي مُنكَـــرُ ... والقلـــبُ - مـــن ألفاظهـــا - يتفطـــرُ

تعـــسَ النفـــاقُ! وخـــابَ كـــل مُنـــافق! ... وأراه للأخبـــار بـــئس المصـــدر!

يُبـــدي لنـــا شـــيئاً ، ويُضـــمرُ ضِـــدَّه ... ويعـــيشُ ذا وجهـــين لا يتغيـــر

فهـــل الحقيقـــة فـــي الـــذي يُبـــدِي لنـــا؟ ... أم أن أنهـــا تحـــتجُّ فيمـــا يُضـــمر؟

ومَـــن الـــذي يرضـــى بزيـــف مقالـــهِ ... ضـــدان مـــا اجتمعـــا: الثـــرى والجـــوهر!

شـــتان بـــين الصـــدق يرفـــعُ قيمـــة ... والكِـــذْب يَخفـــضُ قِيمـــة ويُـــدمّر!

يُـــزري النفـــاقُ بمـــن ينـــافقُ مثلمـــا ... يُـــزري الفجـــورُ بمـــن يَـــزلُ ويَفجـــر

ولأن أمـــوت فـــدا العقيـــدة صـــادقاً ... بـــالخير والقـــيم الكريمـــة أذكَـــر

خيـــرٌ مِـــن العـــيش الرغيـــدِ مُنافقـــاً! ... مَـــن بالنفـــاق ومَـــن ينـــافق يَفخـــر؟

ســـأموتُ يومـــاً ، تلـــك سُـــنة ربنـــا ... ولطالمـــا - فـــي المـــوت - عِشـــتُ أفكـــر

ولقـــد حرصـــتُ علـــى الرحيـــل مُوَحّـــداً ... والله يَعلـــمُ مـــا أخـــافُ وأحـــذر

وبقيـــة القـــيم الجليلـــة مَـــوئلي ... أنـــا لســـتُ عـــن نصـــر الهُـــدى أتقهقـــر

حسْـــبي مِـــن الـــدنيا اتبـــاعُ شـــريعتي! ... وجميـــعُ مـــا قـــدمتُ هـــا أنـــا أحقِـــر

فأنـــا علـــى الأخـــرى العَزيـــزة مُقبِـــلٌ ... وأنـــا - عـــن الـــدنيا الحقيـــرة – مُـــدْبر!

خطوة في الاتجاه الصحيح

(قرر المظلومُ أن يُحايدَ الأوباش الأراذل الذين اعتدوا عليه. وتجاوزوا في حقه ، ولم يقدروه قدره! بل عاملوه كالبقرة الحلوب التي عليها واجبات وليس لها حقوق! واعتبروه حِماراً ظهر لهم على دروب الحياة ، فركبوه ليتبلغوا به طريقهم ، فلما وصلوا إلى الغاية التي أرادوا ، طرحوه أرضاً ، وخلوا سبيله! فكانت عملية مفاصلتهم على درب الحق ، خطوة في الاتجاه الصحيح! وإن كانت قد أتت متأخرة جداً جداً! إن منهج المتحابين في الله الذين هم أولياء الله ليخلف اختلافاً كثيراً عن هذا المنهج السقيم! عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: "لما قضى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوما صلاته ، أقبل إلى الناس بوجهه فقال: يا أيها الناس ، اسمعوا واعقلوا ، واعلموا أن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة على مجالسهم وقربهم من الله ". فقالوا: يا رسول الله ، تخبرنا من هم؟) قال: "هم جماع من نوازع القبائل تصادقوا في الله ، وتحابوا فيه على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها يجتمعون على ذكر الله ، فينتقون أطايب الكلام كما ينتقي آكل التمر أطايبه فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس هم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ثم قرأ هذه الآية: {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون}.)

صَـــاحِ: مَرْحَـــى بِالصَّـــفْوِ والتَبْـــرِيحِ ... طَـــالَ شَـــوقي للسَّـــعدِ والتَّـــرْوِيحِ

خُطـــوةٌ كـــم طـــالَ ارتقـــابُ شَـــذَاهَا! ... ومســـيرٌ فـــي الاتجـــاه الصـــحيح

لـــيس يُجـــدي مـــع الجُفَـــاةِ التـــروي ... ومَعَـــاذُ التَلَطِيـــفِ والتـــرجيحِ!

أهْـــدَروا مـــا لغيـــرهم مـــن حقـــوقٍ ... ورحـــى الجَـــورِ تغتـــدي بـــالقَروحِ

وتمـــادَوْا فـــي الغـــي دون اكتـــراثٍ ... وأتَـــوا - جَهـــرًا - كـــلَّ فعـــلٍ قبـــيحِ

كـــم ظننـــتُ بـــالعِير خيـــرًا فَطَاشـــتْ ... حربـــة الظَـــنِ بالأديـــبِ الجـــريحِ!

فـــإذا الشـــعرُ فـــي ابتئـــاسٍ وكَـــربٍ ... وإذا النثـــرُ فـــي الســـرابِ القـــريحِ

خيبـــةً بالشـــعر البهـــيِّ ألَمّـــتْ ... فأذَلّـــتْ آفـــاقَ شـــعرٍ فصـــيحِ

هَمُّـــهُ أمســـى الانتقـــامَ فـــذابت ... فـــي القـــوافي الشّـــمَا بُـــذورُ الشـــيحِ

ودمـــوعُ الأوزان تبكـــي إبـــاءً ... كـــان يُعطـــي المظلـــومَ بعـــضَ الطمـــوحِ

إيـــه يـــا شـــعري لـــوعتي فيـــك هامَـــتْ ... وتغنـــتْ رغْـــمَ الـــدَّجُنّات روُحِـــي

أنـــا يـــا شـــعر مـــا ضَـــنِنتُ بشـــيءٍ ... وعطـــائي لَمَّـــا يَكـــنْ بالشـــحيح

لَكِـــنِ الأوغـــادُ الألَـــى خـــذلوني ... أمرونـــي بالســـيرِ حَسْـــبَ الـــرِّيح

فعصـــيتُ ، واختـــرتُ دربًـــا تَنَـــاءى ... أتّقِـــي أن أســـوق بعـــضَ المَـــديح

لـــم أسَـــبِّحْ بحمـــد غيـــر مَليكـــي ... لا يَجـــوزُ لغيـــره تســـبيحي

خطـــوةٌ نحـــو الرُشْـــد تُزكـــي عفـــافي ... لـــيس دَرْبٌ فيـــهِ الأذى بالفَسِـــيْحِ

فاعفوا واصفحوا!

(لا ينبغي على الأجيال الناشئة البريئة أن تسيرَ على خطى الأجيال الراحلة إلا في الخير والمعروف! ولتحرصْ هذه الأجيالُ على الود والحب والتواصل والعفو والصفح والعطاء! ولتتنازل عن الحقوق الشخصية دائماً من أجل الحقوق العامة! ولتدرك ما للآخرين من الحقوق! ولتُنزل الناسَ منازلهم ، ولتفتحَ صفحة جديدة من التعامل النزيه المخلص! ولتترك للأجيال الراحلة دربَها وأسلوبيتها! إن شريعتنا الغراء قد عظمت شأن العفو والتسامح بين المسلمين جداً! قال – تعالى -: (وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّـهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ). وقال – تعالى -: (الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّـهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ). وقال – تعالى -: (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّـهِ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ). وقال – تعالى -: (إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا). وقال – تعالى -: (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ). وقال – تعالى -: (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّـهُ لَكُمْ وَاللَّـهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ). وقال – تعالى -: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ). وقال – تعالى -: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّـهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ). وقال – تعالى -: (وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ). قال – تعالى -: (فَأُولَـئِكَ عَسَى اللَّـهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّـهُ عَفُوًّا غَفُورًا). وقال – تعالى -: (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ). وقال – تعالى -: (وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ). وقال – تعالى -: (وَلَقَدْ عَفَا اللَّـهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ). وقال رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم -: (ما نَقَصَتْ صَدَقةٌ مِن مالٍ ، وما زادَ اللَّهُ عَبْدًا بعَفْوٍ إلَّا عِزًّا ، وما تَواضَعَ أحَدٌ للَّهِ إلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ). رواه مسلم ، في صحيح مسلم ، عن أبي هريرة ، الصفحة أو الرقم:2588 ، صحيح. وجاء رجلٌ إلى النبيِّ - صلّى الله عليه وسلّم - ، فقال: (يا رسولَ اللهِ ، كم نعفو عن الخادمِ؟ فصمَتَ ، ثم أعادَ عليه الكلامَ ، فصَمَتَ ، فلما كان في الثالثةِ قال: اعفُوا عنه في كل يومٍ سبعين مرةً). رواه أبو داوود ، والحديث صحيح! وقال رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم -: (ثلاثٌ والذي نفسي بيدِه إنْ كُنتُ لحالفًا عليهنَّ: لا ينقصُ مالٌ من صدقةٍ فتصدقوا ولا يعفو عبدٌ عن مظلمةٍ إلا زاده اللهُ بها عزًّا يومَ القيامةِ ولا يفتحُ عبدٌ بابَ مسألةٍ إلا فتح اللهُ عليه بابَ فقرٍ).[رواه الإمام أحمد ، والحديث صحيح لغيره]. وقال رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم -: (اللهمَّ إني أسألُك العفوَ والعافيةَ في الدنيا والآخرةِ اللهمَّ إني أسألُك العفوَ والعافيةَ في دِيني ودنيايَ وأهلي ومالي اللهمَّ استُرْ عوراتي وآمِنْ روعاتي).[رواه ابن ماجه ، والحديث صحيح]. وعن عائشة أم المؤمنين -رضيَ الله عنها - أنّ النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - قال لها قولي: (اللَّهمَّ إنَّكَ عفوٌّ تحبُّ العفوَ فاعفُ عنِّي). رواه الترمذي بإسناد صحيح. وإذن فللعفو والصفح مكانتهما العظيمة في الإسلام! وتأتي هذه القصيدة الانتصارية البريئة توصية لمن أحب بأن يدركوا ما للصفح والعفو من قيمة ، فليعيشوا بالعفو والصفح!)

دَعُــوا الخِــلافَ ، وخلــوا الهجــرَ والكَــدَرا إن الخلافــاتِ دَومــاً تُعقِــبُ الضــررا

واســتبعِدوا اللــومَ والتــوبيخَ صُــبحَ مَســا كــم يُــوغِرُ اللــومُ صَــدراً كــان مُبتشِــرا

واســـــتهجِنوا فِتنـــــاً تُـــودِي بقـــوَّتكم ... وأرجِعِـــوا فـــي الـــذي أتيـــتُمُ البَصـــرا

وأرجِعِـــوا مـــــرة أخـــــرى ليُخبـــــرَكم ... بأنـــــه آســـفاً قـــد عـــادَ مُنحســـرا!

ذَروا القطيعـــــة ، إن الوصـــــلَ هازمُهـــــا ... كـم يَجلـبُ الوصـلُ صَـفوَ العـيش والسـمرا!

خلـوا التشـاحُنَ ، كـم شـحناءَ ضـاقَ بهـا ... قلـــبٌ إلـــى مَحوهـــا كُليـــاً افتقـــرا

وزايلـــوا الخَـــذلَ ، نـــارُ الخـــذل حاميـــة! ... وكـــم فـــؤادٍ بهـــا مخـــذولاً اســـتعرا!

ولا تسِـــيروا علـــى دروب مَـــن رحلـــوا ... كـــي تُـــدركوا العـــز والتمكـــينَ والظفـــرا

خلائـــقٌ طويَـــتْ بـــالموت صـــفحتُهم ... ومِـــن مصـــائرهم لـــن يُـــدركوا وَزرا

واستمسِـــكوا بخِـــلال الخيـــر ، إنَّ لكـــم ... عنـــد المليـــك بهـــا الأثمـــانَ والأجُـــرا

وأكثِـــروا الصـــفحَ تشـــتاقُ الحيـــاة لـــه ... شـــوقَ المحبـــين إمـــا شـــوقهم ظهـــرا

إن التغافـــــل عـــــن أخطـــــاء رفقـــــتكم ... يُطهِّـــرُ الحُـــبَّ ، عَـــز الحُـــبُّ إن طهُـــرا!

تغـــــافلوا تمْلكـــــوا القلـــــوبَ قانعـــــة ... بـــالود يُـــذهِبُ ســـوءَ العـــيش والكـــدرا

وإنْ بـــــدتْ شُـــــبهة فاحـــــت شـــــناعتُها ... فناقشـــوا نصَّـــها ، واستأصـــلوا الشـــررا

ولـــيس يكفـــي اعتـــذارٌ فـــي منـــاظرةٍ ... ومَـــن سَـــفيهٌ لجَـــدوى الشـــبهة انتظـــرا؟!

بـــل أخرجـــوا كـــل مـــا فـــي الصـــدر مِـــن شُـــبَهٍ ... بهـــا يَصـــيرُ صـــفاءُ العـــيش مُعتكـــرا

وصـــارحوا بعضـــكم أصـــفى مُصـــارحةٍ ... كـــي تنفضـــوا بـــاطلاً مُستبشـــعاً أشِـــرا

وفنـــــدوا الشـــــائعاتِ الزيـــــفُ يَـــــدمَغها ... ولفظهـــــا بالضـــــلال الواضـــــح ائتـــــزرا

لا صِـــدقَ يُســـعفها حتـــى تَطِيـــبَ لكـــم ... هـــي افتـــراءٌ بـــدا فـــي ظِلـــه انحصـــرا

وواجهـــــوا أهلهـــــا بـــــلا مُواربـــــةٍ ... وألقِمـــوا مَـــن بَغـــى ترويجَهـــا الحجـــرا

كـــم أحـــدثتْ شـــائعاتُ البُلـــهِ جـــرحَ أذىً! ... والقلـــبُ مِـــن هولهـــا دَمـــاً قـــد اعتصـــرا!

لا تَضْـــمِدُوا الجُـــرحَ ، والصـــديدُ يَغمـــرُهُ ... بـــل أخرجـــوا مـــا بـــه قـــد غـــاب واســـتترا

فلـــيس تُشـــفى جـــراحٌ ضُـــمِّدتْ خطـــأ ... ولا تقولـــوا: قضـــاءٌ أصـــبحتْ قـــدرا

بعـــضُ الجـــراح إذا مـــا خمِّشـــتْ لفِظـــتْ ... مـــا تحتويـــه إلـــى أن فـــاح وانتشـــرا

ألا انبشـــوها إلـــى أن تســـتحيلَ دَمـــاً ... فـــلا نـــرى لصـــديدٍ خلفـــه أثـــرا

أمـــا إذا ضُـــمِّدتْ بـــلا مُعالجـــةٍ ... مَـن قـال: تبـرأ كـان القـولُ مَحـضَ هُـرا

تُـودي بمـن جُرحـوا بـدون مَرحمـةٍ! ... وهـل سـيُبرئُها طِـبٌ إذا اعتـذرا؟!

وأنزلـوا النـاسَ يـا قـومي منـازلهم ... وانـأوا بأنفسـكم ، لا تُصـبحوا غجـراً

فللكبيـر بـلا مَـنٍّ مكانتُـه ... وللصـغير حـدودٌ حَـدُّها سُـطِرا

مَـن فـارقَ الـدارَ فلـتُحفظ كرامتُـه ... لا تُسـتباحُ ، وإلا لسـتُمُ بَشَـرا!

كـذا حقـوقُ غريـب الـدار قـد حُفِظـتْ ... ولـيس يَقضِـي بهـا مُسـتهترٌ وَطـرا

ولتشـكروا لأولـي الأفضـال مـا بـذلوا ... مِـن الجميـل ، يَزيـدُ الله مَـن شَـكَرا

لا خيـرَ فـيمن جميـلَ النـاس أنكـره ... ويَشـكرُ اللهُ مَـن جميـلهم ذكَـرا

حتـى متـى تُهـدِرون الحـقَّ بيـنكُمُ؟! ... وكيـف يُفلـحُ مَـن للحـق قـد هَـدرا؟!

كـاد التمـزقُ يُضـنِيكم ويُضـعِفكم ... ومـا أخـذتُم لِمَـا يُـردِيكمُ الحـذرا

كـاد التفـرقُ أنْ يُـزيحَ هيبـتَكم ... فلتطرحـوا ضـعفكم واللـؤمَ والـدَّبَرا

أمـا اعتبـرتُم بمـوت الفجـأة ، انتبهـوا ... (زيـدٌ) قضـى ليلـه ، لـم يُـدركِ السـحرا!

يا(زيـدُ) قـم لصـلاة الفجـر ، إن لهـا ... عنـد المهـيمن حُسـناها لمَـن حَضـرا

لكـنَّ (زيـداً) أبـى أن يَسـتجيبَ لمـن ... أتـى يُـذكِّرُه ، وبالنـدا جهـرا

المـوتُ يـأتي الـورى بغيـر موعـدةٍ ... فلنسـتعدَّ لـه ، ولنُعمِـل الفِكَـرا

ولـيس يسـتأذنُ الإنسـانَ إنْ قضِـيَتْ ... أيـامُ رحلتـه ، بـل يَحصُـدُ العُمُـرا

الـروحُ قـد صـعِدتْ لله خالقِهـا ... والجسـمُ مِـن بعـدها فـي تُربـةٍ قبِـرا

لا يَـذكُرُ المـوتَ إلا عاقـلٌ فطِـنٌ ... يبكـي إذا ذكَـرَ الرحيـلَ والحُفَـرا

يُصِـيبُه الوَجـدُ إنْ صـلى جنازتـه ... وعـاد منهـا كسـيرَ القلـب مُعتبِـرا

فلتبـدأوا صـفحَكم والعفـوَ عـن رغـبٍ ... وغلّبُـوا فـي الحيـاة المَنطـقَ النضِـرا

هـــذا القصـــيدُ لكـــم عِيديـــة حَفلـــتْ بخيـــر نصـــح يَفـــوقُ المـــالَ والـــدُّرَرا

ولســـــتُ أدري لعلـــــي بعـــــدُ مرتحـــــلٌ فقـــد بَـــذلتُ وصـــايا فـــذة غـــرَرا

فـــإن رحلـــتُ فأوصِـــيكم وأنصـــحُكم وفـــاز عبـــدٌ بـــأمر الخـــالق ائتمـــرا!

تمتعـــــوا بحيـــــاةٍ لا تُخالطهـــــا بَغضـــاءُ تجعلكـــم فـــي ذي الـــدنا عِبَـــرا

لا تقطعـــوا هـــذه الأرحـــامَ مـــا طلعـــتْ شـــمسٌ ، ومـــا أبصـــرتْ عيـــونكم قمـــرا

إن المهـــيمن يـــومَ البعـــث ســـائلكم عمـــا نهـــى عنـــهُ يـــا أحبـــابُ ، أو أمـــرا

هـــذا ابـــنُ عمِّـــك لا تقطـــعْ عَلاقتـــه عاملـــه بـــالرفق ، لا تُكثـــرْ لديـــه مِـــرا

وأختُـــه منـــك ، والأنســـابُ تجمعُكـــم يـــا صـــاح راجـــعْ ضـــميرَك أمعِـــن النظـــرا

بلغـــتُكم ، والقصـــيدُ العـــذبُ يَشـــهدُ لـــي وأصـــدقُ الشـــعر مـــا بجُرحنـــا شـــعرا

بَرئـــتُ مِـــن قـــاطعي الأرحـــام أجمعِهـــم علـــى البـــراءة قـــد أشـــهدتُ مقتـــدرا

يـــا رب فاشـــهدْ بـــأني لـــن أســـامحَهم إمـــا حييـــتُ ، وإنْ أمســـيتُ محتضـــرا

إلا إذا ذكـــــروا مُبـــــرراً وَجِهـــــاً مُفنـــــداً بصـــــريح القـــــول مُعتبَـــــرا

ووفـــق الله مَـــن أصـــغى لمَـــوعظتي وأدَّبَ الـــنفسَ بالطاعـــات ، وازدَجـــرا

يـــا رب وانفـــعْ بشـــعري كـــل مَـــن قـــرأوا فالشـــعرُ كـــم ينفـــعُ الأكيـــاسَ والبُـــدُرا!

الخاتمة

الحمد لله سبحانه وتعالى القدير الوهّاب ـ الملك الذي ابتعث بلطفه السحاب ، فروى الأودية والهضاب ، وأنبت الحدائق وأخرج الأعناب ، وألبس الأرض نباتًا أحسن من ثياب العناب ، يَبتلي ليُدعى وإذا دعي أجاب ، قضى على آدم بالذنب ثم قضى أن تاب ، ورفع إدريس بلطفه إلى أكرم جناب ، وأرسل الطوفان وكانت السفينة من العجاب ، ونجى الخليل من نار شديدة الالتهاب ، وكان سلامة يوسف عبرة لأولي الألباب ، وشدد البلاء على أيوب ففارقه الأهل والأصحاب ، وعضه البلاء إلى أن كل الظفر والناب ، فنادى مستغيثاً بالمولى فجاء الجواب ، (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب)! أحمده حمد من أخلص وأناب ، وأصلي على رسوله أفضل نبي نزل عليه أفضل كتاب ، وعلى صاحبه أبي بكر مقدم الأصحاب ، وعلى الفاروق عمر بن الخطاب ، وعلى عثمان شهيد الدار وقتيل المحراب ، وعلى علي المهيب وما سل سيفًا بعد من قراب ، وعلى عمه العباس المقدم نسبه على الأنساب! الحمد لله الذي لا ند له فيبارى ، ولا ضد له فيجارى ، ولا شريك له فيدارى ، ولا معترض له فيمارى ، بسط الأرض قرارًا ، وأجرى فيها أنهارا ، وأخرج زرعًا وثمارا ، وأنشأ ليلاً ونهارا ، خلق آدم وأسكنه الجنة دارا ، فغفل عن النهي وما دارى ، أمر أن يأخذ يمينًا فأخذ يسارا ، وأهبط فقيرًا قد عدم يسارا ، غير أنه جبر منه بقبول توبته انكسارا ، وأقامه خليفة ويكفيه افتخارا ، ثم ابتعث الأنبياء من ذريته ونصب لهم من أدلته منارا ، وجعل إدريس ونوحا والخليل رءوسا (وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا)! أحمده سراً وجهارا ، وأصلي على رسوله محمد الذي أصبح وادي النبوة برسالته معطارا ، وعلى صاحبه أبي بكر المنفق سراً وجهارا ، وعلى عمر الفاروق الذي لاث عن وجهه الإسلام خمارا ، وعلى عثمان الذي صرف على جيش العسرة بإنفاقه إعسارا ، وعلى علي أخيه وابن عمه الذي لا يتمارى ، وعلى عمه العباس أبي الخلفاء ويكفيهم افتخارا! وعلى أصحابه وأتباعه الذين حازوا المجد مغزاراً ومدراراً ومكثارا! أيها الناس كم نائم على فراش التقصير ، مغتر بعمر قصير ، صاح به فلم يبال النذير ، فاستلبه الخطأ والتبذير ، فلما أحس الباس ثارت من نيران الندم شعل ، (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل)! كم مستحل شراب الهوى ، شرب من كأسه حتى ارتوى ، بينا هو على جادة إعراضه هوى ، فما نفعه عند الموت ما حوى ، ولا ما شرب ولا ما أكل ، (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل)! لا تغترر بنعيم القوم ، فإن غدًا بعد اليوم ، دعهم فما يؤثر فيهم اللوم ، وهل ينفع التحريك ميتاً وهل (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل)! يجمعون الحُطام ، بكسب الحَرام ، ويتفكرون في نصب شرك الآثام ، والناس نيام ، يرقدون في الليل وفكرهم في الويل طويل لا ينام ، والأقدام فيما لا يحل إقدام ، تسعى في هواها سعي الرمل ، (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل)! ما عندهم خبر من الساعة ، والعمر يمضي ساعة فساعة ، خسروا في أشرف تجارة وأغلى بضاعة ، يتثاقلون تثاقل عطارد في الطاعة ، فإذا لاح الذنب فزحل ، (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل)! كيف بكف يعيا ويعيث؟ كيف نحذرها شر الخطايا وكل فعلها خبيث؟ كيف نخوفها قليل الذنب ولسان الحال يستغيث أنا الغريق فما خوفي من البلل؟ (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل)! أيها الناس متى أصبح الهوى أميرًا أمسى العقل أسيرًا ، التقوى درع والدرع مجموع حلق ، فغض البصر حلقة ، وحبس اللسان حلقة ، وعلى هذا سائر ما يتوقى ، فإياك أن تترك خللاً في درعك ، فإن الرامي يقصد الخلل متى فسحت لنفسك ، في تفريط وإن قل انخرق حرز احترازك ، كان بعض المتعبدين يمشي في وسط الوحل ، ويتقيه ويشمر عن ساقيه إلى أن

زلقت رجله فجعل يمشي في وسط الوحل ، ويبكي ، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب حتى يقع في ذنب وذنبين ، فعندها يخوض الذنوب خوضًا! قيل لعبيدة بنت أبي كلاب: ما تشتهين؟ فقالت: الموت! فقيل: ولم؟ قالت: لأني والله في كل يوم أصبح أخشى أن أجني على نفسي جناية يكون فيها عطبي ، انظر إلى أيام الآخرة يا مستورًا على الذنب ، انظر في ستر من أنت لو عرفتني أعرضت عن غيري ، لو أحببتني أبغضت ما سواي ، لو لاحظت لطفي لتوكلت ضرورة ، علي خاصمت عنك قبل وجودك ، (إني أعلم ما لا تعلمون)! واستكثرت قليل عملك (والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات) ، واعتذرت لك في زللك (فدلاهما بغرور) ، وغطيت قبيح فعلك ، (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله) ، ولقنتك عذرك عند زللك (ما غرك بربك الكريم) ، وأربحتك معاملتك (فله عشر أمثالها)! من خاصم عنك وأنت مفقود لا يسلمك وأنت موجود؟ فاعرف عليك حقي ، ولا تكن من شرار خلقي ، فكم أرى زلة فأحلم وأبقي ، يا قائمًا في مقام الجهالة قد رسخ ، يا متكبرًا على إخوانه قد علا وشمخ ، يا خارجًا عن الحد شغلاً باللهو والمطبخ ، يا من في بصره كمه وفي سمعه صمخ ، يا طامعًا في السلامة مع ترك الاستقامة ألقيت البذر في السبخ ، متى ينقى قلبك من هذا الدرن والوسخ؟ متى تتصور نفخة إسرافيل في الصور إذا نفخ؟! وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد فيأتي هذه الديوان: (السليمانيات) خلاصة جهدٍ جهيد وتجربة شعورية صادقة مريرة مع شعر لا يرحم وغربة أيضاً لا ترحم! بل ومع جمهور لا يملك أن يرحم أو لا يرحم! يصف الأستاذ موسى ديب الخوري التجربة الشعورية عند الشاعر بقوله: (يجب عليَّ أن أميِّز بين الشعور الصادق الصافي المنطلق من أعماقنا القصيَّة ، الذي يعبِّر عن تجلِّي "الكائن – الحقيقة" فينا بامتداده في الإنسانية جمعاء ، وبين الانفعال العاطفي المضطرب والأحاسيس والرغبات غير المتوازنة التي تشكِّل بمجموعها ، فيما أرى ، الجزء الأعظم من "شعرنا الحديث"! عندما يعي الشاعرُ الفكرةَ يكون قد اقترب من الإفصاح عنها والتعبير عن جوانبها المختلفة ، بأسلوبه وبطريقته الخاصة. لكن ما لم يشعر الشاعر بمضمون الفكرة ، وما لم يترك شعورَه ذاك يعبِّر عن ذلك المضمون الباطني الذي لا يختلف عن مضمون شعوره ويفصح عنه فإن وعيه للفكرة يبقى ناقصاً ، ويبقى شعرُه مجرَّد كلمات مفكَّكة وأفكار غير منسجمة وصور باهتة وموسيقى مفتعلة ، وتظهر فيه ، بدون شك ، العواطف المنفعلة التي ليست سوى محاولة لملء ذلك الفراغ وتعويض ذلك الجفاف. كلُّ ذلك – وهو ظاهر جليٌّ – في شعرنا المعاصر ، لا يُعَدُّ شيئاً أمام ما يجتاح "قصائدنا" هذه الأيام من إشارات ورموز وأعداد لا ندري أيَّ بركان فجَّرها ، ولا أيَّ زلزال بعثرها ؛ إنْ هي إلا رُقَع فوق رُقَع ، وقيود على سلاسل! يحاول "شعرنا الحديث" أن يتحرر من قيود الشعر القديم ، ويحاول كذلك أن يجد لنفسه موضوعات جديدة تناسب عصره وتتَّفق وواقعَه ، بعيداً عن الموضوعات المعتادة التي تناولها سلفُه. لكنه مع الأسف لمَّا يعرف كيف يتحرَّر من قيود الماضي ، فكبَّل نفسه من جديد ، ولمَّا يعرف كيف ينطلق في عصره وواقعه ، فيعي مشكلات الإنسان وصعوباته في هذه الأيام ، فيعبِّر عن معاناته الحقيقية فضاع بين الماضي والحاضر).هـ. وأنا والحمد لله لم أعش هذه الحيرة التي أشار إليها الأستاذ الخوري في هذا الجزء من مقاله! بل كانت تجربتي الشعورية صادقة ومتناسقة مع ما عشته من المواقف في غربتي هذي! وأتت القصائد كما لو كانت مصاغة من عجينة واحدة موحّدة! وهذه المجموعة الشعرية: (حسابي مع الأوباش) مستلة من ديوان السليمانيات ، ولها نفس الهدف في بيان حقيقة أقوام كان تعاملهم يدل على أنهم قوم سفهاء أوباش لا دين ولا خلق!

نبذة عن أحمد على سليمان عبد الرحيم

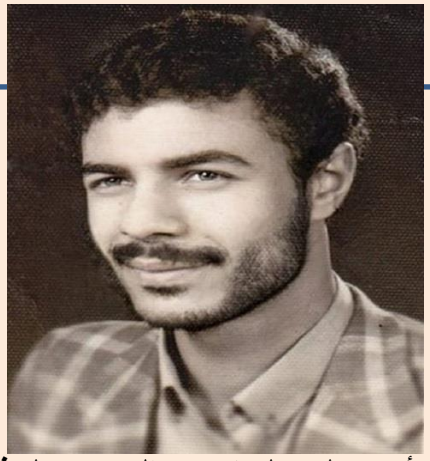

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية ـ محافظة بورسعيد ـ تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية ـ جامعة المنصورة ـ مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة ـ الكولة ـ مركز أخميم ـ محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية ـ لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى ـ بتوفيق الله – سبحانه ـ! ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
3 ـ سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 ـ ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
17 – منار الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
26 – وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).
27 – يا شعرُ كن لي شاهداً! (ديوان شعر).
28 ـ اللهمّ تقبـلْ مِني شِعـــري! (ديوان شعر).
29 – اللهَ اللهَ في شِعر أبيكم! (ديوان شعر).
30 – ترجمة أحمد علي سليمان عبد الرحيم

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 ـ قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المُخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية وشعرائها: عنترة بن شداد العبسي.
3 ـ السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 ـ ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم ـ!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)
7 – مائة ألف معلومة ومعلومة! (معلومات قيمة في مختلف فروع العلوم على هيئة سؤال وجواب!)
8 – مشاركاتي على الفيس بك والواتس آب! (لغوية وأدبية وشعرية ونحوية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صَديقاً وصِهراً
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى
21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء
24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
25 – أبجديات شعرية
26 – الشعر رحِمٌ بين أهله
27 – الله يرحمُ مُزنة
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم المَيّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – عزائي وتأبيني للشيخ الصابوني – رحمه الله تعالى -
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به مُحَللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلمَ وفهِ التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد) (معارضة لشوقي)
55 – رسالة إلى دائنة! (ابنة السويدي)
56 – رضيعة الحاوية (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طِبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طِبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما شقيقهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – الكائنات الفضائية!
74 – لصوص القريض
75 – لقاؤنا في المحكمة
76 - لوعة الرحيل
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهمُ الله -)

80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – كن كما أنت! (انتصارية للشيخ الصابوني رحمه الله)
86 - تلميذي البار شكراً!
87 - القصيدة الزينبية (محاكاة لزينبية ابن عبد القدوس) 2
88 - شمس العرب تسطع على الغرب!
89 - تحيتي لموقع الشعر والشعراء!
90 - الخلق والعلم معاً - الأستاذ محمد الكيلاني!
91 - الشعر حنينٌ ورنينٌ وأنين!
92 - امرأتان من صعيد مصر! (هاجر&مارية)
93 - المقابر تتكلم 1 (إنها تذكرة!)
94 - زواجٌ بالإكراه!
95 - شِعرٌ يؤبّنُ صاحبَه!
96 - وهل من مات يعود إلى الدنيا؟!
97 - محاكاة لامية ابن الوردي!
98 - امرأة تزوجتْ رجلين!
99 - أصابَكَ عشقٌ أم رُميتَ بأسهم؟ (محاكاة ليزيد بن معاوية)
100 – مروءة ولى زمانها!
101 - أحب الصالحين! (محاكاة للشافعي وأحمد)
102 – زلزال تركيا المدمر!
103 - المقابر تتكلم 2 – (نصيحة لزائري القبور)
104 - المقابر تتكلم 3 – (وصية أصحاب القبور)
105 – المقابر تتكلم 4 – (حوار بين ميتٍ وقبره!)
106 – دمه وماله وعِرضه!
107 – سعة علم أبي يزيد البسطامي!
108 – رمضان أشرقْ!
109 – يا شعرُ كن ليَ شاهداً!
110 – المقابر تتكلم 6 (العفو عند المقبرة)
111 - القطة وإمام المسجد – وليد مهساس
112 – مكافأة لا قِصاص! (عمر بن عبد العزيز)
113 - حللت أهلاً ونزلت سَهلاً يا عيد الفطر!
114 - تحية للأستاذ مهدي سعد زغلول (معلم اللغة العربية بمدرسة كفر سعد الثانوية)
115 – المقابر تتكلم 7
116 – شبعة من بعد جوعة (رسالة إلى أسرة وضيعة)
117 – فإذا أمن بعضكم بعضاً! (رسالة إلى متكسب بالقرآن!)
118 – عظم الله أجرك في الكتب! (رسالة إلى سارق الكتب)
119 – لا تقولوا: ضحية زوجته!
120 – غادة الأزهر! (حبيبة السيد مصطفى خليفة)
121 – منتقبة لا مُنقبة!

122 – نقابي حِشمتي!
123 – منتقبة لها دَورُها!
124 - النقاب والمنتقبات في شعر أحمد علي سليمان
125 - أخرْتُ عمّنْ هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
126 – لا يؤت الإسلام من قبلك يا ذات النقاب!
127 – النقاب ثلاثة أنواع!
128 - دموع المآقي في تأبين كريم العراقي!
129 – ليتني أطعتُ صِحابي!
130 - غِريد القرآن عبد الباسط عبد الصمد!
131 - منتقبة ذات علم وخلق!
132 – الأعمال بالخواتيم 2 (العروس الصادقة)
133 – الأعمال بالخواتيم 3 (يوم عرسها ماتت!)
134 – المنتقبة الصغيرة!
135 – تدل على الرجال مواقفهم (محمود هلال)
136 – وليس العري كالستر!
137- إعصار ليبيا المدمر (دنيال)
138 - المنتقبة والعصفور!
139 - عروسة المولد!
140 - ما ذنب النقاب يا قوم؟!
141- العدل بين الزوجات أولى!
142 - الأعمال بالخواتيم 3 - عروس تموت وهي ترقص!
143 - المنتقبة الفارسة
144 - ممارسات تُزري بالمنتقبة!
145 - قصة المنتقبة مع قطتها!
146– ذات النقاب والفارس!
147 – منتقبتان في الحديقة!
148 – المنتقبتان الضرّتان!
149 - المنتقبة والبحر!
150 - المنتقبة والقطة المبتلاة!
151 - المنتقبة واليتيمتان!
152 - دعاء مغترب!
153 - لباقة منتقبة!
154 - نسيم الشعر على عطية صقر!
155 - وداعا صديقي محسن مأمون رسلان!
156 - عندما يتبرج النقاب!
157 – هدية امرأة منتقبة!
158 - منتقبات في حلقة التحفيظ!
159 - منتقبة تتزود للآخرة!
160 - من فات قديمه تاه!
161 - أبتاه عُذراً!
162 – نقاب غطته الدماء!
163 – النقاب للستر ، لا للنشر!

164 – أطفال تحت الأنقاض
165 – مراعاة شعور الآخرين مروءة
166 – القارئ المرتل ظافر التائب
167 – نجومٌ في ظلمات حياتنا!
168 – إحدى الحسنيين!
169 – أرسلوا النعوش والأكفان!
170 – الحجاب ليس حِكراً على النساء!
171 – السمط الثمين في حكمة ابن عُثيمين!
172 – مراعاة شعور الآخرين مروءة!
173 – الوقت كالسيل لا كالسيف!
174 – النفس وظلمات التيه!
175 – جرح المتهم البرئ!
176 – رسالة إلى الشاعر الفولي عصران!
177 - البدوية المنتقبة!
178 - الجوهرة تُحفظ لا تُعرض!
179 - النصر حفيد الصبر!
180 - إلى خنساوات أرض الرباط!
181 - بريءٌ دَهته المنايا!
182 - فيم الصمت عن أرض الرباط؟
183 - القمر المنتقب الصغير!
184 – المقابر تتكلم 8
185 - الأزهري الصغير معاذ!
186 - المنتقبات الخمس الصديقات!
187 - النقاب تشريع لا تقليد!
188 - منتقبة تشتكي إلى الله!
189 – عهد المنتقبات!
190- رجل جمع القرآن صوتياً (الدكتور لبيب سعيد)
191 – تحية لمصانع الأزياء الإسلامية!
192 - لك حُبي واحترامي!
193 - لا وقت للدُمَى ، يا بُنَي!
194 - حكاية الجرسونة (روزا)!
195 – سنرحل ويبقى الأثر! (المشالي & عطية)
196 – لماذا تبكي النّساء؟!
197 – هرقل والمُلك الزائل!
198 – هل في القزع جمال؟!
199 – في مكتب مدير المدرسة (1)!
200 – في مكتب مدير المدرسة (2)!
201 - إلى أين يا عدوة نفسها؟
202 – أخت من الأب!
203 – مالك بن دينار وابنته!
204 – تذكَرْ يوسف وموسى!
205 – التجمّل الباطل في وسائل التواصل!

206 – حَميد الله الهندي!
207 – البذاذة من الإيمان!
208 – مُحْيي الدين عبد الحميد!
209 – كلابٌها أصدق من أهلها!
210- رسالة منتقبة حكيمة!
211 – عليهِ العِوَض ، ومنهُ العِوَض!
212 – هل مات العريس؟!
213 – التجمل الباطل في وسائل التواصل!
214 – هل أصبحتُ وباءً؟!
215 – من المحنة تأتي المنحة!
216 – الخمسة أولادي!
217 – رجلٌ جمعَ القرآن صوتياً (الدكتور لبيب سعيد!)
218 – ياسمين والرحيل إلى الله!
219 - سامحوني أيها الأبناء!
220 – هل في القزْع جمال؟
221 – كلابها أصدق أهلها!
222 – امرأة بألف رجل!
223 – الواعظة الصغيرة!
224 - زوجات مبتكرات!
225 - اللهم تقبل مني شعري!
226 - الكلاب في شعر أحمد سليمان!
227 – قالت رحابُ ، وقلتُ! (محاكاة لرحاب المحمود)-1
228 – خياران أحلاهما مُر!
229 – كم أعطوك؟!
230 – الخديعة الكُبرى!
231 – نحن جاهزون للطلاق!
232 – الوريث الوحيد!
233 – فاعدل بينهم!
334 – كذبتني ، فهل صدقت!
235 – الأعمى البصير!
236 – ذهب النشوز بالحب!
237 - الأخت الكُبرى الضحية!
238 – أخبره أني أخته!
239 – اذكر دراجتك وقفاصتها!
239 – ضحايا الروتين اليومي!
240 – شتان بين اللجنتين!
245 - الجهل سلاح المرتزقة!
246 – شكرٌ أتى متأخراً!
247 – لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً!
248 – لماذا خذلتني يا أبتاه؟!
249 – عُقبى حُب الظهور!
250 - صلاة التراويح الظافرية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال
4 – أمتي الغائبة الحاضرة
5 – أنات محموم وآهات مكلوم
6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية والرد عليها
8 – رمضان شهر الخير والبركة
9 – عندما لا نجد إلا الصمت
10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
15 – رسائل سليمانية شعرية
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2&3)
20 – عندما يُثمر العِتاب
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره
24 – مساجلات سليمانية عشماوية
25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العلل والداءات
30 – الصعيد مهد المجد والسعد
31 – الضاد بين عدو وصديق
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
33 – الغربة دُربة على الطريق
34 – الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 – اللغة العربية وصراع اللغات
37 – اللقيط برئٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال
41 – الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)

42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم
43 – أمومة وأمومة
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا أوباش؟!
47 – بين الفتنة والفطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 – من أناشيد الأفراح
64 – نحويات شعرية
65 – نساء صَقلتهن العقيدة
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان
76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان

84 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - يا جارة الوادي اليمنية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان
118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (1&2&3)
121 – قصائد يوتيوبية سليمانية (1) & (2)
122 - مشاركاتي على الواتس آب والفيس بك!
123 - مجلس التهاني في قناة المجد الفضائية!
124 - رحلتي مع الشيخ عبد الباسط عبد الصمد!
125 – النقاب والمنتقبات في شعر أحمد علي سليمان!

126 - الأنين في شعر أحمد علي سليمان!
127 - الطفولة في شعر أحمد علي سليمان!
128 - الأريج في شعر أحمد علي سليمان!
129 - الأنين في شعر أحمد علي سليمان!
130 - الطفولة في شعر أحمد علي سليمان!
131 - القلم في شعر أحمد علي سليمان!
132 – حسابي مع الأوباش!
133 - بر الوالدين في شعر أحمد سليمان!

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة مختلفة الموضوعات ومتنوعة في الكم والكيف!

سادساً: الكتب المحققة والمخرّجة

(الحب بين المشروعية والضلال) كتبه الأستاذ حمدي محمد سعد ماضي (المحامي) وحققته وخرجته

سابعاً: الكتب الإنجليزية

1 . Proofreading Drills (1-12)

2. Reading Drills (1-50)

3. Reading Quizzes (1-111)

4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

6 - Conversation Skills

7 - Correction Exercise (1-100)

8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

9 - Grammar Tasks (1-77)

10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond's Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages

Teaching English - Arabic and Religion only to the foreign students

Academic Rank	Teacher - Coordinator – English - Programmer – Poet – Writer
Degrees	Bachelor of Arts .Department of English and its Literature, Mansoura University – Egypt, May 1985.
Research field	Teaching English as a first language. Teaching social studies. Teaching Arabic using Arabic or English. Teaching French. Teaching Social Studies to Non-Arabs .Teaching Literature
Publications	1. The Basics of Education. (Criticism) New Education Magazine 2. Education Yesterday, Today and Tomorrow. Forum 3. Modern technology and Education. Usual Reader 4. The Best Qualities of a good teacher. Forum 5. How to teach Vocabulary. (Criticism) Forum

	6. How to teach a song. Forum 7. How to teach a short story. Usual Reader 8. How to study English with your son. Usual Reader 9. How to present general information. Usual Reader 10. Skimming Reading and Scanning Reading Skills. 11. William Hazlet as a critic. 12. Aldous Huskily as a critic. 13. Styles of translation. 14. How to teach Grammar. 15. Writing Operation Skills. 16. The Listening Lesson. 17. Glorious Classroom Management. 18 – How to prepare your exam paper.
Courses taught **(last 3 years)**	1. Straight Planning (European System) 2. Strategic Planning (American System) 3. Poor Students Evaluation. 4. Education Theories. 5. Scientific Research Results. 6. The Successful Education. 7. Advantages of Culture and disadvantages of it. 8. Roles of Computers in Educational Operation. 9. English away from Classroom. 10. How to test your students.

Employment	* English Teacher from 1986- 1990 in Egypt (Secondary Stage)
	* English Teacher since 1996 in Ajman (Primary Stage) * English Teacher since 2008 in UAQ (Preparatory Stage) * English Teacher since 2009 in RAK (Preparatory Stage) * English Teacher and English Coordinator since 2010 till today in the (American English) in the American Department. For the upper grades from 7, 8, 9 American.

Honors and Awards	1. Appreciation Certificate from faculty of Arts 1985 in Translation. 2. Appreciation Certificate from Secondary Institute in 1986. 3. Appreciation Certificate from Al-Rashidiah School in 1993 4. Appreciation Certificate in 1998. 5. Appreciation Certificate in 2008. 6. Appreciation Certificate from Modern School in 2009. 7. Appreciation Certificate from National School in 2010. 8. Arabic Protection Community 2004.
Volumes of Poetry	1 – The End of the Road 2 – The Confident Man 3 – The Hours of the Sunset 4 – The Bloody Snail 5 – A Tone on the Love's Wall 6 – The Perfume Aspiration 7 – The Tendency of Memories (Part One) 8 – The Upper-Egyptians had arrived! 9 – The Surrendering of the Beauty 10 – The Shoes Woman-Cleaner 11 – Patience Tears 12 – Blaming and Complaint 13 – Say frankly without Simulation 14 – Poetry is my Rosary

	15 - Yemeni Young Girl 16 – Azzah, the Lady of Goodness 17 – The Beacon of Goodness 18 – Estrangement, Bayonet and Sadness 19 – The Two Women –doctors 20 – I wander of the Ability of Allah, The Al-Mighty 21 - The Gentlemen of the Sacred Land 22 – Like the One who catches Fire! 23 - The Tendency of Memories (Part Two) 24 – The Rain betrays you! 25 – Poetry is a Merciful Mother among Poets! 26 – Bye Bye, My Poetry!
Other Literary Books	1 – Stylish Reading in the Poetry of Hassan Bin Thabit Al-Ansari – May Allah Be Pleased with Him -. 2 - Stylish Reading in the Poetry of Antara Bin Shaddad Al-Absi. 3 – The Story life and the Self-Road 4 – Ahmad Solaiman's Life

فهرست القصائد & مسرد موسيقي – (حسابي مع الأوباش!)

مسلسل	عنوان القصيدة	البحر	القافية	الصفحة
الإهـــ	ـــــــــــــــ	ـــــــــــ	ـــــــداء	9
الـمــ	ـــــــقــــــــ	ـــــدمة	ـــــــــــة	11
الافـــ	ـــتــــتـــــ	ـــاحـــيــ	ـــــــــــة	13
اكــــ	ـــتــــشـــــ	ـــــــــــ	ـــــــاف	15
اســـ	ـــتــهـــلالٌ عـــن الـــظــــ	ـــلـم والـــ	ظـالـمـيـن	17
1	عداوة الشعراء!	البسيط	عداوُهم عارُ	25
2	اذكروا محاسن موتاكم!	الكامل	ألبابَ الورى	29
3	هذا بلاؤك يا ابن سليمان!	الكامل	المولى العلي	34
4	المروءة مني ، وأنا منها!	الوافر	بالخِدَاعِ	37
5	ثمن المروءة!	الكامل	سَوامُ	38
6	إلى مظلوم مقهور!	الكامل	ومُنْجدي	39
7	فلعلك باخع نفسك!	الخفيف	الأدعياءُ	45
8	قلبٌ يُعــــــذب!	المجتث	الجلادة	46
9	أرشيف المعالي!	مشطور الرجز	والآمالِ	47
10	السُّمعة الدامية في دياجير التيه!	الوافر	عَزوفِ	48
11	بداية الطريق!	الرمل	حصلْ	49
12	بعد اليوم بين بين!	الكامل	والغلوَاءِ	50
13	بعد اليوم!	المتقارب	المهزلة	51
14	فأين المعايير؟	الطويل	تُقرّحه الدما	52
15	صَمتُ الثبات!	مجزوء الرمل	القيامة	53
16	شِعرٌ يؤبّنُ صاحبه!	الكامل	ألحاني	56
17	صدقت يا أبتاه!	المتقارب	والجوى	63
18	سامحوني أيها الأبناء!	البسيط	بالعِيشة الدُونِ	64
19	هل أصبحتُ وباءً؟!	الكامل	ما تُخفونا	70
20	المقابر تتكلم 5 (ميّتٌ يطردُ المُعزين فيه!)	المتقارب	يدانْ	72
21	شقيقان فرقهما الهوى!	الرمل	عذبا	76
22	لا تبكِ يا مَن كنت شقيقي!	البسيط	يَمتدُ	81
23	أخوّتـــــان!	البسيط	ومن عقلوا	82

24	الأخوة الزائفة! (سُداسيات شعرية)	الرمل	أنت الأرفعُ	89
25	الرجولـــة المـــوءودة!	الخفيف	رسولُ	92
26	صِدق الأخـــــوة!	المنسرح	تقتبسُ	94
27	فأين المعالـــــي؟	الكامل	والإصباحِ	96
28	فأين حق الجـــوار؟	الرمل	سرائرْ	97
29	من أرشيفِ الغربـــــة!	الرمل	المُلتقى	98
30	اختـــلاف!	السريع	عالم القيمِ	99
31	مفاجأة انعكاس الحقائـــق!	السريع	يختلفُ	100
32	لا تقولوا: ضحية زوجتـــه!	الخفيف	فوق احتمالي	102
33	عظم الله أجرك في الكتب!	البسيط	يُنسَبُ الأشِرُ	123
34	الثعبـــــان 1	المجتث	خطبي	143
35	الثعبـــــان 2	البسيط	من قدروا	144
36	دمعـــــــة!	الخفيف	حقا	145
37	الأشقاء الأعداء!	الرمل	الكذبُ	146
38	قد عرفتُ الطريق!	الطويل	منفعة	149
39	الشقيقتـــــان!	الكامل	بدون حياءِ	150
40	نهلة بين الإشهار والتشهير!	المتدارك	حَمْلة	162
41	لولا حُرمة البيت لزدْتُك!	البسيط	بالعارِ	173
42	أنا النذير العُريان!	الكامل	بالمنذر العُريانِ	178
43	تبديدٌ متعنت!	الوافر	مِعراجُ	181
44	الشاعرُ المُفتَرى عليه!	الرمل	والذهَبْ	182
45	شاعر عصره!	الطويل	والأسما	183
46	شاب شَعره ، ولم يشب لسانه!	الطويل	من نزواتِ	184
47	أشيب لم ينذرْه الشيب!	المتقارب	ما أشأمهْ	185
48	لا تبكِ يا صديق الأمس!	الطويل	ليس يُثمرُ	186
49	يا صَدِيقاً! – مُساجلة عشماوية	الرمل	رضِيا	189
50	فاعدِلْ بينهم!	البسيط	تشويها	191
51	كذبتني ، فهل صدقت؟!	الكامل	الجافي	197

52	كـــم أعطـــوك؟!	البسيط	مُحَيَّاهُ	201
53	نحن جاهزون للطلاق!	الكامل	الخِداع الألكَدِ	204
54	دمه وماله وعرضه!	الكامل	بالمكّارِ	207
55	اذكُرْ دراجَتك وقفاصَتها!	البسيط	مُزدجَرُ	217
56	الأمانة بين الصيانة والخيانة!	الكامل	الأفاكا	220
57	عُقبى حُب الظهور!	السريع	جهرا	224
58	ليتني أطعتُ صِحابي!	الخفيف	النصحاءُ	228
59	متعنت!	الوافر	والهَياجِ	231
60	أصهارٌ خارج نطاق الخدمة!	الخفيف	الأشرافِ	232
61	تُعَيِّرني بضِيق العيش!	الوافر	قلبي	235
62	العاصفة!	الخفيف	البداية	238
63	اتركوني مع من أحببتُ في الله!	الخفيف	جَوقة الأوغادِ	239
64	على اختـــلاف!	الكامل	مستيقنة	241
65	همسة عتاب باكية !	الكامل	واسلمي	242
66	إدانة وإهانة وإبانة!	الوافر	باعا	247
67	خياران أحلاهما مُر 2!	الخفيف	عِندي	252
68	دفاعُكِ عن نفسك أولى!	الكامل	نِياتِ الورى	254
69	لا تنبشي يا أختاه دموعي!	البسيط	من مِحَنِ	256
70	مزايـــــدة!	الطويل	العِندُ	258
71	الخديعة الكبرى!	الطويل	الطنسِ	263
72	قبيلة خلعتْ بُرقعَ الحياء!	الرمل	والتاعَ العصبْ	273
73	الظلمُ ظلمات يوم القيامة	الكامل	وتُغصَبُ	280
74	شتان بين الظل والحرور!	الطويل	فتنة كُبرى	286
75	اختـــــلاف	المتقارب	الجهبذا	287
76	الجميل الكئيب	البسيط	السَفلُ	289
77	تذكّروا الجميـــل 1!	البسيط	ما قدَروا	290
78	تذكروا الإحســـان 2!	الكامل	وكُلومِ	305
79	جَعلوني مغنمـــاً!	الخفيف	بالطغيانِ	314

80	من فات قديمَه تاه!	البسيط	لقد كانوا	319
81	شَبعة من بعد جُوعة! (إلى كل أسرة وضيعة)	البسيط	والدينِ	323
82	فليُكرمْ ضيفـــــه!	الكامل	الإجرامِ	338
83	حسابي مع حاقـــــد!	البسيط	مَسؤولُ	340
84	لا صُلـــــحَ على دخـــــن!	الرمل	بديلا	350
85	فإذا أمن بعضكم بعضاً!	الخفيف	بلا تِرجافِ	355
86	من خدعنا بالله انخدعنا له!	البسيط	مشهورا	366
87	للبيت حُرمتُه ، ولصاحبه قدرُه	البسيط	استعِرا	368
88	مراعاة شعور الآخرين مروءة!	الكامل	ابتُلوا	372
89	نِعمتِ الأخت ، وبئس الإخوة!	الكامل	واصدُقوا	381
90	وهل نحن جئنا لنقرأ؟!	الكامل	الأفكارا	391
91	تغير الحال أم الخال؟!	البسيط	وأحوالُ	394
92	وسَقطتْ ورقة التوت!	الطويل	الهمّا	398
93	نذالـــــة وخِسّـــــة	البسيط	من علموا	401
94	عليه العِوَض ، ومنه العِوَض!	البسيط	الهدفُ	406
95	المروءة	البسيط	شغلوا	409
96	عندما يذهب الكُرماء!	الكامل	وأزبدوا	415
97	هل جزاءُ الإحسان إلا الإحسان؟	الخفيف	البُلهاءُ	416
98	الفيروز المصعوق	الرمل	كل حِبري	423
99	إلى من يهمه الأمر	الرمل	وإلا فاللسَمْ	425
100	بقية من القيم	الكامل	يَتفطرُ	432
101	خطوة في الاتجاه الصحيح	الخفيف	والترويحِ	433
102	فاعفوا واصفحوا!	البسيط	الضررا	434
الـــــ	ـــــــــــــــخـــــــــــــــاتـــــــــــــــ	ـــــمـــــ	ـــــــــــــــة	439
تـــــ	ـــــــــــــــرجـــــــــــــــمـــــــــــــــة الـــــ	ـشـــــاعـــــ	ـــــــــــــــر	441
الـــــ	ـــــــــــــــفـــــــــــــــهـــــــــــــــ	ـــــــــــــــ	ـــــــــــــــرس	457

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام (حسابي مع الأوباش!)

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

يسر ادارة منتدي ملوك همس الشعراء بمنح شهادة شكر وتقدير

The management of Malugh Forum, Whispers of Poets, granted a certificate of thanks and appreciation

الشاعرة: احمد علي سليمان

The Kings of Whispering Poets Forum is pleased to grant this Arab and international honor to esteemed poets, writers and thinkers for the effort exerted in promoting the purposeful word and their contribution to intellectual and literary advancement and spreading peace throughout the world.

You have my name verses of thanks and appreciation

Congratulations!

رئيس مجلس الادارة والمصمم

منى عثمان

نائب رئيس مجلس الادارة

د.برجس ركاب

منتدي الحب والسلام العالمي للأدب والشعر

تألقوا...فأبدعوا

تحية وتقدير لكل من تألق وأبدع في
العمل علي نشر الثقافة والأدب
وبث روح المحبة والإخاء بين أبناء
الأمة العربية.

الأستاذ/ة أحمد علي سليمان

مع تحيات
محمد المصري

تصميم..محمد المصري

ملتقى الشعراء والمبدعين العرب

نتشرف بمنحكم شهادة تقدير

من الطراز الأدبي الفريد

لأجمل نص يومي

محفوظة جميع الحقوق

أجمل نص يومي معتمد

النص : نسيم الشوق

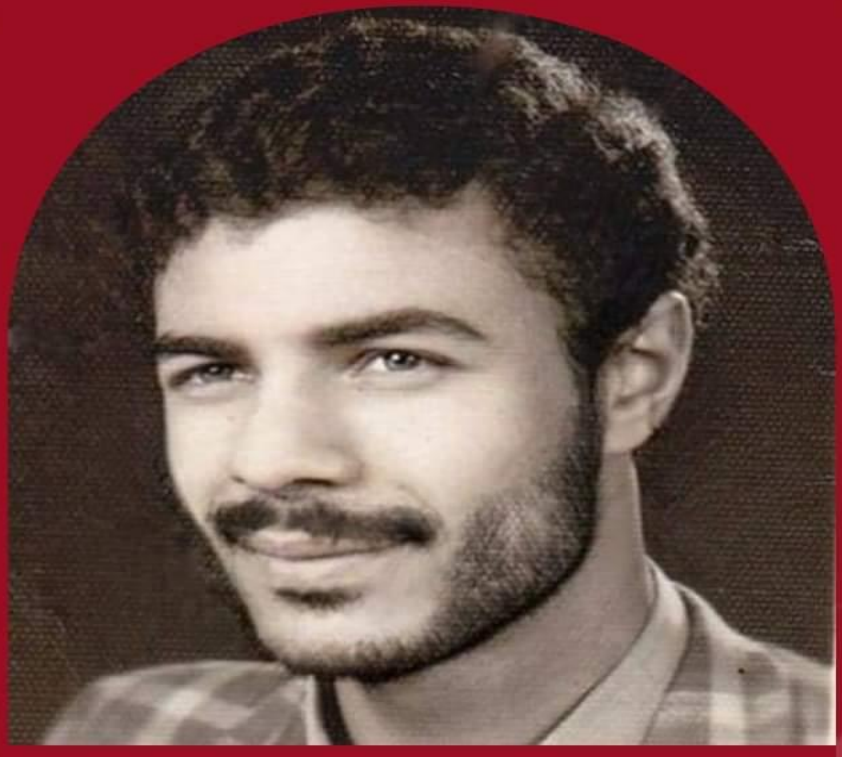

الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم

نتمنى لكم مزيد من الإبداع والإنجاز والتميز

تهانينا

رئيس مجلس الإدارة الشاعر خالد العطار

نائب رئيس مجلس الإدارة الشاعر أبو حسان

المشرفة العامة الشاعرة ليالي احمد

المشرف العام ياسين علم الدين

المشرف العام محمد الجيزاوي ابو عبدة

المشرفة العامة الشاعرة مها شفيق

29 / 10 / 2023

حقوق النشر محفوظة

نتطلع دوما إلى سلم المجد والرقي والإبداع

ولاء السرام ستوديو

الاتحاد الدولي للادباء والشعراء العرب

وسام التميز

يسر الاتحاد الدولي للأدباء والشعراء العرب منحكم هذا الوسام متمنين لكم مزيد من التميز والابداع .

الأستاذ/ة

الشاعر أحمد علي سليمان

إعداد وتقديم م.أ. موسى جودت — رئيس الاتحاد د. إبراهيم البيطار

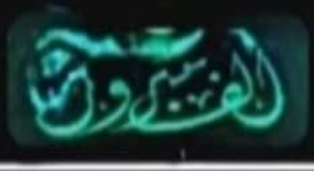

2023 — ٢٠٢٣

منتدى كلام من دهب للشعر والأدب

الجائزة الذهبية

تسر إدارة المنتدى أن
تمنح الجائزة الذهبية
نظير المشاركة بأروع
الحروف والكلمات
الراقية

إلى السيد. ة

احمد علي سليمان

بتاريخ

24/11/2023

رئيس مجلس الإدارة / أحمد دهب

نائب رئيس مجلس الإدارة / هدى عبده

تهانينا

مع أطيب التمنيات والتهاني

أكاديمية دوحة اليمام
للثقافة والآداب

Dohat Al-yamam Academy For
Culture and Literature

معتمدة

شهادة شرفية عليا

تتشرف الهيئة الإدارية في أكاديمية دوحة
اليمام للثقافة والآداب منح الأستاذ/ة

الشاعر احمد علي سليمان

شهادة شرفية عليا تثميناً لجهوده
المتواصلة في دعم اللغة العربية
ونشر الثقافة والسلام بين الجميع

2023 NGO 110/346

2023

عميدة الأكاديمية
د. وفاء حيدر

ملتقى الشعراء والمبدعين العرب

النص الذهبي

محفوظة جميع الحقوق

الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم

النص : الجميل الكئيب

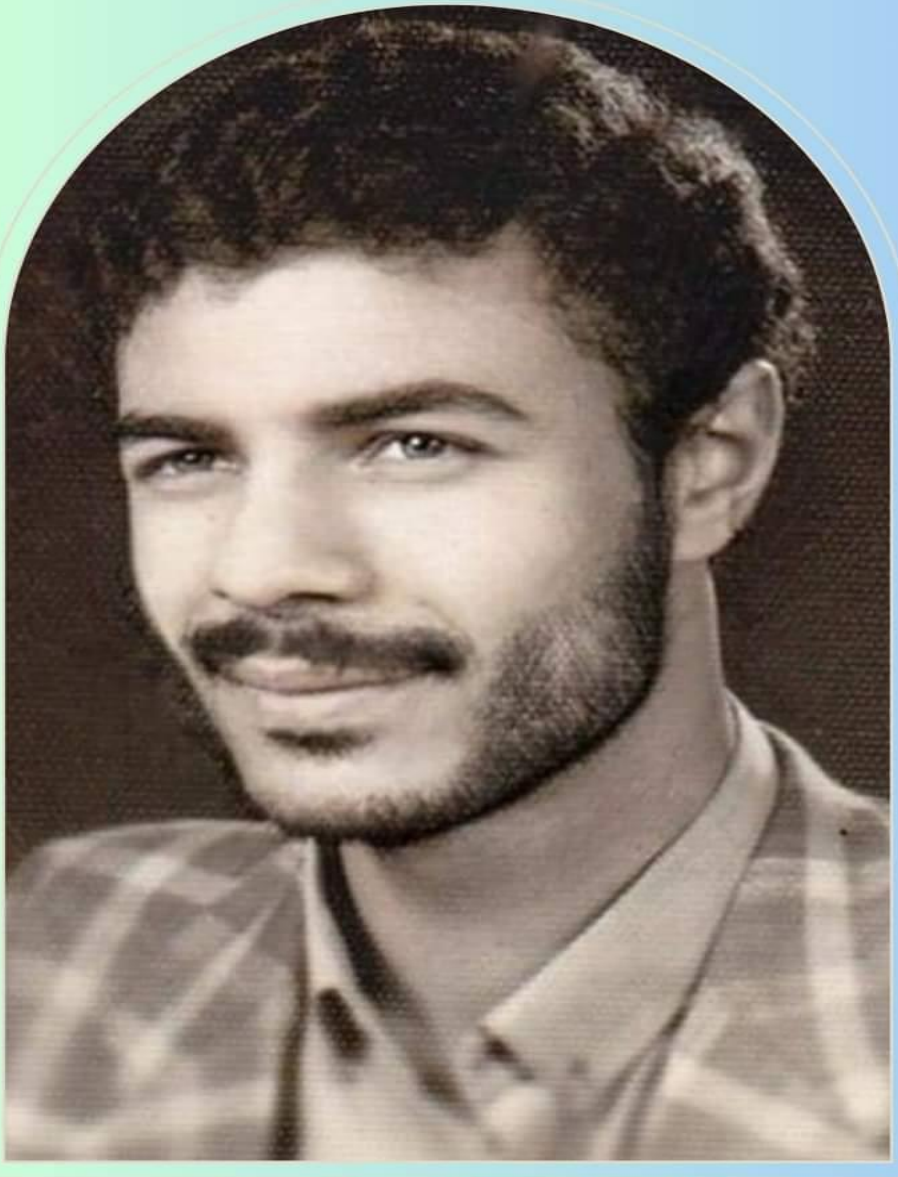

تشرف إدارة ملتقى
الشعراء والمبدعين
العرب بمنح معاليكم
شهادة تقدير من الطراز
الأدبي الفريد
للعطاء المميز في إعلاء
وإثراء المشهد الثقافي
العربي وتكريماً للنص
الأدبي
الخاص بكم الذي نشر
بالملتقى
أرق التهاني
الإدارة
13 / 11 / 2023 م
تهانينا

نتمنى لكم مزيد من الإبداع والإنجاز والتميز

رئيس مجلس الإدارة
الشاعر خالد العطار

نائب رئيس مجلس الإدارة
الشاعر ابو حسان

لمديرة والمراقبة العامة
الشاعرة العنوو وود

وكالة السلام للتصاميم

معكم نتطلع دوما إلى سلم المجد والرقي والإبداع

وسام الإبداع الدولي

وسام الإبداع الدولي

يمنح منتدى بحر الكلمات للشعر والأدب

للشاعر :ة

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

لتميز النص

دعوة للتعقل

كأفضل نص يومي

Congratulations

رئيس مجلس الإدارة
د.إيمان محمد

Chairman of
Board of Directors
Eman Mohamed

Free Engraving
Up to 2 Lines

ملتقى الشعراء والمبدعين العرب

نتشرف بمنح معاليكم شهادة تقدير
من الطراز الأدبي الفريد
لأجمل نص يومي

ملتقى الشعراء والمبدعين العرب
أجمل نص يومي
يعتمد

محفوظة جميع الحقوق

النص : فتنة الغربة

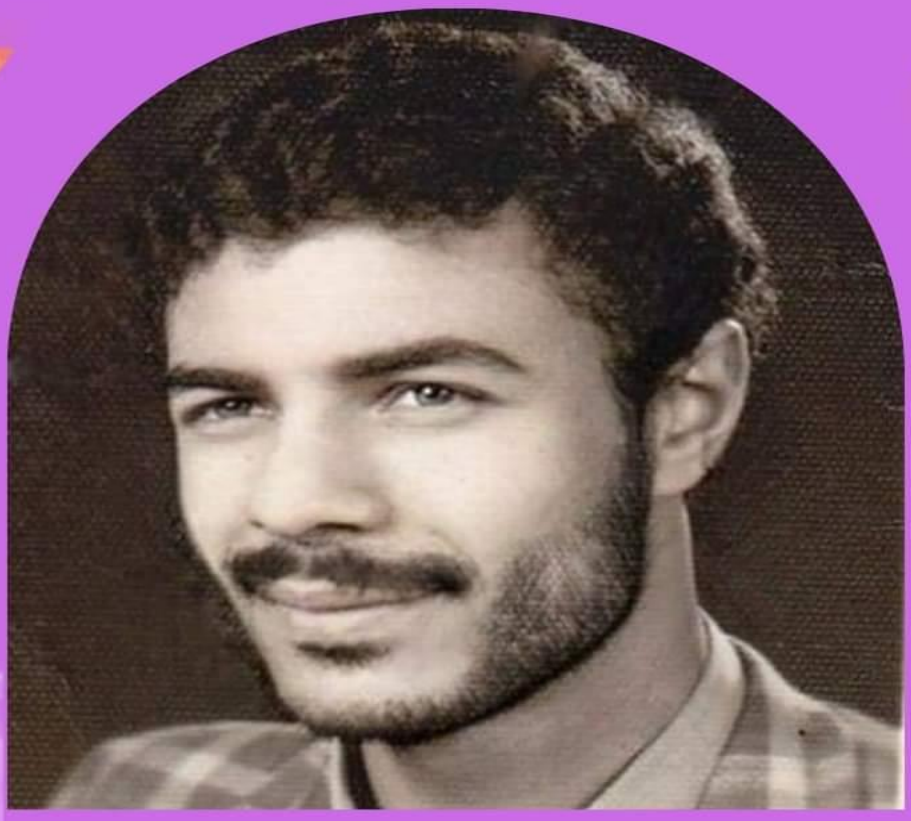

الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم

نتمنى لكم مزيد من الإبداع والإنجاز والتميز

تهانينا

رئيس مجلس الإدارة الشاعر خالد العطار
نائب رئيس مجلس الإدارة الشاعر أبو حسان
المديرة والمراقبة العامة الشاعرة العنود وود
المشرفة العامة الشاعرة ليالي احمد
المشرف العام ياسين علم الدين
المشرف العام محمد الجيزاوي ابو عبدة
المشرفة العامة الشاعرة مها شفيق

06 / 11 / 2023

ملتقى الشعراء والمبدعين العرب
رئيس مجلس الإدارة
خالد العطار
Forum of Arab poets and creators

ملتقى الشعراء والمبدعين العرب
حقوق النشر محفوظة

نتطلع دوما إلى سلم المجد والرقي والإبداع

وكالة السلام للتصاميم

اكاديمية شعلة الادب والثقافة

شكر وتقدير

للاستاذ/ة:

أحمد علي سليمان

نضير المشاركة في فقرة (الوفاء)

اعداد وتقديم الشاعرة ام حمزة

ادارة مدير الاكاديمية أ.
ابتسام محمد الجلودي

اشراف عميد الاكاديمية
د. ام حمزة

يمنح
منتدى بحر الكلمات للشعر والأدب

وسام
التميز
والإبداع

للشاعر :ة

أحمد علي سليمان

لتميز النص

تضحية بطلها كلب

كأفضل نص يومي

Congratulations

رئيس مجلس
الإدارة
د.إيمان محمد

بسم الله الرحمن الرحيم
شهادة شكر وتقدير
الشاعر أحمد علي سليمان
يسرنا ان نمنحكم شهادة اجمل بيت شعر على صفحة الاتحاد
الدولي للادباء والشعراء العرب
2023
إعداد وتقديم .م.أ. سوسن جودت
رئيس الاتحاد
د. إيهاب البعبولي

واحة الادب والاشعار الراقية

وسام أجمل النصوص الأدبية

يسر ادارة واحة الادب والاشعار الراقية
ان تقدم وسام اجمل النصوص الادبية
للشاعرة

أحمد علي سليمان

عن النص الذي ابدعت في نظمه والذي
بعنوان

غابة يرسمها القريض

الف مبارك لكم هذا التميز والتكريم

مدير أدارة الواحة
أ. [illegible]

المدير العام للواحة
[illegible]

منتدى رند للشعر والأدب العربي

بكل فخر واعتزاز
تمنح إدارة المنتدى

وسام القلم الذهبي

للشاعر (ة)

احمد علي سليمان

عن نصه (ها)

النسر والوجه الآخر

شهادة تقدير

تكريم إداري لنجوم

ملتقى الشعراء والمبدعين العرب

لأجمل نص شهري

شهادة تقدير

محفوظة جميع الحقوق

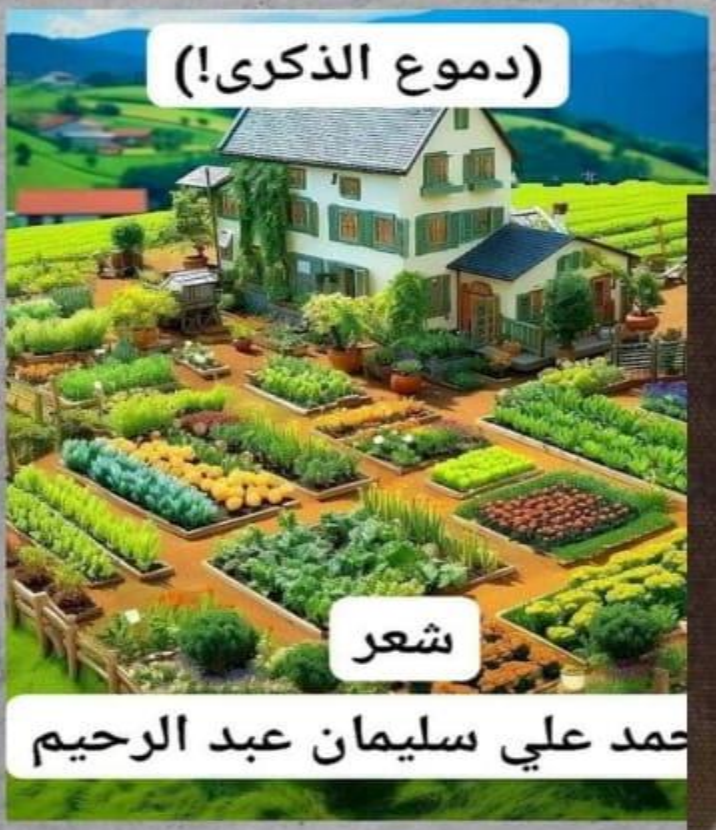

الشاعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

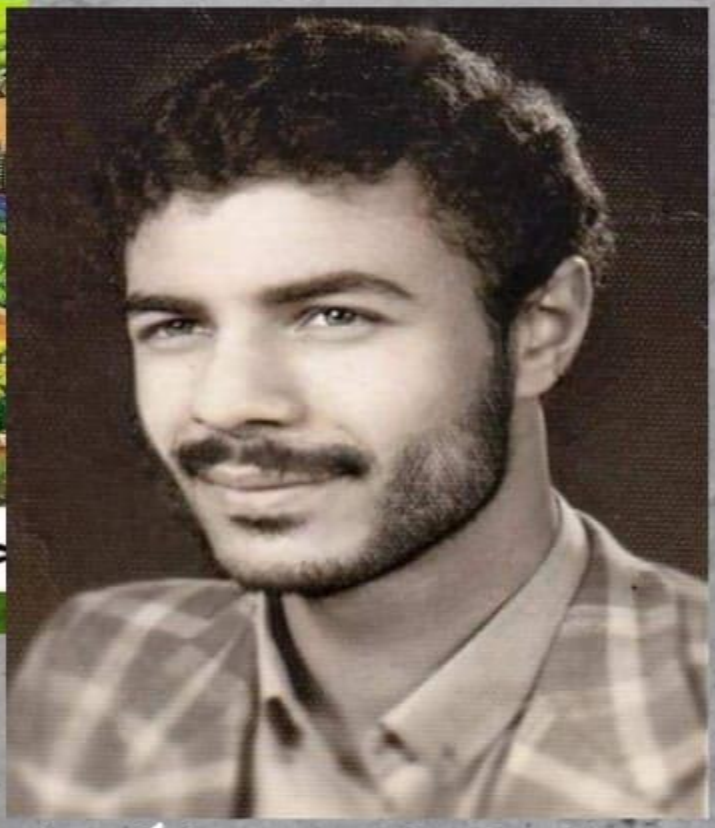

النص

دموع الذكرى

تشرف الإدارة بمنح معاليكم شهادة تقدير من الطراز الأدبي الفريد
لعطاء المميز في إعلاء وإثراء المشهد الثقافي العربي
وتكريماً لنص الأدبي الخاص بكم الذي نشر بالملتقى

نائب رئيس مجلس الإدارة
الشاعر أبو حسان

المديرة والمراقبة العامة
الشاعرة الكنوو وود

رئيس مجلس الإدارة
الشاعر خالد العطار

11 / 11 / 2023

ملتقى الشعراء والمبدعين العرب
حقوق النشر محفوظة
Forum of Arab poets and creators
رئيس مجلس الإدارة
خالد العطار
وكالة السلام للتصاميم

المنتدى اليمني للثقافة والأدب

درع التميز

يسر إدارة المنتدى اليمني للثقافة والأدب
بكل فخر واعتزاز منحكم
تكريم درع التميز لمزيدا من
الإرتقاء

الشاعـــر/ة

أحمد علي سليمان

متمنين لكم مزيدا من الإبداع

شهادة تقدير

شهادة تقدير

تكريم إداري لنجوم

ملتقى الشعراء والمبدعين العرب

لأجمل نص شهري

محفوظة جميع الحقوق

الشاعر

أحمد علي سليمان

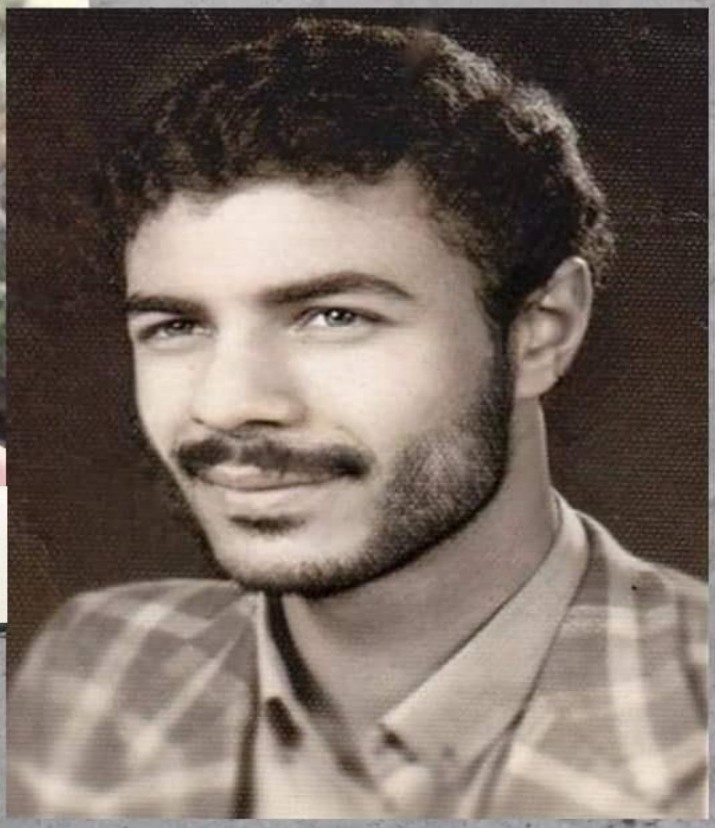

النص

التلون أخو النفاق من الرضاعة

تتشرف الإدارة بمنح معاليكم شهادة تقدير من الطراز الأدبي الفريد
لعطاء المميز في إغلاء وإثراء المشهد الثقافي العربي
وتكريماً لنص الأدبي الخاص بكم الذي نشر بالملتقى

نائب رئيس مجلس الإدارة
الشاعر أبو حسان

رئيس مجلس الإدارة
الشاعر خالد العطار

2023 / 10 / 31 م

ملتقى الشعراء والمبدعين العرب
حقوق النشر محفوظة
ملتقى الشعراء والمبدعين العرب
رئيس مجلس الإدارة
خالد العطار
Forum of Arab poets and creators
وكالة السلام للتصاميم

ملتقى الشعراء والمبدعين العرب

نتشرف بمنحكم شهادة تقدير

من الطراز الأدبي الفريد

لأجمل نص يومي

محفوظة جميع الحقوق

أجمل نص يومي معتمد

النص : نسيم الشوق

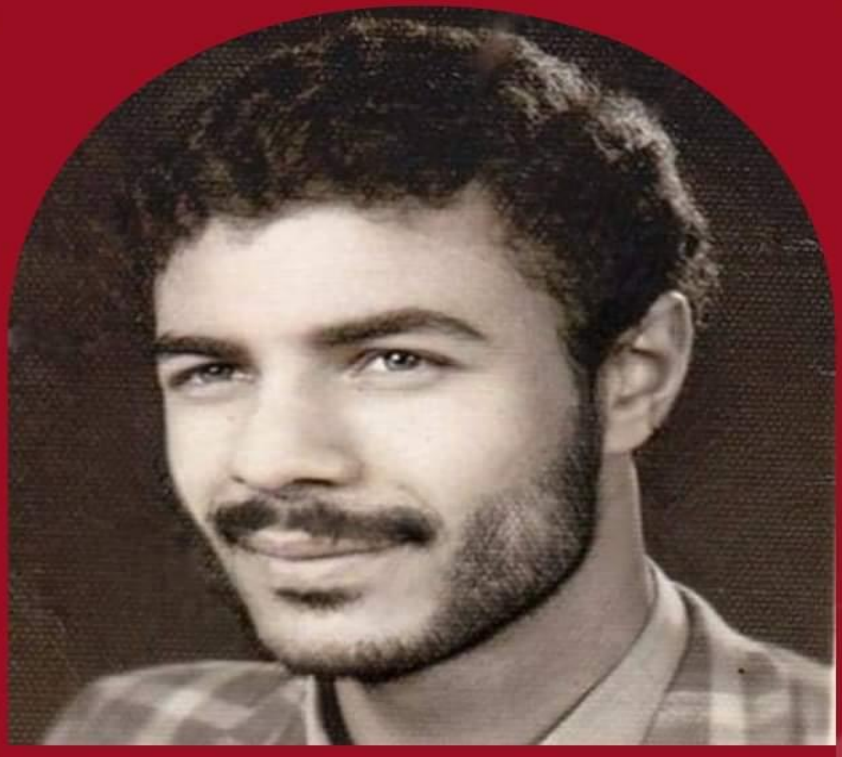

الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم

نتمنى لكم مزيد من الإبداع والإنجاز والتميز

تهانينا

رئيس مجلس الإدارة الشاعر خالد العطار

نائب رئيس مجلس الإدارة الشاعر أبو حسان

المشرفة العامة الشاعرة ليالي احمد

المشرف العام ياسين علم الدين

المشرف العام محمد الجيزاوي ابو عبدة

المشرفة العامة الشاعرة مها شفيق

29 / 10 / 2023

حقوق النشر محفوظة

نتطلع دوما إلى سلم المجد والرقي والإبداع

ولاء السرام ستوديو

تُراث اللـ ـغة العربية

اتحاد شعراء العرب

حفظ الله لغة الضاد

يسر إدارة الإتحاد

منح الشاعر / أحمد علي سليمان عبد الرحيم

هذهِ الشهادة تقديراً عن عمل

مُميز وهو / (رضيعة الحاوية)

فئة / الشعر الفصيح

لترتقي كلماتهُ في سماء الأدب والشعر العربي

بناءً على نصهِ المتألق في جوهر اللغة العربية

إدارة الإتحاد قسم التحرير

الشاعر / محمود أبو الفضل

منتدى المحيط العربي للشعر والأدب

يقدم لكم شكر وتقدير وسام التميز والإبداع

والإدارة العامة للمحيط

أجمل نص اسبوعي

شهداء فلسطين

الشاعر : ة

الشاعر أحمد علي سليمان

النص

تضحية بطلها كلب

أجمل التهاني

مدير تدقيق د حميدة

أولاد أحميدة

واحة الأدب والأشعار الراقية

An oasis of high-end literature and poetry

معتمدة عالميا تحت رقم BN0230119

من أجمل النصوص الأدبية

شكر وتقدير

بكل فخر واعتزاز يسر إدارة

واحة الأدب والأشعار الراقية

أن تمنح بطاقة شكروتقدير للشاعر(ة)

أحمد على سليمان

عن النص المميز تحت عنوان

أرسلوا النعوش والأكفان

متمنيين لكم التوفيق في مسيرتكم الأدبية

تقبل تحياتنا إدارة الواحة.

مديرة الإدارة
هيام عبدو
سفيرة السلام العالمي

مدير عام الواحة
د/نتعي ابراهيم حسن
سفير السلام العالمي

(أرسلوا النعوش والأكفان!)

أرسلوا - يا أحبابنا - الأكفانا
وانعموا بالعيش الرغيد عَيانا
واصنعوا – للمستضعفين - نعوشاً
واشجُبوا ، ثم استنكروا العدوانا
واخنقوا فجراً قد يطل قريباً
كي تظلوا - في خذلكم - شجعانا
وأريقوا دماء كل شهيد
واصبغوا - بالذلة - الأكفانا
واقمعوا صوتاً يستغيث ويعلو
واجعلوا إخراس الرؤى شلوانا
وأدينوا مَن دنسوا الطهر عمداً
واستديروا - لمَن يجوس - قرانا
وأمدّونا بالسقوط ، ولوذوا
بفرار ، واستصرخوا الطوفانا
نحن في حال ليس يخفى عليكم
في لظاها قد فاقت البركانا
أسمعتم بالذور تقصف جهراً
ثم تغدو – للفقتري - قربانا؟
أسمعتم بالطفل يُرمى قتيلاً
ثم يُلقى ، كأنه ما كانا؟
أسمعتم بالقشآت تُوارى
وعليها الغارات تغرق الآنا؟
أسمعتم بالنخل يُحرق قسراً
والمنايا تستأصل الرمانا ؟
أسمعتم بالأرض تُروى دماء
وثراها يستقبل الأبدانا؟
أسمعتم بالرمل يطفح جمراً؟
متلثما (صبرا) يا رفاقي وقانا

اسمعتم بالذبح أضحى بواحاً
يجتبي - في سكينه - الإنسانا؟
أسمعتم بالمنيت يعدم قبراً
والرزايا تستقل الأشجانا؟
أسمعتم بالحي يحرم قوتاً
فيعاني - مِن الطوى - حرمانا؟
أسمعتم بالسجن يُصبح قبراً
ويُدمّي – بظلمه - الأعيانا
ويقاسي المسجونُ منه البلايا
ولقولاه يشتكي السجانا؟
أسمعتم بالعِرض يهتك جبراً؟
لم هذا العِرضُ الفعذبُ عانى؟
سائلوا التاريخ المعاصرَ عنا
واسألوهُ عن ضيع الأوطانا
من أضاع (القدس) الأبية حقداً
والبرى كي يستنصرَ الأوثانا
و(فلسطين) الكسيرة تبكي
وأراها تستطيقُ القطعانا
ولها - في دمع العتاب - شكاة
آلمتها ، واستغرقت أزمانا
تصطفي مِن أحبابها مَن يُحامي
ولهذا تستعطفُ الجيرانا

انقذوا شعبي من مخالب غير
وأعيدوا الحقوق والبلدانا
انقذوا (الأقصى) من قيود الأعادي
وأقيموا الإسلامَ والقرآنا
واحرقوا الغرقدَ الغرير انتقاماً
وأبيدوا - مِن الديار - الهوانا
واحرقوا القرطاس المحرف جهراً
واقبروا - للمستكبر - الديوانا
وأبيدوا ما شيّدوا من مبان
وانصبوا - يا أهل الهدى - الميزانا
واهدموا - يا أحبابنا - كِبْر غير
واستبيحوا الأصقاعَ والإيوانا
واجعلوا توحيد المليك شعاراً
والقعالي لحربكم عدوانا
وانسفوا ما شاد الأعادي بأرضي
وأبيدوا البارات والشكرانا
ليت شعري كيف ارتضيتم ضياعي
واحتملتم - مِن الأعادي - الطعانا؟
ولماذا رأيت خذل رفاقي
من رأيت في محنتي - شجعانا؟
ولماذا تعقد اللوم سخطي
ولماذا لم تصنعوا البيانا؟

أحمد علي سليمان

شهادة معتمدة برقم (0211) تاريخ 2/8/2023

تصميم يمن النائب

أكاديمية همسات شعراء العرب والمهجر

WHISPERS ACADEMY OF ARAB AND DIASPORA POETS

للشاعر/ة أحمدعلي سليمان

لنصه/ا تضحية بطلها كلب

م. أ. عبد الهادي الحلبي

ر.م.إ. يمن النائب

الأدب العربي الرفيع

يسر مجموعة الأدب العربي الرفيع

أن تقدم

وسام الإبداع

للأستاذ/ة أحمد علي السليمان

لأجمل نص يومي أرسلو النعوش والاكفان

لأنكم كتبتم فأبدع حرفكم
وجاد بأجمل الحروف
والكلمات

ألف مبارك

2023

الاتحاد الدولي للادباء والشعراء العرب

وسام التميز

يسر الاتحاد الدولي للأدباء والشعراء العرب منحكم هذا الوسام متمنين لكم مزيد من التميز والابداع .

الأستاذ/ة

الشاعر أحمد علي سليمان

إعداد وتقديم م.أ. موسى جودت — رئيس الاتحاد د. إبراهيم البيطار

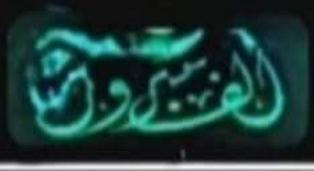

2023 — ٢٠٢٣

الاتحاد الدولي للأدباء والشعراء العرب
مؤسسة الشعراء والأدباء والمبدعين العرب

شهادة شكر وتقدير

السيد/ة الشاعر أحمد علي سليمان

يتقدم الاتحاد الدولي للأدباء والشعراء العرب بأسمى آيات الشكر والتقدير لدوركم الواضح والفعال في تفعيل صفحة الاتحاد الدولي للأدباء والشعراء العرب من خلال التعليق والمشاركة والنشر والتفاعل متمنيين لكم مزيد من التميز والنجاح

الله ولي التوفيق

إعداد والإشراف م.ا.سوسن جودت

رئيس الاتحاد.
الشاعر والأديب د.ايهاب البعبولي

المنتدى اليمني للثقافة والأدب

درع التميز

يسر إدارة المنتدى اليمني للثقافة والأدب
بكل فخر واعتزاز منحكم
تكريم درع التميز لمزيدا من
الإرتقاء

الشاعـــر/ة

أحمد علي سليمان

متمنين لكم مزيدا من الإبداع

اكاديمية ضياء الابداع الثقافية

شهادة المتفاعل المتميز

للاستاذ/ة:

احمد علي سليمان

باسم ادارة اكاديمية ضياء الابداع الثقافية تم منح المتفاعلين (شهادة المتفاعل المتميز) وذلك نضير حضورهم الدائم وتفاعلهم المستمر والنشر الرائع المضيء باكاديميتنا فمبروك للذين استحقوا هذه الشهادة وكل متفاعل هو نجم ذهبي بسماء الاكاديمية

You deserved the certificate of the distinguished interactor because you are distinguished so you are safe

نائب العميد ومدير الاكاديمية أ. احمد طياوي

عميد الاكاديمية ورئيس مجلس الادارة د. ام حمزة

معتمدة دوليا MDA 00138

(غابة يرسمها القريض بفحواك الوذوذ الساجية

تَصَوَّرْ يا قَرِيضِي الهَاوِيَهْ
وَمُجَّ الحِبْرَ فِي لِفْظَاسِهَا
وَحَبِّرْ بِاليَرَاعِ القَافِيَهْ
وَأَوْغِلْ فِي الأَمَانِي وَالمُنَى
وَصَوِّرْ بِالدَّوَاةِ الظَّاوِيَهْ
وَجُذْ بِالنُّورِ كُنْزَ عِظَرْهُ
وَجِدْ السَّيْرَ نَحْوَ البَادِيَهْ
أَلَا يَا رُوحَ شِعْرِي غَرِّدِي
وَكُونِي بِالوَصَايَا دَارِيَهْ
فَإِنَّ الضَّيْفَ شِعْرِي وَالصَّدَى
وَزَوِّجِي لِلنَّحَايَا صَاغِيَهْ
وَهَاتِي الشَّهْدَ زَهْرًا يَشْتَهِي
وَهَاتِي اللَّفْظَ كُونِي وَاعِيَهْ
دِنَانُ الشِّعْرِ دُونِي عَجْلِي
وَهَبِّي الشِّعْرَ فِي بِي الآنِيَهْ
وَكُونِي النُّورَ فِي لَيْلِ الدُّجَى
وَكُونِي الصَّحْبَ عِنْدَ النَّاهِيَهْ
عَجِبْتُ لَنْ يُوَارِي شِعْرَنَا
قَوَافِي الشِّعْرِ أَمْسَتْ دَامِيَهْ
وَصَدْرُ البَيْتِ فِي صَدْرِي حَبَا
وَرَوِّحْ البَيْتِ أَمْسَتْ تَالِيَهْ

يُدَاجِينَا ، وَيَسْقِي هَازِلاً
وَيُزْجِي فِي التَّدَاجِي حَاشِيَهْ
وَيَمْضِي فِي سَرَابٍ بَالِدٍ
لَهُ فِي الهَزْلِ فَحْوَى ظَافِيَهْ
كَذَاكَ الفِيلُ فِي الغَابِ الرَّوَى
وَحَيَاتٌ خُبِّئَتْ فِي زَاوِيَهْ
وَبُومُ الغَابِ يُوذِيهَا الضِّيَا
وَيُشْجِيهَا الدُّجَى كَالغَانِيَهْ
فَتَغْزُو فِي الخَفَا كَيْلَا تُرَى
أَبَاتَتْ سُنَّةَ نَبِي جَارِيَهْ؟
لِفَوْزِ بِتِلْكَ نَحْيَا بَيْنَهَا
وَتَظْوِي لَحْمَنَا كَالغَاشِيَهْ
أَمَاتَتْ لَوَتْهَا أَكَلَتْ
تُحَابِي فِي البَوَادِي عَاوِيَهْ
وَحَقَّ ضَاعَ مِنْ أَصْحَابِهِ
وَآمَالٌ لِهَذَا خَاوِيَهْ
وَأَسَاوَ لَهَا أَوْجُ الذُّرَى
وَغِزْلَانٌ تُزَالِي غَاوِيَهْ
تَعِيشُ الأُسْدُ ، إِنَّا لَلهُدَا
وَتَحْيَا أُنْسُرٌ فِي عَافِيَهْ
كَذَاكَ الذِّئْبُ يَحْيَا بَاسِقًا
وَيَظْوِي بِاللُّيُوبِ العَانِيَهْ

وَلَمْ أَشْهَدْ كَأَفْعَى غَابَةٍ
لَهَا فِي كُلِّ وَادٍ حَامِيَهْ
فَلَا حُزْنٌ وَلَاهَمٌّ إِذَنْ
حَيَاةُ تِلْكَ جِدًّا شَافِيَهْ
فَيَا هَذِي الضَّوَارِي ، أَبْشِرِي
وَعِيشِي الغَفْرَ هَذَا لَأَهِيَهْ
بَقَاءُ صَارِ لِلأَقْوَى لِذَا
يَفُوتُ الكُلَّ ، أَنْتِ البَاقِيَهْ
وَفِي شَمْسِ النَّهَارِ اسْتَأْسِدِي
لَكِ الدُّنْيَا إِمَاءً غَانِيَهْ
وَمَنْ أَعْطَى أَمَانًا سَادِجٌ
وَأَثْمَانُ النَّوَايَا غَالِيَهْ
سَيَظْوَى لَيْسَ يَلْجِيهِ الجَوَى
وَيُرْمَى فِي ظُرُوفٍ قَاسِيَهْ
لِذَا فَاصْفَغْ وَصَايَا مُخْلِصٍ
تُذَابُ تُنْقِشُ بِالقَافِيَهْ
وَكُنْ لَيْثًا بِقَلْبٍ مُوقِنٍ
وَحَاذِرْ مِنْ عُيُونٍ سَاجِيَهْ
وَدَقِّقْ فِي تَصَارِيفِ الوَرَى
وَعَاشِرْ كُلَّ نَفْسٍ زَاكِيَهْ
وَفِي كُلِّ الأُمُورِ اخْسَمْ وَلَا
تُغَاطِلْ مَنْ تُغَاتِي ثَانِيَهْ
فَقَدْ سَادَتْ ضَوَارِي غَابَةٍ
وَلَمْ تُضْبَحْ لِحُرٍّ نَاجِيَهْ

أحمد علي سليمان

غابة يرسمها القريض

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

يسر ادارة منتدي ملوك همس الشعراء بمنح شهادة شكر وتقدير

The management of Malugh Forum, Whispers of Poets, granted a certificate of thanks and appreciation

الشاعر:ة احمد علي سليمان

The Kings of Whispering Poets Forum is pleased to grant this Arab and international honor to esteemed poets, writers and thinkers for the effort exerted in promoting the purposeful word and their contribution to intellectual and literary advancement and spreading peace throughout the world.

You have my name verses of thanks and appreciation

Congratulations!

رئيس مجلس الادارة والمصمم

منى عثمان

نائب رئيس مجلس الادارة

د.برجس ركاب

منتدى رند للشعر والأدب العربي

بكل فخر واعتزاز
تمنح إدارة المنتدى

وسام القلم الذهبي

للشاعر (ة)

احمد علي سليمان

عن نصه (ها)

النسر والوجه الآخر

وسام الإبداع الدولي

وسام الإبداع الدولي

يمنح منتدى بحر الكلمات للشعر والأدب

للشاعر :ة

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

لتميز النص

دعوة للتعقل

كأفضل نص يومي

Congratulations

رئيس مجلس الإدارة
د.إيمان محمد

Chairman of
Board of Directors
Eman Mohamed

Free Engraving
Up to 2 Lines

وسام الإبداع الدولي

وسام الإبداع الدولي

وسام الإبداع الدولي

يمنح منتدى بحر الكلمات للشعر والأدب

للشاعر :ة

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

لتميز النص

نغرق ولكن لماذا ؟

كأفضل نص يومي

Congratulations

رئيس مجلس الإدارة
د.إيمان محمد

Chairman of
Board of Directors
Eman Mohamed

Free Engraving
Up to 2 Lines

منتدى كلام من دهب للشعر والأدب

الجائزة الذهبية

تسر إدارة المنتدى أن
تمنح الجائزة الذهبية
نظير المشاركة بأروع
الحروف والكلمات
الراقية

إلى السيد. ة

احمد علي سليمان

بتاريخ

24/11/2023

رئيس مجلس الإدارة / أحمد دهب

نائب رئيس مجلس الإدارة / هدى عبده

تهانينا

مع أطيب التمنيات والتهاني

ملتقى الشعراء والمبدعين العرب

النص الذهبي

محفوظة جميع الحقوق

الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم

النص : الجميل الكئيب

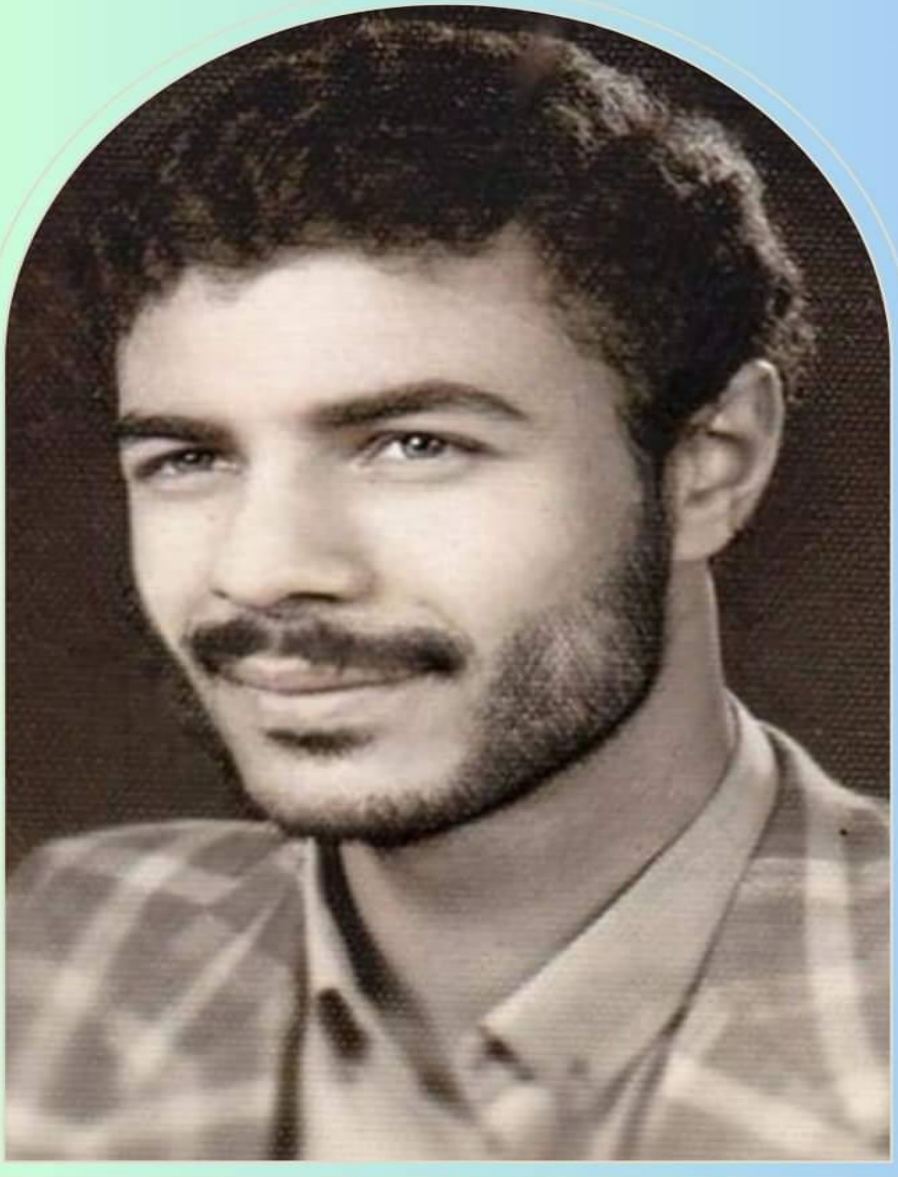

تشرف إدارة ملتقى
الشعراء والمبدعين
العرب بمنح معاليكم
شهادة تقدير من الطراز
الأدبي الفريد
للعطاء المميز في إعلاء
وإثراء المشهد الثقافي
العربي وتكريماً للنص
الأدبي
الخاص بكم الذي نشر
بالملتقى
أرق التهاني
الإدارة
13 / 11 / 2023 م
تهانينا

نتمنى لكم مزيد من الإبداع والإنجاز والتميز

رئيس مجلس الإدارة
الشاعر خالد العطار

نائب رئيس مجلس الإدارة
الشاعر ابو حسان

لمديرة والمراقبة العامة
الشاعرة العنوو وود

وكالة السلام للتصاميم

معكم نتطلع دوما إلى سلم المجد والرقي والإبداع

الجامعة العربية للشعراء والكتاب العرب
ومجلة الادب والشعر

شهادة الابداع والتميز

الشاعر/ة

أحمد علي سليمان

لتميزكم ببرنامج منبر الشعراء

اعداد وتقديم
د. رويدة الترك

د. محمود الشافعي
رئيس الجامعة

ملتقى الشعراء والمبدعين العرب

شهادة تقدير

أجمل نص أسبوعي

جميع الحقوق محفوظة

الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم

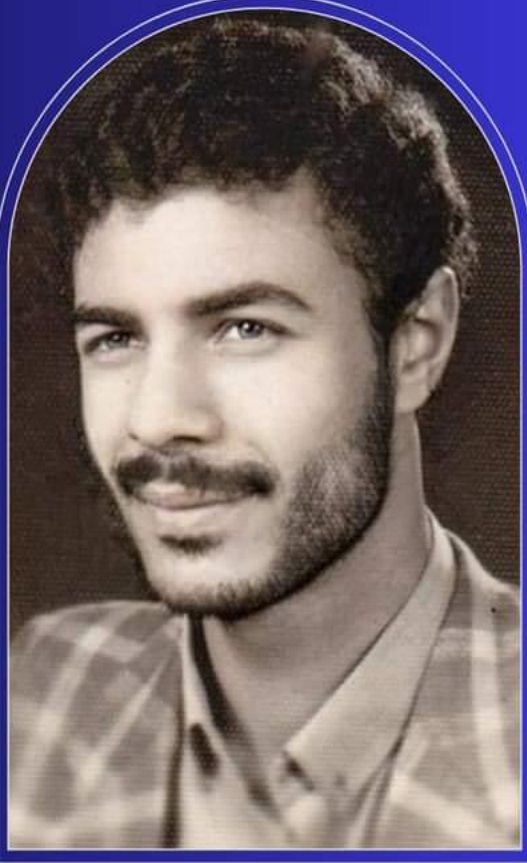

النص : اليراع الثائر

تتشرف إدارة ملتقى الشعراء والمبدعين العرب
بمنح معاليكم شهادة تقدير من الطراز الأدبي
الفريد للعطاء المميز في إعلاء وإثراء المشهد
الثقافي العربي وتكريماً للنص الأدبي
الخاص بكم الذي نشر بالملتقى
الإدارة

2023 / 11 / 14 م

نتمنى لكم مزيد من الإبداع والإنجاز والتميز
تهانينا

VIP

نائب رئيس مجلس الإدارة
الشاعر أبو حسان

المديرة والمراقبة العامة
الشاعرة العنوو وود

رئيس مجلس الإدارة
الشاعر خالد العطار

وكالة السلام للتصاميم

اكاديمية شعلة الادب والثقافة

شكر وتقدير

للاستاذ/ة:

أحمد علي سليمان

يسرنا منحكم شهادة (شكر وتقدير) وذلك نضير حضوركم المتميز معنا في فقرة {القلم لك} فالف مبروك

اعداد وتقديم الشاعرة ام حمزة

ادارة مدير الاكاديمية أ.
ابتسام محمد الجلودي

اشراف عميد الاكاديمية
د. ام حمزة

واحة الادب والاشعار الراقية
يسر أدارة واحة الادب والاشعار الراقية
أن يقدم وسام أجمل النصوص اليومية
للشاعر/ة
أحمد على سليمان
عن النص الذي صاغه /غته والذي بعنوان
ليس الخبر كالمعاينة
دمتم بهذا الابداع والتميز

اكاديمية شعلة الادب والثقافة

شكر وتقدير

للاستاذ/ة:

أحمد علي سليمان

يسرنا منحكم شهادة (شكر وتقدير) وذلك نضير حضوركم المتميز معنا في فقرة {القلم لك} فالف مبروك

اعداد وتقديم الشاعرة ام حمزة

ادارة مدير الاكاديمية أ.
ابتسام محمد الجلودي

اشراف عميد الاكاديمية
د. ام حمزة

اكاديمية شعلة الادب والثقافة

شكر وتقدير

للاستاذ/ة:

احمد علي سليمان

تمنحكم ادارة اكاديمية شعلة الادب والثقافة منح (شهادة شكر وتقدير) وذلك نضير مشاركتكم معنا في فقرة { دمعة قلم } فالف مبروك

اعداد وتقديم الاستاذ بشير عدوي

ادارة مدير الاكاديمية أ.
ابتسام محمد الجلودي

اشراف عميد الاكاديمية
د. ام حمزة

VIP

اكاديمية ضياء الابداع الثقافية

شكر وتقدير

للاستاذ/ة:

احمد علي سليمان

بكل فخر واعتزاز تمنحكم ادارة اكاديمية ضياء الابداع الثقافية

(شهادة شكر وتقدير) وذلك نضير حضوركم المتميز معنا في

فقرة الحياة فالف مبروك هذا الاستحقاق

اعداد وتقديم الاستاذ احمد طياوي

ادارة نائب العميد ومدير
الاكاديمية أ. احمد طياوي

شراف عميد الاكاديمية ورئيس
مجلس الادارة د. ام حمزة

الاتحاد الدولي للادباء والشعراء العرب

وسام التميز

يمنح الاتحاد الدولي للأدباء والشعراء العرب منحكم هذا الوسام متمنين لكم مزيد من التميز والنجاح .

الأستاذ/ة

الشاعر أحمد علي سلمان

إعداد وتقديم م.أ. سوسن جودت

رئيس الاتحاد.دكتور إيهاب البعبولي

2023 ٢٠٢٣

اكاديمية ضياء الابداع الثقافية

درع تقديري

بكل فخر واعتزاز تكرم ادارة اكاديمية ضياء الابداع الثقافية (درع تقديري) لكل المشاركين ببرامجها الاسبوعية والتي كانت:

(حنان الام - ساعي البريد - بوح الصورة - نهر القوافي - السجال الحر - حرف وقصيدة (غ) - تأثير البيئة على الشاعر)

وهذا التكريم هو دليل الالتزام وحضورهم الدائم واستحقاقهم لهذا التكريم بكل جدارة والاهتمام نبارك لهم وتوفيق دائم للجميع

والشكر موجه لجميع مقدمي البرامج

للاستاذ/ة:

احمد علي سليمان

نائب عميد ومدير الاكاديمية

أ. احمد طياوي

عميد الاكاديمية ورئيس مجلس الادارة د. ام حمزة

وسام الريشة الذهبية
للشاعر (ة) احمد علي سليمان
نظير المشاركة الساهقة في فقرة :
ما وراء الصورة
07/12/2023

اكاديمية شعلة الادب والثقافة

تمنح

شكر وتقدير

للاستاذ/ة

احمد علي سليمان

يسرنا منحكم شهادة شكر وتقدير نضير تميز مشاركتكم معنا

في فقرة (حكم وامثال) فالف مبروك لكم هذا الاستحقاق

اعداد وتقديم الشاعرة ام حمزة

اشراف عميد الاكاديمية

د. ام حمزة

ادارة مدير الاكاديمية أ.

ابتسام محمد الجلودي

واحة الأدب والأشعار الراقية

An oasis of high-end literature and poetry

من أفضل الشخصيات الأدبية

علي مستوي الوطن العربي للعام 2023م

الاستاذ (ة)

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

تقديرا منا لما بذلتموه من جهد ملموس في اثراء الساحة الثقافية والأدبية تم منحكم شهادة من أفضل الشخصيات الأدبية علي مستوي الوطن العربي متمنين لكم مزيدا من التقدم والرقي

مستشارة العلاقات العامة
و. أسماء عبير
سفير السلام العالمي

مديرة الإدارة
و. هبة عبدو
سفير السلام العالمي

مدير عام الواحة
و. تقي ابراهيم حمص
سفير السلام العالمي

ملتقى الشعراء والمبدعين العرب

شهادة تقدير

محفوظة جميع الحقوق

النص الماسي

الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم

النص : سُنبُلة وقنبلة ومُكحُلة

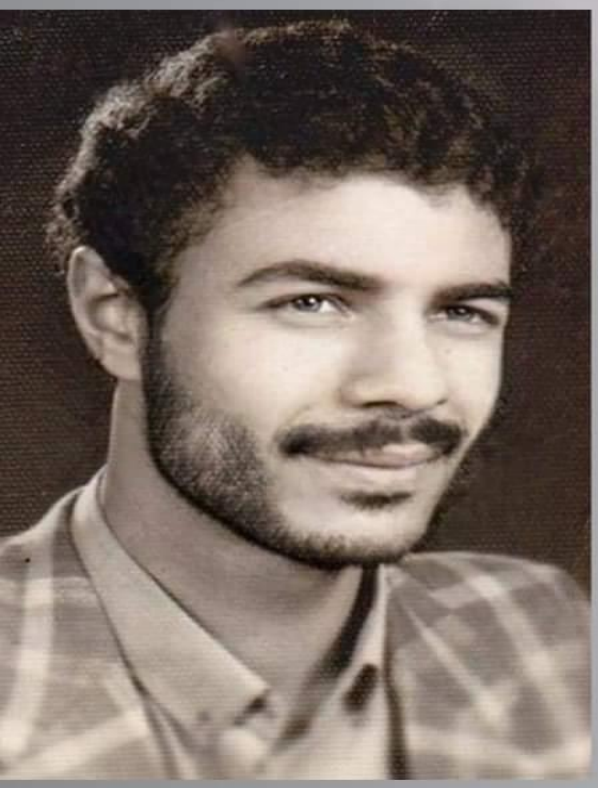

تتشرف إدارة
ملتقى الشعراء والمبدعين العرب
بمنح معاليكم شهادة تقدير من الطراز
الأدبي الفريد
للعطاء المميز في إعلاء وإثراء المشهد
الثقافي العربي
وتكريماً لنص الأدبي الخاص بكم
الذي نشر بالملتقى
أرق التهاني
الإدارة
نائب رئيس مجلس الإدارة
الشاعر أبو حسان
رئيس مجلس الإدارة
الشاعر خالد العطار
المديرة والمراقبة العامة
الشاعرة العنود ود

نتمنى لكم مزيد من الإبداع والإنجاز والتميز

تهانينا

19 / 11 / 2023

ملتقى الشعراء والمبدعين العرب
حقوق النشر محفوظة

ملتقى الشعراء والمبدعين العرب
رئيس مجلس الإدارة
خالد العطار
Forum of Arab poets and creators

ملتقى الشعراء والمبدعين العرب
النص الماسي
يعتمد

معكم نتطلع دوما إلى سلم المجد والرقي والإبداع

وكالة السلام للتصاميم

رئيس مجلس الإدارة
د. ام حمزة

اكاديمية ضياء الابداع الثقافية

درع تقديري

للاستاذ/ة:

احمد علي سليمان

بكر فخر واعتزاز تكرم ادارة اكاديمية ضياء الابداع الثقافية (درع تقديري) لكل المشاركين ببرامجها الاسبوعية والتي كانت :

ساعي البريد - مكارم الأخلاق - المرأة قوة تغيير في المجتمع - نهر القوافي - حرف وقصيدة (ف) = نغمة شعر

وهذا التكريم هو دليل الالتزام وحضورهم الدائم واستحقاقهم لهذا التكريم بكل جدارة والاهتمام نبارك لهم وتوفيق دائم

والشكر موجه لجميع مقدمي البرامج

عميد الاكاديمية ورئيس
مجلس الادارة د. ام حمزة

نائب العميد ومدير
الاكاديمية أ. احمد طياوي

منتدى البيان للشعر و النثر و الأدب العربي

يسرنا ويسعدنا أن نكرم من تألق
و أبدع و حاز على إعجاب الإدارة
و رواد المنتدى نكرم

أجمل نص يومي

الفص /

رضيعة الحاوية

الأستاذ/ة

أحمد.علي سليمان

ر.م.الإدارة د.سوسن إبراهيم
أ.ع.م أ.علي عثمان المحمد

منتدى البيان للشعر و النثر و الأدب العربي

يسرنا ويسعدنا أن نكرم من تألق
و أبدع و حاز على إعجاب الإدارة
و رواد المنتدى نكرم

أجمل نص يومي

النص //

عزيز. النفس

الأستاذ/ة

احمد. علي. سليمان

أجمل المنتديات

ر.م.الإدارة د.سوسن إبراهيم
امين عام المنتدى ا.علي عثمان المحمد

مَجلَّةُ إمبرَاطُورِيَّة الْعُظَمَاء لِلْأَدَب الْعَرَبِيّ

أخبار العظماء صحيفة يومية 8 / 4 / 2024

العدد الثالث التحرير ملك الشعر سامر الرشق غادة الكامليا

(في وداع رمضان!)

شعر / أحمد علي سليمان عبد الرحيم

ديوان: (السليمانيات) &

جزء: (ذل الجمال!)

موقع: (الديوان) & موقع: (عالم الأدب) & موقع: (الشعر والشعراء) & موقع: (أدب – الموسوعة العالمية) & موقع: (كتوباتي) & مكتبة: (نور) & موقع: (التبراة)

(كثيرون هم الأقوام الذين يطربون لرحيل ضيف المسلمين الكريم شهر رمضان ، ولسان حالهم هو كما قال أمثلهم طريقة متندرا:-

رمضان ولّى ، هاتها يا ساقي مشتاقة تهفو إلى مشتاقِ!

وضمير (الهاء) في هاتها يعود على (الخمر)! والحقيقة أنه لا يحزن على رحيل الشهر الميمون المبارك إلا أهل الإيمان والإسلام ، إذ إنه ضيفهم العزيز الغالي الذي ترفع به الدرجات وتمحى به السيئات وتستمطر به الرحمات ، وتُتذكر به الذكريات الكريمات. وقليلون هؤلاء الشعراء الذين ودّعوا رمضان بعذب أبياتهم. إذ إن الشعراء هم جزء من الناس ، ولما كان أكثر الناس لا يعلمون ولا يفقهون ولا يؤمنون ولا يوقنون ، بل أكثرهم ظالمون فاسقون كافرون جاحدون ، وتلك كانت شهادة الله تعالى عليهم في كتابه العزيز ، فكذلك الشعراء الذين هم فريق من هؤلاء الناس ، فيكون أكثر الشعراء كذلك ظالمين وفاسقين وجاحدين وهائمين في باطلهم وسادرين في غيهم لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً إلا ما أشربوا من هواهم. وكنت أردتُ أن أودّع رمضان في أيامه تلك الأخيرة ، وتذكرتُ هذا البيت ، فقلتُ مُصحّحاً المفهوم ومُجدداً الفكرَ والنظر ، وعلى ذات البحر ونفس القافية! فإن الشاعرَ المسلم المؤمن الموحد لا ينبغي أن يحتوي شعره على مخالفات شرعية!)

رمضانُ ولى ، فارقني يا راقي
من عائداتِ زلزلث أعماقي
واقرأ مِن القرآن أعذبَ رُقيةٍ
تودِي بما في القلب مِن ترياق
وأدمْ قيام الليل تُبهجْ خاطري
لتزيل ما حولي من الأطواق
واملأ كؤوسَ الصبر حِلماً وادعاً
أكرمْ بكأس بالهدوء دِهاق
واشحذْ بعزك همةً مصقولة
كي تستمر على هُدى الخلاق
وانصحْ ، ولا تكُ في النصيحة وانياً
فالنصحُ بعد الذكر زادُ الراقي
واحملْ على حُب السخا مَن ذاقه
إن السخاء مَطيّة الإنفاق
رمضانُ ولى حاملاً طاعاتنا
هل يا ترى نالت رضا الرزاق؟

أم ردّها المولى لأمرٍ عابها
فتمرغث في خيبة الإخفاق؟
ما زارها الإخلاصُ يوماً واحداً
فبها أردنا غيرَ وجه الباقي
هل خالفث هديَ الشريعة جُملة؟
هل كابرث في عِزة وشِقاق؟
أم أنها قبلث ، وفاح أريجُها
بين الأنام ، وطار في الآفاق؟
إن القبول له علامات تُرى
لا تختفي يوماً على الإطلاق
رمضانُ ولى مادحاً أو قادحاً
مستأثراً بالسر في الأوراق
كلّ له مَطوية وصحيفة
وصحائفُ الأعمال كالأرزاق
واللهِ ما استويا مُعَظمُ شَهرِهِ
ومُفَتَّن يأوي لحان الساقي
فالصائمُ الحق الذي رمضانه
كالشمس إذا خصّته بالإشراق
وتتبعث شهواته بضراوةٍ
لتدُعّها في مَوقدِ الإحراق
فارتاح مِن ضنكٍ يُعكّرُ صومه
وغدا قوياً قوّة العملاق

فالنفسُ زكّاها الصيامُ ، وساقها
لرشادها بمَعينه الدفاق
والقلبُ نقاه الصيامُ ، وهزه
حتى غدا في ذِروة الإشفاق
والروحُ حرّرها الصيامُ طليقة
فلكم بكث من قيد الاسترقاق!
أما الذي رمضانه متألماً
يدعو عليه بدمعه الرّقراق
فأراه خاب ، وكيف يُفلحُ مِثله
والروحُ سائرة إلى الإزهاق
والقلبُ غصّ بما يُعاين مِن هوىً
أو غادةٍ بمسلسل برّاق
والنفسُ ألجمها الغَرورُ بمكره
فتجرعث كأساً من الغساق؟!
رمضان ولى ، والمهيمنُ عالمٌ
هل يا ترى - بعد الفراق - تلاقي؟
ودّعتُه ، واللهُ يشهدُ أنني
أهفو إلى رمضانَ كالمشتاق
واللهَ أسألُ أن يُبلغ أمّتي
رمضانَ ، شاهدة بذا أشواقي

مَجلَّةُ إمْبِرَاطُورِيَّة الْعُظَمَاء لِلْأَدَب الْعَرَبِيّ
أخبار العظماء صحيفة يومية 10/4/ 2024
العدد الرابع التحرير ملك الشعر سامر الرشق غادة الكاملیا

ديوان: (السليمانيات) & جزء:
(اللهَ اللهَ في شِعر أبيكم!)

موقع: (الديوان)
& موقع: (عالم الأدب)
& موقع: (الشعر والشعراء)
& موقع: (أدب – الموسوعة العالمية)
& موقع: (كتوباتي)
& مكتبة: (نور) & موقع: (التبراة)

(هنأنا بالعيد هذا اليتيم
تهنئة قلبية يقارن فيها
بين عيد مضي كان
أبوه معه في العيد ،
وأما في عيده اليوم فقد رحل أبوه!)

عيدانِ: عيدٌ مضى بالفرح مبتهجا
كأنه الفجرُ شقَّ الأفقَ ، وانبلجا
تَرنَّمَ البشْرُ في أفراد أسرتنا
كأنه النور من سجن الدجى خرجا
واستمتع الكلُّ بالأفراح شادية
تُشجي القلوب ، وتُحيي بالهنا المُهَجا
والأهل في صحبة الأحباب قد سعدوا
وكل خِلٍّ بشكر الله كم لَهَجا!

هذا يُرَجِّع ألحاناً ، وذا هَزِجا
والذكرياتُ بماء الحُب تغمرُهم
ومِن تفضُّلها أضاءت السُّرُجا
والأمنياتُ لها صدىً يُداعبها
ولحنُ خاطرها بُعيدها امتزجا
ووالدي بيننا بَذْرٌ نتيه به
ونورُ رقته بلهونا اندمجا
أجاب كُلاً إلى ما كان يطلبه
ولم يُخيِّب لِما أمَلتْ فيه رجا
بل كان يحنو على قلبي ، ويرحمني
ولم يَرُدَّ فتىً يوماً إليه لجا
واليوم عِيدي خلا من كل بارقةٍ
والقلبُ من ألم الذكرى قد اختلجا
مَن ذا الذي يحمل الحلوى ليُفرحني؟
ومَن عن النفس ينفي الضيق والحرجا؟
ومَن يُعطّر ثوب العيد ألبسُه؟
ومَن يسوق لروحي الفرْح والفَرَجا؟
العيدُ عيدكمُ ، يا قومُ فابتشروا
والعِيدُ عيدُ الذي يلقاه مبتهجا
وأسال الله ربي أن يثبتني
إذ ليس يحزن مَن سبيله انتهجا

((ذكرى))

تذكرت من أهوى ففاضت مدامعي
وخلت كأن النار تكوي أضالعي

قضيت حياتي وعمري بحبها
وأسكنتها قلبي وشتى مواضعي

وكنت أراها في عيوني غزالة
تجوب بصحرائي فتزهو مرابعي

وضحكتها شهد ودفء ونغمة
فإن ضحكت زالت وهانت مواجعي

ومازلت حتى الآن أصبو لصوتها
وبحته الغناء تغزو مسامعي

ألا ياظبية الوادي تعالي وداوني
فهجرك نار قد أقضت مضاجعي

هو العمر شهر ويوم وساعة
فعودي لقلبي ياحياتي وسارعي

نورالدين الموسى

بكل فخر وأعتزاز تمنح الإدارة هذي الشهادة تقديرا للجهود المبذولة في الارتقاء بالمجلة والمساهمةالفعالة في نشر الثقافية والمحبة والتعاون ..

With pride and honor the administration grants this certificate in appreciation of the efforts made in upgrading the magazine and effectively contributing to the dissemination of culture, love and cooperation..

مجلة إمبراطورية العظماء للأدب العربي

شهادة شكر وتقدير

تقدم هذه الشهادة الأديب/ة الشاعر/ة

أحمد علي سليمان

تكريما للمشتركين في الأمسية الشعرية بعنوان

تعبير حر

ن.ر.م.م.إ
غادة الكاملیا

ر.م.م.إ
ملك الشعر
سامر الرشق

ألف جميل وأنت أجمل منها

مدير إدارة
مجلة إمبراطورية
العظماء للأدب
العربي
الشاعر أحمد
علي سليمان

منتدى الشعراء والأدباء لمجلة درة الوجدان الإلكترونية

يقدم

شكر وتهنئة

درع الإبداع

للشاعر ٥٠٠ / ٠٠٠٠

أحمد علي سليمان

للمشاركة المبدعة

في بوح الصورة

تهانينا

تحت إشراف

رئيس مجلس الإدارة د منى محمد

نائب ا. ورده الأحلام

مؤسس المجموعة ا فاتن حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

شهادة تقدير

نتقدم إدارة مجموعة : المشكاة في اللغة العربية

بخالص الشكر والتقدير والعرفان

للأستاذ / الشاعر/

أحمد علي سليمان

تقديرا للجهود المبذولة في خدمة اللغة العربية وراقي المجموعة

ومنح نجما ساطعا في سماء التميز والابداع

ألف مبارك نهانينا لكم

إدارة أريج الضاد

شهادة شكر وتقدير

تمنح هذة الشهادة التقديرية

لصاحبها تهنئة

الشاعر أحمد علي سليمان

تقدير للجهود المتميزة

والعطاء الدائم

أتمنى منكم مزيداً من العطاء والإبداع المستمر

إدارة
أريج الضاد

مدير المجموعة

أ. أسامة غريب أبو حمزة

وصل ربي على المختار ما طلعت
شمس النهار ولاحت نجم الظلم

الفهرست الموضوعي (1نهاية الطريق)

مسلسل	عنوان القصيدة	موضوع القصيدة	اسم الديوان	عدد الأبيات	البحر	القافية	الصفحة
1	زفرات العذراء الخجلى	تزوجتْ أشيب ثم تطلعتْ للحرام	نهاية الطريق	23	الوافر	الحِرابُ	15
2	السمعة الدامية في دياجير التيه	برئ تُلاك سُمعته ويصبر ويحتسب	نهاية الطريق	24	الوافر	عَزوفِ	15
3	من ركام ظلمات القرن العشرين	فيكتور هوجو وبنطلونات النساء	نهاية الطريق	15	المتقارب	النداءْ	25
4	الـــيـــاســـمـــيـــنـــة	أول قصيدة لأم عبد الله بعد سفري	نهاية الطريق	63	الرمل	زينة	26
5	دموع الذكرى	ثاني قصيدة لأم عبد الله بعد سفرها	نهاية الطريق	27	الوافر	حياتي	29
6	متشاعر أمام بريق المال	شاعر محترم سال لعابه للمال	نهاية الطريق	16	الخفيف	مريضُ	31
7	الجميل الكئيب	عندما يقابل الناس الجميل بالنذالة	نهاية الطريق	15	الطويل	السفَلُ	32
8	ضريبة التصابي	أشيب اشترى عشرينية بماله	نهاية الطريق	15	الكامل	الأفراحِ	33
9	تغريدة في هجير الضياع	حاولت انتشال زوجها من الرذيلة	نهاية الطريق	15	الكامل	الأسفلِ	34
10	دعوة إلى التأمل	تأملات في الكون والناس والحياة	نهاية الطريق	61	الرمل	ابتهلِ	37

11	المغرورة	اغترت بنفسها فتعالت على الناس	نهاية الطريق	31	الرمل	بارقة	44
12	مرارة الذكرى	ثاني قصيدة لأم عبد الله بعد سفرها	نهاية الطريق	27	الوافر	الرياحْ	48
13	مهلاً يا ابن سلول	منافق متحذلق غره حلم الله عليه	نهاية الطريق	37	الكامل	مَعْلَمُ	51
14	سنبلة وقنبلة ومكحلة	اصطراع الحق والباطل سُنة ماضية	نهاية الطريق	36	الرمل	الحوقلة	53
15	ملاح في بحر الظلمات	ملاح سار عكس التيار فدفع الثمن	نهاية الطريق	27	الرمل	السرابْ	63
16	اليتيم	طالبٌ يتيمٌ جرحتُ شعوره فاعتذرت	نهاية الطريق	35	الرمل	تعتذرْ	65
17	آهة في صدري	زفرة وجعى على جراح أمة الإسلام	نهاية الطريق	25	الوافر	عنادي	67
18	حي المعلم جازه التبجيلا	معارضة لقصيدة شوقي: قم للمعلم	نهاية الطريق	111	الكامل	رسولا	70
19	العنبة الطافية	أهديها لدجال الأمس ودجاجلة اليوم	نهاية الطريق	41	المتدارك	وتعلو	195
20	يا صاح فيم اعتذاري؟!	غادرٌ يطلب من ضحيته الاعتذار!	نهاية الطريق	76	الوافر	النرجسي	203
21	قراصنة القلوب	الدنيا وتقلبها - بشرتُ نفسي ببُنية	نهاية الطريق	22	الرمل	الخطايا	223
22	نائمٌ لا يُفيق	صديقٌ عزيزٌ لكن هوايته النوم!	نهاية الطريق	29	المتقارب	السائمة	236

23	نهاية الطريق	قررتُ مفاصلة المنافقين الأعداء	نهاية الطريق	91	المتقارب	كوكبي	244
24	وداعاً أبا بكر	في رثاء الصديق رضي الله عنه	نهاية الطريق	14	البسيط	مآقينا	256

الفهرست الموضوعي (2عزيز النفس)

مسلسل	عنوان القصيدة	موضوع القصيدة	اسم الديوان	عدد الأبيات	البحر	القافية	الصفحة
1	اليراع والدموع	حديثي لعيني المصابة للمرة الأولى	عزيز النفس	31	الوافر	الضغينة	27
2	دموع القوافي الدامية	حديثي الثاني لعيني الدامية	عزيز النفس	39	البسيط	الأربا	35
3	المقلة المبتلاة	حديثي الثالث لعيني الجريحة	عزيز النفس	9	الكامل	نشعر بها	41
4	لعنة المزاد	مساومة الطغيان لأهل المبادئ	عزيز النفس	15	الخفيف	أو ألغازُ	42
5	الآهة الثكلى	حديثي الرابع لعيني الكسيرة	عزيز النفس	9	المتقارب	أشجانها	44
6	وحدي	حديثي الخامس لعيني البائسة	عزيز النفس	43	الهزج	لحدي	46
7	بضاعتي دموع العين	حديثي السادس لعيني الحزينة	عزيز النفس	10	الطويل	له أثرُ	54
8	عيناه جرحك غائر	حديثي السابع لعيني (ذات الجرح الغائر)	عزيز النفس	15	الرجز	النوى	55
9	عين أرداك الجوى	حديثي الثامن لعيني أرداها الجوى	عزيز النفس	9	المضارع	حرمانا	58
10	إغفاءة اليراع	حديثي التاسع لعيني الدامعة	عزيز النفس	21	المقتضب	دميتِ وفا	62

11	الشكاة الخجلى	حديثي العاشر لعيني الشاكية	عزيز النفس	8	المجتث	بالأباةِ	65
12	ماذا وراء الستار؟!	حديثي الحادي عشر لعيني المتألمة	عزيز النفس	10	المنسرح	ويعتدلُ	67
13	نجوم الليل	حديثي الثاني عشر لعيني القلقة	عزيز النفس	12	الرمل	السلامة	68
14	يا سائلي عن مقلتي	حديثي الثالث عشر لعيني المهمومة	عزيز النفس	15	السريع	ضيا قلمي	69
15	اصبر ، وأنت البصير	حديثي الرابع عشر لعيني المكروبة	عزيز النفس	15	المتدارك	لا تفركْ	72
16	ألا يا عين صبراً	حديثي الخامس عشر لعيني الملتاعة	عزيز النفس	8	الممتد	نُواحي	74
17	يا غادتي يا مقلتي	حديثي السادس عشر لعيني المبتلاة	عزيز النفس	8	المستطيل	يحتويني	75
18	وشج التُرس عيني	حديثي السابع عشر لعيني الطعينة	عزيز النفس	8	المستبسط	في أيامه	76
19	عيناه كُفي الدمع!	حديثي الثامن عشر لعيني الكئيبة	عزيز النفس	12	المتئد	من زائرِ	77
20	جحيم الأشجان	حديثي التاسع عشر لعيني الشجية	عزيز النفس	9	المنسرد	ضوء فجري	80
21	عين أنت المُنى	حديثي العشرون لعيني المتفائلة	عزيز النفس	15	المطرد	العَجْلى	82
22	ما عن العين صبر	حديثي الحادي والعشرون لعيني	عزيز النفس	13	المتوافر	النابهِ	84

23	وتسألني عن الحال	حديثي الثاني والعشرون لعيني	عزيز النفس	15	المديد	جاءهُ	110
24	قراءة في أوراق الماضي	حديثي الثالث والعشرون لعيني	عزيز النفس	100 ص	مجموعة بحور	مجموعة قواف	117
25	يا عين يا هذي العروس	حديثي الرابع والعشرون لعيني	عزيز النفس	40	البسيط	وتشويها	219
26	زنبقة في فلاة الجاهلية	حديثي الخامس والعشرون لعيني	عزيز النفس	64	الخفيف	أمري	245
27	نبال المنية	حديثي عن أم عبد الله عندما علمتْ	عزيز النفس	39	البسيط	ويضطرمُ	249
28	عزيز النفس	حديثي لنفسي بعد (مصابي في عيني)	عزيز النفس	40	الوافر	الرداحْ	260
29	ويمضي الزمان	حديثي بعد سنة من (مُصابي في عيني)	عزيز النفس	24	الرمل	الضعيفة	267

الفهرست الموضوعي (3سويعات الغروب)

مسلسل	عنوان القصيدة	موضوع القصيدة	اسم الديوان	عدد الأبيات	البحر	القافية	الصفحة
1	أريج الأحلام	عابثة كانت تحسب الزواج هيناً	سُويعات الغروب	14	الرمل	أبقى	39
2	أنين الذكريات	داعية تقاعسَ عن موجبات دعوته	سُويعات الغروب	15	البسيط	والرفُ	42
3	نعم الإدام الخل	لا يبيع صاحب الحق عقيدته أبداً	سُويعات الغروب	20	مج الكامل	والشرهْ	43
4	هواجس الأطياف	صديقٌ يُدعَى سلطان بن ضيخان	سُويعات الغروب	43	مج الكامل	العدمْ	50
5	من لهيب الغربة	ما أحلى الغربة في سبيل العقيدة!	سُويعات الغروب	80	المتقارب	اغترابْ	53
6	سويعات الغروب	خيانة زيدٍ تغني غروب شمس وُدّه	سُويعات الغروب	29	الرمل	الغروبْ	65
7	المزاد والذمم	الرضوخ للباطل يعني خراب الذمم	سُويعات الغروب	25	مج الكامل	الذممْ	73
8	لوعة الرحيل	وصف رحيل أم عبد الله وولديها	سُويعات الغروب	439	الكامل	الجحفلِ	75
9	الأصيل	البكاء على الإسلام سمت المؤمن	سُويعات الغروب	160	الرمل	الأدبْ	104
10	عميل الشياطين	صديق خان الصحبة والشرعة	سُويعات الغروب	145	المتقارب	الذممْ	115
11	الربان والثعبان	ربانٌ جرئٌ لم يخش ثعابين البحر	سُويعات الغروب	145	الرمل	الغسقْ	126
12	القصيدة العمرية (حبيب القلوب)	أول قصيدة لولدي عمر الفاروق	سُويعات الغروب	97	الكامل	يبسمُ	136
13	تقاسيم بين الغموض والبيان	لا يجب أن يوغل الشعر في الرموز	سُويعات الغروب	16	الكامل	الأشواقِ	143
14	أم إبراهيم	الداعية اليمنية المجاهدة المبتلاة	سُويعات الغروب	15	المتقارب	الأفئدة	144

15	هكذا يكون العتاب	يُجْدي العتاب بين المتحابين فقط	سُويعات الغروب	59	الكامل	محبتي	146
16	قصة رؤيا	رؤيا رأيتُ فيها أم عبد الله بعد السفر	سُويعات الغروب	62	المتقارب	الساكنة	152
17	رسالة إلى بلعام بن باعوراء	داعية منافقٌ يعمل لحساب الظلم	سُويعات الغروب	64	الرمل	زاديهْ	157
18	مخالب الغربة	الغربة وسط المنافقين لا تطاق!	سُويعات الغروب	76	الرمل	يرتجفْ	168
19	من القلب للقلب	لا بد للمؤمن أن يتعهد قلبه ليثبت!	سُويعات الغروب	78	الرمل	القنُعْ	176
20	إكرام الراحلة	مرثية في رحيل إكرام علي سليمان	سُويعات الغروب	50	الرمل	مثل الجمْرِ	187
21	حوار مع متعالم	أخطر مرض هو التعالم والتحذلق	سُويعات الغروب	48	الكامل	تتقلبُ	195
22	خالصة أجرة الشحن	رجل باع زوجته بمليون دينار!	سُويعات الغروب	38	الكامل	بالية	200
23	حياك الله تعالى أيها الحادي	حباً في الشيخ محمد محمود الطبلاوي	سُويعات الغروب	15	الرمل	مزدهرْ	208
24	تحية للشاعر الشهيد هاشم الرفاعي	في رثاء الشاعر هاشم الرفاعي	سُويعات الغروب	15	الكامل	عذبَ نشيدِ	212
25	خرير الأوراق	كان الشافعي فقيهاً ذا فراسة فذة	سُويعات الغروب	25	الوافر	المغامرْ	218
26	المخرج من ظلمات التيه	الجيل المعاصر بحاجة إلى النصح	سُويعات الغروب	33	البسيط	والعدمِ	220
27	المرتزقة والتطويع	أسوأ ارتزاق هو الارتزاق بالدين	سُويعات الغروب	26	البسيط	منحرفُ	225
28	تحية للشاعر كمال عبد الرحيم الوحيدي	أحيي الشاعر الوحيدي لما بذل	سُويعات الغروب	15	الكامل	والآمادا	229
29	شاعرٌ يدافع عن نفسه	اتهم شعرَه الآخرون فدافع عن شعره	سُويعات الغروب	15	الرمل	وتُرسي	230
30	ترانيم من وحي العيد	عندما يتزامن العيد مع النكبات	سُويعات الغروب	15	الطويل	ومبهجُ	231
31	لا أعرف الآمال الذابلة	ينبغي أن يكون التفاؤل ديدناً	سُويعات الغروب	15	الطويل	يغدو	232

32	القارئ الصغير	عباس عبد النور قارئ أم القرى	سُويعات الغروب	13	الوافر	مذابا	233
33	الظلم ظلمات يوم القيامة	لا يظن ظالم أنه قد أفلت ونجا!	سُويعات الغروب	94	الكامل	وتُغضَبُ	234
34	رسالة إلى سيف الإسلام	هدية لابني سيف الإسلام يوم مولده	سُويعات الغروب	167	البسيط	ولا لعبُ	241
35	حقيقة الإسراء	عودة الإسلام والأقصى روح الإسراء	سُويعات الغروب	85	الطويل	الكبرى	254
36	فلعلك باخع نفسك	لنحزنْ على الإسلام ولكن باعتدال	سُويعات الغروب	14	الخفيف	الأدعياءُ	273
37	عاملة ناصبة	لم نخدع كثيراً بهذا الخطاط الغبي	سُويعات الغروب	14	المتقارب	المصيرْ	274
38	فبُهت الذي كفر	أبو بكر الباقلاني كان مناظراً فذاً	سُويعات الغروب	86	البسيط	السمعُ والبصرُ	275
39	سلاح المودة	لمن كتب ينال من كتاب فقه السنة	سُويعات الغروب	32	الخفيف	المهيلة	281

الفهرست الموضوعي (4القوقعة الدامية)

مسلسل	عنوان القصيدة	موضوع القصيدة	اسم الديوان	عدد الأبيات	البحر	القافية	الصفحة
1	الغمام الصيب	هدية للأستاذ عبد الجواد على كتابه	القوقعة الدامية	26	مج الكامل	تفوحْ	21
2	عربون الرحيل	هدية لعبد الله محيي الدين لرحيله	القوقعة الدامية	49	الرمل	الجمرة	36
3	الناقة والسايس	إشارة إلى الدعاة المرتزقة بالدين	القوقعة الدامية	27	الرمل	منقلبُ	39
4	ضمير ومواقف	لا يمكن علاج الفقر ببيع العقيدة	القوقعة الدامية	15	الخفيف	كؤوسا	42
5	بكاء الذكريات	رحيل الأصدقاء مرة واحدة كارثة!	القوقعة الدامية	23	مج الكامل	السرابْ	45
6	الحمو الموت	إشارة إلى تحريم الدخول على المغيبات	القوقعة الدامية	28	مج الكامل	لا دخولْ	46
7	عمائم الدخان	إشارة إلى من يتقوتون بلا إله إلا الله	القوقعة الدامية	25	مج الكامل	الهاوية	48
8	ليلى والماضي	إشارة إلى ما جرى في البوسنة	القوقعة الدامية	58	الكامل	المأثرة	50
9	الشمعة الباكية	معارضة للأخ محسن مأمون رسلان	القوقعة الدامية	23	الوافر	خطاها	56
10	استعلاء في دنيا الانكسار	عِفة الداعية الصادق في عالم الذل	القوقعة الدامية	15	الطويل	يجاملُ	66
11	تحية للشاعر عبد الحميد الخطيب	أحيي الشاعر الخطيب على جهوده	القوقعة الدامية	16	الخفيف	المختارا	67
12	دموع يحبسها الإباء	صبيٌ ماتت عنه أمه فصبر واحتسب	القوقعة الدامية	15	الرمل	حي	113
13	تحية للشاعر محمد المجذوب	أحيي الشاعر المجذوب على جهده	القوقعة الدامية	15	الكامل	الآلامُ	115
14	القوقعة الدامية	امرأة هازلة لا تدرك قيمة الحياة	القوقعة الدامية	107	الوافر	وأنت حية	151

15	في أوراق الماضي	أشيب تزوج شابة ولعب بها كثيراً	القوقعة الدامية	63	الرمل	يغتنمُ	158
16	وحمزة لا بواكي له!	في رثاء سيد الشهداء حمزة!	القوقعة الدامية	24	الوافر	الأسنة	163
17	لا تنبشي يا أختاه دموعي!	عتابٌ لزوجة لطالما احترمها بعلها	القوقعة الدامية	15	البسيط	من محنِ	167
18	تحية للشاعر كامل أمين	أحيي الشاعر كامل أمين على شعره	القوقعة الدامية	16	الكامل	بالإبداعِ	169
19	التوبة المزعومة	لا بد من توافر شروط التوبة كاملة	القوقعة الدامية	95	الكامل	خنزبِ	179
20	القصيدة الدالية (مولد النور)	بمناسبة ابني عبد الرحمن مولوداً	القوقعة الدامية	92	الكامل	استرشد	199
21	قال معاذ الله!	إحدى النساء تراود على استحياء!	القوقعة الدامية	16	الطويل	ولا أمرُ	205
22	ثم قستْ قلوبكم	لا يقسو القلب إلا بالمعاصي الجمة	القوقعة الدامية	15	الخفيف	الخطوبُ	207
23	فأما اليتيم فلا تقهر	لا خير فيمن يقهر اليتيم وينال منه	القوقعة الدامية	16	الطويل	البراعم	209
24	أصنامٌ وعاكفون	لا بد من تصحيح مفهوم الأصنام!	القوقعة الدامية	15	الخفيف	جهيرُ	212
25	عبرة غالية الثمن	رحلة إلى المشرحة كلفتِ الكثير!	القوقعة الدامية	15	الطويل	مضمرا	219
26	الإسلام هو الحضارة	ما قيمة الحياة بدون الإسلام؟	القوقعة الدامية	29	الخفيف	مجيدُ	222
27	دكتورٌ لحساب شيطون يعمل	أستاذ يدعو إلى أن الأديان شيء واحد	القوقعة الدامية	16	الطويل	أبكمُ	227
28	في حانوت الدمى	صاحب المبدأ لا يبيع مبدأه أبداً	القوقعة الدامية	18	الرمل	الدردحُ	229
29	الحذر الحذر من التطويع	لا يُطوع دينه للظالمين إلا المرتزق	القوقعة الدامية	15	الطويل	الركْبُ	233
30	الحق بين ظلم الأب وعدل الأخ	أعاد الأخ لأخواته حقوقهن كاملة!	القوقعة الدامية	15	الخفيف	الإجحافِ	235
31	ترجمة الحقائق	طبيب يعمل ميكانيكي في بلادنا!	القوقعة الدامية	13	المتقارب	اللومِ	239

32	هذيان الغانيات المراهقات	عزباء ترى في الزواج قيودا وتخلفاً	القوقعة الدامية	14	البسيط	والجيفِ	241
33	قدوم العيد	شرع الله العيدين للفرحة والسعادة	القوقعة الدامية	15	المتدارك	وكبّرْ	247
34	فرحة العيد	لم يُشرَع العيدُ لزيارة القبور!	القوقعة الدامية	16	الرمل	الكرى	249
35	البحر المديد والعيد السعيد	في قناة المجد كانت هذه القصيدة!	القوقعة الدامية	15	المديد	المُنى	251
36	من نفحات الأضحى	الأضحى فرحة غامرة للمسلمين	القوقعة الدامية	15	الطويل	أعلمُ	253
37	هذا بعض أنين زوج	زوجٌ خدِع في زوجته العشرينية!	القوقعة الدامية	16	الخفيف	لميسا	255
38	مفاجأة انعكاس الحقائق	الأخ الحقيقي لا تغيره زوجة أخيه!	القوقعة الدامية	14	السريع	يختلفُ	257
39	الصعايدة وصلوا	بيان حقيقة الصعايدة أقطاب مصر	القوقعة الدامية	103	الطويل	الشواردِ	264
40	كلمة صغيرة (أرجوزة)	عزاء للمعلم صاحب الرسالة الحقة	القوقعة الدامية	45	البسيط	تحترقُ	287

الفهرست الموضوعي (5ترنيمة على جدار الحب)

مسلسل	عنوان القصيدة	موضوع القصيدة	اسم الديوان	ع أبيات	البحر	القافية	الصفحة
1	ترنيمة تتلو ترنيمة	أول ما كتبت في حب أم عبد الله	ترنيمة على جدار الحب	22	الكامل	فمي	27
2	هنيئاً لك حلاوة الصبر يا خنساء	في الثناء على تماضر بنت الشريد	ترنيمة على جدار الحب	16	المتقارب	ثوى	30
3	حقيقة الشاعر	كيف أكتب الشعر بصدق؟ ولمن؟	ترنيمة على جدار الحب	15	البسيط	الريبِ	33
4	يا صاح أما آن الأوان؟	تقريظ معجم أنطوان الدحداح	ترنيمة على جدار الحب	15	الطويل	المرطبِ	35
5	العذراء والقلم التائه	كاتبة ساقطة تدعو إلى الجاهلية	ترنيمة على جدار الحب	15	البسيط	والقلمُ	37
6	تصابى الكهول ومات الصبا	كل أشيب ينبغي أن يكون وقوراً	ترنيمة على جدار الحب	15	المتقارب	يهربُ	38
7	أسمى آيات التهاني (قصيدة أعراس)	تحية لكل عروس تحكم الإسلام	ترنيمة على جدار الحب	21	مج الرمل	المعالي	45
8	أشواق وراء المجهول	الاشتياق إلى الماضي سمتٌ عام	ترنيمة على جدار الحب	112	الكامل	قوافي منوعة	60
9	يا صاح كف عن الهراء	الكُتاب الذين يكتبون على هواهم	ترنيمة على جدار الحب	14	السريع	العطبُ	69
10	رسالة مودة للشاعر سالم النوبي	بعد رحيله عني إلى مصر قلت:	ترنيمة على جدار الحب	15	الخفيف	الأحزانُ	82
11	اتركوني مع من أحببت في الله!	فطنتْ لما يريده أهلها فحايدتهم	ترنيمة على جدار الحب	23	الخفيف	الأوغادِ	83
12	الأفعى	نفخها المال فكان لها فحيح غث	ترنيمة على جدار الحب	127	الخفيف	الربواتِ	106
13	رسالة إلى المرتزقة	لا يضحي بالعقيدة إلا المرتزقة!	ترنيمة على جدار الحب	40	الرمل	لا يداجي	113
14	الأخوة الزائفة (سداسيات شعرية)	ابتليتُ بإخوة مُزيفين كثيرين!	ترنيمة على جدار الحب	30	الرمل	قوافي منوعة	120

15	لا يا من كنت شقيقي!	لم أتصور إخوة أشقاء كهؤلاء!	ترنيمة على جدار الحب	70	الكامل	بالألوان	123
16	لا تبك يا صديق الأمس!	لعب بالنار فاحترقت صداقتنا!	ترنيمة على جدار الحب	37	الطويل	ليس يثمرُ	127
17	الرجولة الموءودة	الأخوان لا تفرقهما النساء أبداً	ترنيمة على جدار الحب	26	الخفيف	رسولُ	130
18	شقيقان فرقهما الهوى	الشقيق الحق لا تغيره الظروف	ترنيمة على جدار الحب	86	الرمل	عذبا	132
19	شرودٌ وضياع	أحد طلابي شرد ومال للجاهلية!	ترنيمة على جدار الحب	46	الرمل	أجدى	137
20	تحية لسلاطين آل عثمان	ظلموا كثيراً وأردتُ أن أنصفهم	ترنيمة على جدار الحب	16	الكامل	الشاءُ	144
21	ترنيمة على جدار الحب	ثاني ترنيمة لأم عبد الله خطيبة	ترنيمة على جدار الحب	86	الكامل	والإيمانِ	145
22	الفجر الضائع (خماسيات شعرية)	مهما طال الليل سيطلع الفجر!	ترنيمة على جدار الحب	115	الوافر	ويحتوينا	150
23	عندما تعود	كلنا أمل في عودة الإسلام للدار	ترنيمة على جدار الحب	22	الرجز	كآبتي	160
24	الرجولة والشجاعة	أجرى جراحتها وهو المصاب!	ترنيمة على جدار الحب	23	الخفيف	لا تتسامى	162
25	بريد الذكريات	هدية للسلطان محمد الفاتح	ترنيمة على جدار الحب	19	الطويل	المتبسمِ	164
26	صياغة لمعلقة عمرو بن كلثوم	أعجبتني معلقته فصغتها علينا!	ترنيمة على جدار الحب	83	الوافر	الجاهلينا	168
27	ألا يا صريع المال	إلى كل مرتزق يبيع دينه للمال!	ترنيمة على جدار الحب	41	الوافر	دويا	178
28	الطوفان	يوم شمت في مصابي المرتزقة	ترنيمة على جدار الحب	50	الرمل	الودُّ	181
29	أتيناكم أتيناكم (قصيدة أعراس)	نسجت على رجز النبي عليه السلام	ترنيمة على جدار الحب	97	مج الوافر	قوافي منوعة	185
30	ما لا أستطيع فهمه	قصة حطيط الزيات مع الحجاج	ترنيمة على جدار الحب	36	الخفيف	خرابُ	194
31	شموع ودموع (الحجاج وسعيد)	قصة ابن جبير مع الحجاج!	ترنيمة على جدار الحب	35	البسيط	جوقة الريبِ	197

32	رجال ومواقف	أحمد بن حنبل رجل المواقف	ترنيمة على جدار الحب	17	الرمل	مثالْ	206
33	المشيب الناعي (أنى لمثلك الاعتبار)	اختارته أشيب زوجاً وراحت تشكو	ترنيمة على جدار الحب	52	الكامل	تتمذهبُ	208
34	شتان بين الظل والحرور	الصديق الوفي عملة نادرة	ترنيمة على جدار الحب	15	الطويل	فتنة كبرى	211
35	في ظلك الجميل	القصيدة الثانية لابني عمر	ترنيمة على جدار الحب	27	البسيط	تيها	213
36	إن قلبي جريح	نظرت لمسجد حيل بيني وبينه	ترنيمة على جدار الحب	30	البسيط	ومن فعلوا	231
37	إن له لحلاوة!	تحية للأخ عبد المنعم عبد المبدي	ترنيمة على جدار الحب	53	الرمل	العنبرِ	233
38	حوار الشجون (أم عمران)	حوار أخوي صريح مع أم عمران	ترنيمة على جدار الحب	62	البسيط	والكلمُ	237
39	شعري يَرجحُ كنوز الأرض	أحد الجهلاء يعيرني بأشعاري!	ترنيمة على جدار الحب	20	الخفيف	البرايا	247
40	المخرجُ من عُنق الزجاجة	الحكم على توبة العصاة لله وحده	ترنيمة على جدار الحب	48	الرمل	كالقيودِ	250
41	تحية للشاعرة صابرة محمود العزي	أحيي الشاعرة على ديوانها	ترنيمة على جدار الحب	15	البسيط	لياليا	262
42	يا فتاتي رجعي الشعر الجلي	بعد رحيل أم عبد الله الثاني!	ترنيمة على جدار الحب	47	مج الرمل	الخلي	265
43	حياك الله يا صاحبة القرآن عصماء	الفتاة الإماراتية القرآنية الصادقة	ترنيمة على جدار الحب	111	الخفيف	حيارى	268
44	هذا بعض ما أعيش (لأولادي)	معارضة الأميري لرحيل أولادي	ترنيمة على جدار الحب	48	السريع	والطربُ	275
45	غرد يا بلبل النشيد (أبو عابد)	تحية للمنشد أبي عابد	ترنيمة على جدار الحب	15	الخفيف	أنسي	278
46	انصح وأجرك على الله	للشاعر عبد الرحيم السعيدي	ترنيمة على جدار الحب	15	الكامل	عقولا	279
47	الثعبان	دلس في عقد الشراء وسرق الأرض	ترنيمة على جدار الحب	14	المجتث	خطبي	284
48	تائبة	ممثلة نذرت التوبة لله وصدقت!	ترنيمة على جدار الحب	14	المتدارك	هندا	285

الفهرست الموضوعي (6الأمل الفواح)

مسلسل	عنوان القصيدة	موضوع القصيدة	اسم الديوان	عدد الأبيات	البحر	القافية	الصفحة
1	أيتام في دياجير التيه	أيتام أنجاهمُ الله من حادث فظيع!	الأمل الفواح	15	البسيط	معسولُ	25
2	مع هازل في ظلمات الجاهلية	قتل ولديه بغضاً في البنات فعوقب!	الأمل الفواح	15	الرمل	يأتزر	26
3	وربما حار الدليل	هدية للدكتور الشاعر العشماوي	الأمل الفواح	67	البسيط	السلفُ	28
4	لا تنبشي الماضي	أول قصيدة مهداة لأم عبد الله!	الأمل الفواح	178	الكامل	فأنا لها	36
5	المعلم الضحية	في عزاء المعلم الذي أهين كثيراً!	الأمل الفواح	16	المتقارب	ريع الشباب	46
6	الأمل الفواح	لا بد من الأمل وإحسان الظن بالله!	الأمل الفواح	23	المتقارب	الظَلَمْ	48
7	تحية للشاعر أحمد محرم	أحيي الشاعر أحمد محرم على جهده	الأمل الفواح	15	الوافر	تبسمْ	59
8	بين الأمس واليوم	فرق شاسع بين الماضي والحاضر	الأمل الفواح	380	الكامل	المتينْ	63
9	وجه أبي ذر وقلب أبي لهب	بقاع كانت دار إسلام ثم بدلت فضلت	الأمل الفواح	220	الكامل	بالحجرْ	88
10	ولدي عبد الله	يوم ولادة عبد الله سعدتُ كثيراً!	الأمل الفواح	232	الكامل	يا ذا البطلْ	103
11	رسالة شعرية إلى صاحبة الدموع	لأم المؤمنين عائشة وبكائها المرير	الأمل الفواح	41	الرمل	اليقينْ	121
12	أفراح	قصيدة بمناسبة عرس عمر داوود	الأمل الفواح	22	مج الرمل	الجميلْ	129
13	نشيد: أفلا يأتي	الاشتياق للإسلام أمل كبير	الأمل الفواح	26	المتدارك	إسلامية	133
14	تعيرني بضيق العيش	عتاب لأم عبد الله في غربتنا الفجة	الأمل الفواح	30	الوافر	قلبي	140

15	الحذر الحذر من الغرور	لا يزال الغرور يمحو كل المناقب	الأمل الفواح	52	مخلع الرجز	قافية منوعة	147
16	رسالة إلى مسليمة الكذاب	أبين للدجل القديم والمعاصر حقيقتهما!	الأمل الفواح	26	البسيط	أرشدني	151
17	تحية للشاعر أحمد فرح العقيلان	أحيي الشاعر العقيلان على شعره!	الأمل الفواح	15	الكامل	سترنمُ	153
18	من هنا وهناك	رضا الناس غاية لا تُدرَك أبداً!	الأمل الفواح	32	البسيط	الأفف	155
19	عندما أحب	قصيدة لابني عمر وعمره سنة!	الأمل الفواح	34	المتقارب	حبيبْ	162
20	ليتك ترى	عندما مرض ابني عمر الفاروق!	الأمل الفواح	30	الكامل	العَبَراتُ	172
21	أنى لي الفرحة (عتابية)	مطلقة تعاتب زوجها وتسأله الرجوع!	الأمل الفواح	17	المتقارب	النوى	178
22	العيد عيدكم (انتصارية)	يتيم يقارن بين عيد بأب وعيد بدون أب	الأمل الفواح	15	البسيط	وانبلجا	179
23	حوار مع القلم (نهج نهج البردة)	هدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم	الأمل الفواح	73	البسيط	نهر دمي	180
24	أكرموا ضيفكم	العيد يعتب على من لم يحسنوا استقباله	الأمل الفواح	15	الوافر	فلتحملوني	191
25	نصيحة للمتوسل بالقبور	لا يجوز التوسل بالقبور بل بالله وحده	الأمل الفواح	15	البسيط	للبشَرِ	194
26	تحية للدكتور الصلابي	أحيي الدكتور الصلابي على جهوده!	الأمل الفواح	13	المتقارب	الجمالْ	195
27	رويداً أيها المرتزقة	الدعاة نوعان أصحاب رسالة ومرتزقة!	الأمل الفواح	19	المتقارب	لا تستبقْ	196
28	تصويب	أصوب للشابي قصيدته: إذا الشعب يوماً!	الأمل الفواح	14	المتقارب	المقتدرْ	198
29	في موكب الحجيج	هناك في عرفات ومنى تسكب العبرات	الأمل الفواح	16	الخفيف	سنا الأشواقِ	199
30	لماذا يصر بعضهم على السطو الفكري؟	أسأل من يسرقون أعمال غيرهم لماذا؟	الأمل الفواح	17	الخفيف	السمّارِ	200
31	رسالة العيد إلى أمة الإسلام (عتابية)	يعتب العيد على الأمة هذا الحال المزري	الأمل الفواح	14	البسيط	والسمرُ	203

32	رسالة الأمة إلى العيد (اعتذارية)	تخيلتُ الأمة ترد على العيد مبررة حالها	الأمل الفواح	14	البسيط	ينحدرُ	204
33	جمال الدنيا سراب	الإمام النووي كان شجاعاً في الحق!	الأمل الفواح	48	البسيط	وبنيانُ	206
34	الأحياء أولى بالعيد	عادة بدعية ضالة أن يُذهب للقبور في العيد	الأمل الفواح	15	الخفيف	الزوارا	215
35	ألغاز شعرية (تسعة ألغاز مع الحل)	في قناة المجد أعددتُ هذه الألغاز للتندر	الأمل الفواح	18	بحور منوعة	قوافي منوعة	216
36	في رحاب الزاهدين	تحية شعرية للإمام أبي حنيفة النعمان!	الأمل الفواح	53	البسيط	ما جمعوا	219
37	حنين القلب (رثاء عبد الباسط)	يوم وفاة الشيخ عبد الباسط عبد الصمد	الأمل الفواح	50	البسيط	ينتشرُ	230
38	وصية رقيقة لك يا غدير	أوصى إحدى طالباتي مجموعة وصايا!	الأمل الفواح	185	الوافر	البناتِ	239
39	القصيدة النونية السليمانية (حسان)	يوم ولادة ابني حسان ألهمني الله شعراً	الأمل الفواح	195	الكامل	الرحمنِ	255
40	أكتب الشعر حتى يسود الحق	أعارض الشحي في مدح اللغة العربية	الأمل الفواح	15	الكامل	أشغفُ	275
41	إنا لله وإنا إليه راجعون	أب عاقب ولده عقاباً أودى بأطرافه!	الأمل الفواح	44	البسيط	محتسبا	276
42	صدقت رؤياك يا خالد	أحيي الصحابي العبقري خالد بن الوليد	الأمل الفواح	30	الكامل	بعذب قوافي	279

الفهرست الموضوعي (7من وحي الذكريات - جزء أول)

مسلسل	عنوان القصيدة	موضوع القصيدة	اسم الديوان	ع أبيات	البحر	القافية	الصفحة
1	حملٌ بين الذؤبان (عبد الكريم رجب)	الأستاذ عبد الكريم وموقف الإدارة!	من وحي الذكريات.أول	45	الكامل	التطبيلا	19
2	مع سبق الإصرار والترصد!	قهرٌ أن تكون العواهر على التليفون!	من وحي الذكريات.أول	23	الخفيف	انتحابي	24
3	يا هذه اعدلي بين رضيعيك!	أحسنتْ للقيط أضعاف ما للرضيع!	من وحي الذكريات.أول	34	البسيط	الواحد الحكمِ	33
4	ما نقص مال من صدقة	تصدق بالخروف بسيف الحياء!	من وحي الذكريات.أول	41	البسيط	من عدمِ	41
5	وهل في مثل هذا مزاح؟	أن تخبر بموت صديق عبر هاتفه!	من وحي الذكريات.أول	38	الكامل	كفيلُ	45
6	الحكم بعد المداولة	يكسب القضية بعد رفضه تحية العلم	من وحي الذكريات.أول	33	البسيط	يجبُ	49
7	دخلت الإسلام من الحجاب ومنه خرجت	الفنانات يتحجبن وينزعن الحجاب!	من وحي الذكريات.أول	26	البسيط	وبرهانُ	54
8	أبتاه لا تفعل!	طالب يعطي حق المعلم من مصروفه	من وحي الذكريات.أول	21	الرمل	سِمَة	57
9	نعم الميت! ونعمت الميتة!	في رثاء محمد عبد الوهاب صابر	من وحي الذكريات.أول	72	البسيط	مكتئبُ	59
10	شعر يؤبن صاحبه	تخيلتُ شعري يؤبنني بعد رحيلي!	من وحي الذكريات.أول	78	الكامل	ألحاني	67
11	سهام	عشقها فلا يستطيع أن ينساها أبداً!	من وحي الذكريات.أول	22	الكامل	والدارُ	79
12	ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب	أشيب لا يحترم سنه فوعظته بشعري	من وحي الذكريات.أول	51	البسيط	محترمِ	84
13	وهل من مات يعود إلى الدنيا؟!	آثر زوجته على أمه فكانت مأساة!	من وحي الذكريات.أول	56	الوافر	مستطابا	91
14	سالي والدنية في الدين	كانت محجبة وفتنت عن حجابها!	من وحي الذكريات.أول	35	الوافر	بابتذال	103

15	عندما تثمر التربية	قصة المليونير مع المعلم السوداني	من وحي الذكريات.أول	35	الوافر	احتمالي	121
16	إبراهيم مصطفى في ذمة الله	في رثاء الصهر العزيز (إبراهيم)	من وحي الذكريات.أول	68	البسيط	ثم قمِ	129
17	أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً	أحيي الأستاذ الجدع على جهوده!	من وحي الذكريات.أول	85	الكامل	والإكرامِ	138
18	حسابي مع حاقد	ينبغي على الأهل المحبين ألا يحقدوا	من وحي الذكريات.أول	137	البسيط	مسؤولُ	185
19	تغير الحال أم الخال؟!	كنت أتصور استمرار الحب بين الناس	من وحي الذكريات.أول	47	البسيط	وأحوالُ	195
20	نشيد وردة في ربيع العمر	إنها دواوين شعري بذكرياتها العذبة	من وحي الذكريات.أول	15	الطويل	والوقائعُ	201
21	لتبيننه للناس وكفى يا أخية!	إذا لم نعترف بالجميل فلا نغير الحق	من وحي الذكريات.أول	14	الكامل	الفرد الصمدْ	203
22	كوني برداً وسلاماً!	موقف أبي مسلم الخولاني مع العنسي	من وحي الذكريات.أول	14	الخفيف	صفو الصدورِ	205
23	وما أسألكم عليه من أجر!	تناولتُ زنا العين فهاج أحدهم جداً!	من وحي الذكريات.أول	14	البسيط	وتبييني	206
24	الأمير الطيان	تحية لعمر بن عبد العزيز رحمه الله!	من وحي الذكريات.أول	13	الوافر	والكروبُ	207
25	الخنساء الشاعرة	تحية للصحابية تماضر بنت الشريد!	من وحي الذكريات.أول	14	الكامل	المدى	208
26	نهج نهج البردة 2	أعارض بردة البوصيري!	من وحي الذكريات.أول	183	البسيط	وعن أممِ	209
27	إلى مظلوم مقهور	أحسست بالظلم فعزيت نفسي شعراً!	من وحي الذكريات.أول	88	الكامل	ومُنجدي	223
28	رسالة إلى سائق متهور	سائق متهور صدم صبياً بسيارته!	من وحي الذكريات.أول	97	الرمل	فاستعدا	229
29	الأشقاء الأعداء	تآمروا على أخيهم الشهم في غربته	من وحي الذكريات.أول	25	الرمل	الكذبُ	236
30	بصقة تائب فاحتسبها	غني يُسأل الصدقة فيبصق ثم يندم!	من وحي الذكريات.أول	15	الكامل	وشقاءُ	242
31	وليس التفاح كالحنظل	رفض أن يتزوج بعد رحيل زوجته!	من وحي الذكريات.أول	14	البسيط	والروحُ	243

32	صفعة أورثت توبة	صبي كان سبباً في ترك أبويه التدخين	من وحي الذكريات.أول	15	الكامل	وشفاءُ	244
33	هنيئاً لك الإسلام يا لينة!	شامية أسلمت وناقشتني في شبهات	من وحي الذكريات.أول	42	البسيط	في القدرِ	245
34	أيها الحادي	أخذ ينال من البحور والقوافي!	من وحي الذكريات.أول	10	المتدارك	لغة الضاد	251
35	أبو غياث المكي	رد الأمانة لصاحبها فكافأه بإهدائها!	من وحي الذكريات.أول	40	الطويل	ومكسبُ	257
36	بكائية إسماعيل سليم	في رثاء الأستاذ إسماعيل علي سليم	من وحي الذكريات.أول	50	البسيط	مطعونُ	262
37	عكرمة بن أبي جهل – رضي الله عنه -	أحيي الصحابي عكرمة بن أبي جهل	من وحي الذكريات.أول	22	الكامل	والأمداح	267
38	الكومودو البشري	مدير مراهق تذيبه النساء عشقاً!	من وحي الذكريات.أول	31	البسيط	أغرارُ	272
39	عُرسان في ليلة	أبو عبد الله الذي تزوج امرأتين في ليلة	من وحي الذكريات.أول	53	الخفيف	والغِيدُ	277
40	سمية بنت خياط	أم عمار أول شهيدةٍ في الإسلام!	من وحي الذكريات.أول	25	البسيط	لحارا	281
41	شجاعة إبراهيم مصطفى	موقف لا أنساه لإبراهيم مصطفى!	من وحي الذكريات.أول	31	الكامل	رجالا	285
42	شاي بالنعناع	وعدي لابني عبد الرحمن بإكمالها	من وحي الذكريات.أول	18	الكامل	بلا نعناعِ	290

الفهرست الموضوعي (8الصعايدة وصلوا)

مسلسل	عنوان القصيدة	موضوع القصيدة	اسم الديوان	عدد الأبيات	البحر	القافية	الصفحة
1	ترويسات الديوان في بدايته كاملة	إهداء – مقدمة – افتتاحية – تمهيد	الصعايدة وصلوا	63	بحور منوعة	قوافي منوعة	22:15
2	خاتمة الديوان في نهايته	ختم الديوان وبلورة أفكاره ومحتواه	الصعايدة وصلوا	18	الوافر	البريقُ	288
3	انحدار إلى عالم الأغاني	كان محباً للقرآن ثم فتن عنه بالغناء	الصعايدة وصلوا	15	المضارع	الرعاعُ	28
4	الفجور تحرير من القيم	زاوية الانحراف تبدأ حادة ثم تنفرج	الصعايدة وصلوا	15	السريع	وما ازدجروا	29
5	الثور الأبيض	شهادتي عن الفرق بين طاغوتين!	الصعايدة وصلوا	14	المجتث	غرابة	30
6	طبيب القلوب (ابن قيم الجوزية)	تحية لابن القيم على تصانيفه الفذة!	الصعايدة وصلوا	13	المتدارك	من يقرأ	31
7	جف الحب	ذهب الجدال العقيم بالحب والعاطفة!	الصعايدة وصلوا	12	الطويل	المراتبِ	32
8	أقلوا من أخباركم	الماضي الجاهلي للمرء لا يُشَرفه!	الصعايدة وصلوا	14	الكامل	تتأججُ	33
9	مكانكِ يا مروة	أنابتها معلمتها لتلقي كلمتها!	الصعايدة وصلوا	12	البسيط	سُدى	35
10	رسالة إلى أمل	سرقت حقيبتها فتصدقت بكل مالها!	الصعايدة وصلوا	14	الخفيف	عِياله	37
11	لا يسألون الواعظ الصادق	التلميع لا يغير من حقيقة المرتزق!	الصعايدة وصلوا	14	المنسرح	ذميمُ	41
12	اسمعي يا سوزي	الصديقة السيئة لا تقود إلا إلى السوء	الصعايدة وصلوا	14	المتدارك	القدْحِ	44
13	إياك أعني وعلى الله القبول	نصيحة لصديق فتنه الشيطان!	الصعايدة وصلوا	14	الرمل	ديدنا	46
14	الخمر داء وليست بدواء	مهما رُوج للخمر فإنها داء مبير!	الصعايدة وصلوا	14	المتقارب	مبطلة	48

15	بورك فيك يا شوقي	عندما يتصدق المالك على المستأجر	الصعايدة وصلوا	14	البسيط	القربا	62
16	أحمد قبّش لغوي العصر	أبارك لقبش مصنفه المعجم الفيصل!	الصعايدة وصلوا	13	البسيط	صدى	64
17	غسان حمدون مفسراً	أبارك لحمدون: (من نسمات القرآن)	الصعايدة وصلوا	14	الطويل	الشواهد	66
18	إياك أعني واسمعي يا جارة	العفيفة الحرة التقية صعبة المنال!	الصعايدة وصلوا	19	الكامل	والروحُ	69
19	أسماء الله الحسنى	معارضة للشاعر مليجي علي غانم!	الصعايدة وصلوا	72	البسيط	قبل دمي	71
20	مدرسة يوسف عليه السلام	أحيي الكاتبة المجاهدة صافيناز كاظم	الصعايدة وصلوا	15	الوافر	بانبلاج	77
21	دمعة تأبين على أنور الجندي	في رثاء الأستاذ الفاضل أنور الجندي	الصعايدة وصلوا	15	الوافر	الصباحا	82
22	نعم الأخ! ونعمتِ الأخوة!	تزوج امرأة أخيه الراحل مروءة!	الصعايدة وصلوا	32	الوافر	والصياحُ	85
23	الآداب في كتاب	أبارك للأستاذ محمد عبد العاطي بحيري	الصعايدة وصلوا	13	البسيط	الوثقى	90
24	الشهداء البررة المائة	أبارك كتاب: سيرة شهداء الصحابة	الصعايدة وصلوا	13	الطويل	من مَللْ	92
25	الباشا مؤرخاً	أحيي الكاتب عبد الرحمن رأفت الباشا	الصعايدة وصلوا	13	البسيط	وهاجا	95
26	دمعة طبيب أسنان	تاب عن إيذاء المؤمنين توبة نصوحاً	الصعايدة وصلوا	14	الوافر	مستباحُ	97
27	إلى صاحب القلم النزيه	أحيي الكاتب المحترم أحمد خليل جمعة	الصعايدة وصلوا	13	الطويل	منغمُ	98
28	الجميلات الثلاث	البطلات: بو حيرد – بو عزة - بو باشا	الصعايدة وصلوا	29	البسيط	رُمِي	99
29	من سيذبح المليون؟	بكائية على دماء المسلمين المهدرة	الصعايدة وصلوا	14	المتقارب	سامرُ	104
30	الجزاء من جنس العمل	من لا يرحم الناس لا يرحمه الله!	الصعايدة وصلوا	23	البسيط	ومن ذهبوا	107
31	الإسلام ديوان العرب	لم يعد الشعر ديوانهم بعد الإسلام!	الصعايدة وصلوا	24	الكامل	يا سُمارُ	111

32	تقوى الله نعمة	120000 درهم يردها السائق لأهلها	الصعايدة وصلوا	14	الوافر	الحراما	113
33	تجديد النحو أم تبديده	أعزي أهل العربية في النحو العربي!	الصعايدة وصلوا	22	الكامل	وبئس المنطقُ	118
34	مع الله عز وجل	معارضة للأميري وللدالاتي معاً!	الصعايدة وصلوا	41	المتقارب	والقدَرْ	122
35	الجيلاني الواعظ الصادق	أحيي إمام الحنابلة: عبد القادر الجيلاني	الصعايدة وصلوا	20	الطويل	اكتبْ	127
36	دويلة على (ألف ليلة وليلة)!	أبين حقيقة الأصفهاني الخبيث الساقط!	الصعايدة وصلوا	25	الخفيف	الأذْكياءُ	135
37	بورك فيك يا محمد شريف!	أحيي محمد شريف على جهده العظيم	الصعايدة وصلوا	20	الطويل	الثناءُ	138
38	بل أنا المصاب بالمعرة!	ما قيمة الأهل إن لم يظهروا في الشدة	الصعايدة وصلوا	28	الخفيف	الغثاءُ	140
39	ضرب الزوجة سلوك إسلامي	أعني الضرب غير المبرح المؤذي!	الصعايدة وصلوا	55	الكامل	الرائي	142
40	أرشيف المعالي	ما أجمل العطاء على فقر وخصاصة	الصعايدة وصلوا	11	مشطور الرجز	والآمالِ	154
41	تائبة	أبارك لهذه الناشز توبتها عن النشوز	الصعايدة وصلوا	14	المديد	ذنوبي	155
42	صومعة عابد	ماذا يفعل الناشئ في بيت جاهلي؟	الصعايدة وصلوا	37	المتقارب	ما أمتعه!	157
43	مالك والعزة بالعلم!	أحيي الإمام مالك إمام دار الهجرة!	الصعايدة وصلوا	43	الوافر	العتابا	160
44	قد نبأنا الله من أخباركم	كشف حقيقة حاييم خيفر الصهيوني	الصعايدة وصلوا	15	الطويل	ونشيدُ	168
45	هل المطلقة محرمة؟	أدافع عن الأخوات المؤمنات المطلقات	الصعايدة وصلوا	45	الوافر	الودادِ	177
46	ذرية بعضها من بعض	أحيي باحثة البادية ملك حفني ناصف	الصعايدة وصلوا	25	الخفيف	الشعوبِ	181
47	أسلموا إذن!	مدح الرسول كفار كثيرون ولم يسلموا	الصعايدة وصلوا	20	المتقارب	والكذبْ	184
48	التربية كلها في القرآن	مدير مدرسة يري أن القرآن لا يربي	الصعايدة وصلوا	28	البسيط	والحقبُ	202

49	خديجة القتيلة	خلاف بين زوجين يسفر عن قتلها!	الصعايدة وصلوا	22	الخفيف	النتيجة	204
50	ثلاثة أقمار وأنتِ رابعتهن	رؤيا السيدة عائشة رضي الله عنها!	الصعايدة وصلوا	71	الوافر	الأمهاتِ	206
51	الصعايدة وصلوا 2	أهل الصعيد مبدعون وعباقرة ولا شك	الصعايدة وصلوا	75	البسيط	وما حصلوا	212
52	وما يعلم جنود ربك إلا هو!	عجوز يقتل الله من سرق أموالها!	الصعايدة وصلوا	25	الطويل	محببا	231
53	أليس لك بنيات؟	ساومها فلم استجابت وعظته فتاب!	الصعايدة وصلوا	54	الوافر	الثوابا	233
54	لا عتاب!	ما جدوى الوسطاء بعد خراب المعين؟	الصعايدة وصلوا	13	منهوك الرجز	أنصاعُ لهْ	241
55	من أجلك يا أبانا!	وصل الأبناء صلة الأب بعمله الصالح	الصعايدة وصلوا	29	الوافر	المَكْرُماتِ	243
56	لأنها من صعيد مصر	لم تفتن بالمدينة وما بها من زخارف	الصعايدة وصلوا	14	الكامل	وبطاحِ	270
57	شاعر عصره	أنتقد من عاب شعري بالباطل حسداً!	الصعايدة وصلوا	14	الطويل	والأسما	275
58	فأين المعالي؟	الأخوة بدون البذل والجود لا شيء!	الصعايدة وصلوا	14	الكامل	والإصباحِ	276
59	أرجوزة وما أدراك ما أرجوزة	لا يدوم حال بل تقلبات إصر تقلبات	الصعايدة وصلوا	14	الطويل	مُثْكلُ	278
60	المرثية السليمانية (رثاء والدي)	رحيل الأب فقدان أغلى صديق وفي!	الصعايدة وصلوا	50	البسيط	تُشقيها	279
61	المرثية السماحية (رثاء والدتي)	أثر فيّ كثيراً رحيل أمي فكتبت!	الصعايدة وصلوا	50	الكامل	تحدرا	282
62	قرتا العين (رثاء والديّ معاً)	استجابة لطلب الأستاذ أحمد جمال!	الصعايدة وصلوا	50	البسيط	الكافُ والنونُ	285

الفهرست الموضوعي (9ذل الجمال)

مسلسل	عنوان القصيدة	موضوع القصيدة	اسم الديوان	ع الأبيات	البحر	القافية	الصفحة
1	الشاعر المفترى عليه	عزيت شاعراً لم يربح مالاً ولا شهرة قط!	ذل الجمال	14	الرمل	والذهبْ	21
2	صدقت يا أبتاه!	اعتذر لأبيه لما تبين قيمة نصحه فيما بعد!	ذل الجمال	14	المتقارب	والجوى	22
3	احترموا صاحب القلم!	عاشوا كالسوائم فلما نصحهم حكيم أعرضوا	ذل الجمال	14	الوافر	والصفاحِ	23
4	ليس هذا من صعيد مصر	صعيدي أصيل لم يتخل عن تقاليده الطيبة!	ذل الجمال	14	المضارع	مستبينة	24
5	ماذا دهاك يا خالد؟!	إن رد الجميل سمت كرام الناس فقط!	ذل الجمال	14	السريع	يا ورعُ	25
6	قلب يعذب	تعزيتي شعراً لزوج بين خيارين كلاهما مر!	ذل الجمال	14	المجتث	الجلادة	26
7	أبشر يا وليم!	تنصر ثم تهود ثم أسلم وأحسن فصده قومه	ذل الجمال	14	المتدارك	لتفلحْ	27
8	عتاب	لم تغير من حولها للأفضل بل غيروها للأسوأ	ذل الجمال	14	المنسرح	عتابه	29
9	العاصفة	تزوجها يحسبها صالحة ، ولم تكن فعانى!	ذل الجمال	14	الخفيف	البداية	31
10	دمعة تأبين على الشهداء	في رثاء مجاهدي الصومال المحتسبين!	ذل الجمال	14	الطويل	قصائدي	33
11	حوار مع لبنانية	كاتبة إباحية تحارب الحجاب وتدعو للتبرج	ذل الجمال	14	الكامل	منكرا	34
12	العاشقة وجحيم العشق	تطلعت للرجال وسامرتهم حتى ملوها!	ذل الجمال	14	البسيط	والصدِ	35
13	الناقد الصادق	ما أصعب النقد الصادق إذ يقلب المواجع!	ذل الجمال	14	المقتضب	منطلقُ	37
14	شموخ ناقة	كان في موت هذه الناقة عبر لكل من رآها!	ذل الجمال	60	الوافر	النائباتِ	43

15	همسة عتاب باكية	أعاتب أم عبد الله وأذكرها الماضي الجميل!	ذل الجمال	80	الكامل	واسلمي	48
16	جعلوني مغنماً!	تزوج من ابنتهم فاستنزفوه بدرجة رهيبة!	ذل الجمال	81	الخفيف	بالطغيان	53
17	لبيك يا ابنة العم	ابنة عمه أبت الزواج من سواه فتزوجها!	ذل الجمال	58	البسيط	وأبتهلُ	58
18	دموع تائبة	سمعت البريك بدون قصد فتابت وأنابت!	ذل الجمال	61	البسيط	الخطبِ	72
19	رسائل	قصة مارجريت ماركس (مريم جميلة)!	ذل الجمال	22	البسيط	كُتُبا	81
20	زواج بالإكراه	قتل زوجها ويتم أولادها فكوفيْ بزواجها!	ذل الجمال	38	الكامل	يرفقُ	83
21	دمعة	موقف إخوة يوسف ذكرني بإخوتي الأنذال	ذل الجمال	15	الخفيف	حقا	91
22	صدقة هذه أم فضيحة؟	وسطاء الصدقة الهمج يصورون المساكين!	ذل الجمال	62	البسيط	من عمُوا	92
23	أمومة بلا رصيد	أعزها الله بعد ذل فآثرت الذل والهوان!	ذل الجمال	100	البسيط	يجبُ	97
24	صدقوا ، وهمُ الكاذبون!	الغربيون يمدحون الرسول ولا يُسلمون!	ذل الجمال	63	البسيط	كالماءِ	112
25	وصول أهل الصعيد	مهما تكلمنا عن كرماء الصعيد فلن نوفيهم	ذل الجمال	40	المتقارب	الجميلْ	116
26	ذل الجمال	صديق تزوج للجمال فأذله الله إذلالاً كبيراً!	ذل الجمال	103	البسيط	والأدبِ	135
27	كما بدأكم تعودون	سنة الله أن يشيب الوليد ويعود كالوليد!	ذل الجمال	63	الكامل	فيه خفاءُ	153
28	ماذا دهاكِ يا ست النساء؟!	ابنة أحمد بن طولون وتغير الحال والمآل!	ذل الجمال	70	الخفيف	دموع الرثاءِ	159
29	أنتِ خيرٌ من أمي (مرثية على لسان لقيطة)	لقيطة أحسنت إليها إحدى المتصدقات فمدحتها	ذل الجمال	33	البسيط	وذي جمْرُ	164
30	أسلم سبعة بسبب حجابها	مسلمة أمريكية تمسكت بحجابها فأسلم سبعة	ذل الجمال	25	البسيط	أكياسا	166
31	عندما يصدق الشاعر	موقف عبد الحميد الديب مع الديوان الملكي	ذل الجمال	52	الوافر	والبلاءَ	172

32	العاشقة	أنفقت مال زوجها المغترب على عاشقها!	ذل الجمال	46	الخفيف	النهارِ	176
33	من منا المصاب؟	الأخ حسام وزوجه آية في التصبر على ابنهما	ذل الجمال	24	البسيط	الغيَرُ	179
34	جحيم العشق	رغم جمال زوجته عشق أختها لدناوته!	ذل الجمال	35	الخفيف	الأرجاسا	181
35	فأين التكلف إذن؟	لا تبنى البيوت على الحب في غالب الأحيان	ذل الجمال	73	المتقارب	يعتبرْ	184
36	بينكما أنا الغريب!	تطلع صديقه لزوجته وتطلعت إليه فكان غريباً	ذل الجمال	70	الوافر	والأمنياتِ	189
37	عقوق عواقبه وخيمة	معارضة لقصيدة ابن أبي الصلت غذوتك!	ذل الجمال	68	الطويل	تكُ تعقلُ	196
38	فأين تذهبون؟	يمني نصب على الناس وسرق ملايينهم!	ذل الجمال	29	الكامل	ولا استئنافِ	203
39	كن كما أنت!	دفاع عن العلامة محمد علي الصابوني!	ذل الجمال	20	الرمل	الفتونْ	208
40	امتَهنوا فما امتُهنوا!	كان للعلماء الأوائل مهن فلم يطوعوا الدين	ذل الجمال	120	الكامل	الأثمانِ	216
41	هذا بلاؤك يا ابن سليمان!	ابتليتُ كثيراً فما عزاني أحد فعزيتُ نفسي!	ذل الجمال	32	الكامل	المولى العلي	231
42	ارجعي وإلا أخبرتُ أبي!	زوجة أبيه وتراوده عن نفسه فراح يهددها	ذل الجمال	58	البسيط	يستشري	233
43	هذا من فضل ربي	درّستُ لمعلمتي زينب الهوال الأدب المقارن	ذل الجمال	33	الوافر	مَن تُطري	242
44	خالتهم بهم أولى	توفيتْ أمهم فتزوج خالتهم لتكون لهم أماً!	ذل الجمال	52	الوافر	بحارُ	245
45	ما ضر أبا محمد ما فعل بعد اليوم!	أحيي الشيخ صبري عبد اللطيف أبو خليل	ذل الجمال	26	الوافر	الفخارُ	251
46	ترويسة الديوان	إهداء – مقدمة – افتتاحية – تمهيد	ذل الجمال	50	بحور منوعة	قوافي منوعة	16:9
47	خاتمة الديوان	خاتمة تلخص أفكار ومحاور الديوان!	ذل الجمال	18	الوافر	الموعبِ	292

الفهرست الموضوعي 10ماسحة الأحذية

مسلسل	عنوان القصيدة	موضوع القصيدة	اسم الديوان	ع أبيات	البحر	القافية	الصفحة
0	ترويسة الديوان	إهداء – مقدمة – افتتاحية – تمهيد	ماسحة الأحذية	52	بحور منوعة	قوافي منوعة	14:7
0	خاتمة الديوان	خاتمة تلخص أفكاره ومحتواه!	ماسحة الأحذية	21	الوافر	التحايا	289
1	وفاء شاعر	وجه إليّ لوم في مدح أساتذتي!	ماسحة الأحذية	15	الخفيف	يمتازُ	17
2	من الكباريه	داعية يستأجر كباريه ويعظ أهله!	ماسحة الأحذية	14	البسيط	انطلقوا	18
3	أمانة	أفشت سر زوجها وخانت أمانته!	ماسحة الأحذية	14	المتقارب	البشرْ	19
4	عالم الدنس	عمل في ملهى وتركه من أول ساعة	ماسحة الأحذية	14	المنسرح	الشريفة	20
5	سلوك عواقبه وخيمة	هازل سفيه عُين مديراً فكانت مأساة	ماسحة الأحذية	14	المقتضب	منحرف	22
6	إلى كل مجني عليها	ساقطة تزوجت عرفياً وانحرفت!	ماسحة الأحذية	12	الرمل	الصرمعة	25
7	أشهر العقيدة	ينبغي مقاطعة أفراح الجاهلية!	ماسحة ماسحة	14	المضارع	الأنبياءِ	28
8	ألف ليلة عيد	يوم تخرجتُ وغادرت كلية الآداب!	ماسحة الأحذية	14	السريع	والهدفا	29
9	أبشر بالشهادة	صديق رحل بعد صراع مع المرض	ماسحة الأحذية	12	المجتث	متعة	30
10	أرجوزة تنتظر أرجوزة	شاعر متفحش يصف امرأة!	ماسحة الأحذية	14	المتدارك	جاهرْ	34
11	بعد اليوم بين بين	قررَ أن يتوسط في الأمور فلا يغلو!	ماسحة الأحذية	14	الكامل	الغلواءُ	35
12	يا أسفى على الجمال	مدرسة رسم متبرجة ماتت على ذلك	ماسحة الأحذية	63	البسيط	والغزلْ	42

13	هذي مني وأنا منها	مؤمنة لجأت إليّ لأحميها من السفهاء!	ماسحة ماسحة	57	الخفيف	تستجيرُ	46
14	حوار مع مستشعر نبطي	ينبغي أن نضع حداً للزجل والهراء النبطي	ماسحة الأحذية	57	المتقارب	المعمعة	53
15	أخوتان	تكاليف الأخوة الإيمانية شاقة جداً!	ماسحة الأحذية	71	البسيط	ومن عقلوا	62
16	نعمتِ التربية	مات الأب فباعت الأم الفجل وربّتْ!	ماسحة الأحذية	30	الخفيف	الخيلاءَ	69
17	تقبلي العزاء	مفسدات يواسين من تزوج زوجه عليها	ماسحة ماسحة	55	الوافر	الشكاةِ	71
18	لن أتقبل عزاءكن!	صالحة ترد مواساة وعزاء المفسدات	ماسحة الأحذية	70	الوافر	الترهاتِ	76
19	على يديك أتوب!	انحرفت وتوسلت إلى أخيها فقبل وتابت	ماسحة الأحذية	80	البسيط	ينسكبُ	86
20	تيس يرث نعجة	أتي ليحلل فماتت زوجته الثرية فورثها!	ماسحة الأحذية	22	المتقارب	واللومِ	92
21	ماسحة الأحذية	مات زوجها ماسح الأحذية فعملت بمهنته!	ماسحة الأحذية	29	الطويل	أن يتذكرا	97
22	أشهر قرآنك	على نياغوس أطربني سماع القرآن!	ماسحة الأحذية	59	الخفيف	والميولا	122
23	عندما يستنوق البعير	نساء يضربن أزواجهن! يا للعجب!	ماسحة الأحذية	83	الوافر	الناشزاتِ	135
24	الصعيدي عندما يعف!	طالب صعيدي عف عن الحرام فأكرمه الله	ماسحة الأحذية	67	الكامل	دليلا	141
25	إنك لا تهدي من أحببت (حفصة)	إحدى طالباتي هداها الله بعد حين!	ماسحة الأحذية	80	الخفيف	الرباني	149
26	المروءة	المروءة المفرطة في زماننا مكلفة جداً!	ماسحة الأحذية	75	البسيط	قد شغلوا	154
27	شرفٌ لا يبارى	حصول خالتي وداد سماحة على سند!	ماسحة الأحذية	25	الخفيف	الفلوسُ	160
28	عيد الحب (أرجوزة)	أنتقد تماهي المتمسلمين مع عيد الحب	ماسحة الأحذية	16	البسيط	قوافي منوعة	169
29	وصية أمامة لأم إياس (أرجوزة)	أمدح الوصايا العشر التي لا يُعمل بها!	ماسحة الأحذية	55	البسيط	قوافي منوعة	175

30	تقوى الله هي السعادة	إلى عابثي فرنسا الذين التقاهم الجزائري	ماسحة الأحذية	22	الخفيف	المطايا	193
31	الموسيقى داء وليست بدواء	كثر المدافعون عن الموسيقى اليوم!	ماسحة الأحذية	26	الكامل	الخناسُ	195
32	الحلال بين والحرام بين	عماني يرفض ثلاثين ألف ريال ربا!	ماسحة الأحذية	13	الرمل	الصورْ	207
33	الوهم	زوجة تغار من زوجها على ابنتها!	ماسحة الأحذية	14	المتقارب	هبة	222
34	السقوط	عم يأكل مال ابن أخيه اليتيم علانية!	ماسحة الأحذية	15	المتقارب	تستقيمْ	223
35	جويرية تضرب بالدف	ضرب الدفوف في الأعراس سنة!	ماسحة ماسحة	16	الكامل	الإسلامُ	224
36	عابد مفترى عليه	أدافع عن الحسن البصري الموحد!	ماسحة الأحذية	14	البسيط	وشُراحِ	230
37	ليس هذا مكانك	مؤمن يذهب إلى السينما ليغري غيره!	ماسحة الأحذية	25	المتقارب	الفضولْ	235
38	وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين	قصيدة أنشدها إبراهيم الهاجري!	ماسحة الأحذية	20	الوافر	الضلالا	240
39	وللشهامة تكاليف	فوزي ربيع ينقل محمداً إلى المستشفى	ماسحة الأحذية	37	الخفيف	والخسران	246
40	فضيحة	مستشعر يشتري الشعر وينسبه لنفسه	ماسحة الأحذية	15	الطويل	الفضائحِ	264
41	عتاب مستعفف	طالبة تكشف وجهها فأمرتها بستره!	ماسحة الأحذية	16	المتدارك	يا نهلة	274
42	عالم عصره	أدافع عن الدكتور عمر عبد الكافي!	ماسحة ماسحة	15	الخفيف	حُراسهْ	280
43	الغربة على يديك	سوء اختيار الزوجة جريمة كبرى!	ماسحة الأحذية	14	الرمل	أزهى	283
44	بسبب حجابها	لم يطقها المجتمع بسبب حجابها فعانت	ماسحة الأحذية	13	الوافر	بالصعابِ	288

الفهرست الموضوعي 11دموع التصبر

مسلسل	عنوان القصيدة	موضوع القصيدة	اسم الديوان	ع أبيات	البحر	القافية	الصفحة
1	رمضان شهر الخير	يفرح المؤمنون برمضان فرحة كبيرة	دموع التصبر	18	مجزوء الرمل	المُطِلا	17
2	رضيعة الحاوية	رضيعة كانت ضحية أب ظلم ثم تاب!	دموع التصبر	35	المتقارب	فلتقبلي	23
3	عاشق الزبالة	زبال أمريكي يصر على عشق الزبالة	دموع التصبر	21	المتقارب	الإمامة	42
4	طلقها زيد وتزوجها عمرو لأنها عقيم	عجيبٌ أن يشتهي رجل امرأة عقيماَ!	دموع التصبر	38	الخفيف	استبدا	44
5	حسان أشعر منها	لا شك في أن حسان أشعر من الخنساء	دموع التصبر	63	الكامل	والمشرقُ	47
6	انسي الذي بيننا	أرادها زوجة ثانية فطلبت طلاق الأولى	دموع التصبر	27	الخفيف	يتصابى	55
7	يا صاح أدماني الجوى	في مواساة أهل غزة الطيبيين	دموع التصبر	24	مجزوء المنسرح	همومُ	57
8	ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض	إذا لم تعط السائل فلا تؤذه ولا تقهره!	دموع التصبر	28	المتقارب	والهمومْ	62
9	مدين بتسعة وخمسين كلباً	قال لزوجته يا بنت ستين كلباً!	دموع التصبر	55	الرمل	الكُرَبْ	64
10	دموع التصبر	في مواساة ابني عمر في كسر ذراعه	دموع التصبر	120	البسيط	ينهمرُ	71
11	أب للبيع	أب أساء لأبنائه من الأولى المتوفاة!	دموع التصبر	34	البسيط	وأشرارا	79
12	أمن يجيب المضطر إذا دعاه!	حماها دعاؤها من سبعة علوج كفرة!	دموع التصبر	73	الكامل	والطغيانِ	83
13	وإن تطيعوه تهتدوا	معارضة لأبي الجود (رسول الله)!	دموع التصبر	30	الكامل (سطر شعري)	للعُرْبِ	88
14	عفواً أرسلتْ صورتها فقط!	صورة أرسلتها فدمرت عائلتها!	دموع التصبر	21	الرجز	طويلة	90

15	اللهم صل على محمد	أردتُ أن أصلي على رسول الله شعراً!	دموع التصبر	26	الرمل	في الذرى	94
16	العيد يجيب على السؤال	معارضة لقصيدة المتنبي عيد بأية حال	دموع التصبر	52	البسيط	معقودُ	101
17	ولا رسول الله	أعدل للناس شعارهم: (إلا رسول الله)!	دموع التصبر	22	الرمل	أرباب الوفا	108
18	اخرجي ، ولكن استأذني!	لا ينبغي أن تخرج المرأة إلا بإذن!	دموع التصبر	19	الرمل	خير زادِ	112
19	نصرانية تسلم وزوجها غير راض	زوج مسلم لا يرضى إسلام زوجته!	دموع التصبر	20	الكامل	المطبقُ	114
20	مرحى بشهر الصوم	في استقبال شهر رمضان!	دموع التصبر	22	المتدارك	والمنكرْ	116
21	جيران أم جدران؟	يفترض في الجيران أن يكونوا أهلاً!	دموع التصبر	53	البسيط	الشيمِ	118
22	لستم على شيء	أهل الكتاب اليوم ليسوا على شيء!	دموع التصبر	14	المنسرح	واللبُ	125
23	أنتِ جنتي	هدية لأم عبد الله!	دموع التصبر	23	مجزوء الوافر	المُثلى	131
24	ذلك ما كنا نبغ	موقف طاووس بن كيسان مع المنصور	دموع التصبر	14	البسيط	الخيرِ	135
25	شمس العرب تسطع على الغرب	إنها حضارة أجدادنا التي سرقها الغرب	دموع التصبر	50	البسيط	وأمصارا	142
26	هكذا الدنيا يوم لك وآخر عليك	مرثية على تغير حال أم جعفر البرمكي	دموع التصبر	20	الخفيف	والأنباءُ	151
27	وهي تجري بهم	صديق مدخن في لجنة اختبار القرآن	دموع التصبر	22	الكامل	ألباب الورى	172
28	الحجاج تذله امرأة	مناظرة بين الحجاج وهند بنت النعمان	دموع التصبر	16	المنسرح	المحنْ	180
29	دعها يا أبي بالله عليك	ضرب رجل زوجته فطالبه ابنه بالكف	دموع التصبر	44	المتدارك	وتدبرْ	182
30	أخونا أغلى من الإرث	تنازلوا عن البيت لأخيهم المعيل!	دموع التصبر	35	الكامل	ووئاما	186
31	فليكرم ضيفه	أم عمران يوم أهنتُ في دارها!	دموع التصبر	24	الكامل	الإجرامِ	191

32	هل لكِ إلى خير	موقف أبي محجن مع ليلى زوج سعد!	دموع التصبر	32	الطويل	كالما	194
33	أو ردوها	أرسل لي رسالة فعجزت عن الرد!	دموع التصبر	16	الكامل	الإطراءِ	201
34	حزنٌ وألم	في رثاء جدتي لأمي الحاجة سعاد!	دموع التصبر	16	الكامل	الأحداقِ	202
35	أبجديات شعرية	رد جميل الشعر العربي عليَ!	دموع التصبر	280	البسيط	قوافي منوعة	203
36	بطولة فوق الوصف	إنها بطولة عبد الله بن الزبير!	دموع التصبر	24	الكامل	المتسامي	221
37	المكلومة الصابرة	إنها أسماء بنت عميس بن معد!	دموع التصبر	16	الكامل	البلواءُ	226
38	دموعٌ لا تجف	في مواساة أمي وقطع ساقها!	دموع التصبر	65	البسيط	يجري	228
39	وفي الحروب نعامة	موقف الحجاج وغزالة الحرورية!	دموع التصبر	26	المتقارب	تصطلي	232
40	دمعة على العلم لا على الذهب	خالتي وداد وبكاؤها على مصحفها!	دموع التصبر	15	الخفيف	البأساءِ	235
41	أين الثرى من الثريا؟!	فائز في القرآن وفائزة في الغناء!	دموع التصبر	36	الخفيف	كالماءِ	236
42	دمعة التوديع	في رثاء جدي لأمي أحمد أبو سماحة	دموع التصبر	15	الطويل	الوقْعُ	238
43	صريع الراية	إنه الصحابي عبد الله بن أم مكتوم!	دموع التصبر	15	الرمل	استمى	239
44	لفظته الأرض	نصراني مات فلفظته الأرض	دموع التصبر	21	الخفيف	القبورا	241
45	الحياة أخذ وعطاء	مقارنة بين عطاء المقايضة والاستغناء	دموع التصبر	21	الطويل	ربي	243
46	عجلة الشعراء	بعض الشعراء يناظر ويطبع قبل إجادته	دموع التصبر	20	الطويل	ذما	248
47	سارقو الأمجاد	الغربيون هم لصوص الإنجازات!	دموع التصبر	40	البسيط	مزدانا	254
48	ندى	فتاة نبيلة أغاثت وأتت ما لم يأت الرجال	دموع التصبر	22	الكامل	كلامِ	283

الفهرست الموضوعي 12عتاب وشكوى

مسلسل	عنوان القصيدة	موضوع القصيدة	اسم الديوان	ع أبيات	البحر	القافية	الصفحة
1	لقد أيقظتِ ضميري	راودها الأشيب فاستعصمت!	عتاب وشكوى	32	البسيط	أحجارا	27
2	الطبع يغلب التطبع	معارضة لنص بقرت شويهتي!	عتاب وشكوى	36	الوافر	تستريبُ	35
3	خليلة لا حليلة	لم يعجب الفسقة حليلة فقال: خليلة!	عتاب وشكوى	29	الخفيف	حليلة	38
4	عتاب وشكوى	حوار مع المتعالم أحمد الموسى!	عتاب وشكوى	46	الوافر	الثوابا	43
5	هكذا فلتكن المسلمة	كوثر التي رفضت مصافحة الرجال!	عتاب وشكوى	33	الكامل	ومقنطرا	58
6	المال أغلى من ابنته	رفض خطاب ابنته من أجل المال!	عتاب وشكوى	14	الطويل	القرائحُ	64
7	بين متعلم ومتعالم	التعالم آفة تحجب المرء عن الحق!	عتاب وشكوى	14	الرمل	الدفينْ	66
8	أردتُ زيداً وأراد الله عمراً!	مُدرسة رياضيات درست (إسلامية)	عتاب وشكوى	31	البسيط	ويُطّلبُ	68
9	تزوجْ ليتوب الله عليك!	اعترافات زير نساء بعشقه الغيد!	عتاب وشكوى	36	البسيط	الخودا	73
10	القصر المهجور	بنت قصرها ثم ماتت عنه فهُجر!	عتاب وشكوى	56	البسيط	قمرُ	76
11	الغلبة للدليل	كاتبة ساقطة تنكر مشروعية الحجاب	عتاب وشكوى	25	الكامل	المحبوكِ	87
12	لماذا سقط آل عَبّاد؟!	إنها مأساة الأندلس في حكم آل عباد	عتاب وشكوى	84	البسيط	الجماهيرا	94
13	خرقة بألف دينار!	فقيرة لها قصة في عهد النبي داوود	عتاب وشكوى	43	الرمل	الظنونْ	103
14	المدرسة الثكلى	آفة هذه المدرسة مديرها الجاهل!	عتاب وشكوى	68	الخفيف	الأحجارا	106

15	إنها التربية بالقدوة	زهد الحسن البصري وقوته في الحق	عتاب وشكوى	18	الكامل	المملوكا	113
16	أحسنت وبارك الله فيك	أسرف في حب زوجته فظلم أمه وتاب	عتاب وشكوى	53	البسيط	أوزارا	116
17	ماء زمزم لما شُربَ له!	قصة ليلى الحلوة مع ماء زمزم!	عتاب وشكوى	22	الكامل	الباطلة	120
18	وإن تصبك مصيبة يفرحوا بها	فرحة النصارى بموت محمد الفاتح!	عتاب وشكوى	25	الرمل	مستبينْ	130
19	سلطان العلماء لا عالم السلاطين!	إنه شيخ الإسلام العز بن عبد السلام	عتاب وشكوى	39	البسيط	سلطانا	134
20	أمومة لها رصيد!	أم تراجع ضميرها وترجع لأولادها!	عتاب وشكوى	34	المتقارب	الحانية	147
21	ادرسوا قبل إصدار الأحكام	قضية دوران الأرض حول الشمس!	عتاب وشكوى	24	البسيط	معتبرُ	166
22	أخجلت تواضعي يا دكتور!	الدكتور النحوي في ديوان حرقة ألم	عتاب وشكوى	40	الكامل	ومقامي	179
23	مجرم مع سبق الإصرار والترصد	إنه أبو العلاء المعري زائغ العقيدة!	عتاب وشكوى	21	المنسرح	والخبَلُ	182
24	وكذلك أخذ ربك!	طبيب يؤمن بالتجربة (القلب المفتوح)	عتاب وشكوى	26	الكامل	ثم تجبرا	188
25	ليس للتوبة ميعاد	حادث مروع انتهى بتوبة صاحبه!	عتاب وشكوى	22	المتدارك	المبحرْ	190
26	إن جازت لأبي الطيب فأنا بها أولى!	الشعراء سواء في الضرورات كلها!	عتاب وشكوى	22	المنسرح	ثِقوا	193
27	أقطاب القرآن العشرة	ما أعظم هؤلاء الأقطاب العباقرة!	عتاب وشكوى	19	السريع	البررة	198
28	أين المودة والرحمة؟	زوجتان أفسدتا ذات بين زوجيهما!	عتاب وشكوى	40	الكامل	عدوانِ	200
29	جواب لا تعقيب بعده	ثنائي على من قالت: إن النساء رياحين	عتاب وشكوى	35	المتدارك	استجابا	203
30	ولكن الله سلم!	أجريت عملية الزائدة لابني يوسف!	عتاب وشكوى	42	الكامل	واحمدِ	206
31	جئت راغبة أم غاضبة؟!	طردها والدها لتعود لزوجها وترضيه!	عتاب وشكوى	40	الوافر	المشربية	209

32	وهكذا عُدتُ بلا سحور!	تصدق بكل ماله على فقيرة وابنها!	عتاب وشكوى	36	البسيط	القهرِ	212
33	الداعية الصغير	اختار القرآن لهداية أحد النصارى!	عتاب وشكوى	21	الكامل	خير رجاءِ	217
34	الشافعي مناظراً!	الشافعي عندما يناظر يكسب الجولة	عتاب وشكوى	22	الكامل	الجاهلية	227
35	المسألة مسألة كرامة!	تحويل قصيدة حامد زيد إلى فصحى!	عتاب وشكوى	71	الكامل	صياني	252
36	سلوى	كرهها أبوها صغيرة وأنقذته كبيرة!	عتاب وشكوى	20	المتقارب	يا راحلة	258
37	مرحى بغائبتين	ترحيبي بأم عبد الله وابنتي فاطمة!	عتاب وشكوى	10	البسيط	والألما	261
38	رسالة إلى عاق لوالديه	نصيحة لكل من عق والديه!	عتاب وشكوى	23	الكامل	حقيهما	262
39	في ذمة الله يا أبواي!	تحويل قصيدة خالد المهيري لفصحى	عتاب وشكوى	32	الطويل	القلبِ	264
40	الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل)	ليس أحلى من الوحدة بين الناس	عتاب وشكوى	72	مجموعة بحور	مجموعة قوافي	266
41	الشريدة (سلمى)	ذهب عقلها فباتت تذهب هنا وهناك!	عتاب وشكوى	16	الطويل	سلمى	271
42	لقيطة ذات نسب	عجوز تسرق رضيعة ويكتشف الأمر	عتاب وشكوى	96	الكامل	والكتمانِ	272

الفهرست الموضوعي 13فأعضوه ولا تكنوا

مسلسل	عنوان القصيدة	موضوع القصيدة	اسم الديوان	ع أبيات	البحر	القافية	الصفحة
1	لن أحلف بالله كاذباً!	سوري نصب وكذب وصحا ضميره!	فأعضوه ولا تكنوا	21	البسيط	إصرارا	33
2	جنة الفردوس	معارضة أن تدخلني ربي الجنة!	فأعضوه ولا تكنوا	28	المتدارك	قوافي منوعة	35
3	مرحباً بك أختاً يا سناء!	كانت نصرانية فأسلمت فرحبت بها!	فأعضوه ولا تكنوا	39	البسيط	أشعارا	41
4	مراودة النذل	نذل خسيس راود زوج أخيه المسافر	فأعضوه ولا تكنوا	60	الكامل	النسوانِ	46
5	إباء المحصنة	استعصمتْ أمام مراودة حميها النذل!	فأعضوه ولا تكنوا	60	الكامل	والإيمانِ	51
6	لا طلاق ولا عدة	عنفتْ أمه كثيراً فطلقها للأبد!	فأعضوه ولا تكنوا	22	المتقارب	من الحنظل	55
7	فأين الفضل إذن؟!	ألجأه لبيع ملابسه لسداد بقية الديْن!	فأعضوه ولا تكنوا	27	الكامل	الأتراحا	60
8	فاطمة الزهراء السليمانية	أحيي ابنتي فاطمة يوم ولادتها!	فأعضوه ولا تكنوا	80	الخفيف	الحُداءُ	72
9	وفاء حتى نهاية العمر	إسماعيل أبو كلب هكذا وفى له كلبه!	فأعضوه ولا تكنوا	35	الكامل	مُزهِرا	80
10	وصية تائب	صاحب المدمنين ثم تاب وأناب!	فأعضوه ولا تكنوا	27	البسيط	منفطرُ	83
11	كلاهما بطل	في تأبين الشهيد سليمان الحلبي!	فأعضوه ولا تكنوا	78	البسيط	استبقوا	85
12	للبيت حرمته ولصاحبه قدره	يُفترض في الأصهار التوفيق لا التصعيد	فأعضوه ولا تكنوا	54	البسيط	استعرا	106
13	وهل بعد عيني شي؟	أصيب ولدها في حادث فأهدته عينها	فأعضوه ولا تكنوا	55	الكامل	ويستجيرْ	110
14	عزاء من القلب	طلقها بلا جريرة رغم صلاحها!	فأعضوه ولا تكنوا	33	المتقارب	قاضية	114

15	صيحة صدق لا صرخة مرتزق!	مهما تقعر المرتزقة فهم مكشوفون!	فأعضوه ولا تكنوا	35	الرمل	الغافي	122
16	جهد يُعجز المربين	كاتي وابنتها سيليا وقصة كل يوم!	فأعضوه ولا تكنوا	43	المتقارب	وبالدواةِ	136
17	وصية محتضر	تنازل عن ديته حياً وأوصى أولاده!	فأعضوه ولا تكنوا	30	الكامل	صيامُ	141
18	فأعضوه ولا تكنوا	في ذم العنصرية الجاهلية المعاصرة	فأعضوه ولا تكنوا	50	البسيط	سقمِ	143
19	كيف وقد أنقذني الله به؟	لامي والطبيب الذي نسي المبضع!	فأعضوه ولا تكنوا	32	الكامل	أوهامِ	153
20	ليلى بنت لكيز	العفة والإباء يعصمان من الرذيلة!	فأعضوه ولا تكنوا	54	الكامل	العطبُلِ	160
21	تقريظ كتاب الحكمة في الشعر العربي	محبة في الخطاط عبد اللطيف هاشم	فأعضوه ولا تكنوا	46	البسيط	أفقُ	165
22	وصية أب حكيم (الوصايا)	لما علم بدنو الأجل وصى ابنه!	فأعضوه ولا تكنوا	38	المتقارب	النضِرْ	172
23	ولا يوم الطين؟!	موقف المعتمد مع زوجه اعتماد!	فأعضوه ولا تكنوا	32	الكامل	يتداعى	175
24	بين هارون والبرمكية	فطنة الرشيد في فهم اللغة العربيةَ!	فأعضوه ولا تكنوا	30	الوافر	والخيالا	180
25	ابن مماتي مؤرخ صعيدي	إخلاص ابن مماتي في علم التأريخ	فأعضوه ولا تكنوا	32	الكامل	شهودي	181
26	من شابه أباه فما ظلم	عن المعتمد بن المعتضد بن عباد!	فأعضوه ولا تكنوا	23	البسيط	معتمدُ	189
27	كانت دعوتك اختباراً!	ابن زائدة يفضل ابن أخيه على ولديه	فأعضوه ولا تكنوا	22	الطويل	العزائمِ	197
28	غلبتْ عليه شِقوته	العفيفة التقية وحمام منجاب!	فأعضوه ولا تكنوا	40	البسيط	وسلابِ	203
29	الرسامة التائبة	كانت ترسم ذوات الأرواح فوعظتها!	فأعضوه ولا تكنوا	20	البسيط	محبورا	207
30	شعور بات غريباً!	موقف رفعت من الشريف قارئ الأقصى	فأعضوه ولا تكنوا	19	الخفيف	ما الأسبابُ	209
31	والأسماك ضيوف الحفلة!	عروسان غرقا في النيل بسبب التصوير	فأعضوه ولا تكنوا	45	المتدارك	والتلة	211

32	فداؤكما الصبا	تأيمت من أجل من ربياها صغيرة!	فأعضوه ولا تكنوا	16	الخفيف	الوفاءِ	214
33	من أجلك يا رسول الله!	راجعتُ قصيدته فعارضته حباً وكرامة	فأعضوه ولا تكنوا	29	الكامل	السنا	218
34	بل أصلحها الربيع!	رداً عن من قالوا: لقد أفسدها الربيع	فأعضوه ولا تكنوا	43	البسيط	مدخرُ	223
35	التجمل الزائف	للذي علق السيوف والمجسمات!	فأعضوه ولا تكنوا	23	البسيط	والطارِ	226
36	بل هو الشارع إذن!	دُعي إلى الرذيلة في الفندق المحترم	فأعضوه ولا تكنوا	20	البسيط	جهروا	228
37	القلادة الرابعة	حرم ابنته من قلادتها فعاقبه الله!	فأعضوه ولا تكنوا	31	الكامل	وتعامى	232
38	يا ابنة الملاح!	امرأة موسرة سرقت مني 20 ألف درهم	فأعضوه ولا تكنوا	25	الرمل	الشقاءْ	239
39	هذه بندقيتي وهذا كفني!	قتل ابنهم خطأ فأتاهم بالبندقية والكفن	فأعضوه ولا تكنوا	33	الكامل	الاستذمام	241
40	أنين الجوى (رثاء الحاجة فاطمة)	أرثي الحاجة أم زكريا مجاهد!	فأعضوه ولا تكنوا	60	الوافر	ثباتي	246
41	أستاذي قال لي!	استرقنا النظر لابنته فوعظنا!	فأعضوه ولا تكنوا	43	الكامل	الورى	250
42	الأميرة زبيدة بنت جعفر (طموح)	في وصف طموح الأميرة (زبيدة)!	فأعضوه ولا تكنوا	30	الخفيف	والتغريدُ	253
43	الشعر يحيي الأميرة زبيدة	في وصف جهود الأميرة (زبيدة)!	فأعضوه ولا تكنوا	30	البسيط	أمة العربِ	256
44	الحبيبتان (أم عبد الله & الزهراء)	وصف شعوري عندما رحلتا عني!	فأعضوه ولا تكنوا	33	البسيط	والذممِ	261
45	الضاد أم اللغات	تأملت أسماء المال في لغة العرب!	فأعضوه ولا تكنوا	46	البسيط	ديوانُ	266

الفهرست الموضوعي 14الشعر مسبحتي

مسلسل	عنوان القصيدة	موضوع القصيدة	اسم الديوان	ع أبيات	البحر	القافية	الصفحة
1	لا اجتهاد مع النص	إذا كان النص فلا اجتهاد مع النص!	الشعر مسبحتي	17	الخفيف	الغراءِ	26
2	العدل أساس الملك	قتل فاتح الهند سبكتكين لابن أخته!	الشعر مسبحتي	25	الكامل	والأوطانِ	29
3	انتكاسة غير مسبوقة	امرأة تدعي الإسلام تتزوج أخاها!	الشعر مسبحتي	40	البسيط	والغنمِ	32
4	رسالة من يتيمة	يتيمة أحسن إليها فشكرت المحسنين!	الشعر مسبحتي	33	البسيط	الفقرا	38
5	الشورى قوام الإدارة	المدير الواعي هو الذي يستشير!	الشعر مسبحتي	23	الكامل	يَشرَقُ	41
6	نور	طالبة قامت معلمتها بدور أمها!	الشعر مسبحتي	49	البسيط	والكرمِ	44
7	المتوكل آثر الرفيق الأعلى	في رثاء الأستاذ أحمد المتوكل!	الشعر مسبحتي	49	الكامل	المدى	47
8	سترك الله كما سترتني	رجل زور توقيع الفضيل بن عياض!	الشعر مسبحتي	32	البسيط	يستترُ	58
9	زمان الحب	طلقها ثم تبين له الصواب فردها!	الشعر مسبحتي	25	الرمل	ظلومْ	60
10	تحية لمدير مدرسة محترم!	أحيي الأستاذ عطية أحمد عبد العال!	الشعر مسبحتي	20	البسيط	والكرمِ	65
11	صقور الأرض	تحليلي لفيلم الكارتون: صقور الأرض	الشعر مسبحتي	21	الوافر	خاضا	67
12	أطياف الذكريات	أحيي ولديَّ عبد الله وعبد الرحمن!	الشعر مسبحتي	17	الخفيف	نور عيني	69
13	ابتسم	معارضة قصيدة ابتسم لإيلياء أبو ماضي	الشعر مسبحتي	25	الكامل	والحِمى	71
14	تعريب قصيدة لوري بيركنر بذرة	قصيدة إنجليزية قمت بتعريبها شعراً!	الشعر مسبحتي	52	مجموعة بحور	مجموعة قوافي	73

15	رسالة إلى ساقطة	شاعرة ماجنة استفزتني فرددت عليها	الشعر مسبحتي	22	المتقارب	مفصحة	77
16	ليته كان ولدي	رباه صديق أبيه فكان أوفى من أبنائه	الشعر مسبحتي	40	البسيط	العَجَبُ	79
17	وسقطتْ ورقة التوت	ظل يخدعني سنين عدداً ثم انكشف!	الشعر مسبحتي	33	الطويل	الهمّا	85
18	الآن طاب الموت!	سليمان القانوني السلطان المفترى عليه	الشعر مسبحتي	115	البسيط	سليمانا	88
19	بين نارين	الهندوس يحرقون جثث موتاهم!	الشعر مسبحتي	19	الخفيف	النيرانِ	114
20	النادلة والغجري	تقمص شخصية صاحب المطعم!	الشعر مسبحتي	23	البسيط	فرُضا	117
21	وجبتْ لكِ المسألة!	مرض زوجها فعملتْ خادمة بغير قيد!	الشعر مسبحتي	19	البسيط	يحتسبُ	119
22	وترجون من الله ما لا يرجون	هندوسيات يجهزن أطفالهن للمدرسة!	الشعر مسبحتي	23	الرمل	سِمَة	121
23	بغداد بين الازدهار والانهيار!	ماضي بغداد وحاضرها أمر يحير!	الشعر مسبحتي	34	البسيط	وإعلانِ	124
24	موزة وحفصة	أب مهمل ترك سيارته مفتوحة لابنتاه	الشعر مسبحتي	23	مخلع البسيط	الرزايا	129
25	مشروع جراحة	سرقة الأطفال لتقطيعهم قطع غيار!	الشعر مسبحتي	14	المديد	سؤَدَدُهُ	131
26	رسالة زوجة إلى زوجها الأسير	أسر زوجها ظلماً فبعثت له أول رسالة	الشعر مسبحتي	22	مخلع البسيط	التحايا	134
27	لماذا الجدل؟	جادلته فطعن في الدليل رغم صحته!	الشعر مسبحتي	18	المجتث	الميولِ	142
28	طبت حياً وميتاً يا أبتاه!	حيل بينها وبين أبيها وجيء بجثته!	الشعر مسبحتي	37	البسيط	جثمانا	144
29	فأين تذهبون مستقبلاً؟!	نظر الأب للحال فرثا لحال أبنائه القادم	الشعر مسبحتي	19	المديد	بحالي	151
30	اتسع الخرق على الراقع	الشاعر أكثر الناس إحساساً بالواقع!	الشعر مسبحتي	32	المتدارك	والسامعْ	159
31	دفاعكِ عن نفسكِ أولى!	كانت زوجته في موقف سبة ولم تدافع	الشعر مسبحتي	25	الكامل	نيات الورى	161

32	جيران لا جدران!	جيراننشامى كانوا كالأهل بل أكثر!	الشعر مسبحتي	45	البسيط	القيمِ	163
33	فإنها لا تعمى الأبصار!	أعمى أجش ويغني ويسمعه الناس!	الشعر مسبحتي	28	الرمل	بدينْ	170
34	سحقاً للنذالة!	دائماً الأنذال يحرصون على أنفسهم!	الشعر مسبحتي	13	السريع	والعارِ	172
35	قوم معهم سياط	قوم مجرمون باعوا دينهم بدنيا غيرهم	الشعر مسبحتي	13	مجزوء المتقارب	منكرة	173
36	الدنيا لا تزال بخير	عثر على هاتف ثمين فأرجعه لصاحبه	الشعر مسبحتي	9	مجزوء الخفيف	البشرْ	174
37	وأجري على الله	أخذت لقيطاً من المستشفى لتربيه!	الشعر مسبحتي	52	البسيط	يبتسمُ	175
38	لا تعلو العين على الحاجب	موقفي مع أستاذي مصطفى عون!	الشعر مسبحتي	27	المتدارك	الصائب	181
39	فيسبوا الله عدواً بغير علم!	رجل سب دين علماء الإسلام أمامي!	الشعر مسبحتي	12	البسيط	ومرذولا	190
40	كفٌ بعشرة آلاف دينار	ضرب رجلاً تصدى له عندما تجاوز!	الشعر مسبحتي	49	البسيط	من الورمِ	200
41	لقطاء لا أبناء!	سجلتْ أولادها لقطاء بسبب القوانين	الشعر مسبحتي	40	الكامل	هوانُ	205
42	عتاب لا تنقصه الصراحة	تبنى عدم ضرب الزوجه فعارضته!	الشعر مسبحتي	55	الوافر	والعتابا	208
43	مكرهٌ أستاذكِ لا بطل!	في الانتصار لمعلم (ريم البحيري)!	الشعر مسبحتي	43	البسيط	من ألم	245
44	مصر الإسلام والعروبة	في الانتصار لإسلام وعروبة مصر!	الشعر مسبحتي	12	الرمل	ووهبْ	267
45	هارون المفترى عليه	في الانتصار للخليفة هارون الرشيد	الشعر مسبحتي	38	المتقارب	السكارى	275

الفهرست الموضوعي 15غادة اليمن

مسلسل	عنوان القصيدة	موضوع القصيدة	اسم الديوان	ع أبيات	البحر	القافية	الصفحة
1	ضل الجهول وخاب من يتشدق!	ينجح المعلم مرتين ولم يصبه الدور!	غادة اليمن	180	الكامل	يتفيهقُ	19
2	إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون	مجرم مزق القرآن فابتلعت الأرض الكل!	غادة اليمن	143	البسيط	تختنقُ	39
3	لآليء الشعر (معارضة لعدنان)	فن المعارضة غاب ولنا شرف إعادته!	غادة اليمن	88	البسيط	وأنوارا	50
4	فتى الأحلام	لم تحسن اختيار زوجها فعانت الأمرين!	غادة اليمن	82	البسيط	الألمُ	58
5	الموت حار الكل في أسبابه	في تأبين الشربيني أبو طالب رحمه الله!	غادة اليمن	75	الكامل	عُجّابه	64
6	إنما الله إله واحد (رسالة لمنصرة)	جاءت لتنصر فجادلتها واعترفت بالهزيمة	غادة اليمن	111	الرمل	المستبينْ	70
7	ذرى المجد (رسالة لابن عبد العزيز)	مناقب عمر بن عبد العزيز لا تحصى عداً	غادة اليمن	15	الطويل	وقوّموا	78
8	مشاعر تهويمة السحر الفواح	تنصر ابن عبد الرحيم من أجل امرأة!	غادة اليمن	36	الكامل	والأحبابا	79
9	ذكريات أنين زوجة باكية	تزوج عليه وأهملها فكان شعري أنينها!	غادة اليمن	28	الكامل	وجراحُ	90
10	شمس الجزيرة (ابن عبد الوهاب)	في الإشادة بأستاذ التوحيد والعقيدة!	غادة اليمن	15	الخفيف	الإشارة	92
11	فرح بنات الثرى ببنات الثريا	إنها فرحة الدنيا بأسرها بنزول الغيث!	غادة اليمن	14	الخفيف	والهداية	96
12	ابتسامات الأسى الملتهب	صفعه أبوه على وجهه أمام صهره وآخرين	غادة اليمن	14	البسيط	لرثى	97
13	البهتان الرخيص	أهانت أمة شوهاء شاعراً فانتصر لنفسه!	غادة اليمن	15	الرمل	القريحة	101
14	صراع مع النفس	لا يزال المؤمن يلوم نفسه ويوبخها!	غادة اليمن	48	الخفيف	الغدورِ	102

15	كفى تبرجاً وقبحاً	معارضة للخوري في إحدى المعلمات!	غادة اليمن	52	الوافر	تعبرينا	106
16	رسالة مشفق على اللغة العربية	لن تعدم لغة الضاد من يدافعون عنها!	غادة اليمن	100	البسيط	ينسجمُ	110
17	رسالة عدو للغة العربية	في الساحة أعداء كثيرون للغة العربية!	غادة اليمن	100	البسيط	يضطرمُ	117
18	لا صلح على دخن!	ما جدوى الصلح وفي القلوب أضغان؟!	غادة اليمن	70	الخفيف	بديلا	124
19	إلى من يهمه الأمر	إلى موجه لغة عربية متقعر مغرور جاهل	غادة اليمن	96	الرمل	فاللسمْ	129
20	هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟	أحسنتُ إلى (أم نبيل) فاتهمني زوجها!	غادة اليمن	96	الخفيف	البلهاءُ	136
21	تذكروا الجميل!	كان سبب سعادتهم وكانوا سبب شقائه!	غادة اليمن	135	البسيط	ما قدروا	143
22	وافق الاسم المسمى	أبارك للأستاذ أحمد قبش معجمه الفيصل!	غادة اليمن	15	المنسرح	يُطري	162
23	غادة اليمن	أحيي الغادة الصغيرة معارضاً حافظاً!	غادة اليمن	190	الخفيف	ومُرامي	163
24	أريج اليراع الثائر	تحويل قصيدة (الفن) لعربية فصحى!	غادة اليمن	14	الخفيف	الخطايا	177
25	التلون أخو النفاق من الرضاعة	إن أمر النفاق يكشفه الله ولو بعد حين!	غادة اليمن	96	مجزوء الرمل	قوافي منوعة	178
26	هُبَل القرن العشرين (التلفزيون)	التلفاز برامج ومواد وليس مجموعة أجزاء	غادة اليمن	38	المتقارب	الصنمْ	190
27	حللت أهلاً ونزلت سهلاً يا يوسف	يوم ميلاد ابني يوسف كانت هذه القصيدة	غادة اليمن	156	البسيط	الخيرُ	194
28	الحنيفية السمحة حياة العروبة	أعارض أبو شهاب في (قبل الرسالة)!	غادة اليمن	58	البسيط	ويُطلبُ	206
29	الزوجة الثانية نعمة لا نقمة!	أعارض قصيدة: (تزوجتُ اثنتين)!	غادة اليمن	60	الوافر	زوج اثنتين	209
30	إليك وحدك يا حمزة يا أسد الشعر!	أحيي الشاعر حمزة أبو النصر على جهده	غادة اليمن	110	البسيط	والرمل	224
31	أبلغت يا عدنان وأوجزت!	أثني على رد الدكتور عدنان على ابن جني	غادة اليمن	150	الطويل	ثم أمطرا	232

32	أفصحت وغيرك أزبد	أثني على ابن إسماعيل لدفاعه عن سيد!	غادة اليمن	142	البسيط	وأخطارُ	241
33	وصية والد لولده	وصيتي لابني عبد الله بوصفه الابن الأكبر!	غادة اليمن	152	الطويل	أنظمُ	251
34	في رثاء اللغة العربية	معارضة لقصيدة حافظ (رجعت لنفسي)!	غادة اليمن	73	الطويل	لذاتي	260
35	يا ناس احترموا التخصص	القاصي والداني يتكلم في الدين بغير علم	غادة اليمن	18	الوافر	شهادة	268
36	الحُراس الأمناء	أثمن جهود علماء الحديث في خدمة السنة	غادة اليمن	28	الكامل	والإيمانِ	274
37	ألقاب بلا رصيد	في غرفة هذا السفيه نياشين وجوائز!	غادة اليمن	14	المتدارك	ذِروة	278
38	من سيرث المليون؟	عمٌ أراد قتل أخيه ليرث فقتلته البُنيات!	غادة اليمن	19	الطويل	سمعي	279
39	حوار مع إباحي مهترئ	الجدال مع الإباحيين ليس يُجدي شيئاً!	غادة اليمن	14	مجزوء الوافر	وصوليُ	284

الفهرست الموضوعي 16عزة الخير

مسلسل	عنوان القصيدة	موضوع القصيدة	اسم الديوان	ع أبيات	البحر	القافية	الصفحة
1	الجود يرفع صاحبه (كاد وأخواتها)	نظم شعري تضمن كاد وأخواتها لتسهيل النحو	عزة الخير	13	الكامل	صراعا	19
2	سلام الحبيب (لأم عبد الله)	حييتُ أم عبد الله فعارضتُ أبا فراس الحمداني	عزة الخير	37	مجزوء الوافر	أم أولادي	20
3	ميلاد أمة بميلاد نبيها	معارضة لقصيدة شوقي (131بيت) ولد الهدى!	عزة الخير	128	الكامل	الغنّاءُ	25
4	صدقة جارية	مليونير عربي تزوج فيلبينية فورثت ثروة!	عزة الخير	32	الخفيف	قلبي	40
5	وجاء دور الارتجال	بيت أحوله من بسيط لوافر (وكل كسر----)!	عزة الخير	37	الوافر	الدعاءُ	43
6	وأين هو العيد؟	دار غربتي كدار إقامتي فأين العيد في كلِّ؟	عزة الخير	34	الكامل	مستاءُ	46
7	تهنئة سليمانية (زواج عبد الله)	حييت عبد الله وهو عريس بمعلقة سليمانية	عزة الخير	120	البسيط	ويعتملُ	48
8	رسالة إلى جاهلة حمقاء!	دعتْ إلى إذابة الفوارق بين الأديان والإسلام	عزة الخير	24	الرمل	قيمة	66
9	الخُلق والعلم معاً!	موقف مع الأستاذ محمد الكيلاني (منار الإيمان)	عزة الخير	43	الكامل	دون علومِ	68
10	نذالة وخِسة!	طلاب ربيتهم وعلمتهم فلما كبروا كانوا أنذالاً!	عزة الخير	64	البسيط	من علِموا	83
11	من أجل زوجي!	لم تُنجب وادعت العقم فطلقها ثم أهداها!	عزة الخير	58	الوافر	الرغابا	88
12	عزة الخير	مواساة لأم عبد الله أم أولادي في مرضها!	عزة الخير	280	البسيط	قوافي متنوعة	98
13	أنت أدرى بما جرى	طالب سرق ساعة زميله وتصرف المعلم بحكمة	عزة الخير	25	الرمل	الجُمَلْ	128
14	الشعر قواعد وقضايا (حروف الجر)	نظم شعري يعلمنا حروف الجر مجتمعة!	عزة الخير	18	الخفيف	ولا إسرافِ	130

15	حجة مكتوبة	طبيب تصدق بماله على مريض فعوضه الله	عزة الخير	21	الخفيف	بتوبِ	131
16	الإحسان أسمى عبادة (أفعال تنصب مفعولين)	نظم شعري يعلمنا الأفعال التي تنصب مفعولين	عزة الخير	29	المتدارك	أو بَطرا	133
17	خاب ظني في الأميرة	عقدتُ عليها آمالاً عظاماً فخيبتْ ظني فيها!	عزة الخير	53	البسيط	سألوا	135
18	وجاء دور المشيب	عجوز متصابية تضع الماكياج والمساحيق!	عزة الخير	25	الخفيف	الجمالِ	145
19	حادي القلوب	أحيي المنشد ظفر النتيفات على جهوده!	عزة الخير	64	البسيط	البشَرُ	146
20	سابقة غير معهودة	خرج من المسجد ليغازل امرأة محجبة تعرفه	عزة الخير	29	المتقارب	النظرْ	157
21	طبيب الغلابة	في تأبين الدكتور محمد المشالي رحمه الله!	عزة الخير	48	الطويل	أصْيَدا	159
22	ها قد عرفتني! فمن أنت؟	غازلها عبر وسائل التواصل فقالت: من أنت؟	عزة الخير	31	المتقارب	القاضية	162
23	وكلكم مسؤولٌ عن رعيته!	ابنها يريد أن يكون هاتفاً في المستقبل! لم؟	عزة الخير	30	الكامل	المتجافي	164
24	دعوها فإنها منتنة!	في الرد على صاحب راشد المنصوري!	عزة الخير	50	الكامل	على الإطلاقِ	175
25	زوجتي	في وصف حبي لزوجتي أم عبد الله!	عزة الخير	28	مجزوء الوافر	لقد فزتِ	184
26	مكتبة نور مأوى الأدباء والقراء	أحيي مكتبة (نور) الخيرية والقائمين عليها!	عزة الخير	107	البسيط	بقيّم الكُتُبِ	189
27	القاضي الأمريكي الرحيم (فرانك)	أحيي عدل الرجل وإنصافه وأرجو إسلامه!	عزة الخير	48	الخفيف	عن كلامي	217
28	رسالة إلى دائنة (فاطمة السويدي)	لم تحسن الطلب بل أساءت وما كان ينبغي!	عزة الخير	29	المتقارب	يا ظاعنة	222
29	القاضي المصري الرحيم (الشريف)	أحيي أخلاق وأدب القاضي هشام الشريف!	عزة الخير	51	الكامل	المظلوما	226
30	عجبتُ للنذل	كان مثلهم ثم تكبر لما اغتنى ونسي الصحبة	عزة الخير	47	الخفيف	يُشافي	231
31	الله يرحم مزنة	مزنة لبست والنساء زي الرجال لطرد اللصوص	عزة الخير	52	الكامل	أشعاري	236

32	لا فض فوك يا دكتور بدر!	أحيي دفاع الدكتور بدر عن ابن عبد الوهاب	عزة الخير	75	البسيط	ينهزِم	242
33	لقاؤنا في المحكمة	تصدق بداره لتملكها أسرة فقيرة معوذة!	عزة الخير	51	الكامل	ليكافي	251
34	تلميذي البار شكراً	دكتور يُلبس القلادة لأستاذه ويعطيه المال!	عزة الخير	54	البسيط	ومقصودُ	256
35	سنسافر أنا والكتب!	عبد الرشيد صوفي في المطار ومعه كتبه!	عزة الخير	48	الكامل	التنزيلا	260
36	رسالة إلى مدير مراهق	مدير كل همه النظر والخلوة بالرقيعات!	عزة الخير	33	الطويل	وتندبُ	265
37	أبو رقية (تميم عبد الله أحمد سليمان)	يوم ولادة حفيدي الأول (تميم) فرحة غامرة!	عزة الخير	40	الخفيف	هاتِ	267
38	سلطان المجنوني	أحيي الأستاذ سلطان المجنوني على جهوده!	عزة الخير	40	البسيط	مجنوني	269
39	رسالة إلى منشد منافق	لماذا يتملق المنشد القارئ الملياردير الطواغيت؟!	عزة الخير	40	الطويل	تُنسَبُ	281
40	رفيدة الأسلمية	صحابية طبيبة مجاهدة تستحق التكريم شعراً!	عزة الخير	28	الوافر	دربا	284
41	تراني عندما أرى لحيتك!	أصرت عليه أن يلتحي لتقبله زوجاً!	عزة الخير	55	البسيط	مقرونِ	287

الفهرست الموضوعي 17منار الخير

مسلسل	عنوان القصيدة	موضوع القصيدة	اسم الديوان	ع أبيات	البحر	القافية	الصفحة
1	رسالة إلى ولدي	كتبتْ أول رسالة لولدها الوحيد بعد سفره!	منـار الخير	62	المتقارب	يا منهلي	31
2	مسيلمة الكذاب	يحلو الكلام عن مسيلمة الأمس واليوم!	منـار الخير	30	المتقارب	وأنت الخطلْ	57
3	الوصية الخالدة	الوصية بالمحافظة على التوحيد أغلى وصية	منـار الخير	18	الرمل	المنهزما	64
4	أريج الذكريات	نحن في هذه الدنيا غرباء نوشك على الرحيل	منـار الخير	36	الهزج	الزهدْ	57
5	أمسك عليك زوجك!	خببوها على زوجها فناشدته الإمساك عليها!	منـار الخير	15	الكامل	المعضلة	72
6	لا أعرف يا بني!	سأل الابن أين أبي؟ فعجزت الأم عن الجواب!	منـار الخير	27	الرمل	موجعا	74
7	الإعصار	بعثة النبي عليه السلام أهم من ولادته!	منـار الخير	28	الكامل	والأسحارُ	81
8	نسيم الشوق	قصيدة مسكينة سرقها أحمد بو خاطر وغناها	منـار الخير	24	الوافر	السجايا	84
9	تغريدة البحر	يبعث البحر في نفس الشاعر الكثير مما حوى	منـار الخير	25	الوافر	هَزارُ	92
10	المجد مرتعنا	لهجة أهل مصر هي الأقرب للغة العربية!	منـار الخير	12	الكامل	التلبيسا	99
11	في رثاء المعلم	فرق كبير بين المعلم صاحب الرسالة والمرتزق	منـار الخير	27	البسيط	وفي كربِ	100
12	وفوق كل ذي علم عليم	جاهل يتعالى على المعلمين فجادلته فغلبته!	منـار الخير	26	المتدارك	النكبة	102
13	يا غادتي أنتِ المُنى! (أم عبد الله)	وصْفٌ دقيق لحبي لأم أولادي أم عبد الله!	منـار الخير	28	البسيط	منتشرُ	104
14	لتبيننه للناس!	موقف النابلسي مع المعز لدين الروافض!	منـار الخير	9	الخفيف	من الأهوالِ	106

15	منار الخير	هديتي لجمعية حماية اللغة العربية المحترمة	منـار الخير	164	الكامل	عبْر كلامي	107
16	رسالة من صلاح الدين	هديتي الشعرية لابني صلاح الدين يوم مولده!	منـار الخير	204	البسيط	والحمدِ	122
17	ماذا وراء الدموع؟	الدموع وحدها لن تعيد المجد السليب!	منـار الخير	15	المديد	العتابا	152
18	عالم يُفيقُ أمة!	تحية للأستاذ الشيخ محمد عبد المقصود!	منـار الخير	16	الخفيف	باحترامي	153
19	همسة في أذن متشاعر	شراؤك لدواوين الشعر لن يجعلك شاعراً!	منـار الخير	15	الخفيف	بالإيلامِ	154
20	قد خلت من قبلكم سنن	تحية لعبد الرزاق الكيلاني على كتاب الأمثال	منـار الخير	15	السريع	العملْ	155
21	سلم اليراع ومن كتب!	تحية للأستاذ رضوان دعبول على معجم النساء	منـار الخير	15	المنسرح	الناسُ	156
22	أحسنتِ صنعاً يا أخية!	أحيي زينب بيرة جكلي على النحو القصصي	منـار الخير	15	المديد	والفهومِ	157
23	اليتيم والوجه الآخر	دفعته زوج أمه إلى العصامية دون قصد منه	منـار الخير	66	البسيط	فيضطرمُ	164
24	ثباتاً أيها الثائر!	احتج بشيخه فلما احتججت بشيخي أنكرْ علي!	منـار الخير	10	المتقارب	الجفا	169
25	دموع القلب	مغني يشتري ترجمة القرآن ويقرؤها بعد حين	منـار الخير	22	الرمل	فيضا	170
26	سداسيات شعرية	أحيي مجلة الشقائق والقائمين عليها!	منـار الخير	35	البسيط	قوافي منوعة	179
27	شموخ أمام بريق المال	أرادت التصرف في ديواني: نهاية الطريق!	منـار الخير	25	البسيط	والخدر	181
28	أيتام على موائد اللئام	صنع لهمُ المجد كله فأهانوا أولاده من بعده!	منـار الخير	32	الخفيف	الصعابِ	183
29	دعنا نضعك في الصورة	معارضة قصيدة الشاعر حمد بو شهاب!	منـار الخير	73	الطويل	مُكَرّمُ	192
30	رسالة شعرية إلى أم يوسف	أحيي مقالتها: كيف تعبرين عن حبك لزوجك	منـار الخير	60	الكامل	وسلامي	209
31	حنين القلم ومسؤولية الكاتب	أحيي مجلة (الأسرة) على إبداعها وجمالها!	منـار الخير	78	البسيط	عمي	215

32	أشواق لها إيقاع	غاب عنها زوجها فرحت أتخيل ماذا تقول!	منـار الخير	48	البسيط	وينبهرُ	229
33	تذكروا الإحسان	مجموعة أنذال أحسن إليهم وأساؤوا جداً!	منـار الخير	45	الكامل	وكُلومِ	241
34	حوار مع أعرابية	كانت تريد من معلم أولادها أن يعلمهم الضلال	منـار الخير	45	الوافر	لا أماري	254
35	أعرابية في عصر الجاهلية المعاصرة	ما أن انتقلتْ إلى الحاضرة حتى نسيت دينها	منـار الخير	14	الكامل	في مقتلِ	257
36	وجود يحترق	دعيتُ لأمسية شعرية علمانية جاهلية فندمتُ	منـار الخير	124	البسيط	الكُرَبُ	259
37	لن أنتظر هذه المرة	الحنين إلى الماضي الجاهلي متصور جداً!	منـار الخير	43	الرمل	الرحيمْ	270
38	بوح المشاعر	أراد الزنا بالأسيرات لخلوهن من الإيدز!	منـار الخير	96	البسيط	يعتملُ	274
39	عربدوا ما شئتم!	إلى متى عربدة الفنون ولعبها بالناس؟!	منـار الخير	25	الرمل	سرى	281

الفهرست الموضوعي 18غربة وحربة وكربة

مسلسل	عنوان القصيدة	موضوع القصيدة	اسم الديوان	ع أبيات	البحر	القافية	الصفحة
1	ألا يا صريع الدنيا	لا يتعامل مع أحد إلا من أجل دنياه فقط!	غربة وحربة	14	الخفيف	الشبابا	19
2	الذبيحة البريئة	مشادة كلامية مع عريسها أدت إلى ذبحها	غربة وحربة	60	البسيط	انحدرا	21
3	القرآن بالمدح أولى	مُدِح القارئ فقال القرآن بالمدح أولى مني	غربة وحربة	27	الطويل	والمثْلْ	25
4	كافل الأيتام	كفل أيتامها صغاراً لوجه الله تعالى!	غربة وحربة	12	الخفيف	اهتمامي	28
5	وصية معلم لطلابه	وصية نافعة ومفيدة للطلاب باللغة العربية!	غربة وحربة	33	الرمل	بالدما	30
6	سيناريو التطاول على الله	شبه الله بالحوادث بشأن الانتخابات اليوم!	غربة وحربة	13	الوافر	للحِمامِ	32
7	دمية العيد	سرقت الأم الدمية لطفلها وعفا عنها التاجر	غربة وحربة	70	الكامل	رماحِ	34
8	إله واحد ودين واحد يا أستاذ الجامعة	دعا إلى إذابة الفوارق بين الأديان والإسلام	غربة وحربة	24	الوافر	مستطيلة	38
9	قل بقولك أو بعض قولك!	مدحني الدكتور على الحمادي فاستحيت!	غربة وحربة	26	الخفيف	البعضا	41
10	إليك يا صريع الدموع!	نشر صور امرأته عارية عقوبة من الله!	غربة وحربة	92	المتقارب	افتريتْ	43
11	بين يدي الأمير	قالت أمه: ابك بكاء النساء على مُلك-----	غربة وحربة	10	المتقارب	القهقرى	49
12	بحر الظلمات	جادلتُ هندوسياً في عدد آلهته السبعة!	غربة وحربة	13	المتقارب	الأسئلة	51
13	القصيدة المحمدية	أعارض البوصيري لكن على توحيد!	غربة وحربة	56	البسيط	ذي النعمِ	53
14	إنا كفيناك المستهزئين	لا بد من الدفاع عن النبي نثراً وشعراً!	غربة وحربة	20	الكامل	الخالدِ	57

15	رسالة إلى جيل التوحيد	أعارض الرافعي في: (تطاول دهرك----)	غربة وحربة	27	المتقارب	ولم تستجبْ	60
16	اكتشاف الخليل	الخليل لم يخترع البحور بل اكتشفها!	غربة وحربة	15	البسيط	قرآنا	63
17	من القاتل؟!	أشيب راح ضحية زوجه الشابة وعُشاقها!	غربة وحربة	14	الكامل	تتلهبُ	70
18	سليمان	أحسن إلى امرأة أبيه بعد خذلان أبنائها!	غربة وحربة	24	البسيط	محمومُ	72
19	تحية أيها الكلب	في حفل هولاكو انتصر الكلب للنبي!	غربة وحربة	24	الوافر	بلا احتسابِ	75
20	القصيدة ابنتي	في رثاء (نسيم الشوق) التي سرقها بو خاطر	غربة وحربة	33	الرجز	الحِدادْ	77
21	لا فض فوك أيها الشاعر!	في أمسية شعرية تعقب شاعرة خليعة!	غربة وحربة	44	الطويل	وينسدلْ	80
22	دمعة على إبراهيم!	راح إبراهيم ضحية أبيه المهمل!	غربة وحربة	24	مجزوء الوافر	الجمرة	86
23	الوجه الآخر للحضارة	لم تشبع الحضارة الغربية الجانب الروحي	غربة وحربة	16	الرجز	في الظلَمْ	88
24	إليك يا صاحبة الدموع!	نشأت موحدة في بيت جاهلي فعانت الويلات	غربة وحربة	27	المتقارب	يا خيّرة	92
25	أنت المنى	والد ينعي إعجاب ولده بشلة رفاق فاسدة!	غربة وحربة	10	المتدارك	في دربي	94
26	الشكاة الشاعرة	تزوج عليها ساقطة فراحت تلومه بشدة!	غربة وحربة	15	الخفيف	وأنسي	99
27	الأندلس بين المجد والفقد	في رثاء الأندلس وأهلها الموحدين!	غربة وحربة	175	الكامل	التبيانِ	101
28	عداوة الشعراء	معاداة الشعراء تعني قصائد في سمع الزمان	غربة وحربة	54	البسيط	عارُ	133
29	يسألونك عن	سألوا نبيهم فتعلموا! فلنسأل علماءنا!	غربة وحربة	15	الكامل	عليما	142
30	رمضان	لشهر رمضان ذكريات لا تعد ولا تحصى!	غربة وحربة	15	الخفيف	الأبرارِ	144
31	الشعر حنين ورنين وأنين	كل شعر ليس وليد المعاناة فليس بشعر!	غربة وحربة	106	الكامل	والأرجاسُ	146

32	أنا يا أخا الأوطان!	في غربتي سمعت مصطلح مواطن ووافد!	غربة وحربة	60	الكامل	وطن حبيبْ	155
33	طموحٌ يقتله الواقع	لا ينبغي استسلام الشاعر لواقعه بل يكتب!	غربة وحربة	27	الوافر	الفتوحُ	160
34	غربة وحربة وكربة	هذه القصيدة تلخص ما لقيتُ في غربتي!	غربة وحربة	40	البسيط	يضطربُ	171
35	بين رونا وهتيف	حوار بين فتاة المدينة وفتاة البادية!	غربة وحربة	66	الرمل	بائرِ	174
36	صرخة في ضمير الأمة	معارضة لقصيدة: (شوق ودماء) للنحوي!	غربة وحربة	214	البسيط	والخطرُ	181
37	لهذا انحنيتْ	في الرد على (لماذا انحنيت) لجابر قميحة	غربة وحربة	111	المتقارب	اعتديتْ	200
38	إليكِ يا فتاة الإسلام!	معارضة لقصيدة الشهيد محمد عوّاد!	غربة وحربة	160	الكامل	وتندّرِ	209
39	قلمٌ يدافع عن نفسه	معارضة لقصيدة: (براءة) لجابر قميحة!	غربة وحربة	78	البسيط	بعيره السنمُ	225
40	نهج العمرية	معارضة لعمرية حافظ إبراهيم!	غربة وحربة	29	البسيط	أهديها	233
41	وتسألني عن الأطلال	في الرد على نوال السعداوي!	غربة وحربة	14	الخفيف	التعازي	241
42	جنازة الطفولة	أصبحت الأطفال في زمني ترمى في القمامة	غربة وحربة	14	الوافر	يترجى	242
43	الرجولة الباكية	في تأبين الأديب الدكتور نجيب الكيلاني!	غربة وحربة	13	الوافر	الزمانِ	245
44	مداعبة	هدية لولدي حسان الذي تعددت أمراضه!	غربة وحربة	13	الطويل	والدما	246
45	لو كنتُ عنده لغسلتُ عن قدميه!	تعليقي على حديث هرقل مع أبي سفيان!	غربة وحربة	76	الكامل	أعلمُ	261
46	دموعكِ يا أختاه دموعي!	في تقريظ ثبات نائلة بنت الفرافصة!	غربة وحربة	28	الخفيف	وطارا	266
47	لو ولد النبي في أرواحكم	أؤيد ما رآه رشيد الخوري من المؤاخذة!	غربة وحربة	46	الرمل	القيما	269

الفهرست الموضوعي 19الطبيبتان

مسلسل	عنوان القصيدة	موضوع القصيدة	اسم الديوان	ع أبيات	البحر	القافية	الصفحة
1	مصابيح الدجى	علماؤنا العرب المسلمون صُناع حضارة!	الطبيبتان	300	الخفيف	الأحياءُ	21
2	مستعفف ومستبصر	ساعد الكل فلما احتاج إليهم خذلوه!	الطبيبتان	70	البسيط	يحتفلُ	58
3	ليس من الموت مفر	أنقذت أخواتها وأمها وسقطت في أتون الجحيم!	الطبيبتان	28	المتقارب	بمستعذبِ	63
4	شهر جهاد لا شهر خمول	مهما كتبنا عن شهر رمضان فما وفيناه حقه!	الطبيبتان	56	الخفيف	العلياءِ	65
5	الإمعة	بدوية تتمرد على البادية لسكناها المدينة!	الطبيبتان	111	الوافر	الطغاةِ	69
6	نعمة الأب	الأب وإن كان كافراً نعمة كبرى لابنه العاق!	الطبيبتان	52	البسيط	يُبتذلُ	75
7	لبنانية	كانت تلتمس الطعام في القمامة إذ قتل زوجها	الطبيبتان	62	البسيط	تستعرُ	80
8	ارجعن فلقد آذيتن	طاردت عائشة الجاري الراقصات حتى الباص	الطبيبتان	60	الكامل	البُلدانِ	86
9	كلبها كل شيء في حياتها	ساقطة غربية تصرح: كلبي كان كل حياتي!	الطبيبتان	40	الكامل	بديلا	90
10	ماذا دهاك يا ابن منصور؟!	أعتب على الدكتور إسماعيل منصور (النقاب)!	الطبيبتان	14	الوافر	للجدالِ	94
11	بناء النفوس يرجح بناء الأرض!	انشغل ببناء الدار وتأنق فيها وأهمل الأولاد!	الطبيبتان	14	المضارع	فخرا	96
12	شعري أقرب للتقوى!	ردي شعراً على من طلب مني شعراً غزلياً لي!	الطبيبتان	14	السريع	شجني	97
13	رفقاً بنفسكِ يا ابنة العم!	تقدم صالح ليخطبها فرفض الأهل فأوصيتْ!	الطبيبتان	14	المجتث	الكلاما	98
14	دموع بلا رصيد!	بعد أن خربت بيت زوجها راحت تعتذر بالدمع	الطبيبتان	15	المتدارك	مأربْ	99

15	فأين المعايير؟!	أراد الاقتراض ممن أحسن إليهم فخذلوه!	الطبيبتان	14	الطويل	الدما	100
16	أي وفاء بعد هذا يا منار؟!	تزوجها عاقراً فقبلت تربية أولاده الخمسة!	الطبيبتان	14	الوافر	أما	103
17	بُهلول	بهلول يقولها لهارون: من هذا إلى هذا!	الطبيبتان	14	المنسرح	مستقيمُ	104
18	عرفتُ الطريق إلى عالم الوهم	كان ينشد من زواجه منها إقامة الدين فلم تكن	الطبيبتان	14	السريع	والفرَحُ	112
19	ما عهدناك هكذا يا وليم!	تظاهر الصليبي بالحيدة فإذا به منصر كبير!	الطبيبتان	14	المجتث	وامتنانا	113
20	احترموا اللغة العربية	كثر احترام الإنجليزية على حساب العربية!	الطبيبتان	14	الطويل	افترى	115
21	الشاعر عندما يعف	طلب مني صياغة قصيدة بمناسبة بمال كثير!	الطبيبتان	14	الخفيف	والتسامي	120
22	ألسنتكم لا تراعي حق الجوار	جيران راحوا يخببون امرأته عليه فذمهم!	الطبيبتان	15	المضارع	وتروى	125
23	باكية إلى الأبد	قتل الصرب زوجها فانتحبت وبكت كثيراً!	الطبيبتان	15	السريع	يحتضرُ	126
24	القلم النزيه كالسيف	الكاتب الصادق لا يُطوع مبدأه بمال الدنيا!	الطبيبتان	14	المجتث	ساعة	128
25	الجميلات والحرام	عملن بمقاهي الإنترنيت وأدركن سر اللعبة!	الطبيبتان	15	المتدارك	الغفوة	129
26	امرأتان من صعيد مصر	إنهما: هاجر زوج إبراهيم ومارية زوج محمد	الطبيبتان	30	الوافر	والنجادِ	133
27	القاتل البطيء	كتبتُ غير مرة عن التدخين ذلك القاتل البطئ	الطبيبتان	28	الخفيف	مستساغا	144
28	إلى كل مدير متعنت	هديتي إلى كل مدير هو حجر عثرة في العمل!	الطبيبتان	33	الوافر	الجراحا	154
29	الطبيبتان	قصتهما مع الكفاح استهوتني فصغتها شعراً!	الطبيبتان	142	الطويل	التضحياتِ	162
30	رقية المحارب	أحيي الكاتبة الغيورة الدكتورة رقية المحارب	الطبيبتان	30	الكامل	أن تُشْكرا	182
31	ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض	يجب أن نخضع العلم للقرآن وليس العكس!	الطبيبتان	20	الخفيف	أي نجاحِ	192

32	السمهري اليماني في نحر الأغاني	بيان حقيقة كتاب الأغاني للرافضي الأصفهاني	الطبيبتان	37	الوافر	الامتداحِ	195
33	بكر أبو زيد عالم عصره	إنه تاج رؤوسنا ودرة علمائنا بكر أبو زيد!	الطبيبتان	13	المتقارب	وحيدا	221
34	تلك شريعة الغاب	عندما لا يرحم الأغنياء الفقراء تكون غابة!	الطبيبتان	15	الخفيف	البؤساءَ	234
35	لم يبلغ شاعركم شأواً!	راحوا يمتدحون شاعرا جاهلياً فأنكرتُ عليهم	الطبيبتان	15	المضارع	الإباحي	240
36	أيأسٌ بعد أمل؟	الداعية الصادق لا ينبغي أن ييأس أبداً!	الطبيبتان	15	السريع	وما يجبُ	241
37	قد عرفتُ الطريق	الأخوة أخوة العقيدة أولاً! وإلا فلا أخوة أبداً!	الطبيبتان	14	الطويل	منفعة	243
38	من أرشيف الغربة	سرق الأخ الأديب – فيما يدعي – كتب أخيه!	الطبيبتان	14	الرمل	الملتقى	248
39	الخائنة مجنيٌ عليها	لعبت بالنار بين عشاقها فاحترقتْ	الطبيبتان	14	المتدارك	بالثورة	251
40	انحدار إلى عالم الدنس	الداعية عندما يُفتن تكون مصيبة كبيرة!	الطبيبتان	14	المضارع	لا يُبالي	260
41	التوبة التوبة يا أبتاه	كاتب إباحي ابنه كاتب إسلامي راح يسأله التوب	الطبيبتان	10	السريع	في عِظتي	262
42	لا عزاء للشامتين	عندما يعزيك شامت فيك فهذا من أعتى الضنك	الطبيبتان	13	المجتث	يكفي	264
43	شاعر ولكن رافضيٌ خبيث!	ما دفاع شاعر رافضي خبيث عن الإسلام؟!	الطبيبتان	11	المجتث	سيدْ	265
44	لأنها من الصعيد!	لم تغرها الحاضرة بجاهليتها الزائفة!	الطبيبتان	14	الكامل	وبطاحِ	270
45	عندما يعف الواعظ	عفاف الداعية يجعله يقول الحق واضحاً!	الطبيبتان	14	السريع	محتسبا	280
46	وما أدراك ما هدى!	ثبتت على الحق ودعت إلى الله في بلاد الغرب	الطبيبتان	14	المجتث	مليحا	284
47	اختلاف	شقيق شهم أنفق على شقيقه النذل يحسبه يتغير	الطبيبتان	14	السريع	القيمِ	290

الفهرست الموضوعي 20عجبت من قدرة الله

مسلسل	عنوان القصيدة	موضوع القصيدة	اسم الديوان	ع أبيات	البحر	القافية	الصفحة
1	مروءة نادرة	سُرقت سيارته فجمع أصحابه ثمنها لشراء أخرى	عجبت	29	الكامل	الأحبابُ	13
2	إلى رئيس التحرير	مجلة شهيرة ردت عليّ قصيدتي بلا مبرر!	عجبت	27	الخفيف	بالتعالي	15
3	في وداع الخريجين	نودع طلابنا المتخرجين من مدرستنا بقصيدة!	عجبت	66	البسيط	موتورا	17
4	قوتنا في وحدتنا واتحادنا	اختلفن في الإرث ثم اهتدين إلى الوحدة!	عجبت	50	مجموعة بحور	مجموعة قوافي	21
5	الهجرة النبوية نقطة تحول!	بناء الدولة في المدينة حول الدفة وقلب الأمور	عجبت	73	الكامل	يا خير الورى	24
6	شهيد الحق	هذه القصيدة تصحح مفهوم الشهادة الحقيقية	عجبت	30	الوافر	العطايا	31
7	المودع الكريم	نودع طلابنا كل عام بقصيدة جديدة!	عجبت	29	مخلع البسيط	والتهاني	37
8	العَودُ أطيبُ يا أستاذي	تلميذة نجيبة تعظ معلمها بأن يعود إلى الحق!	عجبت	45	البسيط	أبا	40
9	مزايدة	للزوجة مكانها لا تتعداه إلى مكان الزوج!	عجبت	45	الطويل	العِندُ	45
10	مطعم ضفاف النيل – عجمان	كان مطعمي المفضل في دار غربتي وشقائي!	عجبت	19	الوافر	يطولُ	53
11	واليوم على عشرين نحو	كان الزواج على أربعة أنحاء واليوم على عشرين	عجبت	30	البسيط	مقبولا	55
12	النادلة والشهم	توفي زوجها فعملت نادلة فتزوجها ابن عمه!	عجبت	29	المتقارب	نازلة	57
13	استعطاف فوق الوصف	إنه استعطاف زبيدة للمأمون بعد موت الرشيد	عجبت	15	الطويل	قصتي	59
14	اذكروا محاسن موتاكم	حديث ضعيف وينزله الناس اليوم منزلة الصحيح	عجبت	14	الكامل	الورى	64

15	شريط الذكريات	تذكرتُ أمي ونصائحها ومواعظها لي صغيراً!	عجبت	18	الوافر	دامي	65
16	فذكرتُ غيرة الزبير	من كأسماء اليوم تقدر غيرة زوجها عليها؟!	عجبت	16	الكامل	ووئاما	67
17	بقايا طعام	عسير على النفس أن ترى أسرة تأكل البقايا!	عجبت	20	المتقارب	لا تحفلي	70
18	غسان أبو خضرة	إنه القارئ المنشد الموحد المحترم!	عجبت	36	البسيط	أشجاني	72
19	يا ابن عم لا تتركنا!	داعية محترم كلما زار بيت عمه أدار مجلس علم	عجبت	21	المتقارب	البسملة	75
20	عمار	ضحية التجبر والظلم ويوماً سيأخذ الله حقه!	عجبت	100	الكامل	الغفارُ	77
21	الأعمال بالخواتيم	عروس تتوضأ للصلاة وتخرب الماكياج وتلقى الله	عجبت	44	البسيط	إحسانا	86
22	أخو النمروذ من الرضاعة	هديتي لكل مغتر بمنصبه الذي لم يدم لغيره!	عجبت	19	الرجز	البصيرة	97
23	في رحاب الهجرة	كانت هجرة نبينا نقطة تحول تاريخية كبيرة!	عجبت	21	الكامل	وتُرغبُ	99
24	عجبت من قدرة الله تعالى	معارضة لقصيدة: (عجبتُ لا تنتهي)!	عجبت	128	البسيط	تِيها	102
25	الزاهية تحدثنا عن نفسها	كتبتها بناء على طلب الشيخة فاطمة بنت زايد	عجبت	88	مجموعة بحور	مجموعة قوافي	112
26	الابتلاء سنة ماضية	لا يذر الله الناس عند قول الإيمان بل يبتليهم!	عجبت	115	الكامل	بتعددِ	120
27	التميز طريق النصر	لا يتميز إلا المجدون المجتهدون!	عجبت	38	البسيط	ويفتخرا	127
28	البكائية النحوية	في تأبين الدكتور عدنان النحوي رحمه الله!	عجبت	46	الكامل	للقهارِ	130
29	عودة طيبة وجمع كريم	بمناسبة عودة الطلاب إلى المدرسة!	عجبت	30	البسيط	اللينا	146
30	مستهترة أنتِ يا هند!	إن تصوير النساء وتداول صورهن مصيبة!	عجبت	82	الطويل	الصهدُ	152
31	بل أنت المستهتر يا زيد!	بدلاً من اعترافها بالخطأ راحت تجادل بالباطل	عجبت	60	الطويل	يا زيدُ	159

32	مهرجان القبَل	في احتفال عام تبادلت البهائم العجماوية القبل	عجبت	20	الرمل	من رجلْ	165
33	مروءة لا أحلى ولا أجمل	حجز تذاكرها وتذاكر أولادها مبتغياً وجه الله!	عجبت	28	المتقارب	القهقرى	174
34	حامل المسك	اعتاد أن يشفع كل أجر حصة بقنينة عطر!	عجبت	32	البسيط	عنه خلا	177
35	الحُطيئة (إمام الهجائين)	لم يبلغ أحدٌ في الهجاء مثل هذا الشاعر!	عجبت	29	البسيط	به العربُ	180
36	فليكرم ضيفه	اعتاد أن يكرم معلمه بوضع ثمن الحصة سلفاً	عجبت	42	الكامل	ما تطلبُ	184
37	وما يفعلوا من خير فلن يُكفروه!	تزوج العجوز وورث عنها ثروة طائلة!	عجبت	51	البسيط	عرفانا	191
38	الشقيقتان	اتخذتا من أخيهما الأكبر الشهم عدواً بلا مبرر	عجبت	72	الكامل	بدون حياءِ	196
39	بخواتيمها الأعمال	موقف جبلة بن الأيهم مع عمر بن الخطاب	عجبت	41	الكامل	يا ابن الأيهمِ	207
40	بل حرامٌ يا مرتزق!	الأدلة على تحريم الغناء واضحة في الوحيين	عجبت	16	الوافر	نصيبُ	212
41	في وداع رمضان	الرمضانيون يعبدون الله في شهر رمضان!	عجبت	28	الكامل	أعماقي	245
42	نعزي أم نهني؟!	أب تألم من مرض موته سنين ثم لقي الله!	عجبت	18	البسيط	الذخر	258
43	دمعة وداع	في تأبين الشيخ جاد الحق علي جاد الحق!	عجبت	19	البسيط	دمُ	263
44	رسالة عزاء رقيقة إليك يا عدنان	في تأبين إياد ابن الدكتور عدنان النحوي!	عجبت	150	الكامل	كالمرجانِ	271
45	نجمٌ في سماء النشيد	تحية للمنشد المسلم محمد المساعد	عجبت	15	الخفيف	اللآلي	287
46	نكون أو لا نكون (أرجوزة)	ما قيمة الصحبة إن لم يكن نصح وتناصح؟!	عجبت	75	الرمل	قوافي منوعة	288
47	خلق فلا يعبد سواه!	ربنا هو الجدير بالعبادة وحده!	عجبت	27	الكامل	أهليها	294
48	ست الشام	الأميرة زمرد خاتون أخت صلاح الدين الصغرى	عجبت	88	البسيط	من نعم	305

الفهرست الموضوعي 24خانك الغيث!

مسلسل	عنوان القصيدة	موضوع القصيدة	اسم الديوان	ع أبيات	البحر	القافية	الصفحة
1	الأطلال اليمنية (1 & 2)	الشوق إلى المحبوب الغائب!	خانك الغيث!	44-28	الرمل	منوعة	13-11
2	الديوان منتجع الشعراء!	الإشادة بموقع الديوان الذي نشرتُ فيه!	خانك الغيث!	92	الخفيف	المعاني	18
3	بُردة أبي بكر الصديق!	تناولتُ فيها حياة الصديق رضي الله عنه!	خانك الغيث!	96	البسيط	وأنتصفُ	27
4	بُردَة عمرَ رضي الله عنه!	تناولتُ فيها حياة عمر رضي الله عنه!	خانك الغيث!	150	البسيط	تنهمرُ	41
5	بُردَة عائشة رضي الله عنها!	تناولتُ فيها حياة عائشة رضي الله عنه!	خانك الغيث!	111	البسيط	بالنغمِ	73
6	بُردَة عثمان رضي الله عنه!	تناولتُ فيها حياة عثمان رضي الله عنه!	خانك الغيث!	96	البسيط	رحمانا	93
7	بُردَة علي رضي الله عنه!	تناولتُ فيها حياة علي رضي الله عنه!	خانك الغيث!	133	البسيط	طيّب الكلمِ	122
8	بُردَة فاطمة رضي الله عنها!	تناولتُ فيها حياة فاطمة رضي الله عنه!	خانك الغيث!	144	البسيط	بالرنمِ	146
9	آلام فراق الأحبة!	عارضتُ وعربت فيها (بعاد كنتم ولا قريبين)	خانك الغيث!	44	الرمل	قافية منوعة	161
10	حبيبتي أقبلت!	عارضت فيها لسان الدين بن الخطيب	خانك الغيث!	36	البسيط	الحِدَقِ	171
11	حنين بقلبي!	عارضتُ فيها الدكتور عبد الرحمن العشماوي	خانك الغيث!	32	المتقارب	قافية منوعة	174
12	خانك الغيث!	معارضة لجادك الغيث لابن الخطيب	خانك الغيث!	36	الرمل	قافية منوعة	176
13	رباعيات الخيام اليمنية!	معارضة لرباعيات عمر الخيام	خانك الغيث!	38	الخفيف	قافية منوعة	179
14	ضحية تعتب على قاتلها!	عن قصة نيرة أشرف مع محمد عادل!	خانك الغيث!	68	البسيط	والبطلُ	186

15	عاشق عزيز النفس!	معارضة لنزار (يا من هواه أعزه وأذلني)!	خانك الغيث!	37	الكامل	متوالهُ	187
16	يا جارة الوادي (1 & 2)	معارضة لقصيدة شوقي: (يا جارة الوادي)!	خانك الغيث!	60 -27	الكامل	رؤياكِ & لِنداكِ	201-199
17	أغداً ألقاك؟!	معارضة لرائعة الهادي آدم: (أغداً ألقاك؟!)	خانك الغيث!	35	الرمل	قافية منوعة	205
18	ارجع إليا!	معارضة لقصيدة نزار قباني: (ارجع إليا!)	خانك الغيث!	48	البسيط	ومن فيها	208
19	موقع عالم الأدب مأوى الشعراء!	رسالة شكر شعرية لموقع (عالم الأدب)	خانك الغيث!	44	البسيط	عالم الأدبِ	211
20	عرسها وطلاقها في ليلة!	مدح عريس لم يقبل إهانة أحد والديه!	خانك الغيث!	32	البسيط	قد برئتْ	224
21	سلب النومِ أذانٌ صاح بي!	معارضة لموشح أندلسي قديم!	خانك الغيث!	48	الرمل	قافية منوعة	247

الفهرست الموضوعي 25الشعرُ رَحمٌ بين أهله!

مسلسل	عنوان القصيدة	موضوع القصيدة	اسم الديوان	ع أبيات	البحر	القافية	الصفحة
1	يا ليل الصب متى غده؟	معارضة لعلي الحصري القيرواني	الشعر رحم!	17	المتدارك	موعدهُ	29
2	رسالة إلى الإمام أحمد بن حنبل!	معارضة للدكتور عبد الرحمن العشماوي!	الشعر رحم!	50	البسيط	يشتملُ	52
3	زمان الأندلس!	رثيتُ الأندلس وما جرى لها ولحضارتها!	الشعر رحم!	37	المتدارك	اعتبرتْ	58
4	الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!	تناولتُ الجهلاء الذين يعتبرون الشعر وحياً!	الشعر رحم!	63	البسيط	أحلامُ	70
5	يزيد بن معاوية ما له وما عليه!	دافعتُ عن يزيد وفندت المبالغات الكاذبة!	الشعر رحم!	50	الكامل	لبيدْ	103
6	مرثية الحسين رضي الله عنه!	دافعتُ عن الحسين الشهيد البريء!	الشعر رحم!	44	الكامل	والزهّادِ	121
7	اعتذاري للشاعرة جمانة شبانة!	أخطأتُ في حقها ، فكانت قصيدتي اعتذاراً!	الشعر رحم!	60	البسيط	النظرُ	132
8	بردة الحسن بن علي رضي الله عنه!	دافعت عن الحسن ودحضتُ الشبهات!	الشعر رحم!	64	الرمل	ودما	135
9	عتاب أهل البيت لأهل الزمان!	تخيلتُ آل بيت رسول الله يعتبون علينا!	الشعر رحم!	42	الخفيف	والإيمان	147
10	معاوية بن أبي سفيان ما له وما عليه.	دافعت عن معاوية وفندت الشبهاتِ حوله!	الشعر رحم!	80	الكامل	والسفهاءُ	150
11	تفريج الكُربة في تبرئة هند بنت عتبة.	دافعت عن هند ، وبينت براءتها وعفتها!	الشعر رحم!	38	الكامل	الغبية	161
12	إفحام البُهت ببراءة المحصنات الست.	دافعت عنهن دفاعاً بالدليل والحجة والشعر!	الشعر رحم!	63	الوافر	التضحياتِ	167
13	مجد الأندلس!	تناولت أمجاد الأندلس التي خلدها التاريخ!	الشعر رحم!	38	الكامل	طيب الأفكارِ	173
14	أصحاب أحمد!	دافعتُ عن الصحابة نثراً وشعراً!	الشعر رحم!	40	الكامل	الأبرارُ	178

15	الكائنات الفضائية!	فندت الخرافات حول الكائنات الفضائية!	الشعر رحم!	46	الطويل	كل هازلِ	183
16	الشعر رحمٌ بين أهله! (سلطان الهاجري)!	أهديتها له تقديراً لجهوده في الشعر العربي!	الشعر رحم!	44	المتدارك	مهلة	188
17	الطالع السعيد في مدح خالد بن الوليد!	دافعتُ عنه وبرأتُ ساحته من الافتراءات!	الشعر رحم!	90	الكامل	الأمصارُ	191
18	بنو أمية بين الزيف والحقيقة!	بينتُ جهودهم المباركة في نشر الإسلام!	الشعر رحم!	105	الكامل	العِدا	206
19	أخرتُ عمّن هان رد سلامي!	قمتُ برد المرأة على زوجها المتطلع للنساء	الشعر رحم!	60	الكامل	كلامي	220
20	وهل نحن جئنا لنقرأ؟!	بينتُ شأن المتلاعب بالقرآن والسنة!	الشعر رحم!	60	الكامل	الأفكارا	231
21	حياة القبور رحلة طويلة!	تكلمت عن رحلة القبور والاستعداد لها!	الشعر رحم!	38	الوافر	يوم النشورِ	234

الفهرست الموضوعي 26وداعاً أيها القريض!

مسلسل	عنوان القصيدة	موضوع القصيدة	اسم الديوان	ع أبيات	البحر	القافية	الصفحة
1	القصيدة الزينبية 2	قصة الأشيب اليمني مع زوجه الشابة!	وداعاً أيها	50	الكامل	ويَعتِبُ	46
2	تحيتي لموقع الشعر والشعراء	أحييه لأنه احتفى بي ونشر لي 1888 نصاً!	وداعاً أيها	52	الكامل	المرتقى	60
3	مُحاكاة لامية ابن الوردي	أحاكي اللامية بناءً عن طلب ابني حسان!	وداعاً أيها	250	الرمل	من مُثُلْ	63
4	لولا حُرمة البيت لزدْتُك!	لصهر قال: أنا أحسن من زوج أختي فلان!	وداعاً أيها	50	البسيط	بالعارِ	68
5	تضحية بَطلها كلب!	كلب أنقذ أسرة كاملة فحييتُ صنيعه شعراً!	وداعاً أيها	40	الرمل	رَقدا	83
6	امرأة تزوجتْ رجُلين!	عاهرة متمسلمة عربية تجمع بين زوجين!	وداعاً أيها	100	الكامل	الميزانُ	92
7	نِعمتِ الأخت ، وبئس الإخوة!	وضع إخوتها الإرث مقابل الوصل فاختارت الوصل!	وداعاً أيها	55	الكامل	واصدقوا	123
8	شكوى امرأة مظلومة (نانا)	صبرتْ على ظلم زوجها لها ، واحتسبتْ!	وداعاً أيها	46	البسيط	مستعبراً لانا	133
9	تحية للأستاذ مهدي سعد زغلول!	أحيي معلم اللغة العربية الذي درسني!	وداعاً أيها	50	البسيط	والوِردِ	153
10	أحب الصالحين (محاكاة للشافعي وأحمد)!	أثنيت على الشافعي من مشربية ابن حنبل!	وداعاً أيها	42	الوافر	شُعاعَهْ	167
11	مروءة ولى زمانها (حسني بصلة)!	أعجبني سلوكه مع صديقه فأثنيتُ عليه!	وداعاً أيها	38	الكامل	الشرفاءِ	182
12	مكافأة لا قِصاص (عمر يعفو عن قاتله)!	عمر بن عبد العزيز يعفو فأثنيتُ على فعله!	وداعاً أيها	66	الوافر	أمِرْتا	195
13	أصابَكَ عشقٌ أم رُميتَ بأسهمِ؟!	عارضتُ بها يزيد بن معاوية!	وداعاً أيها	111	الطويل	مغرمِ	199
14	زلزال تركيا المدمر 2023م!	تناولتُ أحداث زلزال تركيا وسوريا!	وداعاً أيها	82	الرمل	العيونْ	208

15	المقابر تتكلم 2 (نصيحة لزائري القبور)!	وصفتُ من لا يعتبرون بالموت والقبر!	وداعاً أيها	90	الرمل	الخبرْ	220
16	أصهار خارج نطاق الخدمة!	أصهار بدلاً من أن يصلحوا ، يفسدون عمداً!	وداعاً أيها	50	الخفيف	الأشراف	242
17	قبيلة خلعتْ بُرقعَ الحياء!	قبيلة تتبرأ من رجل صالح فيها بلا مُبَرر!	وداعاً أيها	50	الرمل	العصَبْ	245
18	المقابر تتكلم 5 (ميّتٌ يطردُ المُعزين فيه)!	قاطعوه حياً ، ثم جاؤوا يُعزون أولاده فيه!	وداعاً أيها	44	المتقارب	يدانْ	252
19	وهل كانت مروءتي كلاماً؟ د. سارة!	أحسنتْ إليهم فجعلوا رد الجميل ثناءً وكلاماً!	وداعاً أيها	47	الرمل	همى	256
20	المقابر تتكلم 3 (وصية أصحاب القبور)!	تخيلتُ الموتى بعثوا وراحوا يعِظون الأحياء!	وداعاً أيها	80	المتقارب	يدكرْ	259
21	المقابر تتكلم 4 (حوار بين ميت وقبره)!	تخيلتُ ميتاً يتحدث إلى قبره!	وداعاً أيها	68	المتدارك	غفلوا	282
22	دمه وماله وعرضه! (الصهر الكاذب)	صهر كذاب أهان زوج ابنته بلا حق!	وداعاً أيها	92	الكامل	بالمكار	295
23	سعة علم أبي يزيد البسطامي	بينتُ قدرة أبي يزيد البسطامي وسعة علمه!	وداعاً أيها	38	الخفيف	واحترامي	305

الفهرست الموضوعي 27يا شِعرُ كُن ليَ شاهداً!

مسلسل	عنوان القصيدة	موضوع القصيدة	اسم الديوان	ع أبيات	البحر	القافية	الصفحة
1	رمضان أشرقْ!	تخيلت شهر رمضان وهو شمس تشرق!	يا شعر كن!	63	الكامل	الأفلاكا	23
2	يا شعرُ كن لي شاهداً!	أحسستُ بقرب نهايتي فرجوتُ شعري شاهداَ!	يا شعر كن!	150	الكامل	الأنصارا	34
3	المقابر تتكلم 6 (العفو عند المقبرة)!	يعفو المبغضون نفاقاً بعد موت من أبغضوه!	يا شعر كن!	80	الطويل	التأثمِ	48
4	القطة وإمام المسجد– وليد مِهساس!	تأثرتُ بمشهد القطة والشيخ وليد فأنشدت!	يا شعر كن!	70	البسيط	معقودُ	62
5	حللت أهلاً ونزلت سَهلاً يا عيد الفطر!	أنشدتُ في عيد فطر يستحق العفو والصفح!	يا شعر كن!	92	البسيط	من حصرِ	70
6	عزائي وتأبيني للصابوني (المرثية الصابونية)!	تأبيني للشيخ محمد علي الصابوني!	يا شعر كن!	150	البسيط	والدينِ	79
7	فإذا أمن بعضكم بعضاً!	أحد النصابين حول الدَين إلى أمانةٍ وخانها!	يا شعر كن!	73	الخفيف	بلا ترجافِ	100
8	المقابر تتكلم 7 (التأنق في بنايتها)!	هاني التأنق المبالغ فيه في بناية القبور!	يا شعر كن!	88	البسيط	بعضَ الفدادين	117
9	شَبعة من بعد جُوعة (إلى كل أسرة وضيعة)!	أسرة حقيرة تلك التي تُهين رائدًها!	يا شعر كن!	80	البسيط	العِرضِ والدينِ	138
10	عظم الله أجرك في الكتب (سارق الكُتُب)!	سارقٌ استغل سفري وسرق كتبي وممتلكاتي!	يا شعر كن!	88	البسيط	الأشرُ	147
11	نهلة بين الإشهار والتشهير!	شقيقة حقيرة تعبد المال شهرتْ بأخيها!	يا شعر كن!	70	المتدارك	حَمْلة	167
12	لا تقولوا ضحية زوجته -إلى شقيق نذل!	قالوا شقيقٌ زوجتُه غيرتْ قلبه فكذبتهم!	يا شعر كن!	48	الخفيف	احتمالي	178
13	غادة الأزهر - حبيبة خليفة!	مدحتُ الأولى على الجمهورية في الثانوية!	يا شعر كن!	90	الكامل	معْصِرا	199
14	دموع المآقي في تأبين كريم العراقي!	عزيتُ العراق والشعراء في كريم العراقي!	يا شعر كن!	40	الكامل	من الآماقِ	215

15	ليتني أطعتُ صِحابي!	نصحني أصدقائي بالابتعاد عن نصاب فتأبيت!	يا شعر كن!	40	الخفيف	النصحاءُ	246
16	غِرّيد القرآن عبد الباسط عبد الصمد!	أعجبني صوتُ الشيخ فمدحتُه وأثنيت عليه!	يا شعر كن!	44	الكامل	الغِرّيدِ	249
17	فيَضان ليبيا المدمر – دنيال	هالني فيضان ليبيا المدمر فعبرتُ عنه!	يا شعر كن!	68	الكامل	الفيَضانِ	258
18	عروسة المولد!	أثبت كيف أنها من بدع الفاطميين المغرضة!	يا شعر كن!	42	البسيط	اعترفوا	276
19	ما ذنب النقاب يا قوم؟!	يعيبُ الناس على النقاب بسبب المنتقبات!	يا شعر كن!	35	الكامل	البهتانِ	278
20	العدلُ بين الزوجات أولى!	عدّدَ ، وظلم الأولى ، فتخيلتُها تعتب عليه!	يا شعر كن!	80	البسيط	مِن القرِ	281
21	الأعمال بالخواتيم 3 (العروس الراقصة)!	عروسٌ ترقصُ ويدركها الموت على ذلك!	يا شعر كن!	26	الكامل	الأشداقِ	288
22	الفارسة المنتقبة!	تدربتْ على ركوب الخيل باختيارها!	يا شعر كن!	38	المتقارب	السوْددا	292

الفهرست الموضوعي 27اللهم تقبلْ مني شعري!

مسلسل	عنوان القصيدة	موضوع القصيدة	اسم الديوان	ع أبيات	البحر	القافية	الصفحة
1	المنتقبتان الضرّتان!	سعتْ الضرة في دعوة ضرتها ، فأصلحتْها!	اللهم تقبل!	33	البسيط	طغواكِ	13
2	ذاتُ النقاب والفارس!	دَعتِ ابن عمها الفارس ليُصلح زوجها!	اللهم تقبل!	40	مجزوء الوافر	يجري	18
3	مُمارسات لا تليق بالمنتقبات!	نددتُ بممارسات تُزري بالنقاب والمنتقبات!	اللهم تقبل!	33	مجزوء الرمل	قِيمة	24
4	منتقباتٌ في الحديقة!	كُن في الحديقة مثالاً في الحِشمة والوقار!	اللهم تقبل!	38	البسيط	الأملُ	29
5	أطفال تحت الأنقاض!	نددتُ بقتلة الأطفال والنساء بغير الحق!	اللهم تقبل!	55	الخفيف	الفخارا	32
6	النقاب للستر لا للنشر!	غزتْ صور المنتقبات الفيس فنددتُ بذلك!	اللهم تقبل!	45	البسيط	الشر	48
7	دعاء مغترب!	ظلموه في غربته بغير حق فدعا عليهم!	اللهم تقبل!	43	الخفيف	عبدا	52
8	نسيم الشعر على عطية صقر!	أطريتُ للشيخ ، وأشدتُ بجهوده العظيمة!	اللهم تقبل!	35	البسيط	واستقري	64
9	أبتاهُ عُذراً!	طبيبٌ يرى جُثة أبيه في أرض الرباط فأسف	اللهم تقبل!	23	البسيط	الجثامينُ	78
10	القارئ المرتل (ظافر التائب)	مدحتُ التائب لصحبةٍ دامت سنين في الغربة	اللهم تقبل!	12	الرمل	القمرْ	80
11	من فات قديمَه تاه!	عِبتُ على كل حقير ينسى ماضيه ويتنكر له!	اللهم تقبل!	18	البسيط	لقد كانوا	87
12	نجوم في ظلمات حياتنا!	أشدتُ بالقراء العشرة المصريين الفطاحل!	اللهم تقبل!	15	الطويل	مُخَبّرا	91
13	نقابٌ غطتْه الدماء!	احتضنتْ طفليها شهداء في أرض الرباط!	اللهم تقبل!	17	الكامل	الأعداءُ	94
14	اغنم زمانك يا فولي!	مهداة إلى ابن عمي الشاعر الفولي عصران	اللهم تقبل!	65	البسيط	فبي خجلُ	96

15	البدوية المنتقبة!	راحت تتذكر البادية وتحن إليها بكل ما فيها!	اللهم تقبل!	38	المتقارب	الماشية	102
16	السمط الثمين في حِكمة ابن عثيمين!	أشدتُ بابن عُثيمين وعلمه ودعوته وخلقه!	اللهم تقبل!	18	البسيط	وتخمينِ	107
17	القمر المنتقب الصغير!	بنتٌ صغيرة ترتدي النقاب أسوة بأمها!	اللهم تقبل!	28	الكامل	داجية	112
18	وداعاً صديقي محسن مأمون رسلان!	رَثيتُ كثيراً لوفاة صديقي محسن رسلان!	اللهم تقبل!	17	الخفيف	قصيدا	123
19	الأزهري الصغير معاذ!	أعجبني نشاط معاذ (الأزهري الصغير)	اللهم تقبل!	22	الخفيف	بالفعالِ	128
20	المقابر تتكلم 8! (بدع الجنائز)	تحدثتُ عن البدع التي أحدثها الناس!	اللهم تقبل!	52	الوافر	السوّالِ	135
21	مراعاة شعور الآخرين مروءة!	خالٌ نذلٌ احتفل بابنه وتعامى عن ابن أخته!	اللهم تقبل!	16	الكامل	ابتُلوا	164
22	إلى أين يا عَدُوة نفسِها؟!	استغلتْ سفر زوجها وسرقت أمواله بالحِيلة	اللهم تقبل!	45	المتقارب	الطرقْ	177
23	حكاية الجرسونة (روزا)!	جادت بمال قليل على عجوزين لتربح أضعافه!	اللهم تقبل!	21	الكامل	الإطراءِ	182
24	في مكتب مدير المدرسة! (1)	إدارة تُعامل المعلم أخسّ عن الكلب!	اللهم تقبل!	55	البسيط	لِقا	184
25	في مكتب مدير المدرسة! (2)	إدارة عاجزة عن الإتيان بحق المعلم!	اللهم تقبل!	30	البسيط	الفلحُ	189
26	لا وقت للدُمي ، يا بُني!	على أرض الرباط قلت للطفل: لا وقت للدمى	اللهم تقبل!	20	وزن مخترع!	الدِّما	192
27	لكِ احترامي وحبي!	امرأة مدنية وتفضل البادية حباً في زوجها!	اللهم تقبل!	40	البسيط	السغب	195
28	لماذا تبكي النّساء؟!	تبكي النساء بسبب عقوق الأبناء الفظيع!	اللهم تقبل!	15	البسيط	فجروا	201
29	هرقل والمُلك الزائل!	كاد هرقل أن يُسْلم لكنه مال إلى الدنيا!	اللهم تقبل!	20	الرمل	السرابْ	204
30	أختٌ مِن الأب!	تولت أمر أسرتها وأبيها وإخوتها جميعاً!	اللهم تقبل!	44	البسيط	ننثني تِيها	209
31	رسالة منتقبة حكيمة!	كانت عاقراً فزوّجت زوجها من طالبتها!	اللهم تقبل!	27	المتقارب	المُوجعِ	219

32	سنرحلُ ، ويبقى الأثر!	مدحت د. مشالي والمهندس صلاح عطية!	اللهم تقبل!	23	المتقارب	المقتدرْ	222
33	عليه العِوَض ، ومنه العِوَض!	طالبات كن بالحجاب وفي الجامعة خلعنهُ!	اللهم تقبل!	45	البسيط	الهدفُ	230
34	هل مات العريس؟!	أتِيَ بالقرآن في العرس فرحل المعازيم!	اللهم تقبل!	27	البسيط	فرُطا	233
35	التجملُ الباطلُ في وسائل التواصل!	مهما تجملت في الفيس وغيره ، فمكشوف!	اللهم تقبل!	36	الوافر	مَجيدا	235
36	الخمسة أولادي!	رزقت من الأرمل بولدين وضمتْهم لأولاده!	اللهم تقبل!	24	المتدارك	أعترفُ	237
37	تذكر يوسف وموسى!	وصتْ ابنها أن يكون مثل يوسف وموسى!	اللهم تقبل!	22	الخفيف	المزايا	239
38	رجل جمع القرآن صوتياً (لبيب سعيد)!	الدكتور لبيب سعيد سجل المصاحف كلها!	اللهم تقبل!	15	الكامل	الأكوانِ	241
39	سامحوني أيها الأبناء!	أب لم يحسن اختيار زوجته فاعتذر لأبنائه!	اللهم تقبل!	46	البسيط	الدونِ	243
40	كلابها أصدق من أهلها!	قرية رجالها ونساؤها كذابون وتصدق الكلاب!	اللهم تقبل!	24	البسيط	من دُورِ	249
41	مالك بن دينار وابنته!	مالك وانته فاطمة من القصص الخالدة!	اللهم تقبل!	34	البسيط	تنزيها	251
42	من المحنة تأتي المنحة!	طالب الطب وكليته المسرطنة قصة عجيبة!	اللهم تقبل!	17	الرمل	خطرْ	254
43	هل أصبحتُ وباءً؟!	عاد من السفر فتنكر الكل له كأنهم لا يعرفونه!	اللهم تقبل!	35	الكامل	ما تُخفونا	256
44	ياسمين والرحيل إلى الله!	صراع ياسمين مع السرطان قصة مأساوية!	اللهم تقبل!	50	البسيط	وينفطِرُ	258
45	اللهم تقبل مني شعري!	أحسستُ بالنهاية فتضرعتُ لله أن يتقبل شعري!	اللهم تقبل!	55	البسيط	أجري	265
46	زوجات مبتكرات!	احتجن قصيدة شكر على ابتكارهن العجيب!	اللهم تقبل!	22	البسيط	الخللُ	283

الفهرست الموضوعي 28 الله الله في شعر أبيكم!

مسلسل	عنوان القصيدة	موضوع القصيدة	اسم الديوان	ع أبيات	البحر	القافية	الصفحة
1	دمعة على الزنداني!	تأبين الشيخ عبد المجيد الزنداني –رحمه الله-	الله في شعر!	50	البسيط	زنداني	23
2	كم أعطوك؟!	ردي على حاقد يقيس الشعر والعلم بالمال!	الله في شعر!	44	البسيط	محياه	28
3	كذبتني ، فهل صدقت؟!	شريط سجلته بالمواقف فكذبه الأشيب حالفاً!	الله في شعر!	40	الكامل	الجافي	31
4	الخديعة الكبرى!	خدعتْ زوجها ولم تعمل بالقرآن ولا بالسنة	الله في شعر!	50	الطويل	الطنس	41
5	نحن جاهزون للطلاق!	صِهرٌ مغالط أراد تطليق ابنته ليُخفي الحقيقة	الله في شعر!	42	الكامل	الخداع الألكد	55
6	(الله الله في شعر أبيكم!)	وصيتي الشعرية لأبنائي ليعملوا بها إذا مِتُّ!	الله في شعر!	46	البسيط	تأليها	58
7	سأعَلمها وأربِّيها!	يخطيء من يتزوج جاهلة ويقول: أربيها!	الله في شعر!	55	الكامل	لِمُدانِ	61
8	ذهب النشوز بالحب!	المرأة العنيدة الناشر لا تبني ولا تربي مطلقاً	الله في شعر!	36	الكامل	أن تنظرا	72
9	زوج رومانسي!	ينبغي التلطف بالمرأة عند اندلاع الخلافات!	الله في شعر!	24	المجتث	في التحدي	75
10	الجهل سلاح المرتزقة!	المرتزقة يعارضون أن لا يُعطوا من الزكاة!	الله في شعر!	41	البسيط	تبريرا	38
11	شكرٌ أتى متأخراً! (الشيخة فاطمة)	أحسنت إليَّ الشيخة فاطمة ، وأشكرها شعراً	الله في شعر!	30	الخفيف	تحية	87
12	صلاة التراويح الظافرية!	أمدح الشيخ ظافر التائب وتراويحه ودروسه	الله في شعر!	60	الكامل	تقواكا	90
13	عُقبى حُب الظهور!	جاهل ابتلي بحب الظهور ثم لُقن درس فذاً!	الله في شعر!	30	السريع	جهرا	105
14	اذكُرْ دراجَتك وقفاصَتها!	عيرني بدراجتي متناسياً عربته ذات الحمار!	الله في شعر!	44	الكامل	الأفاكا	109

15	شتان بين اللجنتين!	لجنة قرآنية متساهلة ، وأخرى متعنتة جدا	الله في شعر!	48	الخفيف	الارتقاء	116
16	فاعفوا واصفحوا!	أبناء ورثوا عن والديهم البغض فنصحتهم!	الله في شعر!	44	البسيط	الضررا	122
17	ما تغيرَ الحالُ ولا الخال!	الثبات على المبدأ نعمة! وأحيي هذا الخال!	الله في شعر!	41	البسيط	أجيالُ	152
18	فراق الدكتور فكري حجازي!	أبكي رحيل الدكتور فكري حجازي رحمه الله	الله في شعر!	19	المجتث	ورقا	181
19	تأبين سعيد عبد العظيم!	رثاء الشيخ سعيد عبد العظيم رحمه الله!	الله في شعر!	48	الكامل	نواحِ	197
20	إدانة وإهانة وإبانة!	إدانة الزوج وإهانته تهدم البيت العامر!	الله في شعر!	50	الوافر	باعا	201
21	الأمانة بين الصيانة والخيانة	خيانة الأمانة من أراذل الناس وأوباشهم!	الله في شعر!	50	البسيط	مزدجرْ	206
22	شهداء بقيع مصر!	5000 صحابي جاهدوا وماتوا ودفنوا في مصر	الله في شعر!	28	الكامل	والمأمولُ	230
23	بنت الصعيد منى بكر!	الدكتورة منى رحمها الله ضحية الحقد الغربي!	الله في شعر!	33	الكامل	يُعربُ	238
24	أمنية كافور الإخشيدي	تمنى كافور الملك وهو عبد ، وأناله الله إياه!	الله في شعر!	44	الكامل	كافورُ	244
25	الطبل والتطبيل!	لغة التطبيل لا يجيدها إلا المرتزقة الأوباش!	الله في شعر!	30	الكامل	المخبولا	251
26	أول القصيدة كُفر!	ردي على ابن هانئ وهو يؤله المعز لدين الله!	الله في شعر!	28	البسيط	رزقا	268
27	الشعر لا يقتات به!	الشعر لا يقتات به فليس وسيلة ارتزاق!	الله في شعر!	26	الكامل	كَفافِ	271
28	المعروف لا يضيع!	إن ضاع العرف عند الناس فعند الله لا يضيع	الله في شعر!	29	المتقارب	المُربحة	277
29	ياسمين ولد دالي!	الأولى على العالم في القرآن وأين في أمريكا	الله في شعر!	44	الوافر	التحية	283

فهرست القصائد & مسرد موسيقي – (حسابي مع الأوباش!)

مسلسل	عنوان القصيدة	البحر	القافية	الصفحة
الإهـ	ـــ	ـــ	ـداء	9
الـمـ	ـقـ	ـدمـ	ـة	11
الافـ	ـتـتـ	ـاحـيـ	ـة	13
اكـ	ـتـشـ	ـ	ـاف	15
اسـ	ـتـهـلالٌ عـن الـظـ	ـلـم والـ	ـظالـمـيـن	17
1	عداوة الشعراء!	البسيط	عداوُهم عارُ	25
2	اذكروا محاسن موتاكم!	الكامل	ألبابَ الورى	29
3	هذا بلاؤك يا ابن سليمان!	الكامل	المولى العلي	34
4	المروءة مني ، وأنا منها!	الوافر	بالخِدَاعِ	37
5	ثمن المروءة!	الكامل	سَوامُ	38
6	إلى مظلوم مقهور!	الكامل	ومُنْجِدي	39
7	فلعلك باخع نفسك!	الخفيف	الأدعياء	45
8	قلبٌ يُعـــــذب!	المجتث	الجلادة	46
9	أرشيف المعالي!	مشطور الرجز	والآمالِ	47
10	السُّمعة الدامية في دياجير التيه!	الوافر	عَزوفِ	48
11	بداية الطريق!	الرمل	حصلْ	49
12	بعد اليوم بين بين!	الكامل	والغلوَاءِ	50
13	بعد اليوم!	المتقارب	المهزلة	51
14	فأين المعايير؟	الطويل	تُقرّحه الدما	52
15	صَمتُ الثبات!	مجزوء الرمل	القيامة	53
16	شِعرٌ يؤبّنُ صاحبه!	الكامل	ألحاني	56
17	صدقت يا أبتاه!	المتقارب	والجوى	63
18	سامحوني أيها الأبناء!	البسيط	بالعِيشة الدُونِ	64
19	هل أصبحتُ وباءً؟!	الكامل	ما تُخفونا	70
20	المقابر تتكلم 5 (ميّتٌ يطردُ المُعزين فيه!)	المتقارب	يدانْ	72
21	شقيقان فرقهما الهوى!	الرمل	عذبا	76
22	لا تبكِ يا مَن كنت شقيقي!	البسيط	يَمتدُ	81
23	أخوّتـــــان!	البسيط	ومن عقلوا	82

24	الأخوة الزائفة! (سُداسيات شعرية)	الرمل	أنت الأرفعُ	89
25	الرجولـــة المـــوءودة!	الخفيف	رسولُ	92
26	صِدق الأخـــــوة!	المنسرح	تقتبسُ	94
27	فأين المعالـــــي؟	الكامل	والإصباحِ	96
28	فأين حق الجـــوار؟	الرمل	سرائرْ	97
29	من أرشيفِ الغربـــــة!	الرمل	المُلتقى	98
30	اختـــلاف!	السريع	عالم القيمِ	99
31	مفاجأة انعكاس الحقائـــق!	السريع	يختلفُ	100
32	لا تقولوا: ضحية زوجتـــه!	الخفيف	فوق احتمالي	102
33	عظم الله أجرك في الكتب!	البسيط	يُنسَبُ الأشِرُ	123
34	الثعبـــــان 1	المجتث	خطبي	143
35	الثعبـــــان 2	البسيط	من قدروا	144
36	دمعـــــــة!	الخفيف	حقا	145
37	الأشقاء الأعداء!	الرمل	الكذبُ	146
38	قد عرفتُ الطريق!	الطويل	منفعة	149
39	الشقيقتـــــان!	الكامل	بدون حياءِ	150
40	نهلة بين الإشهار والتشهير!	المتدارك	حَمْلة	162
41	لولا حُرمة البيت لزدْتُك!	البسيط	بالعارِ	173
42	أنا النذير العُريان!	الكامل	بالمنذر العُريانِ	178
43	تبديدٌ متعنت!	الوافر	مِعراجُ	181
44	الشاعرُ المُفتَرى عليه!	الرمل	والذهَبْ	182
45	شاعر عصره!	الطويل	والأسما	183
46	شاب شَعره ، ولم يشب لسانه!	الطويل	من نزواتِ	184
47	أشيب لم ينذرْه الشيب!	المتقارب	ما أشأمهْ	185
48	لا تبكِ يا صديق الأمس!	الطويل	ليس يُثمرُ	186
49	يا صَدِيقاً! – مُساجلة عشماوية	الرمل	رضِيا	189
50	فاعدِلْ بينهم!	البسيط	تشويها	191
51	كذبتني ، فهل صدقت؟!	الكامل	الجافي	197

52	كـــم أعطـــوك؟!	البسيط	مُحَيَّاهُ	201
53	نحن جاهزون للطلاق!	الكامل	الخِداع الألكَدِ	204
54	دمه وماله وعرضه!	الكامل	بالمكّارِ	207
55	اذكُرْ دراجَتك وقفاصَتها!	البسيط	مُزدجَرُ	217
56	الأمانة بين الصيانة والخيانة!	الكامل	الأفاكا	220
57	عُقبى حُب الظهور!	السريع	جهرا	224
58	ليتني أطعتُ صِحابي!	الخفيف	النصحاءُ	228
59	متعنت!	الوافر	والهَياجِ	231
60	أصهارٌ خارج نطاق الخدمة!	الخفيف	الأشرافِ	232
61	تُعَيِّرني بضِيق العيش!	الوافر	قلبي	235
62	العاصفة!	الخفيف	البداية	238
63	اتركوني مع من أحببتُ في الله!	الخفيف	جَوقة الأوغادِ	239
64	على اختـــلاف!	الكامل	مستيقنة	241
65	همسة عتاب باكية !	الكامل	واسلمي	242
66	إدانة وإهانة وإبانة!	الوافر	باعا	247
67	خياران أحلاهما مُر 2!	الخفيف	عِندي	252
68	دفاعُكِ عن نفسك أولى!	الكامل	نِياتِ الورى	254
69	لا تنبشي يا أختاه دموعي!	البسيط	من مِحَنِ	256
70	مزايـــــدة!	الطويل	العِندُ	258
71	الخديعة الكبرى!	الطويل	الطنسِ	263
72	قبيلة خلعتْ بُرقعَ الحياء!	الرمل	والتاعَ العصبْ	273
73	الظلمُ ظلمات يوم القيامة	الكامل	وتُغصَبُ	280
74	شتان بين الظل والحرور!	الطويل	فتنة كُبرى	286
75	اختـــــلاف	المتقارب	الجهبذا	287
76	الجميل الكئيب	البسيط	السَفلُ	289
77	تذكّروا الجميـــل 1!	البسيط	ما قدَروا	290
78	تذكروا الإحســـان 2!	الكامل	وكُلومِ	305
79	جَعلوني مغنمـــاً!	الخفيف	بالطغيانِ	314

80	من فات قديمَه تاه!	البسيط	لقد كانوا	319
81	شَبعة من بعد جُوعة! (إلى كل أسرة وضيعة)	البسيط	والدينِ	323
82	فليُكرمْ ضيفـــــه!	الكامل	الإجرامِ	338
83	حسابي مع حاقـــــد!	البسيط	مَسؤولُ	340
84	لا صُلـــــحَ على دخـــــن!	الرمل	بديلا	350
85	فإذا أمن بعضكم بعضاً!	الخفيف	بلا تِرجافِ	355
86	من خدعنا بالله انخدعنا له!	البسيط	مشهورا	366
87	للبيت حُرمتُه ، ولصاحبه قدرُه	البسيط	استعِرا	368
88	مراعاة شعور الآخرين مروءة!	الكامل	ابتُلوا	372
89	نِعمتِ الأخت ، وبئس الإخوة!	الكامل	واصدُقوا	381
90	وهل نحن جئنا لنقرأ؟!	الكامل	الأفكارا	391
91	تغير الحال أم الخال؟!	البسيط	وأحوالُ	394
92	وسَقطتْ ورقة التوت!	الطويل	الهمّا	398
93	نذالـــــة وخِسّـــــة	البسيط	من علموا	401
94	عليه العِوَض ، ومنه العِوَض!	البسيط	الهدفُ	406
95	المروءة	البسيط	شغلوا	409
96	عندما يذهب الكُرماء!	الكامل	وأزبدوا	415
97	هل جزاءُ الإحسان إلا الإحسان؟	الخفيف	البُلهاءُ	416
98	الفيروز المصعوق	الرمل	كل حِبري	423
99	إلى من يهمه الأمر	الرمل	وإلا فاللسَمْ	425
100	بقية من القيم	الكامل	يَتفطرُ	432
101	خطوة في الاتجاه الصحيح	الخفيف	والترويحِ	433
102	فاعفوا واصفحوا!	البسيط	الضررا	434
الـــــ	ـــــخـــــاتـــــ	ـــــمـــــ	ـــــة	439
تـــــ	ـــــرجـــــمـــــة الـــــ	ـــشـــاعـــ	ـــــر	441
الـــــ	ـــــفـــــهـــــ	ـــــ	ـــــرس	457
شـــــ	ـــــهـــــادات الـــــتـــــقـــــ	ـــــديـــــ	ـــــر	461
الـــــ	ـــــفـــــهـــــرس الـــــمـــــ	ـــوضـــوعـــ	ـــــي	521
الـــــ	ـــــفـــــهـــــرس الـــــعـــــ	ـــــ	ـــــام	595

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام (حسابي مع الأوباش!)